


BRIGHAM YOUNG UNIVERSITY
3 1197 23025 1818

(فهرسة الجزء الثانى من السيرة الحلبية)

(تمت)

فهرسة الجزء الثانى من السيرة النبوية التى بهامش السيرة الحلبية

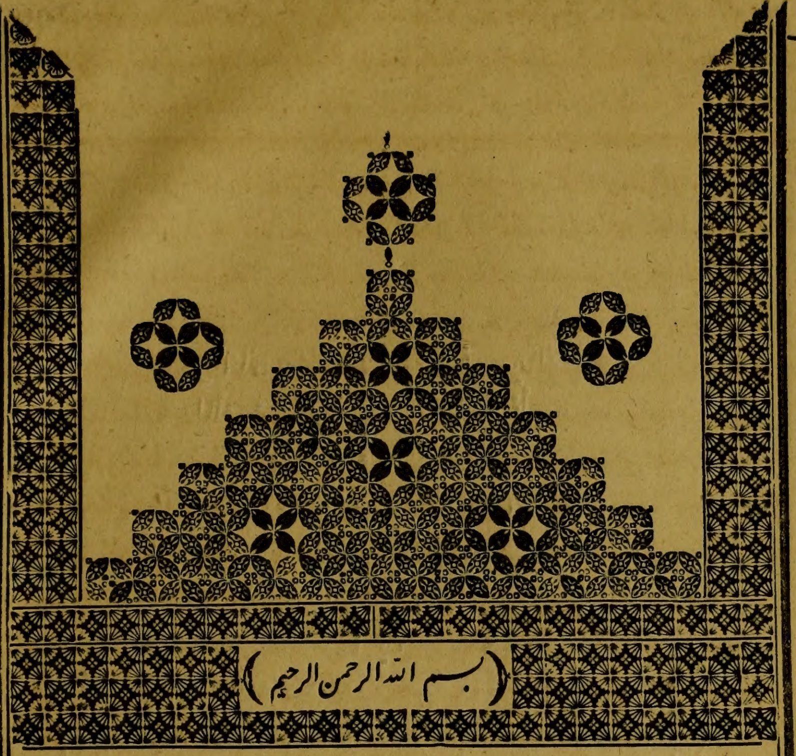
صحيفة

صحيفة

تمت

الجزء الثاني من انسان العيون في سيرة الامين
المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية تأليف
الامام العالم العلامة الحبر البحر
الفهامة علي بن برهان الدين
الحلبي الشافعي نفع
الله بعلومه
آمين

وبهامشها السيرة النبوية والآثار المحمدية لمفتي السادة الشافعية
بمكة المشرفة السيد احمد زيني المشهور بدحلان نفع الله به المسلمين آمين



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينا صروه على ما جاء به من الحق)

اى لانه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته ثلاث سنين ثم أعلن بها فى الرابعة على ما تقدم ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى الموسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم اى بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتى اليهم فى أسواق المواسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز فقد تقدم أن العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجىء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجىء سوق ذى المجاز فتقيم به الى أيام الحج يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف ويقول الا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم اى بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وو راءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعنى عمه وفى رواية عن أبى طارق رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب

(غزوة بنى سليم)

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وعلى الصلاة ابن أم مكتوم بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقط بناء على ان قضاء الاعمى غير صحيح وقيل غير ذلك وكان لواؤه أبيض حمله على بن أبى طالب رضى الله عنه فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها صلى الله عليه وسلم وانحدر بها الى المدينة وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

(غزوة بنى قينقاع)

بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم أشهر قوم من اليهود كانت منازلهم بطرف مما يلى العالية وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة ابن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبى ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد اى لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بنى قريظة وبنى النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على ان يكونوا معه لا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوه فهم أول من غدر من اليهود مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب يقول

يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اى ذوآبتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذى يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى يعنى أبا لهب اى وفى السيرة الهشامية عن بعضهم قال انى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله عز وجل ما بعثنى به قال وخلفه رجل أحول وضىء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابى من هذا الرجل الذى يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب * وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب اى الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم ان الله قد أحسن اسم أبيكم اى عبد الله اى فقد قال صلى الله عليه وسلم أحب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض على بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة اى فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفى رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك اى نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بنى عبد المطلب يزعم انه نبى يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل لها من تلاف اى تدارك هل لها من مطلب والذى نفس فلان بيده ما يقولها اى ما يدعى النبوة كاذبا أحد من بنى اسمعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم * وذكر الواقدى انه صلى الله عليه وسلم أتى بنى عبس اى وبنى سليم وغسان وبنى محارب اى وفزارة وبنى نضر ومرة وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد يقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من

غدرهم ونقضهم العهد ان امرأة من العرب وكانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو وقدمت بجلب لها وهو ما يجلب لبياع من ابل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وقيل خله بشوكة ٣ وهى لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهة فبلغ الخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما على هذا أقررناهم فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وقال أتولى الله ورسوله وابرأ من حلف هؤلاء الكفار وتشبث به عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت رضى الله عنه وفى ذلك أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة اى يوم بدر واسلموا فانكم قد عرفتم أنى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى اليكم به قالوا يا محمد انك ترى أنا قومك اى تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وفى لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا اى لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم اموالا وأشدهم بغيا وأنزل الله تعالى فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا يعنى وقعة بدر وأنزل الله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ثم ان القوم تحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار وكان خروجه فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه واستعمل على المدينة أبا لبابة الانصارى رضى الله عنه فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة ٤ دراع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة اى يخرجوا منها وان لهم النساء والذرية ويجعلون بقية الاموال للنبى صلى الله عليه وسلم ومنها الحلقة التى هى السلاح ولم يكن لهم نخيل ولا أراضى تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا وخمست أموالهم جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين وخمس له صلى الله عليه وسلم ثم اجلاهم الى الشأم وقيل انهم نزلوا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يكتفوا فكتفوا فأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبى ابن سلول وألح عليه فقال يا محمد أحسن فى موالى فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم فأدخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلنى وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلنى فقال والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى فانهم أعزتى وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفى لفظ والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر اى لادرع له وثلثمائة دراع وقد منعونى من الاحمر والاسود وتحصدهم فى غداة واحدة انى والله امرؤ أخشى الدوائر والدى فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة الآية ثم أمر صلى الله عليه وسلم ان

العرب أفصح ردا عليه من بنى حنيفة اى وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو حنيفة لان أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان فى رجلها وثقيف اى ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف اى ودفع صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر رضى الله تعالى عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال واى ربيعة من هامها أو من لهازمها قالوا بل الهامة العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامى الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال منكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة الفردة فلان قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين بقل وجهه اى طلع شعر وجهه فقال له ان على سائلنا أن نسأله يا هذا انك اقد سألتنا فأخبرناك فمن الرجل فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنا من قريش فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن اى قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى أمكنت أمنكم قصى الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه قال لا قال فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كأن وجهه القمر يضئ فى الليلة الظلماء قال لا واجتذب ابو بكر رضى الله تعالى عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له على رضى الله تعالى عنه لقد وقعت من الاعرابى على باقعة اى داهية اى ذو دهاء وهو فى الاصل اسم لطائر حذر يطير يمنة ويسرة قال أجل أبا حسن مامن طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق اى واستفهام الفتى توبيخى لا حقيقى لان من المعلوم ان من ذكر ليسوا من تيم لان أبا بكر كما تقدم انما يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة ومرة جد لقصى فكأنه يقول له ان قبيلتكم لم تشتمل على هؤلاء الاشراف اى كما ان قبيلتنا لم تشتمل على أولئك الاشراف * وعن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقى جماعة من شيبان بن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما وان أبا بكر سألهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر اى سادات فى قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وله غديرتان اى ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم اى أقرب مجلسا من أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة

يجلوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث اى بعد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشام ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابن ابي ٥ لا بارك الله لك فيهم ويذكر أن ابن أبي قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم ليسأله في اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه في الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء وقيل الذى تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ولا مانع ان يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا في اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا لانهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي قوسا تدعى الكتوم لا يسمع لها صوت اذا رمى بها وقوسا تدعى الروحاء وقوسا تدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة اسياف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضي الله عنهما وقسم بقية الاموال والسلاح كما تقدم * (قتل أبي عفك اليهودي) * وقدم في المواهب قتل أبي عفك على غزوة بني قينقاع فقال ثم في شوال كانت سرية سالم بن عمير الى أبي عفك بفتح المهملة والفاء اليهودي وكان شيخا كبيرا قد بلغ من السنين عشرين ومائة سنة وكان يحرض الناس على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فقال صلى الله عليه وسلم من لي بهذا الخبيث

والذى قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة قاله لما أراد ان يغزو هوازن وكان جيشه العدد المذكور كما سيأتي فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد اى بفتح الجيم وضمها اى الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم اى حظ وسعادة اى علينا ان نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد اى من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح اى ذوات اللبن من الابل وربما قيل للبقر والغنم أيضا والنصر من عند الله يديلنا بضم أوله وكسر الدال المهملة اى ينصرنا مرة ويديل علينا مرة اى ينصر علينا أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أوقد بلغكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ذا فقال مفروق بلغنا أنه يذكر ذلك فالام تدعو يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله والى أن تؤوني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت اى تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام أهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وهذه الآية ذكر العز بن عبد السلام انها اشتملت على جميع الاحكام الشرعية وبين ذلك في سائر الابواب الفقهية وضمن ذلك كتابا سماه الشجرة فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم اى صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا اى عاونوا عليك وكان مفروق أراد أن يشركه اى يشاركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش واني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لزلة في الرأى وقلة نظر في العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن

فقال سالم بن عمير على نذر ان أقتل أبا عفك او أموت دونه فأمهل يطلب له غرة اى غفلة حتى كانت ليلة صائفة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم به سالم فأقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش اى دخل فى الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته فى الكفر ٦ والنصر يض فأدخلوه منزله ثم مات فقبروه ورجع سالم بن عمير رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فبشر بذلك فدعا له بخير

(غزوة السويق)

لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم حلف ابو سفيان ان لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى ابنى النضير وهم حى من اليهود وقصد حيى بن أخطب وكان من رؤساء بنى النضير وكان مجيئه اليه فى الليل فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له لانه خافه فانصرف وجاء الى سلام بن مشكم سيد بنى النضير وصاحب كنزهم اى مالهم الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج به الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا النخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار وهو معبد بن عمرو وحليفا للانصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار وكان خروجه لخمس خلون من ذى الحجة واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر الانصارى رضى الله عنه وجعل أبو سفيان واصحابه يخففون دواحلهم عليه للهرب فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمسة أيام ورأى أبو سفيان انه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو انه لا يمس

ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وتنظر وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانى بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر وان أحببت ان نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى أنهار كسرى فعلنا فانا انما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا وأن لا نؤوى محدثا وانى أرى هذا الامر الذى تدعونا اليه أنت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم فى الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من أحاط به من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وهؤلاء لم أقف على اسلام أحد منهم الأن فى الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيبانى وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا لقول هانى بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر أن النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة اى وفى أسد الغابة أن مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن ابى نعيم أنه قال لا أعرف لمفروق اسلاما ولما قدمت بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ائتهم فاعرضنى عليهم فأتاهم فعرض عليهم فقال لهم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال فكيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدونه ثلاثا وثلاثين وتكبرونه ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال أنا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا له هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وأنه زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم لا ترفعوا بقوله رأسا فانه مجنون يهذى من أم رأسه فقالوا لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر وفى رواية انه لما سألهم قالوا حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبينك من الفرس حربا فاذا فرغنا عما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله

النساء ولا الطيب حتى يغزو محمدا وحكى بعضهم ان أبا سفيان عبر عن ذلك بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا وهذا يدل على انهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم قال الدميري ان الحكمة في عدم بيان الغسل في آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوما قبل الاسلام وذلك من بقية دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فهو من الشرائع القديمة قال بعضهم كانوا في الجاهلية يغتسلون من الجنابة و يغسلون موتاهم و يكفنونهم و يصلون عليهم وهو ان يقوم وليه بعد ان يوضع على سريره و يذكر محاسنه و يثني عليه ثم يقول رحمة الله ثم يدفن وما ذكره الدميري تبع فيه السهيلي حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به في الجاهلية بقية دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام كما بقي فيهم الحج والنكاح وكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر فلم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام فلهذا لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا ونازع بعضهم في ثبوت ذلك عندهم وقال ان أبا سفيان انما قال لا يمس الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن التمتع بالنساء فغيره بعض الرواة بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة لان هذا اللفظ صار عند أهل الاسلام كناية عن التمتع بالنساء فساوى المراد منه ما قصده أبو سفيان والله أعلم بحقيقة الحال

عليه وسلم بل نصروا اي نصروا بذكرهم امي * ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم و يقول لا أكره أحدا على شيء من رضي الذي أدعوه اليه فذلك ومن كره لم أكرهه انما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي فلم يقبله أحد من تلك القبائل و يقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه * وعن ابن اسحق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم وفي سيرة مغلطاي ومستدرك الحاكم ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة اي وهي عند يسار الطريق القاصد منى من مكة و بها الآن مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقي بها رهطا من الخزرج اي لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب اي والاوس في الاصل اي اللغة العطية و يقال للذئب و يقال لرجل اللهو واللعب والخزرج في الاصل الريح الباردة وقيل هي الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله تعالى بهم خيرا وقد عد الستة في الاصل و بين الناس اختلاف في ذكرهم فقال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج فقال أمن موالي يهود اي من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لانهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وان يأمن بعضهم من بعض وهذا كان في أول أمرهم قبل ان تقوى شوكتهم على يهود o قالوا نعم قال افلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وجدهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام اي ورأوا أمارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه لان يهود كانوا اذا وقع بينهم و بينهم شيء من الشر قالوا لهم سيبعث نبي قد أظل اي قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم اي كما تقدم في أخبار الاحبار والمراد نستأصلكم بالقتل فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم اي فان الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة أكثر من مائة سنة اي مائة وعشرين كما في الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك (اقول) وفي رواية قالوا يا رسول الله انما كانت بعاث اي بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفي آخره ثاء مثلثة وقيل بفتح الموحدة و بدل المهملة

*(ذكر تزويج فاطمة رضي الله عنها) * بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنه وهي الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم رضي الله عنها كما اختاره المقريزي والزركشي والحافظ السيوطي في كتابيه شرح النقاية وشرح جمع الجوامع بالادلة الواضحة التي منها ان هذه الامة افضل من غيرها والصحيح ان مريم ليست نبية بل حكى الاجماع على انه لم يتنبأ امرأة قط

وقد قال صلى الله عليه وسلم مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم يا بنية الا ترضين انك سيدة نساء العالمين قالت يا ابت فأين مريم قال تلك سيدة نساء عالمها رواه ابن عبد البر وقد أخرج الطبرانى باسناد على شرط الشيخين قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت أحدا قط افضل من فاطمة غير ابيها ٨ وكان تزوجها من على رضى الله عنه فى السنة الثانية من الهجرة عقد عليها فى صفر وقيل فى المحرم وقيل فى رجب وقيل فى رمضان ودخل بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة وهى ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر او ستة أشهر ونصف وكان سن على رضى الله عنه يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها رضى الله عنها حتى ماتت وعن انس رضى الله عنه قال جاء ابو بكر وعمر رضى الله عنهما يخطبان فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيأ وفى رواية قال لكل منهما أنتظر بها القضاء فانطلقا الى على رضى الله عنه يأمرانه ان يخطبها لنفسه قال على رضى الله عنه فنبهانى لامر كنت غافلا عنه فقمت اجر ردائى فرحا بما نبهت له حتى اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجنى فاطمة قال أوعندك شئ فقلت فرسى وبدنى يعنى درعه قال اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها من عثمان بن عفان رضى الله عنه بأربعمائة وثمانين درهما قال الزرقانى ثم ان عثمان رضى الله عنه رد الدرع الى على رضى الله عنه فجاء بالدرع والدراهم الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات ولما جاء المدينة
على رضى الله عنه بالدراهم وضعها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فقبض منها قبضة فقال اى بلال ابتع بها لنا طيبا وامرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط ووسادة من ادم حشوها ليف وقال لعلى رضى الله عنه اذا اتتك فلا تحدث شيأ حتى آتيك

معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف فعن ابن دريد صحف الخليل بن أحمد يوم بعاث بالغين المعجمة واغاهو بالمهملة وفى القاموس بالمهملة والمعجمة عام أول يوم من ايامنا اقتتلنا به ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتى نرجع الى غابرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد اعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بنى قريظة ويقال انه حصن للاوس كان به القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير والد أسيد وبه قتل مع من قتل من قومه وكان النصر فيهم أولا للخزرج ثم صار للاوس * وسبب القتال أنه كان من قاعدتهم ان الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجلا من الاوس اى وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج اى وهو ذياد والد المجذر بن ذياد وذياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة تحت والمجذر بالذال المعجمة مشددة مفتوحة فأرادوا أن يقتلوا سويدا فيه فأبى عليهم الاوس ذلك لان سويدا هذا كان تسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن خالة عبد المطلب لان أمه اخت سلمى أم عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا او معتمرا فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى فدعا سويدا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد لعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الكلام حسن والذى معى افضل من هذا قرآن أنزله الله على هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج وفى كلام بعضهم أنه آمن بالله ورسوله وسافر حتى دخل المدينة الى قومه فشعروا باايمانه فقتلته الخزرج بغتة وقيل القاتل له المجذر ولد ذياد الذى قتله سويد لان سويدا كان قد شرب الخمر وجلس يبول وهو ممتلئ سكرا فضربه انسان من الخزرج فخرج حتى أتى المجذر بن ذياد فقال هل لك فى الغنيمة الباردة قال ما هى قال سويد أعزل لا سلاح معه فخرج المجذر بالسيف مصلتا فلما ابصر سويدا قال له قد أمكن الله منك قال ما تريد منى قال قتلك فقتله فكان ذلك سبب الحرب بين الاوس والخزرج ببعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأرسل صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس فهيأت البيت فصلى العشاء وأرسل فاطمة رضى الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم حتى قعدت فى جانب البيت وعلى رضى الله عنه فى جانب آخر ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما صلى العشاء الآخرة فقال أههنا أخى قالت أم أيمن أخوك ٩ وقد زوجته ابنتك قال نعم اى هو كأخى فى المنزلة والمؤاخاة فلا يمتنع على تزويجى اياه بنتى ودخل صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها ائتينى بماء فقامت تعثر فى ثوبها من الحياء الى قعب فى البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه اى وضعه فى فمه ورمى به فى القعب ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال أدبرى فأدبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلى وفى رواية ثم قال لعلى ائتنى بماء قال فعلمت الذى يريد فقمت فلأت القعب ماء فأتيته به فاخذه فمج فيه ثم صب على رأسى وبين ثديى ثم قال لى أدبر فصب بين كتفى ثم قال اللهم انى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال له ادخل بأهلك باسم الله والبركة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم توضأ فى اناء ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى شملهما وهو بالتحريك الجماع وفى رواية فى شبليهما والشبل ولد الاسد فيكون ذلك كشفا

المدينة أسلم الحرث بن سويد والمجذر بن زياد وشهدا بدرا فجعل الحرث بن سويد يطلب مجذرا ليقتله بأبيه فلم يقدر عليه حتى كان وقعة احد قدر عليه فقتله غيلة كما سيأتى * وممن قتل فى هذه الحرب التى يقال لها بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ قدم مكة هو وشخص يقال له ابو الحيسر انس بن رافع مع جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له قالوا وماذاك قال أنا رسول الله بعثنى للعباد وادعوهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وانزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا اى قوم والله خير مما جئنا اليه فأخذ ابو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنا موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى مات والله اعلم ثم انصرف اولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم قال وفى رواية انهم لما آمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير عليك ان تمكث على رسلك اى على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم الى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم لعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اى فلم يقع لهؤلاء الستة او الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتداء الاسلام للانصار وربما سماه بعضهم العقبة الاولى فلما كان العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا اى عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل كانوا احد عشر رجلا منهم خمسة من الستة او الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة أولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة أيضا فبايعهم اى عاهدهم صلى الله عليه وسلم اى وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية وتلا عليهم آية النساء أى الآية التى نزلت بعد ذلك فى شأن النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال وأراد مبايعة النساء * فعن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء أى كبيعته للنساء التى كانت يوم فتح مكة وهى على ان لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا اى لان قتل الاولاد كان سائغا فيهم وهو وأد البنات قيل والبنين خوف الاملاق * وفى النهر كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة ومضر يئدونهن وهود فنهن احياء فبعضهم يئد خوف العيلة والافتقار وبعضهم خوف السبى قال ولا نأتى ببهتان اى الكذب الذى يبهت صاحبه

٢ حل نى واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على انها تلد الحسن والحسين رضى الله عنهما فأطلق عليهما شبلين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فمجه ثم صبه ثم رشه على جبينه وبين كتفيه وعوذه بقل هو الله أحد والمعوذتين والجمع بين هذه الروايات ممكن لاحتمال انه فعل جميع ذلك واقتصر بعض الرواة فى كل رواية على البعض وروى ابن عساكر عن أنس

رضى الله عنه خطبها على رضى الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم لعلى قد أمرنى ربى أن أزوجها منك وروى الطبرانى مرفوعا برجال ثقات ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة رضى الله عنها من على رضى الله عنه قال أنس ثم دعانى عليه الصلاة والسلام بعد أيام فقال لى ادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعدة من الانصار رضى الله عنهم فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم وكان على رضى الله عنه غائبا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزمه الانام فقال عز من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فأمر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرنى ان أزوج فاطمة من على ابن أبى طالب فاشهدوا انى قد زوجته اياها على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك على ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل على رضى الله عنه فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرنى ان أزوجك فاطمة على أربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك قال قد رضيت بذلك يا رسول الله اى بعد ان خطب خطبة منها الحمد لله شكرا لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه الحمد لله الذى لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجنى ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا

سامعه نفتريه بين أيدينا وأرجلنا اى فى الحال والاستقبال قيل وغير ذلك ولا نعصيه فى معروف اى ما عرف من الشارع حسنه نهيا وأمرا * قال الحافظ ابن حجر المبايعة المذكورة فى حديث عبادة بن الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة وانما نص بيعة العقبة ما ذكر ابن اسحق وغيره عن اهل المغازى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن حضر من الانصار أبايعكم على ان تمنعونى ما تمنعون منه نساءكم وابناءكم فبايعوه على ذلك وعلى ان يرحل اليهم هو صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال هذه ادلة صريحة فى ان هذه البيعة بعد نزول الآية بعد فتح مكة (اقول) ليس فى كلام عبادة ان هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ فلا يحسن أن يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال وتلا عليهم آية النساء فلا يحسن التفريع المتقدم بل هو دليل على ان هذه المبايعة متأخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله اعلم * زاد بعضهم والسمع والطاعة فى اليسر والعسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر أهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم ثم قال ومن وفى بالتخفيف والتشديد أى ثبت على العهد فأجره على الله ومن اصاب من ذلك شيأ فعوقب به فى الدنيا فهو اى العقاب طهرة له او قال كفارة له * واستشكل بأن اباهريرة روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادرى الحدود كفارة لاهلها أولا واسلام أبى هريرة تأخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما سيأتى فانه كان عام خيبر سنة سبع * ويجاب بأن هذه البيعة التى ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه أى ان الحدود كفارة قال صلى الله عليه وسلم ومن اصاب من ذلك شيأ فستره الله عليه فأمره الى الله عز وجل ان شاء غفر له وان شاء عذبه اى وكون الحدود كفارة وطهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر ان يشرك به وفى رواية فان رضيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيأ فأصبتم بحد فى الدنيا فهو كفارة لكم فى الدنيا وان سترتم عليه فأمركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر اى وفى هذا رد على من قال بوجوب التعذيب لمن مات بلا توبة وعلى من قال يكفر مرتكب الكبيرة فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن أم مكتوم واسمها عاتكة واسمه عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها * قال الشعبى غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة

غزوة

ما يقول واشهدوا فقالوا ما تقول يا رسول الله قال اشهدوا انى قد زوجته كذا رواه ابن عساكر ثم قال صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما واعز جدكما اى حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا وفى رواية أبى الحسن بن شاذان انما زوجه وهو غائب قال جمع الله شملهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة 11 وأمن الامة فلما حضر على رضى الله عنه تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله أمرنى ان أزوجك فاطمة وان الله أمرنى أن أزوجكها على أربعمائة مثقال فضة فقال رضيتها يا رسول الله ثم خر على رضى الله عنه ساجدا شكرا لله تعالى فلما رفع رأسه قال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وبارك فيكما واعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس رضى الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وقد روى الطبرانى والخطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله نبيا قط الا جعل ذريته من صلبه غيرى فان الله جعل ذريتى من صلب على رضى الله عنه والعقد لعلى رضى الله عنه وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر أو على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر كما علم من الروايات السابقة أو على تخصيصه بذلك لانه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فله أن يزوج من شاء لمن شاء جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور وقد ذهب المالكية الى أن التفريق اليسير لا يضر فلعل غيبة على كانت قريبة جدا وقد يفهم من ظاهر الحديث انه أتى فى المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده وأجاز أبو حنيفة التفريق مطلقا ومنعه الشافعى مطلقا * وكانت وليمة على رضى الله عنه آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ويعجن شديدا وفى رواية أولم بكبش من سعد وآصع من

غزوة ما فيها اغزوة الا واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة وكان يصلى بهم وليس له رواية ومصعب بن عمير رضى الله تعالى عنهما يعلمان من اسلم منهم القرآن ويعلمانهم اى من أراد ان يسلم الاسلام ويفقهانهم فى الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما فى اكثر الروايات وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم بعث بهما معا ويدل له ما روى عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه اول من قدم علينا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب ابن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئان الناس القرآن اى وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم مصعبا حين كتبوا اليه يبعث اليهم * وفى رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك رضى الله تعالى عنهما ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا ويدعو الناس بكتاب الله وفى رواية كتبوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وكان يقال له المقرى وهو اول من تسمى بهذا الاسم وهذا يدل على ان مصعبا لم يكن معهم (اقول) وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كتبوا وارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك عند خروجهم من مكة وقبل ان ينصرفوا منها راجعين الى المدينة والاقتصار على مصعب لا ينافى ما تقدم من ذكر ابن أم مكتوم معه ثم رأيت ما يبعد الجمع الاول وهو عن ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعنى مصعب بن عمير بعدهم وانما كتبوا اليه ان الاسلام قد فشا فينا فابعث الينا رجلا من أصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا فى الاسلام ويعلمنا بسنته وشرائعه ويؤمنا فى صلاتنا فبعث مصعب بن عمير وما يبعد الجمع الثانى وهو ما نقل عن الواقدى ان ابن ام مكتوم قدم المدينة بعد بدر بيسير وفى كلام ابن قتيبة وقدم ابن ام مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كل من مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم وان مكاتبتهم بأن الاسلام فشا فينا الى آخره كانت وهم بالمدينة فجاء اليهم مصعب وتخلف ابن أم مكتوم فليتأمل ذلك والله تعالى اعلم * وهذه المبايعة يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة عندها ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبى امامة اسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه دون بقية رفقته وكان سالم مولى ابى حذيفة رضى الله تعالى عنه يؤم المهاجرين بقباء قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يؤم القوم أى الاوس والخزرج لان الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وجمع بهم اول جمعة جمعت فى الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الآمرة بها فانها مدنية * وقال الشيخ أبو حامد فرضت الجمعة بمكة

ولم تمكن من فعلها قال الحافظ ابن حجر وهو غريب أي وعلى صحته فهو ما تقدم حكمه على تلاوته * وعند ابن اسحق ان اول من جمع بهم ابو امامة اسعد بن زرارة وكانوا اربعين رجلا أي فعن كعب بن مالك قال اول من جمع بنا في المدينة اسعد بن زرارة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم في نقيع الخضمات والنقيع بالنون قيل أو بالباء الموحدة لكن قال الخطابي انه خطأ والخضمات جمع خضمة وهي الماشية التي تخضم اى تأكل بفمها كله مما في ذلك المحل من الكلا وهو اسم لقرية من قرى المدينة قال وكنا أربعين رجلا اى ولا مخالفة لان مصعب بن عمير كان عند أبي امامة اسعد بن زرارة كما علمت فكان هو المعاون على الجمع وكان الخطيب والمصلي مصعب بن عمير فنسب الجمع لكل منهما اى ويكون ما في الرواية الآتية من ان اسعد بن زرارة هو الذي صلى بهم على التجوز أي جمعهم على الصلاة ويؤيده ما تقدم من أن الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وأيضا المأمور بالتجميع مصعب بن عمير كما سيأتي قال السهيلي وتسميتهم اى الانصار اياها بهذا الاسم أى تسميتهم اليوم يوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم والا فكانت تسمى في الجاهلية العروبة اى يسمى ذلك اليوم يوم العروبة اى الرحمة وقال عليه الصلاة والسلام في حق ذلك اليوم انه اليوم الذي فرض عليهم اى على اليهود والنصارى اى طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه كما فرض علينا أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله تعالى له اى ان كلا من اليهود والنصارى أمر بذلك اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واختار اليهود من قبل أنفسهم بدله السبت لانهم يزعمون انه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق سبحانه وتعالى من خلق السموات والارض ومابين من المخلوقات اى بناء على ان أول الاسبوع الاحد وانه مبدأ الخلق قال بعضهم وهو الراجح وفي كلام بعضهم أول الاسبوع الاحد لغة وأوله السبت عرفا اى في عرف الفقهاء في الايمان ونحوها ويؤيد الاول ان السبت مأخوذ من السبات وهي الراحة قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا اى راحة ظنا منهم انه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة واختارت النصارى من قبل انفسهم بدل يوم الجمعة يوم الاحد أي بناء على انه أول يوم ابتدأ الله فيه بايجاد المخلوقات ظنا منهم انه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى قوله أضلوه تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك ما جاء أن الله تعالى فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا ياموسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وهدى الله تعالى المسلمين ليوم الجمعة اى وهداية المسلمين له تدل على انهم لم يعلموا عينه وانما اجتهدوا فيه فصادفوه وفي سفر

ذرة من عند جماعة من الانصار * وكان جهاز فاطمة رضي الله عنها اخميلة اى بساطا له خمل اى هدب رقيق وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف وسريرا مشروطا وكان فرشهما ليلة عرسهما اهاب كبش وعن الحسن البصري كان لعلي وفاطمة رضي الله عنهما قطيفة اذا لبسوها بالطول انكشفت ظهورهما ١٢ واذا لبسوها بالعرض انكشفت رؤسهما وجاءه صلى الله عليه وسلم مكث لم يدخل عليهما بعد البناء ثلاثة أيام ثم دخل في الرابع في غداة باردة وهما في لحاف واحد فقال كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فأخذ علي احداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئها وأخذت فاطمة الاخرى فوضعتها على صدرها وبطنها لتدفئها وعن أنس رضي الله عنه قال جاءت فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله اني وابن عمي مالنا فراش الا جلد كبش ننام عليه ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال يابنية اصبري فان موسى بن عمران أقام مع امرأته عشر سنين مالهما فراش الا عباءة قطوانية اى بيضاء كثيرة الخمل وفي مسند الامام أحمد عن علي رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها شكت ماتلقى من أثر الرحى مما تطحن فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بسبي فانطلقت فلم تجده فأخبرت عائشة فلما جاء صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيئها قالت فاطمة رضي الله عنها فجاء صلى الله عليه وسلم الينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت

السعادة

لأقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني قلنا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام اذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهن خير لكما من خادم ولم يتزوج على رضي الله عنه عليها حتى توفيت رضي الله عنها ولما خطب جويرية

السعادة كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وسلم أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بأنواع التشريف والتكريم * وجاء ان أهل الجنة يتباشرون في الجنة بيوم الجمعة كما تتباشر به اهل الدنيا في الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد كما تقدم لان الله تعالى يتجلى عليهم في ذلك اليوم ويعطيهم كل ما يتمنونه ويقول لهم لكم ما تمنيتم ولدينا مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وقد جاء في المرفوع يوم الجمعة سيد الايام واعظمها عند الله تعالى فهو في الايام كشهر رمضان في الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر في رمضان * والذى في البخارى ثم هذا اى يوم الجمعة يومهم الذى فرض عليهم اى على اليهود والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقوله فاختلفوا فيه يدل على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه ما نقل عن بعض أهل العلم أن اليهود أمروا بيوم من الاسبوع يعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل انفسهم السبت فالزموه في شرعهم وكذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل انفسهم الاحد فالتزموه شرعا لهم وهو يخالف ما سبق فليتأمل * قال بعضهم والراجح ان أول الاسبوع السبت لانه أول يوم ابتدئ فيه بايجاد المخلوقات فقد جاء في الصحيح أن الله خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء كذا في مسلم وعليه يشكل تسمية اليوم الذى يليه الاحد واجيب بأنه من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم * وقد ذكر السهيلى ان تسمية هذه الايام طارئة ولو كان الله سبحانه وتعالى سماها في القرآن بهذه الاسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة لكن لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وانهما ليسا مشتقين من العدد هذا كلامه ورد بأنه جاء ان الله تعالى خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس واجاب ابن حجر الهيتمى بأن هذه اى التسمية المذكورة لم تثبت وان العرب تسمى خامس الورد أربعاء هذا كلامه فيكون أول الاسبوع السبت ثم رأيت السهيلى قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها الا حاكيا للغة قومه لا مبتدئا تسميتها ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معانى هذه الاسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم فألقوا عليها هذه الاسماء اتباعا لهم هذا كلامه فليتأمل * وفى السبعيات للهمدانى اكرم الله موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت وعيسى بالاحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثاء ويعقوب بالاربعاء وآدم بالخميس ومحمدا صلى الله عليه

بنت ابى جهل قام صلى الله عليه وسلم على المنبر وقال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى في أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا أن يريد ابن أبى طالب ان يطلق ابنتى وينكح ابنتهم انما هى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا فترك على الخطبة ١٣ قال أبو داود حرم الله على على رضى الله عنه أن ينكح على فاطمة رضى الله عنها مدة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وألحق بعضهم أخواتها بها ويحتمل اختصاصها بذلك رضى الله عنها وعنهن وقد ورد في فضائل على رضى الله عنه أحاديث كثيرة حتى قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ما ورد لاحد من الصحابة رضى الله عنهم ما ورد لعلى كرم الله وجهه أى من ثنائه صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك كثرة اعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم فاضطر الصحابة ان يظهر كل منهم من فضله ما حفظه ردا على الخوارج وغيرهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما نزل في أحد من الصحابة في كتاب الله ما نزل في على كرم الله وجهه نزل في على ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما تكلمت به في التفسير فانما أخذته عن على كرم الله وجهه وقد افردت مناقبه بالتأليف رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى اعلم

(سرية محمد بن مسلمة)

التى قتل فيها كعب بن الاشرف اليهودى لعنه الله وكانت لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى الاوسى ومعه أربعة من الانصار الى كعب بن الاشرف اليهودى ليقتلوه قال ابن اسحق ان كعب بن الاشرف كان مع اليهود بالحلف وكان أبوه عربيا من بنى نبهان اصاب دما في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبى

الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة شاعرا مجيدا ساد يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطى أحبار يهود ويصلهم فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جاء أحبار اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة الى كعب بن الاشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال لهم ما عندكم من أمر هذا الرجل ١٤ فقالوا هو الذى كنا ننتظره ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا الى أهليكم فان الحقوق فى مالى كثير فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا فيما أخبرناك به أولا ولما استنبأنا علماءنا غلطنا وليس هو المنتظر فرضى عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيأ من ماله وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اشعاره ويحرض كفار قريش على قتاله وكان النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مأمورا بتألف الناس وبالصبر على الاذى كما قال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور لانه صلى الله عليه وسلم ورد المدينة وأهلها أخلاط مجتمعون من قبائل شتى مختلفة أحوالهم وعقائدهم فأراد استصلاحهم بجمعهم على كلمة الاسلام وكان المشركون واليهود يؤذون المسلمين أشد الاذى فصبروا على ذلك وكان كعب بن الاشرف من أشد الناس أذى للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وكان قد عاهد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يعين عليه احدا فنقض العهد وسبه وسب أصحابه وكان من عداوته انه لما قدم البشيران بقتل من قتل ببدر واسر من أسر قال كعب احق هذا ترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان فهؤلاء اشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما أيقن الخبر ورأى الاسرى مقرنين

وسلم بالجمعة وهذيدل على ان اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند أنفسهم فليتأمل الجمع * وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت قال يوم مكر وخديعة اى وقع فيه المكر والخديعة اى لانه اليوم الذى اجتمعت فيه قريش فى دار الندوة للاستشارة فى أمره صلى الله عليه وسلم * وسئل عن يوم الاحد فقال يوم غرس وعمارة لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها * وفى رواية لان الجنة بنيت فيه وغرست * وسئل عن يوم الاثنين فقال يوم سفر وتجارة لان فيه سافر شعيب فربح فى تجارته * وسئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم دم لان فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه * وذكر الهمدانى فى السبعيات أيضا انه قتل فيه سبعة جرجيس وزكريا ويحيى ولده عليهم الصلاة والسلام وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بنى اسرائيل وهابيل بن آدم وبين قصة كل واحد أى ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهى وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وفيه نزل ابليس الى الارض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بنى آدم وفيه ابتلى أيوب وفى بعض الروايات ان اليوم الذى ابتلى الله فيه أيوب يوم الاربعاء * وسئل عن يوم الاربعاء قال يوم نحس لان فيه أغرق فرعون وقومه وأهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح اى ومن ثم كان يسمى فى الجاهلية دبار والدبار الهلاك انتهى لكن الذى فى الحديث الموقوف على ابن عباس الذى لا يقال من قبل الرأى آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وجاء يوم الاربعاء لا أخذ ولا عطاء * وذكر الزمخشرى ان بعضهم قال لاخيه اخرج معى فى حاجة فقال هذا الاربعاء قال فيه ولد يونس قال لا جرم قد بانت له بركته اى حيث ابتلعه الحوت قال وفيه ولد يوسف قال فما احسن ما فعل به اخوته طال حبسه وغربته قال وفيه نصر المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال أجل ولكن بعد ان زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر * وورد فى بعض الآثار النهى عن قص الاظفار يوم الاربعاء وانه يورث البرص وعن ابن الحاج صاحب المدخل انه هم بقص اظفاره يوم الاربعاء فتذكر ذلك فترك ثم رأى ان قص الاظفار سنة حاضرة ولم يصح عنده النهى فقصها فلحقه البرص فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له ألم تسمع نهيى عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح ذلك عندى فقال يكفيك أن تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده على بدنه فزال البرص جميعا قال ابن الحاج فجددت مع الله توبة أنى لا أخالف ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا * وجاء فى حديث خرجه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين

آخرين

كبت وذل وخرج الى قريش يبكى على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فنزل بمكة على المطلب بن أبى وداعة السهمى وعنده زوجته عاتكة بنت اسيد بن أبى العيص فأنزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبى صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا حسانا فهجا المطلب وزوجته واسلما بعد ذلك رضى الله عنهما فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت مالنا ولهذا اليهودى فخرج من عندها وصار يتحول من قوم الى قوم فيفعل مثل مافعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبى صلى الله عليه وسلم فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل مافعلت عاتكة ثم رجع الى المدينة فتغزل فى نساء المسلمين وذكرهن بسوء فلما أبى أن ينزع عن أذاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا بابن الاشرف وفى رواية من لكعب ابن الاشرف اى من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا وجاء فى رواية انه حالف قريشا عند استار الكعبة على قتال المسلمين فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال لهم ان الله أخبرنى بذلك ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله عليه فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا عن عروة بن الزبير قال انبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستفتاهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو سفيان والمشركون أديننا احب اليك أم دين محمد واصحابه واى ديننا اهدى فى رأيك وأقرب الى الحق فقال أنتم اهدى سبيلا وأفضل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من

آخرين لايد وجذام ولا مرض الا يوم الاربعاء وكره بعضهم عيادة المريض يوم الاربعاء * وفى منهاج الحليمى وشعب الايمان للبيهقى ان الدعاء مستجاب يوم الاربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر لانه صلى الله عليه وسلم استجيب له الدعاء على الاحزاب فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت وكان جابر يتحرى ذلك بالدعاء فى مهماته وذكر انه مابدئ بشئ يوم الاربعاء الا وتم فينبغى البداءة بنحو التدريس فيه * وسئل عن يوم الخميس فقال يوم قضاء الحوائج لان فيه دخل ابراهيم الخليل على ملك مصر فقضى حاجته واعطاه هاجر ومن ثم زاد فى رواية والدخول على السلطان * وسئل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه آدم حواء ويوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس اى ونكح فيه صلى الله عليه وسلم خديجة وعائشة * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أذن النبى صلى الله عليه وسلم لهم قبل الهجرة اى قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم فى اقامة الجمعة أى فلم يفعلوها باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أى اليوم الذى يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله بركعتين فجمع مصعب ابن عمير عند الزوال أى صلى الجمعة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى استمر على ذلك حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم عين لهم ذلك اليوم وهو خلاف قوله السابق فهدا كم الله له الظاهر فى ان هدايتهم له باجتهاد منهم ويدل له ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما باسناد صحيح ان الانصار قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى ونشكره فجعلوه يوم العروبة اى لانه اليوم الذى وقع فيه خلق آدم الذى هو مبدأ هذا الجنس وجعل فيه فناء الخلق وانقضاؤهم اذ فيه تقوم الساعة ففيه المبدأ والمعاد اذ هو المروى عن ابن عباس يقتضى ان الانصار اختاروه باجتهاد منهم الا أن يقال لامخالفة لأنه يجوز أن يكون هذا العزم على ذلك حصل منهم اولا ثم أرسلوا له صلى الله عليه وسلم يستأذنوه فى ذلك فأذن لهم فيه فقد جاء الوحى موافقة لما اختاروه وفيه انه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير افعلوا ذلك ولم يقل له انظروا الى اليوم الى آخره الا أن يقال يجوز أنهم لما استأذنوه صلى الله عليه وسلم فى الاجتماع لم يعينوا له اليوم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم وتقدم عن الشيخ أبى حامد أن الجمعة أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها وتقدم عن الحافظ ابن حجر

أنه غريب ويؤيده أنه لو كان أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها لأمر بها مصعب بن عمير عند ارساله للمدينة ولم يأمر بها الا بعد ذلك الا ان يقال انما لم يأمره بها حينئذ لانه يجوز أن يكون انما أمر بها بعد ذهاب مصعب الى المدينة أو انه انما لم يأمره بذلك لان لاقامتها شروطا منها العدد وهو عند امامنا الشافعي رضى الله تعالى عنه أربعون بشروط ولم يكن ذلك موجودا عند ارساله صلى الله عليه وسلم ومن ثم لما علم صلى الله عليه وسلم وجود العدد المذكور أرسل له يأمره بذلك في قوله امابعد فانظر اليوم الخ ثم لا يخفى ان ظاهر سياق الروايات يدل على ان الذى هداهم الله اليه انما هو ايقاع العبادة في هذا اليوم لا تسميته بيوم الجمعة كما تقدم عن السهيلي على أن تسميتهم له بذلك لم أقف عليها في رواية على أن السهيلي ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما أرسل لمصعب بن عمير أن يفعلها كما تقدم في الاسراء * وذكر أيضا أن كعب بن لؤى أول من سمى يوم العروبة بالجمعة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون الانصار ومن معهم من المهاجرين لم يبلغهم ماذكر عن كعب بن لؤى ان ثبت أنهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة فقال لان فيها جمعت طينة أبيك آدم وقدمنا أنه لا مخالفة بين ماهنا وما تقدم في الاسراء والله أعلم * وأسلم سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن حضير رضى الله تعالى عنهما على يد مصعب بن عمير وكان اسلام أسيد قبل سعد في يومه فعن ابن اسحق أن أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه خرج بمصعب بن عمير الى حائط أى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما اى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا ابالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الذين أتيا دارينا ثنية دار وهى المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أى وفي لفظ قال له ائت أسعد بن زرارة فازجره عنا فليكف عنا مانكره فانه بلغنى أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه سفهاءنا وضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا اسيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ثم قال مصعب ان يجلس هذا كلمته قال فوقف عليهما متشتما قال ماجاء بكما الينا تسفهان

ضعفاءنا

الكتاب الآية وخمس آيات فيه وفي قريش فجزم عروة بانها نزلت في كعب ونحوه ماروى الامام أحمد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم كعب مكة قالت له قريش ألا ترى الى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير ١٦ فنزل فيهم ان شانئك هو الابتر ونزلت ألم تر الى الذين او توا نصيبا من الكتاب الى نصيرا واخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله عنهما كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة حيى بن اخطب وسلام بن ابى الحقيق وابا رافع والربيع وعمارة وهوذة فلما قدموا مكة قالت قريش هؤلاء احبار اليهود واهل العلم بالكتب الاولى فسلوهم ادينكم خير ام دين محمد فسألوهم فقالوا دينكم خير وانتم اهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ملكا عظيما ولذا قال الجلال والبيضاوى انها نزلت في كعب وفي جمع من اليهود خرجوا الى مكة وساق نحو القصة وزاد البيضاوى أنهم سجدوا لآلهة الكفار ليطمئنوا اليهم ومن عداوة كعب بن الاشرف له صلى الله عليه وسلم ونقضه العهد ماجاء ان كعبا صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود انه يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الوليمة فاذا حضر فتكوا به ثم دعاه فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه بعض اصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما اضمروه بعد ان جالسه فقام يستره جبريل بجناحه فلما فقدوه تفرقوا فقال حينئذ من ينتدب لقتل كعب ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ولما قال صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب قال محمد بن مسلمة الاوسى رضى الله عنه انا اتكفل له به يارسول الله وفي رواية انا اقتله قال فافعل ان قدرت وفي رواية انت له ثم قال له ان كنت فاعلا فلا تعجل حتى

تشاور سعد بن معاذ رضى الله عنه فشاوره فقال توجه اليه واشك اليه الحاجة وسله ان يسلفكم طعاما فمكث محمد بن مسلمة
ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال لم تركت الطعام والشراب قال
يارسول الله قلت لك قولا لا ادرى هل أفين لك به ام لا قال انما عليك الجهد ثم أتى أبا نائلة وعباد بن بشر والحرث
ابن أوس وأبا عبس بن جبر فأخبرهم بما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله فأجابوه وقالوا كلنا نقتله ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله لابد لنا أن نقول اى قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا لنتوصل به الى التمكن من قتله قال قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك فأباح لهم الكذب لانه من خدع الحرب وكانهم استأذنوه فى أن يشكوا منه ويعيبوا دينه لان كعبا كان يحرض على قتل المسلمين وكان فى قتله خلاصهم فكانه اكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه اياهم للقتل فدفعوا عن انفسهم بالسنتهم مع ان قلوبهم مطمئنة بالايمان ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفرا لكنه يباح بالاكراه وهذا بمنزلته فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف فقال ان هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما نأكل وفى رواية ان نبينا أراد منا الصدقة وليس لنا مال نصدقه وانه قد عنانا وانى قد اتيتك استسلفك قال كعب وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى
 تنظر الى اى شئ يصير شأنه وقد اردنا أن تسلفنا وسقا او وسقين وفى رواية واحب أن تسلفنا
طعاما قال واين طعامكم قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى اصحابه قال ألم يأن لكم ان تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ثم
اجابهم بأنه يسلفهم وقال ارهنونى قالوا اى شئ تريد قال ارهنونى نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وانت اجمل العرب ولا

ضعفاءنا اعتزلنا ان كانت لكما بانفسكما حاجة وفى لفظ قال يا أسعد مالنا ولك تأتينا بهذا الرجل الغريب تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفى رواية علام أتيتنا فى دورنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب اوتجلس بفتح الواو استفهاما فتسمع بالنصب فى جواب الاستفهام فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره اى منعنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا له تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد بشهادة الحق ثم قام فركع ركعتين اى وهما صلاة التوبة فقد روى أصحاب السنن وقال الترمذى حديث حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل ما احببت وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك اى ينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك اغنيت شيأ ثم خرج اليهما ولما اقبل سعد قال أسعد لمصعب لقد جاءك والله سيد من ورائه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد ان أسيدا انما اراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت منى هذا اتغشانا فى دارنا بما نكره فقال له مصعب اوتقعد تسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهت عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فقال لهما كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين فقال تغتسل وتتطهر وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام سعد فاغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى نادى قومه ومعه اى مع ذلك النادى اسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى

فأمنك واى امرأة تمتنع منك لجمالك وقولهم هذا له على سبيل التهكم وان كان هو فى نفسه جميلا قال فارهنونى ابناءكم قالوا وكيف نرهنك ابناءنا فيسب احدهم فيقال رهن بوسق اووسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح مع علمك بحاجتنا قال نعم وانما قالوا ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم اليه بالسلاح فواعده أن يأتيه وجاءه ايضا ابو نائلة وقال له ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد ان اذكرها لك فاكتم عنى قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس واصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب أنا ابن الاشرف أما والله لقد كنت اخبرك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما اقول فقال انى أردت ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك وان معى اصحابا على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال ان فى الحلقة لوفاء وكان ابو نائلة أخا لكعب من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن اخيه من الرضاع فجاء محمد بن مسلمة وابو نائلة ومعهما عباد بن بشر والحرث بن اوس بن معاذ وابو عبس بن جبر وكلهم من الاوس ولما فارقوا النبى صلى الله عليه وسلم مشى معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته وكان ذلك بالليل وكانت الليلة مقمرة فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه ابو نائلة ثم بقية اصحابه فعرفهم فوثب فى ملحفته فاخذته امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ تحارب وان اصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة قال لها انه ابو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى فقالت والله انى لاعرف فى صوته الشر وفى رواية قالت اسمع

ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رأيا وأيمننا وابركنا نقيبة اى نفسا وامرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما أمسى فى دار اى قبيلة بنى الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فأسلموا فى يوم واحد كلهم وكان ذلك بعد العقبة الاولى وقبل العقبة الثانية الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بنى عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم احد فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر صلى الله عليه وسلم أنه من اهل الجنة اى وفى كلام ابن الجوزى اول دار اى قبيلة اسلمت من دور الانصار دار بنى عبد الاشهل ثم رجع مصعب الى دار اسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من سكان عوالى المدينة اى قراها من جهة نجد قال وفى كلام بعضهم الا جماعة من الاوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم ابو قيس وهو صيفى بن الاسلت وكان شاعرا لهم يسمعون منه ويطيعونه لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم لا يدخل فيه حائض ولا جنب فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق فأسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير اه اى وسبب تأخر اسلامه ما ذكره بعضهم انه لما اراد الاسلام عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبى ابن سلول وكلمه بما اغضبه ونفره عن الاسلام وقال ابو قيس لا أتبعه الا آخر الناس فلما احتضر أرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله اشفع لك بها فقالها وهم ابنه أن ينكح امرأة أبيه اى على ما هو عادة الجاهلية اى وكان ذلك فى المدينة حتى فى اول الاسلام ان أكبر اولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته فنزل التحريم اى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وتقدم الكلام على سبب نزول هذه الآية مستوفى ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار الى الموسم مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة اى واخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمن أسلم فسر بذلك وعن كعب بن مالك قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا والبراء بالمد لغة آخر ليلة من الشهر سمى بذلك لانه ولد فيها ومعرور معناه لغة مقصود فلما خرجنا من المدينة قال البراء انا انى قد رأيت رأيا ما ادرى اتوافقونى عليه ام لا قال قلنا وماذاك قال رأيت أن لا أدع هذه البنية

اى

أى بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد المثناة تحت المفتوحة ثم تاء التأنيث على وزن فعيلة يعنى الكعبة منى بظهر وأن اصلى اليها قال قلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام يعنون بيت المقدس اى صخرته وما نريد أن نخالفه قال فقال انى أصلى اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام يعنى بيت المقدس اى واستدبرنا الكعبة وصلى الى الكعبة اى مستدبر الشام حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ذلك وابى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لى يا ابن أخى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا فانه والله لقد وقع فى نفسى منه شئ لما رأيت من خلافكم اياى فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لانا لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من اهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعرفانه قلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه فسلمنا حين جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا ابا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال كعب فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البراء بن معرور يا رسول الله انى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله بالاسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر يعنى الكعبة فصليت اليها وخالفنى اصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شئ فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بيت المقدس اى ولم يأمره باعادة ما صلاه مع أنه كان مسلما و بين له أنه كان الواجب عليه استقبال بيت المقدس لانه كان متأولا فليتأمل وفى هذا تصريح بانه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون الى بيت المقدس قبل أن تحول القبلة وقد تقدم الوعد بذلك قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة اى الى أن يوافوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من منى اسفل العقبة حيث المسجد اليوم أى الذى يقال له مسجد البيعة كما تقدم وأمرهم أن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك فى ليلة اليوم الذى هو يوم النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا وكان من جملة المشركين ابو جابر

صوتا كأنه يقطر منه الدم قال انما هو ابن اخى محمد بن مسلمة ورضيعى ابو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لاجابه فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له هل لك يا ابن الاشرف ان تمشى الى شعب العجوز اسم موضع كان قريبا منهم نتحدث به بقية ليلتنا فقال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة أدخل يده فى باطن رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا اعطر ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها وامسكه من شعره وقال اضربوا عدو الله وفى البخارى أن ابن مسلمة قال لاصحابه اذا ما جاء كعب فانى قائل بشعره اى آخذ به فاذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ابن مسلمة ما رأيت كاليوم طيبا فقال عندى اعطر نساء العرب واجملهن فقال اتأذن لى ان اشم رأسك قال نعم فشمه ثم اشم اصحابه ثم قال أتأذن لى قال نعم فيحتمل ان كلا من محمد بن مسلمة وابى نائلة استأذنه فى ذلك وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد فى صدغيه فلما تمكن ابو نائلة او محمد بن مسلمة من امساكه ضربوه باسيافهم وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن الا اوقدت عليه نار قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفى فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله فجزوا رأسه واحتملوه فى مخلاة كانت معهم واجتمعت اليهود من كل ناحية فاخذوا على غير الطريق ففاتوهم فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلى فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف انهم قد قتلوه ثم انتهوا اليه فاخبروه بقتل عدو الله فقال افلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما

قال اصاب ذباب السيف الحرث بن اوس بن معاذ رضى الله عنه فجرح فى رجله او فى رأسه حتى نزف الدم فتفل صلى الله عليه وسلم على جرحه فلم يؤذه بعد وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودى الا وهو يخاف على نفسه وفى رواية فلما اصبح صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت اليهود فلم يطلع من عظمائهم احد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت وفى رواية فاصبحت يهود مذعورين فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذى المسلمين فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم الى ان يكتبوا بينهم وبينه صلحا فكان ذلك الكتاب مع على رضى الله عنه وفى قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر

صرخت به فلم يعرض لصوتى
ووافى طالعا من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادى
فقلت اخوك عباد بن بشر
وهذى درعنا رهنا فخذها
لشهر ان وفى او نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا
وما عدموا الغنى من غير فقر
فاقبل نحونا يهوى سريعا
وقال لنا لقد جئتم لامر
وفى ايماننا بيض حداد
مجربة بها الكفار نفرى
فعانقه ابن مسلمة المردى
به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه
فقطره ابو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فابنا
بانعم نعمة واعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام * هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لانه نقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه وكان عاهده أن لا يعين عليه احدا ثم جاء مع اهل الحرب معينا عليه قال القاضى عياض ان محمد بن مسلمة لم يصرح له بالامان فى شئ من كلامه انما كلمه فى امر البيع والشراء واشتكى اليه وليس

عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحاء والراء المهملتين سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فأسلم واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فبكثنا ثلث الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد هدأة يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان نسيبة بالتصغير وهى أم عمارة من بنى النجار اى وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هى وزوجها وابناها حبيب وعبد الله رضى الله تعالى عنهم وحبيب هذا اكتنفه مسيلمة الكذاب وصار يعذبه يقول له اتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول وتشهد أنى رسول الله فيقول لا فيقطع عضوا من اعضائه وهكذا حتى فنيت أعضاؤه ومات وسيأتى ما وقع لها رضى الله تعالى عنها فى حرب مسيلمة وأم منيع اى وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا نعم تخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا او رجلين وامرأتان اى منهم احد عشر رجلا من الاوس قال فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا اى وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم ◯ (اقول) وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيؤا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله اعلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب اى ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر أمر ابن اخيه ويتوثق له (اقول) وهذا لا يخالف ما جاء انه كان معه ايضا ابو بكر وعلى لان العباس اوقف عليا على فم الشعب عينا له واوقف ابا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عندهم الا العباس والله اعلم فلما جلسوا كان العباس اول من تكلم فقال يا معشر الخزرج اى قال ذلك لان العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الاوس وكانت تغلب الخزرج على الاوس فيقولون الخزرجين ◯ ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل

مهج نفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم اى والبراء بن معرور هو أول من اوصى بثلث ماله وفى رواية ان العباس قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم اهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فارووا رائكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الاعن ملا منكم واجتماع فان احسن الحديث اصدقه (اقول) قول العباس قد ابى محمد الناس كلهم غيركم ربما يفيد أن الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فاباهم ولا يساعد عليه ما تقدم ولولا التأكيد بلفظ كلهم لامكن أن يراد بالناس قبيلة شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا له ننصرك بما يلى مياه العرب دون ما يلى مياه كسرى فابى ذلك ويحتمل أن المراد بالناس الذين اباهم اهله وعشيرته والله اعلم وعندما تكلم العباس بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت وفى رواية خذ لنفسك ماشئت واشترط لربك ماشئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشترط لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة فاذا فعلنا فمالنا فقال صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفى رواية فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم اى وفى رواية أنهم قالوا له يارسول الله نبايعك قال تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة لائم وعلى أن تنصرونى فتمنعونى اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وأزواجكم وابناءكم ولكم الجنة فاخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به أزرنا اى نساءنا وأنفسنا الان العرب تكنى بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله اهل الحرب واهل الحلقة اى السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو الهيثم ابن التيهان بتشديد المثناة تحت وتخفيفها نقباله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس اخفوا جرسكم اى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم يارسول الله ان بيننا وبين الرجال يعنى اليهود حبالا اى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل اى دمى دمكم اى تطلبون بدمى واطلب بدمكم

فى كلامه عهد ولا امان ولا يحل لاحد أن يقول ان قتله كان غدرا وقد قال ذلك انسان فى مجلس على بن ابى طالب رضى الله عنه فامر به فضربت عنقه وانما يكون الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهده صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا امان قال الحافظ ابن حجر ان كعبا كان محاربا حيث ترجم لقصته البخارى بالفتك باهل الحرب والكذب فى الحرب والله سبحانه وتعالى اعلم

(غزوة غطفان)

ويقال لها غزوة ذى أمر بفتح الهمزة والميم وشد الراء وغزوة أنمار وهى بناحية نجد وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور ابن الحرث المحاربى سماه بعضهم غورث بن الحرث فخرج صلى الله عليه وسلم اليهم فى اربعمائة وخمسين رجلا واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم هربوا فى رؤس الجبال واصاب المسلمون رجلا منهم يقال له جبار وقيل حبان فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بخبرهم وقال لن يلاقوك لو سمعوا بمسيرك وهربوا فى رؤس الجبال وأناسائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فاسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشرائع واخذ ذلك الرجل بالنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين طريقا وهبط بهم على قومه فوصل المسلمون ماء يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم واصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب اصحابه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وكان ذلك بموضع قريب من المشركين فكانوا ينظرون اليه وهم فى رؤس الجبال

واشتغل المسلمون بشؤنهم فقال المشركون لدعثور وكان شجاعا سيد قومه قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى اليوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فاخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى قال لا أحد اشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ثم اتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام واخبرهم انه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره قال فعلمت انه ملك فاسلمت وعلمت انه رسول الله ولا اكثر عليه جمعا فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وقيل نزلت فى بنى النضير حين ارادوا اغتياله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وقيل نزلت فى كفار قريش لما ارادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف قال القشيرى وقد تنزل الآية فى قصة ثم تنزل فى اخرى لادكار ماسبق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

(غزوة بحران)

بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بنى سليم ايضا خرج صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة من اصحابه لست خلون من جمادى الاولى ولم يظهر وجها للمسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان قد بلغه ان جمعا كثيرا من بنى سليم اجتمعوا ببحران فاحث السير حتى بلغوا وكان قبل وصوله اليها لقى رجلا فاخبره ان القوم قد تفرقوا فحبسه مع رجل فلما وصل اليها وجدهم قد تفرقوا فى مياههم فرجع ولم يلق كيدا واطلق الرجل وكانت

فدمى ودمكم واحد وفى لفظ بدل الدم اللدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات اى حرمى حرمكم تقول العرب اللدم اللدم اذا أرادت تأكيد المحالفة هدمى وهدمكم واحد اى واذا اهدرتم الدم اهدرته وذمتى ذمتكم ورحلتى مع رحلتكم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم اى وعند ذلك قال لهم العباس رضى الله تعالى عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن فى نصرته ولتشدن من أزره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس اى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى أخذ من بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجدن احد فى نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختار لى جبريل اى لانه عليه السلام حضر البيعة فلما تخيرهم اى وهم سعد بن عبادة واسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن أبى خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وابو الهيثم بن التيهان وأسيد ابن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد على قبيلة رضى الله عنهم اجمعين و قال صلى الله عليه وسلم لاولئك النقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المهاجرين وقيل ان الذى تولى الكلام من الانصار وشد العقدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة اى وهو من اصغرهم فانه أخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا أهل يثرب انا لن نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان تعضكم السيوف فاما أنتم قوم تصبرون عليها اذا مستكم بقتل خياركم ومفارقة العرب كافة اى جميعا فخذوه وأجركم على الله تعالى واما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر لكم عند الله عزوجل فقالوا يا أسعد أمط عنا يدك فوالله لانذر اى نترك هذه البيعة ولا نستقيلها اى لا نطلب الاقالة منها وقيل ان الذى تكلم مع الانصار وشد العقدة العباس بن عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس اى على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له فى البداءة بالمحاربة الابعد أن هاجر الى المدينة بمدة كما سيأتى وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر

غيبته عشر ليال * وفى هذه السنة عقد لعثمان رضى الله عنه على ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت اختها رقية وتقدم ان موتها كان يوم جاء البشيران بخبر اهل بدر * وفى شعبان من هذه السنة تزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر رضى الله عنهما بعد ان انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر رضى الله عنه * وفى رمضان تزوج زينب بنت جحش

(سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه الى القردة)

بالقاف المفتوحة وسكون الراء اسم ماء من مياه نجد وسببها ان قريشا خافوا من طريقهم التى يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وكلهم اسلموا عام الفتح رضى الله عنهم ومعهم فضة كثيرة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة رضى الله عنه فى مائة راكب فلقيهم على ذلك الماء فاصاب العير وما فيها وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة

(غزوة أحد)

وهو جبل مشهور بالمدينة وكانت فى شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وسببها ان قريشا لما أصابهم يوم بدر ما اصابهم مشى عبد الله بن ابى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل وصفوان بن امية وكلهم أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش الى ابى سفيان رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ايضا والى كل من كان له تجارة فى تلك العير التى كانت سبب وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد

والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن اسعد بن زرارة اى ثم توافقوا على ذلك وقالوا يارسول الله مالنا بذلك ان نحن قضينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبسط يده صلى الله عليه وسلم فبايعوه ○ اى واول من بايعه صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور وقيل اسعد بن زرارة وقيل ابو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم اى وبايعه المرأتان المذكورتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن كما سيأتى فكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر اى العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة لم يتقدم عليهم احد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية اى ويقال ان أبا الهيثم قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بنى اسرائيل موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام وان عبد الله بن رواحة قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وقال اسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يارسول الله فأبايعك على أن أتم عهدى بوفائى وأصدق قولى بفعلى فى نصرك وقال النعمان بن حارثة أبايع الله عز وجل يارسول الله وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد اى لا أعامل فيه بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول الله على أن لا تأخذنى فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يارسول الله على أن لا أعصى لكما أمرا ولا أكذبكما حديثا فلما انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة الثانية ولما وقعت صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب اى بجيمين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم باء موحدة وهى منازل منى وفى الهدى يا اهل الاخاشب هل لكم فى مذمم والصباة معه يعنى بمذمم النبى صلى الله عليه وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد صلى الله عليه وسلم مذمم ويعنى بالصباة أصحابه الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن أسلم صابئ لان الصابئ من خرج من دين الى دين وقد جاء ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم يسبون مذمما وأنا محمد فانهم قد اجمعوا اى عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اسمع أى عدو الله أما والله لأفرغن وازب بكسر الهمزة واسكان الزاى ثم بالباء الموحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاى وتشديد الموحدة اى شيطان سمى بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه عامرها والازب فى الاصل القصير ومن ثم رأى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على

وتر كم وقتل خيار كم فاعينوا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا ممن اصاب منا ونحن طيبو النفس ان تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال ابو سفيان وانا أول من اجاب الى ذلك و بنو عبد مناف معى فجعلوا الذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس اموالهم وكانت خمسين الف ٢٤ دينار واخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا فكان الذى اخرج خمسين الف دينار وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن امية لابى عزة الجمحى يا اباعزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك على ان رجعت ان اغنيك وان اصبت اجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما اصابهن من عسر و يسر فقال ان محمدا قدمنّ على واطلقنى يعنى يوم بدر واخذ علىّ ان لا اظاهر عليه احدا حين اطلقنى فلا اريد ان اظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فخرج ابو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فقيل ان مسافعا لم يعرف له اسلام وقيل اسلم بعد ذلك واما ابو عزة فجئ به الى النبى صلى الله عليه وسلم فامر عاصم بن ثابت رضى الله عنه فضرب عنقه ودعا جبير بن مطعم رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما حبشيا يقال له وحشى رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان انت قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمى طعيمة بن عدى فانت حر لان حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدى يوم بدر وقيل ان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا او حمزة او عليا فى ابى فانى لا ارى كافرا فى القوم كفؤا له غيرهم فانت عتيق فسار القوم بالقيان والدفوف والمعازف اى آلات الملاهى والخمور والبغايا وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع ازواجهن منهن هند بنت عتبة زوج ابى سفيان رضى الله عنهما فانهما اسلما عام الفتح هى

بزغة رحله فقال له ما أنت قال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود سوطه فهرب وعند ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا وفى لفظ انفضوا الى رحالكم (أقول) وفى رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزعوا اى الانصار عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه احد ممن تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ ابليس الذى هو أبو الجن و يجوز أن يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة وأنه أتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل كما تقدم فعن حارثة ابن النعمان رضى الله تعالى عنه لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبى الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل والله اعلم ثم ان الحديث نما وسمع المشركون من قريش بذلك اى وفى كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج فقال عمرو بن العاص ما نال أبو جهل قال عمرو وذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فاخبره بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا وقال هل اتاكم فأخبركم بهذا منبه قلنا لا فقال لعله ابليس الكذاب الحديث وفيه طول وأمور مستغربة ولا ينافى سماع عمرو وأبى جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد ممن تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء اجلتهم واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج وفى رواية يا معشر الخزرج اى بالتغليب بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا تخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حى أبغض الينا ان نشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركو الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وما علمناه اى حتى ان أبى بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان هذا وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومى حتى يؤامرونى وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم اى ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فأما سعد فامسك وعذب فى الله وأما المنذر فأفلت ثم أنقذ الله سعدا من ايدى المشركين قال نقل عنه أنه قال لما ظفروا بى ربطوا يدى فى عنقى فلا زالوا يلطمونى على وجهى و يجذبونى بجمتى اى وكان ذا شعر كثير حتى ادخلونى مكة فاوما الى رجل اى وهو ابو البخترى بن هشام مات

وزوجها وخرجت ام حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنهما فانهما أسلما أيضا وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحرث بن هشام وربطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وغيرهن من النسوة يبكين قتلى بدر وينحن عليهم ويحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وكان خروجهم ٢٥ من مكة لخمس مضين من شوال وكتب العباس للنبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فابى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشئ من المال فجاء كتابه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بقباء وكان العباس ارسل الكتاب مع رجل من بنى غفار استأجره وشرط عليه أن يأتى المدينة فى ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لابى بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبيا ثم نزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس رضى الله عنه فقال والله انى لارجو ان يكون خيرا فاستكتمه اياه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا أم محمد ما أنت وذاك فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع واخذ بيدها ولحق النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره خبرها وقال يا رسول الله انى خفت أن يفشو الخبر فترى انى أنا المفشى له وقد استكتمتنى اياه فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فرس وسبعمائة دارع ومعهم الاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو جبل باسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا حبيش مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم

كافرا ○ وقال ويحك ما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال بلى قد كنت أجير لجبير بن مطعم تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى وللحرث بن حرب بن أمية اى وهو اخو ابى سفيان والاول اسلم بعد الحديبية والثانى لا يعلم له اسلام فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو قال يقول انه سعد بن عبادة فجاآ فخلصانى من ايديهم اهـ وعن سعد بينا انا مع القوم اضرب اذ طلع على رجل أبيض وضئ شعشاع اى طويل بل زائد الحسن حلو من الرجال فقلت فى نفسى ان يكن عند احد من القوم خير فعند هذا فلما دنا منى رفع يديه ولكمنى لكمة شديدة فقلت فى نفسى والله ما عندهم بعد هذا خير اى وهذا الرجل سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة اظهروا الاسلام اى اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح وهو من سادات بنى سلمة بكسر اللام واشرافهم ولم يكن اسلم وكان ممن اسلم ولده معاذ بن عمرو ○ وكان لعمرو فى داره صنم اى من خشب يقال له المناة لان الدماء كانت تمنى اى تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن اسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه اى واهله بعد اخراجه من داره فى بعض الحفر التى فيها خرء الناس منكسا فاذا اصبح عمرو قال ويحكم من عدا على الهنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا أمسى عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك الى أن غسله وطيبه وجاء بسيف علقه فى عنقه ثم قال له ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى عدوا عليه واخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم القوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها خرء الناس فلما اصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى أن وجده فى تلك البئر فلما رآه كذلك رجع الى عقله وكلمه من اسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وانشد أبياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن

اى حبل وامر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة اى لان قريشا لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم آوى اى استند الى قوم اهل حرب وتحمل ضيقوا على اصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد شكوا

اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة اى فمكث أياما لا يأذن لهم ثم قال لهم أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هى هى والسراة بفتح السين اعظم جبال بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد اخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب فأذن لهم وقال من اراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا اى متتابعين يخفون ذلك اى وفى رواية أريت فى المنام أنى هاجرت من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلى اى وهمى الى انها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب وفى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى اى هؤلاء الثلاثة نزلت هى دار هجرتك المدينة او البحرين او قنسرين قال الترمذى هذا حديث غريب وزاد الحاكم فاختار المدينة (أقول) فيه ان هذا السياق المتقدم يدل على ان استئذانهم فى الهجرة عبارة عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وأن عدم اذنه صلى الله عليه وسلم لهم فى الهجرة لعدم تعيين المحل الذى يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا يناسب ما تقدم فى حديث المعراج من قول جبريل له صليت بطيبة واليها المهاجرة وقد يجاب بانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أنسى قول جبريل المذكور وحينئذ ثم تذكره بعد ذلك فى قوله قد اخبرت بدار هجرتكم الى آخره وفيه ان هذا لا يحسن بعد مبايعته صلى الله عليه وسلم للاوس والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه مع علمه بان وطنه المدينة وكونهم يبايعونه على مناصرته مع كونه ساكنا فى البحرين او قنسرين فى غاية البعد على أنه سيأتى فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم خشى ان الانصار لا ترى مناصرته الا فى المدينة اى فان فى بعض الروايات وعلى أن تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب والله اعلم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين اى المهاجرين على الحق والمواساة فآخى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن ابى وقاص وبين ابى عبيدة بن الجراح وسالم مولى ابى حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله وبين على ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يارسول الله رضيت قال فانت أخى فى الدنيا والآخرة قال وأنكر العباس بن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين سيما مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه قال لان المؤاخاة بين المهاجرين والانصار انما جعلت لارفاق بعضهم ببعض ولتألف قلوب

اى تجمعهم وخرج معهم ابو عامر الراهب فى سبعين فارسا من الاوس وكان ابو عامر الراهب فى المدينة مقاوما للنبى صلى الله عليه وسلم ومباعداله ومنكرا للنبوته وكان قبل ذلك مترهبا يزعم أنه ينتظر النبى المبعوث ويذكر للناس كثيرا من صفاته ويقول لهم قد قرب خروجه فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واتضحت صفاته للانصار واتبعوه حسده أبو عامر وانكر نبوته وكان رئيسا فى الاوس كعبد الله بن أبى فى الخزرج فكل منهما حسد النبى صلى الله عليه وسلم لكن عبد الله بن أبى دخل فى الاسلام ظاهرا وهذا خرج من المدينة كافرا مباعدا فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يموت وحيدا طريدا فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلا عن الراهب وأما ابنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وهو من المستشهدين باحد وهو الذى غسلته الملائكة ومات أبو عامر الفاسق كافرا بارض الروم وحيدا طريدا اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم لانه لما فتحت مكة خرج فارا الى الروم ثم ان القوم بعد ان تجهزوا وخرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادى من قبل أحد مقابل المدينة وكان وصولهم يوم الاربعاء ثانى عشر شوال فاقاموا به الاربعاء والخميس والجمعة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال وكان رجال من المسلمين اسفوا على مافاتهم من مشهد بدر وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا قبل خروجه وكانت ليلة الجمعة فلما اصبح قال والله انى قد رأيت خيرا رأيت بقرا تذبح بعضهم ورأيت فى ذباب سيفى اى طرفه الذى يضرب به ثلما ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة وكأنى مردف كبشا فاما البقر فناس من اصحابى يقتلون واما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من اهل بيتى يقتل وأولت الدرع الحصينة المدينة وأولت

الكبش بأني أقتل صاحب الكتيبة وقد صدق الله رؤياه صلى الله عليه وسلم فكان الرجل الذي من اهل بيته حمزة سيد الشهداء رضى الله عنه وقتل على رضى الله عنه طلحة بن عثمان العبدرى صاحب لواء المشركين فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم وقال عروة بن الزبير وجماعة كان الذى بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فان العدو أصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته السفلى ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امكثوا بالمدينة فان دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وفى رواية فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبى ابن سلول يستشيره تأالفا له ولم يستشره قبل ذلك فكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول مع رأيه صلى الله عليه وسلم فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرا وأسفوا على ما فاتهم من مشهدها يارسول الله انا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم فقال ابن أبى يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو لنا قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منهم فدعهم يارسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا وقال حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الانصار رضى الله عنهم انا نخشى يارسول الله أن يظن عدونا انا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا زاد حمزة والذى انزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى اجالدهم بسيفى خارج المدينة وقال النعمان

بعضهم ببعض فلا معنى لمؤاخاة مهاجرى لمهاجرى قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى ويستعين الاعلى بالادنى ولهذا تظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه كان هو الذى يقوم بامره قبل البعثة وفى الصحيح فى عمرة القضاء ان زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخى اى بسبب المؤاخاة اه وكان أول من هاجر منهم اليها اى لا معهم ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وهو اخوه من الرضاع وابن عمته وهو اول من يدعى للحساب اليسير كما تقدم فانه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها واراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من اسلم من الانصار اى الاثنى عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه ام سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير رآه رجال من قوم أم سلمة فقاموا اليه وقالوا يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم ابى سلمة وقال ان ابننا معها اذا نزعتموها من صاحبنا تنزع ولدنا منها ثم تجاذبوه حتى خلعوا يده وأخذه قوم ابيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة بالابطح فتبكى حتى المساء مدة سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرأى ما بها فرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى بزوجك فلما بلغ ذلك قوم ابى سلمة ردوا عليها ولدها فارتحلت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة اى الحجبى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ مشركا ثم أسلم رضى الله تعالى عنه فى هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كما سيأتى فتبعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك هنا ثم انصرف وهى أول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة رضى الله تعالى عنها وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة قال وقال ابن اسحق وابن سعد ثم كان أول من قدمها بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة وهى أول ظعينة قدمت المدينة اه (أقول) فام سلمة أول ظعينة قدمت المدينة لا مع زوجها وليلى اول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها فلا منافاة وفى كلام ابن الجوزى اول من هاجر الى المدينة من النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط والله اعلم قال يعنى اى أم سلمة

يارسول الله لا تحرمنا الجنة فوالذي نفسي بيده لادخلنها فقال صلى الله عليه وسلم له فقال لاني احب الله ورسوله وفي لفظ
اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا أفر يوم الزحف فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاستشهد يومئذ فتبرج عنده صلى
الله عليه وسلم موافقة رأيهم وان كرهه ٢٨ ابتداء ليقضي الله امرا كان مفعولا فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس
الجمعة ثم وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم بان لهم النصر ماصبروا اى مدة صبرهم على امره وامرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك لانهم لاغرض لهم في الدنيا وزهرتها الماوقر في قلوبهم وارتاحت له نفوسهم من حب لقاء الله والمسارعة الى جنات النعيم ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا وحضر اهل العوالي ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه في الدنيا والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه والبساه اى عاوناه في لبس عمامته وثيابه والتقليد بسيفه وغير ذلك مما تعاطاه عند ارادة الخروج وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد ابن معاذ رضي الله عنه واسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الاوس وهو في الانصار كالصديق في المهاجرين رضي الله عنهم قال الزرقاني فهو أفضل الانصار فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي بالهمز وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه
فندم الطالبون لخروجه على ماصنعوا وقالوا ما كان ينبغي لنا أن نخالفك فاصنع ماشئت وفي رواية فان
شئت فاقعد فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم
رضي الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم لواء للاوس وجعله بيد اسيد بن حضير ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر وقيل

ما تقدم عنها في حق عثمان بن طلحة بقولها فانه لما رآني قال الى أين قلت الى زوجي قال أو ما معك أحد قلت لا ما معي الا الله وابني هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معي فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بي ثم استأخر فاذا نزلت جاء وأخذ بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استأخر عني وقال اركبي فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادني اه اى وقد قال فقهاؤنا من الصغائر مسافرة المرأة بغير زوج ولا محرم ولا امرأة ثقة في غير الهجرة وفرض الحج والعمرة أما في ذلك فيجوز حيث أمنت الطريق وقولنا لا معهم لا ينافي أن اول من قدم المدينة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير لان قدومه كان معهم على ما تقدم او يقال ابو سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه واما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم ثم رأيت في السيرة الهشامية أول من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني مخزوم ابو سلمة وعليه فلا اشكال ثم جاء عمار وبلال وسعد وفي رواية ثم قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار في دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه وقال تجدني او اجدك عند محل كذا ففطن بهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي رضي الله تعالى عنه قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد بسيفه وتنكب قوسه وانتضى في يديه أسهما واختصر عنزته اى وهي الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس اى الانوف من أراد ان تثكله أمه اى تفقده او يوتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي رضي الله تعالى عنه فما تبعه احد ثم مضى لوجهه ثم ان أبا جهل واخاه شقيقه الحرث بن هشام رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما كان أصغر ولد أمه واخبراه ان أمه قد نذرت أن لا تغسل رأسها وفي لفظ ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه أي وفي لفظ أن لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل مسكنا حتى يرجع اليها وقالا له وأنت احب ولد أمك

اليها

بيد سعد بن عبادة ولواء المهاجرين وجعله بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبي طلحة العبدري فقال نحن أحق بالوفاء منهم فأخذه من علي ودفعه الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أكبر أولاد قصي فجعل أبوه قصي القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة كلها اليه ثم اختلف بنو عبد الدار وبنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ثم اتفقوا على أن اللواء والحجابة ودار الندوة لبني عبد الدار والقيادة والسقاية والرفادة لبني عبد مناف وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالوفاء منهم وفي شرح الزرقاني على المواهب انه لما قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضي الله عنه وكان في المسلمين مائة دارع وهو لابس الدرع وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وقيل خرج ماشيا وخرج السعدان أمامه يعدوان سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة

فان يسلم السعدان يصبح محمد
بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وكانا دارعين ورد صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين لصغرهم نحو سبعة عشر منهم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب رضي الله عنهم ثم أجاز رافع بن خديج لما قيل له انه رام فخرج واصيب بسهم فقال صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم القيامة وعاش الى زمن عبد الملك بن مروان ولما اجازه قال سمرة ابن جندب رضي الله عنه لزوج أمه أجاز رافعا وردني وأنا أصرعه فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه ورأى صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود مع عبد الله بن أبي يريدون الخروج فقال وقد أسلموا قالوا لا

اليها وأنت في دين مثل برالوالدين فارجع الى مكة فاعبد ربك كما تعبده بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما أي وأخذ عليهما المواثيق أن لا يفشيا به وقال له عمر ان يريدا الا فتنتك عن دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش أبر أمي ولي مال هناك آخذه فقال عمر خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر حيث صممت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فأبى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التاء أي شد يديه الى خلف بالكتاف في الطريق أي وفي السيرة الهشامية انه أخذ الناقة وخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى قال فأناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه وأوثقاه رباطا ودخلا به مكة نهارا موثقا وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا وفي لفظ بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كما تقدم منع وحبس عن الهجرة وجعل كل في قيد وفي لفظ انهما لما ذكر أن أمه حلفت أن لا يظلها سقف بيت حتى تراه وأعطياه موثقا أن لا يمنعاه وأن يخليا سبيله بعد أن تراه أمه فانطلق معهما حتى اذا خرجا من المدينة عمدا اليه فشداه وثاقا وجلداه نحوا من مائة جلدة وكان أعانهما عليه رجل من بني كنانة أي يقال له الحرث بن يزيد القرشي وفي كلام ابن عبد البر أنه كان ممن يعذبه بمكة مع أبي جهل وفي الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وأنه لما جيء به الى مكة ألقي في الشمس وحلفت أمه أنه لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه ففتن قيل وكان سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الآية وفيه أنه تقدم انها نزلت في سعد بن أبي وقاص الا أن يقال يجوز أن يكون مما تكرر نزوله فتكون نزلت فيهما وحلف عياش ليقتلن ذلك الرجل ان قدر عليه قيل ولم يزل عياش محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش فلقي ذلك الرجل الكناني وكان قد أسلم وعياش لا يعلم باسلامه فقتله وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعياش قم فحرر أي أعتق رقبة وما ذكر من أن عياشا استمر محبوسا الى الفتح يخالف قول بعضهم مكث صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سيأتي أربعين صباحا يقنت في صلاة الصبح بعد الركوع أي من الركعة الاخيرة وكان يقول في قنوته اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين

يا رسول الله قال مروهم فليرجعوا فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين وكان المسلمون الخارجون معه صلى الله عليه وسلم ألف راجل ثم انخزل عبد الله بن ابى ورجع هو ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة فبقى المسلمون سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش والاحابيش المحالفين ٣٠ لهم وقال ابن ابى حين اراد الرجوع عصانى واطاع الولدان ومن لا رأى له علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فقال لهم عبد الله بن عمرو ابن حرام والد جابر رضى الله عنه وكان خزرجيا كابن ابى أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم بعد ما حضر عدوهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناهم فلما ابوا قالوا أبعدكم الله سيغنى الله عنكم قال موسى بن عقبة لما انخزل ابن ابى بمن معه سقط فى أيدى طائفتين من المسلمين وهمتا ان تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة بكسر اللام من الاوس وفى الصحيح عن جابر رضى الله عنه نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بنى سلمة وبنى حارثة وما احب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما اى الدافع عنهما قال الحافظ ابن حجر اى ان الآية وان كان فى ظاهرها عتاب عليهم لكن فى آخرها غاية الشرف لهم قال ابن اسحق قوله والله وليهما اى الدافع عنهما ما هموا به من الفشل لان ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم فى دينهم وفى الصحيح ايضا عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه لما خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة احد رجع ناس ممن خرج معه وكان اصحابه صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول بالخروج نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزل فما لكم فى المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اى ردهم الى كفرهم بما كسبوا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من احد فى عدوة الوادى فى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصلى

من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على ان هشام ابن العاص وعياش بن أبى ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام وفى السيرة الهشامية ما يفيد أنهما افتتنا الاول صريحا والثانى ظاهرا وفى السيرة الشامية التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر ولانهما لو كانا افتتنا لاطلقا من الحبس والقيد وادامة ذلك الا أن يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على أن رجوعهما عن الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما اى وسيأتى أن الوليد كان سببا لتخليص عياش بن أبى ربيعة وهشام بن أبى العاص بعد أن تخلص من الحبس وهاجر الى المدينة فان الوليد كان أسر يوم بدر ثم افتداه أخواه خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبساه بمكة وقيل له هلا أسلمت قبل أن تفتدى قال كرهت أن يظن فى انى جزعت من الاسار ثم تجاوز وتوصل الى المدينة ورجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما الى المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وبه يعلم ضعف ما تقدم من أن عياشا لم يزل محبوسا الى يوم الفتح ومن هاجر قبل النبى صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة ابن ربيعة اى لانه لما اعتقته زوجة ابى حذيفة وكانت أنصارية تبناه ابو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر بن الخطاب لانه كان أكثرهم أخذا للقرآن فكان عمر ابن الخطاب يثنى عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند قتله لو كان سالم مولى ابى حذيفة حيا ما جعلتها شورى قال ابن عبد البر معناه انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة أى فانه قتل فى يوم اليمامة وارسل عمر ميراثه لمعتقته فابت أن تقبله فجعله فى بيت المال ولما اراد صهيب الهجرة الى المدينة اى بعد أن هاجر اليها صلى الله عليه وسلم خلافا لما يوهمه كلام الاصل والشامى قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى قالوا نعم قال فانى جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب أقول وذكر أن صهيبا تواعد معه صلى الله عليه وسلم أن يكون معه فى الهجرة فلما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل اليه أبا بكر مرتين او ثلاثا فوجده يصلى فكره أن يقطع عليه صلاته كما سيأتى وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم وهو ما فى الخصائص الكبرى عن صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه ابو بكر وقد كنت هممت

بالخروج معه فصدني فتيان من قريش اى بعد أن أردت الخروج بعده وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم أنا اعطيكم أواقي من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلون سبيلي ففعلوا فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل أن يتحول منها فلما رآني قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله انه ما سبقني اليك احد وما اخبرك الا جبريل عليه السلام اى واخرج ابو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثر ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أني من ارماكم رجلا وايم الله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شئ ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفي رواية أنهم قالوا له دلنا على مالك ونخلي عنك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوا الى راحلته ونفقته ففعلوا ونزل قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآني أبو بكر قام الي فبشرني بالآية التي نزلت في اى وفي رواية فتلقاني أبو بكر وعمر ورجال فقال لي ابو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرني ما ذاك فقال انزل الله فيك كذا وقرأ علي الآية وفي تفسير سهل بن عبد الله التستري أن صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد حكي ان امرأة اشترته فرأته كذلك فقالت لا أرضى لك حتى تنام بالليل لانك تضعف فلا يتهيأ لك الاشتغال بأعمالي فبكى وقال ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه اى وليتأمل هذا مع ما في تاريخ ابن كثير ان الروم اغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه واسلام عمار بن ياسر في يوم واحد وقد يقال يجوز أن تكون تلك المرأة التي اشترته كانت من بني كلب وعن صهيب رضي الله تعالى عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه وانه قال له عمر رضي

الصبح باصحابه صفوفا ثم اصطف المسلمون باصل احد واصطف المشركون بالسبخة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وصار سيفا لله سله على المشركين وعلى ميسرتها عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وعلى المشاة صفوان بن أمية وقيل عمرو بن العاص رضي الله عنهما فانهما اسلما بعد ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام استقبل خالد بن الوليد وكن بازائه وامر جماعة اخرين ان يكونوا بازاء خيل اخرى للمشركين ولم يكن مع المسلمين الافرس او فرسان قال الحلبي وما وقع في الهدى لابن القيم ان الفرسان من المسلمين يوم احد كانوا خمسين سبق قلم وجعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير ابن النعمان الاوسي البدري المستشهد يوم احد رضي الله عنه وهو اخو خوات بن جبير رضي الله عنه وكان الرماة خمسين رجلا فاقامهم النبي صلى الله عليه وسلم على جبل صغير مرتفع وقال لهم احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل انا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم اللهم اني اشهدك عليهم وفي رواية قال لهم ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم واوطأناهم اى مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم وفي رواية فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا اللهم اني اشهدك عليهم ثم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه وكان مكتوبا عليه

في الجبن عار وفي الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

فقام رجال وبسطوا ايديهم كل انسان منهم يقول انا يا رسول الله منهم ابو بكر وعمر وعلي والزبير رضي الله عنهم فامسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه ابو دجانة واسمه سماك بن أوس

الانصارى رضى الله عنه فقال وما حقه يارسول الله قال ان تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال انا آخذه يارسول الله قال لعلك ان أعطيتكه تقاتل فى الكبول اى مؤخر الصفوف قال لا يارسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه صلى الله عليه وسلم يتبختر قال انها ٣٢ لمشية يبغضها الله تعالى الا فى مثل هذا الموطن وليس فى هذه القصة دليل على ان ابا دجانة اشجع من النفر الذين منعهم النبى صلى الله عليه وسلم اعطاء السيف بل هذه خصوصية لابى دجانة ولعل ذلك بوحى من الله تعالى لاظهار شأن الانصار وفضلهم حيث اعطاه لرجل منهم قال الزبير رضى الله عنه لما منعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه ابا دجانة قلت والله لانظرن ما يصنع ابو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء مكتوبا فى احد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الآخر الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا اقوم الدهر فى الكيول
اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله قال انس ففلق ابو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه اى قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله ان يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك ابا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه ابو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال ابو دجانة رأيت انسانا يخمس الناس اى يشجعهم حمسا شديدا فصمدت اليه فلما حملت السيف عليه ولول اى دعا بالويل اى قال ياويلاه فعلمت انه امرأة فاكرمت سيف رسول الله

الله تعالى عنه ياصهيب اكتنيت وليس لك ولد فقال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى فهو من جملة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ولد له وكان فى لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل قثاء ورطبا وهو ارمد احدى عينيه فقال له تأكل رطبا وأنت ارمد فقال انما آكل من ناحية عينى الصحيحة فضحك صلى الله عليه وسلم وفى المعجم الكبير للطبرانى عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فاخذت آكل من التمر فقال لى أتأكل التمر وعينك رمدة فقلت يارسول الله أمضغه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ولا مانع من التعدد ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة وهاجروا مكث صلى الله عليه وسلم بعد اصحابه ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه الا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأبو بكر اى وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا أو مريضا أو عاجزا عن الخروج وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو وفى رواية تجهز أبو بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال له ابو بكر هل ترجو ذلك بأبى أنت وامى قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين عنده الخبط اى وفى لفظ ورق السمر بفتح المهملة وضم الميم قال الزهرى وهو الخبط قال ابن فارس والخبط ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفها أربعة اشهر وكان اشتراهما بثمانمائة درهم أقول ظاهر هذا السياق أن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ومعلوم أن ذلك بعد مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والمدة بين مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والهجرة كانت ثلاثة اشهر او قريبا منها لانها كانت فى ذى الحجة ومهاجرته صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفى السيرة الشامية ما يصرح بان علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ففيها أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لابى بكر وقد استأذنه فى الهجرة لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا طمع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعنى نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما اعدادا لذلك وسيأتى عن الحافظ ابن حجر أن بين ابتداء هجرة اصحابه وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف شهر على التحرير والله اعلم فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صار له شيعة اى انصار واصحاب من غيرهم ورأوا خروج

اصحابه

صلى الله عليه وسلم ان اضرب به امرأة وعن الزبير رضى الله عنه قال خرج ابو دجانة بعدما اخذ السيف واتبعته فجعل لا يمر بشئ الا افراه وهتكه وفلق به المشركين وكان اذا كل شحذه بالحجارة ثم يضرب به العدو كانه منجل حتى اتى نسوة فى سفح الجبل ومعهن هند وهى تغنى تحرض المشركين فحمل عليها فنادت يا لصخر فلم يجبها أحد ٣٣ فانصرف عنها فقلت له كل سيفك رأيته فأعجبنى غير انك لم تقتل المرأة قال كرهت ان أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا ناصر لها وكان أول من انشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق لانه كما تقدم كان فى المدينة فلما هاجر صلى الله عليه وسلم اليها حسده وكفر به وخرج الى مكة وكان يعد قريشا انه لو لاقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فخرج بمن معه مع من خرج من قريش والاحابيش فنادى يا معشر الاوس أنا أبو عامر فقالوا لا انعم الله بك عينا يا فاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا قال ابن سعد تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن

ويها بنى عبد الدار

ويها حماة الادبار

ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان والادبار الاعقاب اى الذين يحمون اعقاب ٥ حل نى الناس والبتار القاطع ويقلن أيضا نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا البوارق والمسك فى المفارق * والدر فى المخانق * ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق والطارق النجم قيل المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وارتفاع القدر كالنجم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع تحريض النساء

اصحابه اليهم وانهم أصابوا منعة لان الانصار قوم أهل حلقة اى سلاح وبأس حذروا اى خافوا أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يجمع على حربهم فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت محل مشورتهم لا يقطعون أمرا الا فيها أى وهى اول دار بنيت بمكة كانت منزل قصى بن كلاب كما تقدم ثم صارت لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية لما حج وهو خليفة من أولاد عبد الدار وتقدم ان معاوية انما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال له حكيم ذهبت المكارم الا التقوى يا ابن أخى الى آخر ما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفى الآن وكان لها باب للمسجد وكان لا يدخلها عند المشورة من غير ولد قصى الا ابن أربعين سنة وفى كلام بعضهم * ساد أبو جهل وما طر شاربه * ودخل دار الندوة وما استدارت لحيته وقد أدخلت فى المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع الندى وهو الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة لانه اجتمع فيه اشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى أسد وبنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح وغيرهم ممالا يعد من قريش ولم يتخلف من أهل الرأى والحجى أحد ثم ان ابليس جاء اليهم فى صورة شيخ نجدى عليه طيلسان من خز وقيل من صوف أى وانما فعل ذلك ليقبل منه ما يشير به لان أهل الطيالسة فى العادة من أهل الوقار والمعرفة ووقف ذلك الشيخ على الباب فقالوا له من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل أى نعم فادخل فدخل معهم اى وانما قال لهم من أهل نجد لان قريشا قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم كان مع محمد صلى الله عليه وسلم * قيل لما سمعهم يقولون لا يدخل معكم اليوم الا من هو معكم قال لهم لما سألوه وقالوا له من أنت قال شيخ من نجد وأنا ابن أختكم فقالوا ابن أخت القوم منهم وقيل ان ابليس لما دخل عليهم أنكروه وقالوا له من أنت وما أدخلك علينا فى خلوتنا هذه بغير اذننا فقال انى رجل من أهل نجد رأيتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فأحببت أن أجلس اليكم وأسمع كلامكم فان كرهتم ذلك خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدى ولا عين عليكم منه وفى لفظ هذا من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه

وقولهن ذلك يقول اللهم بك اجول وبك اصول وفيك اقاتل حسبي الله ونعم الوكيل وعند اصطفاف القوم نادى ابو سفيان رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك يامعشر الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن * وخرج رجل من المشركين على بعيرله

فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير رضى الله عنه فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يلي حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضى الله عنه فذبحه فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبي حواري وان حواري الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من احجام الناس عنه * وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه فاختلفا ضربتين وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدره على رضى الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض اصحابه أفلا اجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم وعرفت ان الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنعك ان تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال اقتله فرجع اليه فقتله فأخذ لواء المشركين أخو طلحة

وسلم قد كان من أمره ما قد رأيتم وانا والله لا نامنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا فتشاوروا فقال قائل اى وهو أبو البختري بن هشام احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم من هذا الموت فقال الشيخ النجدي لا والله ماهذا لكم برأى والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ماهذا برأى فانظروا رأيا غيره فتشاوروا فقال قائل منهم أى وهو الاسود بن ربيعة بن عمير نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا اخرج عنا فوالله ما نبالى أين يذهب فقال الشيخ النجدي والله ماهذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى الله به والله لو فعلتم ذلك ما امنتم أن يحل بفتح أوله وضم الحاء المهملة أى ينزل ويجوز أن يكون بكسرها أى يسقط على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه ثم يسير به اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل بن هشام والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وماهو يا أبا الحكم قال الرأى أن تأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا أى قويا حسيبا في قومه نسيبا وسطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يغدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا منا بالعقل اى الدية فعقلنا لهم فقال النجدي القول ما قال هذا الرجل هذا هو الرأى ولا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه أى وأخبره بمكرهم وأنزل الله عز وجل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية فلما كانت عتمة من الليل اى الثلث الاول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه أى وكانوا مائة (أقول) في الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل تدرى ما ائتمروا بك قال يريدون أن يحبسوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال من حدثك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال أنا استوصى به بل هو يستوصى بي هذا كلامه ولم يتعقبه بان هذا كان بعد موت أبي طالب قال وكان ائتمارهم يوم السبت فقد سئل صلى الله عليه وسلم

عن

عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يارسول الله قال ان قريشا أرادوا أن يمكروا فيه بى اى أراد وافيه المكر فانزل الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا * وفى سيرة الحافظ الدمياطى فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من صير الباب اى شقه ويرصدونه يريدون بياته اى يوقعون به الامر ليلا ويأتمرون أيهم يحمل على المضطجع وفيه ان ائتمارهم فى ذلك لا يناسب ما اجتمع رأيهم عليه من أنهم يجتمعون على قتله ليتفرق دمه فى القبائل ثم رأيت بعضهم قال وأحدقوا ببابه صلى الله عليه وسلم وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بنى هاشم قاتله من جميع القبائل فلا يتم لهم أخذ ثاره وهو المناسب لما ذكروالله أعلم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم اى علم ما يكون منهم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه نم على فراشى واتشح بردائى هذا الحضرمى وقد كان يشهد فيه العيدين وقد كان طوله اربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان أخضر أو احمر يدل للثانى قول جابر كان يلبس رداء أحمر فى العيدين والجمعة ثم رأيت فى بعض الروايات انه كان أخضر فلينظر الجمع وفى سيرة الدمياطى وارتد بردائى هذا الاحمر والحضرمى منسوب الى حضرموت التى هى البلدة أو القبيلة باليمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسجى بذلك البرد عند نومه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم (أقول) وأما ما روى ان الله تعالى أوحى الى جبريل وميكائيل انى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله اليهما الا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه و بين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب باهى الله بك الملائكة وأنزل الله عزوجل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فيه الامام ابن تيمية انه كذب باتفاق اهل العلم بالحديث والسير وأيضا قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا ايثار بالحياة والآية المذكورة فى سورة البقرة وهى مدنية باتفاق وقد قيل انها نزلت فى صهيب رضى الله تعالى عنه لما هاجر أى كما تقدم لكنه فى الامتاع لم يذكر انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى ماذكر وعليه فيكون فداؤه للنبى صلى الله عليه وسلم بنفسه واضحا ولا مانع من تكرر نزول الآية فى حق على وفى حق صهيب وحينئذ يكون شرى فى حق على رضى الله تعالى عنه بمعنى باع اى باع نفسه بحياة

وهو عثمان بن أبى طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذى تنسب اليه الشيبيون فيقال لهم بنو شيبة فحمل عليه حمزة رضى الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة رضى الله عنه وهو يقول أنا ابن ساقى الحجيج يعنى عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع ابن طلحة بن أبى طلحة فرماه عاصم ابن ثابت بن أبى الافلح فقتله ثم حمله أخوه مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم أيضا فقتله وكانت أمهما معهما واسمها سلافة فكان كل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتى أمه ويضع رأسه فى حجرها فتقول له يابنى من اصابك فيقول سمعت رجلا حين رمى يقول خذها وأنا ابن أبى الافلح فنذرت ان امكنها الله من رأس عاصم ان تشرب الخمر فيه وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الابل فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضى الله عنه فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب وجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبى طلحة وكلهم قتلوا كأبيهم وعميهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصى وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم فقتله على رضى الله عنه وقيل حمزة رضى الله عنه ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف ابن هاشم بن عبد الدار وقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم وكان عبدا حبشيا فقتله على وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما ثم لم يزل اللواء طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ولا يعرف لها اسلام فرفعته لقريش فلاثوا به اى استداروا حوله وقد كان أبو سفيان قبل القتال قال لاصحاب اللواء اى لواء المشركين من بنى

عبد الدار يحرضهم على القتال يا بنى عبد الدار انكم قد توليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان ولما صرع صاحب لواء المشركين الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه اى لانه كبش الكتيبة أى الجيش اى حاميهم الذى رأى صلى الله عليه وسلم انه مردفه فى رؤياه المتقدمة ثم قال أولت ذلك انى اقتل صاحب الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل اصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أمكنتهم وكان شعار المسلمين يومئذ امت امت وهو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار يا للعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وقيل خارجها بجانب الباب وخرج عبد الرحمن ابن أبى بكر رضى الله عنهما فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبو بكر رضى الله عنه شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن المبارزة أيضا يوم بدر وقد وقع للصديق رضى الله عنه أن العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش لقتال أهل الردة شاهرا سيفه فأخذ على كرم الله وجهه بزمام راحلته وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش

المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى حق صهيب بمعنى اشترى اى اشترى نفسه بماله ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب وفى السبعيات انه صلى الله عليه وسلم نظر الى اصحابه وقال ايكم يبيت على فراشى وانا اضمن له الجنة فقال على انا أبيت واجعل نفسى فداءك هذا كلامه ولعله لا يصح ثم رأيت فى الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغنى بخروجه صلى الله عليه وسلم حين خرج الا على وابو بكر الصديق فليتأمل والله تعالى اعلم وكان فى القوم الحكم بن ابى العاص وعقبة بن ابى معيط والنضر بن الحارث وامية بن خلف وزمعة بن الاسود وابو لهب وابو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن اى بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل بارض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون فيها وسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم انا اقول ذلك وأخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى يس والقرآن الحكيم الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون فأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلم يروه وفى مسند الحارث بن أبى اسامة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر فى فضل يس انها ان قرأها خائف أمن او جائع شبع او عار كسى أو عاطش سقى او سقيم شفى وعند خروجه صلى الله عليه وسلم جعل ينثر التراب على رؤسهم فلم يبق رجل الا وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد فأتاهم آت فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا فقال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب قال فى النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم النبى صلى الله عليه وسلم تكنى أم الرباب انها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين وينبغى ان يوفق بينهما ان صحا والا فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه (اقول) التوفيق حاصل وهو انه يجوز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم لم يحب ان يخرج عليهم من الباب فتسور الحائط التى نزل منها عليهم والله أعلم اى وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الى بيت أبى بكر رضى الله عنه فكان فيه الى الليل اى الى الليلة المقبلة ثم خرج هو وأبو بكر رضى الله عنه ثم مضيا الى جبل ثور كذا فى سيرة الدمياطى ثم اى بعد اخبارهم بخروجه صلى الله عليه وسلم ووضعه التراب على رؤسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش مسجى

ببرد

وعلى رضى الله عنه مع الجيش وفى أول الامر يوم أحد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاثا والمسلمون ينضحونهم بالنبل فترجع متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم اى أضعفوهم قتلا ولما حميت الحرب قامت هند فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال و يقلن ويها بنى عبد الدار الخ الابيات المتقدمة ثم أنزل الله نصره على المسلمين فساروا يحسون الكفار حسا أى يقتلونهم قتلا كما قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى كشفوهم وانهزموا فولى الكفار لا يلوون على شئ ونساؤهم يدعون بالويل قال الزبير والله لقد رأيتنى أنظر الى خدم هند بنت عتبة اى ما فى ساقيها من الحلى هى وصواحبها مشمرات هوارب وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينتهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم واشتغلوا عن الحرب فقال اصحاب عبد الله ابن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالبقاء بمكانهم الغنيمة اى قوم قد غلب أصحابكم فما تنتظرون فقال لهم عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله لا تبرحوا فأبوا أن يطيعوه وقالوا والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا ههنا فلما أتوهم متوجهين الى محل الغنيمة كر المشركون راجعين فرجعوا منهزمين عقوبة لهم لمخالفتهم قوله صلى الله عليه وسلم ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل الذى كان فيه الرماة وقلة اهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على من بقى من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه ووقعت الهزيمة فى المسلمين قال الحافظ ابن حجر وفيه شؤم ارتكاب النهى وانه يعم ضرره من لم يقع منه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولذا قال تعالى ولقد

ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يزالوا كذلك اى يريدون أن يوقعوا به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى اصبحوا واتضح النهار فقام على رضى الله تعالى عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا اى ولما قام على رضى الله تعالى عنه سألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا علم لى به وفى رواية فلما اصبحوا ساروا اليه يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأوا عليا رضى الله تعالى عنه رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا ادرى فأنزل الله تعالى قوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وانزل الله عزوجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين كذا فى الاصل تبعا لابن اسحق ولا يخفى ان الآية الثانية موفية بما ذكروه من المشاورة قال والمانع من اقتحام الجدار عليه فى الدار مع قصر الجدار وقد جاؤا لقتله انهم هموا بذلك فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض انها السبة فى العرب ان يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى (اقول) لا يخفى ان هذا لا يناسب ما قدمناه عن بعضهم انهم انما أرادوا قتله صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر ليظهر لبنى هاشم قاتلوه فلا يثبوا عليه لئلا يتسور الجدار الا ان يقال ارادة ذلك منهم كانت عند طلوع الفجر ووجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافى ان المانع لهم عن الوثوب عليه الذى جاؤا بصدده وهم مائة رجل من صناديد قريش انما هى حماية الله تعالى الموجبة لخذلانهم واظهار عجزهم وفى ذلك تصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لعلى لا يخلص اليك شئ تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول بعضهم كان المشركون يرمون عليا يظنون انه النبى صلى الله عليه وسلم يرمونه بأبصارهم لا بنحو حجارة اونبل كما لا يخفى فان قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعل ذلك لفات اذلالهم بوضع التراب على رؤسهم واظهار حماية الله تعالى له بخروجه عليهم ولم يبصره احد منهم وفى رواية انهم تسوروا عليه صلى الله عليه وسلم ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار على فى وجوههم فعرفوه فقالوا هو أنت اين صاحبك فقال لا أدرى وهذا مخالف لما تقدم فلينظر الجمع بناء على صحة هذا وفى لفظ امروه بالخروج فضربوه وادخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه والله أعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن له فى الهجرة الى المدينة أى وأنزل الله تعالى عليه وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد بن اسلم جعل الله عزوجل مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار ويعارضه ما جاء

صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم ٣٨ اى أصابتكم الهزيمة التى أغمتكم بسبب ادخالكم الغم على النبى صلى الله عليه وسلم فى مخالفة أمره ومع ذلك فقد أخبر الله فى كتابه بأنه عفا عنهم بقوله ولقد عفا عنكم وصرخ ابليس لعنه الله اى عباد الله يعنى المسلمين أخراكم أى احترزوا من جهة أخراكم وهى كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه فرجعت اولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط العسكران فلم يتميزوا الشدة ما دهشهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذى وصل اليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه شبرا واحدا عن موقفه كما فى شرح الزرقانى وعند الاختلاط صاروا لا يعرفون المسلم من الكافر وترك المسلمون شعارهم الذى يتعارفون به وهو أمت أمت فوقع القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض فكان ممن قتلوه خطأ اليمان والد حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما فقال ابنه غفر الله لكم وترك ديته واحاط المشركون بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتهبوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ذلك اليوم قتالا شديدا حتى بلغ الى الذين قتلهم أحدا وثلاثين رجلا كلهم من شجعانهم وكان رضى الله عنه يقاتل بسيفين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انا أسد الله وخرج سباع بكسر السين وتخفيف الباء ابن عبد العزى الخزاعى فقال هل من مبارز فبرز له حمزة رضى

ان عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قال له جبريل سل ربك فان لكل نبى مسئلة فقال ما تأمرنى ان أسأله قال قل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فأنزل الله تعالى عليه ذلك فى رجعته من تبوك بعد ما ختمت السورة اى الا ان يدعى تكرار النزول وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم فى الهجرة قال لجبريل من يهاجر معى قال جبريل أبو بكر الصديق اى ومن الغريب قول بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى صديقا فقد تقدم ان تسميته بذلك كان عند تصديقه له صلى الله عليه وسلم عند اخباره بالاسراء وعن صفة بيت المقدس ومن الغريب ايضا ما فى السبعيات ان النبى صلى الله عليه وسلم تشاور مع أصحابه فقال ايكم يوافقنى ويرافقنى فقد امرنى الله تعالى بالخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنا يا رسول الله ويرده ما فى السيرانه صلى الله عليه وسلم اتى أبا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال أخرج من عندك فقال يا رسول الله انما هما ابنتاى اى يعنى عائشة واسماء رضى الله تعالى عنهما قال شعرت اى علمت انه قد اذن لى فى الهجرة فقال يا رسول الله الصحبة اى اسألك الصحبة فقال اى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة اى لك الصحبة عندى فانطلقا اى ليلا كما تقدم عن سيرة الدمياطى لكن تقدم عنها انه دخل بيت أبى بكر فى ليلة خروجه من على فراشه وانه مكث ببيت ابى بكر الى الليلة القابلة التى كان فيها خروجه صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور فيحتاج الى الجمع وقد يقال ان مجيئه صلى الله عليه وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفين حتى اتيا الغار وهو بجبل ثور فتواريا فيه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال عند خروجه من مكة اى متوجها الى المدينة والله انى لأخرج منك وانى لأعلم انك احب بلاد الله الى الله واكرمها على الله ولولا ان اهلك اخرجونى منك ما خرجت اى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم وقف اى على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت وقال والله انك لأحب ارض الله الى وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان أهلك اخرجونى منك قهرا ما خرجت وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم وقف فى وسط المسجد والتفت الى البيت فقال انى لأعلم ما وضع الله بيتا احب الى الله منك وما فى الارض بلد أحب اليه منك وما خرجت منك رغبة ولكن الذين كفروا اخرجونى اى وهذا السياق يدل على ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحزورة اوفى وسط المسجد يقتضى انه جاء بعد خروجه من الغار الى ما ذكر ثم ذهب الى المدينة وفى رواية وقف صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله

الله عنه وقال هلم يا ابن مقطعة البظور اى لان امه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة ثم قال له حمزة رضى الله عنه أتحاد الله ورسوله اى تحاربهما وتعاندهما ثم شد عليه حمزة رضى الله عنه فضربه ضربة قتله بها فكان كأمس الذاهب وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة رضى الله عنه واكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشى غلام جبير بن مطعم انى لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة رضى الله عنه فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها اليه فوقعت فى ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة فأقبل نحوى ثم وقع فأمهلته حتى مات فجئته فأخذت حربتى ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى فى شئ حاجة غيره لما تقدم ان حمزة رضى الله عنه قتل طعيمة بن عدى يوم بدر فقالت ابنة طعيمة لوحشى ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا فى ابى فانت عتيق وفى رواية قال لى مولاى جبير بن مطعم ان قتلت حمزة بعمى فأنت حر ولا مخالفة لاحتمال ان كلا من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك وجاء فى بعض الروايات عن وحشى رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك قال وخرجت ما اريد ان أقتل ولا اقاتل الا حمزة وكان وحشى يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطئ ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحربة مسيلمة الكذاب وكان يقول ارجو ان هذه تكفر تلك وهذا لا ينافى ما ورد ان الذى قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الانصارى او ابو دجانة رضى الله عنهم لاحتمال أن يكون وحشى ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين فى قتله لعنه الله وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة وكان مصعب بن عمير رضى الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حامل اللواء فقاتل قتالا شديدا حتى قتل فأخذ اللواء ملك فى صورته وفى رواية

الى الله ولولم أخرج منك ماخرجت وفى لفظ ولوتركت فيك لما خرجت منك ولا مانع من تكرر ذلك ثم رأيت فى كلام بعضهم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان فى عام الفتح وفى لفظ آخر قال لمكة ما أطيبك من بلد واحبك الى ولولا ان قومى اخرجونى ماسكنت غيرك اى وفى جمال القراء للسخاوى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف ونظر الى مكة وبكى فأنزل الله عز وجل عليه وكأين من قرية هى اشد قوة الآية واما ماروى الحاكم عن أبى هريرة مرفوعا اللهم انك اخرجتنى من احب البقاع الى فأسكنى فى احب البقاع اليك فقال الذهبى انه موضوع وقال ابن عبد البر لا يختلف اهل العلم انه منكر موضوع (اقول) والذى رأيته عن المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم انهم اخرجونى من احب البلاد الى فأسكنى احب البلاد اليك والمعنى واحد واليه والى ماروى عن الزهرى اللهم انك اخرجتنى من احب البلاد الى فأسكنى احب البلاد اليك استند من قال بتفضيل المدينة على مكة قال لان الله تعالى اجاب دعاءه فأسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلماء ومنهم الامام مالك رضى الله تعالى عنه والى الاحاديث الاول استند من قال بتفضيل مكة على المدينة وهم الجمهور ومنهم امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه واستندوا فى ذلك الى انه صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع أى بلد تعلمونه اعظم حرمة قالوا لا نعلم الا بلدنا هذه يعنون مكة وهذا اجماع من الصحابة اقرهم عليه صلى الله عليه وسلم انها اى مكة افضل من سائر البلاد لان ما كان اعظم حرمة فهو افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام قال ابن عبد البر وانى لاعجب ممن ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله والله انى لاعلم أنك خير ارض وأحبها الى الله ولولا ان أهلك اخرجونى منك ماخرجت وهذا حديث صحيح ويميل الى تأويل لا يجامع ما تأوله عليه اى ولان الحسنة فيها بمائة ألف حسنة فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشيا كتبت له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بمائة الف حسنة والكلام فى غير ماضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم من أرض المدينة والا فذلك افضل بقاع الارض بالاجماع بل حتى من العرش والكرسى على ان صاحب عوارف المعارف ذكر أن الطوفان موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى أرساها بالمدينة فهى من جملة أرض مكة وحينئذ لا يحسن الاستناد فى تفضيل المدينة على مكة بقول أبى

بكر رضى الله تعالى عنه انهم لما اختلفوا فى اى محل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبضه الله الا فى احب البقاع اليه ليدفن فيه كما سيأتى والله أعلم * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت بينا نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر الصديق فى نحر الظهيرة اى وسطها وهو وقت الزوال قال قائل لابى بكر اى وهذا القائل هى اسماء بنت ابى بكر وفى كلام بعض الحفاظ يحتمل ان يفسر بعامر بن فهيرة اى مولى أبى بكر قالت اسماء قلت يا ابت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا اى متطيلسا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها اى فعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمر علينا يوم اى قبل الهجرة الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا وفى لفظ كان لا يخطئ ان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أبى بكر احد طرفى النهار اما بكرة واما عشيا أى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة الثانية والا فالاولى فى البخارى وتفسير التقنع بالتطيلس ذكره الحافظ ابن حجر حيث قال قوله متقنعا اى متطيلسا وهو اصل فى لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبس الطيلسان ولا احد من اصحابه وحينئذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع تغطية الرأس واكثر الوجه بالرداء من غير ان يجعل منه شئ تحت رقبته الذى يقال له التحنيك وحمل قول ابن القيم المذكور على الطيلسان المقور التى تلبسها اليهود قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور هو المعروف بالطرحة وقد اتخذت خلفاء بنى العباس الطرحة السوداء على العمامة عند الخطبة واستمر ذلك شعار الخلفاء فالحاصل ان ما يغطى به الرأس مع اكثر الوجه ان كان معه تحنيك أى ادارة على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له رداء مجازا وان لم يكن معه تحنيك قيل له رداء أو قناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعارا فى القديم لقاضى القضاة الشافعى خاصة قال بعضهم بل صار شعار العلماء ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتاء والتدريس وكان الشيخ يكتب فى اجازته وقد اذنت له فى لبس الطيلسان لانه شهادة بالاهلية وما يجعل على الاكتاف دون الرأس يقال له رداء فقط وربما قيل له طيلسان أيضا مجازا وصح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وله حكم المرفوع التقنع من اخلاق الانبياء وقد ذكر بعضهم أن الطيلسان الخلوة الصغرى وفى حديث لا يتقنع الا من استكمل الحكمة فى قوله وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب فى المواسم والجموع كالاسواق واول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه وعن الكفاية لابن الرفعة أن ترك الطيلسان للفقيه

لما قتل اعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه فلعل الملك حمل اللواء عنه قبل ظهور موته لهم وشيوعه فيهم فلما ظهر وشاع اعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية لعلى رضى الله عنه وكان الذى قتله عبد الله بن قمئة بكسر الميم لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان مصعبا رضى الله عنه كان اذا لبس لامته يشبه النبى صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة لعنه الله خائب أن محمدا قد قتل وروى ابن سعد ان مصعبا رضى الله عنه حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء أى اكب عليه وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول الآية قال محمد بن شرحبيل وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها لما سمع قول القائل قد قتل محمد وقيل ان الصارخ الذى قال قتل محمد ليس هو ابن قمئة بل ابليس لعنه الله وانه تصور فى صورة جعال بن سراقة الضمرى وكان رجلا صالحا ممن أسلم قديما ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون واستمروا الى قرب المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل قال الحافظ ابن حجر انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا فى الهزيمة الى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته فى القتال الى أن يقتل وهم اكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت اليه الفرقة الثانية شيأ فشيأ لما عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم حى ووثب بعض

محل

الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول الذى نطق به الشيطان وهو على صورته وشهد خوات بن جبير وأبو بردة بان جعالا كان عندهما او بجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة لما غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن اعين بعض القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين ٤١ لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقال بعض منهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفى ذلك أنزل الله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآيات وقال رجل منهم لم يعرف اسمه ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليستأمن لنا من أبى سفيان ياقوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت فقال أنس بن النضر عم انس بن مالك رضى الله عنهما ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه وشهد له بهذه المقالة عند النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضى الله عنه و وافق أنس بن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون اهل الصدق واليقين الذين تمكن الايمان فى قلوبهم وروى ابن اسحق ان أنس ابن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم فقال ان كان قتل فما تصنعون بالحياة بعده قوموا

٦ حل ني فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضى الله عنه قال انس ولقد وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه الا أخته عرفته ببنانه وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال غاب عمى انس بن النضر عن قتال بدر فقال يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلته المشركين لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله

مخل بالمروأة اى وهو بحسب ما كان فى زمنه رحمه الله وفى الترمذى لم تكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع انما كان يفعله لحر او برد وتعقب بان فى حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفى طبقات ابن سعد مرسلا أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لايؤدى شكره اى لان فيه غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغرى كما تقدم ولما قيل لابى بكر رضى الله تعالى عنه ذلك اى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال ابو بكر فداله ابى وامى والله ما جاء به فى هذه الساعة الا امر قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل اى وتنحى ابو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه اخرج من عندك قال ابو بكر انما هى اهلك اى لانه صلى الله عليه وسلم كان عقد على عائشة رضى الله تعالى عنها كما تقدم فامها من جملة اهله واختها كذلك وقيل هو على حد قول الشخص لآخر اهلى اهلك وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه لاعين عليك انما هما ابنتاى اى وسكت عن امهما استترا قال فانه قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر الصحبة يارسول الله بابى أنت وامى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اى فبكى ابو بكر سرورا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فرأيت أبا بكر يبكى وما كنت أحسب ان أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر ولله در القائل

ورد الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حتى اننى * من فرط ما قد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

اى ومنه اقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن عينه لمن يدعى عليه وهو سخنة العين لما يحزن به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد روى أن نبيا من الانبياء اجتاز بحجر يخرج منه الماء فسأل ربه عن ذلك فانطق الله تعالى الحجر فقال منذ سمعت ان لله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانا أبكى هذا الدمع خوفا من تلك النار فاشفع لى عند ربك فشفع له فشفع فيه وبشره بذلك ثم مر به بعد مدة فاذا الماء يخرج منه فقال الم ابشرك ان الله أنجاك من النار فما هذا فقال يانبى الله ذاك بكاء الخوف والخشية وهذا بكاء الفرح والسرور ومن ثم لما قال صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله أمرنى ان اقرأ عليك سورة كذا اى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب بكى من

مما صنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى اصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء
يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال ياسعد الجنة ورب النضر انى أجد ريحها دون أحد قال سعد فما استطيع ان
أصف ماصنع قال انس فوجدنا به بضعا ٤٢ وثمانين مابين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ووجدناه قد قتل وقد
مثل به المشركون فما عرفه احد
الا أخته عرفته ببنانه وأنس بن
مالك لم يحضر يوم احد وانما سمع
ذلك من سعد بن معاذ رضى الله
عنه وممن قال مثل مقالة انس بن
النضر ثابت بن الدحداح رضى
الله عنه فانه قال يامعشر الانصار
ان كان محمد قد قتل فان الله حى
لايموت قاتلوا عن دينكم فان الله
مظفركم وناصركم فنهض اليه
نفر من الانصار فحمل بهم على
كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو
ابن العاص وعكرمة بن أبي جهل
وضرار بن الخطاب فحمل عليه
خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل
من كان معه من الانصار رضى الله
عنهم وثبت النبى صلى الله عليه
وسلم وقت رجوع المسلمين ولم
يحصل منه فرار ولا انهزام ولا
انصراف عن موقفه الذى وصل
اليه حين انهزام المشركين باجماع
المسلمين قال ابن سعد مازال صلى
الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى
صارت شظايا ويرمى بالحجر وكان
اقرب الناس الى القوم وجاء عن
على رضى الله عنه وغيره كنا اذا
اشتد البأس اى حمى القتال
اتقينا برسول الله صلى الله عليه
وسلم اى فيجعلونه فى وجه القوم ويكونون خلفه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى عن المقداد بن الاسود ربما
رضى الله عنه فوالذى بعثه بالحق مازالت قدمه شبرا واحدا وانه انى وجه العدو وتفىء اليه طائفة من اصحابه مرة وتفترق مرة
فربما رايته قائما يرمى عن قوسه ويرمى بالحجر حتى انحازوا عنه وروى أبو يعلى بسند حسن عن على رضى الله عنه قال لما انجلى

الفرح وقال اوذكرت هنالك اى ذكرنى الله عز وجل وفى لفظ وسمانى قال نعم * وفى سفر
السعادة قال العلماء البكاء على عشرة انواع بكاء فرح وبكاء حزن لما فات وبكاء رحمة
وبكاء خوف لما يحصل وبكاء كذب كبكاء النائحة فانها تبكى بشجو غيرها وبكاء موافقة
بان يرى جماعة يبكون فيبكى مع عدم علمه بالسبب وبكاء المحبة والشوق وبكاء الجزع من
حصول الم لا يحتمله وبكاء الخور والضعف وبكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب
قاس والبكى بالقصر دمع العين من غير صوت والممدود ما كان معه صوت واما التباكى
فهو تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم فالاول مايكون لاستجلاب رقة القلب
وهو المراد بقول سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر يبكيان فى شان أسارى بدر اخبرنى مايبكيك يارسول الله فان وجدت بكاء بكيت
والا تباكيت ومن ثم لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك والثانى مايكون لاجل الرياء
والسمعة قال ابو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يارسول الله احدى راحلتى هاتين فانى
أعددتهما للخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن اى لتكون هجرته صلى الله
عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله اى والا فقد انفق ابو بكر رضى الله تعالى عنه أكثر
ماله عليه صلى الله عليه وسلم اى فمن عائشة رضى الله تعالى عنها أنفق ابو بكر على النبى
صلى الله عليه وسلم أربعين الف درهم وفى لفظ دينار ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليس
من أحد امن على فى اهل ومال من ابى بكر وفى رواية ما أحد أمن على فى صحبته وذات يده
من ابى بكر ومانفعنى مال مانفعنى مال ابى بكر فبكى ابو بكر وقال هل أنا ومالى الا لك
يارسول الله وفى رواية مالاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ماخلا ابا بكر فان له عندنا يدا الله
يكافئه بها يوم القيامة (أقول) ولا ينافى كونه صلى الله عليه وسلم أخذ احدى ناقتى ابى
بكر بالثمن مارواه ابان بن ابى عياش أحد التابعين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه ما اطيب مالك منه بلال مؤذنى
وناقتى التى هاجرت عليها وزوجتنى ابنتك وواسيتنى بمالك كانى أنظر اليك على باب الجنة
تشفع لامتى لان أبان بن ابى عياش معدود من الضعفاء وقد قال شعبة لان أشرب من بول
حمار حتى اروى احب الى من أن أقول حديثا عن أبان بن ابى عياش وقال فيه مرة أخرى
لان يزنى الرجل خير من أن يروى عن أبان وقد طلب من شعبة أن يكف عن ابان هذا فقال
الامر دين وهذا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ابن حبان عذر أبان
بانه كان يروى عن انس وأبان مجالس الحسن البصرى فكان يسمع كلامه فاذا حدث

الناس يوم أحد نظرت فى القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله ما كان ليفر وما اراه فى القتلى ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه صلى الله عليه وسلم فمالى خير من أن أقاتل حتى أقتل فكسرت غمد سيفى ثم حملت على القوم فافرجوا الى فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم فى المستدرك بسند على شرط مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسى فاما ان أستشهد واما أن الحق حتى القى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك اذا برجل محمر وجهه ما ادرى من هو فاقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به فى وجوههم فتنكبوا على اعقابهم القهقرى حتى اتوا الجبل ففعل ذلك مرارا ولا ادرى من هو وبينى وبينه المقداد فبينا أنا أريد ان اسأل المقداد عنه اذ قال المقداد ياسعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت واين هو فاشار اليه فقمت وكانه لم يصبنى شئ من الاذى واجلسنى أمامه فجعلت أرمى واقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته واجب دعوته فكان سعد مجاب الدعوة قال حتى اذا فرغ النبل من كنانتى نثر صلى الله عليه وسلم لى ما فى كنانته وانكشف الناس عنه صلى الله عليه وسلم وعن سعد رضى الله عنه قال لقد رأيتنى والنبى صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل ويقول ارم فداك ابى وامى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول ارم به وجاء ان سعدا رضى الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارم فداك ابى وامى ففداه ذلك اليوم الف مرة وعن على كرم الله وجهه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه

ربما جعل كلام الحسن عن انس مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحة ما قاله لا منافاة ايضا الا انها كانت من مال ابى بكر قبل أن يأخذها صلى الله عليه وسلم بثمنها على ان فى الترمذى ما يوافق ما رواه ابان ففيه عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله قال وهذا حديث غريب والله أعلم وكان الثمن عن تلك الناقة التى هى القصواء وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه او الجدعاء أربعمائة درهم اى لما علمت ان الناقتين اشتراهما ابو بكر بثمانمائة درهم واما ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء فقد جاء ان بنته فاطمة رضى الله تعالى عنها تحشر عليها قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فجهزناهما أحب الجهاز أى أسرعه والجهاز بكسر الجيم أفصح من فتحها ما يحتاج اليه فى السفر ووضعنا لهما سفرة فى جراب اى زادا فى جراب لان السفرة فى الاصل الزاد الذى يصنع للمسافر ثم استعمل فى وعاء الزاد وكان فى السفرة شاة مطبوخة فقطعت اسماء بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب اى وابقت الاخرى اى نطاقا لها وهو يوافق ما فى صحيح مسلم عن اسماء رضى الله تعالى عنها أنها قالت للحجاج بلغنى انك تقول اى لولدها عبد الله بن الزبير تعيره يا بن ذات النطاقين أما أنا والله ذات النطاقين أما احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأما الآخر فنطاق المرأة اى الذى لا تستغنى عنه اى عند اشتغالها لان النطاق ما تشد به المرأة وسطها لئلا تعثر فى ذيلها على ثوب يلقى على اسفله وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جاء ذات النطاق اى وكلاهما صحيح لكن فى لفظ قطعت نطاقها قطعتين فاوكت بقطعة منه فم الجراب وشدت فم القربة بالباقى اى فلم يبق لها شئ منه ○ ويوافقه ما فى البخارى عن اسماء لم نجد لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لمحلها الذى هو الجراب ولا لسقائه أى الذى هو القربة ما نربطهما به فقلت لابى بكر لا والله ما أجد شيأ أربطه به الا نطاقى قال فشقيه اثنين واربطى بواحد السقاء الذى هو القربة وبواحد السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين أى سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة وفيه أن الرواية الاولى التى عن عائشة والرواية الثانية التى عن أسماء رواها مسلم لم يذكر السقاء وفى رواية البخارى ذكر السقاء واسقاط الجراب لكن ذكر بعد الجراب السفرة وقد يقال المراد بربط السفرة ربط محلها الذى هو الجراب

وسلم قال فداك أبي وامي الا لسعد رضى الله عنه يعني يوم احد فلا ينافي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ذلك للزبير رضى الله عنه يوم الخندق كما سيأتي ان شاء الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بعدو يقول هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله اى لان سعدا رضى الله عنه كان من بني زهرة وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم منهم وكان رضى الله عنه اذا غاب يقول النبي صلى الله عليه وسلم مالي لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضى الله عنه وثبت معه صلى الله عليه وسلم اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين وهم ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وابو عبيدة رضى الله عنهم وكذا على رضى الله عنه قال في فتح الباري فقد صحت الاحاديث بان عليا رضى الله عنه ممن ثبت وبعض الرواة لم يذكره لانه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج الى أن يقال ثبت وسبعة من الانصار وهم ابو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ واسيد ابن حضير وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضى الله عنهم وزاد بعضهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه بل جاء انه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك وعليك السلام غير مودع وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافي في الروايات لان اختلاف الاحاديث لاختلاف الاحوال فانهم تفرقوا في القتال فلما ولى من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذب عن نفسه ثم عرفوا ابقاءه صلى الله عليه وسلم فتراجعوا خرجت اليه اولا فاولا ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال فيشتغلون به وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعمارا وابن مسعود رضى الله عنهم وفي بعض الروايات لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الانصار ولعله في بعض اللحظات لاختلاف

كما أشار اليه قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغي أن يكون أقرب الى الضبط لان أسماء قالت في آخر عمرها مخبرة عن نفسها اى ولم تربط الا الجراب باحدى شقي النطاق وابقت لها الآخر وقد يقال الحصر ليس في محله لمنافاته لرواية البخاري وحينئذ يجمع بانه يجوز انها لما شقت النطاق نصفين قطعت احدهما قطعتين فشدت باحداهما الجراب والاخرى السقاء فهي ذات النطاقين الذي ابقته والذي فعلت به ما ذكر (وفي السيرة الهشامية) أن اسماء بنت أبي بكر جاءت اليهما لما نزلا من الغار بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما فدهشت اغلاق السفرة فاذا ليس لها عصام فشقت نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها به وانتطقت الآخر اى وهذا يدل على أن المراد بقول عائشة فجهزناهما أحب الجهاز اى عند خروجهما من الغار لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر من السياق ثم على المتبادر جرى ابن الجوزي حيث قال اسماء بنت ابي بكر اسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدا لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين هذا كلامه وقد قال لا مانع من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد به المرأة وسطها لئلا تعثر في ذيلها يخالفه قول بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى على الاسفل وهذا يوافق القول المتقدم ولعل لها نطاقين ويوافق الثاني ما قيل اول من فعله هاجر ام اسمعيل اتخذته لتخفي أثر مشيتها على سارة ولعله عند خروجها لما أمره الله عز وجل باخراجها مع ابراهيم فيذهب بها الى مكة قبل ان تركب مع ابراهيم على البراق ثم استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل وهو عبد الله بن اريقط ويقال ابن أرقط وأرقد اسم أمه فاريقط مصغرها ليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش اى ثم أسلم بعد ذلك وقيل لم يعرف له اسلام وفي الروض ما وجدنا من طريق صحيح انه اسلم بعد ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه على جبل ثور بعد ثلاث ليال وقيل للجبل ذلك لانه على صورة الثور الذي يحرث عليه وسياق النسائي يدل على أن استئجار عبد الله المذكور كان قبل التجهيز قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور اى ليلا كما تقدم وعن ابن سعد لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته الى بيت أبي بكر رضى الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل ثم خرج هو وابو بكر فمضيا الى غار ثور فدخلاه اى وكان خروجهما من خوخة في ظهر بيت أبي بكر فعن عائشة بنت قدامة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد

الحالات كما مر * وثبت انه صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه اصحابه صار يقول الى يا فلان الى يا فلان أنا رسول الله فما يعرج اليه احد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم * وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك قال الحلبي فليتأمل فان المحفوظ انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك يوم حنين وان كان لا مانع من التعدد * ومن ثبت معه صلى الله عليه وسلم ابو طلحة زيد بن سهل الانصاري زوج أم أنس بن مالك رضي الله عنه فانه استمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يحوز عنه بجحفته وكان رجلا راميا شديد الرمي فنثر له النبي صلى الله عليه وسلم كنانته بين يديه وصار رضي الله عنه يقول نفسي لنفسك فداء ووجهي لوجهك وقاء فلم يزل يرمي بها وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبي صلى الله عليه وسلم انثرها لابي طلحة وكسر ذلك اليوم قوسين او ثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف اي ينظر الى القوم ليرى مواضع النبل فيقول له ابو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك وتطاول أبو طلحة رضي الله عنه بصدره يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازال النبي صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه حتى اندقت سيتها او السية ما انعطف من طرفي القوس اللذين هما محل الوتر وفي رواية حتى تقطع الوتر وبقي في يده قطعة قدر شبر فاخذ القوس عكاشة بن محصن رضي الله عنه ليوتر له فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فو الذي بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه لفتين او ثلاثا وكان صلى الله عليه وسلم أقرب الناس الى القوم * وممن كان مشهورا بالرماية سهل بن حنيف رضي

خرجت من الخوخة متنكرا فكان أول من لقيني ابو جهل لعنه الله فاعمى الله بصره عني وعن أبي بكر حتى مضينا وفي كلام سبط ابن الجوزي وعن وهب بن منبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج الى الغار من بيت أبي بكر فخرج من خوخة في ظهر الدار والاصح انما كان خروجه من بيت نفسه وجعل ابو بكر رضي الله تعالى عنه يمشي مرة أمام النبي صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون أمامك وأذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك أقول في الدر المنثور فمشى صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه لئلا يظهر أثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما رآهما ابو بكر قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى على فم الغار فانزله وفي لفظ لم يصب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى قطرت قدماه دما وفي كلام السهيلي عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه أنه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما قال بعضهم ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل والافبعد المكان لا يحتمل ذلك أو لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى ليلته رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فانتهينا الى الغار مع الصبح ولا يحتمل ذلك مشي ليلته الا بتقدير ذلك أو أنه صلى الله عليه وسلم كما قيل ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عني فاني اخاف أن تقتل على ظهري فاعذب فناداه جبل ثور الي يا رسول الله وساق في الاصل رواية تقتضي أنه ذهب الى غار ثور راكبا ناقته الجدعاء ثم رأيته في النور أشار الى أن ركوبه صلى الله عليه وسلم الجدعاء انما كان بعد خروجه من الغار لأنه ركبها من منزل أبي بكر الى الغار كما هو ظاهر الرواية وفي الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما تشاور المشركون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلع الله نبيه على ذلك فخرج تلك الليلة حتى اتى الغار فلما أصبحوا اقتفوا أثره صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل الحديث اي وهو مخالف لما تقدم من أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان في الليلة الثانية لا في ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة لان قوله حتى لحق بالغار غاية لاطلاق الخروج من بيته لا في خصوص تلك الليلة اي خرج من بيته واستمر على خروجه حتى لحق بالغار وذلك في الليلة الثانية لكن تقدم أنه صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت أبي بكر متقنعا في وقت الظهيرة فليتأمل وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه الى الهجرة وأمره أن يتخلف

الله عنه وكان ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم وكان بايع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انبلوا سهلا اى اعطوه نبلا ٤٦ * وممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بالتصغير وهى زوج زيد بن عاصم وأم ولده عبد الله بن زيد فعنها رضى الله عنها قالت خرجت يوم احد لانظر مايصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال دونه واذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراحة الىّ روى انه كان على عاتقها جرح اجوف له غور فقيل لها من اصابك بهذا قالت ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن قمئة يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضى الله عنه فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدوّ الله كان عليه درعان وجاء فى رواية خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم أهل بيت فقالت له نسيبة رضى الله عنها ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة وعند ذلك قالت رضى الله عنها ما أبالى ما اصابنى من امر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دونى وقد جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضى الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة وكان ابنها عبد الله

بعده حتى يؤدّى عنه الودائع التى كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس لانه لم يكن بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من أمانته أى ولعل اعلام على بذلك كان عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت أبى بكر لانه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بعلى رضى الله تعالى عنه بعد ذلك الا فى المدينة لكن سيأتى عن الدرماية تقتضى أنه اجتمع به عند خروجه من الغار وفى الفصول المهمة أنه صلى الله عليه وسلم وصى عليا رضى الله تعالى عنه بحفظ ذمته واداء أمانته ظاهرا على أعين الناس وأمره أن يبتاع رواحل للفواطم فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت الزبير ابن عبد المطلب ولمن هاجر معه من بنى هاشم ومن ضعفاء المؤمنين وشراء على رضى الله تعالى عنه الرواحل مخالف لما يأتى فى الاصل أنه صلى الله عليه وسلم ارسل الى على حله وارسل يقول تشقها اخمرا بين الفواطم وهى فاطمة ابنة حمزة وفاطمة بنت عتبة وفاطمة أم على وفاطمة بنته صلى الله عليه وسلم وارساله تلك الحلة كان بعد وصوله الى المدينة فليتأمل قال فى الفصول المهمة وقال له أى لعلى اذا أبرمت ما أمرتك به كن على أهبة الهجرة الى الله ورسوله وبقدوم كتابى عليك واذا جاء أبو بكر توجه خلفى نحو بئر أم ميمون وكان ذلك فى فحمة العشاء والرصد من قريش قد أحاطوا بالدار ينتظرون أن تنتصف الليلة وتنام الناس ودخل أبو بكر على علىّ وهو يظنه اى وابو بكر يظن عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علىّ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج نحو بئر أم ميمون وهو يقول لك أدركنى فلحقه أبو بكر ومضيا جميعا يتسايران حتى أتيا جبل ثور فدخلا الغار فليتأمل الجمع بينه وبين ما تقدم ولما انتهيا الى فم الغار قال أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاتدخل حتى أدخله قبلك فان كان فيه شئ نزل بى قبلك فدخل رضى الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده كلما رأى جحرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقى جحر وكان فيه حية فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الحية التى فى الجحر لما أحست بعقب سيدنا أبى بكر جعلت تلسعه وصارت دموعه تنحدر قال ابن كثير وفى هذا السياق غرابة ونكارة أى وقد كان صلى الله عليه وسلم وضع رأسه فى حجر أبى بكر رضى الله تعالى عنه ونام فسقطت دموع أبى بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك يا أبا بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك أبى وأمى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك فى عقبه قال

بعضهم

ابن زيد رضى الله عنه مشاركا لوحشى فى قتل مسيلمة فمنها رضى الله عنها قالت قاتلت يوم اليمامة فقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت شكرا لله تعالى وقتله له كان بعد ضرب وحشى له بحربته وجاء انه شاركهما فى ذلك أبو دجانة رضى الله عنه وانزل الله يوم أحد على المؤمنين النعاس قال الزبير بن العوام رضى الله عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين اشتد علينا الخوف وارسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه فى صدره فوالله انى لاسمع كالحلم قول معتب بن قشير لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قال تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم الآية وعن كعب بن عمرو الانصارى رضى الله عنه قال لقد رأيتنى يومئذ فى اربعة عشر من قومى الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابنا النعاس امنة اى لانه لا ينعس الامن يأمن فما منهم احد الا غط غطيطا حتى ان الحجف اى الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما شعر وتقدم فى غزوة بدر انه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء ان النعاس فى الصف من الايمان وفى الصلاة من الشيطان واما الطائفة المنهزمة فانها افترقت فرقا فمنهم من ذهب الى المدينة فلقيتهم أم ايمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك اى اعطنى سيفك وطائفة من المنهزمين لم يدخلوا المدينة ويشكل على استقبال أم ايمن اياهم أنه جاء انها كانت فى الجيش تسقى الجرحى فقد جاء ان حباب بن الفرقد رمى بسهم فاصاب أم ايمن وهى تسقى الجرحى فتكشفت فاغرق عدو الله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعضهم والسر فى اتخاذ رافضة العجم اللباد المقصص على رؤسهم تعظيما للحية التى لدغت أبا بكر فى الغار أى لانهم يزعمون أن ذلك على صورة تلك الحية ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أين ثوبك فاخبره الخبر زاد فى رواية وأنه رأى على ابى بكر أثر الورم فسأل عنه فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتنى قال كرهت أن أوقظك فمسحه النبى صلى الله عليه وسلم فذهب ما به من الورم والالم اى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وحين اخبره ابو بكر بذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة فاوحى الله تعالى اليه قد استجاب الله لك وروى أنه لما صار يسد كل جحر وجده اصاب يده ما أدماها فصار يمسح الدم عن اصبعه وهو يقول هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت وسيأتى ان هذا البيت من كلام ابن رواحة وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم وأنه يجوز أن يكون ابن رواحة ضم ذلك البيت لابياته ومما قد يؤيد ان ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكره سبط ابن الجوزى ان أبا بكر لما لحقه صلى الله عليه وسلم فى أثناء الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار فاسرع فى المشى فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم فرفع أبو بكر صوته ليعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه ومما يصرح بذلك ما رأيت عن جندب البجلى قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار كذا فدميت اصبعه فذكر البيت المذكور وأراد بالغار غارا من الغيران لا هذا الغار كما توهم وجاء فى الصحيحين عن جندب بن عبد الله بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت اصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت البيت اى ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أمر الله تعالى شجرة اى وهى التى يقال لها العشار وقيل ام غيلان فنبتت فى وجه الغار فسترته بفروعها اى ويقال انه صلى الله عليه وسلم دعا تلك الشجرة وكانت أمام الغار فاقبلت حتى وقفت على باب الغار وأنها كانت مثل قامة الانسان وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها اى نسجا مترا كما بعضه على بعض أى كنسج أربع سنين كما قال بعضهم وقد نسج العنكبوت ايضا على عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنه لما قتل سفيان بن خالد وقطع رأسه وأخذها ودخل فى غار فى الجبل وكن فيه حتى انقطع عنه الطلب كما سيأتى ونسج على نبى الله داود لما طلبه طالوت ونسج ايضا على عورة سيدنا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو أخو الامام محمد الباقر وعم الامام جعفر الصادق وهو الذى

فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فرمى به فوقع على عدو الله مستلقيا حتى بدت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقاد لها سعد اجاب الله دعوته وفي رواية اللهم استجب دعاء سعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون ام ايمن كانت ٤٨ في الجيش وبين كونها بالمدينة حين وصول بعض المنهزمين الى المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة * وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو دجانة الانصاري رضي الله عنه فقد جاء انه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعل نفسه ترسا فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل وممن قاتل دونه صلى الله عليه وسلم عمارة بن زياد بن السكن رضي الله عنه حتى اثبتته الجراحة اي اصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم أدنوه مني فوسده قدمه الشريف فمات رضي الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم * وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر فرجع الى المشركين فقال قتلت محمدا كما تقدم وقيل ان القاتل لمصعب بن عمير ابي بن خلف الجمحي اخو امية بن خلف المقتول يوم بدر الذي كان يعذب بلالا رضي الله عنه يروى انه اقبل أبي بن خلف يوم احد نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبله مصعب بن عمير رضي الله عنه فقتل مصعبا فاستقبله رجال من المسلمين فامرهم الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه فاقبل وهو يقول يا كذاب اين تفر فتناول النبي صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة او الزبير بن العوام رضي الله عنه فرماه النبي صلى الله عليه وسلم بها فاصابت عنقه وخدشته خدشا غير كبير

ينسب اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن أخذ عن واصل بن عطاء الآخذ عن الحسن البصري ولما أثبت ابن عطاء المنزلة بين المنزلتين أمره الحسن البصري باعتزال مجلسه فقيل له معتزلي وصار يقال لاصحابه معتزلة ولا يلزم من كون شيخ سيدنا زيد معتزليا ان يسلك زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد عريانا واقام مصلوبا اربع سنين وقيل خمس سنين فلم تر عورته وقيل ان بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع من وجود الامرين وكان عند صلبه وجهه الى غير القبلة فدارت خشبته التي صلب عليها الى أن صار وجهه الى القبلة اي وقد وقع لخبيب نحو ذلك كما سيأتي ثم أحرقوا خشبة زيد وجسده وذرى رماده في الرياح على شاطئ الفرات فانه خرج على هشام بن عبد الملك وقد دعت نفسه للخلافة فغار به يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله وانصرف عنه أكثرهم فقد بايعه ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل أتولاهما فقالوا اذن نرفضك فقال اذهبوا فانتم الرافضة فسموا بذلك من حينئذ رافضة وجاءت اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونبرأ ممن يبرأ منهما وقاتلوا معه فسموا الزيدية (أقول) والعجب ممن يتمذهب بمذهب سيدنا زيد ويتبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما وعند مقاتلته أصابته جراحات وأصابه سهم في جبهته وحال الليل بين الفريقين فطلبوا حجاما من بعض القرى لينزع له النصل فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته وأخفوا قبره وأجروا عليه الماء واستكتموا الحجام ذلك فلما أصبح الحجام مشى الى يوسف بن عمر متنصحا وأخبره ودله على موضع قبره فاستخرجه وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن اصلبه عريانا فصلبه كذلك ويقال ان هشام بن عبد الملك قال يوما لزيد بلغني أنك تريد الخلافة ولا تصلح لك لانك ابن أمة فقال قد كان اسمعيل ابن أمة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسمعيل خير ولد آدم فقال له هشام قم قال اذن لا تراني الا حيث تكره ومن شعره

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا

قيل ورأس زيد دفنت بمصر القديمة بمسجد يقال له مشهد زين العابدين بن الحسين وكذلك وقع في طبقات الشيخ الشعراني نفعنا الله به وببركاته وليس كذلك بل هو محل زيد ابن زين العابدين كما ذكره المقريزي في الخطط ويقال له زيد الازياد وذكر في حياة الحيوان ان ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي رضي

واحتقن الدم اى لم يخرج بذلك الخدش فرجع وهو يقول قتلنى والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك وفى رواية عقلك انا
انا أخذ السهام من أضلاعنا فنرمى بها فأبالك والله من بأس ما أجزعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ماضره
فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى باهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة
وفى رواية لو كان بربيعة ومضر وفى رواية لو كان باهل الارض لماتوا أجمعون انه قال لى بمكة أنا اقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى اى فضلا عن هذه الضربة وكان ابى يقول بمكة للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد ان عندى العود يعنى فرسا له اعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها والفرق بفتح الراء مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن سعيد بن المسيب ان أبى بن خلف قال حين افتدى ببدر من الاسر والله ان عندى لفرسا اعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله تعالى ويمكن الجمع بانه تكرر ذلك من أبى لعنه الله ومن النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية أبصر صلى الله عليه وسلم ترقوته من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى العنق من الدرع فطعنه طعنة كسر فيها ضلعا من اضلاعه وفى رواية طعنه طعنة وقع فيها
 من الفرس مرارا وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وانه صلى الله عليه وسلم حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه من كان حوله ثم استقبله فطعنه فى عنقه ولا منافاة لان الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشة وبين كونه انتقض بالحربة انتفاضة شديدة وناهيك بعزمه صلى الله عليه وسلم لان كون الطعنة

الله تعالى عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار اى وروى أنهما باضتا اى وفرختا قال لابى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم وتقدم ما فى ذلك اى لان المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليهم ذلك وخافوا ذلك وطلبوه بمكة اعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أى الذين يقصون الاثر فى كل وجه يقفون أثره فوجدوا الذى ذهب الى جبل ثور أثره وقال ما تقدم وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم اى ولما اقبلوا أشفق صلى الله عليه وسلم على صهيب وخاف عليه وقال واصهيباه ولا صهيب لى اى لانه تواعد معهما أن يكون ثالثهما فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل له أبو بكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلى فقال يا رسول الله وجدت صهيبا يصلى فكرهت أن أقطع عليه صلاته فقال اصبت وتقدمت الحوالة على هذا فلما كان فتيان قريش على أربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين اى مع العنكبوت فقال ليس فيه أحد فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف ان الله عز وجل قد درأ عنه اى دفع عنه وفى رواية فلما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم اى حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم اى ولو دخل الغار لانفتح ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا يدل على ان البيض لم يكن فرخ اى ويحتمل ان بعض البيض فرخ وبعضه لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فبال فقال أبو بكر يا رسول الله انه يرانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر لو كان يرانا ما فعل هذا وفى بعض الروايات لو رآنا ما تكشف عن فرجه اى ما استقبلنا بفرجه وبوله وقال أبو جهل أما والله انى لاحسب قريبا يرانا ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا فانصرفوا وذكر ابن كثير أن بعض أهل السير ذكر أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه قال له النبى صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ولسنا نثبت شيأ من تلقاء أنفسنا ونهى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جند الله انتهى وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك يا أبا بكر الا أن البيوت تطهر من نسجها أي ينبغي ذلك لما تقدم ان وجود نسجها في البيوت يورث الفقر وفي الجامع الصغير جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على الغار (أقول) فيه ان في الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفي لفظ العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره فهو ناسخ له وان كان متقدما على ماهنا وصح ماهنا فهو منسوخ به والله أعلم وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمامتين وفرض جزاء الحمام وانحدرتا في الحرم فأفرختا كل شئ في الحرم من الحمام اى ولاجل ذلك ذهب الغزالى من أئمتنا الى صحة الوقف على حمام مكة دون غيره من الطيور وهو الراجح ونظر في الامتاع في كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج فانه روى في قصة نوح عليه الصلاة والسلام أنه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقعت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها الحمرة في رجليها وأسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وفي شعر الحرث بن مضاض الذى أوله

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ويك لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به امنا وفيه العصافر

ففي هذا ان الحمام قد كان في الحرم من عهد جرهم اى ونوح وذكر بعضهم أن حمام مكة أظله صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا له بالبركة ويروى ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما رأى قريشا أقبلت نحو الغار خصوصا ومعهم القافة بكى اى ويقال لما سمع القائف يقول لقريش والله ماجاز مطلوبكم من هذا الغار حزن وبكى وقال والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما اكره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحزن ان الله معنا وأنزل الله تعالى سكينته على أبى بكر رضى الله تعالى عنه أى وأنزل عليه أمنته التى تسكن عندها القلوب قيل قال له لاتحزن ولم يقل له لاتخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النهى تأنيس وتبشير له كما في قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قولهم وبه يرد مازعمته الرافضة أن ذلك غض من أبى بكر وذم له لان حزنه رضى الله تعالى عنه ان كان طاعة فالنبى صلى الله عليه وسلم لاينهى عن الطاعة فلم يبق الا أنه معصية وفي رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه اى لانهم علوا على رؤسهما فعن أبى

تجدشة اغماهو بحسب مايظهر للرائى والا فالطعنة شديدة في الباطن وذلك أقوى في النكاية ليكون من المعجزات أيضا ودليل وجود الشدة في الباطن وقوعه مرارا عن الفرس وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون الطعن في العنق يفضى الى كسر الضلع من خوارق العادة وجاء في رواية انه ضربه ٥٠ تحت ابطه حتى انكسر ضلع من أضلاعه وقد يقال يجوز ان تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة أحدا الا أبى بن خلف لاقبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم راجعون الى مكة بسرف وهو مناسب لوصفه لانه مسرف وقيل مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال انى لأسير ببطن رابغ بعد هدء من الليل واذا نار تأجج لى فهبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فنادانى يا عبد الله فلا أدرى أعرف اسمى او كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت ان أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لاتسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى ابن خلف لعنه الله رواه البيهقى ويدل لهذا ماجاء في الحديث كل من قتله نبى أو قتل بامر نبى في زمنه يعذب من حين قتل الى أن ينفخ في الصور وجاء اشد الناس عذابا من قتله نبى وفي رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير أى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وشفقة على عباد الله وتقدم ان ابن عمر رضى الله عنهما مر ببدر واذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقنى فأردت ان أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لاتفعل يا عبد الله فان

قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال بعضهم كان معهما وثالثهما باللفظ والمعنى أما باللفظ فكان يقال يا رسول الله ويقال لابي بكر يا خليفة رسول الله وأما بالمعنى فكان مصاحبا لهما بالنصر والهداية والارشاد والضمير في أيده بجنود لم تروها راجع للنبي صلى الله عليه وسلم وتلك الجنود ملائكة أنزلهم الله تعالى عليه في الغار يبشرونه صلى الله عليه وسلم بالنصر على اعدائه وروى أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه عطش في الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب فانطلق أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى صدر الغار فوجد ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأزكى رائحة من المسك فشرب منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار لتشرب قال أبو بكر يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وأفضل والذي بعثني بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا أي وذكر بعضهم قال كنت جالسا عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليقم فقام رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني بثلاث حثيات من تمر فقال أرسلوا الى علي فجاء فقال يا أبا الحسن ان هذا يزعم كذا وكذا فاحث له فحثى له فقال أبو بكر عدوها فعدوها فوجدوها كل حثية ستين تمرة لا تزيد ولا تنقص فقال أبو بكر صدق الله ورسوله قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة في الغار كفي وكف علي في العدد سواء ذكر الذهبي انه موضوع ولعل قول الصديق صدق الله ورسوله علة لاختياره عليا على نفسه في أن يحثو لا ان ذلك علة لكون كل حثية جاءت ستين حبة ولما أيست قريش منهما ارسلوا لاهل السواحل أن من أسر أو قتل أحدهما كان له مائة ناقة أي ويقال ان أبا جهل أمر مناديا ينادي في أعلى مكة وأسفلها من جاء بمحمد او دل عليه فله مائة بعير والى قصة الغار أشار صاحب الهمزية بقوله

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ * ه ومن شدة الظهور الخفاء

اى كانوا سببا لاخراجه من تلك الارض التي هي مولده صلى الله عليه وسلم ومرباه ووطنه ووطن آبائه بسبب مبالغتهم في ايذائه وايذاء أصحابه خصوصا ضعفاؤهم وآواه غار وحمته

هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قتلهم أصحابه رواه الطبراني في الاوسط ولا بعد في تعدد الواقعة بل في الخصائص الكبرى للجلال السيوطي ما يدل على التعدد وذكر فيها ان ابن عمر ذكر ذلك الذي رآه يدر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد حفر أبو عامر ٥١ الفاسق الذي كان مع المشركين كما تقدم حفر في موضع المعركة وزعم ان ذلك من مكايد الحرب فوقع النبي صلى الله عليه وسلم في حفرة منها فأغمى عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت اى خدشت ركبتاه فأخذ علي رضي الله عنه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة لعنه الله علاه بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا أن ثقل السيف أثر في عاتقه فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو أكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه عتبة بن ابي وقاص أخو سعد بن ابي وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه كما رواه الحاكم في المستدرك قال قال حاطب رضي الله عنه لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فأخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رضي الله عنك وأما ما ذكره ابن منده من انه أسلم واستند لقول أخيه سعد في ابن أمة زمعة عهد الى أخي عتبة انه ولده فليس فيه ما يدل على اسلامه لاحتمال ان يكون عهد اليه وهو في كفره بان أمة زمعة جاءت منه وقد شدد أبو نعيم في الانكار على ابن منده في ذكره في الصحابة واحتج بما رواه

منهم حمامة في لونها بياض وسواد وكفته أعداءه عنكبوت بنسجها الذي كفته اياهم الحمامة الكثيرة الريش فتلك الحمامة كانت ورقاء صداء واستتر منهم مع قرب محل رؤيته وحكمة خفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم الى ما تحت قدميه شدة ظهوره عليهم بالغلبة والمعونة الالهية ومكثا في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام يعرف ما يقال يأتيهما حين يختلط الظلام ويدلج من عندهما بفجر فيصبح مع قريش كبائت في بيته فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه ويخبرهما به وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنهما كان مملوكا للطفيل فأسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب في الله عز وجل فاشتراه أبو بكر من الطفيل وأعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة غنم أي قطعة من غنم أبي بكر فكان يرعاها حيث تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما ثم يغلس أي اذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفو أثر قدميه يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث أي وذلك بارشاد من أبي بكر رضي الله تعالى عنه ففي السيرة الهشامية وأمر أبو بكر ابنه عبد الله رضي الله تعالى عنهما ان يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا أمسى في الغار وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها تأتيهما اذا أمست بما يصلحهما من الطعام (أقول) وفي الدر عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان أحد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة فانه كان اذا سرح غنمه مر بهما فحلب لهما (وفي الفصول المهمة) وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام بلياليها في الغار وقريش لا يدرون أين هو وأسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها تأتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث أمرها صلى الله عليه وسلم أن تأتي عليا وتخبره بموضعهما وتقول له يستأجر لهما دليلا ويأتي معه بثلاث من الابل بعد مضي ساعة من الليلة الآتية اى وهي الليلة الرابعة فجاءت أسماء الى علي كرم الله وجهه فأخبرته بذلك فاستأجر لهما رجلا يقال له الاريقط بن عبد الله الليثي وأرسل معه بثلاث من الابل فجاء بهن الى اسفل الجبل ليلا فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رغاء الابل نزل من الغار هو وأبو بكر فعرفاه اى والذي في البخاري فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا وتقدم ان المستأجر لهما للدليل النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وقد يجمع بان المراد باستئجار علي رضي الله تعالى عنه اعطاؤه الاجرة وكونه استأجر

عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمى وجهه فقال اللهم لا تحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال الحول حتى مات كافرا الى النار قال الحافظ ابن حجر ان ذكره في الصحابة غلط وليس في الآثار ما يدل على اسلامه بل فيها ما يصرح بموته على الكفر ٥٢ فلا معنى لايراده في الصحابة اه وروى ابن اسحق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل أخي عتبة حين صنع برسول الله ما صنع ولقد كفاني فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسوله وصح انه لم يولد من نسل عتبة ولد فيبلغ الحلم الا وهو أبخر أي منتن الفم أهتم اى مكسور الثنايا يعرف ذلك في عقبه وجاء ان الذي جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم عبد الله بن قمئة وفي رواية عبد الله بن شهاب الزهري جد الامام الزهري من قبل أبيه شهد أحدا مع الكفار ثم اسلم رضي الله عنه وهو الذي شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته وهي ما ارتفع من لحم خده فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته صلى الله عليه وسلم وهشمت البيضة على رأسه اى كسرت وسال الدم على وجهه ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وفي الصحيح عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء لانه وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وجاء أن طلحة رضي الله عنه جرح يوم أحد تسعا وثلاثين أو خمسا وثلاثين وشل اصبعاه اى السبابة لهما والتي تليها وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا ذكر يوم أحد قال كان ذلك اليوم كله لطلحة وروى النسائي والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال أدرك المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معهما من

الانصار قال ثم قاتل طلحة قتالا شديدا حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء وانتزع ابو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا في وجنته صلى الله عليه وسلم وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه فكان ساقط

الثنيتين قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان ابي عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبي عبيدة لأن ذلك الهتم حسن فمه وقيل ان عقبة بن وهب بن كلدة هو الذي نزع الحلقتين من وجنته صلى الله عليه وسلم وقيل انه أبو بكر رضي الله عنه فيجوز ان الثلاثة عالجوهما وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمه دمي لم تصبه النار وفي رواية من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد في هذه الغزوة رضي الله عنه وفي رواية من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان ولما رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقماك الله وهو يمسح الدم عن وجهه فسلط الله على ابن قمئة تيسا جبليا فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة في نكاله وخزيه ووباله وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال الاوزاعي بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيأ فجعل ينشف فيه دمه ليمنعه من النزول على الارض ويقول لو وقع منه شيء على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي

لهما ثلاث رواحل وأتى بها معه فيه نظر ظاهر وركب النبي صلى الله عليه وسلم وركب أبو بكر وركب الدليل وفي الدر المنثور فمكث هو صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار ثلاثة ايام يختلف اليهما بالطعام عامر بن فهيرة وعلي يجهزهما فاشترى ثلاثة أباعر واستأجر لهما دليلا فلما كان في بعض الليل من الليلة الثالثة اتاهم علي بالابل والدليل فليتأمل ذلك مع ماقبله وفي حديث مرسل مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوما مالنا طعام الا ثمر البرير أي الاراك وتقدم في باب رعيه الغنم ان ثمر الاراك النضيج يقال له الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة قال ابن عبد البر وهذا اى القول بانهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند اهل العلم بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد كما قال الحاكم انهما مكثا مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما وذكر في الغار اى الاقتصار عليه من بعض الرواة والله اعلم قال وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما أن ابا بكر أرسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم أو أربعة آلاف وكان حين أسلم أربعين ألف درهم وفي لفظ أربعين ألف دينار اى ويؤيد ذلك ما جاء عن أنس رضي الله تعالى عنه أنفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار فحمل اليه ذلك في الغار قالت أسماء فدخل علينا جدي أبو قحافة رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان قد ذهب بصره فقال والله اني لاراه يعني أبا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا قالت فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة اى طاقة في البيت كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس ان كان ترك لكم هذا ففي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيأ ولكن أردت ان أسكن قلب الشيخ اه اى ولما بلغ ضمرة بن جندب خروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا فقال لا عذر لي في مقامي بمكة فأمر أهله فخرجوا به فلما وصل الى التنعيم مات به فأنزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد ابن حرام بن خويلد بن اسد اسلم قديما وهاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات من نهش حية قبل ان يصل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله تعالى عنه هل قلت في أبي بكر شيأ قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه اى وفى لفظ فتبسم ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت انه أحب البرية اليه اى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل به غيره (أقول) فى ينبوع الحياة والذى أعرف فى هذين البيتين انهما من أبيات رثى بهما حسان أبا بكر رضى الله تعالى عنهما هذا كلامه وقد يقال لا مانع أن يكون أدخلهما حسان فى مرثيته لابى بكر بعد ذلك والله اعلم وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا أقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى وقال أنا والله صاحبه وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى امام أبى بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشى امام من هو افضل منك فى الدنيا والآخرة فوالذى نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتانى جبريل فقال ان الله تعالى يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر واجب على أمتى

(باب الهجرة الى المدينة)

لا يخفى انه لما كان صبيحة الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل الذى هو الرجل الدؤلى براحلتيهما فركبا وانطلق بهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة اى رديفا لابى بكر يخدمهما اى وفى البخارى ان أبا بكر كان رديفا له صلى الله عليه وسلم اى ولا مخالفة لما سيأتى ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب اخذ أبو بكر بغرزه اى بركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء ساكنة وزاى ركاب الابل خاصة فقال صلى الله عليه وسلم الا ابشرك قال بلى فداك أبى وامى قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث لا أصل له قال السيوطى رأيت له متابعات ودعا صلى الله عليه وسلم بدعاء منه اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى اهلى واخذ بهم الدليل على طريق السواحل وصار أبو بكر اذا سأله سائل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الذى معك اى وفى رواية من هذا الذى بين يديك وفى رواية من هذا الغلام بين يديك اى بناء على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم يقول هذا الرجل يهدينى الطريق يعنى طريق الخير اى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر اله الناس اى اشغل الناس عنى اى تكفل عنى بالجواب لمن سأل عنى فانه لا ينبغى لنبى أن يكذب اى ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر يقول لمن سأله عن النبى صلى الله عليه وسلم ماذكروا انما يسئل

فانهم لا يعلمون فاعتذر عنهم وتضرع الى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد حقق الله رجاءه وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ولا قوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا ٥٤ للمشركين وعن معمر بن راشد عن الزهرى قال ضرب وجه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة فان قيل كيف شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس أجيب بان هذه الآية نزلت بعد وعلى تسليم انها نزلت قبل فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى لا يخفى ان أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد اكثر من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى كثرة طائعى أمة أجابته ولا فى كثرة عصاة امة دعوته الخارجين عن الاجابة وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الشيطان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك الانصارى رضى الله عنه وهو أحد الثلاثة المذكورين فى قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الخ قال عرفت عينيه صلى الله عليه وسلم تزهران اى تضيئان ابو وتتوقدان من تحت المغفر فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك فى أنه حق وما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين

السعدين يعنى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فعرفناه بكتفيه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحرث بن الصمة وجماعة آخرون وفى خصائص العشرة أن الزبير رضى الله عنه ثبت يوم أحد مع النبى صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب فممنوع بل ثبت مع على رضى الله عنه غيره كما تقدم وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لانجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق فمشى اليه الحرث ابن الصمة رضى الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجليه فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أحانه اى أهلكه وأقبل عبيد بن أبى جابر العامرى يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله اصحابه ووثب ابو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلو الصخرة التى فى الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة اى فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع وقد قيل ان طلحة رضى الله عنه كان فى مشيه اختلاف أى اعرج كان به فلما حمل النبى صلى الله

أبو بكر عن نفسه لان أبا بكر كان معروفا لهم لانه كان يكثر المرور عليهم فى التجارة للشام اى معروفا لغالبهم فلا ينافى ما جاء فى بعض الروايات انه كان اذا سئل من انت يقول باغى أى طالب حاجة فعلم ان الانبياء لا ينبغى لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك التورية لكن سيأتى فى غزوة بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم وفى رواية ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء أبى بكر ناقته وفى التمهيد لابن عبد البر أنه لما أتى براحلة أبى بكر سأل أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركب ويردفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت اركب واردفك أنا فان الرجل أحق بصدر دابته فكان اذا قيل له من هذا وراءك قال هذا يهدينى السبيل (أقول) لا مخالفة بين هذا وما تقدم لانه يجوز أن يكون ركب صلى الله عليه وسلم تارة خلف ابى بكر على ناقة أبى بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقة نفسه امامه وأن ركوبه لها كان فى اثناء الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما أركب راحلته عامر بن فهيرة أو ترك ركوبه الاجل اراحتها والهداية كما تكون من المتقدم تكون من المتأخر وان كان الاول هو الغالب والله أعلم والى توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة أشار صاحب الهمزية بقوله

ونحا المصطفى المدينة واشتا * قت اليه من مكة الانحاء

أى وقصد صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات والنواحى من مكة وقد جاء انه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فأنزل الله تعالى عليه ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اى الى مكة وأهل الرجعة يقولون الى الدنيا أى من يقول بان النبى صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وقد أظهرها عبد الله بن سبا كان يهوديا وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء أظهر الاسلام فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام فكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد أحق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة والسلام وتقدم ذلك فى اثناء الكلام على بدء الوحى وسيأتى ذلك عند بناء المسجد وكانت قريش كما تقدم أرسلت لاهل السواحل ان من قتل أو أسر أبا بكر أو محمدا كان له مائة ناقة أى فى قتلهما او أسرهما كان له مائتان فمن سراقة جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو اسرا ديتين فبينا أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أى بقديد

عليه وسلم تكلف استقامة المشي لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبي صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا وقد جاء علي رضي الله عنه بماء في درقته ليغسل به جرح النبي صلى الله عليه وسلم فلم يشرب صلى الله عليه وسلم من ذلك لتغيره وجده به من طول المكث فخرج ٥٦ محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماء فلم يجد ثم ذهب الى موضع بعيد فأتى بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير وجاء ان نساء المدينة خرجن ومعهن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلي يسكب الماء فيتزايد الدم فلما رأت ذلك اخذت شيأ من حصير فأحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب مع بعض اصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من المهاجرين رضي الله عنهم حتى هبطوا من الجبل ونزل في ذلك قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ارددهم قال سعد فأخذت سهما من كنانتي فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته رواية ثم اخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي وكان بعد سعد عند بنيه وجاء في رواية

وهو محل قريب من رابغ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني رأيت اسودة أي اشخاصا بالسواحل أراه محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا أي بمعرفتنا يطلبون ضالة لهم أي وفي لفظ قال رأيت ركبة بالبحر يلن جمع راكب ثلاثا مروا علي آنفا أي قريبا اني لاراهم محمدا واصحابه قال سراقة فأومأت اليه ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت الى منزلي فأمرت جاريتي ان تخرج فرسي خفية الى بطن الوادي وتحبسها علي وأخذت رمحي وخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه في الارض والزج الحديدة التي تكون في أسفل الرمح وخفضت عاليه أي امسكت باعلاه وجعلت أسفله في الارض لئلا يراه أحد وانما فعل ذلك كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه أحد من قومه بخروجه معه لقتلهما أو أسرهما زاد في رواية ثم انطلقت فلبست لامتي وجعلت أجرار الرمح مخافة أن يشركني أهل الماء يعني قومه قال حتى أتيت فرسي اي وكان يقال لها العود والفرس لغة تقع على الذكر والانثى قال في النور والمراد هنا الانثى لقوله فركبتها ولقوله فرفعتها اي بالغت في اجرائها حتى دنوت منهم وفي لفظ فرفعتها تقرب بي وحينئذ يكون المراد أسرعت بالسير بها لان التقريب دون العدو وفوق العادة فعثرت بي فرسي أي فوقعت لمنخريها كما في حديث أسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما زاد في رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها فقمت فأهويت بيدي على كنانتي فاستخرجت الازلام أي وهي عيدان السهام التي لا ريش لها ولم تركب فيها النصال واستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره وهو عدم اضرارهم أي لانه مكتوب عليها افعل لا تفعل ويقال للاول الآمر ويقال للثاني الناهي فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت اي غابت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين اي وكانت الارض جلدة فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان أي غبار ساطع في السماء مثل الدخان اي مع كون الارض جلدة فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان اي وقلت انظروني لا اوذيكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه أي وفي رواية ناديت القوم وقلت انا سراقة بن مالك انظروني اكلمكم انا لكم نافع غير ضار واني لا ادري لعل الحي فزعوا الركوبي اي ان بلغهم ذلك وانا راجع رادهم عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر قل له ماذا تبتغي فوقفوا فأخبرتهم بما تريد الناس منهم وفي

عن سعد رضى الله عنه قال لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه فظننت انه ملك وصلى صلى الله عليه وسلم الظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراح التى أصابته صلى الله عليه وسلم وصلى المسلمون خلفه قعودا ثم نسخ وقيل ان الذين صلوا قعودا هم الذين أصابتهم الجراح

وقد جاء انه وجد بطلحة رضى الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت اصبعه وفى رواية أنامله وفى البخارى عن قيس بن ابى حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله التى وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شلاء ونزف الدم بطلحة رضى الله عنه حتى غشى عليه فجاء أبو بكر رضى الله عنه ونضح الماء فى وجهه حتى افاق فقال مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر رضى الله عنه هو بخير وهو ارسلنى فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة واصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وجرح عشرين جراحة فأكثر واصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة وقتل الاصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل بأحد فبدا له الاسلام اى رغب فيه فأسلم ثم اخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا حتى دخل فى عرض الناس اى جانبهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك مناصرة لقومك ام رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله و برسوله ثم جئت وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث ان مات فى ايديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول حدثونى برجل دخل الجنة ولم

رواية قال يا محمد ادع الله أن يطلق فرسى وارجع عنك واردّ من ورائى وفى رواية قال يا هذان ادعوا الى الله ربكما ولكما ان لا اعود فدعا له اى دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الفرس وحينئذ يكون زجره لها ونهوضها بعد الدعاء فلا مخالفة قال فركبت فرسى اى بعد نهوضها حتى جئتهم فقلت ان قومك جعلوا فيك الدية اى مائة من الابل ان قتلك أو أسرك وهذا هو المراد بقوله فى الرواية السابقة فأخبرتهم بما يريد الناس منهم وكأنه رأى ان ذلك كاف فى لحوقه بهم عن ذكر ابى بكر قال سراقة وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا اخف عنا اى وفى رواية عرضت عليهما الزاد والحملان أى واعل الحملان هو المراد بالمتاع اى لانه جاء انه قال لهما خذا هذا السهم من كنانتى وغنمى وابلى بمحل كذا وكذا فخذا منهما ما شئتما فقالا اكفنا نفسك فقال كفيتماها (اقول) وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب فى دين الاسلام فانى لا ارغب فى ابلك ومواشيك وفى رواية عن ابى بكر رضى الله تعالى عنه قال لما أدركنا سراقة قلت يارسول الله هذا الطالب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا اى وقد تقدم أنه قال ذلك له فى الغار فلما كان بيننا و بينه قيد اى مقدار رمح أو ثلاثة قلت يارسول الله هذا الطالب قد لحقنا و بكيت قال لم تبكى قلت أما والله ما على نفسى ابكى ولكن ابكى عليك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه فى الارض الى بطنها وكانت الارض صلبة أى ولا يخالف ما سبق انها بلغت الركبتين لجواز أن يكون ذلك فى اول امرها ثم صارت الى بطنها وذلك كله فى المرة الاولى فلا يخالف ما فى الامتاع لما قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخت يدا فرسه فى الارض الى بطنها فقال ادع لى يا محمد أن يخلصنى الله تعالى ولك على ان أرد عنك الطالب فدعا فخلص فعاد فتبعهم فساخت قوائم فرسه فى الارض اشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت ان هذا من دعائك على الحديث اذ هو يدل على انها فى المرة الاولى وصلت الى بطنها وفى الثانية وصلت الى ما هو زائد على ذلك وقد يدل له ما يأتى عن الهمزية واعل المراد أنه دخل جزء من بطنها فى الارض فى المرة الثانية وفى لفظ فقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ينجينى مما انا فيه فوالله لاعمين على من ورائى من الطلب فدعا له فانطلق راجعا وفى السبعيات للهمدانى ان سراقة لما دنا منه صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعنى الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت

يصل يعني الاصيرم وقتل حنظلة رضي الله عنه وهو ابن أبي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق ويقال لابي عامر بن صيفي وتقدم ان اباعامر خرج من المدينة مباعدا للنبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبي صلى الله عليه وسلم ٥٨ فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه فنهاه صلى الله عليه وسلم وقد دعا صلى الله عليه وسلم على أبي عامر ان يموت طريدا وحيدا فاستجاب الله دعوته فخرج الى الشأم بعد فتح مكة فمات وحيدا طريدا قال السبكي في تائيته

ومات ابن صيفي على الصفة التي ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وسبب قتل ابنه حنظلة رضي الله عنه انه ضرب فرس أبي سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الأوس وهو غلط والصواب شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة وفي رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن في صحائف الفضة فسئلت زوجته وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وكانت من المؤمنات الصادقات فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة وكان حنظلة رضي الله عنه دخل عليها عروسا تلك الليلة التي صبيحتها وقعة أحد وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعي وفي رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أي الصائحة بالخروج للعدو وفي رواية انه غسل أحد شقيه ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر فلذلك غسلته الملائكة وجاء انه التمس في القتلى فوجدوه يقطر عن

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فأخذت الارض أرجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان وعزة العزى لو أنجيتني لا كونن لك لا عليك فقال يا ارض اطلقيه فأطلقت جواده * وروى في بعض التفاسير أن سراقة عاهد سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه في الارض وهذا أي الاقتصار على غوص قوائم فرسه في الارض لا ينافي الزيادة فلا يخالف ما سبق وفي السابعة تاب توبة صدق وفي الفصول المهمة لما اتصل خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك في اليوم الثاني من خروجه صلى الله عليه وسلم من الغار جمع الناس ابو جهل وقال بلغني ان محمدا قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان آخران فايكم يأتيني بخبره فوثب سراقة فقال أنا لمحمد يا أبا الحكم ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه واخذ معه عبدا له اسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسارا اى في اثر النبي صلى الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقابه فقال ابو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد اقبل في طلبنا ومعه غلامه الاسود المشهور فلما ابصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه وأقبل نحوهم فلما قرب منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا امر سراقة بما شئت وكيف شئت وانى شئت فغابت قوائم فرسه في الارض حتى لم يقدر الفرس ان يتحرك فلما نظر سراقة الى ذلك هاله ورمى نفسه عن الفرس الى الارض ورمى رمحه وقال يا محمد انت انت واصحابك اى انت كما انت اى آمن واصحابك فادع ربك يطلق لي جوادي ولك عهد وميثاق ان ارجع عنك فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فأطلق له جواده قال فأطلق الله تعالى له قوائم فرسه حتى وثب على الارض سليما اى ولعل هذا في المرة الثانية او المرة الاخيرة من السبع على ما تقدم وتقدم ان الاقتصار على القوائم لا ينافي الزيادة عليها فلا يخالف ما سبق في هذه الرواية ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس عليه فأنكر انه رأى محمدا فلا زال به ابو جهل حتى اعترف واخبرهم بالقصة وفي ذلك يقول سراقة مخاطبا لابي جهل

اباحكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بان محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

وسياق هذه الرواية يدل على انه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ويدل لذلك ما ذكر انه كان احد القاصين لاثره صلى الله عليه وسلم في الجبل لكنه مخالف لما تقدم انه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه واخفى خروج فرسه وخروجه

عن قومه وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون لما خرج من مكة سلك طريقا غير الطريق الذى سلكها النبى صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فجلس فى مجلس قومه فلما اخبرهم بما فعل ما تقدم ثم وجد عبده الاسود فى مروره وكان معه راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع أن يخرج من مكة بعد خروجهم من الغار ويسبقهم على قديد ولا ينافى ذلك قوله فأتانا رسل كفار قريش لانه يجوز أن يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافى ذلك كونه كان أحد القصاصين لاثره صلى الله عليه وسلم لانه يجوز ان يكون عاد الى قديد قبل ان يجعل الجعل وفى كلام بعضهم انه أرسل بهذين البيتين الى ابى جهل ولا منافاة لجواز ان يكون أرسل بهما قبل أن يشافهه بهما وفى رواية انه لما لحق بهم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اصرعه فصرع عن فرسه فقال يا نبى الله مرنى بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا * ثم لا يخفى ان صرعه عن فرسه يحتمل أن يكون لما ساخت ويحتمل انه صرع عنها قبل ذلك وهو ظاهر سياق الرواية الاولى وهى فعثرت بى فرسى فخررت عنها وحينئذ يكون عثور ها بدعائه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * قال سراقة فسألته ان يكتب لى كتاب أمن لانه وقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى السبعيات قال سراقة يا محمد انى لاعلم أنه سيظهر امرك فى العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى أنى اذا أتيتك يوم ملكك فأكرمنى فأمر عامر بن فهيرة اى وقيل أبا بكر فكتب لى فى رقعة من أدم اى وقيل فى قطعة من عظم وقيل فى خرقة (اقول) وحينئذ يمكن ان يكون كتب عامر بن فهيرة أولا فطلب سراقة ان يكون ابو بكر هو الذى يكتب فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فأحدهما كتب فى الرقعة من الادم والآخر كتب فى العظم أو الخرقة او المراد بالخرقة الرقعة من الادم فلا مخالفة ولما أراد الانصراف قال له كيف بك يا سراقة اذا تسورت بسوارى كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم وسيأتى ان سراقة أسلم بالجعرانة ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال له مرحبا بك وعن سراقة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف خرجت ومعى الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت فى كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابى وانا سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبشر ادنه فدنوت منه وأسلمت ولما جىء لعمر

رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت وجاء انها أشهدت اربعة من قومها حين أراد الخروج بانه دخل بها خشية أن يحصل له موت فيكون فى ذلك نزاع قالت لانى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضى الله عنه فى تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم وبايعوه حين خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة الغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر الفاسق وقد جاء ان أبا قتادة الانصارى رضى الله عنه لما رأى ما فعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل اراد ان يمثل بقتلاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهل امانة من بغاهم العواثر أكبه الله على فيه وعسى ان طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال ابو قتادة والله يا رسول الله ما غضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم وجاء ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو عليهم أى يكرر الدعاء عليهم او يديم الدعاء عليهم فلا ينافى انه قد دعا عليهم فى بعض الاوقات فأنزل الله ليس لك من الامر شىء الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال لئن ظفرت بهم لامثلن باربعين منهم فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال أصبر واحتسب وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول انا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصارى الفارسى فضربه على عاتقه فقطع الدرع فقال خذها وانا الغلام الفارسى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وأنا الغلام الانصارى وكان قد قتله

تلك الضربة فعرض لرشيد احو ذلك المقتول يعدو وكأنه كلب وهو يقول أنا ابن عوف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق راسه فقال خذها وأنا الغلام الانصارى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال احسنت يا اباعبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسود يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم احد ارادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك فوالله انى اريد ان اطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت فقد اعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم ان لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وتوجه الى القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو اقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رايته يطأ فى الجنة بعرجته وفى رواية انه قال يارسول الله ارايت ان قاتلت فى سبيل الله حتى اقتل امشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم كأنى انظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة ويمكن الجمع بانه فى اول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة (واصيبت) يوم احد على الصحيح عين قتادة بن النعمان الاوسى رضى الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل صارت فى يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اسوة ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى بحب النساء واخاف ان يقلن اعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله لى الجنة فقال أفعل ياقتادة

رضى الله تعالى عنه فى زمن خلافته بسوارى كسرى وتاجه ومنطقته أى وبساطه وكان ستين ذراعا فى ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع كان يبسط له فى ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور وجىء له بمال كثير من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثا وعليهن الحلى والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعا سراقة وقال ارفع يديك وألبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول انا رب الناس وألبسهما سراقة بن مالك أى ورفع عمر بها صوته وصب المال الذى جىء به من اموال كسرى فى صحن المسجد وفرقه على المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين فأصاب عليا رضى الله تعالى عنه منه قطعة باعها بخمسين الف دينار ثم جىء ببنات الملك الثلاث فوقفن بين يديه وامر المنادى أن ينادى عليهن وان يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون فى ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادى فى صدره فغضب عمر رضى الله تعالى عنه وأراد ان يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له على رضى الله تعالى عنه مهلا يا أمير المؤمنين فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر فسكن غضبه فقال له على ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر كيف الطريق الى العمل معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فقومن وأخذهن على رضى الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر فجاء منها بولده سالم وأخرى لمحمد بن أبى بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده على الملقب بزين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علما وورعا وكان أهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسرى فلما انشأ هؤلاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت أجالس سعيد بن المسيب واعجب سعيد بى يوما فقال لى من أخوالك فقلت أمى فتاة فكأنى نقصت من عينه فأنا عنده اذ دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلما خرج من عنده قلت له يا عم من هذا قال سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم ابن عبد الله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده ثم نهض فلما خرج قلت يا عم من هذا قال ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا هذا القاسم بن محمد بن ابى بكر قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل عليه على بن الحسين فجلس ثم نهض فلما خرج قلت له من هذا قال عجبت منك أتجهل مثل هذا هذا على زين العابدين بن الحسين قلت فمن امه قال فتاة قلت يا عمى رأيتنى نقصت من عينك لما علمت ان امى فتاة فمالى فى هؤلاء

وفى رواية وان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى ان تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وعند الطبرانى عن قتادة رضى الله عنه قال كنت اتقى السهام بوجهى دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك وردها الى موضعها وقال اللهم اجعلها احسن عينيه واحدهما اى اقواهما نظرا فكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وفى رواية أصيبت عيناى وهو من تصرف الرواة بل قال الدارقطنى ان هذه الرواية تفرد بها عمار ابن نصر قال النووى وقد غلطوه فالصواب انها عين واحدة وروى الاصمعى عن ابى معشر قال قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فقال عمن الرجل فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها
فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وفى رواية فقال عمر بمثل هذا فليتوسل المتوسلون ووصله واحسن جائزته ورمى ابو رهم الغفارى واسمه كلثوم بن الحصين بن خالد بسهم فوقع فى نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرئ وانقطع سيف عبد الله بن جحش وأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد فى يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضى الله عنه قتله أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفى فقتل على رضى الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ودفن عبد الله بن جحش هو وخاله حمزة رضى الله عنهما فى قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركى من امراء المعتصم بن الرشيد فى بغداد بمائتى دينار وهذا

اسوة فقال اجل وعظمت فى عينه جدا ولما رجع سراقة صار يردعنهم الطلب لا يلقى احدا الارده يقول سبرت اى اختبرت الطريق فلم ار احدا وفى لفظ قال لقريش اى لجماعة منهم قصدوه صلى الله عليه وسلم كأنهم اخبروا بمكان مسيره ذلك قد عرفتم بصرى بالطريق وقد سبرت فلم ار شيأ فرجعوا اى فان كفار قريش لما سمعوا من الهاتف اى ومن غيره بانه صلى الله عليه وسلم نزل فى خيمة ام معبد كما سيأتى ارسلوا سرية فى طلبه يقول قائلهم اطلبوه قبل ان يستعين عليكم بكلبان العرب فيحتمل ان هؤلاء هم الذين ردهم سراقة فكان سراقة أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر النهار مسلحة اى سلاحا له وفى رواية قال سراقة خرجت وانا احب الناس فى تحصيلهما ورجعت وانا احب الناس فى ان لا يعلم بهما احد ويحتمل انه بعد ان ردهم سراقة ذهبوا الى ام معبد ففى تتمة الخبر أن تلك السرية جاءت الى ام معبد فسألوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشفقت اى خافت عليه منهم فتعاجمت عليهم اى اظهرت عدم علمها بذلك فقالت انكم تسألونى عن امر ما سمعت به قبل عامى هذا ثم قالت ائن لم تنصرفوا عنى لاصرخن فى قومى عليكم وكانت فى عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا اين توجه اى من اى طريق توجه اى واهلها قالت لهم ذلك لما رأت منهم التثقيل عليها وهذا السياق يدل على ان قصة سراقة قبل قصة أم معبد والى قصة سراقة اشار صاحب الاصل بقوله

غرت سراقة أطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا

واليها أشار ايضا صاحب الهمزية بقوله

واقتفى اثره سراقة فاستهـ * ـوته فى الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ * ـف وقد ينجد الغريق النداء

اى وتبع اثره سراقة فهوت اى سقطت به صافن وهى الفرس التى تقوم على ثلاث قوائم وتقيم الرابعة على طرف الحافر وهو وصف محمود فى الخيل جرداء قصيرة الشعر وذلك وصف محمود فى الخيل أيضا بعد ان قاربت ان يخسف بها كلها وقد يخلص الدعاء الغريق كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه أحد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت بيدى مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها ثم بسطت له فروة

فهو حديث عكاشة السابق فى غزوة بدر الان سيف عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون واشتغل المشركون ذكورا وانا ثابقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشراف اصحابه وجاء وحشى بعد ان مات حمزة رضى الله عنه وأخذ حربته واخرج كبده وذهب به الى هند بنت عتبة وقال لها هذا كبد حمزة قاتل ابيك فأخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها واعطته ثوبها وحليها ووعدته عشرة دنانير بمكة وجاء فى رواية ان النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أى يقطعن آذانهم وانوفهم واتخذن من ذلك قلائد وكانت هند نذرت ان تأ كل من قلب حمزة رضى الله عنه لكونه قتل اباها فاستخرج لها وحشى فلذة من قلبه فلا كتها فلم تستطع بلعها فلفظتها ولما أراد ابو سفيان الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته وقال انعمت فعال ان الحرب سجال حنظلة بحنظلة يوم احد بيوم بدر اعل هبل وسبب قوله ذلك انه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا واجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فتوجه الى احد فلذا قال اعل هبل أى زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه اجبه فقل الله أعلى واجل وقوله انعمت فعال بسكون التاء اى اجابت بنعم فى فعلها البالغ ففعال معدول عن فاعلة صيغة مبالغة يعنى بالغ هذه الفعلة اى الوقعة ثم قال له عمر رضى الله عنه لا سواء اى رجليها لانستوى نحن وانتم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم اى لا ناصر لكم قال ابن اسحق وعلت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان على صخرة مشرفة فصرخت

معى ثم قلت يارسول الله نم وانا أتجسس واتعرف من تخافه فنام صلى الله عليه وسلم واذا براع يقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذى أردناه أى وهو الظل فلقيته فقلت له لمن أنت ياغلام فقال لرجل من اهل مكة فسماه فعرفته أى وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم هذا الراعى ولا على اسم صاحب الغنم قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقلت هل فى غنمك من لبن قال نعم قلت أفتحلب لى قال نعم فأخذ شاة فحلب لى فى قعب معه وفى رواية فى اداوة معى على فيها خرقة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت أن اوقظه من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد اسفله فقلت يارسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لانه جرت العادة باباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذونا له فى ذلك اى كما تقدم فلا ينافى ماجاء لا يحلبن احد ماشية أحد الا باذنه أو ان هذا الحديث محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعى وأما قول بعضهم انما استجاز شربه لانه مال حربى ففيه نظر لان الغنائم اى اموال الحربيين لم تكن ابيحت له حينئذ ثم قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم الم يأن للرحيل قلت بلى فارتحلنا بعد مازالت الشمس انتهى اى وفى رواية ان ابا بكر قال قد آن الرحيل يارسول الله اى دخل وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما بان يكون النبى صلى الله عليه وسلم بدأ فسأل فقال له ابو بكر بلى ثم اعاد عليه بقوله قد آن الرحيل واجتازوا فى طريقهم بام معبد اى واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد اى وهو محل سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطرفه الاخير الذى يلى المدينة ومنزل سراقة بطرفه الذى يلى مكة وكانت مسافته متسعة فليتأمل وكانت ام معبد امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء بيتها وتطعم وتسقى وهى لا تعرفهم اى وسألوها لحما وتمرا اى وفى رواية ولبنا يشترونه فقالت والله لو كان عندنا شئ ما اعوزناكم اى للشراء وفى رواية ما اعوزناكم القرى لانهم كانوا مسنتين اى مجدبين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ياام معبد هل عندك من لبن قالت لا والله فرأى شاة خلفها الجهد عن الغنم اى لم تطق اللحاق بها لما بها من الهزال قال هل بها من لبن قالت هى اجهد من ذلك ٥ قال اتأذنين فى حلابها قالت والله ماضربها من فحل قط فشأنك اى اصلح شأنك بها ان رأيت منها حلبا فاحلبها فدعا بها فمسح ظهرها بيده اى وفى رواية فبعث النبى صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال ياغلام هات فرقا فمسح ظهرها وفى رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى اى وقال اللهم بارك لنا فى شاتنا فدرت واجترت وتفاجت اى فتحت مابين

باعلى صوتها فقالت   نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر   ما كان عن عتبة لى من صبر
ولا اخى وعمه وبكرى   شفيت نفسى وقضيت نذرى * شفيت وحشى غليل صدرى   فشكر وحشى على عمرى
حتى ترم اعظمى فى قبرى   فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب   المطلبية اخت مسطح بن اثاثة فقالت

خزيت فى بدر وبعد بدر
يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر
بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى
حمزة ليثى وعلى صقرى
اذ رام شيب وابوك غدرى
فخضبا منه ضواحى النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال العلامة الزرقانى قال الحافظ ابو الربيع فى الاكتفاء هذا قول هند والكفر يحنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم ان الله هداها للاسلام وعبادة الله وترك الاصنام واخذ بحجزتها عن سوء النار ودلها على دار الاسلام فصلحت حالها وتبدلت أقوالها حتى قالت له صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله ما كان على الارض اهل خباء أحب الى ان يذلوا من اهل خبائك وما اصبح اليوم اهل خباء احب الى ان يعزوا من اهل خبائك وكان اسلامها واسلام زوجها أبى سفيان عام الفتح وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت يرجعها الله اليك أحسن مما كانت وان شئت عينا خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وشهد غزوة اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله ثم قلعت عينه الاخرى وتوفى بالمدينة سنة احدى أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضى الله عنه

رحالهم اللعاب ثم دعا باناء يربض الرهط اى يرويهم بحيث يغلب عليهم الرى فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة للعشرة وقيل من التسعة الى الاربعين فحلب فيها ثجا أى بقوة لكثرة اللبن ومن ثم قال حتى علاه البهاء وفى رواية حتى علاه الثمالة بضم المثلثة اى الرغوة وفى رواية فسقاها فشربت حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا عللا بعد نهل اى مرة ثانية بعد الاولى ثم شرب صلى الله عليه وسلم فكان آخرهم شربا وقال ساقى القوم آخرهم شربا ه ثم حلب فيه وغادره اى تركه عندها وارتحل والى ذلك اشار الامام السبكى بقوله فى تائيته

مسحت على شاة لدى ام معبد * بجهد فالقتها ادر حلوبة

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها ونماء

اى أرسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة لبن وزيادة وعن ام معبد ان هذه الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سنة ثمانى عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة أى وكانت تلك السنة اجدبت الارض اجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش تأوى الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها أى لخبث لحمها وكانت الريح اذا هبت ألقت ترابا كالرماد فسمى ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك آلى عمر رضى الله تعالى عنه ان لا يذوق لبنا ولا سمنا ولا لحما حتى تحيا الناس أى يجيء عليهم الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنينى شأن الرعية اذا لم يمسنى ما مسهم وهذا السياق يدل على ان الذى حلبه صلى الله عليه وسلم عند ام معبد شاة واحدة وفى تاريخ العينى شارح البخارى قال يونس عن ابن اسحق انه دعا ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب فى العس حتى ارغى وقال اشربى يا ام معبد فقالت اشرب انت فانت احق به فرده عليها فشربت ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحائل اخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما ادرى ما تقولون قد ضافنى حالب الحائل فقالوا ذلك الذى نريده وعند قول عمر رضى الله تعالى عنه ذلك قال كعب لعمر يا امير المؤمنين ان بنى اسرائيل كانوا اذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عام

وكان أبو سفيان رضى الله عنه فى أول دخوله فى الاسلام مكرها فتألفه النبى صلى الله عليه وسلم حتى شرح الله صدره للهدى وحسن اسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة وقال له العباس رضى الله عنه بعد اسلامه أين قولك انعمت فعال وقولك اعل هبل فقال للعباس قد أذهب الله عنا أمر ٦٤ الجاهلية وهدانا للاسلام فاياك ان تصغى الى طعن الطاعنين فيه أو فى احد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى واصهارى وهو من اصهاره وكذلك خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد وكانا من اشد الناس على المسلمين ثم أسلما وحسن اسلامهما حتى صار خالد بن الوليد سيفا من سيوف الله صبه الله على المشركين وصار عكرمة اذا فتح المصحف يصيح ويقول هذا كلام رب العالمين ويغشى عليه فالحمد لله الذى هدانا برسوله اجمعين وقال ابو سفيان يوم أحد الحرب سجال وفى رواية يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ثم قال ابو سفيان انكم ستجدون فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى وفى رواية والله مارضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ولا احببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى ويروى ان الحليس سيد الاحابيش مر بابى سفيان وهو يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة ويقول ذق عقق اى ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الدين الذى كنت عليه ياعاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يابنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ماترون فقال ابو سفيان اكتمها عنى فانها زلة ثم بعد اجابة عمر لابى سفيان قال له ابو سفيان هلم ياعمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ماشأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمدا قال عمر

النبى صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه وسيد بنى هاشم يعنى العباس فمشى اليه عمر وشكا اليه مافيه الناس فصعد عمر المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو ابيه صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا أبا الفضل قم وادع فقام وحمد الله واثنى عليه ودعا بدعاء منه اللهم شفعنا فى أنفسنا واهلينا اللهم انا نشكو اليك جوع كل جائع اللهم انا لانرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك فسقوا قبل ان يصلوا الى منازلهم وخاضوا فى الماء واخصبت الارض وعاش الناس فقال عمر هذا والله هو الوسيلة الى الله تعالى فصار الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيأ لك ساقى الحرمين وذكر السهيلى ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة فى ذلك اليوم فسمعوا صائحا يصيح فى السحاب اتاك الغوث اباحفص اتاك الغوث أباحفص هذا وذكر العلامة ابن حجر الهيتمى فى الصواعق عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضى الله تعالى عنه لاستسقين غدا بمن يسقينى الله به فلما أصبح غدا للعباس رضى الله تعالى عنه فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ماحاجتك قال اخرج حتى نستسقى الله بك قال اقعد فأرسل الى بنى هاشم ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فأتوه واخرج طيبا وطيبهم ثم خرج وعلى امامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره وقال ياعمر لاتخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال اللهم انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت مانحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا فى اوله فتفضل علينا فى آخره قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا فما وصلنا الى منازلنا الا خوضا فقال العباس أنا ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات أشار الى ان أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقى هذا كلامه فلينظر الجمع قال ابن شهاب كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه اى وكان لا يمر عمر وعثمان وهما راكبان الا ترجلا حتى يجوز العباس وربما مشيا معه الى بيته اجلالا له اى لانه صلى الله عليه وسلم قال احفظونى فى العباس فانه عمى وصنو ابى وفى رواية فانه بقية آبائى قالت أم معبد فى وصف تلك الشاة وكانحلبها صبوحا وغبوقا اى بكرة وعشية ومافى الارض قليل ولا كثير أى ثمانية عاطى الدواب اكله ولما جاء زوجها أبو معبد قال السهيلى لايعرف اسمه وقيل اسمه اكثم بالثاء المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله جاء عند

اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن قال انت عندي أصدق من ابن قمئة وأبر أي لأن ابن قمئة لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قتلت محمدا كما تقدم وفي رواية ان أبا سفيان قبل ندائه عمر نادى أفي القوم محمد ثلاثا فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثا ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثم أقبل على اصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لأجابوا فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذي عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من اصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد يعني العام القابل ثم ارتحل القوم وساروا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أو سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال له اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أي جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أي ركبوا مطاها أي ظهورها فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده ان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزهم قال علي أو سعد بن أبي وقاص فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة بعد ما تشاوروا في نهب المدينة فأشار عليهم

المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عجب وقال يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوب في البيت أي والشاة عازب أي لم يطرقها الفحل لكن رأيته في النور فسر العازب بالبعيدة المرعى التي لا تأوي الى المنزل في الليل وفي الصحاح العازب الكلأ البعيد الذي لم يؤكل ولم يوطأ قالت مر بنا رجل مبارك قال صفيه قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه أي مشرقه في اشفاره أي أجفان عينيه أي شعرها النابت بها وطف أي طول وفي عينيه دعج أي شدة سواد في شدة بياض أي وهذا هو الحور ومن ثم فسر بعضهم الدعج بشدة السواد وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بياض عينيه شديد البياض بل كان أشكل العين والشكلة حمرة في بياض العين وهو دليل الشهامة وهي من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة كما تقدم وفي صوته صحل أي بحة بضم الموحدة أي ليس حاد الصوت غصن بين الغصنين لا تشنؤه من طول أي لا تبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر أي تحتقره من قصره لم تعبه ثجلة أي عظم البطن وكبرها ولم تزر به صعلة أي صغر الرأس كأن عنقه ابريق فضة أي والابريق السيف الشديد البريق اذا نطق فعليه البهاء واذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات النظم ازين اصحابه منظرا واحسنهم وجها اصحابه يحفون به اذا امر ابتدروا أمره واذا نهى انتهوا عند نهيه قال وفي لفظ أنها قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه أي مشرقه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزره صعلة وسيما قسيما أي حسنا في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل او قالت صهل أحور أكحل أي في أجفان عينيه سواد خلقة وفي عنقه سطع أي نور وفي لحيته كثاثة أي لا طويلة ولا دقيقة ازج أي رقيق طرف الحاجب اقرن أي مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما به أي ارتفع على جلسائه وعلاه البهاء اجمل الناس وابهاهم من بعيد واحسنهم من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشنؤه أي تبغضه من طول أي من فرط طوله ولا تقتحمه عين من قصر أي لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له غصنا بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال أنصتوا لقوله وان امر ابتدروا الى امره محفود مخدوم محشود له حشد وجماعة لا عابس ولا مفند أي يكثر اللوم اهـ قال هذه والله صفة صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته ولأجتهدن أن افعل اي وفي الامتاع ويقال انها أي ام معبد ذبحت لهم شاة وطبختها فأكلوا منها ووضعت لهم

صفوان أن لا تفعلوا فانكم لا تدرون ما يغشاهم ثم بعد ذهاب القوم فزع المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات أي لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار وهو أبي بن كعب رضي الله عنه أنا انظر لك يا رسول الله فقال له ان

رأيت سعد بن الربيع فاقرأه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر أبي فوجده جريحا
وبه رمق اى بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ان أنظر أفي الاحياء أنت أم في الاموات فقال قد طعنت
اثنتي عشرة طعنة وقد انفذت الى مقاتلي ٦٦ فابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له ان سعد بن الربيع
يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى الله نبيا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله أن يخاص الى نبيكم اى يصل اليه شئ من الاذى وفيكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبره وفي رواية اقرأ على قومي السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله ما لكم عند الله عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل رأيته تلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر يعنى أبا سفيان واصحابه وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء اى بانهزامهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وقطعت أذناه ومذاكيره فنظر صلى الله
عليه وسلم الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه وقال اصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لي من وتقدمت
هذا وقال رحمة الله عليك فقد كنت فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لأمثلن بسبعين منهم ولما رأى المسلمون جزع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثل بها احد من العرب فانزل الله تعالى

في سفر تهم منها ما وسعته تلك السفرة وبقي عندها أكثرها وفي الخصائص الكبرى أنه صلى الله عليه وسلم بايعها اى اسلمت قبل أن يرتحلوا عنها وفي كلام ابن الجوزي ان أم معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها هاجر واسلم (أقول) في شرح السنة للبغوي وهاجرت هي وزوجها واسلم اخوها حبيش بن الاصفر واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك ويقال ان زوجها خرج في أثرهم فادركهم وبايعه صلى الله عليه وسلم ورجع وفي الاجوبة المسكتة لابن عون قيل لام معبد ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه به من سائر صفات من وصفه اى من الرجال فقالت أما علمتم ان نظر المرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل الى الرجل وفي ربيع الابرار للزمخشري عن هند بنت الجون أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها أم معبد قام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك في عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت وهي اعظم دوحة اى شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كاعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روى ولا سقيم الا برئ ولا اكل من ورقها بعير ولا شاة الا در فكنا نسميها المباركة فاصبحنا في يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فما راعنا الا نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كما اشتهر أمر الشاة وعن أم معبد انها قالت مر على خيمتي غلام سهيل بن عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مولاى يستهديه ماء زمزم فانا أعجل السير كى لا تنشف القرب أى فانه صلى الله عليه وسلم كتب الى سهيل بن عمرو ان جاءك كتابي ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمسين حتى تبعث الى من ماء زمزم فجاء بقربتين فملأهما من ماء زمزم وبعث بهما على بعير مولاه ازهر ولا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر أم معبد في أبيات منها

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من امسى رفيق محمد

فعلموا توجهه ليثرب اى وفي طريق اليمن محل يقال له الدهيم وبئر أم معبد قال بعضهم وليست بام معبد التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ويجوز أن يكون الخبر الذي وصل اليهم في اليوم الثاني من خروجه من الغار هو قول هذا الهاتف أو عقبه من شخص رآهم والى قول الهاتف أشار صاحب الهمزية بقوله

على النبي صلى الله عليه وسلم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وفي كلام بعضهم ان هذه الآية مكية قال الحلبي يجوز أن تكون مما تكرر نزوله وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه فانه وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق وبلغ به الغشى وقال يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وقال ذلك لا مع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعي الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت لان محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لنحو صالح للحث على سلوك طريقته وقال صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل فاخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن رؤيته فقال لها يا أمة الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي فدفعت في صدره وقالت له لم وقد بلغني انه مثل بأخي وذلك في الله فما أرضاني بما كان في الله من ذلك أي أنا أشد رضا بذلك من غيري لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفي رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فأرياها أنهما لا يدريان أي رحمة بها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أخاف على عقلها فوضع يده

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

اى واظهرت الجن أوصافه صلى الله عليه وسلم الجيدة في صورة الغناء الذى تتولع به النفس حتى أطرب ذلك الغناء الانس حيث سمعوه واما قول بعضهم انهم علموا ذلك من هاتف هتف بقوله

ان يسلم السعدان يصبح محمد * من الامر لا يخشى خلاف المخالف

فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت القابلة سمعوا ذلك الهاتف يقول

فيا سعد سعد الاوس كن أنت مانعا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

فقالوا سعد الاوس سعد بن معاذ وسعد الخزرجين سعد بن عبادة ففيه نظر لان السعدين المذكورين كانا أسلما قبل ذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان (أقول) يجوز أن تكون ان هنا بمعنى اذ أي صيرورته صلى الله عليه وسلم آمنا لا يخشى خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين أو المراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر في الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع اهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ وذكر بعضهم أن السعود من الانصار سبعة أربعة من الاوس سعد بن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان ابو عبيدة والله اعلم قال وتقديم قصة سراقة على قصة أم معبد هو ما في الاصل وقد التزم فيه ترتيب الوقائع وقضية الترتيب ذكر قصة أم معبد قبل قصة سراقة لانه الصحيح الذى صرح به جماعة اه (أقول) ومما يدل لذلك ما تقدم من ان كفار قريش لم يعلموا أين توجه صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر أم معبد وعن اسماء بنت أبي بكر رضى الله تعالى عنهما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل وقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك قلت والله لا أدرى فرفع أبو جهل يده فلطم خدي لطمة خرم منها قرطي اى وفي لفظ طرح منها قرطي والقرط ما يعلق في شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال ولم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغنى بأبيات وان الناس ليتبعونه يسمعون صوته حتى خرج بأعلى مكة يقول جزى الله رب الناس الابيات كذا في الاصل وفيه أن قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في خروجه للغار وقولها فمضى ثلاث لا ندرى اين توجه يقتضى أن المراد خروجه من الغار وتقدم أنهم علموا

بخروجه الى المدينة في اليوم الثاني من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا بذلك الامن الهاتف فليتأمل وقد تبع الاصل في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث قدم خبر سراقة على قصة أم معبد الآتي وقال الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا يحسن تعقبه وهنا قصة أخرى فيها زيادة ونقص قيل هي قصة أم معبد وقيل غيرها وهي انه اجتاز صلى الله عليه وسلم بغنم فقال لراعيها لمن هذه فقال لرجل من أسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم لابي بكر وقال سلمت ان شاء الله تعالى ثم قال للراعي ما اسمك قال مسعود فالتفت الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال سعدت ان شاء الله تعالى وفي الامتاع واتى بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله تعالى عنه في ركب من قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا اى والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد وفي الشرف ان بريدة لما بلغه ما جعلته قريش لمن يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم طمع في ذلك فخرج هو في سبعين من أهل بيته وفي لفظ كانوا نحو ثمانين بيتا وحينئذ يراد ببيته قومه فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له من أنت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا بكر برد أمرنا وصلح قال ممن أنت قال من أسلم من بني سهم قال النبي صلى الله عليه وسلم سلمنا وخرج سهمك يا أبا بكر اى لانه صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة وكل من كان معه اى وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل بريدة عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه اى وقال له كما في الوفاء تنزل علام يا نبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناقتي هذه مأمورة فقال بريدة الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم يعني قومه طائعين غير مكرهين ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة (اقول) ولعل خروجهم كان في ثلاثة أيام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها في الغار والله اعلم فانقلبوا يوما بعد أن طال انتظارهم اى واحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على أطم اى محل مرتفع من آطامهم اى من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين اى لانهم لقوا الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا بيضا كما في البخاري وقيل ان الذي كساهما طلحة بن

الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته وفي رواية أنهما لما منعها على والزبير رضي الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله أين ابن أمي حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو في الناس قالت لا أرجع حتى انظر اليه فجعل الزبير يمنعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجى ببرده وفي رواية قال ألا كفن فرمى رجل من الانصار بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال يا جابر هذا الثوب لابيك وهذا لعمي وفي رواية جاءت صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة احدهما والآخر لرجل من الانصار ولعله والد جابر رضي الله عنه وفي رواية كفن حمزة رضي الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفي رواية الحرمل وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قتل مصعب ابن عمير يوم أحد وكفن في بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وفي رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير قبل الاسلام في مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا فلما اسلم رضي الله عنه تقشف وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه كان يوما صائما فجيء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام انس رضي الله عنه قال قلت

عبد الله قال فى النور ولعلهما قاما معا او متعاقبين فكساه وأبا بكر ماذكر وهذا الجمع أولى من ترجيح الحافظ الدمياطى لهذا القيل ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل هو الذى فى السير ومال الدمياطى الى ترجيحه على عادته فى ترجيح ما فى السير على ما فى الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شأنه فى ابتداء أمره فلما اضطلع من الاحاديث الصحيحة كان يرى الرجوع عن كثير مما وافق عليه اهل السير وخالف الاحاديث الصحيحة فلما رآهم ذلك اليهودى يزول بهم السراب اى يرفعهم ويظهرهم اى والسراب ما يرى كالماء فى وسط النهار فى زمن الحر فلم يملك اليهودى ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم اى حظكم الذى تنتظرون اى وفى رواية فلما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من اهل البادية الى ابى امامة واصحابه من الانصار أى ولا مانع من وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فبلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة أى وفى لفظ فوافوه وهو مع ابى بكر فى ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة فلا مخالفة ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفى لفظ فاستقبله زهاء خمسمائة اى ما يزيد على خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء فى دار بنى عمرو بن عوف وذلك فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن الهدم اى لانه كان شيخ بنى عمرو بن عوف اى وهم بطن من الاوس قيل وكان يومئذ مشركا ثم أسلم وتوفى قبل بدر بيسير وقيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة اى وعند نزوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم بغلام له يا نجيح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجحت يا ابا بكر وكان يجلس للناس ويتحدث مع اصحابه فى بيت سعد بن خيثمة اى لانه كان عزبا لا أهل له هناك اى وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزب من الرجال من لا زوجة له ولا يقال اعزب وقيل هى لغة رديئة (أقول) وبذلك يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رأيت الحافظ الدمياطى أشار الى ذلك والله اعلم ونزل على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه لما قدم المدينة على كلثوم ايضا بقباء بعد أن تأخر بمكة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدى الودائع التى كانت عند النبى صلى الله عليه وسلم لامره له صلى الله عليه وسلم بذلك كما تقدم فلما توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام على رضى الله تعالى عنه بالابطح ينادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت تؤدى اليه امانته فلما نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم ومعه أم ايمن وولدها ايمن

الشباب وكثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة فى الثوب الواحد ثم يدفنون فى القبر الواحد وقال صلى الله عليه وسلم فى حق حمزة لولا أن تجزع صفية ونساؤنا اى يتطاول جزعهن وفى رواية لولا تجد صفية فى نفسها ويكون سنة من بعدى لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر فى بطون الطير والسباع وفى رواية حتى تأكله العافية ويحشر فى بطونها لشدة غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة رضى الله عنه واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فصلى عليهم وعليه حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ولم يغسلهم وفى رواية ولم يصل عليهم وهذا هو الذى فى صحيح البخارى ولفظه أمر النبى صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من روايات صلاته عليهم أو أن الصلاة بمعنى الدعاء وحملوا على ذلك ايضا حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت اى دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء والاموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك قال السهيلى لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد فى شئ من مغازيه الا هذه الرواية فى أحد وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الائمة بعده نعم جاء ان حنظلة كان جنبا فغسلته الملائكة كما تقدم * وممن مثل به عبد الله بن جحش رضى الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل احد بيوم اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يجدع أنفى ويقطع أذنى فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك فيقول الله صدقت وهذا ليس من تمنى الموت المنهى عنه لان المنهى عنه أن يكون ذلك لضر نزل به وتقدم ان عبد الله بن جحش

خيبرا أووقع توديع من خرج الى غزوة تبوك فيها اولكونه صلى الله عليه وسلم ودع بعض المسافرين عندها وهذا يدل على أن هذا الشعر قيل له عند دخوله المدينة لا عند دخوله قباء وسياق بعضهم يقتضيه وسياق بعض آخر يقتضي أنه كان عند دخوله قباء ومن هذا تعلم ان المدينة تطلق ويراد بها ما يشمل قباء ومنه قولنا وسرى السرور الى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم في المدينة فمن البراء الى آخره وهي المرادة بدخوله المدينة يوم الاثنين على ما تقدم وتطلق ويراد بها ما قابل قباء وحينئذ تكون هذه المرادة بقول انس لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الى آخره ولعل منه ما في بعض الروايات المتقدمة دخل المدينة يوم الجمعة الذي حكم الحافظ ابن حجر بشذوذه كما تقدم ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر للناس اى وأبو بكر شيخ اى شيبه ظاهر والنبي صلى الله عليه وسلم شاب اى شعر لحيته أسود مع كونه أسن من أبي بكر كما تقدم وقد قال انس لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر فيعرفه بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرفه الناس اى عرفه من جاءهم بعد ذلك اى لان عدم تأثير الشمس فيه لتظليل الغمامة كان قبل البعثة أرهاصا كما تقدم ومما يدل على ان خروجه من قباء كان يوم الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف اى في قباء بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة وقيل لبث بضع عشرة ليلة وهو المنقول عن البخاري وعن ابن عقبة أقام صلى الله عليه وسلم ثنتين وعشرين ليلة وفي الهدى أقام اربعة عشر يوما وهو ما في صحيح مسلم فليتأمل وأسس في قباء المسجد الذي أسس على التقوى اى الذي نزلت فيه الآية وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الهدى ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال مسجدكم هذا وأشار لمسجد المدينة اى وفي رواية فأخذ حصاة فضرب بها الارض وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا منهما مؤسس على التقوى هذا كلامه ويوافقه ما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يرى كل مسجد بني بالمدينة الشاملة لقباء أسس على التقوى اى لكن الذي نزلت فيه الآية مسجد قباء وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار قال قيل وكان محل مسجد قباء مربدا أي محلا يجفف فيه التمر لكلثوم

ابن

سلني أعطك فقال أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق انهم لا يرجعون الى الدنيا قال اى رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه وقال تبكيه اولا تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع وكان جابر رضي الله عنه لم يحضر القتال انما جاء بعد انصراف القوم وعن بشير بن عقربة رضي الله عنه قال أصيب أبي يوم أحد فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد فلما نعوا لها اى بلغها خبر موتهم قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ما فعل به قالوا خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشئ الصغير يقال للشئ الكبير فهو من الاضداد ويعلم المراد بالقرينة وفي رواية انها مرت بأخيها وزوجها وابنها وابيها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها أخوك وزوجك وابنك وأبوك فلم تكترث بل صارت تقول بأبي انت وأمي يارسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم احد أم لا قال مجاهد حضرت الملائكة ولم تقاتل وما قاتلت الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد اى وهما

جبريل وميكائيل قال البيهقي لا منافاة لانهم لم يقاتلوا يوم احد عن القوم فلا ينافي انهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة لكن جاء عن الحرث بن الصمة رضي الله عنه قال سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقلت رأيته في جنب الجبل فقال الملائكة

تقاتل معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك كل هؤلاء قتلت فقال اما هذا وهذا فانا قتلتهما واما هؤلاء فقتلهم من لم اره فقلت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا تنافي مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وتقدم انه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه اخذه ملك في صورة مصعب وجاء انه لما تصور الملك بصورة مصعب واخذ اللواء جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك وقال لست بمصعب فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ملك وفي رواية ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقدم مصعب قال يا رسول الله الم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه وتقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى اللواء بعد ذلك لعلي رضي الله عنه وجاء في رواية انه حمله أيضا اخو مصعب واسمه

ابو الروم (ويجمع بين الاحاديث) باحتمال ان يكون كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن * ولما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله وعامتهم جرحى ومعه اربع عشرة امرأة كن باصل احد وقال اصطفوا حتى اثني على ربي عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم

ابن الهرم وهو أول مسجد بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي انه بني قبله غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق بفناء داره بمكة كما تقدم انتهى أي وفي كلام ابن الجوزي اول من بنى مسجدا في الاسلام عمار بن ياسر (وفي السيرة الهشامية) عن الحكم بن عيينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قباء قال عمار بن ياسر ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء أي فانه لما جمع الحجارة أسسه صلى الله عليه وسلم واستتم بنيانه عمار فعمار أول من بنى مسجدا لعموم المسلمين قال وعن جابر لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة انتهى ونعمر يحتمل أن يكون بالتخفيف فيكون عطف نقيم الصلاة من عطف التفسير ويحتمل ان يكون بالتشديد فيكون بناء المساجد تعدد في المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وفيه ان الحافظ ابن حجر قال كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران ونصف شهر على التحرير كما تقدم أي ورواية جابر تدل على أنه كان بين اجتماع الاثني عشر من الانصار به صلى الله عليه وسلم ومجيئهم الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم للمدينة سنتان وقد يقال ليس مراد جابر ان ابتداء المدة من قدوم الاثني عشر عليه بل مراده ان ابتداءها من قدوم الستة عليه الذين منهم جابر والمدة تزيد على السنتين فليتأمل وهو أي مسجد قباء أول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرين أي آمنين وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرون والانصار يصلون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قباء صلى فيه ولم يحدث فيه شيأ ويخالفه ما تقدم عن السيرة الهشامية وما في الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح الشين المعجمة بنت النعمان رضي الله تعالى عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل واسس المسجد مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر والصخرة حتى يصهره الحجر اي يتعبه فيأتي الرجل من اصحابه فيقول يا رسول الله بابي انت وامي تعطيني اكفك فيقول لا خذ مثله حتى اسسه اي وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما اراد بناءه قال يا اهل قباء ائتوني بالحجار من الحرة فجمعت عنده احجار كثيرة فخط القبلة واخذ حجرا فوضعه ثم قال يا ابا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر ابي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم اشار الى ترتيب الخلافة وسيجيء في بناء مسجد المدينة نحوه ويحتاج الجمع بين

لك الحمد كله لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما اعطيت ولا مقرب لما ابعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش رضي الله عنها بنت عمته صلى الله عليه وسلم اخت زوجته زينب بنت جحش ام المؤمنين رضي الله عنها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسبي فقالت من يارسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال أخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ما هو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعني أي فلا تؤاخذني فدعا لها ان يحسن الله عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فكان اوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة وجاءت ام سعد بن معاذ رضي الله عنها وعنه تعد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجام فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد يارسول الله امي فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت اما اذا رأيتك سالما فقد اشويت المصيبة اي استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل باحد بعد ان قال لام سعد يا أم سعد ابشري وبشري اهلهم ان قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا وقد شفعوا في اهليهم قالت

وعنه

هذه الروايات وبعد تحوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان يأتيه يوم السبت ماشيا وراكبا وقال من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة وروى اي الترمذي والحاكم وصححاه عن اسيد بن حضير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة في مسجد قباء كعمرة وفي رواية من صلى في مسجد قباء يوم الاثنين والخميس انقلب باجر عمرة وكان عمر رضي الله تعالى عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف من الاطراف وفي رواية في افق من الآفاق لضربت اليه اكباد الابل أي وصحح الحاكم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قباء ماشيا وراكبا وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن ابيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قباء وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء فيصلي فيه ركعتين وعنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء فقام يصلي فجاءته الانصار تسلم عليه فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلي اي يجعل باطنها الى اسفل وظهرها الى فوق وقد وقعت له صلى الله عليه وسلم الاشارة في الصلاة برد السلام لما قدمت عليه ابنته رضي الله تعالى عنها من الحبشة وهو يصلي فسلمت فأومأ اليها برأسه (وفي الهدى) واما حديث من اشار في الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل وفي كلام بعضهم قد ثبت في الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه احد وهو في الصلاة اشار باصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث معارض الا حديث مجهول وهو من اشار في صلاته اشارة مفهمة فليعد صلاته وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به فقالوا يارسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الا غسل فرجه فقال هو هذا وفي لفظ اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء اي وفي الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يارسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أتؤمنون بالقضاء قالوا نعم قال وتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون على الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء

رضينا يارسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يارسول الله ادع الله لمن خلفوا فقال اللهم اذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا (وسمع صلى الله عليه وسلم) نساء الانصار يبكين على ازواجهن وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لابواكى له وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله لم يكن لحمزة رضى الله عنه بالمدينة 75 زوجة ولا بنات فأمر سعد بن معاذ رضى الله عنه نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزله السعدان عن فرسه سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحالة يتوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم المغرب فلما رجع من صلاة المغرب الى بيته سمع البكاء فقال ماهذا فقيل نساء الانصار يبكين على حمزة فقال رضى الله عنكن وعن أولادكن وأمر ان يرجع النساء الى بيوتهن وفى رواية خرج عليهن بعد ثلث الليل لصلاة العشاء وان بلالا اذن للعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يارسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا منافاة لاحتمال ان يكون الامر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة واللاتى رآهن عند خروجه لصلاة العشاء طائفة اخرى فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن رحم الله الانصار فان المواساة فيهم وصارت المرأة من نساء الانصار بعد ذلك لاتبكى على ميتها الا ابتدأت بحمزة رضى الله عنه أى بكت عليه ثم بكت على ميتها وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك

وعند الغائط أى المعبر عنه بالطهور فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا هذا كلامه وفى رواية فقال ان الله قد احسن عليكم الثناء فى الطهور فما هذا الطهور الذى تتطهرون به قالوا يارسول الله مانعلم شيأ الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلناها كما غسلوا وفى لفظ كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه وفى لفظ قالوا نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة فقال هل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان احدنا اذا خرج الى الغائط احب ان يستنجى بالماء وفى رواية نستنجى من البول والغائط زاد فى رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة قال هو ذاك فعليكموه اى الزموه أى وفى مسند البزار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء قال بعضهم فى اسناده ضعف وبهذا وما تقدم من ذكر الحجارة يرد على الامام النووى حيث قال هكذا أى ذكر الحجر مع الماء فى خبر الانصار بقباء رواه الفقهاء فى كتبهم وليس له اصل فى كتب الحديث بل المذكور فيها أنهم قالوا كنا نستنجى بالماء وليس فيها مع الحجر أى ويكون السكوت عن ذكر الحجر لكونه كان معلوما فعله (وفى الخصائص الصغرى) ان مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى شرعه وامته الاستنجاء بالجامد وبالجمع فيه بين الماء والحجر (ومن اهل قباء) عويم بن ساعدة قال فى حقه صلى الله عليه وسلم نعم العبد من عباد الله والرجل من اهل الجنة عويم بن ساعدة اى لانه كان اول من استنجى بالماء كما قيل اى ومن ثم جاء تخصيصه بالسؤال فقد روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويم بن ساعدة فقال ماهذا الطهور الذى اثنى الله عليكم به فقال يانبى الله ماخرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الحديث وهذا السياق ربما يقتضى ان الاستنجاء بالماء لم يكن معروفا فى غير اهل قباء قبل نزول هذه الآية وفى كلام بعضهم أول من استنجى بالماء ابراهيم الخليل وكره بعض الصحابة الاستنجاء بالماء وهو حذيفة ولعله لكونه فى الاستنجاء بالماء عدول عن الرخصة ونقل عن ابن عمر انه كان لايستنجى بالماء ولعله لما ذكرنا وكذا مانقل عن ابن الزبير ما كنا نفعله وعن الامام احمد انه لم يصح حديث فى الاستنجاء بالماء وبالغ مغلطاى فى رده وعن سيدنا مالك انكار ان النبى صلى الله عليه وسلم استنجى بالماء ولعل المراد انكار صحة ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتأمل وذكر الاحجار فى الخبر يؤيد ظاهره ماذكره امامنا فى الام ان سنة الجمع بين

الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش ان تعود الى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح فقال له الانصار بلغنا يارسول الله انك نهيت عن النوح وانما هو شئ نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فاذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا

(وجملة القتلى) من المسلمين يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون اربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ بن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن ابي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبد شمس والذين قتلوا من المشركين قيل ثلاثة وعشرون وفيه نظر فانه جاء أن حمزة وحده قتل احدا وثلاثين فلعل المشركين احتملوا بعض قتلاهم أودفنوهم ولما سمع المنافقون بكاء المسلمين على قتلاهم أظهروا الشماتة هم واليهود وأظهروا أقبح القول فقالوا ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط اصيب في بدنه واصيب في اصحابه وقالوا لو كان من قتل معكم عندنا ماقتل فاستأذن عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قتل هؤلاء المنافقين فقال اليسوا يظهرون شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال بلى ولكن تعوذا من السيف وقد بان امرهم وابدى الله اضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من اظهر ذلك وصار ابن ابي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد اثبتته الجراحة فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير وكان من عادة عبد الله ابن ابي ابن سلول انه إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر قام فقال يا أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه

الحجر والماء تتوقف على كون الاستنجاء بالحجر كافيا واقتصر عليه بقوله والاستنجاء بالحجر كاف ولو أتى به أي بالاستنجاء الكافي رجل ثم غسل بالماء كان أحب الي" وانما قلنا ظاهره لامكان رجوع الضمير للاستنجاء لا بقيد كونه كافيا والذي عليه متأخرو أصحابنا أن سنة الجمع يكتفى فيها بازالة العين ولو بحجر واحد وقد يقال هذا محبوب وما ذكره الامام أحب ولا يخفى ان حديث الانصار يقتضى اختصاص سن الجمع بين الحجر والماء بالغائط وبه قال القفال في كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص الام ان مثل الغائط البول ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة بقباء ركب راحلته الجدعاء وقيل القصواء وقيل العضباء اى قاصدا المدينة والجدعاء بالدال المهملة المقطوعة الانف اومقطوعة الاذن كلها والقصواء المقطوع طرف أذنها والعضباء المشقوقة الاذن قال بعضهم وهذه القاب ولم يكن بها أي بتلك النوق شئ من ذلك وسيأتي عن الاصل ان هذه القاب لناقة واحدة (ولما ركب صلى الله عليه وسلم) وخرج من قباء وسار سار الناس معه ما بين ماش وراكب أي ولا زال احدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا اى حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة قال وصار الخدم والصبيان يقولون الله اكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء محمد صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف له صلى الله عليه وسلم يارسول الله اخرجت ملالا لنا أم تريد دارا خيرا من دارنا قال اني امرت بقرية تأكل القرى اى تغلبها وتقهرها والمراد أهلها اى ان اهلها تفتح القرى فيأكلون اموال اهل تلك القرى ويسبون ذراريهم خلوا سبيلها يعني ناقته صلى الله عليه وسلم أي ومن اسماء تلك القرية المدينة وروى الشيخان امرت بقرية تاكل القرى يثرب وهي المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية كالنجم للثريا اذا اطلق فهي المرادة وان اريد غيرها قيد والنسبة اليها مدني واغيرها من المدن مديني للفرق بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمي بذلك لانه نزل به يثرب من نسل نوح وفي الحديث المدينة تنفي الناس اى شرارهم كما ينفي الكير خبث الحديد فني بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها قيل وذلك كان في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك في زمن الدجال فقد جاء ان الدجال يرجف باهلها فلا يبقى منافق ولا كافر الا خرج اليه وفي رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر وبهذا استدل من قال كون المدينة

تنفى

وسلم بين اظهركم اكرمكم الله به واعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له واطيعوا ثم يجلس فبعد احد اراد ان يفعل كذلك فلما
قام اخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس يا عدو الله لست لذلك باهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس
وهو يقول كانى انما قلت شرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
والله ما ابتغى ان يستغفر لى وأنزل الله تعالى قصة احد فى آل عمران فى قوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقد ذكر الله تعالى الحكمة فيما اصاب المؤمنين بمخالفتهم امر النبى صلى الله عليه وسلم وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذى امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا عنه بقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ومن الحكم فى ذلك ان عادة الله جرت ان الرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائما دخل فى المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ولو انغلبوا دائما لم يحصل المقصود
من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم
عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا ومستورا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر اهل
النفاق ما أظهروه من الفعل والقول كانخذالهم وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم عادما كانوا يضمرونه ويتكلمون به فيما بينهم

تنفى الخبث ليس عاما فى الازمنة ولا فى الاشخاص لان المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار الصحابة منهم على وطلحة والزبير وابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وفى كلام ابن الجوزى ان عبد الله بن مسعود مات بالمدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم أى ارض مات بها رجل من اصحابى كان قائدهم ونورهم يوم القيامة وفى رواية فهو شفيع لاهل تلك الارض واما قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون اى خير لهم من بلاد الرخاء بدليل صدر الحديث يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لا يخرج احد منها رغبة عنها الا أخلف الله من هو خير منه أى من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخاء والسعة فلا دليل فى ذلك على انها أفضل من مكة ومن اسمائها آكالة البلدان ومن اسمائها البارة بتشديد الراء وتسمى الفاضحة لان من اضمر فيها شيأ أظهر الله ما اضمره وافتضح به اى فالمراد اضمر شيأ من السوء وقد قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى هى طابة كشامة هى طابة هى طابة قال ذلك ثلاثا وفى رواية فليستغفر الله فليستغفر الله فليستغفر الله هى طيبة كهيبة هى طيبة هى طيبة هى طاب ككتاب قيل وانما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد روائح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم اى لان ترابها يشفى من الجذام وتسميتها يثرب فى القرآن انما هو حكاية لقول المنافقين اى بعد نهيهم عن ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا اراها الا يثرب اى ونحو ذلك من كل ما وقع فى كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهى عن ذلك انتهى اى وجاء الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ويأرز بكسر الزاى اى ينضم ويجتمع بعضه الى بعض وفى رواية ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ يأرز كما تأرز الحية الى جحرها وانما كرهت تسميتها يثرب لان يثرب مأخوذ من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم او من الثرب بالتحريك وهو الفساد وعن القاسم بن محمد قال بلغنى ان للمدينة فى التوراة اربعين اسما وقيل احد عشر من جملتها السكينة اى ومن جملتها الجابرة اى التى تجبر والعذراء والمرحومة وفى كلام بعضهم ان لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووى لا يعرف فى البلاد اكثر اسما منها ومن مكة ومما يدل على أن خروجه صلى الله عليه وسلم من قبا متوجها الى المدينة

ويخفونه عن المسلمين مصرحا به وعرف المسلمون ان لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومن الحكم في ذلك ايضا ان في تاخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها وتكبرها وتعاظمها فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون ومنها ان الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين 78 منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم اسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها قال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين قال ابن اسحق أي احسبتم ان تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة وابتليكم بالمكاره حتى أعلم صدقكم في الايمان بي والصبر على ما أصابكم أي أعاملكم معاملة المبتلي المختبر ليظهر علي لكم ويكون ما اظهره مطابقا لما سبق في علمي ومنها ان الشهادة من أعلى مراتب الاولياء فساقهم الله اليها اكراما لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل لقاء العدو كما قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون وقال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم ان يتخلفوا عني ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت اني اقتل في سبيل الله ثم احيي ثم اقتل ثم احيي ثم اقتل ثم احيي ثم أقتل ومنها ان الله اراد اهلاك اعدائه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا انهم على شيء من ظفرهم الصوري بالمسلمين فزادوا عتوا وتجبرا وطغيانا في ايذاء أوليائه ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق لذلك الكافرين كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق

كان يوم الجمعة قول بعضهم وعند مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة ادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي بمن معه من المسلمين وهم مائة وصلاها بعد ذلك في المدينة وكانوا به صلى الله عليه وسلم اربعين فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا اي ولم يحفظ انه صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة في ذلك المسجد سمي هذا المسجد مسجد الجمعة وهو على يمين السالك نحو قباء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة اي وخطب لها وهي أول خطبة خطبها في الاسلام اي ومن خطبته تلك فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبي هذه الخطبة في تفسيره واوردها بجميعها في المواهب وليس فيها هذا اللفظ (اقول) هذا واضح ان كان اقام في قباء الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس كما تقدم واما على انه صلى الله عليه وسلم اقام بضع عشرة ليلة او اكثر من ذلك كما تقدم فيبعد انه لم يصل الجمعة في قباء في تلك المدة ثم رايت في كلام بعضهم انه كان يصلي الجمعة في مسجد قباء في اقامته هناك اي ويبعد انه صلاها من غير خطبة وفي الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من تركها من غير عذر مع امام عادل او امام جائر فلا جمع الله شمله ولا بورك له في امره الا ولا صلاة له ولا حج له الا ولا بركة له ولا صدقة له فان كان قال ذلك في هذه الخطبة التي خطبها في مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو مخالف قول فقهائنا انها وجبت بمكة ولم تقم بها لعدم قدرتهم على اظهارها بمكة لان اظهارها اقوى من اظهار جماعة الصلوات الخمس وفي الاتقان مما تأخر حكمه عن نزوله آية الجمعة فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة وقول ابن الغرس ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما اخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد ابي حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع النداء يستغفر لابي امامة اسعد بن زرارة فقلت يا ابتاه ارايت صلاتك على اسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال أي بني كان أول من صلى بنا الجمعة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة هذا كلامه وليتأمل ما وجه الرد من هذا وجاء صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها وصيام شهر رمضان في المدينة كصيام

كصيام ألف شهر فيما سواها كذا في الوفاء عن نافع عن ابن عمر واول قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة قرية عبد القيس بالبحرين وهل كانت الخطبة قبل الصلاة او بعدها في الدر انه صلى الله عليه وسلم كان وهو بالمدينة يخطب الجمعة بعد ان يصلي مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدمت عير دحية الكلبي وكان اذا قدم يخرج اهله لتلقائه بالطبل واللهو ويخرج الناس للشراء من طعام تلك العير والتفرج عليها وقيل للتفرج على وجه دحية فقد قيل كان اذا قدم دحية المدينة لم تبق معصر الا خرجت لتنظر اليه لفرط جماله ولا مانع ان يكون ذلك لاجتماع الامرين فانفض الناس ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا نحو اثني عشر رجلا والجلال المحلي في قطعة التفسير اسقط لفظ نحو اي وانفضاض ما عدا هؤلاء يحتمل ان يكون بعد ذلك في حال الخطبة قبل تمام الاركان ويحتمل ان يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز ان يكون رجع من انفض ما يكمل به العدد اربعين قبل طول الفصل وقد اعاد صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعوه من اركان الخطبة عند انفضاضهم فلا يخالف ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من وجوب سماع اربعين لاركان الخطبة قال مقاتل بلغني انهم فعلوا ذلك اي الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات فأنزل الله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا الآية ثم صار صلى الله عليه وسلم يخطب قبل ان يصلي اي ليحافظ الناس على عدم الانفضاض لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة الحسن البصري وحينئذ يكون قول بعض فقهائنا استدلالا على وجوب تأخر صلاة الجمعة عن الخطبتين بثبت صلاته صلى الله عليه وسلم بعد خطبتين اي استقر ثبوت ذلك وعن الزهري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب اي في غير الخطبة المتقدمة كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة احد ولا يخف لامر الناس يريد الناس امرا ويريد الله امرا فما شاء الله كان لا ما شاء الناس وما شاء الله كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شئ الا باذن الله والله اعلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة اي وقد ارخى زمامها ولم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا فسأله بنو سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله اقم عندنا في العدد والعزة والمنعة وفي لفظ والثروة وفي لفظ انزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة اي السلاح ونحن اصحاب الحدائق والدرك يا رسول الله كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ

الكافرين أي يمحق الكافرين الذين حاربوا يوم أحد ولم يسلموا والمعنى ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ومنها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا اصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والاسقام تعظيما لاجورهم تأسى بهم اتباعهم في الصبر على المكاره قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال ابن اسحق انزل الله في شأن احد ستين آية من آل عمران وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال قلت لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اخبرني عن قصتكم يوم احد قال اقرا العشرين ومائة من آل عمران تجدها واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سبحانه وتعالى اعلم

(غزوة حمراء الاسد)

بفتح الحاء والمد مضافة الى اسد اسم موضع على ثمانية اميال من المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة وكانت صبيحة احد اذ وقعة احد يوم السبت والغزوة المذكورة يوم الاحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكانت لطلب العدو والذين كانوا بالامس قال الواقدي باتت وجوه الانصار على بابه صلى الله عليه وسلم خوفا من كثرة العدو فلما طلع الفجر واذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزني فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه قد اقبل من عند اهله بملل بميم ولامين اسم موضع قرب المدينة اذا قريش

قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيأ أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم قد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن امية يأبى ذلك عليهم ويقول لا تفعلوا فان القوم قد غضبوا واخاف ان يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فاني لا آمن ان رجعتم ان تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم ارشدهم صفوان وما كان برشيد والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب ودعا صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فذكر لهما ما اخبره به المزني فقالا يا رسول الله اطلب العدو ولا يقتحمون على الذرية أي يدخلون فلما صلى الصبح ندب الناس واذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج أي أمر بلالا ان ينادي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب العدو وان لا يخرج معنا احد الا من خرج معنا امس يعني من شهد احدا واراد بذلك اظهار الشدة للعدو فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم انهم على غاية من القوة والرسوخ في الايمان وحب النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أيضا الزيادة في تعظيم من شهد احدا وايضا خاف اختلاط المنافقين بهم فيمنون عليهم بخروجهم معهم وهم مسلمون ظاهرا فلا يمكنه منعهم وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت لما انصرف المشركون عنه صلى الله عليه وسلم خاف ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم ابو بكر والزبير زاد الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما وعمر وعثمان وعلي وعمار وطلحة وسعد وابن عوف وابو عبيدة وحذيفة وابن مسعود قال الحافظ ابن كثير والمشهور عند اهل المغازي ان الذين خرجوا الى حمراء الاسد كل من شهد احدا وكانوا

الينا فقال لهم خيرا وقال خلوا سبيلها يعني ناقته دعوها فانها مأمورة اي وفي رواية انها مأمورة خلوا سبيلها وهو يتبسم ويقول بارك الله عليكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة اي محلتهم اي والمراد القبيلة فسأله بنو بياضة اي ومنهم زياد بن لبيد وفروة ابن عمرو بمثل ما تقدم وأجابهم بانها مأمورة خلوا سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة أي ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وابو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك وأجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار عدي بن النجار وهم اخواله صلى الله عليه وسلم أي اخوال جده عبد المطلب كما تقدم أي بأوائل دورهم فسأله بنو عدي بن النجار اي أولئك الطائفة منهم بمثل ما تقدم اي وفي رواية انهم قالوا له نحن اخوالك هلم الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله اي زاد في رواية لا تجاوزنا ليس احد من قومنا اولى بك منا القرابتنا واجابهم بانها مأمورة فانطلقت حتى بركت في محل من محلات بني النجار وذلك في محل المسجد اي محل بابه او في محل المنبر الآن وذلك عند دار بني مالك بن النجار وعند باب ابي ايوب الانصاري اي واسمه خالد بن زيد النجار الانصاري الخزرجي شهد العقبة وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع علي بن ابي طالب من خاصته شهد معه الجمل وصفين والنهروان غزا ايام معاوية ارض الشام مع يزيد بن معاوية سنة خمسين وقيل احدى وخمسين فتوفي عند مدينة قسطنطينية فدفن هنالك وامر يزيد بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره حتى خفي اثر القبر خوفا ان تنبشه الكفار فكان المشركون اذا أمحلوا كشفوا عن قبره فيمطروا فلم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت الى مبركها فبركت فيه وتجلجلت اي بالجيم تضعضعت ووضعت جرانها أي باطن عنقها من المذبح الى المنحر وازرمت اي صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال رب أنزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين اي قال ذلك اربع مرات واخذه صلى الله عليه وسلم الذي كان يأخذه عند الوحي اي وسري عنه وقال هذا ان شاء الله يكون المنزل اي وامر ان يحط رحله وفي لفظ ان ابا ايوب قال له أتأذن لي ان انقل رحلك فأذن له واحتمل ابو ايوب رحله فوضعه في بيته اي وجاء اسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده اي وذكر بعضهم ان ابا ايوب لما نقل رحله اناخ الناقة في منزله وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اسعد اخذ بزمامها بعد ذلك فكانت عنده اي وعن

اتى ابو ب رضى الله تعالى عنه لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اقترعت الانصار أيهم يأويه فقرعهم الحديث وقد يقال مراده بالانصار اهل تلك المحلة التى بركت فيها الناقة (وذكر السهيلى) انها لما ألقت جرانها فى دار بنى النجار اى فى محل من محلاتها جعل رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر اى وكان من صالحى المسلمين ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل فى دار بنى سلمة فلم تفعل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة وجد فى نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع أسرجوا لى حمارى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخيه سهل فقال اتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم اوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره فحل عنه وفى رواية قال له اجلس ألا ترضى ان سماك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاربع الدور التى سمى فمن ترك فلم يسم اكثر ممن سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بنى النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بنى النجار * يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتحببننى وفى رواية أتحبوننى قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم ان قلبى يحبكن وفى رواية والله أحبكم وفى رواية وأنا والله أحبكم وأنا والله أحبكم وأنا والله أحبكم قال ذلك ثلاثا وهذا دليل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس ويدل لذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس مرفوعا ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين وجاءت جارية يقال لها سيرين معها مزهر تختلف به بين القوم وهى تغنيهم وتقول

هل على ويحكم * ان لهوت من حرج

فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج ان شاء الله تعالى وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان من جوارى الانصار يغنيان وفى رواية يضربان بدفين فاضطجع صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فانتهرنى فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما وفى رواية قال أبو بكر بمزمور وفى رواية بمزمار وفى لفظ بمزمارة الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك مرتين وانتهرنى وكان صلى الله

سبعمائة قتل منهم سبعون وبقى الباقون قال العلامة الشامى فى سيرته والظاهر انه لا تخالف بين قولى عائشة وأصحاب المغازى لان معنى قولها فانتدب منهم سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وانما خرج صلى الله عليه وسلم مرهبا للمشركين لما بلغه انهم يريدون العود فخرج لارهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ولم يشتغلوا بمداواة جراحاتهم مع أن منهم من كان به بضع وسبعون جراحة (وذكر ابن سعد) انه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الاسد ولهم زجل ويأتمرون بالرجوع وصفوان ينهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضى صلى الله عليه وسلم بأصحابه ودليله ثابت بن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج حتى عسكر بحمراء الاسد فوجد الرجلين فدفنهما وروى النسائى والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ارجعوا فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين فانتدبوا للخروج بهم حتى بلغ حمراء الاسد أو بئر أبى عتبة فأنزل الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم وخرج صلى

الله عليه وسلم وهو مجروح وفى وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة وشفته السفلى مشقوقة وركبتاه مجروحتان من وقعة الحفيرة واقيه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فقال له يا طلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى به وبه بضع وسبعون جراحة منها سبعة بصدره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا طلحة أين تظن القوم فقال بالسيالة فقال صلى الله عليه

وسلم ذلك الذى ظننت أما انهم ياطلحة ان ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة وقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا ابن
الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن ولما وصل صلى الله عليه وسلم حمراء الاسد أقام بها الاثنين والثلاثاء
والاربعاء وكان المسلمون يوقدون تلك الليالى ٨٢ خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم
ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله
بذلك عدوهم وكان اللواء فى هذه
الغزوة بيد على بن أبى طالب
رضى الله عنه (واستعمل) صلى
الله عليه وسلم على المدينة ابن أم
مكتوم قال ابن اسحق ان النبى
صلى الله عليه وسلم لقى بحمراء
الاسد معبد بن أبى معبد الخزاعى
وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد
رضى الله عنه وكان بنو خزاعة
عيبة نصح للنبى صلى الله عليه
وسلم مسلمهم وكافرهم كلهم
يحبونه صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك
فى نفسك وما أصابك فى أصحابك
ولوددنا أن الله أعلى كعبك وأن
المصيبة كانت بغيرك ثم مضى
حتى أتى أبا سفيان وأصحابه وهم
بالروحاء وقد أجمعوا على الرجوع
وقالوا أصبنا فى أحد أصحاب محمد
وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل
أن نستأصلهم لنكرن عليهم
فلنفرغن منهم فلما رأى أبو
سفيان معبدا قال ما وراءك قال
محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى
جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم
تحرقا قد اجتمع معه من كان
تخلف عنه فى يومكم وندموا على
ماصنعوا وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال ويلك ماتقول قال ما أرى ان ترتحل حتى ترى نواصى الخيل (ونقل)
قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك فثنوا رعبا من ذلك ورجعوا الى مكة وروى ابن جرير
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب بعد الذى كان منه يوم أحد فرجع الى مكة وقال صلى

عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف فقال دعهما
يا أبا بكر فانها أيام عيد أى لان تلك كانت أيام منى وقيل كان يوم عيد الفطر وقيل الاضحى
ولا مانع من تعدد الواقعة (أقول) فى البخارى عن الربيع بنت معوذ أنه صلى الله عليه وسلم
دخل عليها غداة بنى عليها وعندها جويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم
بدر حتى قالت جارية وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم لا تقولى هكذا
وقولى ما كنت تقولين وفى حديث أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى بعض
مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يارسول الله انى كنت نذرت ان ردك الله
سالما ان أضرب بين يديك بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربى فجعلت تضرب فدخل
أبو بكر وهى تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال النبى صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان ليفرق منك يا عمر انى كنت جالسا وهى تضرب ودخل ابو بكر وهى
تضرب فلما دخلت انت ألقت الدف أى واذا كان الشيطان يخاف منك فما بالك بامرأة
ضعيفة العقل ولا ينافى هذا اى سماعه الغناء من المرأة مع الضرب على الدف ما تقدم
فى باب ما حفظ به صلى الله عليه وسلم فى صغره من أمر الجاهلية لان الدف ثم كان معه
مزمار بخلافه هنا وتسمية أبى بكر رضى الله تعالى عنه الدف مزمارا لانه كان يعتقد حرمة
ذلك فشبهه بالمزمار المحرم سماعه (قال بعضهم) واعلم أن السماع فى طريق القوم معروف
وفى الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقال بعض آخر انه من اكبر مصايد النفوس
اى والرجوع بها الى الله تعالى وقد شوهد تأثير السماع فى الحيوانات غير الناطقة بل فى
الاشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غليظ الطبع وعن أبى بشر ان النبى صلى
الله عليه وسلم وأبا بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون ويقولون

يا أيها الضيف المعرج طارقا * لولا مررت بآل عبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من جهد ومن اقتار

أى ولم ينكر عليهم وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن التكسر فقد صحت
الاخبار وتواترت الآثار بانشاد الاشعار بين يديه صلى الله عليه وسلم بالاصوات الطيبة
مع الدف وبغيره وبذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف ولو فيه جلاجل لما هو
سبب لاظهار السرور وعلى جواز انشاد الشعر واستماعه حيث خلا عن هجو او غير نحو
فاسق متجاهر بفسقه وخلا عن تشبب بمعين من امرأة أو غلام والخلاف انما هو فى سماع
الملاهى كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع صوت المرأة أو الامرد الجميل

(ونقل) عن الجنيد انه قال الناس في السماع أي سماع الآلات على ثلاثة اضرب العوام وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول مجاهداتهم والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه أبو طالب المكي وصححه السهروردي في عوارف المعارف وفي كلام بعضهم جبلت النفوس حتى غير العاقلة على الاصغاء الى ما يحسن من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على رأس داود عليه الصلاة والسلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة عن صفوان بن أمية وهو من المؤلفة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء عمرو بن قرة فقال يارسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا أنال الرزق الا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت أي عدو الله اي يا عدو الله والله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله أما انك لو قلت بعد كهذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا الا ان يقال هذا النهي ان صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه تنزيها وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم الله عليك الى آخره للمبالغة في التنفير عن ذلك (ونزل صلى الله عليه وسلم) على ابي ايوب وقال المرء مع رحله أي بعد ان قال اي بيوت أهلنا يعني أهل تلك المحلة من بني النجار أقرب فقال أبو أيوب داري هذه وقد حططنا رحلك فيها فذهبت تلك الكلمة أي التي هي المرء مع رحله مثلا وقال اذهب فهيئ لنا مقيلا فذهب فهيأ ذلك ثم جاء فقال يا نبي الله قد هيأت مقيلا فقم على بركة الله تعالى ونزل معه صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه (أقول) وفي رواية فتنازع القوم أيهم ينزل عليه اي كل يحرص على ان تكون داره له منزلا اي مقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لا كرمهم بذلك فلما أصبح غدا لحيث أمر وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة اي غد تلك الليلة ولا يخالف هذا ما قبله من قول بني النجار هلم الينا وقوله لهم انها مأمورة لجواز ان يكون أمر بالنزول عليهم واعلم ان خصوص البقعة والمحلة من محلات بني النجار التي ينزل بها من دارهم ما تبرك به الناقة وفيه انه يبعد مع ذلك أي مع قوله المذكور اي انه ينزل على بني النجار سؤال غير بني النجار في النزول عنده الا ان يقال لعل السائلين له صلى الله عليه وسلم في ذلك لم يبلغهم قوله المذكور أو جوزوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له في ذلك رأي وقد أشار الى نزوله صلى الله عليه وسلم على بني النجار الامام السبكي في تائيته بقوله

الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقذف الله في قلبه الرعب (ثم رجع صلى الله عليه وسلم) بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ووصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر صلى الله عليه وسلم عند رجوعه الى المدينة بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان ابو أمه عائشة فأمر بقتله وحاصل قصته انه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت ام كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال أرسلي اليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان رضي الله عنه فلما نظر اليه قال أهلكتني وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بي منك رحما فأجرني فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله وجعله في ناحية ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه فأشارت اليهم ام كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان بعد ان علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك فأخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضي الله عنه والذي بعثك بالحق ما جئت الا لآخذ له أمانا فهبه لي فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم أنه ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فأقام معاوية ثلاثا ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتي بها قريشا فلما كان في اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فقال صلى الله عليه وسلم انكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه فأدركه زيد بن حارثة وعمار رضي الله عنهما فقتلاه وقيل انما

نزلت على قوم بأيمن طائر * لانك ميمون السنا والنقيبة
فيا لبني النجار من شرف به * يجرون أذيال المعالي الشريفة

وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم المذكور كان في آخر ليلة وهو في قباء وهو يرد قول بعضهم يشبه أن يكون ذلك في أول قدومه صلى الله عليه وسلم من مكة قبل نزوله قباء لا في قدومه باطن المدينة فالمراد بأهل المدينة أهل قباء ويرد قول سبط ابن الجوزي لعله نزل على بني النجار ليلة انتهى أي تلك الليلة ثم ارتحل الى بني عمرو بن عوف أي في قباء هذا وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم ارسل الى ملا من بني النجار فجاؤا متقلدين سيوفهم قال أنس فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر رديفه وملا من بني النجار حوله حتى أناخ بفناء أبي أيوب وهذه الرواية وقع فيها اختصار كبير ويقال انه صلى الله عليه وسلم عرج على عبد الله بن أبي ابن سلول وكان جالسا محتبيا وأراد النزول عليه فقال له اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يارسول الله لا تجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه (وقد وقع له في بعض الايام) انه صلى الله عليه وسلم قيل له يارسول الله لو أتيت عبد الله بن أبي ابن سلول أي متألفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ماعنده من النفاق فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما كذا في البخاري وفيه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابن أبي ابن سلول وهو في جماعة فقال ابن أبي لقد عثا ابن أبي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضي الله تعالى عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه برأسه فقال له صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر أباك وكان أبي جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعني بقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الآية ولكونه متبوعا جيء فيه بصيغة الجمع وعن الزهري أخبرني عروة بن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف واردف أسامة وراءه يعود سعد بن عبادة في بني

قتلاه بعد ان جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بضرب عنقه صبرا بأن أوثقوه حتى أمر بقتله وفي سيرة ابن هشام وظفر صلى الله عليه وسلم بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وكان قد اسره ببدر ثم من عليه من غير فداء لاجل بناته وكان شاعرا يشتغل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهجاء أصحابه ويستنفر الناس للقتال وكان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر على أن لا يعود الى شيء من ذلك فلما من عليه وأطلقه رجع الى مكة ونقض العهد واشتغل بما كان مشتغلا به قبل من السب والهجاء فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون بحمراء الاسد نزل معهم ثم ساروا وتركوه نائما فأدركه المسلمون وأسروه وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه فلما ظفر به صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله أقلني وامنن علي ودعني لبناتي وأعاهدك أن لا أعود فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وفي رواية تمسح لحيتك بالحجر تقول خدعت محمدا وفي لفظ سحرت محمدا مرتين ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يازبير وفي رواية ياعاصم بن ثابت فضربت عنقه وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم قيل ولما قتل حملت رأسه على رمح الى المدينة وهي أول رأس حملت في الاسلام الى المدينة اى على رمح فلا ينافي أن أول رأس حملت رأس كعب بن الاشرف فلا تعارض (قال بعضهم) في معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغي للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم (وفي هذه السنة) كانت ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما وهي سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان وحملت فاطمة رضي الله عنها بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن

الحرث

الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل
ان يسلم عبد الله بن أبى ابن سلول فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة
الاوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فثار غبار من مشى الحمار فخمر ابن أبى
أنفه برداته ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم
الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال ابن ابى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا
تؤذينا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة
بلى يارسول الله فاغشانا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا
يتبادرون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب رسول الله
صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياسعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعنى ابن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يارسول الله
اعف عنه واصفح فوالله الذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى أنزل عليك وقد
اصطلح أهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذى اعطاك الله
شرق فذلك الذى فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم
(ومكث) صلى الله عليه وسلم ببيت أبى أيوب الى ان بنى المسجد وبعض مساكنه وقد مكث
فى بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة اى وذلك اثنا عشر شهرا
وقيل مكث ببيت ابى أيوب سبعة أشهر قال ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى
عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون اى غالبهم أخذا مما يأتى فتنافس فيهم الانصار
ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من
الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون فى دور الانصار وأموالهم انتهى وكان من جملة
محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابى امامة أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه
وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه بناه فى بعض مربد للغلامين سهل وسهيل اى يجفف فيه التمر
ويرادف المربد الجرين والمسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع أو التمر للتجفيف وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى ذلك المسجد قال فعن أم زيد بن ثابت انها قالت
رأيت أسعد بن زرارة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يصلى بالناس
الصلوات الخمس ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل قالت فكانى أنظر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم وصلى بهم فى ذلك المسجد وبناه أى مع ادخال بقية
ذلك المربد فهو مسجده وحينئذ لا يخالف ذلك قول الحافظ الدمياطى عن الزهرى قال

على رضى الله عنهما وفى هذه السنة ايضا حرمت الخمر فى شوال بعد وقعة أحد *(سرية أبى سلمة)* عبد الله بن عبد الاسد
ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى قطن
بفتح القاف والطاء وبالنون جبل بناحية فيد بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره وهو اسم ماء لبنى أسد
بنجد بعث صلى الله عليه وسلم أبا
سلمة ومعه مائة وخمسون رجلا
من المهاجرين والانصار منهم
أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير
وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابنى
خويلد الاسديين وسبب ذلك
انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهما
يدعوان قومهما ومن أطاعهما
لحربه صلى الله عليه وسلم فنهاهم
قيس بن الحرث فلم ينتهوا فدعا
صلى الله عليه وسلم أبا سلمة وعقد له
لواء وقال سر حتى تنزل أرض
بنى أسد بن خزيمة فاغر عليهم
فخرج فأسرع السير حتى انتهى
الى أدنى قطن فأغار على سرح
لهم مع رعاء لهم مماليك ثلاثة
وأفلت الباقون وتفرقوا فى كل
وجه وفى رواية نذروا وهربوا
عن منازلهم ووجد أبو سلمة ابلا
وشاء فأغار عليها ولم يلق كيدا
أى حربا وفى رواية فعسكر به
اى بقطن وتفرق قومه ثلاث
فرق فرقة قامت معه وفرقتان
أغارتا فى ناحيتين فرجعتا اليه
سالمتين وقد أصابتا نعما وشاء
فانحدر بها أبو سلمة الى المدينة
وأخرج منها صفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبدا وأعطى الوليد
ابن زيد الطائى وهو الدليل ما رضى به ثم خمسها وقسم الباقى على أهل السرية فبلغ سهم كل واحد سبع بعير وأغناما ومدة
غيبته فى تلك السرية عشرة أيام والله أعلم *(سرية عبد الله)* بن أنيس رضى الله عنه الجهنى السلمى الانصارى بعثه صلى
الله عليه وسلم وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح

الهذلى ثم اللحيانى وكان بعرنة موضع قريب من عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فقال اعبد الله ائته فاقتله فقال صفه لى يارسول الله حتى أعرفه قال اذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال فقلت يارسول الله ٨٦ مافرقت من شئ قط فقال آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته أن اقول فقال قل مابدالك وقال انتسب لخزاعة فأخذت سيفى وخرجت أعتزى لخزاعة فلما وصلت اليه بعرنة لقيته يمشى ووراءه الاحابيش فهبته وعرفته بنعت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت صدق الله وصدق رسوله وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشى وأومئ برأسى ايماء ثم دنوت منه فقال ممن الرجل قلت من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك قال أجل انى فى الجمع له فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثى فقلت له عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه احلامهم قال انه لم يلق أحدا يشبهنى ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهد الارض حتى انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه الى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه قال اجلس قال فجلست معه حتى اذا نام الناس اغتررته وقتلته وفى رواية انه قال مشيت معه حتى اذا أمكننى حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلا ودخلت غارا وأقبل الطلب وأنا كامن فى الغار وضربت العنكبوت على الغار وأقبل رجل معه اداوة ضخمة ونعلاه فى يده وكنت حافيا فوضع اداوته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ثم قال لاصحابه ليس أحد فى الغار فانصرفوا راجعين فخرجت فشربت مافى الاداوة ولبست النعلين ولم يرنى أحد فطلبهما صاحبهما

بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وكان مربدا لسهل وسهيل وكان جدارا مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان اسعد بن زرارة بناه وكان يصلى بأصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صار يصلى فيه وفى الامتاع كان اسعد بن زرارة بنى فيه جدارا اتجاه بيت المقدس كان يصلى اليه بمن أسلم قبل قدوم مصعب بن عمير ثم صلى بهم اليه مصعب هذا كلامه وتعلم مافيه لما قدمناه فى قدوم مصعب المدينة لكن فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى مرابض الغنم قبل ان يبنى المسجد أى ولعله اتفق له ذلك فى بعض الاوقات لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلى حيث ادركته الصلاة ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سأل أسعد بن زرارة أن يبيعه تلك البقعة التى كان من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا فانها كانت فى يده ليتيمين فى حجره وهما سهل وسهيل وقيل كانا فى حجر معاذ بن عفراء قال فى الاصل وهو الاشهر وفى المواهب أن الاول هو المرجح واليتيمان المذكوران من بنى مالك بن النجار وقيل كانا فى حجر ابى أيوب الانصارى قال بعضهم والظاهر ان الكل اى من أسعد ومعاذ وأبى أيوب كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم بنو عم فنسبا الى حجر كل (وقد عرض ابو ايوب عليه) صلى الله عليه وسلم أن يأخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين قيمتها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال أبى بكر أى وفى رواية فدعا الغلامين فساومهما بالمربد فقالا نهبه لك يارسول الله فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وأمر أبا بكر ان يعطيهما ذلك اى وحينئذ يكون وصفهما باليتم باعتبار ما كان وفى رواية ارسل صلى الله عليه وسلم الى ملا من بنى النجار ولعلهم من تقدم وهم اسعد ومعاذ وأبو ايوب ومعهم سهل وسهيل فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال لهم ثامنونى بحائطكم هذا اى خذوا منى ثمنه قالوا لا يارسول الله والله لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ان يأخذه الا بالثمن قال وجاء ان اسعد بن زرارة عوض اليتيمين من تلك الارض نخلا أى له فى بنى بياضة وقيل ارضاهما فيها ابو ايوب وقيل معاذ بن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من اسعد وأبى أيوب ومعاذ بن عفراء دفع للغلامين شيأ اى زيادة على العشرة دنانير فنسب ذلك لكل منهم وجاء انه كان فى تلك الارض قبور جاهلية فأمر بها صلى الله عليه وسلم فنبشت وأمر بالعظام فألقيت انتهى اى وفى رواية وأمر بالعظام ان تغيب أى وفى رواية كان فى موضع المسجد نخل

بعد ذلك فلم يجدهما فرجع الى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفا من الطلب ان يدركني حتى قدمت المدينة فوجدته صلى الله عليه وسلم بالمسجد فقال صلى الله عليه وسلم أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يارسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري فدفع الى عصا وقال تخصر بها في الجنة فان المتخصرين في الجنة قليل فكانت العصا عنده حتى اذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها في أكفانه ففعلوا والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم قال موسى بن عقبة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتل عبد الله بن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبد الله بن أنيس رضي الله عنه والله أعلم

(بعث الرجيع)

وهي سرية عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه وكان رضي الله عنه من السابقين الى الاسلام روى الحسن بن سفيان قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله عليه وسلم لمن عنده كيف تقاتلون فقام عاصم ابن ثابت رضي الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال اذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة اى الملاعبة بالرماح حتى تتقصف فاذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم وشهد رضي الله عنه العقبة وبدرا وأحدا وكان بعثه في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة فيكون في أول السنة الرابعة والرجيع اسم ماء لهذيل بن مدركة بن الياس بين مكة وعسفان وانما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لان الوقعة كانت بالقرب منه وسبب هذا أن بني لحيان من هذيل بعد قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي مشوا الى عضل والقارة

نخل وخرب اى حفر ومقابر للمشركين فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت اى وفي سيرة الحافظ الدمياطي فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذي في الحديقة اى وهي تلك الارض التي كانت مربدا اى وسمي حديقة لوجود النخل به وأمر بالغرقد الذي فيه أن يقطع اى والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه لا يدل على اليهودي اذا توارى به عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله للدجال وجنده من اليهود فاذا توارى اليهودي بشجرة نادته يا روح الله ههنا يهودي فيأتي حتى يقف عليه فاما أن يسلم واما أن يقتل الا شجر الغرقد فانه لا يدل على اليهودي اذا توارى به فقيل له شجر اليهود لذلك قال وكان في المربد ماء مستنجل فسيروه حتى ذهب والمستنجل الذي ينشع ويظهر من الارض (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني به المسجد وجاء أنه صلى الله عليه وسلم عند الشروع في البناء وضع لبنة ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة اى بجانب لبنته صلى الله عليه وسلم ثم دعا عمر فوضع لبنة بجانب لبنة أبي بكر ثم جاء عثمان فوضع لبنة بجانب لبنة عمر اى وقد أخرج ابن حبان لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البناء حجرا وقال لابي بكر ضع حجرك الى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر أبي بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدي قال أبو زرعة اسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة الامر بعدي قال ابن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ماذكر اى ضع حجرك الى جنب حجر عمر يرد على من زعم أن هذا منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى قبورهم اى اذ لو كان اشارة الى ذلك لدفن عثمان بجانب عمر كما دفن عمر بجانب أبي بكر بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة اى لانه لا يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدي الا ذلك ومن ثم جاء في رواية فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أمر الخلافة من بعدي وتصحيح الحاكم لما ذكر يظهر التوقف في قول بعضهم ان هذا لم يجئ في الصحيح الا أن يريد صحيح الشيخين وأما قوله قال البخاري في تاريخه ان ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر وعثمان وعليا قالوا لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم فقد يقال عليه معناه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند موته وذلك لا ينافي الاشارة الى وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافيه قوله هؤلاء الخلفاء بعدي لجواز أن يراد الخلافة في العلم ثم رأيت ابن حجر

وهما قبيلتان من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة فجعلوا لهم ابلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام ٨٨ وقيل انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يبعث عيونا الى مكة ليأتوه بخبر قريش فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث معهم ستة من أصحابه للامرين جميعا وهم عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخبيب بن عدى الاوسى البدرى وزيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة وعبد الله ابن طارق وخالد بن البكير وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف وأمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبى مرثد فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتالهم فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتى رجل فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا انا والله لانريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لانقتلكم وقالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ويأخذوا فى مقابلتهم مالا لعلمهم انه لاشئ أحب الى قريش من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد فأبوا أن يقبلوا منهم فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لانقبل من مشرك عهدا وفى وقاتلوا حتى قتلوا رضى الله عنهم وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا جبلا ورغبوا فى الحياة وفى رواية انهم لما نزلوا بالرجيع أكلوا تمر عجوة فسقط نواه فى الارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار لانهم لقلتهم غير آمنين من عدوهم

الهيتمى أشار الى ذلك حيث قال قلت هذا أى وضع تلك الاحجار وقوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدى مع احتماله للخلافة فى العلم والارشاد متقدم على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن نصا سالما من المعارض هذا كلامه ثم قال للناس ضعوا أى الحجارة فوضعوا أورفع بالحجارة اى قريب من ثلاثة أذرع وبنى باللبن وجعل عضادتيه أى جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد وجعلت عمده وفى رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة اى كان ارتفاعه قدر قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف انتهى اى فالمراد جعلوا سقفه يكون بحيث اذا قمت أصاب رأسى السقف أورفعت يدى أصابت السقف والجمع بين هاتين الروايتين يدل على أن المراد ماهو قريب من ذلك بحيث لايكون كثير الارتفاع فلا ينافى ما يأتى من أمره بجعل ارتفاعه سبعة أذرع فليتأمل وفى سيرة الحافظ الدمياطى فقيل له ألاتسقف فقال عريش كعريش موسى خشبات وثمام اى وقيل للحسن ماعريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العرش يعنى السقف وفى رواية لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد قال قيل لى اى قال له جبريل عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع طولا فى السماء أى وكان سبعة أذرع بحيث يصيب رأسه ولا تزخرفه ثم الامر أعجل من ذلك اى وفيه أن هذا يقتضى أن موسى كان طوله سبعة أذرع وهو يخالف ما اشتهر ان قامة موسى كانت أربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته كذلك وقد جاء ماأمرت بتشييد المساجد اى وأول قوله ذلك كان لما جمع الانصار مالا وجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ابن هذا المسجد وزينه الى متى نصلى تحت هذا الجريد وجاء لاتقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد وجاء من اشراط الساعة أن يتباهى الناس فى المساجد أى تزخرفها كما تزخرف اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم ولم يكن على السقف كبير طين اذ كان المطر يكف اى ينزل منه ماء المطر المخالط للطين عليهم بحيث يمتلئ أى المسجد طينا فقالوا يارسول الله لو أمرت فطين اى جعل عليه طين كثير بحيث لاينزل عليه المطر فقال لاعريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند بنائه عمل فيه المسلمون المهاجرون والانصار وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل فيه قال فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن أى فى ثيابه

وفى روايه فى ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

اى هذا المحمول من اللبن أبر وأطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب فالحمال بالحاء المهملة بمعنى المحمول ووقع فى روايه بالجيم جمع جمل قال بعضهم وله وجه والاول أظهر ولا يحسن هذا الوجه الا اذا كانت جمال خيبر أنفس من جمال غيرها وصار يقول

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قال البلاذرى وهذا القول لامرأة من الانصار وتمامه

وعافهم من حر نار ساعره * فانها للكافر وكافره

والذى فى البخارى فاغفر للانصار والمهاجره ولعله صلى الله عليه وسلم هو الذى أخرجه عن الوزن كما هو عادته فى انشاد الشعر كما سيأتى وفى لفظ فأصلح وفى لفظ فأكرم وفى روايه اللهم لا خير الا خير الآخره فارحم المهاجرين والاناصره وفى روايه فانصر الانصار والمهاجره وعن الزهرى انه كان يقول اللهم لا خير الا خير الآخره فارحم المهاجرين والانصار لانه كان لا يقيم الشعر أى لا يأتى به موزونا ولو متمثلا وفيه انه مع قوله اللهم ان الاجر الى آخره لا يكون شعرا موزونا الا ان حذف أل من اللهم وقال لاهم وكسر همزة فارحم وحينئذ تكون المرأة من الانصار انما نطقت بذلك أى قالت لاهم الى آخره وهو صلى الله عليه وسلم هو الذى غيره ونقل عن الزهرى انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم أقف على قائله وسيأتى عن الزهرى انه من انشائه صلى الله عليه وسلم وسيأتى ما فيه وفى كلام بعضهم قال ابن شهاب يعنى الزهرى لم يبلغنا فى الاحاديث أنه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام اى موزون الا هذه الابيات قال ابن عائذ اى التى كان يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد اى وفيه ان هذا مخالف لما تقدم عن الزهرى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا الا قوله هذا الحمال فلا يحسن أن يفسر كلامه بذلك على انه تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم جعل يدور بين قتلى بدر و يقول

نفلق هاما من رجال اعزة * علينا وهم كانوا اعق وأظلما

وفى المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده اى ولذلك جاء ما أبالى ما أوتيت ان أنا قلت الشعر من قبل نفسى وفى الكشاف وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ولا دليل على منع انشاده اى الشعر موزونا متمثلا (اقول)

من قريش وهذيل خصوصا وذلك قرب وقعة احد وقتل سفيان بن خالد الهذلى فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنما فرأت النوى فانكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها وقالت قد أتيتم من قبل العدو فجاؤا فى طلبهم حين اخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل فاحاطوا بهم وقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا أن لا نقتل منكم رجلا فنزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وقال عاصم ابن ثابت رضى الله عنه أيها القوم اما انا فلا أنزل فى ذمة كافر ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبرهم يوم اصيبوا فحين امتنعوا من النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم عاصم بنبله حتى فنى وكان عنده سبعة اسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره اى عن أن يمثلوا به بعد القتل فقتلوا عاصما واطلقوا اوتار قسيهم فربطوا بها خبيب بن عدى وزيد ابن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق هذا اول الغدر لا اصحبكم ان لى بهؤلاء يعنى القتلى اسوة فجردوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وقيل مشى معهم حتى اذا كانوا بمر الظهران جذب يده واخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد ابن الدثنة حتى باعوهما بمكة باعهما جامع وزهير الهذليان باسيرين من هذيل بمكة وقيل انهم باعوا خبيبا بامة سوداء والذى اشتراه بنو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لان خبيبا هو الذى قتل عامر بن نوفل يوم بدر وبنو الحرث هؤلاء الذين اشتروه هم عقبة وأبو سروعة واخوهم الامهما حجير بن أبى اهاب حليف بنى نوفل وقد اسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبى صلى الله

عليه وسلم ورضى عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وقتل زيدا بابيه امية وكان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى خرجت الاشهر الحرم فقتلوا زيدا واما خبيب فكذلك مكث اسيرا حتى خرجت الاشهر الحرم ثم اجمعوا على قتله وكانوا فى اول الامر أساؤا اليه فى حبسه فقال لهم مايصنع القوم الكرام هكذا باسيرهم فاحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهى ماوية مولاة حجير وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد اسلم هو وزوجه ماويه بعد ذلك رضى الله عنهما روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال قال لى خبيب وكانوا جعلوه عندى ياموهب اطلب اليك ثلاثا أن تسقينى العذب وان تجنبنى ماذبح على النصب وان تعلمنى اذا ارادوا قتلى وقالت ماويه زوج موهب كان خبيب رضى الله عنه يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه فقلت له هل لك من حاجة قال لا الا أن تسقينى العذب ولا تطعمنى ماذبح على النصب وتخبرينى اذا أرادوا قتلى فلما ارادوا ذلك اخبرته فوالله ما اكترث بذلك وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحرث موسى ليستحد به اى يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل عليه الصغير فاجلسه على فخذه والموسى بيده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها اتخشين أن اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله ما كنت لاغدر قالت زينب والله مارأيت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا اى عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب وروت ماويه ايضا مثل ذلك وقالت وما اعلم فى الارض حبة عنب وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا قال فى المواهب وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه صلى الله

والجمل

نقل الحافظ الدمياطى عن الزهرى انه كان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ من الشعر الا ما قد قيل قبله الا قوله

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا ابر ربنا واطهر

اى فانه من قوله وهو يخالف ما تقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهرى المذكورة شئ والاصل انه لم يقل شيأ من الشعر الا ما قد قيل قبله ولم يقل ما قبله تاما اى موزونا الا قوله هذا الحمال الى آخره فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه كان لا يقيم الشعر اى لا يأتى به موزونا ولو متمثلا هو المنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها فقد قيل لها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى بشئ من الشعر فقالت كان أبغض الحديث اليه الشعر غير أنه كان يتمثل يجعل اوله آخره وآخره اوله اى غالبا كان يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار ويقول كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا اى وذلك قول سحيم بمهملة مصغرا عبد بنى الحسحاس شاعر مشهور مخضرم * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * ولما غير ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضى الله تعالى عنه انما قال الشاعر كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر (ولما سمع) رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سحيم

الحمد لله حمدا لا انقطاع له * فليس احسانه عنا بمقطوع

قال احسن وصدق وقول الصديق اشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يجرى الشعر على لسانه موزونا وقد قيل له صلى الله عليه وسلم من أشعر الناس قال الذى يقول

الم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها وان لم تطيب طيبا

الاصل وجدت بها طيبا وان لم تطيب وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول له بأبى انت وأمى يارسول الله ما أنت بشاعر ولا راويه والمراد بكون الشعر أبغض اليه الاتيان به والا فقد كان يسمع الشعر كما تقدم ويستنشده فقد ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء أخت صخر لامه ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه ياخناس ويومئ بيده وقد قال بعضهم أجمع أهل العلم أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ومن شعرها فى أخيها المذكور

أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا

طويل النجاد عظيم الرماد * وساد عشيرته أمردا

عليه وسلم لتصحيح رسالته ثم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه خارجه فقال اتركونى أصلى فتركوه فصلى ركعتين قال موسى ابن عقبة صلاهما فى موضع مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ثم انصرف اليهم وقال لولا أن تروا أن مابى جزع من الموت لزدت وفى رواية لسجدت سجدتين أخريين ثم قال اللهم أحصهم عددا ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا اى متفرقين فلم يحل الحول ومنهم أحد حى وفى رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالارض خوفا من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حى غير ذلك الرجل الذى لبد فى الارض قيل ان ذلك الرجل هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فقد حكى ابن اسحق عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال كنت مع أبى اى حين قتلوا خبيبا فجعل أبى يلقينى الى الارض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه قال العلامة الزرقانى ان دعوة خبيب اصابت منهم من سبق فى علمه تعالى أن يموت كافرا وأما من سبق فى علمه أن يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه وعلامة استجابة دعوته أن من هلك منهم بعد الدعوة فانما هلك بددا لانهم قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم فى أحد وبدر لان الدعوة بعدهما فنفذت الدعوة على صورتها وفى رواية ان خبيبا رضى الله عنه قال اللهم انى لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه فجاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأخبر أصحابه بذلك وروى موسى بن عقبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم وهو جالس وعليك السلام خبيب قتلته قريش ثم أنشأ خبيب رضى الله عنه يقول

ولست أبالى حين أقتل مسلما * على أى شق كان لله مصرعى * وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

وللجلال السيوطى كتاب سماه نزهة الجلساء فى أشعار الخنساء وقولنا فى قول عائشة انه كان يتمثل بالشعر ويجعل أوله آخره أى غالبا حتى لا ينافى ماجاء عنها كان يتمثل بشعر ابن رواحة * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * وقولها ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد شعرا الا بيتا واحدا

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما * يقال لشئ كان الا تحققا

(وفى الخصائص الكبرى) قال المزنى ولم يبلغنى أنه صلى الله عليه وسلم أنشد بيتا تاما على رويه بل اما الصدر كقول لبيد * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * او العجز كقول طرفة ويأتيك بالاخبار من لم تزود * أى وفيه ما تقدم عن عائشة وكقوله وقد أنشده أعشى بنى مازن أبياتا فى ذم النساء آخر تلك الابيات * وهن شر غالب لمن غلب * فجعل صلى الله عليه وسلم يقول * وهن شر غالب لمن غلب * فان أنشد بيتا كاملا غيره أى غالبا لما تقدم كبيت العباس بن مرداس أى فانه صلى الله عليه وسلم قال يوما للعباس بن مرداس أرأيت قولك وفى لفظ أنت القائل * أصبح نهبى ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقيل له انما هو بين عيينة والاقرع فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الاقرع وعيينة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه بأبى أنت وأمى يارسول الله وفى لفظ أشهد أنك رسول الله ما أنت بشاعر ولا راويه ولا ينبغى لك انما قال بين عيينة والاقرع اى أنه لا ينبغى لك أن تكون شاعرا كما قال الله ولا ينبغى لك أن تكون راويا للشعر أى بأن تأتى به على وجهه اى لا يكون شأنك ذلك مباعدة عن الشعر وكون شأنه ذلك لا ينافى وجوده منه على وجهه فى بعض الاحيان فليتأمل (وعن بعضهم) ماجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط اى موزونا وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن المواهب لانه يجوز أن يكون هذا المنقول عن عائشة وعن المزنى وعن بعضهم كان اغلب احواله كما قدمناه فى المنقول عن عائشة ثم رأيته فى الامتاع اشار الى ذلك بقوله وربما انشد صلى الله عليه وسلم البيت المستقيم فى النادر وقول المواهب لا دليل على منع انشاده متمثلا اى دائما او ابدا او يدل لذلك قول الزهرى انه لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الجمال الى آخره وفيه ما علمت ولا يخفى ان الشعر عرف بانه كلام عربى موزون عن قصد قال البدر الدمياطى وقولنا عن قصد يخرج ما كان وزنه اتفاقيا كآيات شريفة اتفق جريان الوزن فيها اى من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكرها الجلال السيوطى فى نظمه للتلخيص وذلك كما فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكقوله تعالى وجفان كالجوابى وقدور

لقد جمع الاحزاب فيّ وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع * الى الله أشكو غربتي بعد كربتي * وما أرصد الاحزاب لي عند مصرعي

قال الزرقاني في شرح المواهب روى ان قريشا طلبوا جماعة ممن قتل آباؤهم وأقرباؤهم ببدر فاجتمع أربعون بأيديهم الرماح والحراب وقالوا لهم هذا الرجل قتل ٩٢ آباءكم فطعنوه بالرماح والحراب فتحرك على الخشبة فانقلب وجهه الى الكعبة فقال الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته فلم يستطع أحد أن يحوله وقد ذكر ابن اسحق زيادة في الشعر المتقدم وكذا الواقدي وغيره وهذا لفظهم

لقد جمع الاحزاب حولي وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدي العداوة جاهد * عليّ لأني في وثاق مضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتي ثم كربتي * وما أرصد الاحزاب لي عند مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناي من غير مجزع
ومابي حذار الموت اني لميت * ولكن حذاري جحم نار ملفع
والله ما أخشى اذا مت مسلما * على أي جنب كان في الله مضجعي
فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا اني الى الله مرجعي

قال الحافظ ابن حجر وفي هذا انشاد الشعر عند الموت وقوة نفس خبيب وشدة قوته في دينه وفي رواية قام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث ابن عامر فقتله وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان يقول ما أنا قتلت خبيبا لأني كنت صغيرا ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة وجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة فطعنه بها حتى قتله وكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة لأنه فعل ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به من

راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب وكلمات شريفة نبوية جاء الوزن فيها اتفاقيا غير مقصود كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم

هل انت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

اي بناء على تسليم انه من قوله صلى الله عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله ابن رواحة اي فان ذلك مذكور في ابيات قالها في غزوة مؤتة وقد صدمت اصبعه فدميت وذكر بدل في سبيل الله في كتاب الله ولا مانع ان يكون ابن رواحة ادخل ذلك البيت في تلك الابيات التي صنعها كما تقدم وفي كلام ابن دحية ولا يمر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان منهوك ومشطور فالمنهوك * انا النبي لا كذب * والمشطور * هل انت الا اصبع دميت * وقيل البيت الواحد لا يكون شعرا على أنه قيل ان الرجز ليس من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل أي فان الاخفش احتج على ان الرجز ليس بشعر رادا على الخليل ومن تبعه القائلين بأنه من الشعر حيث قال لاحتجن عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا لو كان شعرا ما جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا كلامه قال في النور والصحيح انه شعر أي موافقة للخليل وقد علمت ان ما جرى منه على لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعرا لعدم قصده فليتأمل وقد نقل الماوردي من أئمتنا انه كما يحرم عليه قول الشعر اي انشاؤه يحرم عليه روايته اي دون انشاده متمثلا وفرق بعضهم بين الانشاد والرواية بأن الرواية يقول قال فلان كذا واما انشاده متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه قال لما قيل له من اشعر الناس قال الذي يقول الى آخره وقال للعباس بن مرداس أنت القائل الى آخره قال ذلك البعض وكان الفرق بين الرواية والانشاد أن في قوله قال فلان فيه رفعة للقائل بسبب قوله وهذا متضمن لرفع شأن الشعر والمطلوب منه الاعراض عن الشعر من حيث كونه شعرا وفيه ان الصديق قال له عند كل من الرواية والانشاد لست براويه كما تقدم وعن الخليل كان الشعر احب اليه صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام اي وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان ابغض الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر لان المراد بالشعر الذي يحبه ما كان مشتملا على حكمة او وصف جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه ما كان مشتملا على ما فيه هجنة او هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه

وقبيحه كقبيح الكلام الشعر الحسن أحد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذا خفى عليكم شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب وفى كلام سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه نعم الابيات من الشعر يقدمها الرجل فى صدر حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها اللوم اللئيم والحاصل ان الحق الحقيق بالاعتماد وبه تجتمع الاقوال ان المحرم عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر اى الاتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله تعالى وما علمناه الشعر فان فرض وقوع كلام موزون منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه صلى الله عليه وسلم انه اذا انشد بيتا من الشعر متمثلا او مسندا لقائله لا يأتى به موزونا وربما يأتى به موزونا وادعى بعض الادباء انه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر اى يأتى به موزونا قصدا ولكنه كان لا يتعاطاه اى لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا اتم واكمل مما لو قلنا بانه كان لا يحسنه وفيه أن فى ذلك تكذيبا للقرآن (وفى التهذيب للبغوى) من أئمتنا قيل كان صلى الله عليه وسلم يحسن الشعر ولا يقوله والاصح أنه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون ثم رأيته فى ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا لنفسه وماله يعرض فى كلامه بان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له قال بعضهم والحكمة فى تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع ان الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر التخييل بتصور الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله تعالى نبيه عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب سمى اصحاب البرهان القياسات المؤدية فى اكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية وقد جاء التنفير عن انشاد الشعر فى المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رأيتموه ينشد شعرا فى المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاث مرات والاخذ بعمومه فيه من الحرج مالا يخفى وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال من قال آدم قد قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالاثم وان محمدا والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم فى النهى عن الشعر سواء وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له اعلم أن الشعر محل الاجمال واللغز والتورية اى

حمل العبد وعن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب أى طعنوه بها طعنا خفيفا وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما احب أن يفدينى بشوكة فى قدمه وقيل ان زيد ابن الدثنة قالوا له ذلك ايضا عند قتله فاجابهم بمثل ذلك فقال ابو سفيان رضى الله عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم بعد ان قتلوا خبيبا رضى الله عنه أبقوه على خشبته مصلوبا مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه فارسل صلى الله عليه وسلم الزبير ابن العوام والمقداد بن الاسود وفى رواية عمرو بن أمية الضمرى فأتوه فاذا هو رطب لم يتغير منه شئ بعد أربعين يوما فحمله الزبير على فرسه وسار فلحقهم سبعون من الكفار فقذفه الزبير فابتلعته الارض والذى أنزله من الخشبة عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه فقد روى الامام أحمد رضى الله عنه عن عمرو بن أمية قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدى عينا الى قريش فجئت خشبة خبيب بن عدى لانزله من الخشبة فصعدت خشبته ليلا فقطعت عنه وألقيته فسمعت وجبة خلفى فالتفت فلم ار خبيبا وكأنما ابتلعته الارض فلم أر له أثرا حتى الساعة ويمكن الجمع بأنه أرسله صلى الله عليه وسلم أولا ثم أرسل الزبير والمقداد فحين أنزله عن الخشبة كانا حاضرين فأخذه الزبير الى آخر ما تقدم وبعثت قريش فى طلب عاصم بن ثابت رضى الله عنه حين بلغهم انه قتل ليؤتوا بشئ من جسده يعرفونه به كرأسه لانه كان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر قال الحافظ ابن حجر ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن ابى معيط فان عاصما قتله على قول ابن اسحق صبرا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر وقيل الذى قتله هو على رضى الله عنه ولعلهما اشتركا فى ذلك فنسب الى كل منهما وجاء فى رواية ان عاصما

لما قتل أرادت هذيل اخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهى ام مسافع وجلاس ابنى طلحة العبدرى وكان عاصم قتلهما يوم احد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم احد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر فى قحفه وهو ما انفلق من الجمجمة وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة ٩٤ فمنعه منهم الدبر اى الزنابير بعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شئ منه وفى رواية للبخارى فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيأ وفى رواية فبعث الله عليهم الدبر تطير فى وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن يقطعوا فقالوا دعوه حتى يمسى فتذهب الدبر عنه فنأخذه فبعث الله سيلا فاحتمل عاصما فذهب به وفى رواية فاحتمله السيل فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وقيل ان الله حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى اخذه المسلمون فدفنوه وكان عاصم بن ثابت رضى الله عنه قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا بمصافحة ونحوها فاعطاه الله ذلك والمراد انه قوى رجاؤه فى الله فعاهده على ذلك او المراد انه عاهد الله أنه لا يمكن هو مشركا من مسه او المراد سأل الله ذلك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه فى حياته ففيه استجابة دعاء المسلم واكرامه حيا وميتا وانما استجاب الله له فى حمايه لحمه من المشركين لقوله اللهم انى حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره ولم يمنعهم من قتله لما اراد الله له من اكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته لا يستوى من هتك حرمته بقطع لحمه وفق ما طاب ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من حمزة ونحوه رضى الله عنهم لان المزية لا تقتضى الافضلية والله سبحانه وتعالى أعلم ¤ (سرية بئر معونة) ¤ وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجى رضى الله عنه الى اهل بئر معونة ليدعوهم

مارمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم شيأ ولا الغزنا ولا خاطبنا بشئ ونحن نريد شيأ آخر ولا اجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه واطال فى ذلك وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة اوائل السور ولعله رضى الله تعالى عنه لا يرى أن ذلك من المتشابه أو ان المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه والله اعلم (ولما رأته صلى الله عليه وسلم) الصحابة ينقل اللبن بنفسه دأبوا فى ذلك اى فى نقل اللبن اى وهو المراد بالصخر فى قول بعضهم وجعل اصحابه ينقلون الصخر او المراد الصخر الذى يبنى به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال قائلهم

لئن قعدنا والنبى يعمل ¤ لذاك منا العمل المضلل

وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن رأس عمار ويقول يا عمار الا تحمل كما يحمل اصحابك قال انى أريد الاجر من الله تعالى وفى رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال يا ابن سمية للناس اجر ولك اجران وآخر زادك اى من الدنيا شربة من لبن وجاء فى حق عمار بن سمية ما عرض عليه أمران قط الا اختار رضى الله عنه الارشد منهما اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة وتدعوك الى النار وعمار يقول اعوذ بالله وفى رواية بالرحمن من الفتن اى وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يستمر ينقل اللبن بل نقل ذلك فى بعض الاوقات وفى مسلم وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال اخبرنى من هو خير منى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر لعمار حين شغل بحفر الخندق فجعل يمسح رأس عمار ويقول ابن سمية تقتلك فئة باغية وفى رواية تعيين من ابهمه أبو سعيد وهو ابو قتادة وزاد فى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق وكان الناس يحملون لبنة لبنة أى من الحجارة التى تقطع وعمار ناقه من وجع كان به فجعل يحمل لبنتين قال لعمار بؤسا لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ثم رأيت بعضهم قال يشبه أن يكون ذكر الخندق وهما أو قالها عند بناء المسجد وقالها يوم الخندق هذا كلامه أى ويكون عمار بن ياسر فى الخندق قد صار يحمل الحجرين وكان فى بناء المسجد يحمل اللبنتين وكان عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه رجلا متنظفا اى مترفها فكان اذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان أصابه شئ من التراب نفضه فنظر اليه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأنشد يقول اى مباسطة مع عثمان ابن مظعون لا طعنا فيه

لا يستوى من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا
* ومن يرى عن التراب حائدا *

أى وكان عثمان هذا ممن بالغ من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى وذكر ابن اسحق قال سألت غير واحد من اهل العلم بالشعر عن هذا الرجز هل تمثل به على اوأنشأه فكل يقول لا ادرى فسمع ذلك الرجز عمار بن ياسر فصار يرتجز بذلك وهو لا يدرى من يعنى بذلك فمر يرتجز بذلك على عثمان فظن عثمان ان عمارا يقصد التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما أعرفنى بمن تعرض به لتكفن أو لاعترضن بهذه الحديدة لحديدة كانت معه وجهك وفى لفظ والله انى أرانى سأعرض هذه العصا بأنفك لعصا كانت فى يده فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب وقال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين عينى ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار قد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا ارضيه فقال يا رسول الله مالى ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلى فيحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين لبنتين أى وفى لفظ يحملون على اللبنتين والثلاث أى ولعله حمل ثلاث لبنات فى بعض الاوقات فأخذ بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة الشعر الذى جهة القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة أى الى سببها وهو اتباع الامام الحق لانه كان يدعو الى اتباع على وطاعته وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك ويدعونه الى النار اى الى سببها وهو عدم اتباع على وطاعته واتباع معاوية وطاعته وفيه ان تلك الفئة التى كان فيها قاتله كان فيها جمع من الصحابة وهم معذورون بالتأويل الذى ظهر لهم الا أن يقال يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده واطلاق البغى عليهم حينئذ باعتبار ذلك قال بعضهم وفئة معاوية وان كانت باغية لكنه بغى لا فسق فيه لانه انما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه انتهى أى وما زاده بعضهم فى الحديث لا أنالهم الله شفاعتى يوم القيامة قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى فى هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يقلها اذ لم تنقل عن يقبل وقال الامام أبو العباس بن تيمية وهذا كذب مزيد فى الحديث لم يروه أحد من أهل العلم باسناد معروف وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عمار جلدة ما بين عينى لا يعرف له اسناد والذى فى الصحيح تقتل عمارا الفئة الباغية وعن أبى العالية سمعت

الى الاسلام اومددا لهم و بئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وقيل هى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم كلا البلدين قريب منه وهو الى حرة بنى سليم اقرب قال الزرقانى والظاهر انه لا تنافى لجواز ان يكون ذلك الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان وبجواره أرض بنى عامر وحرة بنى سليم وكانت هذه السرية فى شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد وبعث صلى الله عليه وسلم مع المنذر المطلب السلمى رضى الله عنه ليدلهم على الطريق وكانت هذه السرية الى رعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور لنزولهم به وكان مع رعل بطن من بنى سليم ومع ذكوان بطن منهم ايضا وتعرف هذه السرية ايضا بسرية القراء وكان من امرها كما قاله ابن اسحق عن شيوخه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو براء عامر ابن مالك بن جعفر العامرى واختلف فى اسلامه وصحبته بعد ذلك قال الذهبى والصحيح انه لم يسلم ويعرف بملاعب الاسنة فعرض النبى صلى الله عليه وسلم عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وفى رواية انه أهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال صلى الله عليه وسلم لا اقبل هدية مشرك وعرض عليه الاسلام فقال يا محمد انى ارى امرك هذا حسنا شريفا وقومى خلفى فلو انك بعثت معى نفرا من اصحابك لرجوت أن يتبعوا امرك فانهم ان اتبعوك فما اعز امرك وفى رواية لو بعثت رجالا من أصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك لرجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام انى اخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار اى هم فى ذمامى وعهدى وجوارى فابعثهم فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر ابن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون قال قتادة كانوا رضى الله عنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل زاد ثابت

البنانى عن انس رضى الله عنه وكانوا يشترون الطعام لاهل الصفة ويأتون به الى حجر أزواجه صلى الله عليه وسلم ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان اخا ام سليم خال انس بن مالك رضى الله عنه بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل ٩٦ بن مالك بن جعفر الكلابى العامرى وهو ابن اخى أبى براء ومات كافرا بالاجماع وليس هو عامر بن طفيل الاسلمى الصحابى رضى الله عنه فلما أتى حرام بن ملحان الى عامر بن الطفيل لم ينظر فى كتابه بل استمر فى طغيانه حتى عدا على الرجل فقتله وفى رواية الطبرى فخرج حرام فقال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله اليكم فآمنوا بالله ورسوله فخرج رجل برمح فضربه فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر وفى الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة قال ابن اسحق وهذا الذى طعنه هو عامر بن الطفيل وقيل انه ما مات بتلك الطعنة وانما أثخن وظنوا انه مات فقال الضحاك بن سفيان الكلابى رضى الله عنه وكان مسلما يكتم اسلامه لامرأة من قومه هل لك فى رجل ان صح كان نعم الراعى فضمته اليها فعالجته فسمعته يقول

ابا عامر ترجو المودة بيننا
وهل عامر الا عدو مداهن
اذا ما رجعنا ثم لم تك وقعة
بأسيافنا فى عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ثم ان عامر بن الطفيل استصرخ بنى عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء اى لن ننقض عهده وذمامه لانه قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا كعب بن زيد الانصارى الخزرجى النجارى

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل عمار فى النار ومن العجب ان أبا العالية هذا هو القاتل لعمار يوم صفين فكان أبو العالية مع معاوية وكان عمار مع على أى ويقول ان عمارا المبارز للقتال قال اللهم لو أعلم رضاك عنى ان أوقد نارا فأرمى نفسى فيها لفعلت او اغرق نفسى لفعلت وانى لا اريد قتال هؤلاء الا وجهك الكريم وأنا ارجو أن لا تخيبنى وجعلت يده ترتعش على الحربة أى لان عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين سنة اى وقد كان جىء له بلبن فضحك فقيل له ما يضحكك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آخر شراب تشربه حين تموت لبن وفى رواية آخر زادك من الدنيا مشيح من اللبن ثم نادى اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور الحسان اليوم نلقى الاحبه محمدا وحزبه ولما قتل عمار دخل عمرو بن العاص على معاوية فزعا وقال قتل عمار فقال معاوية قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقال له معاوية دحضت اى زلقت فى بولك أنحن قتلناه انما قتله من اخرجه وفى رواية قال له اسكت فوالله ما تزال تدحض اى تزلق فى بولك انما قتله على واصحابه جاؤا به حتى ألقوه بيننا وذكر أن عليا رضى الله تعالى عنه لما احتج على معاوية رضى الله تعالى عنه بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما قتله من اخرجه من داره يعنى بذلك عليا فقال على رضى الله تعالى عنه فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين أخرجه ولما قتل عمار جرد خزيمة بن ثابت رضى الله تعالى عنه سيفه وقاتل مع على وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقاتل معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضى الله تعالى عنه مع معاوية وقال له يوما ولعمرو بن العاص كيف نقاتل عليا وعمار بن ياسر فقالا له ان عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى على اى لان ذا الكلاع كان ذووه أربعة آلاف أهل بيت وقيل عشرة آلاف وكان عبد الله بن بديل بن ورقاء رضى الله تعالى عنه مع على رضى الله تعالى عنه فلما قتل عمارا أخذ سيفين ولبس درعين ولم يزل يضرب بسيفيه حتى انتهى الى معاوية فازاله عن موقفه وأزال اصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الامر أهله ومن ليس قبله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب وزين لهم الضلالة وزرع فى قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر

البدري رضي الله عنه فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا باصابة دمهم والا عمرو بن أمية الضمري فانه أسر وأطلق قال ابن اسحق كان عمرو في سرح القوم هو ورجل من الانصار وهو المنذر بن محمد بن عقبة فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم والخيل التي أصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو ماترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصاري لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل واما عمرو فأسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أي الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه قال انس بن مالك رضي الله عنه جاء خبرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام في تلك الليلة فقال هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ماصنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ومات عامر بن الطفيل بعد ذلك كافرا وقال حسان رضي الله عنه لربيعة ابن عامر ملاعب الاسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء

ألا من مبلغ عني ربيعا * بما احدث الحدثان بعدي
أبوك أبو الفعال ابو براء * وخالك ماجد حكم بن سعد
بني ام البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب اهل نجد
تحكم عامر بأبي براء * ليخفره وما خطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ايغسل عن أبي هذه الغدرة ان أضرب عامرا ضربة اوطعنة قال نعم فرجع فضرب عامرا ضربة اشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا للعامر اقتص فقال قد عفوت ثم ان من جملة القراء

وأنتم والله على الحق على نور من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة البغاة قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر أهله قوموا رحمكم الله ولما قتل عمار ندم ابن عمر رضي الله تعالى عنهما على عدم نصرة علي والمقاتلة معه وقال عند موته ما أسى على شئ ما أسى على ترك قتال الباغية قال بعضهم شهدنا صفين مع علي بن أبي طالب في ثمانمائة من أهل بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر وكان خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين كان مع علي يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل لانه كان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية وفي الحديث من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله عمار يزول مع الحق حيث يزول عمار خالط الايمان بلحمه ودمه عمار ماعرض عليه أمران الا اختار الارشد منهما وجاء ان عمارا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب ان عمار بن ياسر حشي ما بين اخمص قدميه الى شحمة أذنه ايمانا وفي رواية ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وتخاصم عمار مع خالد بن الوليد في سرية كان فيها خالد أميرا فلما جاآ اليه صلى الله عليه وسلم استبا عنده فقال خالد يارسول الله أيسرك ان هذا العبد الاجدع يشتمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخالد لاتسب عمارا فان من سب عمارا فقد سب الله ومن ابغض عمارا أبغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان عمارا قام مغضبا فقام خالد فتبعه حتى اخذ بثوبه واعتذر اليه فرضي عنه وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار مالم يغلب عليه دلهة الكبر وهذا الحديث من اعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض الشحناء وأشيع عنه انه يريد أن يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن ابي وقاص وكان مريضا فقال له ويحك يا أبا اليقظان كنت فينا من اهل الخير فما الذي بلغني عنك من السعي في الفساد بين المسلمين والتألب على امير المؤمنين امعك عقلك ام لا فغضب عمار ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه فقال سعد انا لله وانا اليه راجعون ويحك حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من الدين عريانا كما ولدتك امك فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول أعوذ بربي من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال قد دله وخرف عمار واظهر عمارا القوم

الذين قتلوا ببئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ولم يوجد جسده لان الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو ابن امية الضمري رضي الله عنه وكان اسيرا في أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل من هذا فقال هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى انى لانظر الى ٩٨ السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفي هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضي الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك فقد روى ابن اسحق عن عروة بن الزبير ان عامر بن الطفيل لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع قال هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وروى ابن المبارك عن عروة أيضا قال كان الذي قتله رجلا من بني كلاب اسمه جبار ابن سلمى وذكر انه لما طعنه قال فزت والله قال فقلت في نفسي ماقوله فزت فأتيت الضحاك ابن سفيان فسألته فقال بالجنة قال فاسلمت ودعاني الى ذلك مارأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء علوا قال البيهقي يحتمل انه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ثم روى عن عائشة رضي الله عنها موصولا بلفظ لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى انى لانظر الى السماء بينه وبين الارض ولم يذكر فيها ثم وضع وروى ابن سعد مرفوعا ان الملائكة وارت جثته وأنزل في عليين قال الجلال السيوطي قويت الطرق وتعددت بمواراته في السماء وجبار بن سلمى صحابي رضي الله عنه ووقع في بعض الروايات أن عامر بن فعل الطفيل هو الذي قتل عامر بن فهيرة رضي الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوز لكونه كان راس القوم وقدمت كافرا بالاجماع كما تقدم روى ابن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أي حزن

على ذلك قال وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب باب في مؤخره والباب الذي كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذي يقال له الآن باب جبريل اي وهو الباب الذي كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم ويقال له باب عثمان لانه كان يلي دار عثمان وهو الذي يخرج منه الآن الى البقيع أقول وجعل قبلته الى بيت المقدس كان قبل أن تحول القبلة ولما حولت حولت قبلته الى الكعبة وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم ماوضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت لي الكعبة فوضعتها أتيممها أو أؤمها اي اقصدها وفي رواية ماوضعت قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي مابيني وبين الكعبة والله أعلم اي وفي كلام بعضهم ومن الفوائد الحسنة ماذكره مغلطاي ان موضع المسجد كان ابتاعه تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بألف سنة وانه لم يزل على ملكه اي متعلقا به من ذلك العهد على مادل عليه كتاب تبع (أقول) سيأتي ان تبعا بنى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة اذا قدمها ينزل في تلك الدار وأنه يقال انها دار أبي أيوب وقد يجمع بأنه يجوز ان يكون ذلك المربد ودار أبي أيوب مجموعهما تلك الدار وان تلك الدار قسمت فكان دار أبي أيوب بعضها وذلك المربد بعضها الآخر وان الايدي تداولت سكنى تلك الدار الى ان صارت سكنا لابي ايوب وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار الملاك الى أن صارت لابي ايوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة في الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الكتاب كما سيأتي وصل اليه في مكة في أول البعثة ونزوله دار ابي ايوب واخذه المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك اي انه ذكر له امر تلك الدار والله أعلم قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة اشهر ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذي كان في مؤخر المسجد (وفي كلام بعضهم) لما حولت القبلة لم يبق من الابواب التي كان يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا الباب الذي يقال له باب جبريل عليه السلام اي فانه بقي في محله واما باب الرحمة الذي كان يقال له ايضا باب عاتكة فأخر عن محله (وسبب) وضع الحصا في المسجد ان المطر جاء ذات ليلة فأصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتي بالحصا في ثوبه فيبسطه تحته ليصلي عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما احسن هذا وفي رواية ما أحسن هذا البساط وقد يعارض هذا ماقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحصب المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضي الله تعالى عنه (أقول) قد يقال لامعارضة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما اعجبه ذلك من

فعل بعض الصحابة امره ان يحصب جميع المسجد لان الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد الا ان يراد بالحصر ونحوها الا انه لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال أول من فرش الحصر في المساجد عمر بن الخطاب وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصباء أي في زمنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (وفي الاحياء) أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذ من عزيز المعروف في زماننا فرش المساجد بالبسط الرقيقة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة كانوا لا يرون أن يكون بينهم وبين الارض حائل هذا كلام الاحياء اي والحصباء لا تعد حائلا وسيأتي ان المسجد بني بعد فتح خيبر وهي التي عناها خارجة رضي الله تعالى عنه بقوله لما كثر الناس قالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هي التي ادخل فيها الارض التي اشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه من بعض الانصار بعشرة آلاف درهم ثم جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتشتري مني البقعة التي اشتريتها من الانصار اى التي كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه ببيت في الجنة أي وفي رواية أن عثمان رضي الله تعالى عنه لما حصر أي الحصرة الثانية واشرف على الناس من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش قال أههنا علي قالوا لا قال أههنا طلحة قالوا لا قال انشدكم بالله الذي لا اله الا هو اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بني فلان أي لمربد كان مجاورا للمسجد غفر الله له فابتعته بعشرين الفا او بخمسة وعشرين ألفا شك عثمان وتقدم انه اشتراها بعشرة آلاف درهم فلعله تأمل فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته فقال اجعله مسجدنا واجره لك قالوا اللهم نعم قد كان ذلك وفي لفظ انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة ابن فلان لبقعة كانت الى جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها او يوسعها في المسجد له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها في المسجد فأنتم الآن تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين اي وزاد فيه عثمان رضي الله تعالى عنه بعد ذلك زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج كما في البخاري وعدد عثمان رضي الله تعالى عنه اشياء منها انه قال أنشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة

على أحد مما وجد على أهل بئر معونة لكونه لم يرسلهم لقتال انما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بان الرسل لا تقتل ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهرا وفي رواية أربعين يوما يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحيان قال أنس رضي الله عنه وبلغ الله نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام انهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم وفي رواية فكنا نقرأ بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخ قال السهيلي هذا اللفظ ليس عليه رونق الاعجاز فدل انه لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وانما ذكر بني لحيان وان كانوا ليسوا معهم في هذه الوقعة وانما هم في قصة أصحاب الرجيع لان الخبر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكل من الوقعتين في ليلة واحدة فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين في دعاء واحد ولهذا جمع البخاري القصتين في ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم انها قصة واحدة في موضع واحد وليس كذلك قال العلامة الزرقاني لما اصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى اليه صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي الى رعل وذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة قال وانما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم كما أخبره بنظير ذلك في كثير من الاشياء لانه سبق في علمه تعالى اكرامهم بالشهادة واراد حصول ذلك بمجيء أبي براء ومن جاء في طلب أصحاب الرجيع اهـ *(غزوة بني النضير)* هي قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم واختلف أهل السير في السنة التي كانت فيها فذهب الزهري وجماعة وجرى عليه البخاري انها كانت بعد غزوة بدر وقبل أحد وذهب ابن اسحق الى انها كانت

بعد بئر معونة ورجح المحققون من الحفاظ قوله قالوا وكانت فى ربيع من السنة الرابعة وسببها ما تقدم قريبا ان عامر بن الطفيل اعتق عمرو بن أمية الضمرى لما قتل أهل بئر معونة وكان عتقه اياه عن رقبة كانت على امه فخرج عمرو الى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من ١٠٠ بنى عامر ثم من بنى كلاب وفى رواية انهما من بنى سليم فنزلا معه فى ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو من أنتما فذكرا له انهما من بنى عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن انه ظفر بثار بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة وجاء وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له لقد قتلت قتيلين لأدينهما أى أعطى ديتهما أى للجوار والعهد الذى عقده لهما ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير ليستعين بهم فى دية تينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو وكان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم فلما اتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم فى ديتهما قالوا نعم يا ابا القاسم نعينك على ما احببت مما استعنت بنا عليه وقد آن لك ان تزورنا وان تأتينا اجلس تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفردا ليس معه احد من اصحابه الا نحو العشرة وكان صلى الله عليه وسلم قاعدا الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا من يعلو على هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله اغلاق ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه الصخرة وفى رواية فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من اصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف

يجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفى لفظ ليكون دلوه فيها كدلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة وفى لفظ له بها مشرب فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم قال فأنتم اليوم تمنعونى ان اشرب منها بل وتمنعونى الماء الا حديقتنا فانى افطر على الماء الملح وفى رواية هل فيكم من يبلغ عليا عطشنا فأبلغوه فلما بلغ ذلك عليا أرسل اليه بثلاث قرب مملوأة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى امية اى وكانت هذه البئر ركية ليهودى يقال له رومة يقال انه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها كانت بالعقيق وتفل فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم وله بها مشرب فى الجنة فساومه فيها عثمان فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها باثنى عشر ألف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودى يوما فاذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما راى اليهودى ذلك قال لعثمان افسدت على ركيتى فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف وقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون ألف درهم وقول عثمان جعلتها للغنى والفقير وابن السبيل دليل على ان قوله دلوى فيها كدلاء المسلمين على انه لم يشترط ذلك بل قصد به التعميم فى الموقوف عليه ولا دليل فيه على جواز أن للواقف أن يشترط له الانتفاع بما وقفه كما زعمه بعضهم وكان حصار عثمان رضى الله تعالى عنه شهرين وعشرين يوما وفى كلام سبط بن الجوزى كان الحصار الاول عشرين يوما والثانى أربعين يوما وفى يوم من تلك الايام قال وددت لو أن رجلا صادقا أخبرنى عن امرى هذا أى من أين اوتيت فقام رجل من الانصار فقال انا أخبرك يا أمير المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك وما جرأهم على ظلمك الا افراط حلمك فقال له صدقت اجلس (وأول من دخل عليه الدار) محمد بن ابى بكر تسور عليه هو وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم فأخذ بلحيته فقال له دعها يا ابن أخى فوالله لقد كان ابوك يكرمها فاستحى وخرج وفى رواية لما أخذ بلحيته هزها وقال له ما اغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبى سرح فقال له يا ابن اخى أرسل لحيتى فوالله انك لتجر لحية كانت تعز على أبيك وما كان ابوك يرضى مجلسك هذا منى فتركه وخرج ويقال انه قال له ما أريد بك اشد من قبضى على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك واستعين به ثم طعن جبينه بمشقص كان فى يده ثم ضربه بعض هؤلاء بالسيف فأتقته نائلة زوج عثمان فقطع اصابع يدها الخمس * وعن ابن الماجشون عن مالك أن عثمان بعد قتله القى على المزبلة ثلاثة ايام وقيل

وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهم وفى رواية قالوا لما رأوا قلة اصحابه نقتله ونأخذ اصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه وفى رواية قال لهم يا قوم أطيعونى فى هذه المرة وخالفونى فى الدهر والله لئن فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به وان هذا نقض للعهد الذى بيننا وبينه قال ابن اسحق واتى رسول الله الخبر من السماء مع جبريل عليه السلام بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهرا انه يقضى حاجة خوفا ان يفطنوا له فيؤذوا اصحابه ولذا ترك اصحابه فى مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ثم ان أصحابه صلى الله عليه وسلم استبطؤه فقاموا فى طلبه فقال لهم حيى بن اخطب اليهودى لقد عجل أبو القاسم كنا نريد ان نقضى حاجته ونقريه وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حيى هو المتولى امر ذلك وكان سيد بنى النضير وهو والد صفية رضى الله عنها وفى رواية بينما بنو النضير على ارادة القاء الحجر اذ جاء رجل من اليهود فقال ما تريدون فذكروا له الامر فقال ابن محمد قالوا هذا محمد يعنون تحت الجدار فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فسقط فى ايديهم اى ندموا وقالوا قد اخبر بامرنا وفى رواية فقال لهم كنانة بن صويراء هل تدرون لم قام محمد صلى الله عليه وسلم قالوا والله ماندرى ولا ندرى أنت فقال والله اخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله انه لرسول الله فأبوا ان يقبلوا قوله ولما انتهى اصحابه اليه صلى الله عليه وسلم قالوا قمت ولم نشعر فاخبرهم بما ارادت اليهود من الغدر به قال موسى بن عقبة ونزل فى ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف ايديهم عنكم وقيل نزلت فى الاعرابى

اغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة ايام لا يستطيع احد ان يدفنه فلما كان الليل اتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وقيل صلى عليه أربعة وان ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما اجتازوا به للمقبرة منعوهم وقالوا والله لا يدفن فى مقابر المسلمين فدفنوه بحش كوكب كان الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به فكان يمر به و يقول سيدفن ههنا رجل صالح فيتأسى به الناس فى دفن موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان وزاده فى البقيع فكان هو اول من قبر فيه وحملوه على باب وان رأسه ليقرع الباب لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفنوه عفوا قبره خوفا عليه ان ينبش واما غلاماه اللذان قتلا معه فجروهما برجليهما والقوهما على التلال فاكلتهما الكلاب وسبب هذه الفتنة انهم نقموا عليه امورا منها عزله لاكابر الصحابة عن ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اوصى عمر رضى الله تعالى عنه بان يبقى على ولايته وهو ابو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه من البصرة فان عمر رضى الله تعالى عنه أوصى بان يبقى على ولايته فعزله عثمان وولى ابن خاله عبد الله بن عامر بدله وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن ابى سرح وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعزل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عنها أيضا واشخصه الى المدينة وعزل سعد ابن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه عن الكوفة وولى اخاه لامه الوليد بن عقبة بن أبى معيط الذى سماه الله تعالى فاسقا بقوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وصار الناس يقولون بئس ما فعل عثمان عزل اللين الهين الورع المستجاب الدعوة وولى اخاه الخائن الفاسق المدمن للخمر ولعل مستندهم فى ذلك ما رواه الحاكم فى صحيحه من ولى رجلا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومنها انه ادخل عمه الحكم بن ابى العاص والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده الى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة ابى بكر بعد ان سأله عثمان فى ادخاله المدينة فابى فقال له عثمان عمى فقال عمك الى النار هيهات هيهات ان اغير شيأ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا رددته أبدا فلما توفى ابو بكر وولى عمر كلمه عثمان فى ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم فى لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله فلما ولى عثمان رده الى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والانصار فانكر ذلك عليه اعيان الصحابة فكان ذلك من اكبر الاسباب على القيام عليه واعتذر عثمان عن

الذى اخترط سيف النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة واراد ان يقتله فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى يا محمد من يمنعك منى قال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال للاعرابى من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فعفا عنه فاسلم وجاء الى قومه ١٠٢ ودعاهم الى الاسلام وقال جئتكم من عند خير الناس وقيل فى سبب نزولها غير ذلك ولا مانع ان تكون نزلت فى الجميع قال ابن اسحق ثم امر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بالتهيؤ لحرب بنى النضير ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية على بن أبى طالب رضى الله عنه واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه وكان بينهم و بين المدينة نحو ميلين فى عوالى المدينة من ناحية قباء فنزل بهم وحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما وقيل قريبا من عشرين فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلا لهم يسمى العجوة وآخر يسمى اللين وكان ذلك احرق لهم لان ذلك خيار اموالهم فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل وحرق بعض نخيلهم أيضا فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها اهو فساد ام اصلاح حتى ان بعض المسلمين وقع فى نفوسهم من هذا الكلام شئ فخافوا ان يكون فعلهم ذلك فسادا و بعض المسلمين قالوا بل نقطع لنغيظهم بذلك والذين وقع فى نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى فاعتقدوا ان ذلك كان باجتهاد القاطع حتى انزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين يعنى اليهود قال بعضهم واللينة انواع التمر ماعدا العجوة والبرنى وقيل اللينة كرام النخل وقيل كل الاشجار للينها وانواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعا وقال السيد السمهودى بمائة وبضع

ذلك بان النبى صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وهو فى مرض موته قال فشهدت عند ابى بكر فقال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لى عمر كذلك فلما صار الامر الى قضيت بعلى أى واما عزله لابى موسى فان جند عمله شكوا شحه فعزله خوف الفتنة ومنها انه جاء الى عثمان أهل مصر يشكون ممن ولاه عليهم وهو ابن أبى سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد اباح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه وتعزل عمرو بن العاص عنا ورد هذا بان عزله لعمرو انما كان لكثرة شكايتهم منه وابن أبى سرح اسلم بعد الفتح وحسن حاله ووجدوه لسياسة الامر أقوى من عمرو بن العاص وعزله للمغيرة بانه انهى اليه فيه انه ارتشى فرأى المصلحة فى عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن أبى سرح رجلا منهم فعادوا الى عثمان وكلموا اكابر الصحابة كعلى وطلحة بن عبيد الله فقالوا اعزله عنهم فانهم يسألونك رجلا مكانه فقال لهم عثمان يختارون رجلا وليه عليهم فاختاروا محمد بن ابى بكر فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة من التابعين لينظروا بين أهل مصر و بين ابن أبى سرح فلما كان محمد بن أبى بكر ومن معه على مسيرة ثلاثة مراحل من المدينة فاذا هم بغلام اسود على بعير فقالوا له ما قضيتك فقال لهم انا غلام أمير المؤمنين أرسلنى الى عامل مصر فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعنى محمد بن ابى بكر فقال ماهذا أريد فلما اخبر ذلك الرجل محمد بن أبى بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من المهاجرين والانصار أنت غلام من فصار تارة يقول غلام أمير المؤمنين وتارة يقول غلام مروان فعرفه رجل من القوم وقال هذا غلام عثمان فقال له محمد الى من ارسلت قال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا معه كتاب من عثمان الى ابن ابى سرح فى قصبة من رصاص فى جوف الاداوة فى الماء ففتح الكتاب بحضره جميع من معه فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل فى قتلهم وفى رواية انظر فلانا وفلانا اذا قدموا عليك فاضرب اعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا منهم نفر من الصحابة ونفر من التابعين وفى رواية اذبح محمد بن أبى بكر واحش جلده تبنا وكن على عملك حتى يأتيك كتابى فلما قرؤا الكتاب فزعوا ورجعوا الى المدينة وقرئ الكتاب على جميع من بالمدينة من الصحابة والتابعين فما منهم أحد الا واغتم لذلك فدخل عليه على مع جماعة من أهل بدر ومعه الكتاب والغلام فقالوا له هذا الغلام غلامك قال نعم قالوا والبعير بعيرك قال نعم قالوا فانت كتبت هذا الكتاب فقال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا

وثلاثون نوعا وكان موضع نخل بنى النضير الذى حرق بالبويرة تصغير بورة وهى الحفرة وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة الغرب قال ابن اسحق وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن ابى ابن سلول بعثوا الى بنى النضير حين هموا بالخروج ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب فى قلوبهم فلم ينصروهم وفى ذلك نزل قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم وكان جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى وروى ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين هموا بغدره واعلمه الله بذلك نهض الى المدينة سريعا ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه ان اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون واكتروا من اناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله بن ابى لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم شئ وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيى بن اخطب فيما قاله عبد الله بن ابى فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك وكان قد نهى حييا عن فعله ذلك أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم وقال له يا حيى منتك نفسك

امرت به ولا علم لى به فقال له على والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتابك عليه ختمك وأنت لا تعلم به فحلف بالله ما أمرت بهذا الكتاب ولا وجهت هذا الغلام الى مصر فعرفوا أنه خط مروان لا عثمان لان عثمان لا يحلف باطلا وفى رواية الخط خط كاتبى والخاتم خاتمى وفى رواية انطلق الغلام بغير أمرى واخذ الجمل بغير علمى قالوا فما نقش خاتمك قال نقش عليه مروان فسألوه أن يدفع لهم مروان وكان مروان عنده فى الدار فأبى فخرجوا من عنده غضابا وقالوا لا يبرأ عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان عثمان أمر به عزلناه وان كان مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون فى امر مروان فابى عثمان ان يخرج اليهم مروان خوفا عليه من القتل فحصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الماء ووقع ما تقدم وذكر ابن الجوزى انه لما دخل المصريون على عثمان رضى الله عنه والمصحف فى حجره يقرأ فيه فمدوا اليه ايديهم فمد يده فضربت فسال الدم وقيل وقعت قطرة على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت المفصل هذا كلامه اى وهذا من اعلام النبوة فقد اخرج الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال الذهبى انه حديث موضوع اى قوله فيه وانت تقرأ الى آخره وروى انه لما حوصر قال والله ما زنيت فى جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لى بدينى بدلا منذ هدانى الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلوننى وقال يا قوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم لا تقتلونى انكم ان قتلتمونى كنتم هكذا وشبك بين اصابعه وقال ممدا النعم الله تعالى عليه ما وضعت يدى على فرجى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بى جمعة منذ اسلمت الا وانا اعتق فيها رقبة الا ان لا يكون عندى شئ فاعتقها بعد ذلك (قال بعضهم) وجملة من اعتقه عثمان الفان واربعمائة رقبة تقريبا (وذكر) انه رأى فى الليلة التى قتل فى يومها المصطفى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر فى المنام وقالوا له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما اصبح دعا بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن لبسه قبل ذلك فى الجاهلية ولا فى الاسلام خوفا ان يطلع على عورته عند قتله وكان من جملة ما انتقم به على عثمان رضى الله تعالى عنه انه اعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة الف وخمسين اوقية واعطى الحرث عشر ما يباع فى السوق اى سوق المدينة وانه جاء اليه ابو موسى بكيلة

والله يا حيي ان قول ابن ابي ليس بشيء وانما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس في بيته و يتركك فأبى ولما أرسل
حيي انا لانخرج أظهر صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وقال حاربت يهود وسار اليهم عليه الصلاة والسلام
في اصحابه مشاة على ارجلهم اقرب الموضع وقيل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فصلى العصر بفناء بني
النضير فلما رأوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قاموا على حصونهم
ومعهم النبل والحجارة واعتزلتهم
قريظة ولم تعنهم واعتزلهم عبد الله
ابن ابي ولم يعنهم وكذا
حلفاؤهم من غطفان فقال سلام
ابن مشكم لحيي أين الذي زعمت
قال ما اصنع ملحمة كتبت علينا
وبنى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قبة من خشب عليها مسوح
أرسل بها اليه سعد بن عبادة
وجعلوها عند مسجد بني خطمة
ودخلها صلى الله عليه وسلم وكان
عزوك اليهودي راميا فيرمي فيبلغ
القبة فحولت الى مسجد الفضيخ
فتباعدت من النبل ثم فقد علي
رضي الله عنه في ليلة قرب العشاء
فقال الناس يارسول الله مانرى
عليا فقال دعوه فانه في بعض
شأنكم فعن قليل جاء برأس
عزوك وكان قد كمن له حين
يخرج يطلب غرة من المسلمين وكان
شجاعا راميا فشد عليه علي رضي
الله عنه فقتله وفر من كان معه
وبعث صلى الله عليه وسلم خلفهم
ابا دجانة وسهل بن حنيف في
عشرة فادركوا اليهود الذين فروا
من علي رضي الله عنه فقتلوهم
وطرحوا رؤسهم في بعض الآبار فيئسوا من نصرهم فقالوا نحن نخرج من بلادك فقال لا اقبله اليوم ثم قال لهم صلى
اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهي الدروع والسلاح فرضوا بذلك ونزلوا عليه فكانوا يخربون
بيوتهم بايديهم لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وايدي المؤمنين يخربون باقيها فكان أهلها يخربونها

ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وانه انفق اكثر بيت المال في عمارة ضياعه
ودوره وانه حمى لنفسه دون ابل الصدقة وانه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس
عطاء ابي بن كعب ونفى أبا ذر الى الربذة واشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه
معاوية وضرب عمار بن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الى بعض
الجبال وقال لعبد الرحمن بن عوف انك منافق وانه اقطع اكثر اراضي بيت المال وان
لا يشتري احد قبل وكيله وان لا تسير سفينة في البحر الا في تجارته وانه احرق الصحف
التي فيها القرآن وانه اتم الصلاة بمنى ولم يقصرها لما حج بالناس وانه ترك قتل عبيد الله
وقد قتل الهرمزان (وقد اجاب) عن ذلك كله في الصواعق فراجعه وما رواه الزبير بن
بكار عن أنس من انه صلى الله عليه وسلم لم يعمل اللبن ولم يبن به المسجد الا بعد اربع
سنين من الهجرة رأيت ما يرده في تاريخ للمدينة ونصه ما روي عن انس واه او مؤول
والمعروف خلافه والله اعلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لو بني مسجدي هذا الى صنعاء كان مسجدي قال بعضهم ان صح هذا
كان من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم اي لانه وسع بعد ذلك اي وسعه المهدي وذلك
في سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المأمون في سنة اثنتين ومائتين وبه يرد القول بان المضاعفة
خاصة بالموجود حين الاشارة أي لكن المحافظة على الصلاة فيما كان في عهده صلى الله
عليه وسلم اولى قال وبنى حجرتين لعائشة وسودة أي بناهما مجاورتين للمسجد
وملاصقتين له على طرز بناء المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد
اي وقدم رجل من اهل اليمامة عند الشروع في بناء المسجد يقال له طلق من بني حنيفة
فعنه رضي الله تعالى عنه قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده
والمسلمون يعملون معه فيه وكنت صاحب علاج الطين فأخذت المسحاة وخلطت بها
الطين فقال لي يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ احسن صنعته وقال لي الزم
انت هذا الشغل فاني اراك تحسنه وفي لفظ ان هذا الحنفي لصاحب طين وفي لفظ
قربوا اليماني من الطين فانه احسنكم له مسكا وأشدكم منكبا وفي لفظ دعوا الحنفي
والطين فانه من اصنعكم للطين وارسل وهو في بيت ابي ايوب زيد بن حارثة وابا رافع مكة
واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ليأتيا بأهله اي والخمسمائة اخذها من ابي بكر
ليشتريا بها ما يحتاجان اليه فاشترى بها زيد ثلاثة أبعرة وارسل معهما ابو بكر رضي الله
تعالى عنه عبد الله بن الاريقط دليلا اي بعيرين او ثلاثة فقدما بفاطمة وام كلثوم بنتيه

صلى الله عليه وسلم وسودة زوجته وأم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم زوج زيد بن حارثة وابنها اسامة بن زيد فاسامة اخو أيمن لامه وكان اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبة وابن حاضنته عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أسامة عثر يوما فى اسكفة الباب فشج وجهه فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أميطى عنه قالت عائشة فكانى تقذرته اى لانه كان أسود أفطس فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه يعنى الدم ثم يمجه (واما بنته صلى الله عليه وسلم) زينب التى هى أكبر بناته فكانت مع زوجها ابن خالتها ابى العاص بن الربيع فمنعها من الهجرة وسيأتى أنها هاجرت بعد ذلك قبله وتركته على شركه وبعد ان اسر فى بدر وأطلق وامره صلى الله عليه وسلم بأن يخلى سبيلها ففعل ثم لما اسلم ردها اليه (واما بنته) رقية فتقدم انها هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان وخرج مع فاطمة ومن ذكر معها عبد الله بن ابى بكر ومعه عيال ابى بكر فيهم زوجته ام رومان وعائشة واختها اسماء زوج الزبير اى وهى حامل بابنها عبد الله بن الزبير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها كانت هى وامها على بعير فى محفة فنفر البعير قالت فصارت امى تقول وابنتاه واعروساه فمسك البعير وسلم الله وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها لما صارت امى تقول واعروساه وابنتاه سمعت قائلا يقول ارسلى خطامه فارسلت خطامه فوقف باذن الله وسلمنا الله وأم رومان ولدت لابى بكر عائشة وعبد الرحمن رضى الله عنهم وكانت قبل ابى بكر تحت عبد الله بن الحرث فولدت له الطفيل قال صلى الله عليه وسلم فى حقها من يسره ان ينظر الى امرأة من الحور العين فلينظر الى ام رومان وتوفيت فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت سنة ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبرها وقال اللهم انه لم يخف عليك مالاقت ام رومان فيك وفى رسولك صلى الله عليه وسلم وعورض القول بموتها فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فى البخارى عن مسروق قال سألت ام رومان وهى ام عائشة رضى تعالى عنهما ومسروق ولد بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وما فى البخارى حديث صحيح مقدم على ما ذكره اهل السير من موتها فى حياته صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن اسماء فنزلت بقباء فولدته بها يعنى ولدها عبد الله بن الزبير ثم اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان اول شئ دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة اى بتلك التمرة ففى المواهب وحنكه بها ثم دعا له وبرك عليه وهو اول مولود ولد فى الاسلام اى للمهاجرين وفيه ان أسماء اى قدمت المدينة اى

من داخلها والمؤمنون من خارجها نكالا وخزيا لهم وقيل كانوا يخربون بيوتهم بايديهم حسدا وبغضا للمسلمين ان يسكنوها بعدهم ثم اجلاهم عن المدينة قال الله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا اى بالقتل والسبى ولهم فى الآخرة عذاب النار اى مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل او ان الله رأى مصلحة فى اجلائهم وان حربهم قد يؤدى الى سفك دماء المسلمين وقد يرجع حلفاؤهم و يعينونهم وولى صلى الله عليه وسلم اخراجهم محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه وحملوا النساء والصبيان على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الاخضر والاحمر والمعصفر وحلى الذهب والفضة واظهروا تجلدا عظيما قال ابن اسحق خرجوا بالنساء والابناء والاموال ومعهم الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله ولم يسلم منهم الا يامين بن عمير وابو سعد بن وهب فأحرزا اموالهما قال وحدثنى بعض آل يامين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليامين الم تر مالقيت من ابن عمك وماهم به فى شانى يعنى عمرو بن جحاش الذى هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير وقيل خمسة اوسق من تمر على ان يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ولحق أكثرهم بخيبر منهم حيى بن اخطب وسلام بن ابى الحقيق وكنانة بن الربيع ودان لهم اهل خيبر فبقوا هنالك حتى اهلكهم الله فى غزوة خيبر كما سيأتى ان شاء الله تعالى

١٤ حل ني وذهب بعضهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام وروى موسى بن عقبة انهم قالوا الى اين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعنى ارض المحشر وهى الشام وقيل الحشر الجلاء فأول الحشر الجلاء والحشر الثانى هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من

تخلف وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا لكونهم اخوانهم وقبض صلى الله عليه وسلم ماتركوه من الاموال والدروع والسلاح فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وهى الخوذة وثلثمائة واربعين سيفا فكانت اموال بنى النضير صفيا اى مختارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى خاصة به لان المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ولم يقع قتال بينهم فكانت حبسا لنوائبه صلى الله عليه وسلم فكان ينفق منها على اهله ويدخر قوت سنة من الشعير والتمر لازواجه وبنى عبد المطلب وما فضل يجعله فى السلاح والكراع اى الخيل هذا ماذهب اليه الامام ابو حنيفة رضى الله عنه وجاء فى بعض الروايات انه خمسها واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله عنه فقال قسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم اى مشقتهم عن الانصار اى بحسب الواقع ونفس الامر وان كان الانصار يرون ذلك من اعظم النعم قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وكانوا قد قاسموهم فى الاموال والديار لما هاجروا وآخى بينهم صلى الله عليه وسلم فذهب كل انصارى بالمهاجرى الذى آخى بينه وبينه صلى الله عليه وسلم الى منزله وكفاه المؤنة ثم تنافسوا حتى آل امرهم الى القرعة فاى انصارى تخرج القرعة باسمه يذهب بالمهاجرى فبلغت مواساتهم الغاية القصوى رضى الله عنهم حتى ورد فى الصحيح ان سعد بن الربيع الانصارى رضى الله عنه قال لاخيه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه هلم اقسم مالى بينى وبينك نصفين ولى امرأتان انظر اعجبهما اليك اطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن بارك الله لك فى اهلك ومالك ثم قال دلونى على السوق فصار يبيع ويشترى حتى كان أكثر الصحابة مالا رضى الله عنه وعنهم (وروى الحاكم) عن ام العلاء رضى الله عنها قالت طار لنا عثمان وقال

الى قباء بعد تحوله صلى الله عليه وسلم من قباء ويدل له قول بعضهم قدم آل ابى بكر من مكة وهو صلى الله عليه وسلم يبنى مسجده وانزلهم ابو بكر فى السنح الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جاء الى قباء بعد ذلك فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل على أن عبد الله ابن الزبير ولد فى السنة الاولى لا فى الثانية كما قاله الواحدى وتبعه غيره فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود وهذا ربما يؤيد القول الثانى الا أن يقال يجوز أن يكون عبد الله مكث فى بطنها المدة المذكورة فقد ذكر أن مالكا رضى الله تعالى عنه مكث فى بطن أمه سنتين وكذا الضحاك بن مزاحم التابعى مكث فى بطن امه سنتين وفى المحاضرات للجلال السيوطى ان مالكا مكث فى بطن أمه ثلاث سنين وأخبر سيدنا مالك ان جارة له ولدت ثلاثة أولاد فى اثنتى عشرة سنة بحمل اربع سنين وحينئذ يجوز أن تكون سيدتنا اسماء جاءت الى قباء فولدت سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه وسلم الى قباء فى ذلك اليوم وقد سماه الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه ابا بكر بكنية جده الصديق رضى الله تعالى عنه وروى أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع او ثمان سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمره والده الزبير بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه وكون آل ابى بكر نزلوا عند مجيئهم المدينة فى السنح لا ينافى كون اسماء نزلت بقباء وولدت بها لانه يجوز أن يكون نزول اسماء فى السنح بعد نزولها فى قباء قصد الراحة لكونها كانت حاملا حتى وضعت والسياق المتقدم يدل على ذلك وكون عبد الله بن الزبير اول مولود ولد فى الاسلام للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله ابن جعفر بن ابى طالب اول مولود ولد للمهاجرين بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق ان النجاشى ولد له مولود يوم ولد عبد الله هذا فارسل الى جعفر يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشى ابنه عبد الله وارضعته اسماء بنت عميس مع ابنها عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك الاخوة من الرضاع (وأول مولود ولد) للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل النعمان بن بشير وذكر ان ام اسماء قدمت المدينة وهى مشركة على اسماء بهدية فحجبتها اسماء وردت عليها هديتها فسألت عائشة رضى الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأمر اسماء ان تؤوى امها وتقبل هديتها قيل وفى ذلك وفى ارسال عبد الرحمن بن ابى بكر وهو بمكة على دينه قبل ان يسلم الى ابيه يسأله النفقة فابى ابوه ان ينفق عليه انزل الله الاذن فى الانفاق على الكفار

ابن مظعون فى القرعة فكان فى منزلى حتى توفى رضى الله عنه قالت فكان المهاجرون فى دور الانصار وأموالهم فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال بنى النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال ادع لى قومك قال ثابت الخزرج فقال صلى الله عليه وسلم الانصار كلها فدعا له الاوس والخزرج فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ١٠٧ ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم فى منازلهم واموالهم وايثارهم اياهم على انفسهم ثم قال ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى منازلكم واموالكم وان احببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة رضى الله عنه يارسول الله بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا وقالت الا كلهم رضينا وسلمنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وفى رواية وابناء ابناء الانصار رضى الله عنهم وقسم ما أفاء الله واعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار شيأ غير انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما واعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق اليهودى وكان سيفا له ذكر عندهم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال للانصار ليس لاخوانكم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من اموالنا ما شئت فنزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه جزاكم الله خيرا يا معشر الانصار فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوى جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت ابوا ان يملونا ولو ان امنا * تلاقى الذى يلقون منا لملت وكان صلى الله عليه وسلم يزرع تحت النخيل فى ارضهم فيدخر من ذلك

وقال ابو ايوب الانصارى لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى اسفل البيت وانا وام ايوب فى العلو فقلت يارسول الله بأبى انت وامى انى اكره واعظم ان اكون فى العلو وتكون تحتى فاظهر انت وكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا ايوب ارفق بنا اى السفل ارفق بنا وبمن يغشانا اى وفى لفظ ان ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت قال ابو ايوب فانكسر حب لنا فيه ماء والحب بضم الحاء المهملة الجرة الكبيرة فقمت انا وام ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ فيؤذيه ولم ازل اتضرع للنبى صلى الله عليه وسلم حتى تحول فى العلو اى وفى رواية عن ابى ايوب قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت فى العلو فلما خلوت الى ام ايوب فقلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينتثر التراب عليه من وطء اقدامنا وتنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحى وفى رواية ينزل عليه القرآن ويأتيه جبريل فما بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت يارسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب قلت كنت احق بالعلو منا ينزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحى والذى بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا اى وعن افلح مولى ابى ايوب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل اسفل وابو ايوب فى العلو انتبه ابو ايوب ذات ليلة فقال نمشى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فباتا فى جانب فلما اصبح الحديث (وعند نزوله) صلى الله عليه وسلم فى بيت ابى ايوب صارت تأتى اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة كل ليلة اى وكانت جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم فى بيوت ازواجه فقد جاء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة جفنة من ثريد اى عليه لحم او خبز فى لبن او فى سمن او فى عسل او بخل وزيت فى كل يوم تدور معه اينما دار مع نسائه وصار وهو فى بيت ابى ايوب يأتى اليه الطعام من غيرهما اى فقد جاء وما كان من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبى ايوب اى وفى لفظ وجعل بنو النجار يتناوبون فى حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه فى منزل ابى ايوب رضى الله تعالى عنه وهو تسعة اشهر واول طعام جىء به اليه صلى الله عليه وسلم فى دار ابى ايوب قصعة ام زيد بن ثابت فعن زيد بن ثابت اول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت ابى ايوب قصعة ارسلتنى بها امى اليه فيها ثريد خبز بر

قوت اهله وازواجه سنة ومافضل جعله فى الكراع والسلاح قال ابن اسحق ونزل فى امر بنى النضير سورة الحشر باسرها قال
السهيلى اتفاقا وفى البخارى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضى الله عنهما سورة الحشر قال قل سورة النضير قال
الداودى كانه كره تسميتها بذلك لئلا يظن انه ١٠٨ يوم القيامة اولاجله فكره النسبة الى غيره ملوم وجاء عن ابن عباس رضى

بسمن ولبن فوضعتها بين يديه وقلت يارسول الله أرسلت بهذه القصعة أمى فقال له بارك الله فيها اى وفى رواية بارك الله فيك ودعا اصحابه فاكلوا قال زيد فلم ارم الباب اى أرده حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم اى بفتح العين عظم عليه لحم فان أخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقد جاء كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفاء (ولما بنى المسجد) جعل فى المسجد محلا مظللا يأوى اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون أهل الصفة وكان صلى الله عليه وسلم فى وقت العشاء يفرقهم على اصحابه ويتعشى معه منهم طائفة وظاهر السياق ان ذلك أى المحل فعل فى زمن بناء المسجد واوى اليه المساكين من حينئذ لكن روى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى انزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم أصحاب الصفة وكان يجالسهم ويأنس بهم اى وكان اذا صلى اتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلمون مالكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة (اقول) ذكر ان المسجد كان اذا جاءت العتمة يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الدارى المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد واوقدت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لى ابنة لانكحتكها هذا وفى كلام بعضهم اول من جعل فى المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها اى المساجد واول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانه لما جمع الناس على ابى بن كعب فى صلاة التراويح علق القناديل فلما رآها على تزهر قال نورت مساجدنا نور الله قبرك يابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الدارى ثم رأيت فى اسد الغابة عن سراج غلام تميم الدارى قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن خمسة غلمان لتميم الدارى فامرنى يعنى سيده فاسرجت المسجد بقنديل فيه زيت وكانوا لا يسرجون فيه الا بسعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسرج مسجدنا فقال تميم غلامى هذا فقال ما اسمه فقال فتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اسمه سراج فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا وعن بعضهم قال أمرنى المأمون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح فى المساجد فلم أدر ما أكتب لانه شئ لم أسبق اليه فاريت فى المنام اكتب فان فيها انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال

الله عنهما سورة الحشر فى بنى
النضير وذكر الله فيها ما أصابهم
من النقمة والله سبحانه وتعالى
اعلم وقد أشار صاحب الهمزية
لبعض تلك القصة بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينـ
ـفق الا على السفيه الشقاء
ونهتهم وما انتهت عنه قوم
فأبيد الامار والنهاء
أسلموهم لاول الحشر لا ميـ
ـعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا
وبيوتا منهم نعاها الجلاء

(غزوة ذات الرقاع)

وتسمى غزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة واختلف فيها متى كانت وفى سبب تسميتها بذلك فقال ابن اسحق انها كانت بعد بنى النضير سنة أربع فى شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى وقيل انها كانت سنة خمس ومال البخارى الى انها كانت بعد خيبر وخيبر انما كانت سنة سبع واستدل لذلك بامور منها ان هذه الغزوة حضرها ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه وهو انما جاء بعد فتح خيبر وقال الغزالى انها آخر الغزوات وغلطه ابن الصلاح بعضهم
وانتصر بعضهم للغزالى بان مراد آخر الغزوات التى صلى فيها صلاة الخوف ونازع بعضهم فى ذلك وسبب تسميتها بذات الرقاع انهم رقعوا فيها راياتهم وقيل لشجرة فى ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل ان الارض التى نزلوا بها فيها بقع سود

وبيض كانت امرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل لان خيلهم كان بها سواد وبياض وقيل لصلاتهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها لانهم فعلوا بعضها منفردين عن النبى صلى الله عليه وسلم وبعضها معه فأشبه ذلك اصلاح خلل الثوب برقعة قال السهيلى واصح الاقوال كلها ما رواه 109 البخارى ومسلم عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ونحن ستة نفر اى من الاشعريين بيننا بعير نعتقبه فنقبت اقدامنا ونقبت قدماى وسقطت اظفارى اى من الحفاء فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على ارجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ما قاله ابن اسحق قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بنى محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وبنى ثعلبة بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان فمحارب وسعد ابناعم وسبب ذلك انه عليه الصلاة والسلام بلغه انهم جمعوا جموعا لمحاربته صلى الله عليه وسلم فاخبر اصحابه وامرهم بالتجهز ثم خرج فى اربعمائة من اصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة اباذر الغفارى رضى الله عنه وقيل عثمان بن عفان رضى الله عنه وسار الى ان وصل الى موضع يسمى وادى الشقرة وبث السرايا فرجعوا اليه من الليل واخبروه انهم لم يروا احدا فسار حتى نزل نخلا وهو موضع من نجد من اراضى غطفان فلم يجد فى مجالسهم الا نسوة فأخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرقوا فى رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا لمحاربة جيش النبى صلى الله عليه وسلم فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض واخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف فى صلاة العصر ولم يكن بينه وبين القوم حرب والقى الله فى قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله

بعضهم امكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغى ان يكون ذلك كتزويق المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله اعلم قال وذكر ابن اسحق فى كتاب المبدا وقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان تبع بن حسان الحميرى وهو تبع الاول اى الذى ملك الارض كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرئيس لانه رأس الناس بما اوسعهم من العطاء وقسم فيهم من الغنائم وكان اول من غنم ولما عمد الى البيت يريد تخريبه رمى بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا وانتن حتى لا يستطيع احد ان يدنو منه قيد رمح كما تقدم وتقدم انه بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك اجتاز يثرب وكان فى ركابه مائة الف وثلاثون الفا من الفرسان ومائة الف وثلاثة عشر الفا من الرجالة فأخبران اربعمائة رجل من اتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا ان لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى ذلك فقالوا ان شرف البيت انما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج منها فبنى فيها لكل واحد منهم دارا واشترى له جارية واعتقها وزوجها منه واعطاهم عطاء جزيلا وكتب كتابا وختمه ودفعه الى عالم عظيم منهم وامره ان يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه وفى ذلك الكتاب انه آمن به وعلى دينه وبنى دارا له صلى الله عليه وسلم ينزلها اذا قدم تلك البلد ويقال انها دار ابى ايوب اى كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذى دفع اليه الكتاب اى فهو صلى الله عليه وسلم لم ينزل الا داره اى على ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اى دعا الى الاسلام ارسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى أبا ليلى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى الذى معك كتاب تبع الاول فقال له أبو ليلى من انت قال أنا محمد هات الكتاب فلما قرأه اى قرئ عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب اما بعد يا محمد فانى آمنت بك وبربك ورب كل شئ وبكل ما جاءك من ربك من شرائع الاسلام والايمان وانى قلت ذلك فان أدركتك فبها ونعمت وان لم أدركك فاشفع لى يوم القيامة ولا تنسنى فانى من اصل الاولين وبايعتك قبل مجيئك وقبل أن يرسلك الله وأنا على ملتك وملة ابراهيم وختم الكتاب وتلا اى قرأ عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فقد قرأ هذا قبل نزوله وكتب عنوان الكتاب الى محمد ابن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين من تبع الاول حمير أمانة الله فى يد من وقع هذا الكتاب فى يده الى أن يدفعه الى صاحبه ودفعه الى رأس العلماء المذكور اين ثم وصل الكتاب المذكور الى النبى صلى الله عليه وسلم على يد بعض ولد العالم المذكور حين

عليه وسلم (وفى هذه الغزوة) نزل صلى الله عليه وسلم ليلا فى شعب استقبله وكانت تلك الليلة ذات ريح فقال صلى الله عليه وسلم بعد نزوله من يكلؤنا فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن يارسول الله فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر رضى الله عنهما انا اكفيك اول الليل وتكفينى انت آخره فنام عمار وقام عباد رضى الله عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتى اصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء اخبر الخبر فتبع الجيش وحلف لا ينثنى حتى يصيب محمدا او يوثق فى اصحاب محمد دما فلما قرب من الشعب رأى سواد عباد فقال هذه ربيئة القوم ففوق سهما فوضعه فى عباد فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه ايضا فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فجلس عمار فلما رأى المشرك عمارا اجلس علم انه قد نذر به فهرب فقال عمار لعباد اى أخى ما منعك أن توقظنى له فى أول سهم رمانيه فقال كنت أقرأ فى سورة يعنى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفى رواية جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصين من اصحابه يقال هما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو فرمى احدهما اى وهو عباد بن بشر بسهم فاصابه ونزفه الدم وهو يصلى ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصلى ولم يقطع صلاته وقد قال عباد معتذرا عن ترك ايقاظ صاحبه لولا انى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسى (وفى هذه الغزوة أيضا) وقعت قصة الرجل الذى اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت الشجرة وقد تقدمت قريبا استطرادا عند ذكر عزم بنى النضير على الغدر به صلى الله عليه وسلم واسم الرجل غورث وقيل دعثور وقيل انهما قصتان لرجلين

هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى يدل على أن ذلك كان فى أول البعثة وبعد قراءة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات وكان بين تبع هذا اى بين قوله انه آمن به وعلى دينه وبين مولد النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء اى وتقدم أنه ابتاع المحل الذى بناه دارا له قبل مبعثه بالف سنة فليتأمل ويقال ان الاوس والخزرج من أولاد أولئك العلماء والحكماء اه اقول قد علمت ان نزوله صلى الله عليه وسلم دار ابى ايوب على الوجه المتقدم واخذه المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب اليه اول البعثة او بين مكة والمدينة وهو مهاجر الى المدينة يبعد هذا وفيه ايضا ان الذى فى التنوير لابن دحية أن هذا تبع الاوسط وأنه الذى كسا البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبى اسمه محمد اى فقد ذكر بعضهم ان تبعا اراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة الملك اجل من ان يستخفه غضب وأمره اعظم من ان يضيق عنا حلمه او تحرم صفحه مع ان هذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب الى ان هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فأدوه اليه ويقال ان الكتاب كان عند ابى ايوب الانصارى وكان ذلك قبل مبعثه بسبعمائة عام وفى التنوير ايضا ان ابن ابى الدنيا ذكر انه حفر قبر بصنعاء قبل الاسلام فوجد فيه امرأتان لم يبليا وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة ابنتى تبع ماتتا وهما يشهدان أن لا اله الا الله ولا يشركان به وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وجاء لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا وفى رواية لا تسبوا تبعا الحميرى فانه اول من كسا الكعبة قال السهيلى وكذا تبع الاول كان مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال شعرا ينبئ فيه ببعثته صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وكانت المدينة فى الجاهلية معروفة بالوباء أى الحمى وكان اذا أشرف على واديها أحد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوباء وفى لفظ كان اذا دخلها غريب فى الجاهلية يقال له ان اردت السلامة من الوباء فانهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك سلم وفى حياة الحيوان كانوا فى الجاهلية اذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار اى نهقوا عشرة أصوات فى طلق واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان ذلك يمنعهم من الوباء ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد أهلها من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة واصحابه أصابت اصحابه الحمى وفى لفظ استوخم

المهاجرون

المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق أمزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى كانوا يصلون من قعود فرآهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشموا المشقة وصلوا قياما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها قدمنا المدينة وهي أوبأ ارض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أراك هكذا قالت بابي أنت وأمي هذه الحمى وسبتها فقال لا تسبيها فانها مأمورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن أذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها آخر فقالتها فذهبت عنها وعن علي رضي الله تعالى عنه لما قدمنا المدينة اصبنا من ثمارها فاصابنا بها وعك اي حمى ومن جملة من اصابته الحمى سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه ومولياه عامر بن فهيرة وبلال اي وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى أنشد

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

اي وهذا من شعر حنظلة بن يسار بناء على الصحيح ان الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس من شعر ابي بكر فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان ابا بكر لم يقل شعرا في الاسلام اي ولا في الجاهلية كما في رواية عنها والله ما قال ابو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الاسلام اي لم ينشئه حتى مات اي وهذا ربما ينافي ما في الينبوع ليس عمل الشعر رذيلة قد كان الصديق وعمر وعلي رضوان الله تعالى عليهم يقولون الشعر وعلي كرم الله وجهه أشعر من ابي بكر وعمر وما تقدم عن عائشة معارض بظاهر ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

الا أن يحمل قولها على أنها لم تسمع ذلك منه بناء على أن ذلك من انشاء الصديق وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اي صوته يقول متشوقا الى مكة

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من ارضنا الى أرض الوباء وأراد بلال بالوادي وادي مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل

في غزوتين هذه وغزوة أمر وتقدم ايضا ان ذلك الرجل اسلم واسلم قومه بالامه ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة رضي الله عنه بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين * (غزوة بدر الاخيرة)* وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها فهي صغرى بالنسبة للتي وقع فيها القتال وهي الكبرى وتسمى هذه ايضا بدر الموعد للمواعدة عليها مع ابي سفيان يوم أحد وتسمى بدرا الثالثة وكانت في شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول ابن اسحق قال ابن اسحق لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجبا ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان وقيل كانت في ذي القعدة وميعاد أبي سفيان هو ما سبق ان أبا سفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من اصحابه وعشرة أفراس واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة الخزرجي رضي الله عنه وحمل اللواء علي بن ابي طالب رضي الله عنه وخرج أبو سفيان في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى نزل موضعا قريبا من مر الظهران وقيل نزل عسفان ثم بدا له الرجوع وكان قد دبر ذلك في نفسه وهو بمكة لما ألقى الله في قلبه من الرعب روى ان نعيم بن مسعود الاشجعي قدم مكة فاخبر قريشا بتهيؤ المسلمين لحربهم فكره ابو سفيان الخروج وجعل لنعيم عشرين بعيرا على ان يذهب الى المسلمين ويخذلهم وضمنها له سهيل بن عمرو وحمله على بعير فقدم نعيم المدينة وارجف المسلمين بكثرة العدو حتى قذف في قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية في الخروج حتى خشي عليه الصلاة والسلام ان لا يخرج معه احد فجاءه العمران

إى ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فقالا ان الله مظهر دينه ومعز نبيه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب ان نتخلف عنه فيرون ان
هذا جبن فسر لموعدهم فوالله ان فى ذلك لخيرا ان شاء الله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وقال والذى نفسى بيده لاخرجن وان لم
يخرج معى احد فاذهب الله عن المسلمين ١١٢ ما كان الشيطان ارعبهم به وقال ابو سفيان اقريش قد بعثنا نعيما يخذل اصحاب
محمد عن الخروج وهو جاهد فى تخذيلهم لكن نخرج فنسير ليلة او ليلتين ثم نرجع فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا لانه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه وان خرج اظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فلما أراد الرجوع قال يامعشر قريش لا يصلحكم اى لا يريحكم ويزيل عنكم مشقة السفر الا عام ذو خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأما النبى صلى الله عليه وسلم فخرج على الموعد هو واصحابه وسمع الناس بمسيره وذهب صيته الى كل جانب وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لابى سفيان والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأونا قد اخلفناهم واقام صلى الله عليه وسلم واصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر ابا سفيان لميعاده وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وانزل الله
فى ذلك الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين   البنا
قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود ان الناس وهو أبو سفيان وأصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف

جبلان بقرب مكة اى وفى رواية وهل يبدون لى عامر وطفيل وعامر ايضا جبل من جبال مكة وفى شرح البخارى للخطابى كنت أحسب شامة وطفيلا جبلين حتى مررت بهما فاذا هما عينان من ماء هذا كلامه وقد يقال يجوز أن تكون العينان بقرب الجبلين المذكورين فاطلق اسم كل منهما على الآخر ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهى عن لعن المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح الا ان علم موته على الكفر كابى جهل وابى لهب دون الكافر الحى لانه يحتمل ان يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها واما اللعن على الوصف كاكل الربا فجائز أو ان ذلك محمول فى ذلك على الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لا على الطرد عن رحمة الله تعالى الذى هو حقيقة اللعن وكان كل من ابى بكر وعامر وبلال فى بيت واحد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فاذا بهم ما لا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم اى وقالت لابيها يا أبت كيف اصبحت فأنشدها الشعر المتقدم قالت فقلت انا لله ان ابى ليهذى قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال

انى وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

قالت فقلت هذا والله لا يدرى ما يقول قالت ثم قلت لبلال كيف اصبحت فاذا هو لا يعقل وفى رواية فأنشدها البيتين قالت وذكرت حالهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقلت انهم يهذون ولا يعقلون من شدة الحمى اى وهذا السياق يخالف ما فى السيرة الهشامية ان الصديق رضى الله تعالى عنه لما قدم المدينة أخذته الحمى هو وعامر بن فهيرة وبلال الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز انها أخذتهم أولا وأقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة أو ان عائشة استأذنته فى ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها كانت معقودا عليها ولعل الصديق كان فى غير بيت أم عائشة والذى فى تاريخ الازرقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوا بها فعاد النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال كيف تجدك فانشده ما تقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فانشده ما تقدم ثم دخل على عامر بن فهيرة فقال كيف تجدك يا عامر فانشده ما تقدم ولا مانع من التعدد فليتأمل وحين ذكرت عائشة رضى الله تعالى عنها له ذلك نظر الى السماء اى لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب

اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقيل ان قوله الذين استجابوا الى اجر عظيم انما نزلت فى شأن حمراء الاسد وهو خروجهم فى اثر قريش بعد وقعة احد وهذا هو الصحيح وقوله الذين قال لهم الناس الخ نزلت فى غزوة بدر الصغرى ولا مانع ان يكون صدر الآية مشيرا الى الامرين والله سبحانه وتعالى اعلم * (غزوة دومة الجندل) * ١١٣ وهى مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا عظيما يظلمون من مر بهم وانهم يريدون ان يدنوا من المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم فى الف من اصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وكان صلى الله عليه وسلم يسير الليل ويكمن النهار فلما دنا منهم قال له مذكور العذرى رضى الله عنه وكان هو الدليل مع النبى صلى الله عليه وسلم اقم لى حتى اطلع لك على سوائم القوم فانها ترعى هنا فخرج العذرى فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فاخبره فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب فى كل وجهة وجاء الخبر أهل دومة فاصابهم الرعب فتفرقوا فرقا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم ونزل بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام بها اياما وبعث السرايا وفرقها فرجعوا سالمين واصابوا رجلا من القوم فجاؤا به للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله عنهم فقال هربوا حين علموا انك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فاسلم ورجع النبى صلى الله عليه وسلم ودخل المدينة فى عشرين من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى اعلم * (غزوة المريسيع) * وهو ماء لبنى خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم وتسمى غزوة بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة وكانت فى شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان

الينا المدينة كما حببت الينا مكة او اشد وفى رواية واشد وبارك لنا فى مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباءها الى مهيعة اى الجحفة كما فى رواية وهى قرية من رابغ محل احرام من يجىء من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك اليهود ودعاؤه صلى الله عليه وسلم ان يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء فى حديث ان عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رجلا بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر من اوصافها الحسنة ما غرغرت منه عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفى رواية دع القلوب تقر (اقول) ودعاؤه صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى كان فى آخر الامر واما عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة فخير بين الطاعون والحمى اى بقائها فامسك الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام كما جاء فى بعض الاحاديث اتانى جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وقولنا اى بقائها اردنا به ما قد يتوهم من الحديث ان الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم اليها وانما اختار الحمى على الطاعون لانه كان حينئذ فى قلة من اصحابه فاختار بقاء الحمى لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج للجهاد واذن له فى القتال ووجد الحمى تضعف اجساد الذين يقاتلون دعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة اصح بلاد الله تعالى بعد ان كانت بخلاف ذلك كذا قيل فليتأمل فانه يقتضى ان الحمى لما نقلت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وهو الموافق لما يأتى عن الخصائص وحين نقلت الحمى الى الجحفة صارت الجحفة لا يدخلها احد الا حم بل قيل اذا مر بها الطائر حم واستشكل حينئذ جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بما فيه ضرر واجيب بان الحمى انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز او قبله حين التوقيت بها كذا قيل فليتأمل (وعنه صلى الله عليه وسلم) قال رأيت اى فى النوم امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فأولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيعة وفى الخصائص الصغرى للسيوطى وصرف الحمى عنها اى عن المدينة اول ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما اتاه جبريل بالحمى والطاعون امسك الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام ولما عادت الحمى الى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم اياها لم تستطع ان تأتى احدا من اهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستأذنته فيمن يبعثها اليه فأرسلها الى الانصار فقد جاء ان الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه

رئيسهم الحرث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها وقد أسلم لما جاء في فدائها كما سيأتي سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيؤا للمسير معه وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه ليعلم حالهم الذي هم عليه واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول فاذن له فاتاهم ولقي الحرث بن ابي ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا له من الرجل قال منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فاسير في قومي ومن اطاعني فنكون يدا واحدة حتى نستأصله قال الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا فقال لهم بريدة اركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك ورجع هو الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرهم فندب صلى الله عليه وسلم الناس وخرج مسرعا في جمع كثير وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثل خروجهم في هذه الغزوة وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون من الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للانصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر الغفاري وقيل نميلة ابن عبد الله الليثي رضي الله عنهم وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وأصاب صلى الله عليه وسلم في طريقه عينا أي جاسوسا للمشركين فسأله عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فابى فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب عنقه وبلغ الحرث ومن معه مسيره صلى الله عليه وسلم وانه قتل جاسوسه فسيء بذلك الخبر هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين لابي بكر رضي الله عنه وقيل لعمار بن

وسلم وقالت انا ام ملدم وفي رواية أنا الحمى ابري اللحم وامص الدم قال لا مرحبا بك ولا اهلا وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه وسلم نهى عائشة عن سبها فقالت له امضي الى احب قومك او احب اصحابك اليك فقال اذهبي للانصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا له ادع لنا بالشفاء فقال ان شئتم دعوت الله عز وجل يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فاسقطت ذنوبكم وفي رواية كانت لكم طهورا فقالوا بلى دعها يا رسول الله ولعل هذا كان لطائفة من الانصار فلا ينافي ما جاء ان الانصار لما شكوا اليه الحمى وقد مكثت عليهم ستة ايام بلياليها دعا لهم بالشفاء وصار صلى الله عليه وسلم يدخل دارا دارا وبيتا بيتا يدعو لهم بالعافية وهذا الذي في الخصائص يدل على ان الحمى لما ذهبت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختيار منه صلى الله عليه وسلم والذي نقله هو عن الحافظ بن حجر ان الحمى كانت تصيب من اقام بالمدينة من اهلها وغيرهم فارتفعت بالدعاء عن اهلها الا النادر ومن لا يألف هواها وقد جاء ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كانت له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والذي رواه الامام احمد وابن حبان في صحيحه عن جابر استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت ام ملدم فامر بها الى اهل قباء فلقوا ما لا يعلمه الا الله تعالى فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم دعوت الله تعالى ليكشفها وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا أو يفعل قال نعم قالوا فدعها والله اعلم (ثم دعا صلى الله عليه وسلم) بقوله اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة وفي رواية واجعل مع البركة بركتين وجاء انهم شكوا اليه صلى الله عليه وسلم سرعة فناء طعامهم فقال لهم قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قيل معناه تصغير الارغفة ودعا للغنم كانت ترعى بالمدينة فقال اللهم اجعل نصف أكراشها مثل ملئها في غيرها من البلاد اي ولعل الدعاء بذلك ليس خاصا بتلك الاغنام الموجودة في زمنه صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما ذكره السيوطي في الخصائص الصغرى مما اختصت به المدينة أن غبارها يطفئ الجذام ونصف اكراش الغنم فيها مثل ملئها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكما صينت المدينة عن الطاعون بارساله الى الشام صينت عن الدجال روى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على انقاب المدينة اي على ابوابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وفي رواية لها اي المدينة سبعة ابواب على كل باب ملك فان قيل كيف مدحت المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف ارسله صلى الله

الله عليه وسلم الى الشام مع انه شهادة واجيب بأنه انما ارسله الى الشام لما تقدم وصينت عنه بعد انتفاء ما تقدم لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها فى زمن من الازمنة بخلاف مكة فانه وجد بها فى بعض السنين وهى سنة تسع واربعين وسبعمائة ويقال انه وقع فى سنة تسع وثلاثين بعد الالف لما هدم السيل الكعبة اى الجانب الذى جهة الحجر قال بعضهم فمن حين انهدم وجد الطاعون بمكة واستمر الى ان أقاموا الاخشاب موضع المنهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كذا اخبر بعض الثقات من اهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون فى المدينة فى زمن من الازمنة يخالفه قول بعضهم وفى السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون فى المدينة أفنى الخلق وهو أول طاعون وقع فى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع بارض فلا تخرجوا منها وان سمعتم به فى أرض فلا تقربوها ويروى أنه لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنها الوباء ثلاثا اى وفيه أن هذا قد يخالف ما سبق من أن هذا كان فى اخرة الامر لا عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الا ان يحمل على ان قدومه صلى الله عليه وسلم كان من سفر لا للهجرة (وفى الحديث) سيأتى على الناس زمان يلتمسون فيه الرخاء فيحملون بأهليهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يلبث فيها احد فيصبر للاواء واتها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيامة شهيدا وشفيعا وفى مسلم لا يصبر على لاواء المدينة وشدتها احد من امتى الا وكنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا اى شفيعا للعاصى وشهيدا للطائع واللاواء بالمد الجوع وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فانى أشفع لمن يموت بها لا يريد أحد أهل المدينة بسوء الا اذابه الله تعالى ذوب الملح فى الماء وفى رواية أذابه الله فى النار ذوب الرصاص او ذوب الملح فى الماء لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد اى وفى رواية فى مسلم تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة وتقدم أن هذا ليس عاما فى الازمنة ولا فى الاشخاص وفى رواية مكة والمدينة ينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا اى وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه فى اباحة المدينة فى وقعة الحرة ورد بانه لا دلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام انما هو فيه وانما يدل على جواز لعنه

ياسر رضى الله عنه وراية الانصار لسعد بن عبادة رضى الله عنه وأمر عمر فنادى فى الناس قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فابى المشركون أن يقولوها فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم أحد قتلوا عشرة واسروا باقيهم وكانوا اكثر من سبعمائة وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء وكانت الابل ألفى بعير والشاء خمسة آلاف شاة وكان السبى مائتى بيت ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد وهو هشام بن صبابة أصابه رجل من رهط عبادة ابن الصامت رضى الله عنه خطأ وكان من جملة السبى جويرية بنت الحرث فاختص بها النبى صلى الله عليه وسلم واعتقها وتزوج بها وخرج الخبر الى الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج بها فقال الناس اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا ما بايديهم قالت عائشة رضى الله عنها فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها رضى الله عنها وقيل انها طلبت قومها من النبى صلى الله عليه وسلم ليلة دخوله بها فوهبهم لها وهذا لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا انه تزوجها أطلقوا الاسرى فكان ذلك زيادة اكرام من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حتى لا يسأل احدا منهم فى ذلك بشئ أو مجانا ثم هدى الله أكثرهم للاسلام وجاء ان جويرية رضى الله عنها قالت رأيت قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كان القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى فكرهت ان اخبر بها احدا من الناس حتى قدم صلى الله عليه وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما اعتقنى وتزوجنى ما شعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى بفك الاسرى فحمدت الله تعالى وجاء ان بعض الاسرى انما اطلقوا بفداء ولعل هذا قبل التزوج بها رضى الله عنها وجاء عن جويرية رضى الله عنها انها قالت لما اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن

بالوصف وهو من اخاف اهل المدينة وليس الكلام فيه والفرق بين المقامين واضح كما علمت (وجاء) أهل المدينة جيراني وحقيق على امتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر من حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال اى وهي عصارة اهل النار وفي لفظ من اخاف هذا الحي من الانصار فقد اخاف ما بين هذين ووضع يده على جنبيه وقيل لها أطيبة لطيب العيش بها ولان للعطر اى الطيب بها رائحة لا توجد في غيرها (ومن خصائصها) ان ترابها شفاء من الجذام كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل داء وعجوتها شفاء من السم اى وفي الحديث تخرب المدينة قبل يوم القيامة باربعين سنة وان خرابها يكون من الجوع وان خراب اليمن يكون من الجراد اى وقد دعا صلى الله عليه وسلم على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد واقتل كباره واهلك صغاره واقطع دابره وخذ بافواهها عن مواشينا وارزاقنا انك سميع الدعاء وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى باول الثمر فيقول اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه اصغر من يحضره من الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة واني عبدك ونبيك ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ثم بنى صلى الله عليه وسلم بقية الحجر التسع عند الحاجة اليها اى وهذا هو الموافق لما سبق ان بعضها بني مع المسجد وهي حجرة سودة وحجرة عائشة رضي الله تعالى عنهما كما تقدم وفي كلام ابن الاثير ان بيوته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة واكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل يقتضي انها بنيت كلها في السنة الاولى من الهجرة حيث قال وفيها اى السنة الاولى بنى مسجده صلى الله عليه وسلم ومساكنه اى وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين في كل ارض ليست لاحد وفيما وهبته له الانصار من خططها واقام قوم منهم ممن لم يمكنه البناء بقباء عند من نزلوا عليه بها قال عبد الله بن زيد الهذلي رأيت بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز بامر الوليد بن عبد الملك اى بعد موت أزواجه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ بادخالها في المسجد فما رأيت اكثر باكيا من ذلك اليوم اى وكانت تسعة اربعة مبنية باللبن اى وسقفها من جريد النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد اى غير بيت ام سلمة فانها جعلت حجرتها بناء وكان صلى الله عليه وسلم في غزوة دومة الجندل فلما قدم دخل عليها اول نسائه فقال لها ما هذا البنيان قالت اردت ان اكف ابصار الناس فقال صلى الله عليه وسلم ان شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم

البنيان

على المريسيع سمعت ابي يقول أتانا ما لا قبل لنا به فلبثت ارى من الناس والخيل والسلاح ما لا اصف من الكثرة فلما اسلمت وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت انظر الى المسلمين فليسوا كما كنت ارى فعلمت انه رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين ثم ان اباها الحرث قدم على

النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد رجوعه يريد فداء ابنته وفكاكها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التي يريد ان يفدي ابنته بها فرغب في بعيرين منها كانا من افضلها فاعقبهما في شعب من شعاب العقيق ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحرث اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله والله ما اطلع على ذلك احد الا الله وقيل انه اسلم قبل ذلك وهذا اظهار لاسلامه ثم امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر ابنته باسلامه فقالت له احسنت واجابت فقال لها ابوها يا بنية لا تفضحي قومك يعني بالرق فقالت اخترت الله ورسوله فرضي ابوها بذلك وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره قال ابن عبد البر هي غزوة بني المصطلق قالت حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا الا ترى الى ما صنعت عائشة رضي الله عنها أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا

على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة رضى الله عنها فعاتبنى ابو بكر رضى الله عنه وقال ماشاء الله أن يقول وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير رضى الله عنه ماهى باول بركتكم يا آل ابى بكر قالت فبعثنا البعير فاصبنا العقد تحته وفى رواية قال أسيد لها جزاك الله خيرا مانزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله لك منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال لها ابو بكر رضى الله عنه والله يابنية انك كما علمت مباركة وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك فيكون العقد قد سقط مرتين وقد اختلف أئمة السير اختلافا كثيرا هل كان ذلك فى غزوة واحدة او غزوتين فقيل فى غزوة واحدة وهى غزوة بنى المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا هل قصة آية التيمم أسبق أم قصة الافك واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول أسيد بن حضير رضى الله عنه ماهى باول بركتكم يا آل ابى بكر اى بل مسبوقة بغيرها من البركات فهو يشعر بان هذه القصة كانت بعد قصة الافك وبعضهم أخر قصة الافك عنها والقائلون بان ضياع العقد كان فى غزوتين قالوا مرة فى غزوة ذات الرقاع ومرة فى غزوة بنى المصطلق واستدل كل قائل بادلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك فى غزوة بنى المصطلق قطعا والاختلاف انما هو فى قصة التيمم هل هى فى تلك الغزوة وبه جزم ابن عبد البر وجماعة اوفى غزوة ذات الرقاع اوغيرها وبه جزم آخرون والله اعلم وحاصل قصة الافك مارواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فانا احمل فى هودجى وانزل فيه حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل

البنيان وعن على رضى الله تعالى عنه ان لله بقاعا تسمى المنتقمات فاذا اكتسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الماء والطين ثم لايمتعه به اى وكانت تلك الحجر التى من الجريد مغشاة من خارج بمسوح الشعر وخمسة ابيات من جريد مطينة لاحجر بها على ابوابها ستور من مسوح الشعر اى وهى التى يقال لها البلانس ذرع الستر فوجد ثلاثة اذرع فى ذراع هذا وفى كلام السهيلى كانت مساكنه صلى الله عليه وسلم مبنية من جريد عليه طين وبعضها من حجارة موضوعة وسقوفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه الصلاة والسلام اكسية من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا كلامه قال بعضهم وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرون مارضى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الارض بيده اى فان ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فى البنيان وجاء انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض طرق المدينة فرأى فيه مشرعة فقال ماهذه قالوا هذه لرجل من الانصار فجاء ذلك الرجل فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه فعل ذلك مرارا فاعلم بالقصة فهدمها الرجل وعن الحسن البصرى قال كنت وانا مراهق ادخل بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدى اى لان الحسن البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب يقينا وكان ابنا لمولاة لام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت أم سلمة تخرجه للصحابة يباركون عليه وأخرجته الى عمر رضى الله تعالى عنه فدعا له بقوله اللهم فقهه فى الدين وحببه الى الناس وكان والده من جملة السبى الذى سباه خالد فى خلافة الصديق من الفرس وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لان عمره كان قبل أن يخرج على من المدينة الى الكوفة وذلك بعد قتل عثمان أربع عشرة سنة قيل له يا أبا سعيد انك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال لذلك السائل كل شئ سمعتنى أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر عليا اى خوفا من الحجاج وقد أخرج له عن على جماعة من الحفاظ كالترمذى والنسائى والحاكم والدارقطنى وأبو نعيم مابين حسن وصحيح وبه يرد قول من أنكر أنه لم يسمع من على لان المثبت مقدم على النافى أو هو محمول على أنه لم يسمع من على بعد خروج على من المدينة قال بعضهم وتلك الفصاحة التى كانت عند الحسن والحكمة من قطرات ابن شربها من ثدى أم المؤمنين أم سلمة رضى الله تعالى عنها فان أمه ربما غابت فيبكى فتعطيه أم سلمة

ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى اقبلت الى رحلى
فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين كانوا
يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على ١١٨ بعيرى الذى كنت اركب عليه وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا
لم يغشهن اللحم انما يا كان العلقة
من الطعام فلم يستنكر القوم
خفة الهودج حين رفعوه وحملوه
وكنت جارية حديثة السن
فبعثوا الجمل وساروا ووجدت
عقدى بعدما استمر الجيش فجئت
منازلهم وليس بها داع ولا مجيب
فتيممت منزلى الذى كنت به
وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون
الى فبينما انا جالسة فى منزلى غلبتنى
عينى فنمت وكان صفوان بن
المعطل السلمى ثم الذكوانى من
وراء الجيش فاصبح عند منزلى
فرأى سواد انسان نائم فعرفنى
حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب
فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى
فخمرت وجهى بجلبابى و والله
ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير
استرجاعه وهوى حتى اناخ
راحلته فوطئ على يدها فقمت
اليها فركبتها فانطلق يقود بى
الراحلة حتى اتينا الجيش فى نحر
الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك
وكان الذى تولى كبر الافك عبد الله
ابن ابى بن سلول فانه كان أول من
أشاعه فى العسكر لانه كان ينزل
مع جماعة من المنافقين مبتعدين
من الناس فمررنا عليه فقال من
هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفى لفظ ما برئت منه وما برئ منها وفى رواية قال اسعد
والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم اشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم بها الشدة
عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عروة بن الزبير اخبرت ان حديث الافك كان يشاع ويتحدث به عند ابن ابى فيقره

ثديها تعلله به الى أن تجىء أمه فرجعا درعليه ثديها فشربه قال بعضهم كان الحسن
البصرى أجل أهل البصرة وفى كلام ابن كثير كان الحسن البصرى شكلا ضخما طوالا
هذا كلامه وكان اذا أقبل كانه أقبل من دفن حميمه واذا جلس فكانه أسير أمر
بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكانها لم تخلق الا له وعن الواقدى كان لحارثة بن
النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا
تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهذا
يخالف ما تقدم عن الاصل من ان مساكنه بنيت فى السنة الاولى ومات عثمان بن
مظعون وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وأمر صلى الله عليه وسلم أن يرش قبره
بالماء ووضع حجرا عند رأس القبر أى بعد أن أمر رجلا أن يأتيه بحجر فاخذ الرجل حجرا
ضعف عن حمله فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله ووضعه
فى المحل المذكور وقال أتعلم به قبر أخى وأدفن اليه من مات من أهلى اى ومن ثم دفن
ولده ابراهيم عند رجليه (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم قبل
عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
خدى عثمان بن مظعون اى وفى الاستيعاب أنه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل وكفن
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا معارضة بينه وبين خبر عائشة رضى الله
تعالى عنها السابق كما لا يخفى وجعل النساء يبكين فجعل عمر يسكتهن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان ومهما كان من العين فمن الله
ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وقالت امرأته وهى خولة بنت
حكيم وقيل ام العلاء الانصارية وكان نزل عليها وقيل ام خارجة بن زيد طبت هنيأ لك
الجنة ابا السائب فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال وما يدريك
فقالت يا رسول الله فارسك وصاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادرى
ما يفعل بى فاشفق الناس على عثمان وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان خولة بنت
حكيم دخلت عليها وهى متشوشة الخاطر فقالت لها عائشة ما بالك قالت زوجى تعنى
عثمان بن مظعون يقوم الليل ويصوم النهار فدخل النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة
فذكرت له ذلك فلقى عثمان فقال له يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا اما لك بى اسوة والله
ان اخشاكم لله وحدوده لانا اى وسماه السلف الصالح فقال عند دفن ولده ابراهيم الحق
بسلفنا الصالح وقال عند دفن بنته زينب الحقى بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ومات

و يسقبه ويستوشيه وقال عروة ايضا لم يسم من اهل الافك الا حسان بن ثابت رضى الله عنه ومسطح ابن اثاثة رضى الله عنه وحمنة بنت جحش رضى الله عنها فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وكانت عائشة رضى الله عنها تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

* فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء *

قالت عائشة رضى الله عنها فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك لا أشعر بشئ من ذلك ويريبنى فى وجعى انى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم على ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا اى موضع قضاء حاجتنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا امر العرب الاول فى البرية اى فى الخروج اليها قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهى سلمى ابنة رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أى هنتاه اى ياهذه أولم تسمعى ما قال قالت عائشة رضى الله عنها فقلت لها ما قال فاخبرتنى بقول أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضى فلما رجعت الى بيتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لى أن آتى أبوى قالت وأريد أن أستيقن الخبر من

أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه ووجد اى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا عليه وكان نقيبا لبنى النجار فلم يجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبا بعده اى بعد ان قالوا له اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من امرنا ما كان يقيم وقال لهم انتم اخوالى وانا نقيبكم وكره ان يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم اى ووهم ابن منده وابو نعيم فى قولهما ان ابا امامة كان نقيبا لبنى ساعدة لانه صلى الله عليه وسلم كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بنى ساعدة سعد بن عبادة اى وقد قيل ان قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مات البراء بن معرور فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو واصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت وهى اول صلاة صليت على الميت فى الاسلام بناء على ان المراد بالصلاة حقيقتها والا جاز ان يراد بالصلاة الدعاء ويوافق ذلك قول الامتاع لم اجد فى شئ من كتب السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان بن مظعون وقد مات فى السنة الثانية وكذلك اسعد بن زرارة مات فى السنة الاولى ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود اى بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير اى صالحهم على ترك الحرب والاذى اى ان لا يحاربهم ولا يؤذيهم وان لا يعينوا عليه احدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم وقد ذكر فى الاصل صورة الكتاب وآخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار فى دار انس بن مالك وهى دار ابى طلحة زوج أم أنس اى واسمه زيد بن سهل وقد ركب البحر غازيا فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة ايام فدفنوه بها ولم يتغير وعن انس رضى الله تعالى عنه ان ابا طلحة لم يكن يكثر من الصوم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما مات صلى الله عليه وسلم سرد الصوم وكانت المؤاخاة بعد بناء المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الارحام وفى لفظ دون القرابة فقال تآخوا فى الله اخوين اخوين (اقول) ذكر ابن الجوزى عن زيد بن ابى اوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد المدينة فجعل يقول اين فلان اين فلان فلم يزل يتفقدهم و يبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال انى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الآية الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وانى اصطفى

قبلهما قالت فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما
كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله او قد تحدث الناس بهذا قالت
فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب رضي الله عنه
واسامة بن زيد حين استلبث
الوحي اي طال ابث نزوله يسألهما
و يستشيرهما في فراق اهله قالت
فاما اسامة بن زيد رضي الله عنهما
فاشار على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالذي يعلم من براءة اهله
وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال
اسامة هم اهلك ولا نعلم الا خيرا
واما علي رضي الله عنه فقال
يا رسول الله لم يضيق الله عليك
والنساء سواها كثير وسل الجارية
اي التي كانت تخدم عائشة
تصدقك قالت فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي
بريرة هل رأيت من شيء يريبك
قالت له بريرة رضي الله عنها والذي
بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا
قط اغمصه غير انها جارية حديثة
السن تنام عن عجين اهلها فتأتي
الداجن اي الشاة فتأكله قالت
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يومه فاستعذر من عبد الله بن
ابي وهو على المنبر فقال يا معشر
المسلمين من يعذرني من رجل قد
بلغني عنه اذاه في اهلي والله
ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد
ذكروا رجلا لا يعني صفوان بن
المعطل رضي الله عنه ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه
فقال انا يا رسول الله اعذرك منه فان كان من الاوس قبيلتنا ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا
فيه امرك قالت عائشة رضي الله عنها فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله

منكم من احب ان اصطفيه وأواخي بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته قم يا ابا بكر فقام
فجثا بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال ان لك عندي يدا الله يجزيك بها ولو كنت متخذا
خليلا لاتخذتك خليلا فانت مني بمنزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه بيده ثم قال ادن
يا عمر فدنا فقال قد كنت شديد البأس علينا يا ابا حفص فدعوت الله ان يعز بك الدين او
بابي جهل ففعل الله ذلك بك وكنت احبهما الى الله فانت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه
الامة وآخى بينه وبين ابي بكر هذا كلام ابن الجوزي وهو يقتضي انه صلى الله
عليه وسلم بعد الهجرة آخى بين المهاجرين والانصار ايضا كما آخى بينهم قبل الهجرة
وهذا لا يتم الا لو آخى بين غير ابي بكر وعمر من المهاجرين ويكون ابن ابي اوفى اقتصر
والمعروف المشهور ان المؤاخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل الهجرة ومرة
بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة والله اعلم ويدل لذلك قول بعضهم كانوا اذ ذاك
خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار اي وقيل كانوا تسعين فاخذ بيد علي بن ابي
طالب وقال هذا اخي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي اخوين وآخى بين ابي
بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لابي بكر كانت ابنته تحت ابي بكر وبين عمر وعتبان
ابن مالك و بين ابي رويم الخثعمي و بين بلال و بين اسيد بن حضير و بين زيد بن حارثة
وكان اسيد ممن كناه النبي صلى الله عليه وسلم كناه ابا عيسى وكان من احسن الناس صوتا
بالقرآن وكان احد العقلاء اهل الرأي وكان الصديق رضي الله تعالى عنه يكرمه ولا
يقدم عليه احدا وآخى بين ابي عبيدة و بين سعد بن معاذ وآخى بين عبد الرحمن بن عوف
و بين سعد بن الربيع وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن يا عبد الرحمن اني من اكثر
الانصار مالا فانا مقاسمك وعندي امرأتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها
فتزوجها فقال له بارك الله لك في اهلك ومالك وفي الاصل عن ابن اسحق آخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والانصار فقال تآخوا في الله أخوين
أخوين وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة و بين زيد بن حارثة واليه
اوصى حمزة يوم أحد فليتأمل فانهما مهاجران ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب وقال هذا
أخي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي اخوين وفيه ان هذا ليس من المؤاخاة بين
المهاجرين والانصار وقد تقدم في المؤاخاة بين المهاجرين قبل الهجرة مؤاخاته له صلى
الله عليه وسلم وفي رواية لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه جاء علي تدمع
عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني و بين احد فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والآخرة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب

وآخى

لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت ان يقتل فقام اسيد بن حضير وكان ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه اى ولو كان من الخزرج اذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها فبكيت يومى ذلك لا يرقا لى دمع ولا أكتحل بنوم قالت واصبح ابواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقا لى دمع ولا أكتحل بنوم حتى انى لاظن ان البكاء فالق كبدى فبينما ابواى جالسان عندى وانا ابكى استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى قالت فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى فقال أبى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت أمى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى

وآخى بين جعفر بن أبى طالب وهو غائب بالحبشة وبين معاذ بن جبل أى ارصد معاذا لاخوة جعفر اذا قدم من الحبشة وبه يرد ما قيل جعفر بن أبى طالب انما قدم فى فتح خيبر سنة سبع فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه الصلاة والسلام وآخى بين أبى ذر الغفارى والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وبين مصعب بن عمير وأبى ايوب وفى الاستيعاب أنه آخى بين سلمان وابى الدرداء وجاء سلمان لابى الدرداء زائرا فرأى ام الدرداء متبذلة فقال ما شأنك قالت ان اخاك ليس له حاجة فى شئ من الدنيا فقال له سلمان ان لربك عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه فسأل أبو الدرداء النبى صلى الله عليه وسلم عما قال سلمان فقال له مثل ما قال سلمان ولعل هذه المؤاخاة بين سلمان وأبى الدرداء كانت قبل عتق سلمان لانه تأخر عتقه عن أحد لان أول مشاهده الخندق كما تقدم * وروى الامام أحمد عن أنس أنه آخى بين ابى عبيدة وبين أبى طلحة وقد تقدم انه آخى بينه وبين سعد بن معاذ وقال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنة أى الخدمة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله قال لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم أى فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم به نوع مكافأة قال بعضهم والمؤاخاة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنبى قبله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لى بعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص اى المحبوسين عند قريش المانعين لهما من الهجرة فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة اى بعد أن خرج الى المدينة من حبس أهله بمكة كما تقدم أنا لك يا رسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريدين يا أمة الله قالت اريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكان بيتا لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم اخذ مروة أى حجرا فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم جعلهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فانشد اى متمثلا

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم أن ذلك يرد القول بان عياشا استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد دعا صلى الله عليه وسلم فى قنوت الصلاة بقوله اللهم أنج الوليد بن الوليد أى وذلك قبل أن يتخلص من حبسه بمكة اى فان

ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا الا أبا يوسف عليه السلام حين قال فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا أعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ولكن والله
ما ظننت أن الله تعالى منزل في شأني ١٢٢ وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو
أن يرى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها
وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله
عنه ما أعلم أهل بيت من العرب
دخل عليهم ما دخل علي والله
ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث
لا يعبد الله فيقال لنا في الاسلام
وأقبل على عائشة مغضبا قالت
عائشة رضي الله عنها فوالله ما قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مجلسه ولا خرج احد من اهل
البيت حتى انزل عليه الوحي فأخذه
ما كان يأخذه عند نزول الوحي
من البرحاء بسبب شدة ثقل الوحي
حتى انه ليتحدر منه العرق مثل
الجمان وهو في يوم شات قالت فسري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يضحك فكانت اول كلمة تكلم
بها أن قال يا عائشة أما الله فقد
برأك اي بما اوحاه اليه من القرآن
قالت فقالت لي امي قومي اليه
صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله
لا اقوم اليه فاني لا احمد الا الله
عز وجل الذي برأني قالت وانزل
الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك
عصبة منكم العشر الآيات
وتاب الله على من كان تكلم من
المؤمنين وأقيم الحد على من اقيم
عليه كمسطح وحسان وحمنة رضي الله عنهم قال السهيلي ان من نسب عائشة رضي الله عنها الى الزنا كغلاة لا بآثم
الرافضة كان كافرا لان ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفي الخصائص للسيوطي من قذف ازواجه صلى الله
عليه وسلم فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره و يقتل كما نقله القاضي عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن

الوليد أسر يوم بدر أسره عبد الله بن جحش فقدم في فدائه اخواه خالد وكان اخاه لابيه
وهشام وكان اخاه لامه وابيه اي ومن ثم لما ابى عبد الله ان يأخذ في فداء الوليد الا
اربعة آلاف درهم وصار خالد يأبى ذلك قال له هشام انه ليس بابن أمك والله لو ابى فيه
الا كذا وكذا لفعلت ويقال انه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش لا تقبل في
فدائه الا شكة ابيه وهي درع فضفاضة مقومة بمائة دينار فجاآ بها وسلماها الى عبد الله
فلما افتدى وقدم الى مكة أسلم فقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدي فقال كرهت أن يظنوا
بي اني جزعت من الاسار فلما اسلم حبسه اهل مكة ثم افلت ولحق برسول الله صلى الله عليه
وسلم وشهد عمرة القضاء وكتب الى اخيه خالد فوقع الاسلام في قلب خالد وكان خالد من
جملة من خرج من مكة فارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كراهة الاسلام
واهله فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال لو أتانا خالد لاكرمناه وما مثله
يجهل الاسلام فكتب له اخوه الوليد بذلك وفي مدة حبس الوليد كان صلى الله عليه وسلم
في كل ليلة اذا صلى العشاء الآخرة قنت في الركعة الاخيرة يقول اللهم انج الوليد بن
الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج عياش بن ابي ربيعة اللهم أنج هشام بن
العاص اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم
اجعلها عليهم سنين مثل سني يوسف فأكلوا العلهز ثم لم يزل يدعو للمستضعفين حتى
نجاهم الله أي بعد ان نجى عياشا وهشاما والوليد (اقول) هذه الرواية تدل على انه كان
يدعو بما ذكر في الركعة الاخيرة من العشاء الآخرة وفي البخاري ان ذلك كان
في الركعة الاخيرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لانه كان صلى الله عليه وسلم تارة
يدعو في الركعة الاخيرة من صلاة العشاء الآخرة وتارة في الركعة الاخيرة من الصبح
او كان يدعو بذلك فيهما وكل روى بحسب ما رأى والله اعلم ثم لا زال المهاجرون
والانصار يتوارثون بذلك الاخاء دون القرابات الى ان نزل قوله تعالى في وقعة بدر وأولو
الارحام اي القرابات بعضهم اولى ببعض اي في الارث في كتاب الله اي اللوح المحفوظ
فنسخت ذلك اي لانه كان الغرض من المؤاخاة ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الاهل
والعشيرة وشد ازر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل
التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوي رحمه اي ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن
حارثة اي بعد ان كان يقال له زيد بن محمد وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة اشهر
وقيل غير ذلك (اقول) تقدم ان سبب امتناع ان يقال زيد بن محمد نزول قوله تعالى ادعوهم

قذف عائشة رضى الله عنها وحضر بعض الشيعة فى مجلس الحسن بن زيد الرفاعى وكان من عظماء اهل طبرستان فذكر الشيعى عائشة رضى الله عنها ونسب اليها شيأ من القبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنقه وكان عنده بعض العلويين فاراد أن يمنعه من قتله وقال هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طاعن على رسول الله ١٢٣ صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهى الطاهرة المبرأة ياغلام اضرب عنق هذا الكافر يعنى الشيعى الذى تكلم فى عائشة رضى الله عنها فضرب عنقه وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة رضى الله عنه لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة رضى الله عنها ما قال فانزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضى الله عنه بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه ابدا وكفر عن يمينه وروى الطبرانى والنسائى انه أضعف له النفقة *(لطيفة)* وهى أن ابن المقرى منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط أمر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه

فيكتب اليه والده يقول

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة

لا بأنهم اى ومن ثم قيل للمقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الاسود لان الاسود كان تبناه فى الجاهلية ومن لم يعرف ابوه رد الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى ابى حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد ان كان يقال له سالم بن ابى حذيفة فكان ابو حذيفة يرى انه ابنه ومن ثم انكحه ابنة اخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة ابى حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل على وقد بلغ ما يبلغ الرجال وانه يدخل على واظن فى نفس ابى حذيفة من ذلك شيأ فماذا ترى فيه فقال ارضعيه تحرمى وعن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لعائشة ما نرى هذه الا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم وكان سالم رضى الله تعالى عنه يؤم المهاجرين الاولين فى مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وفى ينبوع الحياة كانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ ذلك قبل العمل به واما قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض فمعناه انهم التزموا هذا الحكم ودانوا به ومن المشكل حينئذ ما نقل ان الحتات بضم الحاء وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين معاوية ولما مات الحتات عند معاوية فى خلافته ورثه بالاخوة مع وجود اولاده ثم رأيت الحافظ ابن حجر فى الاصابة ذكر ذلك ونظر فيه والله اعلم

(باب بدء الاذان ومشروعيته)

اى والاقامة ومشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الامة كما ان من خصائصها الركوع والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير فان صلاة الامم السابقة كانت لاركوع فيها ولاجماعة وكانت الانبياء كأممهم يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح والتهليل اى وكان دأبه صلى الله عليه وسلم فى احرامه لفظة الله أكبر ولم ينقل عنه سواها اى كالنية ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم واسجدى واركعى مع الراكعين لان المراد به فى ذلك الخضوع او الصلاة لا الركوع المعهود كما قيل لكن فى البغوى قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود فى الشرائع كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا كلامه فليتأمل وكان وجود ذلك أى الاذان والاقامة فى السنة الاولى وقيل فى الثانية ذكر ان الناس انما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها اى لدخول أوقاتها من غير دعوة أى وقد قال ابن

تكون ايصالا الى رزقه لولم يتب مسطح من ذنبه * ماعوتب الصديق فى حقه قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها عن أمرى فقال لها ماذا علمت أو رأيت فقالت يارسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة رضى الله عنها وهى التى كانت تساميني أى تضاهيني وتفاخرنى بجمالها من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها ولما بلغ صفوان بن المعطل رضى الله عنه ما قاله الناس قال سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى انه كان حصورا أى عنينا وان معه مثل الهدبة ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضى الله عنه ويكفى شهادة الله له ولعائشة رضى الله عنها بالبراءة بقوله فى ختم تلك الآيات أولئك أى صفوان وعائشة مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم والله سبحانه وتعالى أعلم * (وفى هذه الغزوة) * قال عبد الله بن أبى ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وسبب ذلك ان رجلا من المهاجرين اسمه جهجاه ابن مسعود كان أجيرا لعمر رضى الله عنه ويقود له فرسه انطلق ليملأ قربا للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فوجد الناس يزدحمون على الماء فأمر الناس بالامساك ليملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فنازعه رجل من الانصار وكان أجيرا لعبد الله بن أبى فتنازعا فضرب المهاجرى الانصارى فقال الانصارى ياللانصارى وقال أى المهاجرى ياللمهاجرين فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادوا أن يقتتلوا فسمع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ماهذا فأخبروه فقال دعوها فانها منتنة يعنى دعوى الجاهلية وقال عبد الله بن أبى أوقد فعلوا أما والله لئن رجعنا الى

المنذر هو صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر الى المدينة والى ان وقع التشاور قال و وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من تلك الاحاديث ما فى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به وعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب هو حديث موضوع ومنها مارواه ابن مردويه عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا لما أسرى بى أذن جبريل فظنت الملائكة أنه اى جبريل يصلى بهم فقدمنى فصليت قال فيه الذهبى حديث منكر بل موضوع هذا كلامه على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة كما تقدم انها المرادة بالاذان انتهى (أقول) ومن اغرب ماوقع فى بدء الاذان مارواه ابو نعيم فى الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل نادى بالاذان لآدم حين اهبط من الجنة وقد سئل الحافظ السيوطى هل ورد ان بلالا وغيره أذن بمكة قبل الهجرة فاجاب بقوله ورد ذلك بأسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور الذى صححه اكثر العلماء ودلت عليه الاحاديث الصحيحة ان الاذان انما شرع بعد الهجرة وأنه لم يؤذن قبلها الا بلال ولا غيره وذكر فى الدر فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة فى شأن المؤذنين والاذان انما شرع فى المدينة فهى مما تأخر حكمه عن نزوله هذا كلامه وفى كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث ذكر أن الحق أنه لا يصح شئ من الاحاديث الدالة على أن الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر من أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى من غير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة والى ان وقع التشاور فى ذلك أى فقد اهتم صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كيف يجمع الناس للصلاة فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رآها الناس آذن أى أعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له بوق يهود أى ويقال له الشبور بفتح الشين المعجمة ثم موحدة مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ويقال له القبع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل باسكان النون وبالعين المهملة قال السهيلى وهو أولى بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن الذى يدعون به لصلاتهم أى يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلى الله عليه وسلم وقال هو من أمر اليهود فذكر له الناقوس الذى يدعون به النصارى لصلاتهم فقال هو من امر النصارى أى فقالوا لو رفعنا نارا أى فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فقال ذلك للمجوس وقيل كما فى حديث الشيخين عن ابن عمر أن عمر رضى الله تعالى عنهما قال اولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة

المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقال لجماعة من أصحابه آويتموهم وقاسمتموهم اموالكم ويصنعون بكم هكذا وفي رواية أنه قال والله مارأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا أي غلبونا وكاثرونا في بلادنا وأنكرونا ملتنا والله ما اعدنا أي اظننا يعني معاشر الانصار وقريش الا كما قال الاول أي الاقدمون في امثالهم

سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت اني سأموت قبل ان أسمع هاتفا يهتف بما سمعت والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا لاصحابه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم انفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأيتمتم اولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي الناس عنه فسمع مقالته زيد بن ارقم رضي الله تعالى عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وشاع كلام ابن ابي بين الناس فقال له بعض الانصار انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى فلم يزالوا به حتى رضي وذهب معهم الى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر وحلف انه ما قال ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره ظاهرا انا اقاله كما كانت عادته صلى الله عليه وسلم مع المنافقين ثم أنزل الله تكذيبا لابن ابي وتصديقا لزيد بن ارقم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن أرقم رضي الله عنه ياذا الاذن الواعية ان الله صدق مقالتك وتلا صلى الله عليه وسلم الآيات فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله دعني اضرب عنق ابن ابي فانه رأس المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم

أي بحضورها أي ففعلوا ذلك وكان المنادي هو بلال رضي الله تعالى عنه قال الحافظ ابن حجر وكان اللفظ الذي ينادي به بلال أي قبل رؤيا عبد الله الصلاة جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد هممت ان ابث رجالا ينادون الناس بحين الصلاة أي في حينها اي وقتها وقد هممت ان آمر رجالا تقوم على الاطام ينادون المسلمين بحين الصلاة أي ولعل هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم امر بلال بما تقدم وقيل ائتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالناقوس أي اتفقوا عليه فنحت ليضرب به المسلمون اي وهو خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام عبد الله بن زيد فأرى الاذان اي والاقامة في منامه فعنه رضي الله تعالى عنه قال لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فطاف بي وأنا نائم رجل وفي لفظ اني لبين نائم ويقظان طاف بي رجل والمراد أنه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فروحه كالمتوسطة بين النوم واليقظة قال الحافظ السيوطي أظهر من هذا أن يحمل على الحالة التي تعتري ارباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين هم رؤس أرباب الاحوال أي وهذه الحالة هي التي عناها الشيخ عبد الله الدلاصي بقوله كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما احرم الامام وأحرمت اخذتني أخذة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي أماما وخلفه العشرة فصليت معهم فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى سورة المدثر وفي الثانية عم يتساءلون ثم سلم الامام فعقلت تسليمه فسلمت أي ويدل لذلك قول عبد الله بن زيد كما جاء في رواية ولولا أن يقول الناس أي يستبعد الناس ذلك لقلت اني كنت يقظان غير نائم وذلك الرجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى أي وفي رواية فقلت أتبيع الناقوس فقال ماذا تريد به فقلت أريد ان ابتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس قال فأنا أحدثك بخير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد أن لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله أشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله قال عبد الله ثم استأخر عني اي ذلك الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت الى الصلاة الله أكبر الله أكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي

لايتحدث الناس أن محمدا يقتل اصحابه وأنزل الله تعالى فى حق عمر رضى الله عنه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون وجاء فى رواية عن عمر رضى الله عنه قال لما كان من امر ابن ابى ما كان جئت ١٢٦ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى شجرة أى ظلها عنده غلام اسود يغمز ظهره اى يكبسه فقلت يارسول الله كأنك تشتكى ظهرك فقال تقحمت بى الناقة فقلت يارسول الله ائذن لى ان أضرب عنق ابن ابى اومر محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل اصحابه وفى رواية قال عمر يارسول الله ان كرهت ان يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا فقال صلى الله عليه وسلم لا آمر ولكن ائذن بالرحيل وكان ذلك فى ساعة لم يكن يرحل فيها اى لشدة الحر ولعل النبى صلى الله عليه وسلم اراد اطفاء الشر وخشى من اتساع الامر بين المهاجرين والانصار فارتحل الناس (وجاء) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه اى قال السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته ثم قال يانبى الله لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت ترحل فى مثلها اى لانه كان لا يرحل الا اذا برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد بن حضير رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله انت والله تخرجه ان شئت ولا وهو والله الذليل وانت العزيز ثم قال ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا بحيث صار يضرب راحلته بالسوط فى مراقها اى مارق من

على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله اى ففى هذه الرواية افراد ألفاظ الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير أولا وآخرا وفى رواية رأى رجلا عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد وفى رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة اى اصل الحائط ولا مخالفة لما سيعلم فأذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها أى مثل الكلمات أى كلمات الاذان الا أنه يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة أى زيادة على تلك الكلمات التى هى الاذان ففى هذه الرواية تثنية ألفاظ الاقامة والاتيان بالتكبير فى أولها اربعا كالاذان اى وهذا اى كونه على سقف المسجد وكونه على جذم حائط لا مخالفة بينهما لانه يجوز ان يكون لما قال له تقول الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا من جذم الحائط فنسب قيامه الى كل منهما ويكون قوله ثم استأخر عنى غير بعيد اى سكت غير طويل قال عبد الله فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت أى وفى رواية انه اتاه ليلا واخبره وهى المذكورة فى سيرة الحافظ الدمياطى ولا منافاة لانه يجوز ان يكون قول عبد الله فلما اصبحت اى قاربت الصباح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا حق ان شاء الله تعالى فقم مع بلال فالق عليه ما رأيت فليؤذن به فانه اندى وفى رواية أمد صوتا منك اى اعلى وارفع وقيل احسن واعذب ولا مانع من ارادة ذلك كله هنا فقمت مع بلال وفى رواية فقال لبلال قم فانظر ما أمرك به عبد الله بن زيد فافعله فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به اى فبلال أول مؤذنيه صلى الله عليه وسلم اى وقيل أول مؤذنيه عبد الله بن زيد ذكره الامام والغزالى وأنكره ابن الصلاح أى حيث قال لم اجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه وقد يقال لا منافاة لان عبد الله أول من نطق بالاذان وبلال اول من اعلن به وحينئذ يكون أول مشروعيته كان فى اذان الصبح فلما سمع بذلك اى باذان بلال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته خرج يجر رداءه وفى رواية ازاره أى عجلا أى وقد اعلم بالقصة لقوله والذى بعثك بالحق يارسول الله لقد رأيت مثل ما رأى عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه وفى رواية مثل ما يقول أى بلال رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال الترمذى عبد الله بن زيد بن عبد ربه لا نعرف له عن النبى صلى الله عليه وسلم شيأ يصح الا هذا الحديث الواحد فى الاذان وقيل رأى مثل ما رأى عبد الله أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقيل سبعة من الانصار وقيل اربعة عشر قال ابن الصلاح لم اجد هذا بعد امعان النظر وتبعه النووى فقال هذا ليس بثابت

بجادا اسفل بطنها وساروا يومهم ذلك وليلتهم وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس وكان لعبد الله بن أبي ابن يسمى الحباب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله يوم موت ابيه وكان مؤمنا صادقا رضي الله عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغته مقالة عمر رضي الله عنه من قتل ابيه فقال يارسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي يعني اباه فيما بلغك عنه فان كنت تريده فمرني انا احمل لك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالده مني واني اخشى أن تامر به غيري فيقتله فأقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا وفي رواية فمرني فوالله لاحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا واني لاخشى يارسول الله ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان أنظر قاتل أبي يمشي في الناس فاقتله فادخل النار وعفوك افضل ومنك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت قتله ولا امرت به ولنحسن صحبته ما كان بين اظهرنا ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى العقيق تقدم الحباب بن عبد الله بن أبي حتى امسك بناقة ابيه وقال والله لا تدخلها يعني المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الاعز ومن الاذل وفي رواية حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانت الاذل اولا ضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال اشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله خيرا وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما وقدم المدينة في رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة الخندق) وتسمى غزوة الاحزاب

قال موسى بن عقبة كانت سنة اربع وقال ابن اسحق سنة خمس في شوال وبذلك يجزم اهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى

ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه وقيل رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء أسمع ملكا يؤذن أي فقد جاء في حديث بعض رواته متروك بل قيل انه من وضعه أنه لما أراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى أتى الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان فرؤيا عبد الله دلت على ان هذا الذي رآه في السماء يكون سنة في الارض عند الصلوات الخمس التي فرضت عليه تلك الليلة أي فلذلك قال انها الرؤيا حق ان شاء الله وفيه ان الذي تقدم عن الخصائص أن المراد بهذا الاذان الذي أتى به الملك الاقامة لا حقيقة الاذان أي ويدل لذلك ان الملك قال فيه قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقال الله صدق عبدي أنا أقمت فريضتها ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح قال بعضهم والاذان ثبت بحديث عبد الله بن زيد باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف في ذلك الا ماروي عن محمد بن الحنفية وعن أبي العلاء قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه قال ففزع لذلك محمد ابن الحنفية فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل في شرائع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه انما كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث احلام قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض في الناس قال هذا والله هو الباطل ثم قال وانما أخبرني أبي أن جبريل عليه السلام اذن في بيت المقدس ليلة الاسراء واقام ثم اعاد جبريل الاذان لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء فسمعه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب وفي رواية عنه انه لما انتهى الى مكان من السماء وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله اكبر فقال الله صدق عبدي انا الله اكبر الى ان قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه ما علمت ان هذا الاقامة لا الاذان وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتاج صلى الله عليه وسلم الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى ان تمسك ابن الحنفية بما يأتي عن بعض الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله قد سبقك بذلك الوحي وكونه اتى بالبراق الى الحجاب هو بناء على ان العروج كان على البراق وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون هذا عروجا آخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم انه لما اسرى به اذن جبريل وتقدم ما فيه ولا ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه مؤذن اهل السماء جبريل لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ

ابن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بني النضير سار نفر من اليهود منهم سلام بن مشكم وابن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله قال ابن اسحق فقالت لهم قريش انكم اهل الكتاب ١٢٨ الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم اولى بالحق منه فانزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسرت قريش بقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن عيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم واخبروهم ان قريشا تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم وخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن أبي طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب وقد اسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الاسدي وكان وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري وقد اسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم في زمن الصديق رضي الله عنه وخرج الحرث بن عوف المري في بني مرة وقد اسلم بعد تبوك رضي الله عنه وكان قومه الذين خرجوا

لا يخالف ايضا ما جاء ان اسرافيل مؤذن اهل السماء وامامهم ميكائيل عند البيت المعمور وفي لفظ يؤم بالملائكة في البيت المعمور ولعل كون ميكائيل امام اهل السماء لا يخالف ما جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها امام اهل السماء جبريل لما علم وجاء ان مؤذن اهل السماء يؤذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار ولاثنتي عشرة ساعة من الليل اقول وفي النور لو رآه اي الاذان ليلة الاسراء لم يحتج الى ما يجمع به المسلمين الى الصلاة ورد بأنه لم يكن يعلم قبل هذه الرؤيا ان ما رآه في السماء يكون سنة للصلوات الخمس التي فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرؤيا علم ان ذلك سنة في الارض كما تقدم (وعبارة بعضهم) ولا يشكل على اذان جبريل ببيت المقدس ان الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسراء قبل مشروعيته للصلوات الخمس وهذا كله على تسليم ان المرقى له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت ما فيه ثم رأيت بعضهم قال واما قول القرطبي لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسراء ان يكون مشروعا في حقه ففيه نظر لقوله في اوله لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان اي لان المتبادر تعليمه الاذان الذي يأتي به في الارض للصلوات وقد يقال على تسليم ذلك قد علمت ان المراد بالاذان الذي سمعه ليلة الاسراء الاقامة وقد قال الحافظ بن حجر الحق انه لم يصح شئ من هذه الاحاديث الواردة بأنه سمعه ليلة الاسراء ومن ثم قال ابن كثير في بعض الاحاديث الواردة بأنه سمع هذا الاذان في السماء ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما زعم البيهقي انه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر ابو الجارود الذي تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم بذكر اسمه في الاذان في عهد آدم وفي الملكوت الاعلى والله اعلم اي وروى بسند واه ان اول من اذن بالصلاة جبريل عليه السلام في سماء الدنيا فسمعه عمر و بلال رضي الله تعالى عنهما فسبق عمر بلالا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء بلال فقال له سبقك بها عمر وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز ان يكون ذلك بعد رؤيا عبد الله وذكر ان عمر رضي الله تعالى عنه رآه من عشرين يوما وكتمه ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال له ما منعك ان تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت منه (اقول) في هذا الكلام ما لا يخفى فليتأمل انما قال له انها رؤيا حق لانه يجوز ان يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك قبل ان يجيء اليه عبد الله بن زيد به ومن ثم قال له حين اخبره بذلك على ما في بعض الروايات قد سبقك بذلك الوحي فالاذان انما ثبت بالوحي لا بمجرد رؤيا عبد الله قال بعضهم في قوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا الاية

معه أربعمائة وخرجت اشجع وهم اربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وقد اسلم بعد ذلك رضى الله عنه وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف كما قال ابن اسحق وكان المسلمون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وكان مع المسلمين ست وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وما أجمعوا عليه من الامر الذى زعموه وهو استئصال المسلمين اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذى أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأمر صلى الله عليه وسلم صحابه بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة وكان الخندق فى شامى المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وخط صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها وكان سلمان رضى الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملا ضعيفا ويعتذرون بالضعف وفى البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الخندق ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال صلى الله عليه وسلم

اللهم لاعيش الاعيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره وهو من كلام ابن رواحة رضى الله عنه وأصله * لاهم ان العيش عيش الآخره * فنطق به النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لاعيش الخ لانه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفى

كان اليهود اذا نودى الى الصلاة وقام المسلمون اليها يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء والسخرية وفيها دليل على مشروعية الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده ابو حيان بان هذه جملة شرطية دلت على سبق المشروعية لا على انشائها هذا كلامه اى وذلك على تسليم ان يكون المدعو به للصلاة خصوص اللفظ الذى وجد فى المنام وصار بلال يؤذن بذلك للصلوات الخمس وينادى فى الناس لغير الصلوات الخمس لامر يحدث يطلب له حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء الصلاة جامعة قيل وكان بلال اذا اذن قال اشهد ان لا اله الا الله حى على الصلاة فقال له عمر على اثرها اشهد ان محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا روى عن ابن عمر فى حديث فيه راو ضعيف ولولا التعبير بكان لامكن حمل ذلك على ان بلالا اتى بذلك ناسيا فى ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد ثم رأيت ابن حجر الهيتمى قال والحديث الصحيح الثابت فى اول مشروعية الاذان يرد هذا كله هذا كلامه قيل وزاد بلال فى اذان الصبح بعد الحيعلات الصلاة خير من النوم مرتين فاقرها صلى الله عليه وسلم اى لان بلالا كان يدعو النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فيقول له الصلاة فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم فصرخ باعلى صوته الصلاة خير من النوم مرتين اى اليقظة الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم (اقول) وهذا يقال له التثويب وذكر فقهاؤنا انه صح أنه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك لابى محذورة أى قال له فان كانت صلاة الصبح قلت الصلاة خير من النوم ولا منافاة لان تعليم ابى محذورة للاذان كان عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من حنين على ما سيأتى وكذا ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم قال ان ذلك من السنة لانه يجوز ان يكون ذلك صدر منه بعد ان اقر بلالا عليه نعم ذكر انه لم ينقل ان ابن ام مكتوم كان يقوله اى لقول بلال له فى الاذان الاول وهو يدل لمن قال انه اذا قيل فى الاذان الاول لا يقال فى الثانى لان اذانه للصبح كان متأخرا عن اذان بلال فى اكثر الاحوال وهو محمل ماجاء فى كثير من الاحاديث ان بلالا يؤذن بليل فكلوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم ومن غير الاكثر محمل ماجاء ان ابن ام مكتوم ينادى بليل وكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ان ابن أم مكتوم اعمى فاذا اذن ابن ام مكتوم فكلوا واذا اذن بلال فأمسكوا ولا تأكلوا والراجح انه يقوله فيهما لكن ربما يخالف ذلك ما فى الموطا ان المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير من النوم فأمره عمر رضى الله عنه ان يجعلها فى نداء الصبح

البخارى ايضا عن أنس رضى الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى صلى الله عليه وسلم ما بهم من النصب قال * اللهم ان العيش عيش الآخره فاغفر للانصار والمهاجره * وأراد صلى الله عليه وسلم تسلية أصحابه وتهوين الامر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لا عيش الدنيا لكدورته وكونه مع المنغصات التى لا تتناهى ثم هو فان وان طال قل متاع الدنيا قليل وقال المهاجرون والانصار مجيبين للنبى صلى الله عليه وسلم

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم بقوله اللهم ان العيش الخ ويحتمل أنه كان يجيبهم ويجيبونه فلا تنافى وفى انشاد الشعر تنشيط على العمل وبذلك جرت عادتهم فى الحرب واكثر ما يستعملونه الرجز وفى البخارى من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال لما كان يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضى الله عنه

والله لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى قد بغوا علينا
اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا أبينا وأخرج البيهقى عن سلمان رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب فى الخندق قال باسم الاله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا * فحبذا ربا وحب دينا وهو من كلام بعض أصحابه تمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا أما اذا خرج موزونا بلا قصد فلا يسمى شعرا وقد

وفى الترمذى ان بلالا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب فى شئ من الصلاة اى من اذان الصلاة لا فى صلاة الفجر اى يقول الصلاة خير من النوم وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه سمع الاذان فى مسجد فأراد ان يصلى فيه فسمع المؤذن يثوب فى غير الصبح فقال لرفيقه اخرج بنا من عند هذا المبتدع فان هذه بدعة اى سمع المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد الصلاة الصلاة وهذا هو المراد بالتثويب الذى سمعه ابن عمر كما قاله بعضهم وفى كلام بعضهم من المحدثات ان المؤذن يجئ بين الاذان والاقامة الى باب المسجد فيقول حى على الصلاة قيل واول من احدثه مؤذن معاوية رضى الله تعالى عنه فكان يأتيه بعد الاذان وقبل الاقامة يقول حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح يرحمك الله اما قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلاة الصلاة فليس بدعة لان بلالا كان يقول ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم واما قوله حى على الصلاة فهذا لم يعهد فى عصره صلى الله عليه وسلم ثم رأيت فى درر المباحث فى احكام البدع والحوادث اختلف الفقهاء فى جواز دعاء الامير الى الصلاة بعد الاذان وقبل الاقامة بان يأتى المؤذن باب الامير فيقول حى على الصلاة حى على الفلاح أيها الامير وفسر به التثويب فاحتج من قال بجوازه اى بسنيته ان بلالا كان اذا اذن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقول حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يرحمك الله اى كما كان يفعل مؤذن معاوية رضى الله تعالى عنه فليس من المحدثات وفى الحديث المشهور أنه فى مرضه صلى الله عليه وسلم اتاه بلال فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فقال صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل بالناس واحتج من قال المنع بان عمر رضى الله تعالى عنه لما قدم مكة اتاه ابو محذورة فقال الصلاة يا امير المؤمنين حى على الصلاة حى على الفلاح فقال ويحك امجنون انت اما كان فى دعائك الذى دعوتنا ما يكفيك حتى تأتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه اى وكون عمر رضى الله تعالى عنه لم يبلغه فعل بلال من البعيد وعن ابى يوسف لا ارى بأسا ان يقول المؤذن السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الامراء بمصالح المسلمين اى ولهذا كان مؤذن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يفعله وذكر بعضهم أن فى دولة بنى بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين حى على خير العمل فلما كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وأمروا أن يقولوا فى اذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير من النوم مرتين وذلك فى سنة ثمان واربعين واربعمائة

وقع فى حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما فى صحيح البخارى وغيره عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت اى ظهرت لنا كدية شديدة بضم الكاف مصغرا وهى القطعة الصلبة من الارض لا يعمل فيها المعول فجاؤا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله هذه كدية عرضت فى الخندق فقال رشوها بالماء فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فسمى ثلاثا ثم ضرب فعاد المضروب كثيبا اهيل اى رملا يسيل وفى رواية دعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله ان يدعو ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية قال من حضرها فو الذى بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة وفى رواية للبراء بن عازب رضى الله عنهما عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان رضى الله عنه فقال باسم الله ثم ضربها فنثر ثلثها وخرج نور أضاء ما بين لابتى المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها الحمر الساعة من مكانى ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن أى مدائن كسرى وفى رواية والله انى لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكانى هذا وأخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف ليل مظلم فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا

ونقل عن ابن عمر وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهم انهما كانا يقولان فى اذانهما بعد حى على الفلاح حى على خير العمل وورد الترجيع فى خبر اذان أبى محذورة ايضا وهو ان يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه بهما ففى مسلم عن ابى محذورة انه قال قلت يارسول الله علمنى سنة الاذان قال فمسح مقدم رأسى وقال تقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله وكان ابو محذورة يشفع الاقامة كالاذان اى يكرر الفاظها فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر أشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله لقنه صلى الله عليه وسلم ذلك وهى الرواية الثانية التى تقدمت عن عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه وذكر الامام أبو العباس بن تيمية رحمه الله ان النقل ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم علم ابا محذورة الاذان فيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وان بلالا كان يشفع الاذان ويوتر الاقامة اى ولا يرجع الاذان ففى الصحيحين امر بلال ان يشفع الاذان اى ومن شفع الاذان التكبير اوله اربعا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتى نعم يرد على شفع الاذان التهليل آخره فانه مفرد فالاولى ان يقال يشفع معظم الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة أى لفظها أى وهى قد قامت الصلاة فانه يكررها مرتين يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم افرادها البتة أى وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتى وصح عنه تكرير لفظ التكبير مرتين اولا وآخرا وحينئذ يكون المراد بافراد الاقامة افراد معظمها فكان يقول فى الاقامة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ولم يكن فى اذانه ترجيع اى وهو الاتيان بالشهادتين مرتين سرا ثم يأتى بهما جهرا أى كما تقدم قال فنقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح بلا ريب أى وكل روى عن عبد الله ابن زيد كما علمت قال اى ابن تيمية واحمد وغيره اخذوا باذان بلال واقامته اى فلم يستحبوا الترجيع فى الاذان واستحبوا افراد الاقامة الا لفظها والشافعى رضى الله تعالى عنه

ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وعثمان رضي الله عنهما افتحوا مابدا لكم والذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله ١٣٢ محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ماثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه من تكثير الطعام القليل فانه رضي الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة فأحب أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه عليه فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مبحث المعجزات وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بحفنة من تمر لابيها وخالها ابن رواحة رضي الله عنهم ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته في كفيه فاملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر يزيد حتى صدروا عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا في حفر الخندق ستة أيام وقيل عشرين يوما وقيل اربعة وعشرين وقيل شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكلهم عشرة آلاف كما تقدم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة رضي الله عنه ولواء الانصار بيد

اخذ باذان ابي محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع في الاذان والافراد في الاقامة الا لفظها وابو حنيفة رحمه الله اخذ باذان بلال واقامة ابي محذورة اى فلم يستحب الترجيع واستحب تثنية الفاظ الاقامة قال في الهدى واخذ مالك بما عليه عمل اهل المدينة من الاقتصار في التكبير على مرتين في الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة اى ولعل هذا بحسب ما كان في المدينة والا ففي ابي داود ولم يزل ولد ابي محذورة وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة اى معظم الفاظها او يحكونه عن جدهم غير ان التثنية عنه اكثر فيحتمل ان اتيان ابي محذورة بالاقامة فرادى واستمراره وولده بعده على ذلك كان بامر منه صلى الله عليه وسلم له بذلك بعد امره اولا له بتثنيتها أى فيكون آخر امره الافراد وقد قيل لاحمد رضي الله تعالى عنه وقد كان ياخذ باذان بلال أى كما تقدم أليس اذان أبي محذورة بعد أذان بلال اى لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه له عند منصرفه من حنين على ماسيأتي وهو الذي رواه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن أبي محذورة أنه قال خرجت في نفر وكنا ببعض طريق حنين فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق فاذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون اى عن الطريق فصرنا نحكيه ونستهزئ به فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فأشار القوم كلهم الى فحبسني اى ابقاني عنده وارسلهم وقال قم فأذن فقمت ولا شئ اكره الى من النبي صلى الله عليه وسلم ولا مما يامرني به فقمت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى على التأذين هو بنفسه صلى الله عليه وسلم الحديث ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شئ من فضة ثم وضع يده على ناصيتي وامر بها على وجهي ثم بين يدى ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يارسول الله مرني بالتأذين بمكة فقال صلى الله عليه وسلم قد امرتك به وذهب كل شئ كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهته وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن اسيد رضي الله تعالى عنه عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فأذنت بالصلاة عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل علمه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم فتح مكة لما اذن بلال رضي الله تعالى عنه للظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزؤن ببلال ويحكون صوته وكان من جملتهم ابو محذورة فأعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه

الاذان

سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم في تلك المدة يبعث سلمة بن اسلم رضي الله عنه في مائتي رجل وزيد بن حارثة رضي الله عنه في ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفا على الذرارى من بني قريظة وخرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فأغلق كعب دونه باب حصنه وابى ان يفتح له فقال له حيي ويحك يا كعب افتح لي اكلمك فقال له اذهب عني انك امرؤ مشؤم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني لم أر منه الا وفاء وصدقا فنسبه حيي الى البخل وقال له والله ما اغلقت دوني الا تخوفا على جشيشتك ان آكل معك منها والجشيشة بالجيم والشين البر يطحن غليظا ويقال الدشيش بالدال ولم يزل به حتى فتح له فقال ويلك يا كعب اني قد جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجتمع السيول ومن دون منزل قريش غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد أهراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيي دعني وما انا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ولم يزل به يفتله في الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه حيي عهدا على انه ان رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك يصيبني ما اصابك ثم ارسل حيي بن اخطب الى قريش ان يأتيه منهم الف رجل والى غطفان ان يأتيه منهم الف ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذرارى اشد من الخوف على اهل الخندق ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني قريظة نقضوا العهد قال من

الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة فليتأمل الجمع وانما يؤخذ بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بالمتأخر عنه لان المتأخر ينسخ المتقدم فقال اليس لما عاد الى المدينة اقر بلالا على اذانه قال ابو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب اكثر علماء الامصار وجرى به العمل في الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحي المغرب أي الامصر في المساجد التي تغلب صلاة الاروام بها فان الاقامة تثنى كالاذان فيها وقد ذكر ان ابا يوسف رحمه الله ناظر امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في المدينة بين يدي مالك رضي الله تعالى عنه والرشيد فأمر الشافعي باحضار اولاد بلال واولاد سائر مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف تلقيتم الاذان والاقامة عن آبائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة فرادى هكذا تلقيناه من آبائنا وآباؤنا عن اسلافنا الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال صلى الله عليه وسلم اقامها الله وادامها وفي البخاري من قال حين يسمع النداء اي الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته وجبت له شفاعتي يوم القيامة قال بعضهم كان المؤذنون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنين بلال وابن ام مكتوم فلما كان زمن عثمان رضي الله تعالى عنه جعلهم اربعا وزاد الناس بعده ولما مات صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ولحق بالشام فمكث زمانا فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا بلال جفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا وفي لفظ انه قال له ما هذه الجفوة يا بلال ما آن لك ان تزورنا فانتبه بلال رضي الله تعالى عنه فقصد المدينة فلما انتهى الى المدينة تلقاه الناس اي وأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي عنده ويتمرغ عليه وأقبل على الحسن والحسين يقبلهما ويضمهما والحوا عليه ان يؤذن فلما صعد ليؤذن اجتمع اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وخرجت العذارى من خدورهن ليسمعوا اذانه رضي الله تعالى عنه فلما قال الله اكبر ارتجت المدينة وصاحوا وبكوا فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق ذو روح الا بكى وصاح وكان ذلك اليوم كيوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى الشام وكان يرجع الى المدينة في كل سنة مرة فينادي بالاذان الى ان مات رضي الله تعالى عنه (اقول) في كلام بعضهم كان سعد القرظ رضي الله تعالى عنه مؤذنه صلى الله عليه وسلم بقباء فلما لحق بلال بالشام ايام عمر رضي الله

تأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم قال الزبير رضى الله عنه فقلت انا يارسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ابويه فى الفداء اى قال فداك ابى وامى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضى الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال انطلقوا التنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ام لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا اعرفه ولا تفتوا فى اعضاد الناس اى تكلموا لى بكلام فيه اشارة وتلويح ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفا على الناس ان يقع لهم تثبيط واصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الاصحابه وان كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم حتى ان بعضهم كلم بنى قريظة فى شأن عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقال بعضهم لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحنوا له كما أمرهم وقالوا عضل والقارة كغدرهما باصحاب الرجيع أى غدروا كغدرهما باصحاب الرجيع فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضى الله عنه لاحتمال انهم أرسلوا دفعة او بعد ارساله وخص هؤلاء القوم بالارسال لانهم حلفاؤهم فيحتمل ان يرجعوا الى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فاتاهم عدوهم من فوقهم أى من اعلى الوادى من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن اسفل منهم اى من اسفل الوادى من قبل المغرب فانه نزل به قريش قال ابن عباس رضى الله عنهما اذ جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ومن أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن

تعالى عنه امر سعد القرظ ان يؤذن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اى فان بلالا لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال يا خليفة رسول الله انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفضل أعمال المؤمن الجهاد فى سبيل الله وقد أردت أن أرابط فى سبيل الله حتى أموت فقال له ابو بكر رضى الله تعالى عنه أنشدك الله يا بلال وحرمتى وحقى عليك ان لا تفارقنى فأقام بلال حتى توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه وهو يؤذن ثم جاء الى عمر فقال له كما قال لابى بكر ورد عليه رضى الله تعالى عنه كما رد عليه ابو بكر فأبى وخرج الى الشام مجاهدا (وفى أنس الجليل) لما فتح امير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه بيت المقدس حضرت الصلاة فقال يا بلال اذن لنا يرحمك الله قال بلال يا امير المؤمنين والله ما أردت ان أؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد ولكن سأطيعك اذ أمرتنى فى هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال وسمعت الصحابة رضى الله تعالى عنهم صوته ذكروا النبى صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من الصحابة يومئذ اطول بكاء من ابى عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر رضى الله تعالى عنه حسبكما رحمكما الله تعالى فلم يؤذن بلال بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة لما امره عمر بالاذان هذا ما فى انس الجليل اى فالمراد بالمرة هذه المرة التى كانت ببيت المقدس وفيه أن هذا يخالف ما تقدم مما ظاهره أنه استمر يؤذن مدة خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وما تقدم من الحاح الحسن والحسين عليه فى أن يؤذن عند مجيئه للمدينة الا ان يقال المراد لم يؤذن خارج المدينة فلا يخالف ما سبق من اذانه بعد الحاح الحسن والحسين ولعل ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس بل وبعد موت الخلفاء الاربعة ثم رايت الزين العراقى قال لم يؤذن بلال بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لاحد من الخلفاء الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال هذا كلامه فليتأمل مع ما سبق * وفى الكتاب المذكور روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله اى الخلق اول دخولا الجنة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال موذنو البيت الحرام قال ثم من قال مؤذنو مسجدى قال ثم من قال سائر المؤذنين ثم رايت فى نسخة من شرح المنهاج للدميرى عن جابر تقديم مؤذنى المسجد الحرام على مؤذنى بيت المقدس ورايت فى بعض الروايات ما يوافقه وهى اول من يدخل الجنة بعدى ابو بكر ثم الفقراء ثم مؤذنو المسجد الحرام ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدى ثم سائرهم على قدر اعمالهم * وفى

البدور السافرة عن جابر رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يارسول الله اى الخلق اول دخولا الجنة يوم القيامة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو الكعبة قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو مسجدى هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر أعمالهم * وفيها عن جابر أيضا أول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل ثم يكسى المؤذنون وجاء ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يارسول الله لقد تركتنا نتنافس فى الاذان بعدك فقال اما انه يكون قوم بعدكم فلتهم مؤذنوهم قيل وهذه الزيادة منكرة وقال الدارقطنى ليست محفوظة وجاء اذا اخذ المؤذن فى أذانه وضع الرب جل وعز يده فوق رأسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وانه ليغفر له مد صوته فاذا فرغ قال الرب صدق عبدى وشهدت شهادة الحق فابشر والله أعلم قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود اى من التجار وعن السدى من النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال خزى الله الكاذب وفى رواية احرق الله الكاذب فدخلت خادمه بنار وهو نائم واهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت واحترق هو واهله انتهى اى وفى بعض الاسفار حضر وقت الصلاة أى صلاة الصبح فطلبوا بلالا يؤذن فلم يوجد أى تأخر فى السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن زياد بن الحرث الصدائى اى بامره صلى الله عليه وسلم فقال له اذن يا اخا صداء وصداء حى من اليمن وعنه رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمرنى على قومى فقال لاخير فى الامرة لرجل مؤمن فقلت حسبى ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم مسيرا فسرت معه فانقطع عنه اصحابه واضاء الفجر فقال لى اذن يا اخا صداء فأذنت ثم لما حضرت الصلاة اراد بلال ان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انما يقيم من اذن * واختلف هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل لم يؤذن مرة واستدل على ذلك بانه جاء فى بعض الاحاديث اى وقد صح انه صلى الله عليه وسلم اذن فى السفر وصلى وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته صلى الله عليه وسلم فصلى بهم يومئ ايماء يجعل السجود اخفض من الركوع وقيل لم ماذن وانما امر بلالا بالاذان كما فى بعض طرق ذلك الحديث فى الهدى وصلى بهم الفرض على الرواحل لاجل المطر والطين وقد روى احمد والترمذى انه صلى الله عليه وسلم انتهى الى مضيق هو واصحابه والسماء من فوقهم والبلة من اسفل منهم فحضرت الصلاة فامر المؤذن فأذن واقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه

معه واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا أى الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من بعض المنافقين كما قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا قال ذلك معتب بن قشير وكان منافقا فقال كان محمد يرى ان نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن ان يذهب الى الغائط وقيل ان قائل ذلك عبد الله بن ابى ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا اهل يثرب لامقام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة فقالوا يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو اى غير حصينة فأذن لنا ان نرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال تعالى وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ثم اقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فى زعمه على فرس له ليدوس الخندق فوقع فى الخندق فاندقت عنقه فقتله الله وقيل رماه المسلمون بالحجارة ثم نزل اليه على رضى الله عنه فقتله وعظم ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية اى واذنوا لنا فى دفنه وفى رواية انهم اعطوا فى جسده عشرة آلاف على ان يدفع اليهم ليدفنوه فرد اليهم النبى صلى الله عليه وسلم انه خبيث لانه كافر المحارب بالله ورسوله وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب لنا فى ديته واقام عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا انهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو ابو سفيان وأصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن وهب يوما ويغدو عكرمة بن ابى جهل يوما ويغدو

ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم و يفترقون مرة و يجتمعون اخرى و يناوشون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يقربون منهم و يقدمون رجالهم و كان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين و يثبتهم و يقول لهم أبشروا بعون الله ونصره انى لارجو أن اطوف بالبيت العتيق وآخذ المفتاح وايهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالهما فى سبيل الله يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ثم انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يعطى عيينة ابن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا فمنعه السعدان رضى الله عنهما وقالا كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا بقرى او بيع أفحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا مالنا بهذا من حاجة والله مانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم انتما وذاك وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى عيينة بن حصن الفزارى والى الحرث بن عوف المزنى فى ان يقطعهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه فجا آ مستخفيين من ابى سفيان والتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم فوافقاه على ذلك بعد ان طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا بذلك واراد ان يكتب بذلك صحيفة واحضر الدواة ليكتب عثمان رضى الله عنه فقيل امره النبى صلى الله عليه وسلم فكتب ثم استشار سعدا وقيل قبل ان يكتب بعث صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما واستشارهما فى ذلك فقالا يارسول الله امر تحبه فتصنعه ام شئ امرك الله به لابد لنا من العمل به ام شئ تصنعه لنا وفى رواية فان كان امرا من السماء فامض له وان كان امرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأى مالهم عندنا الا السيف فقال

وسلم فصلى بهم الحديث والمفصل يقضى على المجمل وفى رواية اذن اختصارا اى امر بالاذان اى وهذا المجمل الذى نشير اليه هو فأذن صلى الله عليه وسلم على راحلته واقام اى ويروى ان بلالا كان يبدل الشين فى أشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين قال ابن كثير لا أصل لرواية سين بلال شين فى الجنة ولا يلزم من كون هذه الرواية لا أصل لها ان تكون تلك الرواية كذلك وكان بلال وابن ام مكتوم يتناوبان فى اذانى الصبح فكان أحدهما يؤذن بعد مضى نصف الليل الاول والليل باق والثانى يؤذن بعد طلوع الفجر وروى الشيخان ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم أى وفى مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن أحدا منكم اذان بلال او قال نداء بلال من سحوره فانه يؤذن او قال ينادى ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصفه الاول فيرجع القائم المتهجد الى راحته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويستيقظ النائم ليتأهب للصبح قال فى الهدى وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن أم مكتوم ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى بلال اى وقد علمت انه لا قلب وانهما كانا يناديان فكان بلال تارة يؤذن بليل وابن ام مكتوم عند الفجر الثانى وتارة يكون ابن ام مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ما هو موجود عند النطق ولم يكن بين اذانيهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا اى ان ينزل المؤذن الاول من اذانه ويرقى المؤذن الثانى كما ذكر فمن كان يؤذن اولا يتربص بعد اذانه لنحو الدعاء ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فأخبر صاحبه فيرقى ويؤذن مع الفجر او عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد بما قيل ان ابن ام مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له اصبحت اصبحت وعن ابن عمر كان ابن ام مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه وفى ابى داود عن ابن عمر ان بلالا اذن قبل طلوع الفجر فأمره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادى الا ان العبد نام فرجع فنادى الا ان العبد نام الا ان العبد نام اى غفل عن الوقت او رجع لينام لبقاء الليل ولعل هذا كان قبل ان يتخذ ابن ام مكتوم مؤذنا ثانيا او كان اذان بلال فى هذه المرة بعد اذان ابن ام مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة والثابت فى الجمعة اذان واحد كان يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخارى عن السائب ابن يزيد قال كان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وليس فيه ان ذلك الاذان كان بين

يديه

رسول الله صلى الله عليه وسلم لو امرني الله ما شاورتكما والله ما اصنع ذلك الا اني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت ان اكسر شوكتهم الى امر ما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم يعني غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولانعرفه لا يطمعون ان يأكلوا منها تمرة الا قرى او بيعا ان كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا وفي رواية نعطي الدنية ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة وهذا يوافق القول بانها كتبت وقيل انه منع من كتابتها وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال له شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحرث ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته وروى البزار والطبراني عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى الحرث يعني ابن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا تمر المدينة والا ملأناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى استأمر السعود سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود وقيل ان ذكر سعد بن الربيع وهم لانه استشهد يوم احد فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله ما اعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام وأخبر الحرث فقال غدرت يا محمد ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم وكان منهم عمرو بن عبد ودّ العامري وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان المشهورين ومنهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه وقد أسلم

يديه ولما كثر المسلمون امر عثمان رضي الله تعالى عنه اي وقيل عمر وقيل معاوية بأن يؤذن قبله على المنارة وعبارة بعضهم وفي السنة الرابعة والعشرين زاد عثمان النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فيأتوا الى المسجد واول من احدثه بمكة الحجاج والتذكير قبل الاذان الاول الذي هو التسبيح احدث بعد السبعمائة في زمن الناصر محمد بن قلاوون واول ما احدثت الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم اي على الكيفية المعهودة الآن بعد تمام الاذان على المنارة اي في غير المغرب في زمن السلطان المنصور حاجي بن الاشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون بأمر المحتسب نجم الدين الطنبدي في اواخر القرن الثامن واستمر ذلك الى الآن لكن في غير اذان الصبح الثاني وغير اذان الجمعة اول الوقت اما اذان الصبح الثاني واذان الجمعة المذكور فتقدم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان احدث ذلك في زمان صلاح الدين بن ايوب واهل الحكمة في ذلك اما في الاول فلاستيقاظ النائم واما في الثاني فلاجل حصول التبكير المطلوب في الجمعة ولا يخفى ان من السنة مطلق الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففي مسلم اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي وقيس بذلك الاقامة فالاذان والاقامة من المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقد قيل في معناه لا اذكر الا وتذكر معي لكن بعد فراغهما الا عند الابتداء بهما كما يقع لبعض الاروام ان يقول المقيم للصلاة عند ابتداء الاقامة اللهم صل على سيدنا محمد الله اكبر الله اكبر فان ذلك بدعة (ومن البدع) التطريب في الاذان والتلحين فيه وفي كلام امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ويكون الاذان مرسلا بغير تمطيط ولا تغن قيل التمطيط التفريط في المد والتغني ان يرفع صوته حتى يجاوز المقدار (ومن البدع) رفع المؤذنين اصواتهم بتبليغ التكبير لمن بعد عن الامام من المقتدين قال بعضهم ولا بأس به لما فيه من النفع اي حيث لم يبلغهم صوت الامام بخلاف ما اذا بلغهم ففي كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة حيث بلغ المأمومين صوت الامام ومعنى منكرة أنها مكروهة * (وأول ما احدث التسبيح) بالاسحار في زمن موسى عليه الصلاة والسلام حين كان بالتيه واستمر الى أن بنى داود عليه الصلاة والسلام بيت المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على الآلات الى ثلث الليل الاخير ثم بعد ثلث الليل الاخير يقومون به على الآلات عند الفجر (واوّل حدوثه في ملتنا) كان بمصر أمر به أميرها مز

ضرار وعكرمة رضى الله عنهما وأماهبيرة فثبت على كفره فلما صاروا بالسبخة بين الخندق وسلع طلب عمرو بن عبد ود المبارزة وقال من يبارز فقام على رضى الله عنه وقال أنا له يا نبى الله فقال صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمرو ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التى تزعمون ان من قتل منكم يدخلها أفلا تبرزون لى رجلا فقام على رضى الله عنه فقال أنا يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه اللهم هذا اخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وانت خير الوارثين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهى اخذت عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم احد وهذا على اخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وانت خير الوارثين فمشى اليه على رضى الله عنه فقال يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين اى خصلتين الا قبلتها قال له أجل اى نعم قال على رضى الله عنه فانى ادعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لى بذلك قال له على فانى ادعوك الى البراز وفى رواية انك كنت تقول لا يدعونى احد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال اجل قال على فانى ادعوك ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخى أخر عنى هذه قال واخرى ترجع بلادك فان يك صادقا كنت اسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذى تريد قال هذا ما لا يتحدث به نساء قريش ابدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت اى لانه نذر لما افلت هاربا يوم بدر وقد جرح ان لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمدا قال فالثالثة قال وما هى قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت اظن ان احدا من العرب

وسمع

قبل معاوية مسلمة بن مخلد الصحابى رضى الله تعالى عنهما فانه لما اعتكف بجامع عمرو وسمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف الليل الى قريب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن أبى سفيان أخى معاوية رضى الله تعالى عنهما وعتبة تولاها حين مات أميرها عمرو بن العاص وهذا مما يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان عتبة خطيبا فصيحا قال الاصمعى الخطباء من بنى أمية عتبة بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان خطب عتبة يوما أهل مصر فقال يا أهل مصر خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه وذم الباطل وأنتم تفعلونه كالحمار يحمل أسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها وانى لا أداوى داءكم الا بالسيف ولا أبلغ السيف ما كفانى السوط ولا ابلغ السوط ما صلحتم على الدرة فالزموا اما ألزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا وهذا يوم ليس فيه عتاب ولا بعده عتاب (ومما يؤثر عنه) ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم وقال لبنيه يوما تلقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها (ومسلمة) أول من جعل بنيان المنابر التى هى محل التأذين فى المساجد فلما ولى أحمد بن طولون رتب جماعة يكبرون ويسبحون ويحمدون فلما ولى صلاح الدين يوسف بن أيوب وحمل الناس على اعتقاد مذهب الاشعرى والخروج عما كان يعتقد الفواطم امر المؤذنين ان يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هى ثلاث ورقات ولم اقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها فى كل ليلة قيل فى سبب نزول قوله تعالى قل كل من عند الله ان اليهود قالوا فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله اى يبسط الارزاق ويقبضها وعند ظهور الاسلام وقوته فى المدينة قامت نفوس احبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر وقال فى موضع آخر ان تمسسكم حسنة تسؤهم (وعن صفية) ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها ابنت حيى قالت كنت احب ولد ابى اليه والى عمى ابى ياسر وكانا من اكبر اليهود واعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاآ من العشى فسمعت عمى يقول لابى اهو هو قال نعم والله قال اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قال وفى رواية انها قالت ان عمى اباياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه

ير وعنى بها وفى رواية يروم منى هذه ثم قال له عمرو من انت لان عليا رضى الله عنه كان مقنعا بالحديد فما عرفه عمرو فاجابه وقال على قال ابن عبد مناف فقال انا على بن ابى طالب فقال غيرك يا ابن اخى من اعمامك من هو اشد منك فانى اكره ان اهريق دمك وان اباك كان صديقا لى وفى لفظ كنت نديما له فقال له على رضى الله عنه انا والله ما اكره ان اهريق دمك وفى رواية قال عمرو يا ابن اخى فوالله ما احب ان اقتلك فقال على لكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو وعند ذلك أى اخذته الحمية وفى رواية فغضب فقال له على كيف اقاتلك وانت على فرسك ولكن انزل معى فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر واقبل على على رضى الله عنه ودنا احدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة فاستقبله على رضى الله عنه بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف واصاب رأسه فشجه فضربه على على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق وقيل طعنه فى ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا رضى الله عنه قد قتل عمرا ثم اقبل على رضى الله عنه نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها فقال انه حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت قال الحاكم سمعت الاصم قال سمعت العطاردى قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل على عمرا الا بقوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت (وفى تفسير الفخر الرازى) انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه بعد قتله عمرو بن عبد ود كيف وجدت نفسك معه قال وجدت ان لو كان اهل المدينة فى جانب وانا فى جانب لقدرت عليهم وذكر ابن اسحق ان المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله

وسمع منه صلى الله عليه وسلم وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم اطيعونى فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق ابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال اهم أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم اطعنى فى هذا الامر واعصنى فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا اطيعك اه اى ثم وافق أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله تعالى فيهما وفيمن كان موافقا لهما فى ذلك ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (وحيى بن أخطب هذا) قيل هو الذى قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغنى فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء اى وقيل فى سبب نزولها ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه دخل بيت المدارس فقال لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا الفقير فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال والله لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت الآية وقيل فى سبب نزولها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فنحاص الكتاب قال أقد احتاج ربكم سنمده وفى رواية قال يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله جل وعلا اذا الفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت أن أضربه بالسيف وما منعنى ان أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لى لا تفتت على بشئ حتى ترجع الى فجاء فنحاص الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال قولا عظيما زعم ان الله عز وجل فقير وانهم أغنياء فغضبت لله تعالى وقال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت الآية تصديقا لابى بكر رضى الله تعالى عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن أغنياء لانه

عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل ١٤٠ فرسه فقيل له يا اباعبد الله مارأينا مثل سيفك فقال والله ماهو السيف ولكنها

الساعد وقيل ان الذى قتل نوفلا على رضى الله عنه وفى رواية ان رجلا من المشركين قال يوم الخندق من يبارز فقال صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية واحدى يا رسول الله فقال قم يا زبير فقام فقتله ثم جاء بسلبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فنفله اياه وفى رواية ان نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة احسن من هذه يامعشر العرب فنزل اليه على رضى الله عنه فقتله ويمكن ان عليا والزبير رضى الله عنهما اشتركا فى قتله ورجعت الخيول مهزومة والقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضى الله عنه بأبيات فلما رجعوا الى ابى سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شئ فارجعوا وجاء فى رواية ان الزبير رضى الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج ام هانئ اخت على رضى الله عنهما فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقط درع كان يحقبها الفرس اى يجعلها على مؤخر ظهرها فاخذها الزبير رضى الله عنه وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب اخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهبيرة بن وهب على على رضى الله عنه فاقبل على رضى الله عنه عليهما فاما ضرار مطبوب ..
فولى هاربا ولم يثبت واما هبيرة فثبت اولا ثم القى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وفى رواية ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه اخوه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصار يشتد فى اثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال

استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافئ عليها فهو الغنى الحميد (ومن شدة عداوتهم) اى اليهود ان لبيد بن الاعصم اليهودى سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى مشط اى له صلى الله عليه وسلم وقيل فى اسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم ومشاطة وهى مايخرج من الشعر اذا امشط اى من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم اعطاها لهم غلام يهودى كان يخدمه صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وفى لفظ ان الابر كانت فى العقد ودفن ذلك تحت راعونة فى بئر ذى اروان وقد مسخ الله تعالى ماءها حتى صار كنقاعة الحناء فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم انه يفعل الفعل وهو لا يفعله اى ومكث فى ذلك سنة وقيل ستة اشهر وقيل اربعين يوما (قال بعضهم) ويمكن ان تكون السنة او الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه الشريف وان مدة اشتداده كانت فى الاربعين وقيل اشتد عليه ثلاثة أيام وقد يقال هى أشد الاربعين فلا منافاة وعند ذلك نزل جبريل عليه السلام وقال له ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا ودفنها بمحل كذا فارسل صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم بذلك خفة حتى قام كأنما انشط من عقال وفى رواية ان اليهودى دفن ذلك بقبر فانزل الله تعالى سورة الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفى لفظ فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما انشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك اى ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة بعد قراءة الآية اى وكان ذلك بين الحديبية وخيبر وذكر بعضهم انه بعد خيبر جاءت رؤساء يهود الذين بقوا فى المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن الاعصم وكان اعلمهم بالسحر فقالوا له يا ابا الاعصم قد سحرنا محمدا فسحره منا الرجال فلم يصنع شيأ اى ولم يؤثر سحرهم وأنت ترى أمره فينا وخلافه فى ديننا ومن قتل واجلى ونجعل لك على سحره ثلاثة دنانير ففعل ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاءنى رجلان اى وهما جبريل وميكائيل كما فى بعض طرق الحديث فقعد أحدهما عند رأسى والآخر تحت رجلى فقال احدهما ماوجع الرجل فقال الآخر

يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدلى عندك غير مجزى بها فاحفظها ووقع له مع عمر رضى الله عنه نظير ذلك فى أحد فانه
التقى معه فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار بالاسلام فاسلم وحسن اسلامه
رضى الله عنه (وكان شعار المسلمين) يوم الخندق حم لا ينصرون ولعل المراد خصوص الانصار فلا يخالف رواية
ان شعار المسلمين يا خيل الله ورمى
سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم
قطع أكحله وهو عرق فى الذراع
تتشعب منه عروق البدن ويقال
لهذا العرق عرق الحياة وكان
الذى رمى سعدا هو ابن العرقة
العامرى والعرقة بفتح العين
وكسر الراء وهى أمه واسمها قلابة
بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى
أم فاطمة سميت العرقة لطيب
ريحها وهى جدة خديجة رضى
الله عنها أم أبيها وابن العرقة هذا
اسمه حبان بن عبد مناف بن
منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤى
وقيل العرقة انما هى أم عبد مناف
ابى حبان ولما رمى سعدا قال
خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد
رضى الله عنه عرق الله وجهك
فى النار وقيل ان الذى قال ذلك
هو النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال
سعد رضى الله عنه اللهم ان كنت
وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى
قريشا فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى
حتى تقر عينى وفى رواية حتى
تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ
اللهم ان كنت أبقيت من حرب
قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم
أحب الى أن أجاهدهم من قوم
آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة
وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها وما مات حتى حكم فى بنى قريظة كما يأتى وقيل ان الذى أصاب سعدا أبو اسامة
الجشمى حليف بنى مخزوم وقيل خفاجة بن عاصم بن حبان والله اعلم (واستمرت المقاتلة) فى يوم من أيام الخندق من سائر جوانب

مطبوب اى مسحور فقال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيم قال فى مشط ومشاطة
وفى لفظ ومشاقة اى وهى المشاطة وقيل هى مشاقة الكتان وجف بالجيم والفاء وقيل
بالباء الموحدة طلعة ذكر اى غشاء طلع الذكر الذى يقال له كوز الطلع قال فاين هو قال فى
بئر ذى ذروان على وزن مروان وفى لفظ بئر ذى اروان وفى لفظ بئر ذروان وعليه اقتصر
فى الامتاع تحت صخرة فى الماء قال فما دواء ذلك قال تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فتوجد
الكدية فيها تمثال فيه احدى عشرة عقدة فتحرق فانه يبرأ باذن الله تعالى ثم احضر صلى
الله عليه وسلم لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل
له يا رسول الله لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافانى الله وما وراءه من عذاب الله تعالى
اشد ويحتاج الى الجمع بين كون جبريل قال له سر لك الى آخره وكون جاءه رجلان قعد
احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل الى
آخره قيل وهذا اى عدم قتل الساحر ربما يعارض القول بان الساحر يحتم قتله وفيه
انه عندنا لا يحتم قتله ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بان سحره يقتل غالبا ولبيد هذا
قيل انه اول من قال بنفى صفات البارى وقال به الجهم بن صفوان واظهرها فقيل
لاتباعه فى ذلك الجهمية فعند ذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر الى تلك
البئر فاستخرجا ذلك وقيل الذى استخرج السحر بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيس بن محصن (وفى الصحيح) عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم توجه
الى البئر مع جماعة من اصحابه فاذا ماؤها كانه خضب بالحناء فاستخرجا اى النبى صلى الله
عليه وسلم وجماعته منها ذلك ويحتاج الى الجمع بين كونه صلى الله عليه وسلم أرسل
لاستخراج السحر عليا كرم الله وجهه وكونه بعث لاستخراجه عليا وعمار بن ياسر وكونه
أمر قيس بن محصن باستخراجه وكونه صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه
فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة أى واذا فيها ابر مغروزة ونزلت المعوذتان فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد فذهب عنه صلى الله
عليه وسلم ما كان يجد اى ولا ينافى ما تقدم أن القارئ لذلك جبريل عليه السلام لجواز
أن يكون كلاهما صار يقرأ الآية أو انه صلى الله عليه وسلم صار يقرأ بعد قراءة جبريل
وفى الامتاع عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت له أفلا استخرجته قال لا أما أنا فقد
عافانى الله وكرهت أن أثير على الناس شرا ومراد عائشة بقولها أفلا استخرجته السحر
اى هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة حتى تنظر اليه فقال أكره أن أثير على

الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته فامر بلالا فاذن وأقام للظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى هو واصحابه وجاء فى رواية جابر رضى الله عنه انه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووى بانهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما وفى رواية ان التى فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع فى بعض تلك الايام وجاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملا الله أجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيرا محملة شعيرا وتمرا وتبنا حمل ذلك حيى بن اخطب مددا وتقوية لقريش فاخذها الانصار وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضى الله عنه على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشهم اى تقاربوا منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق وحشى الطفيل بن النعمان رضى الله عنه فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الاغارة فاقام المسلمون فى شدة من الخوف (وفى الصحيحين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم وقام صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا

الناس شرا قال ابن بطال اى كره أن يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر الذى كرهه صلى الله عليه وسلم وذكر السهيلى أنه يجوز أن يكون الشر غير هذا وهو انه لو أظهر للناس لربما قتله طائفة من المسلمين ويغضب آخرون من عشيرته فيثور شر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم هلا تنشرت اى استعملت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر عليها قولها وكرهها جمع واستندوا الحديث فى أبى داود مرفوعا النشرة من عمل الشيطان وحمل ذلك على النشرة التى تصحبها العزائم المشتملة على الاسماء التى لا تفهم فامر بها فطمت اى تلك البئر وحفروا بئرا أخرى فاعانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرها حيث طموا الاخرى التى سحر فيها هذا كلامه فليتأمل مع ما قبله وقيل انما سحره بنات أعصم أخوات لبيد ودخلت احداهن على عائشة فسمعت عائشة تذكر ما انكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره ثم خرجت الى اخواتها فاخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا فسيخبر وان يكن غير ذلك فسوف يذهله هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله تعالى عليه (وقد يجمع) بين كون الساحر له صلى الله عليه وسلم لبيدا وكون الساحر له اخوات لبيد بان الساحر له اخوات لبيد ونسب السحر الى لبيد لانه جاء انه الذى ذهب به فادخله تحت راعونة البئر اى او فى القبر كما تقدم ولا منافاة لجواز ان يكون وضعه فى القبر مدة ثم اخرجه منه ووضعه تحت تلك الراعونة اى وهى حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقى وقد يكون فى اسفل البئر يجلس عليه الذى ينظف البئر اى والثانى هو المراد بدليل ما سبق وفى النهر لابى حيان ونص القرآن والحديث ان السحر تخييل اى لا يقلب الاعيان ولا شك فى وجوده فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم واما فى زماننا الآن فكل ما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافتراء لا يترتب عليه شئ فلا يصح منه شئ البتة وطعنت المعتزلة وطوائف من اهل البدع فى كونه صلى الله عليه وسلم سحر وقالوا لا يجوز على الانبياء ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا لجاز ان يجنوا وقد عصموا من الناس ورد بان الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم فى عقولهم واديانهم واما ابدانهم فيبتلون فيها والسحر انما اثر فى بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها من ذكرها ما انكر صلى الله عليه وسلم من بصره لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل له انه يفعل الشئ ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل ثم رأيت ابا بكر بن العربى قال لم يقل كل الرواة انه اختلط عليه صلى الله عليه وسلم

امر

ان الجنة تحت ظلال السيوف اى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى مانزل بى وباصحابى وقال له المسلمون هل من شئ نقوله فقد بلغت الروح الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فاتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه وصار يرفع يديه ويقول شكرا شكرا وجاء ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه اى ومن ثم كان جابر يدعو فى مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك اليوم واما الاحاديث التى جاءت بذم يوم الاربعاء فمحمولة على آخر اربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى اصيب فيه ايوب عليه السلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا اخذه البرد جاءنى فادفاته فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة ويقول ما اخشى ان يؤتى المسلمون الامنها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن ابى وقاص اتيت احرسك يارسول الله فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام صلى الله عليه وسلم حتى غط ثم قام فى قبته يصلى لانه كان صلى الله عليه وسلم اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى ياعباد بن بشر قال لبيك قال هل معك

امر وانما هذا اللفظ زيد فى الحديث لا اصل له قال ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا واستجرارا الى القول بابطال معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقدح فيها وأنه لا فرق بين معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين فعل السحرة وان جميعه من نوع واحد هذا كلامه (وممن كان حريصا على رد الناس عن الاسلام ايضا شاس) بن قيس كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه مارأى من الفتهم بعدما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله مالنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث اى يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان فيه وانشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك اى قال احد الحيين قد قال شاعرنا كذا وقال الآخر قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة اى قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا للاوس ونادى هؤلاء يا للخزرج ثم خرجوا اليهم وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يامعشر المسلمين الله الله اى اتقوا الله أبدعوى الجاهلية اى وهى يا للخزرج يا للاوس وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وألف بكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وقد جاء فى ذم هذه الكلمة التى هى دعوى الجاهلية وهى يا لفلان قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا أى قولوا له اعضض على ذكر أبيك ولا تكنوا عنه بالهن فلا تقولوا على هن أبيك بل قولوا على ذكر أبيك تنكيلا له وزجرا عما أتى به اى وقد كان أنزل الله تعالى فيهم يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الآية وقد قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فألقوا السلاح وفعلوا ما تقدم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان يهود كانوا يستفتحون اى يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه اى يقولون سيبعث نبى صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم كما تقدم عند مبايعة العقبة فقال

أحد قال نعم أنا في نفر حول قبتك يارسول الله وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق واعلمه بان خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعي رضي الله عنه أسلم وكتم اسلامه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت وفي رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فاسلم ثم قال يارسول الله ان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء ايضا مع سكون الدال وضمها اي ينقضي امرها بالمخادعة ففيه التحذير من مكر الكافرين وانه لا ينبغي التهاون بهم والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن ان ينعكس الامر عليه وفي الحديث ايضا الاشارة الى استعمال الرأى في الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلذا قصر الحرب على الخدعة في قوله فان الحرب خدعة فهو كقوله الحج عرفة ثم قال نعيم يارسول الله اني اقول اي ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال قل ما بدا لك فانت في حل فخرج نعيم حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما قبل فلما رأوني رحبوا بي وعرضوا على الطعام والشراب فقلت اني لم آت لشيء من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برأيي يا بني

لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء يامعشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن اهل شرك وكفر وتخبرونا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام اي بالتشديد ابن مشكم من عظماء يهود بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه ما هو الذي كنا نذكره لكم فانزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقيل في سبب نزول قوله تعالى ما أنزل الله على بشر من شيء انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على اليهود أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت الى عمر رضي الله تعالى عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقالت له اليهود ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه أغضبني فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف اي لان في قوله المذكور طعنا في التوراة وقيل ان يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذي وعدت انك باعثه في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفي لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة فينصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم وفي لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فيهزموا غطفان وصار اليهود يسألونه صلى الله عليه وسلم عن اشياء ليلبسوا الحق بالباطل اي ومن جملة ما سألوه صلى الله عليه وسلم عن الروح فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة يتوكأ على عسيب اي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه النبي الامي وانتم تنكرون نبوته فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفي رواية يا أبا القاسم ما الروح وفي رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت أنه صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح اي التي يكون بها الحيوان حيا قل الروح من امر ربي فقالوا

هكذا

هكذا نجد فى كتابنا اى التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحى قال صاحب الافصاح انه انما سأل اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح تطلق بالاشتراك على الروح للانسان وعلى القرآن وعلى عيسى وعلى جبريل وعلى ملك آخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهود انه باى شئ اجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الجواب لرد كيدهم لان كل واحد مماذكر من مأمورات الحق تعالى ولما أنزل الله تعالى فى حق اليهود وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد اوتى خيرا كثيرا فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا وفى الكشاف انهم قالوا نحن مخصوصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولوان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه وسألوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت نبيا فانزل الله تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى الآية اى وجاء يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال صلى الله عليه وسلم لهما لا تشركوا بالله شيأ ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرئ الى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يا يهود خاصة ان لا تعتدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد انك نبى قال ما يمنعكما ان تسلما فقالا انا نخاف ان اسلمنا أن تقتلنا يهود اى وسألوه صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات اى فى اى زمن والارض وما بينهما اى مدة ما بينهما فقال لهم خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثاء اى ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق البحر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو تممت ثم استراح اى لو قلت هذا اللفظ لانهم يقولون انه استراح جل وعز يوم السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فانزل الله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب اى تعب فاصبر على ما يقولون وفى رواية خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الانهار والاشجار يوم الاربعاء وخلق

قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم واخذ اموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم وبها نساؤكم واموالكم وابناؤكم لاتقدرون على ان ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم اى عاونتموهم عليهم وبلدهم واموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان رأوا نهزة اى فرصة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم سبعين رجلا يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه اى يقاتلوه قالوا لقد اشرت بالرأى والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا على قالوا نفعل ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه من اشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى امر قد رأيت ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد ارسلوا اليه وانا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك انا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم اى سبعين رجلا فنعطيك

اياهم فتضرب اعناقهم وتردجناحنا الذى كسرت الى ديارنا يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على اسراركم ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا هذا الامر قالوا لا نذكره ثم خرج حتى اتى غطفان

الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما تقدم ان مبدأ الخلق يوم السبت حتى يكون آخر الاسبوع يوم الجمعة وهو الراجح على ما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم الى قوله ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من اراضى الشام لم يعلما ببعثته صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال احدهما للآخر ما اشبه هذه بمدينة النبى الخارج فى آخر الزمان فاخبرا بهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم ووجوده فى تلك المدينة فلما رأياه قالا له انت محمد قال نعم قالا نسألك مسئلة ان اخبرتنا بها آمنا فقال صلى الله عليه وسلم اسألانى فقالا اخبرنا عن اعظم الشهادة فى كتاب الله تعالى فنزلت هذه الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا قال وعن قتادة رضى الله تعالى عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الذى خلق الجن والانس من خلقه وفى لفظ خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فاخبرنا عن ربك من اى شئ خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل عليه السلام وقال له خفض عليك فانزل الله تعالى عليه قل هو الله احد السورة اى متوحد فى صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته اى اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه اهـ (أقول) ونزول جبريل بذلك ربما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم توقف ولم يدر ما يقول كما وقع له لما سأله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن سلام رضى الله تعالى عنه وقال له صف ربك كما سيأتى ثم رأيت عن الشيخين وغيرهما أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ذكر فى سبب نزول هذه السورة غير ما ذكر ولعله ما سيأتى فى قصة اسلام عبد الله بن سلام ولا مانع من تكرر النزول لاسباب مختلفة ثم رأيته فى الاتقان ذكر أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة وقال قبل ذلك انها انما نزلت بالمدينة وفى دعوى تكرر نزولها يقال حيث سئل أولا ونزلت جوابا كيف يتوقف ثانيا عند السؤال الثانى حتى يحتاج الى نزولها مع بعد نسيان ذلك له صلى الله عليه وسلم ثم رأيت عن البرهان قد ينزل الشئ مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع التوقف وكان من اعلم احبار يهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف

الصديق

فقال يا معشر غطفان انكم اهلى وعشيرتى واحب الناس لى ولا اراكم تتهمونى قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى تناجز اى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم اى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم وفى رواية ان بنى قريظة ارسلت لقريش قبل مجئ رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التوانى والرأى ان تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنكم لا تخرجوا حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من اشرافكم فانهم يخافون ان اصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم ترد لهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند ابى سفيان وقد جاء رسولكم فقال لو طلبوا منى عناقا ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم وجاء حيى بن اخطب لبنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح اى ريح الصبا فى ليال شديدة البرد فاكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت اطنابها وصارت الريح تلقى الرجال على امتعتهم وفى رواية دفنت الرجال واطفأت نيرانهم وارسل الله عليهم ملائكة زلزلتهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت فى روعهم الرعب قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح

وكانت ريحا صفرا ءملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم فى ليلة باردة مع اصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين اى لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لايرى الشخص اصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة اى من العدو لانها ١٤٧ خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فاذن لنا نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه تلك الليلة الاثلثمائة وكان رجوع المنافقين فرارا كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الافرارا وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم انما رجع لالم البرد والجوع الشديدين أو الخوف الحقيق على بيوتهم أو لفهمهم عدم التغليظ فى ذهاب من يذهب فكشفوا احال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا يارسول الله قال ذلك ثلاثا والزبير رضى الله عنه يجيبه بماذكر فقال صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى اى ناصر وان حوارى الزبير وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له ايضا عند ارساله لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد أم لا كما تقدم وسيأتى قوله له ذلك ايضا فى خيبر وجاء فى حديث آخر حوارى من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضى الله عنهما وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال اى رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع وأسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة وفى لفظ يكون معى يوم القيامة وفى لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام احد من شدة الجوع والبرد فدعا حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وأرسله كما يأتى ولم يرسل الزبير رضى الله عنه مع سؤاله ذلك ثلاثا لان له حدة وشدة لايملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيأ مما نهى عنه حذيفة فيما يأتى فاختار ارسال

الصديق اى وقد أثنى الله تعالى عليه فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بنى قينقاع كما تقدم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه اى فى اول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابى ايوب ٥ اى ولعل الذى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم هو قوله يا ايها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضى الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس اى بالجيم اسرعوا فكنت ممن اتى اليه اى وهذا يدل على انه جاءه فى قباء وسيأتى قال فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت انه وجه غير كذاب اى لان صورته وهيئته وسمته صلى الله عليه وسلم تدل العقلاء على صدقه وانه لايقول الكذب قال عبد الله فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس الى آخره اى ولامانع أن يكون ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك قال أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتى فامرتهم فاسلموا وكتمت اسلامى من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم اى فى بيت ابى ايوب وقلت له لقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فاخبئنى يارسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى أسلمت فانهم قوم بهت أى بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وأعظم قوم عضيهة اى كذبا وانهم ان يعلموا انى قد اسلمت قالوا فى ماليس فى وخذ عليهم ميثاقا أنى ان اتبعتك وآمنت بكتابك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذى أنزل عليك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لااله الاهو انكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق أسلموا قالوا مانعلم فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فاى رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن اعلمنا وفى رواية خيرنا وابن خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة تحت أفعل تفضيل وقيل بالمهملة والباء الموحدة اى أعلمنا بكتاب الله سيدنا وعالمنا وأفضلنا قال أفرأيتم ان شهد أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال ياعبد الله بن سلام أما تعلم انى رسول الله تجدنى عندكم مكتوبا فى التوراة والانجيل اخذ الله ميثاقكم ان تؤمنوا بى وان تتبعونى من ادركنى منكم قال ابن سلام بلى يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله والله الذى لااله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق قال زاد فى رواية تجدونه مكتوبا

حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند أئمة السير وهو ان المرسل انما هو حذيفة رضى الله عنه ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضى الله عنه وهو اشتباه وانما ارسال الزبير رضى الله عنه فى كشف خبر بنى قريظة لما نقضوا العهد كما تقدم قال حذيفة رضى الله عنه لما دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجد بدا من القيام حيث نوه باسمه فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامى منذ الليلة ولا تقوم فقلت والذى بعثك بالحق ان قدرت اى ما قدرت على ما بى من الجوع والخوف والبرد فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة رضى الله عنه فلم يكن لى بد من الذهاب فقمت مستبشرا بدعائه فما شق على شئ مما كان وقال يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله حذيفة ابن اليمان قال حذيفة رضى الله عنه فمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على الا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى وأنا جاث على ركبتى فقال من هذا فقلت حذيفة فقال صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة فتقاصرت فى الارض قلت بلى يا رسول الله قال قم فقمت فقال انه كان فى القوم خبر فأتنى بخبرهم فقلت والذى بعثك بالحق ما قمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى فقلت والله ما بى أن أقتل ولكن أخشى أن أوسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال حذيفة فمشيت كأنى فى حمام وفى رواية فاذهب الله عنى القر اى البرد والفزع أى الخوف وفى رواية فوالله ما خلق الله تعالى فى جوفى قرا ولا فزعا الا خرج وما وجدت منه شيأ وخرجت

الصلاة

عند كم فى التوراة اسمه وصفته قالوا كذبت انت اشرنا وابن اشرنا وهذه لغة رديئة والفصحى شرنا وابن شرنا بغير همزة وهى رواية البخارى قال ابن سلام رضى الله تعالى عنه هذا الذى كنت اخاف يا رسول الله الم اخبرك انهم قوم بهت اهل غدر وكذب وفجور انتهى فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهرت اسلامى وانزل الله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله يعنى الكتاب او الرسول وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل يعنى عبد الله بن سلام على مثله يعنى اليهود فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين (اقول) هذا السياق لا يناسب ما حكاه فى الخصائص الكبرى عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد صفتى فى كتاب الله يعنى التوراة قال انسب ربك يا محمد فارتج النبى صلى الله عليه وسلم اى توقف ولم يدر ما يقول فقال له جبريل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى الى آخر ما تقدم عن التوراة فانه يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولو كان كذلك لما قال فلما رأيت وجهه الشريف عرفت أنه غير وجه كذاب ولما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما سأله عن الامور الآتية ولما احتاج الى الاسلام ثانيا الا أن يقال على تسليم صحة ما قاله ابن عساكر جاز أن يكون قال ذلك وفعل ما ذكر اقامة للحجة على اليهود (وقد وقع لابن سلام) هذا أنه لقى عليا بالربذة وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد أن بويع بالخلافة متوجها الى البصرة لما بلغه أن عائشة وطلحة والزبير ومن معهم خرجوا الى البصرة فى طلب دم عثمان وكان ذلك سببا لوقعة الجمل فاخذ بعنان فرس على وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها يعنى المدينة فوالله لئن خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين أبدا فسبه بعض الناس وقال له مالك ولهذا يا ابن اليهودية فقال على دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال لقد لقيت عبد الله ابن سلام فقلت له اخبرنى عن ساعة الاجابة يوم الجمعة فقال فى آخر ساعة فى يوم الجمعة قلت وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا صلاة فيها فقال ابن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر

كانما أمشي في حمام فلما وليتا دعاني فقال لي لا تحدث شيأ وفي رواية لا ترم بسهم ولا بحجر ولا تضربن بسيف حتى تأتيني بخبرهم اليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فدخلت في غمارهم فسمعت أبا سفيان يقول يا معشر قريش ليعرف كل امرئ جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فأخذت بيد جليس لي على يميني وقلت من أنت قال معاوية بن أبي سفيان وقبضت بيدي على من على يساري وقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فقال أبو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فحل عقاله الا وهو قائم اى فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة ابن أبي جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه يا أبا عبد الله تقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد واصحابه فانا لا نأمن من أن نطلب فقال عمرو أنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى أبا سليمان فقال أنا أيضا أقيم فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضي الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي حين بعثني أن لا أحدث شيأ لقتلته يعني أبا سفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة لا تجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق

الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي وفيه ان في الصحيحين ان في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي فسأل الله عز وجل شيأ الا أعطاه اياه ثم رأيت عن سنن ابن ماجه ان جواب ابن سلام تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ونص السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتاب الله يعني التوراة في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله عز وجل فيها شيأ الا قضى حاجته قال عبد الله بن سلام فأشار الي رسول الله صلى الله عليه وسلم او بعض ساعة فقلت صدقت يا رسول الله او بعض ساعة قلت اى ساعة هي قال آخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى ثم جلس لا يحبسه الا الصلاة فهو في الصلاة اى ولعل لفظ قائم في رواية الصحيحين يراد به مريد القيام الى الصلاة اى صلاة العصر وقد قيل ان تلك الساعة رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم وقيل هي باقية وهو الصحيح وعليه فقيل لا زمن لها معين وقيل هي في زمن معين وعليه ففي تعيينها أحد عشر قولا وقيل أربعون قولا (وقد وقع لميمون بن يامين) وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام مع اليهود فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم واجعلني حكما فانهم يرجعون الي فادخله داخلا وارسل اليهم فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال لهم اختاروا رجلا حكما يكون بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال أشهد أنه لرسول الله فأبوا أن يصدقوه والله اعلم (وقد أشار) الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه فظلما * كتمته الشهادة الشهداء
او نور الاله تطفئه الافـ * ـواه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

اى عرفوه انه النبي المنتظر وانكروه بظواهرهم ولاجل ظلمهم كتمت الشهادة به العارفون به او نور الاله الذي هو النبوة تذهبه الالسن لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو الذي يستضاء به في الظاهر والباطن كيف يوصل الاله قلوبا للحق وملؤها البغضاء لحبيبه صلى الله عليه وسلم اقول وقيل في سبب نزول سورة قل هو الله احد ان وفد نجران لما ناظروا بالتثليث قال لهم المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا لهم فلم عبدتم غيره وجعلتم معه الهين فقالوا بل هو الله واحد لكنه حل في جسد المسيح اذ كان في بطن امه

اذا أنا بنحو عشرين فارسا معممين نخرج الى منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة رضى الله عنه ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلى فاخبرته الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وفى رواية فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل وعاودنى البرد وجعلت أقرقف فاومأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل على من فضل شملته فنمت ولم ازل نائما حتى الصبح اى طلوع الفجر فلما أصبحت أى دخل وقت صلاة الصبح قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان اى يا كثير النوم وانما جاءه البرد بعد رجوعه لان النبى صلى الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى وقد رجع وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه لما دخلت بينهم نظرت فى ضوء نار توقدوا اذا رجل ادهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبته قد تفرق عنه الاحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل ولم اعرف اباسفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتى ابيض الريش لاضعه فى كبد القوس لارميه فى ضوء النار فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيأ حتى تأتينى فامسكت ورددت سهمى فلما جلست فيهم احس ابوسفيان انه قد دخل فيهم من غيرهم فقال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى فقلت من انت قال معاوية ابن ابى سفيان ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى فقلت من انت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية ان يفطن بى فبدرتهم بالمسئلة يوم ثم لبثت فيهم هنيهة فاتيت قريشا اى بقية قريش وبنى كنانة وقيسا وقلت ما امرنى به صلى الله عليه وسلم اى فانه صلى الله عليه وسلم قال له ادخل حتى تدخل بين ظهرانى القوم فات قريشا فقل يا معشر قريش انما يريد الناس اذا كان غدا ان يقال اين

فقالوا الهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا كان يأكل الطعام فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد تكذيبا لهم فى انه ثالث ثلاثة والصمد هو الذى لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وقيل سبب نزولها ان قريشا هم الذين قالوا له انسب لنا ربك يا محمد وتقدم ما فيه والله اعلم وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسير قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود اوفوا بعهدى الذى اخذته فى اعناقكم للنبى صلى الله عليه وسلم اذ جاءكم بتصديقه واتباعه اوف بعهدكم انجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا اول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وانتم تعلمون اى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به وانتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بايديكم (قال بعضهم) ولم يسلم من رؤساء علماء اليهود الاعبد الله بن سلام وضم اليه السهيلى عبد الله بن صوريا قال الحافظ ابن حجر لم اقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح وانما نسب لتفسير النقاش اى ويضم لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره وروى فى سبب اسلام عبد الله بن سلام اى اظهار اسلامه على ما تقدم انه لما بلغه مقدم النبى صلى الله عليه وسلم أتاه فى قباء فعنه رضى الله تعالى عنه جاء رجل حتى أخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا فى رأس نخلة أعمل فيها وعمتى تحتى جالسة فلما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لى عمتى لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت فقلت لها اى عمة فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن اخى أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع بعث الساعة وفى لفظ مع نفس الساعة فقلت لها نعم اى وقد جاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف امرى وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين وقال باصبعيه هكذا يعنى السبابة والوسطى اى جمع بينهما وفى رواية بعثت فى نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه وفى رواية سبقتها بما سبقت هذه هذه واشار باصبعيه الوسطى والسبابة قال الطبرى الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع اصبع كما ان نصف يوم من سبعة ايام نصف سبع اى وقد تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم منها وتقدم فى حديث اخرجه ابو داود ولن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف

قريش اين قادة الناس اين رؤس الناس فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت بنى كنانة فقل اذا كان غدا فيقال اين الرماة فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت قيسا فقل يا معشر قيس اغاير يد الناس اذا كان غدا ان يقال اين احلاس الخيل اين الفرسان فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ذكر بقية ارتحالهم كما تقدم وفى البخارى من حديث عبد الله بن ابى اوفى رضى الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم اى حتى لا يثبتوا للقتال عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترعد اقدامهم وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فارسل عليهم ريحا وجنودا فهزمهم الله حتى قال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال والى ذلك اشار سبحانه وتعالى بقوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وكذا قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وتقدم ان بعض الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد اقاما فى مائتى فارس فى ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب وفى حديث جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اتى مسجد الاحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام

يوم يعنى خمسمائة سنة قال بعضهم فان قيل ما وجه الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الساعة ما المسؤل عنها باعلم من السائل لدلالة الرواية الاولى على علمه بها اجيب بان القرآن نطق بان علمها عند الله لا يعلمها الا هو ومعنى قوله بعثت انا والساعة كهاتين انه ليس بينى وبينها نبى آخر يأتى بشرع بعدى ولا يتراخى الى ان تندرس شريعتى فهو صلى الله عليه وسلم اول اشراطها لانه نبى آخر الزمان وهذا لا يقتضى ان يكون عالما بخصوص وقتها قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه اى فى التوراة زاد فى رواية فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت يا محمد انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه أو الى أمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذلك يعنى جبريل عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولا مانع من أن يكون قال ذلك كل منهما اى وعن ابن صوريا أنه قال له صلى الله عليه وسلم من ينزل عليك بالوحى قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان غيره وفى لفظ لو كان ميكائيل لآمنا بك لان جبريل ينزل بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم وسبب العداوة انهم زعموا أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم أى يجعل النبى المنتظر فى بنى اسرائيل الذين هم أولاد اسحق فجعلها فى غيرهم اى فى ولد اسمعيل وقيل سبب عداوتهم لجبريل انه أنزل على نبيهم أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثوا من يقتله من أعظم بنى اسرائيل قوة فاراد قتله فمنعه عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه اى فان بنى اسرائيل لما اعتدوا وقتلوا اشعياء جاء بختنصر ملك فارس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة واحرق التوراة وخرب بيت المقدس وقيل فى سبب العداوة كونه يطلع النبى صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع من ان يكون كل ذلك سببا للعداوة ثم قال صلى الله عليه وسلم اما اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت اى وهى القطعة المنفردة المعلقة بالكبد قال بعضهم وهى فى الطعم فى غاية اللذة ويقال انها أهنأ طعام وأمرؤه وروى أن الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت فيأكل منه أهل الجنة ثم يحيا فينحر الثور بذنبه فيأكله اهل الجنة ثم يحيا قال واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد اليها اى لكن فى فتح البارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها اذا علا ماء الرجل ماء المرأة

ثم رفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر فى وجهه وهو ما دعا به صلى الله عليه وسلم كما تقدم قوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وباصحابى فأتاه جبريل فبشره بان الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فاخبر أصحابه بذلك ليزول خوفهم ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وأطفأت النيران وألقت عليهم الابنية وأكفأت القدور على أفواهها وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا فى جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع بقين من ذى القعدة وكان قد اقام بالخندق محاصرا خمسة عشر يوما وقيل اربعة وعشرين يوما وقيل شهرا وقال صلى الله عليه وسلم بعد انصراف الاحزاب لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفى رواية الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم وقد كان كما أخبر صلى الله عليه وسلم ففى ذلك علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفى السيرة الحلبية ان أبا سفيان قبل أن يرتحلوا كتب كتابا وأرسله للنبى صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى أحلف باللات والعزى واساف ونائلة وهبل لقد سرت اليك فى جمع وأنا أريد ان لا اعود ابدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق وفى رواية قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم احد فارسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه فيه اما بعد اى بعد

احب

أشبه أعمامه واذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله والمراد بالعلو السبق وعن ثوبان اذا علا منى الرجل منى المرأة جاء الولد ذكرا وان علا منى المرأة منى الرجل جاء انثى والعلو فيه على بابه هذا كلامه اى واذا استوى الماآن جاء خنثى وفى رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم اين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ومن اول الناس اجازة وما تحفتهم اى الناس حين يدخلون الجنة وما غذاؤهم على اثره وما شرابهم عليه فاجابهم عليه الصلاة والسلام بانهم يكونون فى ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط لكن فى رواية مسلم أين الناس يومئذ قال على الصراط ثم رأيت عن البيهقى ان قوله على الصراط مجاز لكونهم بمجاورته ونقل القرطبى عن صاحب الافصاح أن الارض والسماء يتبدلان مرتين المرة الاولى تتبدل صفتهما فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر وتتناثر السماء كالمهل وتنكشط الارض وتسير الجبال والمرة الثانية تتبدل ذاتهما وذلك اذا وقفوا فى المحشر فتتبدل الارض بارض من فضة لم يقع عليها معصية وهى الساهرة اى والسماء تكون من ذهب كما جاء عن على رضى الله تعالى عنه وفى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار كما يتكفأ احدكم خبزته فى السفر نزلا لاهل الجنة فيأكل المؤمن من تحت رجليه ويشرب من الحوض قال الحافظ ابن حجر ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعذبون بالجوع فى طول زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته طبع الارض خبزا حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله من غير علاج ولا كلفة قال ويؤيد أن هذا مراد الحديث ما جاء تبدل الارض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الاسلام حتى يفرغوا من الحساب هذا كلامه فليتأمل مع ما قبله من ان الارض تبدل بارض من فضة وان هذا يدل على ان تلك الارض التى تكون خبزة تكون فى موقف الحساب وما جاء عن على رضى الله تعالى عنه يدل على انها تكون بعد مجاوزتهم الصراط واول الناس اجازة فقراء المهاجرين وتحفة اهل الجنة حين يدخلونها زيادة كبد النون اى الحوت وغذاؤهم ينحر لهم ثور الجنة الذى يأكل من أطرافها وشرابهم من عين تسمى سلسبيلا وسألوه صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن علامة النبى فقال عليه الصلاة والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه وسألوه اى طعام حرم اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة قال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن

أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم أي حرمهما ردعا لنفسه ومنعا لها عن شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به (وذكر) أن سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا أي علمه في التوراة فنحن أولى الناس بابراهيم منك ومن غيرك فأنزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم أي بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ومن ثم جاء فيها فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكانت اليهود اذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها أي وفي كلام الواحدي قال المفسرون كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس هذا كلامه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك أي قال له بعض الاعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فأنزل الله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى الآية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح أي لوطء وما في معناه وهو مباشرة ما بين السرة والركبة أي فان الآية لم تنص الا على عدم قربانهن بالوطء في الحيض ومن ثم جاء في رواية انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد ابن بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا ان اليهود قالت كذا فهلا نجامعهن أي نوافقهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند ذلك قال بعض الصحابة ظننا أنه قد وجد أي غضب عليهما فلما خرجا استقبلتهما هدية من لبن الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل في اثرهما فسقاهما فعرفنا أنه لم يجد عليهما وذكر المفسرون أن في منع الوطء للحائض اقتصادا من افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم لا يمتنعون من وطء الحيض أي وذكر أن ابن سلام وغيره ممن أسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت وكراهة أكل لحم الابل وشرب ألبانها فانكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا ان التوراة كتاب الله فنعمل به أيضا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة أي وفي رواية قالوا له ما هذا السواد الذي في القمر فأجابهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك بانهما

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور اما ما ذكرت انك سرت الينا وأنت لا تريد ان تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل حتى اذكرك ذلك ياسفيه بني غالب ١٥٣ انتهى وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم وكسر اللات والعزى وغيرهما من الاصنام واعز الله الاسلام فاخباره بذلك قبل وقوعه علم من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم (وقد ذكر ابن اسحق) انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير سعد بن معاذ رضي الله عنه وسيأتي بيان وفاته وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الاوس ومن الخزرج الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وزاد الحافظ الدمياطي قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن ابي خالد (وذكر الحافظ بن حجر) في الكنى أبا سنان بن صيفي بن صخر وقال شهد بدرا واستشهد في الخندق وقتل من المشركين ثلاثة منبه بن عبيد العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومي وعمرو بن عبد ود (وفي البخاري) عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قفل من الغزو او الحج او العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون

٢٠ حل ني تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وهذا من السجع المحمود وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد والمذموم ما يأتي بتكلف واستكراه والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة بني قريظة) وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق

دخل المدينة فى اليوم الذى انصرف فيه لسبع بقين من ذى القعدة هو واصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضى الله عنها وقيل بيت زينب بنت جحش رضى الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل وقد غسل شق رأسه الشريف وفى رواية بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغسل يرجل رأسه قد رجل احد شقيه وفى رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر اتاه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه وفى رواية عليه لأمة ولا معارضة لانه يجوز ان الاعتجار بالعمامة على تلك اللأمة وهو على بغلة شهباء عليها قطيفة وهى كساء له وبر من ديباج أحمر فقال أوقد وضعت السلاح يارسول الله قال نعم قال جبريل ماوضعت الملائكة السلاح وفى رواية قال يارسول الله غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح ومارجعنا الآن الامن طلب القوم يعنى الاحزاب وقد بلغنا الاسد يعنى حمراء الاسد ان الله يأمرك يامحمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم بمن معى من الملائكة فزلزل بهم الحصون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى اصحابى جهدا فلو انظرتهم اياما فقال جبريل انهض اليهم اى بنى قريظة فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا ولادخلن عليهم فى حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الانصار وفى البخارى عن انس رضى الله عنه قال كانى انظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم لموكب جبريل حين سار لبنى قريظة (وعن عائشة رضى الله عنها) انها قالت لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بينما هو عندى اذ دق الباب وفى رواية نادى مناد فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اى فزع ووثب

كانا شمسين أى شمس فى الليل وشمس فى النهار قال الله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى يرى هو المحو أى أثره قال بعضهم فى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أن الليل ذكر والنهار أنثى فالليل كآدم والنهار كحواء وقد ذكر أن الليل من الجنة والنهار من النار ومن ثم كان الانس بالليل أكثر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود اتشهد أنى رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدنى فى التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم ذلك قال معه من أمته سبعون ألفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال والذى نفسى بيده لانا هو وانهم لاكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وقد سأله صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد أى والبرق فقال صوت ملك موكل بالسحاب يسوقه أى بمخراق من نار فى يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى * وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال البرق مخاريق من نار بأيدى ملائكة يزجرون به السحاب والمخراق المنديل يلف ليضرب به أى وحينئذ فالمراد بالملك الجنس وفى رواية ان الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك ومنطقها الرعد وضحكها البرق (وفى بعض الآثار) لله ملائكة يقال لهم الحيات فاذا حركوا أجنحتهم فهو البرق أى وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند الرعد * وعن بعضهم قال بلغنى أن البرق ملك له اربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مصع بذنبه أى حركه فذلك البرق أى وتحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما البرق ملك يتراءى أى يظهر ويغيب وفى رواية الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف ملك أى ينظر به عند وجود الرعد غالبا وفى رواية ان ملكا موكل بالسحاب فى يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب به صعقت * وعن مجاهد الرعد ملك والبرق اجنحته يسوق بها السحاب فيكون المسموع صوته أو صوت سوقه فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وذهب الفلاسفة الى ان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب والبرق ماينقدح من اصطكاكها فقد زعموا أن عند اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض تخرج نار لطيفة حديدة لاتمر بشئ الا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ماننسخ من آية أوننسها نأت بخير منها اومثلها ان اليهود

وثبة منكرة وخرج فخرجت فى اثره فاذا رجل على دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيتيه قلت نعم قال بمن شبهتيه قالت بدحية الكلبى قال ذلك جبريل امرنى ان امضى الى بنى قريظة وهذا يؤيد انه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة رضى الله عنها وجاء فى رواية عنها فكانى برسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو اى جبريل ينفض رأسه من الغبار فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو بلال رضى الله عنه ان ينادى فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وفى رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلها فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا فى بنى قريظة وللذين صلوها لا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة وبعث مناديا يقول ياخيل الله اركبى اى يافرسان خيل الله ثم سار اليهم وبعث عليا رضى الله عنه على المقدمة ودفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه ولبس صلى الله عليه وسلم السلاح والدرع والمغفر والبيضة واخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريا ويمكن انه ركب فى بعض الطريق حماره وفى بعضه فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ومر بنفر من الانصار وقد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبى مر على بغلة بيضاء وفى رواية على فرس أبيض عليه اللامة وامرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع

انكروا النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يامر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وسألوه صلى الله عليه وسلم مم يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة اما نطفة الرجل فنطفة غليظة أى بيضاء منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة اى صفراء منها اللحم والدم فقالوا هكذا كان يقول من قبلك اى من الانبياء وتقدم فى ترجمة سطيح ايراد عيسى عليه الصلاة والسلام على ذلك أى وقالوا اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم اشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فقد جاء انه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وتسعمائة سرية (وسألوه صلى الله عليه وسلم) عن رجل زنى بامرأة بعد احصانه اى كان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا لهم ان هذا الرجل الذى بيثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه الضرب فسألوه فاجابهم بالرجم فلم يفعلوا ذلك فقال لجمع من علمائهم أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى أما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فانكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فاتوا بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا آية الرجم (أقول) هذا كان فى السنة الرابعة وهو يخالف ما فى بعض الروايات ان بعض احبار يهود أى وهم كعب بن الاشرف وسعيد ابن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابى الحقيق اجتمعوا فى بيت المدارس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنى رجل من يهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان افتانا بالجلد اخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبى من أنبيائك وان افتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا أى بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نفضحهما اى بان نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل ادبار الحمار وفى لفظ يحملان على الحمار وتقابل اقفيتهما ويطاف بهما ويجلدان اى بحبل من ليف مطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على آية

عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بنى قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما دنا على بن ابى طالب رضى الله عنه من الحصن اى ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند اصل الحصن سمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى على رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا امر ابا قتادة الانصارى ان يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال اهلك سمعت منهم لى اذى قال نعم قال لو رأونى لم يقولوا شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ماكنت جهولا وفى رواية نادى بأعلى صوته نفرا من اشرافهم حتى اسمعهم وقال أجيبوا يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وهو ما عبد من دون الله هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته أتشتمونى فجعلوا يحلفون ما فعلنا ويقولون يا ابا القاسم ماكنت جهولا وفى رواية ماكنت فاحشا وقال لهم أسيد بن حضير يا اعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن مواليك وخاروا أى خافوا فقال لا عهد بينى وبينكم وانما قال لهم يا اخوة القردة الجمع والخنازير لان اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بد عن المسير لبنى قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر الى أن جاؤا بعد صلاة العشاء

الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم وقد جاء ان موسى عليه الصلاة والسلام خطب بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت والله اعلم * قال ولما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم قالوا يا ابا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة زنيا اى بعد احصان فقال لهم ما تجدون فى التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل لنا ما عندك فأفتاهم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الى اعلمكم فاخرجوا اليه عبد الله بن صوريا وابا ياسر بن اخطب ووهب بن يهود فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان قالوا يحمم اى يعير ويجتنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم اى وفى رواية لما سألهم واجابوه الا شابا منهم فانه سكت فألح عليه صلى الله عليه وسلم فى النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد فى التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زنى الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا احكم بما فى التوراة ولعل هذا الشاب ابن صوريا ففى الكشاف انه لما امرهم عليه الصلاة والسلام بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما اى ووصفه له جبريل فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودى على وجه الارض بما انزل الله على موسى فى التوراة ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم واغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وفى رواية قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان تحرقنى التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فليتأمل

الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة وبعضهم قال نصلى ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا فى أماكنهم قيل وجماعة صلوا على ظهور دوابهم ثم ساروا فما عابهم الله فى كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كلا من الفريقين مأجور بقصده لانهم مجتهدون ولم يعنف الذين أخروها القيام عذرهم فى التمسك بظاهر الامر وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل شهرا وكان طعام الصحابة رضى الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر واشتد الحصار على بنى قريظة وقذف الله الرعب فى قلوبهم وكان حيى بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما عاهده عليه كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أى يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يك من بنى اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعنى حيى بن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونون آمنتم بالكتابين الاول والآخر يعنى التوراة والقرآن أى وكانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها انه سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى وهذا مما يدل على اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ ابن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ولنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وفى آية أخرى فأولئك هم الفاسقون وفى أخرى فأولئك هم الكافرون وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم فى الجاهلية فى غير بنى آدم كنت فى اليمن فى غنم لاهلى فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومى اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما وفى لفظ رأيت فى الجاهلية قردة زنت فرجموها يعنى القردة ورجمتها معهم قال فى الاستيعاب وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر لاضافة الزنا الى غير المكلف واقامة الحدود فى البهائم ولو صح هذا لكانوا من الجن لان العبادات فى الانس والجن دون غيرهما اهـ هذا كلامه فليتأمل والله أعلم وقد ذكر غير واحد أن أحبار يهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيامهم بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة أى وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعنى المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فأنزل الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى يجدونها فى كتابهم فقد كان فيه أكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى أتباعهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يخرج آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب الآية وكان اليهود اذا كلموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم أى لان ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلسان اليهود السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شئ كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ لليهود يوما

في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال ١٥٨ كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أي ولدا يخشى عليه وان نظفر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا انقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد وأصحابه قد امنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فأصابه مالم يخف عليك من المسخ وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية فوالله ما أدري أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه وان القتل خير من ذلك قال فاني بريء منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بني قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأي الفاضل والعقل قد تركوا أموالهم تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل

وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفي رواية أن اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله تعالى عنهم تقول له صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ يا رسول الله راعنا أي انتظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتسابب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بها تلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود قال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا ألستم تقولونها فنزلت وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود بأطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي تحلف به ما نحن الا كهيئتهم مامن ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار ومامن ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء أن أحبار يهود ومنهم ابن صوريا أي قبل ان يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسد اجتمعوا وقالوا انبعث الى محمد لعلنا نفتنه في دينه فجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك عليهم فنزل قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية ومن اليهود من دخل في الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع يهود في السر أي وهم المنافقون وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بجيم مضمومة فلام مخففة فألف فسين مهملة ابن سويد ابن الصامت قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضي الله تعالى عنه وهو ابن زوجة جلاس أي فان الجلاس كان زوجا لام عمير وكان عمير يتيما في حجره ولا مال له وكان يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه فقال لئن كان ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس وأحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها أي سكت عنها ليهلكن علي ديني ولاحداهما أيسر علي من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب علي عمير وما

لا والتوراة ما ساطا هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بنى قينقاع نقضهم العهد فى الذل والسبى وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم صلى الله عليه وسلم فكلم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب ياقوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبى وقد بشر نابه ١٥٩ علماؤنا ثم لازال يخوفهم بالحرب والسباء والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال والتوراة التى نزلت على موسى يوم طور سيناء انه العز والشرف فى الدنيا فبينا هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة جيش النبى صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذى قلت لكم أى وبعد الحصار أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا له ثانيا بأنهم لا حاجة لهم بشئ من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد شاس اليهم بذلك ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الانصارى رضى الله عنه لنستشيره فى أمرنا أى لانه كان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة وكانوا محالفين للاوس وهو منهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه اى انه الذبح اى وفى لفظ ماترى ان محمدا قد أبى أن ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة فوالله مازالت قدماى

قلت ما قال عمير فقال عمير بلى والله لقد قلته فتب الى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلنى معك ما قلته وجاء أنه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف أنه ما قال واستحلف الراوى عنه فحلف لقد قال وقال اللهم أنزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين فنزل قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يصنعه مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته فقال صلى الله عليه وسلم لعمير وقت اذنك ومنهم نبتل بنون مفتوحة فوحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فلام ابن الحرث قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه للمنافقين وهو الذى قال لهم انما محمد أذن من حدثه بشئ صدقه فأنزل الله تعالى فيه ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن الآية وجاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل معك صفته كذا نقال اى للحديث الذى تحدث به كبده اغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره ومنهم عبد الله بن أبى ابن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد فى الصحابة وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم للمدينة قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم أى كما تقدم لان الانصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرز الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودى فلما جاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم انصرف عنه قومه الى الاسلام فضغن أى أضمر العداوة لانه رأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا عظيما فلما رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على النفاق أى وكان له اماء يكرههن على الزنا ليأخذ أجورهن فأنزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ان عبد الله بن أبى وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم قوم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ابو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقال عبد الله بن أبى انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن ألي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين أي المترددة بينهما تعير الى هذه مرة والى هذه مرة (وفي السنة الاولى من الهجرة أعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله تعالى عنها) كذا في الاصل وفي المواهب أن ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة أشهر وقيل بعد ثمانية أشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بي في شوال فأي نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أحظى عنده مني أي فما قاله بعض الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين فتحصل المفارقة بين الزوجين لا عبرة به ولا التفات اليه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال ونساء من الانصار فجاءتني أمي واني لفي أرجوحة بين عذقين اي نخلتين فانزلتني من الارجوحة ولي جميمة أي شعر لاني وعكت أي مرضت لما قدمنا المدينة أي أصابتها الحمى فعن البراء رضي الله تعالى عنه قال دخلت مع أبي بكر الصديق على أهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها الحمى فرأيت أباها يقبل خدها ويقول كيف أنت يا بنية قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فمرق شعري ففرقته ومسحت وجهي بشيء من ماء ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني لانهج حتى سكن نفسي ثم دخلت بي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار فأجلستني في حجره ثم قالت هؤلاء أهلك بارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا أي فقد بنى بها نهارا وفي الصحاح العامة تقول بنى باهله وهو خطأ وانما يقال بنى على أهله قال الحافظ ابن حجر ولا يخفى عن الخطا كثرة استعمال الفصحاء له أي كاستعمال عائشة له هنا وفي الاستيعاب وأقره عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله ما يمنعك ان تبني باهلك قال الصداق فاعطاه ابو بكر اثنتي عشرة اوقية ونشا فبعث بها الينا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا الذي انا فيه وهو الذي توفي به ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ان

من مكانهم حتى عرفت اني خنت الله ورسوله اي لان في ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم انزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم وقيل الذي نزل في ذلك قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والحق ان كلا من الآيتين نزل فيه الاولى في اللوم عليه والثانية في توبته وفي رواية عن ابي لبابة رضي الله عنه لما ارسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرسلني اليهم دعاني فقال اذهب الى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن اسد فقال يا ابا بشر قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى تنزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بارض الشام او خيبر ولم نطأ له ارضا ولم نكثر عليه جمعا ابدا ماترى فانا قد اخترناك على غيرك انتزل على حكم محمد قال ابو لبابة نعم فانزلوا واومأ الى حلقه بالذبح قال ابو لبابة فندمت واسترجعت فقال لي كعب مالك يا ابا لبابة فقلت قد خنت الله ورسوله ثم نزلت من عندهم وان عيني لتسيل من الدموع ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط في المسجد بعمود من عمده وهي التي كانت عند باب ام سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان اكثر تنفل النبي صلى الله عليه وسلم عندها وتعرف باسطوانة ابي لبابة واسطوانة التوبة سياق وكان الوقت شديد الحر وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بني قريظة ابدا ولا يرى في بلد خان الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه

سياق ما تقدم وما يأتي يدل على أنه إنما دخل بها في بيت أبيها بالسنح ثم رأيت بعضهم صرح بذلك فقال كان دخوله بها عليه الصلاة والسلام بالسنح نهارا وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم هذا كلامه وفي رواية عنها أتتني أمي وأنا في أرجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني فأخذت بيدي حتى وقفت بي على باب الدار وأنا أنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فأسلمتني إليهن وأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين قال بعضهم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة ولعبتها معها أي وعنها رضي الله تعالى عنها أنها كانت تلعب بالبنات أي اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تأتيها جويريات يلعبن معها بذلك وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربهن إليها أي يطلبهن لها ليلعبن معها قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر على صفة في البيت عن بنات لي فقال ما هذا يا عائشة قلت بناتي ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع قال وما هذا الذي أرى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت جناحان قال جناحان قلت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وفيه هلا أمرها بتغيير ذلك وأجيب بأن هذا مستثنى من عدم جواز تصوير ذي الروح وقولها أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة وإقراره صلى الله عليه وسلم لها على ذلك يدل على صحته ثم رأيت بعضهم أورد أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة وقد ذكرت ذلك عند الكلام على إسمعيل صلوات الله وسلامه عليه في أوائل هذه السيرة (وعنها) رضي الله تعالى عنها أيضا أنها قالت وما نحرت علي جزور ولا ذبحت علي شاة أي عند بنائه بها صلى الله عليه وسلم حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنته التي كان يرسلها وأرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وفي كلام بعضهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم ما أولم على عائشة رضي الله تعالى عنها بشيء غير أن قدحا من لبن أهدي من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم بعضه وشربت عائشة رضي الله تعالى عنها باقيه (أقول) يجوز أن يكون سعد رضي الله تعالى عنه أرسل بالقدح من اللبن وبالجفنة وأن بعض الرواة اقتصر على أحدهما ثم لا يخفى أنه يجوز أن تكون الرواية الأولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية وأنها ذهبت إلى الأرجوحة ثانيا بعد أن أصلح النساء من شأنها وفعلت بها أمها ما ذكر

قال أما لو جاءني لاستغفرت له وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه ومن قال إنه إنما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد أغرب ثم مكث أبو لبابة رضي الله عنه مربوطا ست ليال لا يذوق طعاما ولا شرابا وتأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع وقيل مكث مربوطا بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة ثم يأمرهم بإعادة الربط حتى خر مغشيا عليه ثم أنزل الله توبته على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم وكان نزول توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة رضي الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فرحا بالتوبة لأنه بالمؤمنين رؤف رحيم قالت فقلت يا رسول الله مم تضحك أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى إن شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس إليه ليطلقوه وقيل قالوا له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال يا رسول الله إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال له صلى الله عليه وسلم يجزئك الثلث أن تتصدق به وجاء في بعض الروايات عن أبي لبابة رضي الله عنه عند ذكر هذه القصة حين ربط نفسه قال فكنت في أمر عظيم في حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن شيئا ولا أشرب وقلت لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله علي وذكرت رؤيا رأيتها ونحن محاصرون بني قريظة فإني رأيت كأني في حمأة أي طين أسود آسنة أي

وأنه وقع الاقتصار فى الرواية الاولى والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم)

ذكر أن مغازيه اى وهى التى غزا فيها بنفسه كانت سبعا وعشرين اى وهى غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة سفوان ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بنى سليم ثم غزوة بنى قينقاع ثم غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر ثم غزوة غطفان وهى غزوة ذى أمر ثم غزوة بحران بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب وبنى ثعلبة ثم غزوة بدر الآخرة وهى غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بنى المصطلق ويقال لها المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان ثم غزوة الحديبية ثم غزوة ذى قرد ويقال لها قرد بضمتين وهو فى اللغة الصوف الردىء ثم غزوة خيبر ثم غزوة وادى القرى ثم غزوة عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين والطائف ثم غزوة تبوك والتى وقع فيها القتال من تلك الغزوات اى وقع القتال فيها من اصحابه وهو المراد بقول بعضهم كالاصل التى قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وهى غزوة بدر الكبرى واحد والمريسيع اعنى بنى المصطلق والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف اى وبعضهم اسقط فتح مكة قال النووى رحمه الله ولعل مذهبه انها فتحت صلحا كما قال امامنا الشافعى وموافقوه اى فيصح بيع دورها واجارتها واستدل لذلك بانها لو كانت فتحت عنوة لقسمها بين الغانمين وسيأتى الجمع بأن اسفلها فتح عنوة اى لوقوع القتال فيه من خالد بن الوليد مع المشركين واعلاها فتح صلحا لعدم وجود القتال فيه وفى الهدى من تامل الاحاديث الصحيحة وجدها كلها دالة على قول الجمهور انها فتحت عنوة اى لوقوع القتال بها ومما يدل على ذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يصالح اهلها عليها والا لم يحتج الى قوله من دخل دار ابى سفيان فهو آمن الخ وانما لم يقسمها لانها دار المناسك فكل مسلم له فيها حق اقول هذا واضح فى غير دورها وسيأتى الجواب عن ذلك وبما قررناه يعلم ان قول المواهب قاتل صلى الله عليه وسلم فى تسع منها بنفسه فيه نظر ظاهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل بنفسه فى شىء من تلك الغزوات الا فى احد كما سيأتى وكانه اغتر فى ذلك بقول بعضهم المتقدم قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت المراد منه والله اعلم ولا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه لامر الله تعالى له بذلك اى بالانذار والصبر على الاذى والكف بقوله واعرض

منفيرة فلم أخرج منها حتى كدت أموت من ريحها ثم رأيت نهرا جاريا فارانى اغتسلت فيه حتى استنقيت وأرانى اجد ريحا طيبة فاستعبرتها أبا بكر رضى الله عنه فقال لتدخلن فى أمر تغتم له ثم يفرج الله عنك فكنت اذكر قوله وأنا مرتبط فارجو أن ينزل الله توبتى فلم أزل كذلك حتى كنت ما أسمع الصوت من الجهد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى حتى انزل الله توبتى ثم ان بنى قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذى تقدم عن حيى بن اخطب وقيل كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة ويجوز أن يكون ما زاد على ذلك أتباعا لا يعدون فلا تخالف وأخرج النساء والذرارى من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثب الاوس فقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت فى موالى اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبى بن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله ابن أبى بن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم بنى قريظة كما وهب بنى قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبى أن يفعل ببنى قريظة ما فعل ببنى قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال ذلك الى سعد بن معاذ وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابى عنهم فاختاروا سعد بن معاذ وهو سيد الاوس حينئذ وقيل ان بنى قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام حدثنى من أثق به ان عليا رضى الله عنه صاح على بنى قريظة وهم

عنهم و بقوله واصبر ووعده بالفتح اى فكان يأتيه اصحابه بمكة ما بين مضروب ومشجوج فيقول صلى الله عليه وسلم لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال لانهم كانوا بمكة شرذمة قليلة ثم لما استقر امره صلى الله عليه وسلم اى بعد الهجرة وكثرت اتباعه وشأنهم ان يقدموا محبته على محبة آبائهم وابنائهم وازواجهم واصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اى ولاصحابه فى القتال اى وذلك فى صفر من السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم وابتدأهم به بقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم قال بعضهم ولم يوجبه بقوله تعالى أذن للذين يقاتلون اى للمؤمنين ان يقاتلوا بانهم ظلموا اى بسبب انهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اى فكان ذلك القتال عوضا من العذاب الذى عوملت به الامم السالفة لما كذبت رسلهم وذكر فى سبب نزول قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الآية ان جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن ابى وقاص وكانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا اذلة فاذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه ذلك فانزل الله تعالى الآية لا يقال يدل لما تقدم من انه قاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه فى تلك الغزوات ما جاء عن بعض الصحابة كنا اذا لقينا كتيبة او جئنا اول من يضرب النبى صلى الله عليه وسلم لانى أقول لا يبعد ان يكون المراد بالضرب السير فى الارض اى اول من يسير الى تلقاء العدو ويؤيده ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس بأسا وما كان احد اقرب الى المشركين منه صلى الله عليه وسلم وفى رواية كنا اذا حمى البأس والتقى القوم بالقوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى كان وقاية لنا من العدو وقد نقل اجماع المسلمين على انه لم ير واحد قط انه صلى الله عليه وسلم انهزم بنفسه فى موطن من المواطن بل ثبتت الاحاديث الصحيحة باقدامه صلى الله عليه وسلم وثباته فى جميع المواطن لا يقال سيأتى فى غزوة بدر عن السيرة الشامية غير معزو لاحد أنه قاتل بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكانا فى العريش يجاهدان بالدعاء فقاتلا بابدانهما جمعا بين المقامين وايضا سيأتى فى خيبر ما قد يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه لانا نقول سيأتى ما فى ذلك مما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال الا فى أحد كما سيأتى ولم تقاتل معه الملائكة الا فى بدر والا فى حنين قيل

محاصرون يا كتيبة الايمان ثم تقدم هو والزبير وقال والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لاقتحمن حصنهم فخافوا وقالوا ننزل على حكم سعد قال الحافظ ابن حجر كانهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى صلى الله عليه وسلم فلما سأله الانصار فيهم رد الحكم الى سعد وروى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها فلما اشتد بهم البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استشاروا أبا لبابة قالوا ننزل على حكم سعد فحصل فى سبب رد الحكم الى سعد أمران أحدهما سؤال الاوس والآخر اشارة ابى لبابة وكانوا حلفاء سعد وكان سعد ابن معاذ رضى الله عنه يومئذ فى المسجد النبوى فى خيمة رفيدة رضى الله عنها وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ رضى الله عنه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى اعوده من قرب ورفيدة هذه امرأة من اسلم كانت لها خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فاتاه قومه فحملوه على حمار ثم اقبلوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا ابا عمرو احسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن فيهم فقد رأيت من ابن ابى ما صنع فى حلفائه وهو ساكت فلما اكثروا عليه قال لقد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم وفى رواية الى خيركم فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم وفى رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله احق بالحكم قال قد امرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد

اى لمن فى الناحية التى ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم بما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك واشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له ثم قال سعد لبنى قريظة ١٦٤ اترضون بحكمى قالوا نعم فاخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به سعد

قال سعد فانى احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا تابعون المهاجرين لنا معهم فقال انى احببت ان يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الملك بكسر اللام وفى رواية لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات وقد طرقنى بذلك الملك سحرا والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم امر ان يجمع ما فى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها الف وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفا رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد اثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح اى يسقى عليها الماء وماشية وشياه كثيرة وخمس ذلك مع النخل والسبى ثم قسم الباقى على الغانمين وفى رواية ثم امر بالباقى فبيع ثم قسمه بين المسلمين وكانت اسهم القسمة ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما لان المسلمين ثلاثة آلاف والخيل ست وثلاثون وللفرس سهمين ولصاحبه سهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالاسارى ان يكونوا فى دار اسامة بن زيد والنساء والذرية فى دار بنت الحرث النجارية فى ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق اى حفر فيها احفارا وفى رواية شق اخدودا وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه ثم امر بقتل كل من نبتت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤا ارسالا تضرب اعناقهم و يلقون فى

وأحد وسيأتى ما فى ذلك ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصباء فى وجوه العدو فى شىء من الغزوات الا فى هذه الثلاثة على خلاف فى الثالثة اى ولم يجرح اى لم يصبه جراحة فى غزوة من الغزوات الا فى احد ولم ينصب المنجنيق فى غزوة من الغزوات الا فى غزوة الطائف وفيه انه نصبه على بعض حصون خيبر وسيأتى الجمع بينهما ولم يتحصن بالخندق فى غزوة الا فى غزوة الاحزاب ثم لا يخفى ان الآية المذكورة اى التى هى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال بعضهم هى أول آية نزلت فى شأن القتال ولما نزلت اخبر صلى الله عليه وسلم بقوله امرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله اى وفى لفظ حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى محمد رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد اسلام أو قتل نفس (أقول) وظاهر هذا السياق يقتضى أن الآية فيها الامر له صلى الله عليه وسلم بالقتال المذكور وقد يتوقف فى ذلك ولعله أمر بذلك بغير الآية المذكورة لان الآية انما هى ظاهرة فى الاباحة والمباح ليس مأمورا به وحينئذ يكون قوله فى الآية الاخرى وهى فان قاتلوكم فاقتلوهم للاباحة لان صيغة افعل تأتى لها وان كان الاصل فيها الوجوب وعلى ان قوله صلى الله عليه وسلم أمرت وان أمره كان بغير هذه الآية يحمل على أن المراد الندب لان الامر مشترك بين الوجوب والندب فلا ينافى ما تقدم من انه لم يكن وجب عليهم القتال حينئذ والله أعلم ثم لما رمتهم العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب كانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبحون الا فيه و يقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل انزل الله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ثم اذن فى القتال اى أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل اى لكن فى غير الاشهر الحرم اى التى هى رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم أى بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية ثم أمر به وجوبا أى بعد فتح مكة فى السنة الثانية مطلقا اى من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله وقاتلوا المشركين كافة اى جميعا فى اى زمن فعلم ان القتال كان قبل الهجرة وبعدها الى صفر من السنة الثانية محرما اى لانه كان فى ذلك مأمورا بالتبليغ وكان انذارا بلا قتال لانه نهى عنه فى نيف وسبعين آية ثم صار مأذونا فيه اى أبيح قتال من قاتل ثم ابيح قتال من لم يبدأ به فى غير الاشهر الحرم ثم امر به مطلقا اى لمن قاتل ومن لم يقاتل

تلك الخنادق وقد قال لبعضهم لسيدهم كعب بن اسيد يا كعب ماترى يصنع بنا قال انتم فى كل موطن لا تعقلون الا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فابيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملأت المدينة بالنوح والعويل وكان من جملة من اتى به معهم عدو الله حيي بن اخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى ابى الله الا تمكينك منى والله مالمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى رواية قال بلى والقد قلقلت كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ولما أتى بكعب بن أسيد سيد بنى قريظة قال له صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بى أما أمركم باتباعى وانكم ان رأيتمونى تقرؤنى منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم لولا أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فتضرب عنقه ففعل به ذلك وكان المتولى لقتلهم على بن ابى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما وقيل ان بعضا منهم تولى قتله الاوس لما جاء أن سعد بن عبادة والحباب ابن المنذر رضى الله عنهما قالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضى الله عنه ما كرهه من الاوس احد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله وقام أسيد بن حضير رضى الله عنه فقال يا رسول الله لا تبق دارا من

فى كل زمن اى فى الاشهر الحرم وغيرها وظاهر كلام الامام الاسنوى ان القتال فى الحالة الثانية كان مأمورا به لامباحا كالحالة الاولى وعبارته لما بعث صلى الله عليه وسلم امر بالتبليغ والانذار بلا قتال فقال واعرض عنهم وقال واصبر ثم اذن له بعد الهجرة فى القتال ان ابتدؤا به فقال فان قاتلوكم فاقتلوهم ثم امر بذلك ابتداء ولكن فى غير الاشهر الحرم فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ثم امر به مطلقا فقال وقاتلوا المشركين كافة هذا كلامه ولا يخفى ان الاسنوى ممن يرى ان الامر للوجوب وهو يقتضى ان يكون الامر به فى الحالة الثانية للوجوب والراجح ما علمت ان الامر مشترك بين الوجوب والندب وانه فى الحالة الثانية مباح لا مأمور به ثم استقر امر الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة اقسام (القسم الاول) محاربون له صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة اى يكفى ذلك فى اسقاط الحرج كاحياء الكعبة واستدل لذلك بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اى فهلا نفر وقيل كان فرض عين لقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك ويحتاج الى الجواب عن ذلك وقيل كان فرض كفاية فى حق الانصار وفرض عين فى حق المهاجرين (والقسم الثانى) أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية اى صالحهم ووادعهم على ان لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوهم وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم (والقسم الثالث) أهل ذمة اى وهم من عقدت لهم الجزية وهناك قسم آخر وهو من دخل فى الاسلام تقية من القتل وهم المنافقون كما تقدم وأمر صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشعائر الاسلام الظاهرة كالصلاة فلا يخالف مارواه الشيخان لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار فقد ذكر أئمتنا أن ذلك ورد فى قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون أى اصلا بدليل السياق اى لان صدر الحديث أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر اى جماعتهما ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا ولقد هممت الخ (وفى الخصائص الصغرى) وكان الجهاد فى عهده صلى الله عليه وسلم فرض عين فى أحد الوجهين عندنا وكان اذا غزا بنفسه صلى الله عليه وسلم يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ومن ثم وقع لمن تخلف عنه فى غزوة تبوك ما وقع وأما بعده صلى الله عليه وسلم فللكفار حالان

الاوس الا فرقت فيها منهم فمن سخط فلا يرغم الله الا أنفه فابعث الى دارى أول دورهم ففرقهم صلى الله عليه وسلم منهم فيها فقتلوهم قال بعضهم ان الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الاوس فقتلوا من بعث به الى دورهم اتباعا لرضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وازالة لما حاك فى صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله على والزبير رضى الله عنهما فلا تنافى وبقى صلى الله عليه وسلم عند الاخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب وكان الذين أرسلوا الى الاوس حملوا بعد القتل الى الاخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة كما تقدم ولم يقتل من النساء الا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بنانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضى الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم النبى صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات فى زمن الحصار وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تحدث وتضحك ظهرا وبطنا اى وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها اى لانها دخلت على عائشة رضى الله عنها وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين بنانة فقالت ها أنا والله قالت عائشة رضى الله عنها فقلت لها مالك ويلك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته وفى لفظ قالت قتلنى زوجى فقالت لها عائشة رضى الله عنها كيف قتلك زوجك قالت أمرنى أن ألقى رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين فى فيئه فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وانا أقتل به وفى رواية قالت كنت زوجة رجل من بنى قريظة وكان بينى وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد الحصار

مذكوران فى كتب الفقه وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم فى القتال خرج لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة اى مكث بالمدينة باقى الشهر الذى قدم فيه وهو شهر ربيع الاول وباقى ذلك العام كله الى صفر من السنة الثانية من الهجرة فخرج صلى الله عليه وسلم غازيا حتى بلغ ودان بفتح الواو وتشديد الدال المهملة آخره نون وهى قرية كبيرة بينها وبين الابواء ستة أميال أو ثمانية والابواء بالمد قرية بين مكة والمدينة كما تقدم سميت بذلك لتبوى السيول بها وقيل لما كان فيها من الوباء فيكون على القلب والا لقيل الاوباء وحينئذ فلا تخالف بين تسمية ابن اسحاق لها بغزوة ودان وبين تسمية البخارى لها بغزوة الابواء لتقارب المكانين اى وفى الامتاع ودان جبل بين مكة والمدينة واقول قد يقال لا منافاة لانه يجوز ان تكون تلك القرية كانت عند الجبل المذكور فسميت باسمه والله اعلم وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ليس فيهم انصارى يعترض عير القريش ولبنى ضمرة اى وخرج صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة فكان خروجه للشيئين كما يفهم من الاصل ويوافقه قول بعضهم وخرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من اصحابه يريد قريشا وبنى ضمرة والمفهوم من سيرة الشامى ان خروجه صلى الله عليه وسلم انما كان لاعتراضه العير وانه اتفق له موادعة بنى ضمرة ويوافقه قول الحافظ الدمياطى خرج يعترض عير القريش فلم يلق كيدا وفى هذه الغزوة وادع بنى ضمرة هذا كلامه اى صالح سيدهم حينئذ وهو مجدى بن عمرو وعبارة بعضهم فلما بلغ الابواء لقى سيد بنى ضمرة مجدى ابن عمرو الضمرى فصالحه ثم رجع الى المدينة والمصالحة على ان لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا عليه صلى الله عليه وسلم جمعا ولا يعينوا عليه عدوا قال وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة بانهم آمنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصرة على من رامهم اى قصدهم الا ان يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة اى ما بقى فيه ما يبل الصوفة وان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصره اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله اى امانهما انتهى وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم ابيض وكان مع عمه حمزة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وانصرف الى المدينة راجعا فهى اول غزواته صلى الله عليه وسلم اى وكانت غيبته خمس عشرة ليلة والله اعلم

(غزوة بواط)

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول اى وقيل الآخر اى من السنة

قلت لزوجي ياحسرتا على ايام الوصال كادت أن تنقضي وتتبدل بها الى الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجي ان كنت صادقة في دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون في ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة فالقي عليهم حجر الرحى لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم

يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة رضي الله عنها فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول مارأيت اعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث وهي الحرب التي كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج وذلك ان الزبير بن بطا اخذ ثابت بن قيس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت للزبير يوم قتل بني قريظة فقال له يا اباعبد الرحمن هل تعرفني فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أردت ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم واحوج ماكنت اليه الآن ثم اتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه كان للزبير على منة وقد احببت ان أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله بابي انت وامي امرأته وولده فقال هم لك فجئته فقلت اهلك وولدك لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماله قال هو لك فاتيته فقلت له قد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال اي ثابت اما انت فقد كافأتني وقد

المذكورة يريد عير القريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش والفان وخمسمائة بعير خرج في مائتين من اصحابه اي من المهاجرين خاصة وحمل اللواء وكان ابيض سعد بن ابي وقاص واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع امير الجيش وقد يحمله امير الجيش وقد يجعل في مقدم الجيش واول من عقد الالوية ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما اغاروا على لوط عليه السلام فعقد لواء وسار اليهم بعبيده ومواليه قال بعضهم صرح جماعة من اهل اللغة بترادف اللواء والراية اي فيطلق على كل اسم الآخر وعن ابن اسحق وابن سعد ان اسم الراية انما حدث بعد خيبر واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة سعد بن معاذ وقيل السائب بن مظعون اي اخا عثمان بن مظعون وقيل السائب بن عثمان حتى بلغ بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو والطاء المهملة اي وهو جبل الينبع اي ومن ثم قيل لها غزوة بواط قال بعضهم ومن هذا الجبل تقلع احجار المسان وهذا الجبل لجهينة من ناحية رضوى وهو أحد الاجبل التي بني منها أساس الكعبة وفيه أنه لم يذكر رضوى في تلك الاجبل الخمس التي كان منها أساس الكعبة المتقدم ذكرها على المشهور وقد جاء في الحديث رضوى رضي الله عنه وتزعم الكيسانية وهم اصحاب كيسان مولى علي رضي الله تعالى عنه ان محمد بن الحنفية مقيم برضوى حي يرزق وهو الامام المنتظر عندهم اي وفي كلام بعضهم أن المنتظر هو محمد القاسم بن الحسن العسكري الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر وهو صاحب السرداب يزعمون أنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يخرج اليها وكان عمره تسع سنين وأنه يعمر الى آخر الزمان كعيسى وسيظهر فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا واختفاؤه الآن خوفا من أعدائه قال وهو زعم باطل لا أصل له ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا أي حربا وأصل الكيد الاحتيال والاجتهاد ومن ثم يسمى الحرب كيدا والله اعلم

(غزوة العشيرة)

اي وبها ابدا البخاري المغازي ويدل له ماجاء عن زيد بن اسلم وقد قيل له ما اول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذات العشيرة واجيب عنه بان المراد ما اول غزوة غزاها وانت معه ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر جمادى الاولى وفي سيرة الدمياطي الآخرة من تلك السنة اي وفي الامتاع في جمادى الآخرة ويقال جمادى الاولى يريد عير القريش متوجهة للشام يقال ان قريشا جمعت جميع اموالها في تلك العير لم يبق

قضيت الذى عليك مافعل بالذى كان وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن اسيد سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل
سيد الحاضر والبادى من يحملهم فى الجذب ويطعمهم فى المحل حيى بن اخطب فقلت قد قتل قال فما فعل بمقدمنا بكسر الدال
مشددة اذا شددنا وحامينا اذا فررنا عزال ١٦٨ بتشديد الزاى ابن سموأل بفتح السين وكسرها قلت قتل قال مافعل المجلسان
بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها
المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة
وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلوا
قال فانى اسألك يا ثابت بيدك
عندى الا الحقتنى بالقوم فوالله
مافى العيش بعد هؤلاء من خير
ارجع الى دار قد كانوا حلولا فيها
فاخلد فيها بعدهم لا حاجة لى
بذلك فما انا بصابر افراغة دلو ناضح
حتى القى الاحبة اى مقدار الزمن
الذى يفرغ فيه ماء الدلو قال ثابت
فقلت له ما كنت لاقتلك فقال
لا ابالى من قتلنى فقتله الزبير بن
العوام رضى الله عنه ولما بلغ ابا
بكر رضى الله عنه قوله القى الاحبة
قال يلقاهم والله فى نار جهنم
خالدا فيها مخلدا وفى رواية ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال اثابت بن
قيس لك اهله وماله ان اسلم اولم يسلم
ثم ان القتل كان ان أنبت ومن لم
ينبت يكون فى السبى قال عطية
القرظى كنت غلاما فوجدونى
لم انبت فخلوا سبيلى عن القتل
وكان رفاعة القرظى قد انبت
فارادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس
ام المنذر وكانت احدى خالاته
صلى الله عليه وسلم اى خالات
جده عبد المطلب لانها من بنى
النجار فقالت يارسول الله بابى انت وامى هب لى رفاعة فوهبه لها فاسلم رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه
وسلم لنفسه الكريمة من نساء بنى قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظى فتزوجها بعد ان اسلمت وحاضت حيضة وكانت
جميلة وسيمة واصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا اى نصف اوقية واعرس بها فى المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين وقد

بعكة لا قرشى ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به فى تلك العير الا حويطب بن
عبد العزى يقال ان فى تلك العير خمسين ألف دينار أى وألف بعير وكان فيها أبو سفيان اى
قائدها وكان معه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو
ابن العاص وهى العير التى خرج اليها حين رجعت من الشام وكان سببا الوقعة بدر الكبرى
كما سيأتى خرج فى خمسين ومائة ويقال فى مائتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة
بالمعجمة والتصغير آخره هاء اى ولم يختلف فيه اهل المغازى كما قال الحافظ ابن حجر وفى
البخارى اخرها همزة وفيه ايضا العسيرة بالسين المهملة آخرها هاء اى بالتصغير واما التى
بغير تصغير فهى غزوة تبوك كما سيأتى والتى بالتصغير تقال ايضا الموضع ببطن الينبع
اى وهو منزل الحاج المصرى وهى لبنى مدلج واستخلف على المدينة اباسلمة بن عبد الاسد
وحمل اللواء وكان ابيض عمه حمزة بن عبد المطلب خرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها
فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بايام ورجع ولم يلق حربا ووادع صلى الله عليه وسلم فيها
بنى مدلج قال فى الاصل وحلفاءهم من بنى ضمرة وذكر فى المواهب هنا صورة الكتاب
الذى كتبه صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة فى غزوة ودان الذى قدمناه ثم فليتأمل ذلك وكنى
صلى الله عليه وسلم فيها عليا بابى تراب حين وجده نائما هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب
فايقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له قم أبا تراب لما يرى عليه من التراب اى الذى
سفته عليه الريح ولما قام قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك باشقى الناس أجمعين عاقر
الناقة والذى يضربك على هذا ووضع يده على قرن رأسه فيخضب هذه ووضع يده على
لحيته وفى رواية أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك وفى رواية انه
صلى الله عليه وسلم قال يوما لعلى كرم الله تعالى وجهه من اشقى الاولين فقال على الذى عقر
الناقة يارسول الله قال فمن اشقى الآخرين قال على لا علم لى يارسول الله قال الذى
يضربك على هذه واشار الى يافوخه وكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم فهو من اعلام نبوته
فانه لما كان شهر رمضان سنة اربعين صار يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة
عند عبد الله بن جعفر لا يزيد فى اكله على ثلاث لقم ويقول احب ان القى الله وانا خميص
فلما كانت الليلة التى ضرب صبيحتها اكثر الخروج والنظر الى السماء وجعل يقول والله
انها الليلة التى وعدت فلما كان وقت السحر واذن المؤذن بالصلاة خرج الى المسجد فاقبل
الاوز الذى فى داره يصحن فى وجهه فمنعهن بعض نساء اهل بيته فقال دعوهن فانهن
نوائح فلما دخل المسجد اقبل ينادى الصلاة الصلاة فشد عليه عبد الرحمن بن ملجم المرادى

لعنه

أشار سبحانه وتعالى الى قصة بنى قريظة بعد ذكر قصة الاحزاب بقوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا وقد اشار صاحب الهمزية الى ذلك والى نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدّوا الى النبى حدودا
كان فيها عليهم العدواء

واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا
نهم انّا لكم اولياء

ويوم الاحزاب اذ زاغت الاب
صار فيه وضلت الآراء

وتعاطوا فى احمد منكر القو
ل ونطق الاراذل العوراء

كل رجس يزيده الخلق السو
ء سفاها والملة العوجاء

فانظروا كيف كان عاقبة القو
م وما ساق للبذى البذاء

وجد السب فيه سما ولم يد
ر اذ الميم فى مواضع باء

كان من فيه قتله بيديه
فهو من سوء فعله الزباء

او هو النحل قرصها يجلب الحتـ
ـف اليها وماله انكاء

ولما انقضى شأن بنى قريظة قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم واقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بنى قريظة فانه سأل الله لما اصيب بالسهم فى الخندق وقال اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وقيل ان دعاءه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها حل بنى نزلوا على حكمه ويجوز ان يكون دعا بذلك الدعوة مرتين وفى لفظ فدعا الله ان لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة فاستجاب الله دعوته وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الى ان اجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك واخرجوه من وطنه اللهم انى اظن انك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان قد بقى من حرب

لعنه الله من طائفة الخوارج فضربه الضربة التى أخبر بها صلى الله عليه وسلم وعند ذلك شد عليه الناس من كل جانب فطرح عليه رجل قطيفة ثم طنبوه وأخذ السيف منه وقالوا له يا أمير المؤمنين خل بيننا وبين مراد يعنون قبيلة الرجل الذى ضربه فقال لا ولكن احبسوا الرجل فان أنا مت فاقتلوه وان أعش فالجرح قصاص فحبس فلما مات رضى الله تعالى عنه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفن فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وصلى عليه الحسن وكبر عليه سبعا ودفن ليلا قيل بدار الامارة بالكوفة وقيل بغير ذلك وأخفى قبره لئلا تنبشه الخوارج وقيل حملوه على بعير ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى مسيرهم ليلا اذ ند البعير الذى عليه فلم يدر أين ذهب ومن الناس من يزعم أنه انتقل الى السماء وأنه الآن فى السحاب ولما أصيب كرم الله وجهه دعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شئ زوى منها عنكما وقولا الحق فلا تأخذ كما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ولده محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك فقال نعم فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ولا تزين أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما ان اباكما كان يحبه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله الى ان قبض فلما قبض أخرج الحسن رضى الله عنه بن ملجم من الحبس وقتله (أقول) ذكر بعضهم عن المبرد قال ابن ملجم لعلى كرم الله تعالى وجهه انى اشتريت سيفى هذا بألف وسممته بالف وسألت الله تعالى أن يقتل به شر خلقه فقال على قد أجاب الله دعوتك يا حسن اذا أنا مت فاقتله بسيفه ففعل به الحسن ذلك ثم أحرقت جثته وقد ذكر أنه قطعت اطرافه وجعل فى قوصرة وأحرقوه بالنار (وقد ذكر) أن عليا قال يوما وهو مشير لابن ملجم هذا والله قاتلى فقيل له ألا تقتله فقال من يقتلنى وتبع الاصل فى كون تكنيته على بابى تراب فى هذه الغزوة شيخه الدمياطى واعترضه فى الهدى بانه صلى الله عليه وسلم انما كناه بذلك بعد نكاحه فاطمة رضى الله تعالى عنها فانه صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما وقال أين ابن عمك قالت خرج مغاضبا فجاء الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به التراب فجعل ينفضه عنه ويقول اجلس أبا تراب وقيل انما كناه أبا تراب لانه كان اذا غضب على فاطمة فى شئ لم يكلمها ولم يقل لها شيئا تكرهه الا انه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى التراب على رأسه عرف أنه عاتب على فاطمة قال فى النور يجوز أن يكون صلى الله

قريش شئ فابقنى له حتى اجاهدهم فيك وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها اى الجراحة واجعل موتى فيها فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم اى اهل المسجد الا الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بنى غفار وهو زوج رفيدة الاسلمية فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الدم الذى يأتينا من قبلكم فاذا سعد يسيل جرحه دما له هدير فمات منها وجاء فى رواية ان عنزا مرت به وهو مضطجع فأصابت الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ولم يحضر النبى صلى الله عليه وسلم موته بل جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفى رواية من هذا الميت الذى فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش لقدومها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فوجده قدمات وجاء انه شهد جنازته سبعون الفا من الملائكة ما وطئوا الارض الا يومهم ذلك واختلف العلماء فى اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل ان اهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد وقيل جعل الله حركته علامة للملائكة على موته وقيل المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتزله ومنه اهتزت الارض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم فانهم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشئ المعظم الى اعظم الاشياء فيقولون ظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة لموافقة فهذه منقبة عظيمة لسعد رضى الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث يحرك العرش أسفا عليه لمحافظته على الحق ولذا قال كثير من المحققين انه كان فى الانصار كالصديق رضى الله عنه فى المهاجرين ولما حملت جنازته رضى الله عنه قال بعض المنافقين

عليه وسلم خاطبه بهذه الكنية مرتين أى ويكون سبب الكنية علوق التراب به وكونه يضعه على رأسه والله أعلم

(غزوة سفوان)

ويقال لها غزوة بدر الاولى وحين قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة الا ليالى لم تبلغ العشرة حتى غزا وخرج خلف كرز بن جابر الفهرى وقد أغار قبل أن يسلم على سرح المدينة أى النعم والمواشى التى تسرح للمرعى بالغداة خرج فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان بالمهملة والفاء ساكنة وقيل مفتوحة من ناحية بدر أى ولذا قيل لها غزوة بدر الاولى وفاته صلى الله عليه وسلم كرز ولم يدركه وكان قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء وكان أبيض على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد تبعت الاصل فى تقديم غزوة العشيرة على غزوة سفوان لما تقدم وهو عكس ما فى سيرة الشامى الموافق لسيرة الدمياطى ولما فى الامتاع والله أعلم

(باب تحويل القبلة)

وحولت القبلة فى شهر رجب من السنة المذكورة التى هى الثانية فى نصفه وقيل فى نصف شعبان قال بعضهم وعليه الجمهور الاعظم وقيل كان فى جمادى الآخرة فقد قيل انه صلى الله عليه وسلم صلى فى المدينة الى بيت المقدس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا وقيل أربعة عشر شهرا وقيل غير ذلك وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجده بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة أشهر والاكثرون على ان تحويلها كان فى صلاة الظهر وقيل العصر أى فى الصحيحين عن البراء ان أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى للكعبة صلاة العصر وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون المراد أول صلاة صلاها كلها للكعبة صلاة العصر لان الظهر صلى نصفها الاول لبيت المقدس ونصفها الثانى للكعبة ثم رأيت الحافظ ابن حجر فعل كذلك حيث قال التحقيق ان اول صلاة صلاها بالمسجد النبوى صلاة العصر وان التحويل فى العصر كان فى محل آخر للانصار أى وهم بنو حارثة وقيل حولت فى صلاة الصبح وهو محمول على ان ذلك كان فى قباء لان الخبر لم يبلغهم الا حينئذ كما سيأتى وانما حولت لانه صلى الله عليه وسلم كان يحبه أن تكون قبلته الكعبة سيما لما بلغه أن اليهود قالوا يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا أى وفى لفظ قالوا للمسلمين لولم تكن على هدى ما صليتم لقبلتنا فاقتديتم بنا فيها وفى لفظ كان يحب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقة ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكراهة

ما أخف جنازته وكان رجلا بادنا وكان ذلك من المنافقين قالوا ذلك استهزاء به وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردا عليهم ان الملائكة كانت تحمله ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت

ويل ام سعد سعدا * صرامة وحدا * وسوددا ومجدا * ١٧١ وفارسا معدا * سد به مسدا

فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه وفي رواية قال لها الا تزيدي على هذا وكان فيما علمته والله حازما في امر الله قويا في امره كل النوائح تكذب الا أم سعد وروى أنه قال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ابنك يضحك الله له وذلك كناية عن اقبال الله عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت احتسبتك عند الله عز وجل وعزاها صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف ودعا له وأم سعد بن معاذ رضي الله عنها هي كبشة بنت رافع بن عبيد الانصارية الخدرية وهي أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الانصار وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم لهم أتعجبون من لين هذه الحلة والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى في الجنة وان أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لان المنديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل منه بالاولى واخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر قال قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر

لموافقة اليهود ولقول كفار قريش للمسلمين لم تقولون نحن على ملة ابراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون الى قبلة اليهود أي ولانه لما هاجر صار اذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر الكعبة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل وددت أن الله سبحانه وتعالى صرفني عن قبلة اليهود فقال جبريل انما أنا عبد لا أملك لك شيأ الا ما امرت به فادع الله تعالى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى ويكثر اذا صلى الى بيت المقدس من النظر الى السماء ينتظر امر الله تعالى اى لان السماء قبلة الدعاء وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت انك سألت الله تعالى ان يصرفني الى الكعبة فقال جبريل لست أستطيع ان أبتدئ الله جل وعز بالمسئلة ولكن ان سألني اخبرته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه في مسجد هناك فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار اليه أن صل الى الكعبة واستقبل الميزاب فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة أي فاستدار النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء اى فقد تحول من مقدم المسجد الى مؤخره لان من استقبل الكعبة في المدينة يلزم ان يستدبر بيت المقدس اى كما ان من يستقبل بيت المقدس يستدبر الكعبة وهو صلى الله عليه وسلم لو دار كما هو مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف قيل وكان ذلك وهم راكعون وفيه ان هذا يستدعى عملا كثيرا في الصلاة وهو مفسد لها عندنا اذا توالى وقد يقال لا مانع لجواز ان يكون ذلك قبل تحريم العمل الكثير في الصلاة او ان هذا العمل لم يكن على التوالي (أقول) وبدخوله اى على ام بشر صلى الله عليه وسلم وعلى الربيع بنت معوذ بن عفراء وعلى ام حرام بنت ملحان وعلى اختها ام سليم والخلوة بكل منهن فقد كانت ام حرام بنت ملحان تفلي رأسه الشريفة وينام عندها استدل ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز النظر الى الاجنبية والخلوة بها لامنه الفتنة كما سيأتي والله اعلم وسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وقيل كانت تلك الصلاة التي هي صلاة الظهر التي وقع التحول فيها في مسجده صلى الله عليه وسلم فخرج عباد بن بشر وكان صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر على قوم من الانصار يصلون العصر وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت يعني الكعبة ثم بلغ اهل قباء ذلك وهم في صلاة الصبح في اليوم الثاني أى وهم ركوع وقد ركعوا ركعة فنادى منادٍ الا ان القبلة قد حولت الى الكعبة فتحولوا اليها

اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا ثم قال الحمد لله شكرا له على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر رضي الله عنه قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يارسول الله مم سبحت قال قد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وجاء انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الانصاري بسبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها سلاحا وخيلا وفي رواية بعث بها سعد ابن عبادة رضي الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحا وخيلا كثيرا ثم قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية القرطاء وحديث ثمامة)

وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمدوهم بطن من بني بكر وكانوا ينزلون بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ثم تاء تأنيث وهي قرية لبني كلاب على طريق البصرة الى مكة وهي الى مكة اقرب وبها جبل يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في مائة من الانصاري في ثلاثين راكبا لا وخيلا وامره ان يسير الليل ويكمن النهار وان يشن الغارة عليهم أي يفرق الخيل المغيرة على العدو ففعل ما امره به فلما اغار عليهم هرب سائرهم

أي وفي البخاري بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا الى الكعبة وفي مسلم بدل صلاة الصبح صلاة الغداة قال الحافظ ابن حجر وهو احد اسمائها وقد نقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك ولم ينقل انهم امروا بقضاء العصر والمغرب والعشاء ولا اعادة الركعة التي صلوها من الصبح وهو دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله وعلى انه يجوز ترك الامر المقطوع به وهو استقبال بيت المقدس الى أمر مظنون وهو خبر الواحد وأجيب عن هذا الثاني بان الخبر المذكور احتفت به قرائن افادت القطع عندهم بصدق الخبر فلم يتركوا الامر المعلوم الا لامر معلوم أيضا على انه يجوز نسخ المتواتر بالآحاد لان محل النسخ الحكم ودلالة المتواتر عليه ظنية كما تقرر في محله ويقال ان المبلغ لهم عباد بن بشر أيضا فيكون عباد أتى بني حارثة أولا في صلاة العصر ثم توجه الى أهل قباء فأعلمهم بذلك في وقت الصبح والقرآن الذي نزل قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآيات اى والى هذا يشير بعضهم بقوله

كم للنبي المصطفى من آية * غراء حار الفكر في معناها
لما رأى الباري تقلب وجهه * ولاه اعني قبلة يرضاها

وعن عمارة بن اوس الانصاري قال صلينا احدى صلاتي العشي اى وهما الظهر والعصر فقام رجل على باب المسجد ونحن في الصلاة فنادى ان الصلاة قد وجهت نحو الكعبة فتحول امامنا نحو الكعبة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء اى متطلعا نحو الوحي ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة فلنولينك اى فلنحولنك قبلة ترضاها اى تحبها فول وجهك شطر المسجد الحرام اى نحوه والمراد بالمسجد الحرام الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق اى الرجوع الى الكعبة الحق من ربهم اى لما في كتبهم من نعته صلى الله عليه وسلم بأنه يتحول الى الكعبة (اقول) ولعل هذه القصة التي رواها عمارة هي التي رويت عن رافع بن خديج قال اتانا آت ونحن نصلي في بني عبد الاشهل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يوجه الى الكعبة فدار امامنا الى الكعبة ودرنا معه والله اعلم (واجتمع قوم) من كبار اليهود وجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وانت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه اى وما كنت عليه قبلة ابراهيم وهذا بناء على دعواهم ان بيت المقدس كان قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما سيأتي عنهم وسيأتي

أى باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور
بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليلة واسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة
الحنفى روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه ان خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا لا
يشعرون من هو حتى أتوا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال
أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن
أثال الحنفى فربطوه بسارية من
سوارى المسجد بأمره صلى الله
عليه وسلم لينظر حسن صلاة
المسلمين واجتماعهم عليها فيرق
قلبه فخرج اليه صلى الله عليه
وسلم فقال ماذا عندك يا ثمامة
قال عندى خير يا محمد ان تقتل
تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر
وان كنت تريد المال فسل تعط
منه ماشئت فتركه حتى كان الغد
ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال
ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر
فتركه حتى كان بعد الغد فقال
ما عندك يا ثمامة قال عندى ماقلت
لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق
الى نخل قريب من المسجد فاغتسل
ثم دخل المسجد فقال أشهد أن
لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
ثم قال والله يا محمد ما كان على
وجه الارض وجه ابغض الى من
وجهك وقد اصبح وجهك أحب
الوجوه الى والله ما كان من دين
أبغض الى من دينك فأصبح دينك
أحب الدين كله الى والله ما كان
من بلد أبغض الى من بلدك فأصبح
بلدك احب البلاد الى وان خيلك أخذتنى وانا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم أى بخير الدنيا والآخرة
او بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة تلبى ونفى الشريك عن الله قال له قائل صبوت أى خرجت عن
دينك قال لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله تاتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى

مافيه ثم قولوا ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك
فتنته ليعلم الناس انه صلى الله عليه وسلم فى حيرة من امره اى واختبار ما يجدونه فى
نعته صلى الله عليه وسلم من انه يرجع عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة
وانه لا يرجع عن تلك القبلة وفى رواية انهم قالوا للمسلمين ماصرفكم عن قبلة
موسى ويعقوب وقبلة الانبياء اى ويوافقه قول الزهرى لم يبعث الله منذ هبط آدم عليه
السلام الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ويوافق هذا ظاهر قول الامام
السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته

وصليت نحو القبلتين تفردا * وكل نبى ماله غير قبلة

قال شارحها يشير الى أن كل نبى كانت قبلته بيت المقدس وهو صلى الله عليه وسلم قد
شاركهم فيها أى واختص بالكعبة ومن ثم جاء فى التوراة فى وصفه صلى الله عليه وسلم
صاحب القبلتين وفيه أن قبلة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم انما هى الكعبة فعن
أبى العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء وكان موسى يصلى الى صخرة بيت المقدس وهى
بينه وبين الكعبة ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف أى ويقال بمثل هذا فيما تقدم عن
اليهود وعن الزهرى على تسليم صحته من ان صخرة بيت المقدس كانت قبلة لجميع الانبياء
انهم كانوا يصلون اليها ويجعلونها بينهم وبين الكعبة فلا مخالفة لا يقال هذا ليس أولى
من العكس اى ان استقبال الانبياء للكعبة انما كانوا يجعلونها بينهم وبين صخرة بيت
المقدس لانا نقول قد ذكر فى الاصل فى تفسير قوله تعالى ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق
من ربك اى يكتمون ما علموا من ان الكعبة هى قبلة الانبياء اى المقصودة بالاستقبال
لانهم يستقبلونها لاجل صخرة بيت المقدس (وذكر عن بعضهم) أن اليهود لم تجد كون
الصخرة قبلة فى التوراة وانما كان تابوت السكينة على الصخرة فلما غضب الله على بنى
اسرائيل رفعه فصلوا الى الصخرة بمشاورة منهم اى وادعوا انها قبلة الانبياء وما تقدم
عن الزهرى تقدم الجواب عنه ثم قولوا والله ان انتم الا قوم تفتنون فأنزل الله تعالى
سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب
اى الجهات كلها فيأمر بالتوجه الى اى جهة شاء لا اعتراض عليه يهدى من يشاء الى
صراط مستقيم اى فكان اول مانسخ امر القبلة فعن ابن عباس اول مانسخ من القرآن
فيما يذكر لنا والله اعلم شأن القبلة فاستقبل صلى الله عليه وسلم بيت المقدس اى بمكة
والمدينة ثم صرفه الله تعالى الى الكعبة اى وما قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله

يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وروى انهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله ولذا قيل فيه

ومنا الذي بمكة معلنا * برغم أبي سفيان في الاشهر الحرم

ثم خرج الى اليمامة فمنعهم ان يحملوا الى مكة شيأ فكتبوا اليه صلى الله عليه وسلم انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت ارحامنا فكتب صلى الله عليه وسلم الى ثمامة ان يخلي بينهم وبين الحمل وروى البيهقي في الدلائل ان ثمامة بن اثال الحنفي لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فأسلم ولحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى اكلت قريش العلهز أي الوبر والدم فجاء ابوسفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وفي رواية انشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب اليه ان يخلي بينهم وبين الحمل فانظر الى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة بمواجهته بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريبا في وقعة الاحزاب ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقا لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بل جاء في بعض الروايات انه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم الله وفي قصة ثمامة رضي الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر في المسجد والمن على الاسير الكافر والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض ويثبت الحب وان الكافر اذا أراد عمل خير ثم أسلم يشرع له أن يستمر في ذلك الخير وملاطفة من يرجى اسلامه من الاسرى اذا كان في ذلك مصلحة للاسلام ولاسيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعث السرايا الى بلاد الكفار واسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك في قتله وابقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسيء لانه اقسم ان يت

فمحمول على النفل في السفر اذا صلى حيث توجه وما قيل ان سبب نزولها ما ذكره بعض الصحابة قال كنا في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ففيه نظر لضعف الحديث او هو محمول على ما اذا صلوا باجتهاد أي ولما توجه صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال المشركون من أهل مكة توجه محمد بقبلته اليكم وعلم انكم كنتم اهدى منه ويوشك اي يقرب ان يدخل في دينكم ومن ثم ارتد جماعة وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا (ولما حولت القبلة) الى الكعبة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدم جدار المسجد موضعه الآن وقالت الصحابة له يا رسول الله لقد ذهب منا قوم قبل التحول فهل يقبل منا ومنهم فأنزل الله تعالى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم الى بيت المقدس وذكر في الاصل ان الصحابة قالوا امات قبل ان تحول قبل البيت رجال وقتلوا اي وهم عشرون ثمانية عشر من اهل مكة واثنان من الانصار وهما البراء بن معرور واسعد بن زرارة (ه) فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم الآية ولفظة القتل وقعت في البخاري وانكرها الحافظ بن حجر فقال ذكر القتل لم اره الا في رواية زهير وباقي الروايات انما فيها ذكر الموت فقط ولم اجد في شئ من الاخبار ان احدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على ان بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل في تلك المدة في غير الجهاد ثم قال وذكر لي بعض الفضلاء انه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوي عمار فقلت يحتاج الى ثبوت ان قتلهما كان بعد الاسراء هذا كلام الحافظ وفيه ان الركعتين اللتين كان يصليهما هو والمسلمون بالغداة وبالعشي قبل فرض الصلوات الخمس كانتا الى بيت المقدس فقد تقدم انه كان يصلي هو واصحابه الى الكعبة ووجوههم الى بيت المقدس فكانوا يصلون بين الركنين اليماني والذي عليه الحجر الاسود لاجل استقبال بيت المقدس وتقدم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتزم ذلك بل كان في بعض الاوقات يصلي الى الكعبة في اي جهة اراد ثم لما قدم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ويستدبر الكعبة الى وقت التحويل ومن ثم قال في الاصل ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا اي يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس لم يتبين توجهه الى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة اي فانه استدبر الكعبة واستقبل بيت المقدس فقول ابن عباس لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى ان يستقبل

بيت المقدس معناه امره الله ان يستمر على استقبال بيت المقدس وهذا هو المراد بقوله الذى نقله بعضهم عنه وهو انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجروا امره الله تعالى ان يصلى نحو صخرة بيت المقدس اى يستمر على ذلك ويستدبر الكعبة ثم امره الله باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس فلم يقع النسخ مرتين كما قد يفهم من ظاهر السياق ومن قول ابن جرير صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه ثم وجهه الله تعالى الى الكعبة هذا كلامه ومن ثم قال الحافظ بن حجر هذا ضعيف و يلزم منه دعوى النسخ مرتين قيل وكان امره بمداومة استقبال بيت المقدس ايتألف اهل الكتاب لانه كان ابتداء الامر يحب ان يتألف اهل الكتاب فيما لم ينه عنه فلا يخالف ما سبق من انه كان يحب ان يستقبل الكعبة كراهة لموافقة اليهود فى استقبال بيت المقدس ولا يخالف هذا قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه وبعد الفتح يحب مخالفتهم لجواز ان يكون ذلك اغلب احواله وقد يؤخذ من ان استدامة استقباله لبيت المقدس كان لتألف اهل الكتاب جواب عما يقال اذا كانت الكعبة قبلة الانبياء كلهم فلم وفق الى استقبال بيت المقدس وهو بمكة بناء على ان صلاته لبيت المقدس وهو بمكة كانت باجتهاد وحاصل الجواب انه امر بذلك او وفق اليه لانه سيصير الى قوم قبلتهم بيت المقدس ففيه تأليف لهم وقد يوافقه ما فى الاصل عن محمد بن كعب القرظى قال ما خالف نبى نبيا قط فى قبلة الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس اى فهو مخالف لغيره من الانبياء فى ذلك وهذا موافق لما تقدم عن ابى العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء اى ثم فى السنة المذكورة التى هى الثانية فرض صوم رمضان وفرضت زكاة الفطر وطلبت الاضحية اى استحبابا (وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) فرض شهر رمضان بعد ما صرفت القبلة الى الكعبة بشهر فى شعبان اى على ما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم هو واصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة ايام من كل شهر اى وهى الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر قيل وجوبا فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر الايام البيض فى حضر ولا سفر وكان يحث على صيامها وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل فرض رمضان صوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بوجوب رمضان وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ففى البخارى

بغضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه اليه صلى الله عليه وسلم من العفو والمن من غير مقابل وجاء فى بعض الروايات انه بعد ان أسلم جاؤه بالطعام فلم ينل منه الا قليلا وباللقحة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم مم تعجبون امن رجل اكل اول النهار فى معى كافر واكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر يأكل فى سبعة امعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقا كثيرا من قومه ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضى الله عنه بل جاء انه قام مقاما حميدا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم قال لهم فاين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا الى المسلمين رضى الله عنه ونفع به

(غزوة بنى لحيان)

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وكانت فى غرة شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة وقيل سنة خمس وقيل اربع وسببها انه صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على عاصم بن ثابت واصحابه وجدا شديدا والمراد باصحابه ما يشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وان كانوا فى سرية وحدهم فاظهر صلى الله عليه وسلم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وعسكر فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه وسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة ثم على طريقه الى الشام ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب واديه وبين عسفان خمسة اميال وهى منازل

بني لحيان حيث كان مصاب اصحابه اهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رؤس الجبال خوفا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم فلم يقدر على احد منهم فأقام يوما او يومين يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم ثم خرج حتى اتى عسفان فبعث ابابكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف كراع اليه وكراع جبل اسود بطرف الحرة يمتد اليه ثم رجع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ولم يلقوا كيدا قال ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما ماحصل من غرتهم ما اراد قال صلى الله عليه وسلم لو أنا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من اصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبابكر رضى الله عنه مع عشرة فوارس وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو يقول آيبون تائبون لربنا حامدون اعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر فى الاهل والمال اللهم بلغنا بلاغا صالحا ينظر الى خير مغفرتك ورضوانك وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أوفى على ثنية او فدفد كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة فى هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة الغابة) وتعرف بذى قرد بفتح كان القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان وكانت فى ربيع الاول سنة ست وقيل فى جمادى الاولى وقيل فى شعبان وفى البخارى انها كانت قبل خيبر بثلاثة ايام وبعد الحديبية بعشرين يوما وسيهاانه كان

ثم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما صام النبى صلى الله عليه وسلم عاشوراء فلما فرض رمضان ترك صوم عاشوراء هذا والمشهور من مذهبنا معاشر الشافعية انه لم يجب على هذه الامة صوم قبل رمضان وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الادلالة فيه على الوجوب لجواز ان يكون شأنه صلى الله عليه وسلم صيام تلك الايام على الوجه المذكور حتى بعد فرض رمضان وحديث البخارى ايضا الادلالة فيه لجواز ان يكون تركه لصوم يوم عاشوراء فى بعض الاحايين بعد فرض رمضان خشية اعتقاد وجوب صومه كرمضان ويجاب بمثل ذلك عما فى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه موافقة لهم أى ولم يأمر أحدا من اصحابه بصيامه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه أى ترك صلى الله عليه وسلم صومه خوفا من توهم انه فرض كرمضان وقولها رضى الله تعالى عنها فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه اى لانه صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة اى فى ايام قدومه للمدينة وذلك فى شهر ربيع الاول وجد اليهود تصومه وتعظمه فسألهم عن ذلك فقالوا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه واغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه كما جاء ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفى كلام الحافظ ناصر الدين عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة يوم عاشوراء فاذا اليهود صيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا قالوا هذا يوم اغرق الله تعالى فيه فرعون وانجى فيه موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بموسى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والمدينة يحتمل ان المراد بها قباء ويحتمل ان المراد بها باطنها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلما فرض رمضان قال صلى الله عليه وسلم أى لاصحابه من شاء صامه ومن شاء تركه اى قال ذلك لهم خشية اعتقادهم وجوب صومه كوجوب صوم رمضان وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين لذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم كما تقدم او هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فكيف يكون فى ربيع الاول واجيب بان السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى

كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق في ذلك الزمن اي زمن قدومه صلى الله عليه وسلم وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سال ومما يدل على ذلك ما في المعجم الكبير للطبراني عن خارجة بن زيد قال ليس يوم عاشوراء اليوم الذي تقوله الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور في السنة وكان الناس يأتون فلانا اليهودي فيسألونه فلما مات اليهودي اتوا زيد بن ثابت فسألوه فصام صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وامر بصيامه حتى انه ارسل في ذلك اليوم اسلم بن حارثة الى قومه وهم اسلم وقال مر قومك بصيام عاشوراء فقال ارأيت ان وجدتهم قد طعموا قال فليتموا اي يمسكوا تعظيما لذلك اليوم (وفي دلائل النبوة) للبيهقي عن بعض الصحابيات قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم يوم عاشوراء ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يوم عاشوراء بالرضعاء فيتفل في افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهن الى الليل والظاهر ان المراد بيوم عاشوراء هذا اليوم الذي هو عاشر المحرم الهلالي لا الشمسي وكذا يقال في قوله وقيل سمي الخ فليتامل وقيل سمي يوم عاشوراء لان عشرة من الانبياء اكرمهم الله تعالى فيه بعشر كرامات تاب الله فيه على آدم واستوت فيه سفينة نوح على الجودي اي فصامه نوح ومن معه حتى الوحش شكرا لله ورفع الله فيه ادريس ونصر الله فيه موسى ونجى فيه ابراهيم من النار وفيه اخرج يوسف من السجن اي وفيه ولد ورد فيه على والده يعقوب واخرج فيه يونس من بطن الحوت اي وتاب الله على اهل مدينته وتاب الله فيه على داود وعوفي فيه ايوب وفي كلام الحافظ ابن ناصر الدين عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل افترض على بني اسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على اهاليكم فيه فانه من وسع على اهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فصوموه وهو اليوم الذي تاب الله فيه على آدم وذكر ما تقدم وزاد عليه وانه اليوم الذي انزل الله فيه التوراة على موسى وفيه فدى الله اسمعيل من الذبح وهو اليوم الذي رد الله فيه على يعقوب بصره وهو اليوم الذي رد الله فيه على سليمان ملكه وهو اليوم الذي غفر الله فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ذنبه ما تقدم وما تأخر واول يوم خلق من الدنيا يوم عاشوراء واول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء واول رحمة نزلت من السماء يوم عاشوراء فمن صام يوم عاشوراء فكانما صام الدهر كله وهو صوم

لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهي ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذي لا مالك له بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم وبذي قرد تارة اخرى لتقارب الموضعين وكان ابو ذر وابنه وامرأته رضي الله عنهم فيها فاغار عليها عيينة بن حصن الفزاري ليلة الاربعاء في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذر رضي الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل واسروا المرأة واسمها ليلى وفي رواية ان اباذر رضي الله عنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم للقاحه فقال صلى الله عليه وسلم اني اخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فالح عليه فقال صلى الله عليه وسلم لكاني بك قد قتل ابنك واخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك قال ابو ذر رضي الله عنه بعد ذلك عجبا لي يقول لي ذلك وانا الح عليه فكان والله ما قال فلما كان الليل احدق بنا عيينة مع اصحابه فاشرف لهم ابني فقتلوه واسر وامرأتي ثم انها نجت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبي صلى الله عليه وسلم لانهم اوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم وفي رواية انهم اوثقوا المرأة فانفلتت ليلا من الوثاق فاتت الابل فكانت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء لانها من جملة ما استاقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوا مما يأتي ذكره فلم ترغ فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت وعلموا بها فطلبوها فاعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته بذلك وقالت يا رسول الله اني نذرت لله تعالى ان انحرها ان نجاني الله عليها فقال بئسما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك ان تنحريها انه لا نذر لاحد في معصية ولا لاحد فيما لا يملك انما هي

ناقة من ابلى ارجعى الى اهلك على بركة الله وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما اغاروا على اللقاح فى يومهم ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ونودى يا خيل الله اركبى وركب صلى الله عليه وسلم فى خمسمائة وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه وخلف سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء للمقداد رضى الله عنه فى رمحه وقال امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك فادرك اخريات العدو وفى البخارى ومسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال خرجت قبل ان يؤذن بالاولى وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال اخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من اخذها قال غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه يا صباحاه فاسمعت ما بين لابتى المدينة وفى رواية للطبرانى وابن اسحق فاشرفت من سلع ثم صحت يا صباحاه فانتهى صياحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس الفزع الفزع فترامت الخيول اليه فكان اول من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد ابن زيد الانصارى واسيد بن حضير وعكاشة بن محصن ومحرز ابن نضلة وابو قتادة وابو عياش وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم امر سعد بن زيد وقال اخرج فى طلب القوم حتى الحقك فى الناس وقيل امر المقداد فساروا وتقدمهم ابو قتادة فادرك فى طريقه مسعدة بن حكمة الفزارى فقتله وسجاه ببرده فلما وصل المسلمون هو اليه وهو مسجى استرجعوا اى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ظنا منهم ان المسجى هو ابو قتادة وانه قتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس بابى قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فخلوا عن قتيله وسلبه وقيل ان قتيل ابى قتادة هذا هو حبيب بن

الانبياء الحديث بطوله ثم قال هذا حديث حسن ورجاله ثقات وذكر الحافظ المذكور عن بعضهم قال كنت افت للنمل خبزا فى كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم تأكل وتقدم ان الصرد اول طير صام عاشوراء وفى كلام بعضهم ما قيل فى يوم عاشوراء كانت توبة آدم الى آخر ما تقدم من الاحاديث الموضوعة وفى كلام بعض آخر ما يفعل فيه من اظهار الزينة بالخضاب والاكتحال ولبس الجديد وطبخ الحبوب والاطعمة والاغتسال والتطيب من وضع الكذابين والحاصل ان الرافضة تخذوا ذلك مأتما يندبون وينوحون ويحزنون فيه والجهال اتخذوا ذلك موسما وكلاهما مخطئ مخالف للسنة واما التوسعة فيه على العيال فحديثها وان لم يكن صحيحا فهو حسن خلافا لقول ابن تيمية ان التوسعة على العيال لم يرد فيها شئ عنه صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم عاشوراء كما تصومه اليهود اى ويوم عاشوراء مختلف لانه عند اليهود من السنة الشمسية وعند اهل الاسلام من السنة الهلالية وفى مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وامر بصيامه قال له بعض الصحابة يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل صمنا اليوم التاسع قبله اى مخالفة لليهود فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى هذا الحديث اشكال فان سياقه يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما صام يوم عاشوراء ولا امر بصيامه الا فى السنة التى توفى فيها وهو مخالف لما سبق ويجاب عن هذا الاشكال بأن المراد بقوله حين صام اى حين واظب على صومه واتفق ان قول بعض الصحابة ذلك كان فى السنة التى توفى فيها وهو صلى الله عليه وسلم كان شأنه موافقة اهل الكتاب قبل فتح مكة ومخالفتهم بعده كما تقدم وبعض متأخرى فقهائنا ظن ان قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان شاء الله تعالى صمنا اليوم التاسع من تتمة حديث ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود تصومه فصامه وامر بصيامه فاستشكل واجاب بأن المراد لما قدم من سفرة سافرها من المدينة بعد الهجرة اى وكان قدومه من تلك السفرة فى السنة التى توفى فيها وقد علمت انهما حديثان وقد علمت معنى الحديث الذى تتمته اذا كان العام المقبل وفى كون اغراق فرعون ونجاة موسى كان يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة يلزم عليه أن ذلك اليوم انتقل من ذلك الشهر الى اليوم العاشر من المحرم الذى هو الشهر الهلالى من السنة الثانية واستمر كذلك كما هو ظاهر سياق الاحاديث أن الذى واظب على صيامه انما

عيينة الفزاري ويحتمل أن له اسمين فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه ولقي عكاشة بن محصن رضي الله عنه في طريقه أبان بن عمرو وابنه عمرا على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز ابن نضلة من بني أسد بن خزيمة ممن شهد بدرا رضي الله عنه قال ابن

اسحق كان أول فارس لحق بالقوم فقال قفوا يا معشر بني اللكيعة فحمل عليه رجل منهم فقتله وتحول على فرسه فلحقه أبو قتادة فقتله وتحول على الفرس وأدرك سلمة بن الاكوع رضي الله عنه القوم قال ابن اسحق ان سلمة رضي الله عنه صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد في آثار القوم فكان مثل السبع وكان يسبق الخيل في جريه لم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفي البخاري عنه رضي الله عنه ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد اخذوا يستقون من الماء فجعلت ارميهم بنبلي وكنت راميا واقول خذها وانا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وارتجز حتى استنقذت اللقاح وثلاثين بردة وفي صحيح مسلم فاقبلت ارميهم بالنبل وارتجز فمازلت ارميهم واعقرهم فاذا رجع الى فارس منهم اتيت شجرة فجلست في اصلها ثم رميته فعقرته فاذا تضايق الجبل ودخلوا في مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة فمازلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بعير الا خلفته وراء ظهري ثم اتبعتهم ارميهم حتى القوا اكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يخففون بها فاتوا مضيقا فاتاهم عيينه مدا لهم فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن فقال من هذا قالوا القينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعني الشدة والاذى ما فارقنا السحر حتى الآن واخذ كل شيء في ايدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لولا انه يرى وراءه طلبا لكم لترككم ليقم اليه اربعة منكم قال سلمة فصعدوا

هو ذلك اليوم وكونه وافق اليهود على صوم ذلك اليوم ثم خالفهم في السنة الثانية وما بعدها من ابعد البعيد ثم رأيت أبا الريحان البيروني نازع في ذلك في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية حيث قال رواية ان الله أغرق فرعون ونجى موسى وقومه يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الامتحان يشهد عليها بالبطلان وبين ذلك بما يطول وحينئذ يكون من جملة ما يحكم عليه بالبطلان اقرارهم على ذلك وكونه صلى الله عليه وسلم صامه وامر بصيامه وفرض الله عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته صيام شهر رمضان او الاطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه من الاصحاء المقيمين فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا اي زاد على اطعام المسكين فهو خير له وأن تصوموا خير لكم اي من الفطر والاطعام فكان من شاء صام ومن شاء اطعم عن كل يوم مدا ثم ان الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله فمن شهد منكم الشهر اي علمه فليصمه الا في حق من لا يستطيع صومه لكبر او لمرض لا يرجى زواله فيجزيه الاطعام ورخص فيه للمريض اي اذا كان بحيث تحصل له مشقة تبيح التيمم وللمسافر اي الذي يباح له قصر الصلاة وان لم يحصل له مشقة بالكلية مع وجوب القضاء اذا زال المرض والسفر بقوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر اي فأفطر فعليه صيام عدة ما أفطر من أيام أخر وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا بعد الغروب أو يدخل وقت العشاء الآخرة فاذا ناموا أو دخل وقت العشاء الآخرة امتنع عليهم ذلك الى الليلة القابلة ثم نسخ الله ذلك وأحل الاكل والشرب واتيان النساء الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ثم قال تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولما فهم بعض الصحابة ان المراد الخيط حقيقة حتى صار يجعل عند وسادته حبلا أبيض وحبلا أسود أنزل الله تعالى من الفجر اشارة الى أن المراد بياض النهار وسواد الليل * وذكر في التفسير في سبب نزول هذه الآية ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى أهلي فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت وذكر له صلى الله عليه وسلم ان بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم فسأله صلى الله عليه

فى الجبل فقلت لهم اتعرفونى فقالوا ومن انت قلت ابن الاكوع والذى اكرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ولا أطلبه فيفوتنى فقال رجل منهم أظن فرجعوا فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد ١٨٠ المعجمة جمع راضع والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع اى رضع اللؤم وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره وقيل معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من يرضعه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء فنزلوا بذى قرد وأقام يوما وليلة قال سلمة لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ان القوم يعنى غطفان وفزارة عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثتنى فى مائة لاستنقذت ما فى أيديهم من السرح وأخذت باعناق القوم اى اسرتهم وقتلتهم وفى رواية لمسلم وأتانى عمى عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت ثم اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذى أجليتهم عنه فاذا هو قد اخذ كل شئ استنقذته منهم ونحر له بلال رضى الله عنه ناقة وشوى له من كبدها وسنامها فقلت يا رسول الله خلنى أنتخب من القوم مائة رجل فاتبعهم فلا يبقى منهم مخبر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أتراك كنت فاعلا قلت نعم والذى أكرمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الاكوع ملكت فاسجح اى قدرت عليهم فاحسن وارفق والسجاحة بالكسر السهولة اى لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو فقد حصلت النكاية فى العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمد على نصير الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليقرون فى قومهم يعنى انهم وصلوا الى غطفان وهم

كان

وسلم عن ذلك فاخبر أنه أهل حرث وانه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ الا بعد الغروب فلم يتناول شيأ فانزل الله تعالى وكلوا واشربوا الآية وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم جاء فى بعض الروايات أن المراد بهم أهل الكتاب اى اليهود والنصارى وجاء فى بعضها ان المراد بهم النصارى خاصة وجاء فى بعض الروايات أن المراد بهم جميع الامم السابقة فقد جاء ما من أمة الا وجب عليها صوم رمضان الا أنهم أخطؤه ولم يهتدوا له وهذه الرواية تدل على أنه لم يصمه أحد من الامم السابقة فصومه من خصوصيات هذه الامة وفى الانساب لابن قتيبة أول من صام رمضان نوح عليه السلام هذا كلامه وفى بعض الروايات ما يفيد أن النصارى صامته واتفق انه وقع فى بعض السنين فى شدة الحر فاقتضى رأيهم تأخيره بين الصيف والشتاء وأن يزيدوا فى مقابلة تأخيره عشرين يوما وعلى هذا فصومه ليس من خصائص هذه الامة وقيل التشبيه انما هو فى مطلق الصوم لا فى خصوص صوم رمضان لانه كان الواجب على جميع ما تقدم من الامم صوم ثلاثة أيام من كل شهر صام ذلك نوح فمن دونه حتى صامه النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وتقدم أن تلك الايام التى صامها صلى الله عليه وسلم كانت البيض التى هى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وتقدم انه قيل ان صوم ذلك كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وقيل كان الواجب عليه وعلى اصحابه قبل صوم رمضان عاشوراء وتقدم رده وكان فرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قبل العيد بيومين يعلم الناس زكاة الفطر فيأمر باخراج تلك الزكاة قبل الخروج الى صلاة العيد اى بعد ان شرعت لان مشروعيتها تأخرت عن مشروعية صلاة عيد الاضحى وكان فرض زكاة الفطر قبل فرض زكاة الاموال وكان فرض زكاة الاموال فى تلك السنة التى هى الثانية ولم أقف على خصوص الشهر الذى وجبت فيه قاله بعضهم ولعل هذا محل قول بعض المتأخرين المطلعين على الفقه والحديث لم يتحرر لى وقت فرض الزكاة اى زكاة المال ولعله عنى ببعض المتأخرين الامام سراج الدين البلقينى رحمه الله لان الامام سراج الدين البلقينى سئل هل علمت السنة التى فرضت فيها زكاة المال فاجاب بقوله لم يتعرض الحفاظ ولا أصحاب السير للسنة التى فرض فيها زكاة المال ووقع لى حديثان ظهر منهما تقريب ذلك ولم أسبق اليه ثم قال فقد ظهر أن زكاة المال بعد زكاة الفطر وقبل قدوم ضمار بن ثعلبة وقدومه كان فى السنة الخامسة هذا كلامه وقيل فرضت زكاة الفطر قبل الهجرة وعليه يحمل ظاهر ما فى سفر السعاد

يضربونهم ويساعدونهم فلا فائدة فى البعث فى اثرهم لانهم لحقوا باصحابهم وزادهم مسلم فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وقالوا أتاكم القوم وخرجوا هرابا وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بذلك فكان كما قال وقال سلمة رضى الله عنه فلما اصبحنا قال صلى الله عليه وسلم خير فرساننا اليوم ابو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة فاعطانى سهم الراجل والفارس جميعا وفى رواية وذهب الصريخ الى بنى عمرو بن عوف من الانصار فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تأتى والرجال على اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذوا عشر لقاح وافلت القوم بما بقى وهى عشر من اللقاح وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة فى الصحيحين انه استنقذ جميع اللقاح واجاب بعضهم بأن سلمة قال ذلك بحسب ظنه وهو فى الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم ثم كون اللقاح عشرين لا ينافى بجرده ان معها زيادة عليها لما روى ان معها جملا كان لابى جهل ومعها الناقة التى رجعت عليها امرأة ابى ذر رضى الله عنهما وكان عودها بعد عود النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كما تقدم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد صلاة الخوف واقام به يوما وليلة يتجسس الخبر وجمع وقد غاب خمس ليال واردف اسامة رضى الله عنه خلفه فى رجوعه وقسم فى كل مائة من اصحابه جزورا ينحرونها وبعث اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه باحمال تمر وبعشر جزائر فيحتمل ان الجزائر المنحورة مما بعثه اوما اخذوه من القوم قال الحافظ ابن حجر وفى القصة من الفوائد جواز العدو الشديد فى الغزو والانذار بالصياح العالى وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لا سيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ومحله حيث يؤمن

كان صلى الله عليه وسلم يرسل مناديا ينادى فى الاسواق والمحلات والازقة من مكة ألا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة الحديث ورد بانه لم يفرض قبل الهجرة بعد الايمان الا الصلوات الخمس وكل الفروض فرضت بعد الهجرة وفيه انه فرض قيام الليل كما تقدم وصلاة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى على ما تقدم الآن يقال المراد الفروض الموجودة الآن المستمر فرضها وما تقدم عن سفر السعادة يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم يرسل المنادى الذى ينادى فى مكة بوجوب زكاة الفطر وهو بالمدينة بعد وجوبها بالمدينة وأمر صلى الله عليه وسلم أن تخرج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب أو صاع من بر فكان يصلى العيدين قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة اى بل يقال الصلاة جامعة لكن فى سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المصلى شرع فى الصلاة من وقته بلا أذان ولا اقامة ولا الصلاة جامعة والسنة أن لا يكون شئ من هذا كله هذا كلامه وكانت تحمل العنزة بين يديه فاذا وصل المصلى نصبت تجاهه وهى عصا قدر نصف الرمح فى أسفلها زج من حديد وكانت تلك العنزة للزبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة فاخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يصلى اليها اى أخذها منه بعد وقعة بدر وقد قتل بها الزبير عبيدة بفتح العين المهملة وبضمها ابن سعيد بن العاص الذى كان يقال له أبو ذات الكرش قال الزبير لقيته لا يرى منه الا عيناه فقال لى أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته فى عينه فمات وأردت اخراجها فوضعت رجلى عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفها ولما قبض صلى الله عليه وسلم أخذها الزبير ثم طلبها أبو بكر رضى الله تعالى عنه فاعطاه اياها فلما قبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه أخذها الزبير ثم سألها عمر رضى الله تعالى عنه فاعطاه اياها فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان فاعطاه اياها فلما قتل دفعت الى على ثم أخذها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من صلاة عيد الفطر وخطبته يقسم زكاة الفطر بين المساكين ولعل المراد الزكاة المتعلقة به لانه تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يأمر الناس باخراجها قبل الصلاة الا أن يقال المراد باخراجها جمعها له صلى الله عليه وسلم ليفرقها واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاة الاضحى وخطبته يؤتى له بكبشين وهو قائم فى مصلاه فيذبح أحدهما بيده ويقول هذا عن أمتى جميعا من شهد لك بالتوحيد ولى بالبلاغ وعند الحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح كبشا أقرن بالمصلى

الانثيان والله سبحانه وتعالى اعلم

(سرية الغمر) وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم بعدها راء وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال فى القاموس قلعة بطريق مكة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضى الله عنه فى اربعين رجلا عقب أمره صلى الله عليه وسلم له بالخروج دون تراخ فنذر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجدوا ديارهم خلوفا اى خالية عن سكانها الهاربين فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريبا فقصدوها فاصابوا رجلا منهم فامنوه فدلهم على نعم لبنى عم لهم فاغاروا عليها فاستاقوا مائتى بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

(سرية محمد بن مسلمة الانصارى)

الى ذى القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا من طريق الربذة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بنى ثعلبة فورد عليهم ليلا بمن معه وقد كمن لهم المشركون اشعورهم بمجيئهم اليهم فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو واصحابه ثم أحدقوا بهم فما شعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح فى أصحابه السلاح فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز اصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا يضرب كعبه فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة جريحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر

اى بعد أن قال بسم الله والله أكبر وقال اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى واستدل بذلك على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يضحى عن غيره بغير اذنه ويذبح الآخر ويقول هذا عن محمد وآل محمد فيأكل هو وأهله منهما ويطعم المساكين ولم يترك الاضحية قط وهل كانت الانبياء من بعد ابراهيم تضحى هم وأممهم أو هم خاصة ٥ وكان فى مسجده صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قبل أن يوضع له المنبر يخطب ويسند ظهره الى اسطوانة من جذوع النخل أو من الدوم وهو شجر المقل وعبارة بعضهم كان يخطب الناس وهو مستند الى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى فلما كثر الناس أى وقالوا له صلى الله عليه وسلم لو اتخذت شيأ تقوم عليه اذا خطبت يراك الناس وتسمعهم خطبتك فقال ابنوا لى منبرا فلما بنى له المنبر عتبتين اى ومحل الجلوس فكان ثلاث درجات وقام عليه فى يوم جمعة اى وخطب وفى لفظ لما عدل الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك الجذع سمع لتلك الاسطوانة حنين كحنين الواله بصوت هائل سمعه أهل المسجد حتى ارتج اى اضطرب المسجد وكثر بكاء الناس لذلك ولا زالت تحن حتى تصدعت وانشقت أى وفى رواية سمع له صوت كصوت العشار أى النوق التى أتى لحملها عشرة أشهر وقيل التى أخذ ولدها وفى بعض الروايات كحنين الناقة الخلوج وهى التى انتزع ولدها منها وفى رواية جأر بفتح الجيم وبعدها همزة مفتوحة اى صوت أو بالخاء المعجمة بلا همزة وهو بمعناه كخوار الثور فنزل صلى الله عليه وسلم فالتزمها واحتضنها اى فجعلت تئن انين الصبى الذى يسكت فيسكت اى وفى كلام بعضهم وذكر الاسفراينى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه فعاد الى مكانه وفى رواية ووضع يده عليها وقال لها اسكنى واسكتى فسكنت وفى رواية ان هذا اى الجذع يبكى لما فقد من الذكر والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا اى يحن الى يوم القيامة زاد فى رواية حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لما فقد من الذكر هو واضح على الرواية الاولى واما على الثانية فالمراد لما يفقده من الذكر والى حنين الجذع اشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وحن اليك الجذع حين تركته * حنين الثكالى عند فقد الاحبة

وعن بعضهم قال قال لى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ما اعطى الله نبيا ما اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت اعطى عيسى احياء الموتى فقال اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع فهذا اكبر من ذلك وفى رواية لا تلوموه اى الجذع على حنينه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارق شيأ الا وجد عليه اى حزن وفى رواية انه قال له ان

شئت اردك الى الحائط اي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك و يكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع مايقول فقال بصوت سمعه من يليه بل تغرسني في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت قد فعلت وفي رواية لما اصغى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقال اختار ان اغرسه في الجنة اي وفي رواية اختار دار البقاء على دار الفناء ولا يخالف ماقبله لانه يجوز ان يكون السائل من غير من سمع جوابه وامر به فدفن تحت المنبر وقيل جعل في السقف واخذه عنده ابي رضي الله عنه بعد ان هدم المسجد وازيل سقفه فكان عنده الى ان اكلته الارضة وعاد رفاتا اي متكسرا من شدة اليبس (اقول) في سيرة الحافظ الدمياطي قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب الى جذع في المسجد قائما فقال ان القيام شق علي فقال له تميم الداري الا اعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام اي تصنعه النصارى في كنائسهم لاساقفتهم تسمى المرقاة يصعدون عليها عند تذكيرهم فتشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين في ذلك فرأوا ان يتخذوه فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما ان لي غلاما يقال له كلاب اعلم الناس اي بالنجارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مره ان يعمله فارسله الى اثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعدا ثم جاء به فوضعه في موضعه اليوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عليه اي وقال ان اتخذ منبرا فقد اتخذه ابي ابراهيم اي ولعله صلى الله عليه وسلم عنى به المقام الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وهو الحجر الا ان ثبت ان ابراهيم كان له منبر يحدث عليه الناس وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند المنبر يقول يأخذ الجبار بسمواته وارضه بيده ثم يقول أنا الجبار انا الجبار اين الجبارون اين المتكبرون ويميل يعني النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه وشماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه فقال المنبر هكذا وهكذا فجاء وذهب ثلاث مرات وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم منبره حتى قلن ليخرن وقال منبري هذا على ترعة بضم المثناة فوق واسكان الراء و بالعين المهملة من ترع الجنة اي افواه جداول الجنة وقوائم منبري رواتب اي ثوابت في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم منبري على حوضي وقال ان حوضي كما بين عدن الى عمان اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب رائحة من المسك

ابن الجراح أمين هذه الامة أحد العشرة المبشرين رضي الله عنهم في ربيع الآخر في اربعين رجلا الى مصارعهم فاغاروا عليهم فلم يجدوا احدا ووجد نعما وشاء فساقه ورجع وصريح هذا ان سبب بعث ابي عبيدة رضي الله عنه طلب ثار المقتولين وقيل ان سببه ان بني ثعلبة وانمارا اجمعوا على ان يغيروا على سرح المدينة وهي ترعى بهيفا وهو موضع على سبعة

اميال من المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم اباعبيدة في اربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا في الجبال واصاب رجلا واحدا فاسلم فتركه واخذ نعما من نعمهم فساقه وشيأ من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم مابقي عليهم والله سبحانه وتعالى اعلم

(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه)

الى بني سليم بالجموم ناحية بطن نخل على اربعة اميال من المدينة وكانت في شهر ربيع الآخر سنة ست فاصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فاسروها فدلتهم على منازل بني سليم فاصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فاسروهم فكان فيهم زوج حليمة المزينة فلما رجع زيد بما اصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزينة نفسها وزوجها والظاهر انها اسلمت وتوقف بعضهم في ثبوت ذلك وقال لا أعلم لها اسلاما ولاصحبة ولا ترجمة وليس في الصحابيات حليمة الا المرضعة رضي الله عنها ولم يذكروا عدة الابل والغنم والاسرى والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا الى العيص)

قالت عائشة رضي الله عنها مابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية الا أمره عليهم ولو بقي لاستخلفه أخرجه ابن ابي شيبة وفي البخاري عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع

غزوات ومع زيد بن حارثة رضى الله عنه سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيص موضع على أربع ليال من المدينة وكانت غزوة زيد هذه فى جمادى الاولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيرا لقريش قد اقبلت من الشام فبعث زيدا ومعه سبعون راكبا وقيل مائة وسبعون ليتعرض لها فادركها واخذها وما فيها واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية بن خلف واسر منهم ناسا منهم ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف واسمه لقيط او الزبير او هشيم او مهشم او ياسر وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة وهو زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فلما قدم المدينة أسيرا أجارته زوجته السيدة زينب رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان استجار بها ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وفى رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة اقبل على الناس فقال ايها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم ثم قال والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ من هذا حتى سمعت ما سمعتم المؤمنون يد واحدة يجير عليهم ادناهم وقد اجرنا من اجارت ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل وقال لها أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له وفى رواية ان زينب رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فابو ولد وانى قد أجرته فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله عنهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا والخبر

ابار يقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه يوم القيامة فقراء المهاجرين قلنا من هم يا رسول الله قال الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد اى الابواب الذين يعطون الذى عليهم ولا يأخذون الذى لهم وقال صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى وفى رواية بدل قبرى بيتى وفى لفظ حجرتى والمراد قبره الشريف فانه فى حجرته وحجرته هى بيته صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة اى يكون بعينه فى الجنة بقعة من بقاعها اى ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها وقيل ان الصلاة والدعاء فيها يستحق بذلك من الثواب ما يكون موجبا لدخول الجنة كما قيل بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف مع ان تلك السيوف كانت بأرض الكفر وقيل انها لبركتها اضيفت الى الجنة كما قيل فى الضأن انها من دواب الجنة وقال ابن حزم ليس على ما يظنه اهل الجهل من ان تلك الروضة قطعة مقتطعة من الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبرى كاذبا ولو على سواك اراك فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية الا وجبت له النار (اقول) وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يعتمد على عصا من شوحط وفى الهدى لم يعتمد صلى الله عليه وسلم فى خطبته على سيف ابدا وقبل ان يتخذ له المنبر كان يعتمد على قوس او عصا اى وقيل كان يعتمد على قوس ان خطب فى الحرب وعلى عصا ان خطب فى غيره واختلف فيها اى فى تلك العصا هل هى العنزة التى كان يصلى اليها او غيرها وما يظنه بعض الناس من انه كان يعتمد على سيف وان ذلك اشارة الى ان الدين قام بالسيف فمن فرط جهله هذا كلامه وفيه ان بعض فقهائنا ذكر ان اعتماده فى خطبته كان على سيف روى ولم يثبت وذكر فقهاؤنا تلك الحكمة حيث قالوا وحكمة اعتماده على العصا او القوس او السيف الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح وقول صاحب الهدى وكان قبل ان يتخذ المنبر يعتمد على قوس او عصا يقتضى ان بعد اتخاذ المنبر لم يعتمد على شئ من ذلك اى وصرح به صاحب القاموس فى سفر السعادة حيث قال لم يكن يأخذ السيف والحربة بيده بل كان يعتمد على القوس او العصا وذا قبل اتخاذ المنبر واما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ انه اعتمد على العصا ولا على القوس ولا على غير ذلك هذا كلامه فيكون الاعتماد على ذلك فوق المنبر بدعة وهو خلاف ما عليه أئمتنا من انه يسن ان يشغل يمناه بحرف المنبر ويسراه بما يعتمد عليه من نحو العصا لكن قالوا كعادة من يريد الضرب بالسيف والرمى بالقوس وهو لا يأتى فى العصا ولا يأتى فى السيف اذا كان فى غمده ووجود المرقى الذى يقرأ الآية

وتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فانتم أحق به فقالوا يارسول الله بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتي بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله باسره لا يفقد منه شيأ ثم ذهب الى مكة فادى الى كل ذى مال ماله ثم قال هل بقي لاحد منكم عندي مال لم يأخذه قالوا لا قال هل أوفيت ذمتي قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فاني أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله ما منعني من الاسلام عنده لا تخوفا أن تظنوا اني انما أردت أن آكل أموالكم فلما ردها الله عليكم وفرغت منها اسلمت ثم خرج فقدم المدينة وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضي الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه فخرج الى الشام في تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت يا رسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا قال نعم قالت فاشهد أني قد أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك الصحابة رضي الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح فقالوا له انك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئس ما أمرتموني به ان أفتتح ديني بغدرة فمضى الى مكة فسلمهم أموالهم واسلم عندهم ثم هاجر وقيل ان أسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبي بصير ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان اسلم وهاجر ردها صلى الله عليه وسلم اليه بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وهذا هو الذي عليه العمل لان الاسلام فرق بينهما قال الله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقيل ان هذه الآية متأخرة عن هذه الوقعة فلم يكن

والخبر المشهور بدعة لانه حدث بعد الصدر الاول ولم أقف على أول زمان فعل فيه ذلك لكن ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من يستنصت له الناس عند ارادة خطبته وعليه ان كان استنصتهم بالحديث فذكر المرقي للخبر ليس من البدعة الا أن يقال هو بالنسبة لخطبة الجمعة بدعة لانه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الحديث على المنبر فالسنة أن يذكره الخطيب كذلك ففي سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم في اثناء الخطبة يأمر الناس بالانصات ويقول ان الرجل اذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وكان صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول أنصت ليس له جمعة وقول الحافظ الدمياطي كان صلى الله عليه وسلم يخطب على جذع قائما وانه قال ان القيام شق علي يقتضي أن حنين الجذع كان عند قيامه على ذلك المنبر من الخشب وأنه لم يتخذ قبل ذلك المنبر من الطين الذي قدمناه وفيه نظر وكذا في قوله وقال له تميم الداري الى آخره لان تميما الداري انما اسلم في السنة التاسعة وهذا المنبر الذي من الخشب انما فعل في السابعة أو الثامنة وعلى هذا اقتصر الاصل حيث قال في الحوادث وفيها اى السنة الثامنة اتخاذ المنبر والخطبة عليه وحنين الجذع وهو اول منبر عمل في الاسلام وهو في ذلك موافق لما قدمه هو اى الاصل من اتخاذ المنبر له من الطين قبل ذلك وأنه كان عنده حنين الجذع وعلى كون المنبر عمل في الثامنة لا يشكل كون العباس رضي الله تعالى عنه أمر غلامه بعمله لان العباس رضي الله عنه قدم المدينة في السنة الثامنة لكن في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا فقال أتصنع لي المنبر قال نعم قال ما اسمك قال فلان قال اقعد ثم دعا آخر فقال له مثل ذلك ثم دعا الثالث فقال له ما اسمك قال ابراهيم قال خذ في صنعته فصنعه وفي رواية عمله رجل رومي اسمه باقوم غلام سعيد بن العاص اى ولعله هو الذي تقدم ذكره عند بناء قريش للكعبة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى امرأة فقال لها مري غلامك يعمل لي أعوادا أكلم الناس عليها فعمل له صلى الله عليه وسلم درجات من طرفاء الغابة ويجوز أن يكون غلام العباس رضي الله تعالى عنه انتقل الى ملك تلك المرأة وأنه كان غلاما لسعيد بن العاص وأنه اشترك في عمله مع ابراهيم المتقدم ذكره فنسب لكل منهما فعلم من كلام الاصل في غير الحوادث أنه كان صلى الله عليه وسلم يخطب أولا على الجذع ثم على المنبر من الطين وأن حنين الجذع كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على ذلك المنبر من الطين وهو يخالف لكلامه في الحوادث أن حنين الجذع كان عند اتخاذه صلى الله عليه

اختلاف الدينين مقتضيا للتحريم الابعد نزولها وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم اثنى على ابي العاص في مصاهرته خيرا وقال حدثني فصدقني ووعدني ووفى لي وانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب من أبي العاص رضي الله عنهما مات رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق رضي الله عنه وأما زينب رضي الله عنها فتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهي أكبر بناته رضي الله عنهن والله اعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ايضا الى الطرف)

بفتح الطاء وكسر الراء وبالفاء ككتف وهو ماء اي ماء عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق وكانت في جمادى الآخرة سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت الاعراب لانهم خافوا أن يكون صلى الله عليه وسلم سار اليهم بنفسه وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب أربع ليال عن المدينة

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ايضا الى حسمى)

بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصورا وهي اسم أرض ينزلها جذام وراء وادي القرى وذلك من جهة الشام وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع فتكون بعد الحديبية لانها بعد رجوع دحية من عند قيصر وبعث دحية الى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه من عند قيصر لما أرسله صلى الله عليه وسلم اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لانه قارب أن يسلم ولم يسلم خوفا على ملكه فلقيه الهنيد بن عارض في ناس من جذام بضم الجيم وبالذال المعجمة وهي

وسلم المنبر من الخشب وانه أول منبر عمل في الاسلام الا أن يقال أول منبر عمل في الاسلام من خشب ويكون ذكر حنين الجذع عند القيام عليه من تصرف بعض الرواة لان حنين الجذع لم يتكرر حتى يقال جاز أن يكون كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على المنبر من الطين ثم عند قيامه على المنبر من الخشب ثم رأيته في النور رجح كلام الاصل في غير الحوادث الى كلام الاصل في الحوادث من أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له منبر من طين حيث قال قوله أي الاصل فبنوا له منبرا هذا الكلام فيه تجوز يعني اتخذوا له منبرا وذلك لان المنبر كان من طرفاء الغابة وهو شجر معروف هذا كلامه وايته عكس لان هذا منه يقتضي حينئذ ان يكون صلى الله عليه وسلم استمر من حين خطب في المسجد الى السنة الثامنة يخطب الى الجذع لان المنبر من الخشب اتخذ في السنة الثامنة كما تقدم عن الاصل ويشكل عليه قول عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الافك فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر لان قصة الافك كانت في سنة خمس ثم رأيت في كتاب الشريعة للآجري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يخطب مسندا ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا فبنوا له عتبتين اي غير المستراح فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة الحديث وعن سهل بن سعد رضي الله عنه لما كثر الناس وصار يجيء القوم ولا يكادون يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخطبة قال الناس يا رسول الله قد كثر الناس وكثير منهم لا يكاد يسمع كلامك فلو انك اتخذت شيأ تخطب عليه مرتفعا من الارض ويسمع الناس كلامك فارسل صلى الله عليه وسلم الى غلام نجار لامرأة من الانصار فاتخذ له مرقاتين من طرفاء الغابة فلما قام حنت الخشبة التي كان يخطب اليها هذا كلامه وهو موافق لما تقدم عن الاصل في الحوادث والذي ينبغي الجمع بين الروايتين ما علم من ان اتخاذ المنبر من طرفاء الغابة كان بعد اتخاذه من الطين لانه اقوى في الارتفاع من منبر الطين وكون حنين الجذع عند اتخاذ المنبر من الطرفاء من تصرف بعض الرواة لان حنينه انما كان عند اتخاذ المنبر من الطين ولم يتكرر حنينه كما تقدم ولما ولي معاوية الخلافة كسا ذلك المنبر قبطية ثم كتب الى عامله بالمدينة وهو مروان بن الحكم ان يرفع ذلك المنبر عن الارض فدعا بالنجارين وفعل ست درج ورفع ذلك المنبر عليها فصارت تسع درجات وهذا يدل على ان قوله فاتخذ له مرقاتين اي غير المستراح ومن ثم تقدم فعمل له درجات وقيل امره بحمله الى الشام فلما ارادوا اقلاعه اظلمت المدينة وكسفت الشمس حتى بدت النجوم

وثارت

قبيلة من معد بجبال حسمى فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شئ كان معه ولم يتركوا عليه الا سمل ثوب وهو الخلق البالى من الثياب فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامى ممن كان أسلم فاستنقذوا لدحية متاعه وفى رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم واستنقذوا ما كان فى أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة رضى الله عنه فى خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا اى اكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه واخذوا ماشيتهم ونساءهم فاخذوا من الابل الف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبى مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة ابن زيد الجذامى فى نفر من قومه فدفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذى كان كتبه له ولقومه ليالى قدم عليه فاسلم وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أقبل ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه اسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضى الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضى الله عنه قال حسان انا قوم مسلمون فقال اقرأ أم الكتاب فقرأها فقال زيد نادوا فى الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاؤا منها الا من ختر وكانت أخت حسان فى الاسارى فقال له زيد خذها فقالت امرأة أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم فقال زيد لاخت حسان اجلسى مع بنات

وثارت ريح شديدة فخرج مروان الى الناس فخطبهم وقال يا اهل المدينة انكم تزعمون ان امير المؤمنين بعث الى ان ابعث اليه بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامير المؤمنين اعلم بالله من ان يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انما امرنى ان اكرمه وارفعه ففعل ما تقدم وقيل ان معاوية لما حج اراد ان ينقل المنبر الى الشام فحصل ما تقدم من كسوف الشمس الخ فاعتذر معاوية للناس وقال اردت ان انظر الى ما تحته وخشيت عليه من الارضة وكساه يومئذ قبطية ولا مانع من تعدد الواقعة وان واقعة معاوية سابقة على واقعة مروان لقوله لانظر ما تحته والاخر وان رفعه عن الارض ثم ان هذا المنبر احرق بسبب الحريق الواقع فى المسجد اول مرة فارسل صاحب اليمن منبرا فوضع موضعه مكث عشر سنين وفى الامتاع ثم تهافت المنبر النبوى على طول الزمان فعمل بعض خلفاء بنى العباس منبرا واتخذ من اعواد المنبر النبوى امشاطا يتبرك بها فاحترق هذا المنبر المجدد فى حريق المسجد فبعث المظفر ملك اليمن منبرا هذا كلامه ثم ارسل الملك الظاهر بيبرس من مصر منبرا فرفع منبر صاحب اليمن ووضع منبر الملك الظاهر فمكث مائة سنة واثنتين وثلاثين سنة فبدا فيهما كل الارضة فارسل الظاهر برقوق منبرا فرفع منبر الملك الظاهر بيبرس ووضع منبر الملك الظاهر برقوق ومكث ثلاثا واربعا وعشرين سنة ثم ان السلطان المؤيد شيخ لما بنى مدرسته بالقاهرة التى يقال لها المؤيدية عمل اهل الشام له منبرا وارسلوا به اليه ليجعله فى مدرسته فوجد اهل مصر قد صنعوا لها منبرا فسير المؤيد منبر اهل الشام الى المدينة فمكث سبعا وستين سنة ثم احرق فى الحريق الواقع فى المسجد ثانى مرة ثم جعل موضعه منبر مبنى بالآجر مطلى بالنورة فمكث احدى وعشرين سنة ثم جعل موضعه المنبر الرخام الموجود الآن قيل واعجب منبر فى الدنيا منبر جامع قرطبة قاعدة بلاد الاندلس بالمغرب ذكر ان خشبه من ساج وابنوس وعود قاقلى أحكم عمله ونقشه فى سبع سنين وكان يعمل فيه سبع صناع لكل صانع فى كل يوم نصف مثقال ذهب فكان جملة ما صرف على اجرته عشرة آلاف مثقال وخمسين مثقالا وبالجامع المذكور مصحف فيه اربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بخط يده وفيه نقط من دمه وفى هذا المسجد ثلاثة اعمدة حمر مكتوب على احدها اسم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى صفة عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام واهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح الجميع خلقة ربانية ولا بدع فقد ذكر بعضهم رأيت بحمام القاهرة رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم

عمك حتى يحكم الله فيكن ونهى الجيش أن يهبطوا الى واديهم الذى جاؤا منه فامسوا فى اهليهم فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صبحوا رفاعة فقال له حسان بن ملة انك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به فدعا رفاعة بجمل فشد عليه رحله وخرج معه جماعة فساروا

ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ألاح لهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال يارسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين اى عندهم فصاحة لسان وبيان فقال رفاعة رحم الله من لم يحذنا فى يومنا هذا الا خيرا ثم دفع كتابه اليه صلى الله عليه وسلم فقال دونك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ياغلام اقرأه وأعلن فلما قرأه استخبرهم فاخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت أعلم يارسول لانحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما فقال ابو زيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هذه فقال صلى الله عليه وسلم صدق ابو زيد اركب معهم ياعلى فقال ان زيدا لن يطيعنى فقال خذ سيفى هذا فاعطاه سيفه فقال ليس لى راحلة فحملوه على بعير وخرجوا فاذا رسول لزيد على ناقة من ابلهم فانزلوه عنها فقال ياعلى ماشأنى قال مالهم عرفوه فاخذوه ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء فاخذوا مافى أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل واخبروهم بان النبى صلى الله عليه وسلم انما بعث عليا رضى الله عنه الى زيد بن حارثة رضى الله عنه يأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم واموالهم وفى رواية فقال على رضى الله عنه لزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم مابيدك من أسير او سبى او مال فقال زيد رضى الله عنه علامة من رسول الله صلى الله

مفسرا يقرؤه كل احد خلقة وعن سهل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اول يوم جلس على المنبر اى من الخشب كبر فكبر الناس خلفه ثم ركع وهو على المنبر ثم رجع فنزل القهقرى ثم سجد فى اصل المنبر ثم عاد حتى اذا فرغ من الصلاة يصنع فيها كما يصنع فى الركعة الاولى فلما فرغ اقبل على الناس وقال ايها الناس انما صنعت هذا لتأتموا بى ولتعلموا صلاتى وقوله لتأتموا بى اى تقتدوا بى فى مثل هذا الفعل من الاحرام والركوع على المحل المرتفع ثم النزول عنه والسجود تحته ثم الصعود اليه وهكذا الى ان تتم الصلاة وهذا عند ائمتنا مخصوص جوازه بما اذا لم يلزم عليه استدبار القبلة او توالى حركات ثلاث وقوله ولتعلموا صلاتى هو واضح لو كان ذلك اول صلاة صلاها الان يقال المراد ولتعلموا جواز صلاتى هذه وفى كلام فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم كان ينزل من المنبر ويسجد للتلاوة اسفل المنبر وآخر الامرين ترك ذلك فعلم ان منبره صلى الله عليه وسلم كان ثلاث درجات بالمستراح وحينئذ يشكل ان صح ماروى ان ابابكر نزل درجة عن موقفه صلى الله عليه وسلم وعمر نزل درجة اخرى وعثمان درجة اخرى ومن ثم قال فى النور وهذا يدل على انه كان أكثر من ثلاث درجات اى أربعة غير المستراح والا يلزم أن يكون عمر وعثمان كانا يخطبان على الارض قال ويمكن تأويله هذا كلامه ولينظر ماتأويله فانه يلزم على كونه درجتين غير المستراح أن يكون الصديق كان يخطب على الدرجة الثانية وعمر يخطب على الارض وان عثمان فعل كفعل عمر وحينئذ لايحسن قولهم وعثمان نزل درجة اخرى اذ لادرجة بعد الدرجة الثانية ينزل عنها وحينئذ يشكل مافى الامتاع وهو كان منبره صلى الله عليه وسلم درجتين ومجلسا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على المجلس ويضع رجليه اذا قعد على الدرجة الثانية فلما ولى ابو بكر رضى الله عنه قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى فلما ولى عمر رضى الله عنه قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الارض اذا قعد فلما ولى عثمان رضى الله عنه فعل كذلك اى كفعل عمر ست سنين من خلافته ثم علا الى موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وكان ينبغى أن يقول بدل قوله فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية جلس على الدرجة الثانية وكذا قوله فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى جلس على الدرجة السفلى اى فقد خطب على الارض وكذا عثمان وذكر فقهاؤنا أن منبره صلى الله عليه وسلم كان ثلاث درج غير الدرجة التى تسمى المستراح وتسمى بالمقعد والمجلس فكان صلى الله عليه وسلم يقف على الثالثة أى بالنسبة للسفلى واذا جلس يجلس على المستراح

عليه وسلم اى اطاب علامة فقال على رضى الله عنه هذا سيفه فعرفه زيد فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شئ من سبى اومال فليرده فهذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم كل ما اخذ منهم وظاهر السياق يقتضى انهم كانوا يطؤن الجوارى بلا استبراء وهو كذلك لان وجوبه انما كان فى سبى هوازن والله اعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة ايضا) رضى الله عنه الى وادى القرى وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وكانت فى رجب سنة ست سار رضى الله عنه الى وادى القرى فلقى به بنى فزارة وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم ورد بن مرداس رضى الله عنه وحمل منهم جريح به رمق والله اعلم

(سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الى دومة الجندل)

بضم الدال المهملة وبفتحها وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام آخره وهو حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة اوست عشرة ليلة وكانت فى شعبان سنة ست من الهجرة وقد ذكر ابن اسحق فى اول هذه القصة حديثا فى أوله زيادة لا بأس بذكرها فقال حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عاشر عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وابو سعيد اذا أقبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال يارسول الله أى المؤمنين افضل قال احسنهم خلقا قال فاى المؤمنين اكيس قال أكثرهم للموت ذكرا واكثرهم له استعدادا قبل أن ينزل به أولئك هم الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم واعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى

ويجعل رجليه محل وقوفه اذا قام للخطبة وكذا الخلفاء الثلاثة كل يجعل رجليه محل وقوفه ويذكر أن المتوكل قال يوما لجلسائه وفيهم عبادة أتدرون ما الذى نقم على عثمان نقم عليه أشياء منها أنه قام أبو بكر رضى الله عنه دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضى الله عنه دونه بمرقاة فصعد عثمان رضى الله عنه ذروة المنبر فقال له عبادة ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان قال وكيف ذلك قال لانه صعد ذروة المنبر وانه لو كان كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت أنت تخطبنا فى بئر عميق فضحك المتوكل ومن حوله وكون عثمان صعد ذروة المنبر انما هو فى آخر الامر كما علمت (وفى كلام بعضهم) أول من اتخذ المنبر خمس عشرة درجة معاوية رضى الله تعالى عنه وانه أول من اتخذ الخصيان فى الاسلام وأول من قعدت بين يديه الجنائب وعثمان أول من كسا المنبر قبطية وعن الواقدى أن امرأة سرقت كسوة عثمان للمنبر فاتى بها اليه فقال لها عثمان هل سرقت قولى لا فاعترفت فقطعها ثم كساه معاوية كما تقدم ثم كساه عبد الله بن الزبير فسرقتها امرأة فقطعها كما قطع عثمان ثم كساه الخلفاء من بعده

(باب غزوة بدر الكبرى)

ويقال لها بدر العظمى ويقال لها بدر القتال ويقال بدر الفرقان اى لان الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل ثم ان العير التى خرج صلى الله عليه وسلم فى طلبها حتى بلغ العشيرة وجدها سبقته بايام لم يزل مترقبا قفولها اى رجوعها من الشأم فلما سمع بقفولها من الشأم ندب المسلمين أى دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس اى أجابوا وثقل آخرون اى لم يجيبوا لظنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق حربا ولم يحتفل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اى لم يهتم بها بل قال من كان ظهره اى ما يركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه ولما خرج صلى الله عليه وسلم الى بدر قالت له أم ورقة بنت نوفل يارسول الله ائذن لى فى الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقنى الشهادة فقال لها قرى فى بيتك فان الله يرزقك الشهادة وكانت قد قرأت القرآن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة فكان الناس يقولون لها الشهيدة فلما كان زمن خلافة سيدنا عمر عدا عليها غلام وجارية كانت دبرتهما فغماها بقطيفة الى أن ماتت فجئ بهما الى سيدنا عمر فامر بصلبهما فكانا أول مصلوب بالمدينة وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة فكان أبو سفيان حين دنا بالعير من أرض الحجاز يتجسس

الاخبار اي يبحث عنها ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه للعير أي ويقال انه لقي رجلا فاخبره أنه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره في بدايته وأنه تركه مقيما ينتظر رجوع العير فخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري اي استأجره بعشرين مثقالا ولا يعرف له اسلام والذي من الصحابة ضمضم بن عمرو الخزاعي ليأتي مكة اي وان يجدع بعيره وأن يحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم هو واصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم اختلف في اسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا افظعتني اي اشتدت علي وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك قال وفي رواية أنها قالت له ان أحدثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها فانهم ان سمعوها آذونا اي كفار قريش آذونا واسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس اه فقال لها ما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح اي وهو ما بين المحصب ومكة ثم صرخ باعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر أي يا اصحاب الغدر وعدم الوفاء الى مصارعكم في ثلاث اي بعد ثلاثة أيام وفي كلام السهيلي يا آل غدر بضم الغين والدال جمع غدور أي ان تخلفتم فانتم غدر لقومكم قالت فارى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبيناهم حوله مثل به بعيره اي انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس ابي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت اي تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منه فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة اي وكان صديقا له فذكرها له اي واستكتمه فذكرها الوليد لابنه عتبة فتحدث بها ففشا الحديث قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل لعنه الله يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال ذاك الرؤيا التي رأت عاتكة فقلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم وفي رواية ما رضيتم

يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من اموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله الا سلط عليهم عدوا من غيرهم فاخذوا ما كان في ايديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما انزل الله الا جعل بأسهم بينهم ثم امر عبد الرحمن بن عوف ان يتجهز لسرية بعثه عليها فاصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فادناه صلى الله عليه وسلم منه فاقعده بين يديه وعممه بيده وفي رواية نقضها ثم عممها وارسل من خلفه اربع اصابع او نحو ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن واعرف ثم امر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها يا ابن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فاخذ عبد الرحمن اللواء وفي رواية بعثه إلى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك اي أطاعوك فاسلموا فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا ابوا اول ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ثم اسلم في اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم واسلم معه ناس كثير من قومه وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية

يابني

وتزوج تماضر بنت الاصبغ وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضي الله عنها وفي رواية ان عبد الرحمن رضي الله عنه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره باسلام من اسلم من القوم وانه اراد ان يتزوج فيهم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج

يا بنى هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء اه قال ابو جهل قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ماتقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير الا انى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيأ وفى رواية أن العباس قال لابى جهل هل انت منته يا مصفر استه أى يامأبون اويا جبان أو الذى يغيرلون البرص الذى بمقعدته بالزعفران فان الكذب فيك وفى أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت ياأبا الفضل جهولا ولا خرقا واتى العباس رضى الله عنه من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى أقررتم أى قالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت ثم قلت لهن وايم الله لا تعرضن له وان عاد فاقاتلنه وغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى انى قد فاتنى منه أمر احب أن أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه أتعرضه ليعود الى بعض ما قال فاوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد اى يعدو فقلت فى نفسى ماله لعنه الله أ كل هذا فرق اى خوف منى فاذا هو يسمع مالم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره أى قطع أنفه وأذناه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أى أدركوا اللطيمة وهى العير التى تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها وفى لفظ ان أصابها محمد لم تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا اى وفزعوا أشد الفزع وأشفقوا اى خافوا من رؤيا عاتكة ○ ويروى أنهم قالوا أيظن محمد واصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا أى وأعان قويهم ضعيفهم وقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو يا آل غالب أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالى ومن أراد قوتا فهذا قوتى ○ ولم يتخلف من أشراف قريش الا أبو لهب أى خوفا من رؤيا عاتكة فانه كان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد أى صادقة لا تتخلف ○ وبعث مكانه العاص بن هشام ابن المغيرة أى استأجره باربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا أفلس بها ○ اى قال له

بنت الاصبغ فتزوجها ويمكن الجمع بين الروايتين بان عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولا فان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم لاحتمال انه أراد ان اسلم الجميع مع انه قد بقى منهم جماعة على الجزية فكتب اليه احتياطا فولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أبا سلمة وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله وقيل اسمعيل توفى سنة اربع وتسعين والله اعلم

(سرية على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه)

ومعه مائة رجل الى بنى سعد بن بكر اى الى حى منهم وكانت فى شعبان سنة ست من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم ساعون فى جمع الناس يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار على رضى الله عنه الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الغمج بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم اسم ماء بين فدك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا ما أنت قال باغ اى طالب لشئ ضل منى فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بنى سعد قال لا علم لى به فشددوا عليه فاقر أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له فاين القوم قال تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى تدلنا قال على أن تؤمنونى قالوا ان دللتنا عليهم اوعلى سرحهم أمناك والافلا أمان لك قال فذاك فخرج بهم دليلا حتى ساءظنهم به ثم افضى بهم الى ارض مستوية فاذا نعم كثيرة وشاء فقال هذه نعمهم وشاؤهم فاغاروا عليها فقال ارسلونى فقالوا حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا فقال الدليل علام تحبسونى وقد تفرقت الاعراب قال على حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه فلم ير احدا فارسلوه وساقوا النعم والشاء معهم وكانت خمسمائة بعير والفى شاة وهربت بنو سعد بالظعن وقدم على رضى الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا اورد

الله كيد المشركين فلم يعدوا اليهود والله أعلم *(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه الى أم قرفة)* بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث وهو اسم امرأة وهي بنت ربيعة بن بدر الفزاري التي تجري فيها المثل أمنع من أم قرفة لانها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة وكان لها عشرة بنين وبنات وكانت بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام وكانت هذه السرية في رمضان سنة ست من الهجرة وسببها ان زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه واخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره وفي رواية ان زيدا رضي الله عنه حلف ان لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة فرجع واخبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه اليهم في جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو واصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناظورا حين يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذي يرون انهم يؤتون منه فيبصر مسافة يوم فاذا كثر فيقول اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم فاذا كان العشاء اشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا لا بأس عليكم فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق فساروا ليلة أخرى حتى امسوا وهم على خطأ فعاينوا الحاضرين من بني فزارة فحمدوا خطأهم ثم صبحهم زيد واصحابه وكبروا واحاطوا بالحاضر من بني فزارة فقتلوهم واخذوا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة وكانت ذات شرف في قومها واخذوا بنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس

اخرج وديني لك أي ويقال ان ذلك الدين كان ربا ومن ثم جاء في لفظ وكان لاطه بأربعة آلاف درهم قال أبو عبيد وسمي الربا لياطا لانه ملصق بالبيع وليس ببيع وفي كلام البلاذري أنه قامر أبا لهب على أن يطيعه فيما أراد فقمره أبو لهب فاسلمه الى ضيق أي ضيق عليه بالطلب ثم قامره فقمره أبو لهب أيضا فارسله مكانه الى بدر وهشام هذا قتله عمر ابن الخطاب في هذه الغزوة حتى ان امية بن خلف أراد القعود وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بجمرة فيها مجمر أي بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ما جئت به أي وكان عقبة كما في فتح الباري سفيها وكان أبو جهل سلط عقبة على ذلك وفي لفظ أتاه أبو جهل فقال له يا أبا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي وفي لفظ وأنت من أشراف الوادي تخلفوا معك فسر يوما أو يومين أي ولا مانع من وجود ذلك كله فتجهز مع الناس أي وسبب تخلفه ان سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل عليه لان أمية كان ينزل على سعد بالمدينة اذا ذهب الى الشام في تجارته فقال سعد لامية انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت فقال أمية لسعد انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفلت الناس انطلقت فطفت وفي لفظ فخرج أمية به قريبا من نصف النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف فقال له سعد أنا سعد بن معاذ فقال له أبو جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وفي لفظ آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت الى أهلك سالما فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته بقوله أما والله لئن منعتني هذا لامنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي وجعل يسكت سعدا فقال سعد لامية اليك عني فاني سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك قال اياي قال نعم قال بمكة قال لا أدري قال والله ما كذب محمد فكاد يحدث أي يبول في ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال ما تعلمين ما قال أخي اليثربي يعني سعد بن معاذ قالت وما ذاك قال زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي قالت فوالله ما يكذب محمد قال فلما جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته أما علمت ما قال لك أخوك اليثربي قال فاني اذن لا أخرج فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة قيل له ما تقدم نخرج ناويا أن ترجع عنهم أي ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله انه كان سببا في قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخيه وهو أبي بن

خلف فى أحد ○ كما سيأتى ومن ثم جاء فى رواية قال لأمية ان أصحابه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقتلونك ويحتمل ان سعد بن معاذ رضى الله عنه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول أنا أقتل أبي ابن خلف ففهم سعد رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم يريد أمية لا أبيا أى وفى الامتاع أن أمية بن خلف وعتبة وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الاسود وحكيم ابن حزام استقسموا بالازلام فخرج لهم القدح الناهى أى المكتوب عليه لا تفعل فاجمعوا على المقام فجاءهم أبو جهل لعنه الله وأزعجهم وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر ابن الحرث ويقال ان عداسا قال لسيديه عتبة وشيبة ابنى ربيعة بابى وأمى أنتما والله ما تساقان الا لمصارعكما فارادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم أى وكان ذلك فى ثلاثة أيام وقيل فى يومين وأجمعوا السير أى عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس أى عليها مائة درع سوى دروع المشاة قال ابن اسحق وخرجوا على الصعب والذلول أى لشدة اسراعهم والصعب الذى لا ينقاد والذلول الذى ينقاد معهم القيان أى بفتح القاف وتخفيف المثناة تحت وفى آخره نون جمع قينة وهى الامة مطلقا وقيل المغنية والمراد هنا الثانى لقوله فى الامتاع ومعهم القينات يضربن بالدفوف يغنين أى بهجاء المسلمين وسيأتى فى أحد خروج جماعة من نساء قريش معهن الدفوف وعند خروجهم ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب أى والدماء وقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا أى لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة وان شخصا من قريش كان شابا وضيأ له ذؤابة وعليه حلة خرج فى طلب ضالة له فمر ببنى كنانة وفيهم سيدهم وهو عامر بن الملوح فرآه فاعجبه فقال له من أنت يا غلام فذكر أنه من قريش فلما ولى الغلام قال عامر لقومه اما لكم فى قريش من دم قالوا بلى فاغراهم به فقتلوه ثم قال بنو كنانة لقريش رجل برجل فقالت قريش نعم رجل برجل ثم ان أخا المقتول ظفر بعامر بمر الظهران فعلاه بالسيف حتى قتله ثم خاط بطنه بسيفه ثم جاء وعلقه باستار الكعبة من الليل فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر عرفوه وعرفوا قاتله أى وكاد ذلك يثنيهم أى يصرفهم عن الخروج ○ فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك المدلجى وكان من اشراف بنى كنانة وقال لهم انا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج معهم ابليس يعدهم ان بنى كنانة وراءهم قد أقبلوا لنصرهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره ببئر أبى عتبة أى وأمر

ابن المحسر وقيل ابن سحل الى أم قرفة وهى عجوز كبيرة فأسرها وبنتها فقتلها قتلا عنيفا ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت اغزوا المدينة واقتلوا محمدا وقدم زيد بن حارثة رضى الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبى صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الاكوع رضى الله عنه هو الذى أسر بنت أم قرفة فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبي وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن

(سرية عبد الله بن عتيك)

لقتل أبى رافع عبد الله أو سلام بتشديد اللام ابن أبى الحقيق بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغرا اليهودى وهو من الذين حزبوا الاحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير بعث اليه صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن عتيك بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف الخزرجى الانصارى رضى الله عنه فى رمضان سنة ست وقيل فى ذى الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب وفى البخارى قال الزهرى بعد قتل كعب بن الاشرف الواقع سنة ثلاث قال ابن اسحق ان الزهرى اخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال لما قتلت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته للنبى صلى الله عليه وسلم بعد اذنه صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنته الخزرج فى قتل سلام بن ابى الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحق حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب بن مالك قال كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أى يحمل كل منهما على الآخر والمراد ان كلا من الاوس والخزرج يدفع عن النبى صلى الله عليه وسلم ويتفاخر بذلك لا يصنع الاوس شيأ فيه عنه صلى الله عليه وسلم غناء الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الاسلام واذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك ولما اصابت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا أبدا فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف فذكروا سلام بن أبي الحقيق فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى قتله فاذن لهم فخرج اليه من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وابو قتادة واسمه الحرث بن ربعى والاسود بن خزاعى ومسعود بن سنان الاسلمى حليف بنى سلمة بطن من الخزرج فامرهم صلى الله عليه وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا او امرأة فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل عن الحركة جاؤا الى منزله وكان فى حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله بن عتيك لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل الحصن فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كى لا يعرف كانه يقضى حاجته وقد دخل الناس وكانوا فقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه وجلوسه كانه يقضى حاجته مخافة أن يعرف فناداه صلى البواب يا هذا ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب لانه ظن انه من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاقاليد أى

اصحابه ان يستقوا منها ويشرب من مائها او فى الامتاع عسكر ببيوت السقيا وهى عين بينها وبين المدينة يومان كان يستقى له صلى الله عليه وسلم الماء منها وقد جاء ان عبده صلى الله عليه وسلم ربما كان يستقى له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة وقال صلى الله عليه وسلم بئر غرس من عيون الجنة ومن ثم غسل منها صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وغرس اسم عبد كان يقوم عليها وقيل غير ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم حين فصل من بيوت السقيا أن تعد المسلمون فوقف لهم عند بئر أبى عتبة فعدوا وهى على ميل من المدينة فعرض اصحابه ورد من استصغر أى وكان ممن رده أسامة بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد ابن ظهير وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت رضى الله عنهم ورد عمير بن ابى وقاص فبكى فاجازه وقتل وعمره ستة عشر عاما وحينئذ يتوقف فى رده لان الخمسة عشر بلوغ بالسن على ما عليه أئمتنا وخرج صلى الله عليه وسلم فى خمسة وثلثمائة رجل من المهاجرين اربعة وستون وباقيهم من الانصار وقيل كان المهاجرون نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا واربعين ومائتين وذكر الامام الدوانى انه سمع من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم يعنى اصحاب بدر مستجاب وقد جرب ذلك وخلف عثمان على ابنته صلى الله عليه وسلم رقية وكانت مريضة اى وقيل لانه كان مريضا بالجدرى اى ولا مانع من وجود الامرين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لك لاجر رجل وسهمه اى وكان ابو امامة بن ثعلبة الانصارى اجمع الخروج الى بدر وكانت امه مريضة فامره صلى الله عليه وسلم بالمقام على امه فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقد توفيت فصلى على قبرها واستعمل صلى الله عليه وسلم ابا لبابة رضى الله عنه واليا على المدينة ورده من المحل المذكور اى من بئر ابى عتبة كذا فى الاصل وقيل رده من الروحاء وهو المشهور وهى قرية على ليلتين من المدينة كما تقدم واستعمل ابن ام مكتوم على الصلاة بالناس فى المدينة وخلف عاصم بن عدى على اهل قباء واهل العالية اى لشئ بلغه عن اهل مسجد الضرار لينظر فى ذلك وكسر بالروحاء خوات ابن جبير اى وفى كلام ابن عبد البر وقال موسى بن عقبة خرج خوات بن جبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الصفراء اصاب ساقه حجر ودميت رجله واعتلت فرجع وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واهل الاخبار يقولون انه شهد بدرا وله فى الجاهلية قصة مشهورة مع ذات النحيين التى تضرب العرب بها المثل فتقول اشغل من ذات النحيين وهى خولة يروى انه صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يا رسول الله قد رزقنى الله خيرا منها واعوذ بالله من الحور بعد الكور وروى انه

صلى الله عليه وسلم قال له مافعل بعيرك الشارد يعرض بهذه القصة فقال قيده الاسلام يارسول الله وقيل لم يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القول لتلك القصة وانما هو لقصة اخرى هى ان خوات امر بنسوة فى الجاهلية اعجبه حسنهن فسألهن ان يفتلن له قيد البعيره وزعم انه شارد وجاس اليهن بهذه العلة فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث اليهن فاعرض عنه وعنهن فلما اسلم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك البعير وهو يتبسم وكسر ايضا الحرث بن الصمة وبعث صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضى الله عنهم يتحسسان خبر العير والتحسس للاخبار بالحاء المهملة ان يفحص الشخص عن الاخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا ولم يحضر الهذا القتال بل رجعا بخبر العير الى المدينة على ظن أنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما علما أنه ببدر خرجا اليه فلقياه منصرفا من بدر واسهم لكل وصار كل من أسهم له يقول وأجرى يارسول الله فيقول وأجرك ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء وكان أبيض الى مصعب بن عمير وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوتان احداهما مع على بن أبى طالب كرم الله وجهه أى ويقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة وفى كلام بعضهم كان أبو سفيان بن حرب من اشراف قريش وكانت اليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب وكان لا يحملها فى الحرب الا هو أو رئيس مثله وسيأتى انه حملها فى هذه الغزوة الاب الخامس لامامنا الشافعى وهو السائب بن يزيد والاخرى مع بعض الانصار وابن قتيبة اقتصر على الاولى وذكر بعضهم أن بعض الانصار هذا قيل هو سعد ابن معاذ وقيل الحباب بن المنذر وهذا يرد ما تقدم فى غزوة بواط عن ابن اسحق وما سيأتى فى غزوة بنى قينقاع عن ابن سعد ان الرايات لم تكن وجدت وانما حدثت يوم خيبر ومما يؤيد الرد ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى عليا كرم الله وجهه الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وفى الهدى ان لواء المهاجرين كان مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ ولم يذكر الرايتين وفى الامتاع صلى الله عليه وسلم عقد الالوية وهى ثلاثة لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوتان احداهما مع على والاخرى مع رجل من الانصار وفيه اطلاق اللواء على الراية وقد تقدم ان جماعة من اهل اللغة صرحوا بترادف اللواء والراية وكان صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة على غير لواء معقود وقال فى الاصل والمعروف ان سعد بن معاذ كان على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

المفاتيح علىّ وتدلى كوة فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر الناس عنده وفى رواية فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل وكان فى غرفة عالية له اليها عجلة من خشب فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلق علىّ من داخل وقلت ان القوم ان نذروا به لم يخلصوا الى حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله فى بيت مظلم قد طفئ سراجه لا أدرى أين هو وكان عبد الله بن عتيك يتكلم باليهودية فقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبى رافع فيظنه انه من قومه فلا يفزع منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت قال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقالت ذاك صاحبك فلما رأت السلاح أرادت ان تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت قال فقلت أبا رافع لأعرف موضعه فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة وانا دهش فما أغنت شيأ ولم اقتله وصاح ابو رافع فخرجت من البيت وكنت غير بعيد فقالت امرأته يا أبا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك امك واين عبد الله بن عتيك قال ثم دخلت عليه كانى اغيثه وغيرت صوتى فقلت ماهذا الصوت يا أبا رافع قال لأمك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف فضربته ضربة اثخنته ولم اقتله فصاح وقام اهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف اى حده فى بطنه حتى دخل فى ظهره وسمعت صوت العظم فعرفت أنى قد قتلته فجعلت افتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلى وانا ارى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ثم خرجت وكمنت فى موضع واوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى اذا أيسوا رجعوا اليه وجلست كامنا وقلت لا اخرج الليلة حتى اعلم اقتلته فلما صاح

الديك صعد الناعي على السور فقال أنعى ابا رافع تاجر الحجاز فانطلقت الى اصحابي فقلت النجاء أى أسرعوا فقد قتل الله ابا رافع وفي رواية فعصبت رجلي وأتيت أصحابي احجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا ابرح حتى اسمع الناعي فلما كان وجه الصبح صعد الناعي فقال أنعى ابا رافع فقمت امشي مابي قلبة فادركت اصحابي قبل ان يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته صلى الله عليه وسلم وفي رواية فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه وسلم فكأني لم اشتكها قط وجاء في رواية ان الاسود بن خزاعي أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت أبي رافع قال فذهبت انظر حتى دخلت في الناس فوجدت امرأته ورجالا من يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت أنى لابن عتيك بهذه البلاد ثم نظرت في وجهه فقالت فاظ أى مات واله يهود فما سمعت من كلمة كانت ألذ في نفسي منها ثم أدرك أصحابه فاخبرهم الخبر وجاء في بعض الروايات أن عبد الله بن عتيك لما تمادى عليه المشي أحس بالم رجله وهو سائر مع اصحابه في الطريق فحملوه ثم لما اتاه صلى الله عليه وسلم مسح عليه فزال عنه جميع الالم ببركته صلى الله عليه وسلم وفي رواية للحاكم عن عبد الله ابن انيس رضي الله عنه قال توجهنا من خيبر فكنا نكمن النهار ونسير الليل واذا كمنا اقعدنا منا واحدا يحرسنا قالا فاذا رأى ما يخافه اشار الينا فلما قربنا من المدينة كانت نوبتي فاشرت اليهم فخرجوا سراعا ثم لحقتهم فدخلنا المدينة فقالوا ماذا رأيت قلت ما رأيت شيأ ولكن خشيت ان تكونوا اعييتم فاردت ان يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك

العريش اى كالخباء قال اى جوابا عما تقدم عن الاصل العريش كان ببدر اى وهذا كان عند خروجهم وفي الطريق فلا منافاة اى لانه يجوز ان يكون في بدر دفع الراية لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليكون معه في العريش ولبس صلى الله عليه وسلم درعه ذات الفضول وتقلد صلى الله عليه وسلم سيفه العضب وحين فصل صلى الله عليه وسلم من بيوت السقيا قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فما رجع أحد منهم يريد ان يركب الا وجد ظهرا للرجل البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا واصابوا طعاما من ازوادهم واصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وكان حبيب بن يساف ذا باس ونجدة ولم يكن اسلم ولكنه خرج نجدة لقومه من الخزرج طالبا للغنيمة ففرح المسلمون بخروجه معهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصحبنا الا من كان على ديننا اى وفي رواية ارجع فانا لا نستعين بمشرك اى وسيأتي في احد انه صلى الله عليه وسلم قال لا تنتصر باهل الشرك على اهل الشرك لما رد حلفاء عبد الله بن ابي ابن سلول من يهود وتكررت من حبيب المراجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الثالثة قال له تؤمن بالله ورسوله قال نعم فاسلم وقاتل قتالا شديدا وفي الامتاع وقدم حبيب بن يساف بالروحاء مسلما ولا مخالفة لجواز ان يكون اسلم قبل الروحاء ولما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما او يومين ثم نادى مناديه يا معشر العصاة اني مفطر فأفطروا وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قال لهم قبل ذلك أفطروا فلم يفطروا انتهى وسيأتي في فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم امرهم بالفطر فلم يفعل جماعة منهم ذلك فقال اولئك العصاة وكانت ابل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى التي معهم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة يعتقبون بعيرا اى الا ما كان من حمزة وزيد بن حارثة وابي كبشة وانيسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هؤلاء الاربعة كانوا يعتقبون بعيرا اى وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاجراس ان تقطع من اعناق الابل يوم بدر وفي الامتاع فكانوا يتعاقبون الابل الاثنين والثلاثة والاربعة هذا كلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومرثد يعتقبون بعيرا وفي لفظ كان ابو لبابة وعلي والنبي صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا أى وذلك قبل ان يرد ابا لبابة للمدينة من الروحاء وبعد ان رده قام مقامه مرثد وقيل زيد بن حارثة وقيل زيد كان مع حمزة اى كما تقدم ويجوز انه كان مع حمزة تارة ومع النبي صلى الله عليه وسلم اخرى فكان اذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم

قالا له اى رفيقاه اركب حتى نمشى معك فيقول ما انتما باقوى منى على المشى وما انا باغنى عن الاجر منكما وكان ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم يعتقبون بعيرا اى ورفاعة وخلاد ابنا رافع وعبيد بن يزيد الانصارى يعتقبون بعيرا حتى اذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم عيا فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله برك علينا بكرنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتمضمض والقاه فى اناء أى وفى الامتاع فتمضمض وتوضأ فى اناء ثم قال افتح فاه فصب منه فى فيه ثم صب باقى ذلك عليه ثم قال اركبا ومضى فلحقاه وانه لينفر بهم اى وامر صلى الله عليه وسلم باحصاء من معه وهو محتمل لان يكون امر بذلك ثانيا بعد الروحاء بعد ان رد ابا لبابة وبعد عدهم فى بئر ابى عتبة فاذا هم ثلثمائة وثلاثة عشر ففرح بذلك وقال عدة اصحاب طالوت الذين جاز وامعه النهر وهذا قول عامة السلف كما قاله ابن جرير رحمه الله ومن زاد على ذلك عد منهم من رده صلى الله عليه وسلم من الروحاء ومن اسهم له ولم يحضر ومن نقص عن ذلك وعدهم ثلثمائة وخمس رجال او ست رجال أو سبعة رجال فالجواب عنه لا يخفى وكان فى الجيش خمسة أفراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد ويقال له السيل وفرس للمقداد بن الاسود نسب اليه لانه تبناه فى الجاهلية كما تقدم ويقال لها سبحة وفرس للزبير ويقال له اليعسوب وقيل لم يكن فى الجيش الا فرسان فرس المقداد وفرس الزبير وعن على رضى الله تعالى عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد (أقول) يجوز أن يكون المراد لم يقاتل يوم بدر فارسا الا المقداد وغيره ممن له فرس قاتل راجلا ويؤيده ما يأتى أنه صلى الله عليه وسلم لما قسم الغنيمة لم يميز أحدا عن أحد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس لكن قد يخالفه قول الزمخشرى فى خصائص العشرة كان الزبير رضى الله عنه صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وليس على الميمنة يومئذ فارس غيره هذا كلامه الا ان يقال كون الزبير فارسا على الميمنة لا يخالف كون المقداد فارسا فى محل آخر مع الجماعة الذين فيهم سيدنا على كرم الله وجهه فقول سيدنا على لم يكن فينا أى فى الجماعة الملازمين لنا تأمل والله أعلم وفى اثناء الطريق بعرق الظبية لقوا رجلا من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فاخبرنى بما فى بطن ناقتى هذه فقال له سلامة بن سلامة بن وقش لا تسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على أنا أخبرك عن ذلك نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مه

رضى الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل ابى ابى الحقيق وهو على المنبر فلما رآنا قال افلحت الوجوه وفى هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذى بلغته الدعوة واسر وقتل من اعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده اوماله اولسانه وجواز التجسس على اهل الحرب وتطلب غرتهم والاخذ بالشدة فى محاربتهم وايهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على ابى رافع بصوته واعتماده على صوت الناعى بموته ووقع فى بعض الروايات أن الذى قتل ابا رافع عبد الله بن انيس والصواب ما فى صحيح البخارى ان الذى قتله عبد الله بن عتيك وفى قتل ابى رافع وكعب بن الاشرف يقول حسان رضى الله عنه

لله در عصابة لاقيتهم
يا ابن الحقيق وانت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم
مرحا كاسد فى عرين مغرف
حتى اتوكم فى محل بلادكم
فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم
مستصغرين لكل أمر مجحف

(سرية عبد الله بن رواحة الانصارى الخزرجى رضى الله عنه) * الى اسير بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء ابن رزام براء مكسورة فزاى مخففة فالف فميم اليهودى بخيبر وكانت فى شوال سنة ست وسببها انه لما قتل ابو رافع سلام بن ابى الحقيق أمرت يهود عليها اسيرا فقال والله ما سار محمد الى احد من يهود ولا بعث احدا من اصحابه الا اصاب منهم ما ارادوا لكنى اصنع ما لم يصنع اصحابى فقالوا وما عسيت ان تصنع قال اسير فى غطفان فاجمعهم ونسير الى محمد فى عقر داره بفتح العين وضمها وسكون القاف أى اصلها فانه لم يغز احد فى عقر داره الا ادرك منه عدوه بعض ما يريد قالوا نعم ما رأيت فسار فى غطفان وغيرهم

أخشت على الرجل ثم أعرض عن سلامة فلما نزلوا بواد يقال له ذفران بكسر الفاء أى وهو
واد قريب من الصفراء أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبى صلى الله
عليه وسلم أصحابه وأخبرهم الخبر أى قال لهم ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب
وذلول اى مسرعين فما تقولون العير أحب اليكم من النفير فقالوا بلى أى قالت ذلك طائفة
منهم العير احب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا
خرجنا للعير وفى رواية يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فعند ذلك تغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى ذلك عن ابى أيوب رضى الله عنه فى سبب نزول
قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون وعند
ذلك قام أبو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد فقال يارسول الله
امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل أى لموسى اذهب
أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ما دامت
منا عين تطرف فوالله الذى بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا الى برك الغماد أى وهى مدينة
بالحبشة لجالدنا اى ضربنا بالسيوف معك من دونه حتى تبلغه وفى لفظ نقاتل عن يمينك
وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك قال ابن مسعود فرأيت وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشرق لذلك وسر بذلك وفى الكشاف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير هذا وفى العرائس روى ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند
البيت واستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود أما والله لا نقول لك كما قال قوم
موسى لموسى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معكم مقاتلون
والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك ومن بين يديك ولو خضت بحرا لخضناه معك ولو علوت
جبلا لعلوناه معك ولو ذهبت بنا برك الغماد لتابعناك فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك تابعوه فأشرق عند ذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعدد ممكن
اسكنه بعد ثم قال اشيروا على فقال عمر يارسول الله انها قريش وعزها والله ما ذلت منذ
عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك اهبته واعدد لذلك عدته
أى ثم استشارهم ثالثا فقال اشيروا على أيها الناس ففهمت الانصار انه يعنيهم وذلك
لانهم عدد الناس اى اكثرهم عددا ومن ثم قيل وانما كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستشارة اى فى ذلك المجلس ليعرف حال الانصار فانه تخوف ان لا تكون الانصار ترى

يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فى ثلاثة نفر فى شهر
رمضان سرا ليستكشف له الخبر فسأل عن خبره وغرته أى غفلته فاخبر بذلك وذلك انه أتى ناحية خيبر فدخل فى الحوائط
وفرق الثلاثة فى ثلاثة من حصونها فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لليال بقين
من رمضان فأخبره بكل ما رآه
وسمعه وقدم عليه أيضا خارجة
ابن حسيل بمهملتين مصغرا
فاستخبره صلى الله عليه وسلم ما وراءه
فقال تركت اسير بن رزام يسير
اليك فى كتائب يهود فندب صلى
الله عليه وسلم الناس له فانتدب
له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد
الله بن رواحة فقدموا عليه
فقالوا نحن آمنون حتى نعرض
عليك ما جئنا له قال نعم ولى منكم
مثل ذلك فقالوا نعم فقالوا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك
على خيبر ويحسن اليك فطمع
فى ذلك فشاور يهود فخالفوه فى
الخروج وقالوا ما كان محمد
يستعمل رجلا من بنى اسرائيل
قال بلى قد مللنا الحرب وخرج
وفى رواية لابن اسحق فلما قدموا
عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك
ان قدمت على رسول الله
استعملك واكرمك فلم يزالوا به
حتى خرج معهم وخرج معه
ثلاثون رجلا من اليهود مع كل
رجل رديف من المسلمين وفى رواية
فحمله اى اسيرا عبد الله بن رواحة
حتى اذا كانوا بقرقرة موضع على ستة اميال من خيبر ندم اسير على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد عليها
الفتك بعبد الله بن رواحة ففطن له وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه اسير بمخرش فى
يده من شوحط فأمه وفى رواية عن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه واهوى اسير بيده الى سيفى ففطنت له فدفعت بعيرى وقلت

عليهم انصرته الا من دهمه أى جاءه على حين غفلة بالمدينة من عدو وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم علا بظاهر قولهم له صلى الله عليه وسلم حين بايعوه عند العقبة يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع به أبناءنا ونساءنا وهذا من ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس وقيل سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما حكى بصيغة التمريض لانه قد اختلف فى عده فى البدريين والصحيح انه لم يشهد بدرا فانه كان تهيأ للخروج فنهس بالمهملة أى لدغته الحية قبل ان يخرج فاقام اى وضرب له بسهم فقال لعلك تريدنا معاشر الانصار يارسول الله فقال اجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة زاد فى رواية ولعلك يارسول الله تخشى ان تكون الانصار ترى عليها ان لا ينصروك الا فى ديارهم وانى اقول عن الانصار واجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وفى لفظ وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من اموالنا ما شئت وما اخذت منا كان احب الينا مما تركت وما امرت فيه من امر فامرنا تبع لامرك فامض يارسول الله لما اردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك وفى لفظ بعض ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك فسر النبى صلى الله عليه وسلم لذلك اى وأشرق وجهه بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين أى وهما عير قريش ومن خرج من مكة من قريش يريد حماية ذلك العير فوالله لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم أى فقد اعلمه الله تعالى بعد وعده بذلك بالظفر بالطائفة الثانية واراه مصارعهم فعلم القوم انهم ملاقون القتال وأن العير لا تحصل لهم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران حتى نزل قريبا من بدر فركب صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر رضى الله عنه اى وقيل بدل ابى بكر قتادة بن النعمان وقيل معاذ بن جبل حتى وقفا على شيخ من العرب اى يقال له سفيان قال فى النور لا اعلم له اسلاما فسأله صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا اخبركما حتى تخبرانى ممن انتما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك فقال الشيخ ذاك بذاك قال نعم قال فانه قد بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم

غدرا اى عدو الله مرتين فنزلت فسبقت بالقوم حتى انفرد لى اسير فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقتلوهم لظهور ارادة الغدر لهم منهم غير رجل واحد أعجزنا شدا أى جريا أفلت على رجليه ولم يصب من المسلمين أحد ولله الحمد فقاتلوا اليهود بعد الثامن الا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه فقال تمشوا بنا الى الثنية لنبحث عن أصحابنا فخرجوا معه فلما أشرفوا عليها اذاهم بسرعان اصحابنا فجلس صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فانتهينا فحدثناه الحديث فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين ونفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فلم تقح ولم تؤذه حتى مات وفى رواية قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ومسح صلى الله عليه وسلم وجهى ودعا لى وقطع لى قطعة من عصاه فقال امسك هذه معك علامة بينى وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تاتى يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله جعلت معه على جلده دون ثيابه ومر له مثل ذلك لما جاء برأس الهذلى قيل فيحتمل ان هذا وهم من بعض الرواة والحق انه لا مانع من تكرار اعطائه عصاه وأنه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع اذا خص بعض صحبه بشئ لا يسئل لم لم يفعله مع بقية الصحابة والله أعلم

(قصة عكل وعرينة)

وهى سرية كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه كان أحد رؤساء قريش استشهد عام الفتح وعكل حى من قضاعة وعرينة حى من بجيلة وكانت هذه السرية فى جمادى الاولى سنة ست وقيل فى شوال سنة ست وسببها ان ناسا من عكل وعرينة سبعة اوثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد واظهروا الاسلام وكانوا احين

كذا وكذا فان كان صدق الذى اخبرنى به فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وبلغنى ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى اخبرنى به صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى نزلت به قريش فلما فرغ من خبره قال من انتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء اى من ماء دافق وهو المنى ثم انصرفا عنه فقال الشيخ من ماء امن ماء العراق فهم ان المراد بالماء حقيقته اى لكن فى الامتاع فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحن من ماء واشار بيده الى العراق فقال من ماء العراق أى واضيف الماء الى العراق لكثرته به وفيه ان هذا من التورية وقد تقدم فى اوائل الهجرة انه لا ينبغى لنبى ان يكذب ولو صورة ومنه التورية لكن فى كلام القاضى البيضاوى وما روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم عليه الصلاة والسلام ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه ودعا لهم فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فأشبعهم ففتح الله تعالى لهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل الا وقد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا اخرجه ابو داود عن عمرو بن العاص رضى الله عنه اى شبعوا واكتسوا بما اصابوه من كسوة وازواد قريش وفى الامتاع ان دعاءه صلى الله عليه وسلم المذكور كان عند مفارقته محل معسكره بالمدينة وهو بيوت السقيا كما تقدم وتقدم فيه زيادة وعالة فاغنهم فاصابوا الاسرى فاغتنى بهم كل عائل ولا مانع ان يكون دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك تكرر فلما امسى صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من اصحابه رضى الله عنهم الى بدر يلتمسون الخبر فاصابوا راوية لقريش معها غلام لبنى الحجاج وغلام لبنى العاص فاتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقالوا لمن انتما وظنوا انهما لابى سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما اوجعوهما ضربا قالا نحن لابى سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش اخبرانى عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب اى التل من الرمل الذى يرى بالعدوة القصوى اى جانب الوادى المرتفع فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير اى وفى لفظ هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندرى أى وجهد النبى صلى الله عليه وسلم ان يخبراه كم هم فأبيا قال صلى الله عليه وسلم كم تنحرون

قدموا المدينة سقاما مصفرة الوانهم عظيمة بطونهم فقالوا يا رسول الله انا كنا اهل ضرع اى ماشية وابل ولم نكن اهل ريف وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل فامر لهم بذود من الابل وهى من الثلاثة الى العشرة ومعها راع وامرهم بالخروق بها ليشربوا من البانها ٤٠٠ وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت اجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم وكان عبدا له صلى الله عليه وسلم اسمه يسار وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك فى عينيه واستاقوا الذود فجاء الصريخ بما وقع منهم فبعث صلى الله عليه وسلم فى آثارهم خيلا من المسلمين قريبا من العشرين وأمر عليهم كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه فلحقهم فجاء بهم فامر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث الطلب فى آثارهم قال اللهم أعم عليهم الطريق واجعله عليهم اضيق من مسك جمل فأعمى الله عليهم السبيل وفى رواية فجاء الخبر فى اول النهار فبعث فى آثارهم فلما ارتفع النهار جىء بهم وفى رواية فبعث فى آثارهم فغدوا فاذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيرا فاعطونى هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فاسروهم ولم يفلت منهم انسان فربطوهم واردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة فامر بهم فقطعوا ايديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا اعينهم وتركوا فى ناحية الحرة فى الشمس اى حتى ماتوا وانما سمر اعينهم لانهم فعلوا مثل ذلك بالراعى كما مر فكان ذلك قصاصا اى كالقصاص قال انس رضى الله عنه فلقد رأيتهم يكدم اى يعض بعضهم الارض بفيه حتى ماتوا وفى رواية كانوا يستسقون اى يطلبون الماء فلا يسقون لانهم

اى من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف اى لكل جزور مائة ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث ابن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو العامرى اى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح وهو من اشراف قريش وخطبائهم وسيأتى أنه ممن اسر فى هذه الغزاة وعمرو بن عبد ود فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ كبدها اى قطع كبدها اى اشرافها وعظماءها وذكر ان مسيرهم واقامتهم كانت عشر ليال حتى بلغوا الجحفة أى وهى قرية بقرب رابغ كما تقدم نزلوا بها عشاء اى وفى الامتاع انهم ردوا القيان من الجحفة (اقول) هذا والذى فى مسلم وابى داود عن انس رضى الله تعالى عنه فاذا هم بروايا قريش فيها رجل اسود لبنى الحجاج فجاؤا به فكانوا يسألونه عن ابى سفيان فيقول مالى بابى سفيان علم فاذا قال ذلك ضربوه واذا قال هذا ابو سفيان تركوه الحديث اى وفى الامتاع واخذ تلك الليلة يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج وابو رافع غلام أمية بن خلف فأتى بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الحديث وقد يقال لا منافاة لان بعض الرواة ذكر الثلاثة وبعضهم اقتصر على اثنين وبعضهم اقتصر على واحد والله أعلم وكان مع قريش رجل من بنى المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت رضى الله تعالى عنه فانه أسلم فى عام خيبر واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقا وقيل أسلم بعد الفتح فوضع رأسه فاغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف على فقالوا لا قال قد وقف على فارس فقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وابو البخترى وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالا من اشراف قريش ممن قتل يوم بدر أى وقال اسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما من خباء من اخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا فى العسكر وبلغت أبا جهل قال قد جئتم بكذب بنى عبد المطلب مع كذب بنى هاشم سيرون غدا من يقتل وفى لفظ قال ابو جهل هذا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن أو محمد وأصحابه وأول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل بن هشام

ارتدوا فلا حرمة لهم وانزل الله فى هؤلاء انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا وفى القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره فى مصالحهم ومشروعية الطب والتداوى بألبان الابل وابوالها وان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة ان قلنا ان قتلهم كان قصاصا والمماثلة فى القصاص وانه ليس من المثلة المنهى عنها وثبوت حكم المحاربة فى الصحراء وأما فى القرى ففيه خلاف وجواز استعمال أبناء السبيل ابل الصدقة فى الشرب وفى غيره قياسا عليه باذن الامام والله أعلم

(سرية عمرو بن امية الضمرى رضى الله عنه الى أبى سفيان)

بعثه صلى الله عليه وسلم الى ابى سفيان ليقتله غيلة لان أبا سفيان ارسل للنبى صلى الله عليه وسلم من يقتله وذلك ان ابا سفيان قال لنفر من قريش ألا احد يغدر محمدا فانه يمشى فى الاسواق فاتاه رجل من الاعراب فى منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا اى جريا فان انت قويتنى خرجت اليه حتى أغتاله ومعى خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ فى عير فاسير وأسبق القوم عدوا فانى هاد بالطريق فقال أنت صاحبنا فاعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بنى عبد الاشهل فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فذهب لينحنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عشر جزائر أي بمر الظهران وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر الا اصابه من دمها كذا في الامتاع ومن هذا المحل رجع بنو عدي اي تفاؤلا بذلك ثم نحر لهم سفيان بن أمية بعسفان تسع جزائر ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشر جزائر وساروا من قديد فضلوا بها ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر فلما أصبحوا بالابواء نحر لهم مقيس بن عمرو الجمحي تسع جزائر أي ويقال ان الذي نحر لهم بالابواء نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ونحر لهم العباس ابن عبد المطلب عشر جزائر ونحر لهم الحرث بن عامر بن نوفل تسعا ونحر لهم أبو البختري على ماء بدر عشر جزائر ونحر لهم مقيس الجمحي على ماء بدر تسعا أي ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم ثم مضى رجلان من الصحابة أي قبل وصوله صلى الله عليه وسلم الى بدر وكذا قبل وصول قريش الى بدر كما يدل عليه الكلام الآتي خلاف ما يدل عليه هذا السياق الى ماء بدر فنزلا قريبا منه عند تل هناك ثم أخذا شنا لهما يستقيان فيه وشخص على الماء واذا جاريتان يتلازمان اي يتخاصمان وتمسك احداهما الاخرى على الماء والمزومة تقول لصاحبتها انما يأتي العير غدا أو بعد غد فاعمل لهم واقضيك الذي لك فقال ذلك الرجل الذي على الماء صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك الرجلان فجلسا على بعيرهما ثم انطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بما سمعا ثم ان أبا سفيان تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فاتى ذلك الرجل فقال له هل أحسست أحدا قال ما رأيت أحدا انكره الا اني قد رأيت راكبين قد اناخا الى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا فاتى أبو سفيان مناخهما فاخذ من ابعار بعيرهما ففته فاذا فيه النوى فقال والله علائف يثرب فرجع الى أصحابه سريعا فصوب عيره عن الطريق وترك بدرا بيسار وانطلق حتى اسرع فلما علم انه قد احرز عيره ارسل الى قريش أي وقد كان بلغه مجيئهم ليحرزوا العير وكانوا حينئذ بالجحفة انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله تعالى فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم عليه ثلاثة ايام فلا بد ان ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان اي تضرب بالمعازف أي الملاهي وقيل الدفوف وقيل الطنابير وقيل نوع منها يتخذه أهل اليمن وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها وسيأتي في غزاة بدر الموعد ان موسم بدر يكون عنده هلال ذي القعدة في كل عام يمكث ثمانية أيام وبعد ارادة ذلك لابي جهل اي اقامتهم ببدر بقية رمضان وتمام شوال

فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه بداخلة ازاره أي طرفه وحاشيته فاذا بالخنجر فاسقط في يده أي ندم وقال دمي دمي اي اتركوا دمي او خلوا دمي فاخذ أسيد بلببه اي منحره وخنقه أشد الخنق فقال صلى الله عليه وسلم أصدقني ما أنت قال وانا آمن قال نعم فأخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم فأسلم رضي الله عنه وقال يا محمد والله ما كنت أفرق اي اخاف الرجال فما هو الا ان رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وانك على حق وان حزب ابي سفيان حزب الشيطان فجعل صلى الله عليه وسلم يتبسم فاقام الرجل اياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فاذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ثم بعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم الانصاري رضي الله عنه وقيل جبار بن صخر الى أبي سفيان وقال ان أصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية ابن أبي سفيان وفي رواية قدما مكة وحبسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بافنيتهم وانهم ان رأوني عرفوني فاني اعرف بمكة من الفرس الابلق فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فابى أن يطيعني فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله انا لنمشي بمكة اذ نظر الي رجل من أهلها فعرفني فقال عمرو بن امية فوالله ان قدمها الا لشر فقيل ان هذا الرجل الذي أبهمه هو معاوية بن ابي سفيان وقيل غيره فاخبر أبا سفيان وقريشا بوجود عمرو بمكة فخافوه وطلبوه وكان فاتكا جريا في الجاهلية والفتك القتل على غفلة فحشدوا اي جمع له أهل مكة وصاروا يطلبونه فهرب عمرو وسلمة أو جبار بن

شوال قال ولما أرسل أبو سفيان يقول لقريش ما تقدم اى ورد عليه ابو جهل بما ذكر قال هذا بغي والبغي منقصة وشؤم وعند ذلك رجع منهم بنو زهرة وكانوا نحو المائة انتهى أى وقيل ثلثمائة وقائدهم كان الاخنس بن شريق وفى كلام ابن الاثير فلم يقتل منهم أى من بنى زهرة أحد ببدر وفى كلام غيره ولم يشهد بدرا أحد من بنى زهرة الا رجلان قتلا كافرين فان الاخنس قال لبنى زهرة يا بنى زهرة قد نجى الله اموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله واجعلوا بى جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا فى غير منفعة لا ما يقول هذا يعنى أبا جهل وقال لابى جهل أى وقد خلا به اترى محمدا يكذب فقال ما كذب قط كنا نسميه الامين لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فاى شئ يكون لنا فانخنس الاخنس ورجع ببنى زهرة أى واسمه أبى وانما لقب بالاخنس من حين رجع ببنى زهرة فقيل خنس بهم فسمى الاخنس كان حليفا لبنى زهرة ومقدما فيهم رضى الله تعالى عنه فانه أسلم يوم الفتح واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة قلوبهم ورأيت عن السهيلى انه قتل يوم بدر كافرا وتبعه على ذلك التلمسانى فى حاشية الشفاء واستدل له بقول القاضى البيضاوى ان قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الآية نزلت فى الاخنس بن شريق وفى الاصابة أنه كان من المؤلفة ومات فى خلافة عمر وعن السدى ان الاخنس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاظهر اسلامه وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم مسلمين فحرق زرعهم فنزلت ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله و بئس المهاد قال ابن عطية ما ثبت قط أن الاخنس أسلم قلت قد اثبته فى الصحابة جماعة ولا مانع أن يكون اسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام هذا كلام الاصابة وفى كلام ابن قتيبة ولم يسلم الاخنس وفى كلام بعضهم ثلاثة ابن وابوه وجده شهدوا بدرا الاخنس وابنه يزيد وابنه معن فليتأمل ذلك قال واراد بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم ابو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع انتهى ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بعيدا من الماء بينهم وبين الماء رحلة فظمئ المسلمون واصابهم ضيق شديد واجنب غالبهم وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ فوسوس اليهم تزعمون انكم أولياء الله تعالى وانكم على الحق وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون مجنبين اى وما ينتظر اعداؤكم الا ان يقطع العطش

فضر فلقى عمرو رجلا من رؤس المشركين وهو عبيد الله بن مالك التيمى فقتله وقتل آخر من بنى الديل سمعه يتغنى ويقول
ولست بمسلم مادمت حيا * ولست ادين دين المسلمينا
ولقى رسولين لقريش بعثتهما قريش الى المدينة يتجسسان الاخبار فقتل احدهما واسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ويضحك ثم دعا له بخير وفى سيرة ابن هشام بعد قوله السابق ان قدمها الا اشر فقلت لصاحبى النجاء فخرجنا نشتد حتى اصعدنا فى جبل وخرجوا فى طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا فى الجبل فبتنا فيه وقد اخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يعنى به عبد الله بن مالك التيمى المتقدم ذكره يقود فرسا له ويختلى عليها فغشينا ونحن فى الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فاخذنا وقتلنا قال ومعى خنجر قد أعددته لابى سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع اهل مكة ورجعت فدخلت مكانى وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك قال عمرو ابن امية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدال على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبى لما امسينا النجاء فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدى فقال احدهم والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن امية لولا انه بالمدينة لقلت انه عمرو بن امية فلما حاذى الخشبة التى عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى اتى جرفا اى مهبط مسيل فرمى الجثة فى الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبى النجاء ومضيت ثم أويت الى جبل ودخلت كهفا فبينما انا فيه اذ دخل على شيخ من بنى الديل اعور فى غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بنى بكر فمن أنت قال من

رقابكم ويذهب قوا كم فيحكموا فيكم كيف شاؤا وفى الكشاف فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا وكان الوادى دهسا بالسين المهملة أى لينا كثير التراب تسيخ فيه الاقدام فبعث الله السماء اى المطر فاطفأت الغبار ولبدت الارض أى شدتها للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه اى وطهرهم به واذهب عنهم رجز الشيطان أى وسوسته وشربوا منه وملؤا الاسقية وسقوا الركائب واغتسلوا من الجنابة أى وطابت نفوسهم فذلك قوله تعالى و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به اى من الاحداث ويذهب عنكم رجز الشيطان اى وسوسته وليربط على قلوبكم اى يشدها و يقويها ويثبت به الاقدام اى بتلبيد الارض حتى لاتسوخ فى الرمل واصاب قريشا منها مالم يقدروا على أن يرتحلوا منه أى و يصلوا الى الماء أى فكان المطر نعمة وقوة للمؤمنين وبلاء ونقمة للمشركين وعن على رضى الله تعالى عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر و بات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وعن على رضى الله تعالى عنه ما كان فينا اى تلك الليلة قائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى تحت شجرة و يكثر فى سجوده أن يقول ياحى ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح أى لان المسلمين اصابهم تلك الليلة نعاس شديد يلقى الشخص على جنبه أى وعن قتادة كان النعاس أمنة من الله وكان النعاس نعاسين نعاس يوم بدر ونعاس يوم أحد لان النعاس هنا كان ليلا قبل القتال وفى أحد كان وقت القتال وكون النعاس أمنة وقت القتال أووقت التأهب له وهو وقت المصافة واضح لاقبله هذا وذكر الشمس الشامى انه لما نزلت الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم وبشرهم صلى الله عليه وسلم نزول الملائكة حصل لهم الطمأنينة والسكينة وقد حصل لهم النعاس الذى هو دليل على الطمأنينة وربما يقتضى أنه حصل لهم النعاس عند المصافة والا فقد يقال ان قوله وقد حصل لهم النعاس جملة حالية أى والحال انه حصل لهم قبل ذلك فى تلك الليلة لافى وقت المصافة ولا يبعد ذلك قوله بعد ذلك ولهذا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه النعاس فى المصاف من الايمان والنعاس فى الصلاة من النفاق اى لانه فى الاول يدل على ثبات الجنان وفى الثانى يدل على عدم الاهتمام بامر الصلاة فلما ان طلع الفجر نادى صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال أى فى خطبة خطبها فقال بعد ان حمد الله واثنى

بنى بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال ولست بمسلم مادمت حيا * ولست ادين دين المسلمينا فقلت فى نفسى ستعلم ثم امهلته حتى اذا نام اخذت قوسى فجعلت سيتها فى عينه الصحيحة والسية بكسر المهملة وفتح التحتية ماعطف من طرفيها ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش كانت قريش بعثتهما عينا الى المدينة فقلت استأسرا فابيا فرميت أحدهما بسهم واستأسر الآخر فاوثقته رباطا وقدمت به المدينة وقدمر انه صلى الله عليه وسلم بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فانزلاه وخافا الطلب فالقياه فابتلعته الارض ويمكن ان عمرو بن امية التقى معهما حين ارسالهما لانزال خبيب وكان هو راجعا من مكة فشاركهما فى انزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم والله سبحانه وتعالى اعلم

(قصة الحديبية ويقال غزوة الحديبية)

بتخفيف الياء وتشديدها وهى بئر يسمى المكان باسمها وقيل شجرة وقيل قرية أكثرها فى الحرم على تسعة اميال من مكة وسببها ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل البيت هو واصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولايريد قتالا واستنفر العرب من البوادى ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فابطأ عليه كثير من الاعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدى واحرم بالعمرة ليامن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائرا للبيت ومعظما له واخرج معه زوجته أم سلمة رضى الله عنها واستعمل عليه

على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وقيل ابو رهم كلثوم بن الحصين وقيل استعملهما معا و جملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال الف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال واربعمائة ألغاه وأما رواية ألف وثلثمائة فرواها عبد الله بن ابي أوفى رضى الله عنه فيمكن حملها على ما اطلع عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة أو ان الالف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو ان الزيادة من الاتباع والخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرج صلى الله عليه وسلم معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف فى القرب فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأحرم منها بعمرة وبعث عينا أى جاسوسا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه جاسوسه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة وفى رواية انه لقيه بعسفان فقال هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد تلبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ان لا تدخلها عليهم عنوة ابدا والعوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها أطفالها والمراد أنهم خرجوا بما ذكر لارادة طول المقام وعدم الفر وفى رواية قال له انى لاطوف بالبيت فى ليلة كذا وكذا وقريش فى انديتها اذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبى قبيس بصوت أسمع أهل مكة يقول

هبوا لصاحبكم مثلى صحابته * سيروا اليه وكونوا معشرا كرما

بعد الطواف وبعد السعى فى مهل * وأن يحوزهم من مكة الحرما

شاهت وجوههم من معشر نكل * لا ينصرون اذا ما جار واصنما

فارتجت مكة

عليه أما بعد فانى احثكم على ما حثكم الله عليه الى ان قال وان الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله تعالى به الهم وينجى به من الغم الحديث ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم أى يسابق قريشا الى الماء فسبقهم عليه حتى جاء ادنى ماء من بدر اى اقرب ماء الى بدر من بقية مياهها فنزل به صلى الله عليه وسلم فقال له الحباب بن المنذر يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل انزلكه الله تعالى ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال يارسول الله ان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى ادنى ماء من القوم اى اذا نزل القوم يعنى قريشا كان ذلك الماء اقرب المياه اى محله أقرب المياه اليهم قال الحباب فانى اعرف غزارة مائه وكثرته بحيث لا ينزح فننزله ثم نغور ما عداه من القلب اى وهى الآبار غير المبنية ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء فنشرب ولا يشربون لان القلب كلها حينئذ تصير خلف ذلك القليب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اشرت بالرأى ونزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرأى ما أشار اليه الحباب فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى اتى ادنى ماء من القوم اى من المحل الذى ينزل به القوم فنزل عليه ثم امر بالقلب فغورت بسكون الواو وقال السهيلى لما كانت القلب عينا جعلها كعين الانسان ويقال فى عين الانسان غرتها فغارت ولا يقال غورتها أى بالتشديد وبنى صلى الله عليه وسلم حوضا على القليب الذى نزل به فملأ ماء ثم قذفوا فيه الآنية ومن يومئذ قيل للحباب ذو الرأى وظاهر كلام بعضهم انه كان معروفا بذلك قبل هذه الغزاة وفيه ان ذلك القليب اذا كان خلف ظهورهم وسائر القلب خلفه ما المعنى فى تغويرها لانها اذا لم تغور هم يشربون ولا يشرب القوم الان يقال المعنى ائلا يأتوا اليها من خلفهم فالغرض قطع اطماعهم من الماء فليتأمل واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى على جواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم فى الحرب نظرا لصورة السبب او مطلقا لان صورة السبب لا تخصص وجواز الاجتهاد له مطلقا هو الراجح ومما استدل به على وقوع الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم فى الاحكام قوله الا الاذخر عقب ما قيل له الا الاذخر قال السبكى وليس قاطعا لاحتمال ان يكون اوحى اليه فى تلك اللحظة هذا وفى كلام بعضهم انهم نزلوا على ذلك القليب نصف الليل فصنعوا الحوض وملؤه وقذفوا فيه الآنية بعد ان استقوا منه وسيأتى ما يؤيده وقال سعد بن معاذ يانبى الله الا نبنى لك عريشا اى وهو شئ كالخيمة من جريد يستظل به تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله

وتعاقدوا على ان لا ندخل عليهم عامهم هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا الهاتف سلفع شيطان الاصنام يوشك أن يقتله الله ان شاء الله فبينما هم كذلك اذ سمعوا من أعلى الجبل صوتا يقول شاهت وجوه رجال حالفوا صنما * وخاب سعيهم ما اقصر الهمما
انى قتلت عدو الله سلفعة * شيطان ٢٠٦ أصنامهم سحقا لمن ظلما وقد أتاهم رسول الله فى نفر * وكلهم محرم لا يسفكون دما

فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان اميل الى عيال هؤلاء الكفار الذين يريدون أن يصدونا عن البيت وذراريهم فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين والا تركناهم محروبين وفى رواية أترون أن نميل الى ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محروبين وان يجيئوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله و يروى أن المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبى بكر قال والله يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال صلى الله عليه وسلم فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى وشاورهم فى الامر اى فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة فى خيل لقريش فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن ابى جهل طليعة وهى مقدمة الجيش فخذوا ذات اليمين وفى رواية قال من رجل يخرج

تعالى واظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك اقوام يانبى الله ما نحن باشد لك حبا منهم ولا اطوع لك منهم لهم رغبة فى الجهاد ونية ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير اى وقال او يقضى الله خيرا من ذلك ياسعد اى وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم ثم بنى اى ذلك العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى فوق تل مشرف على المعركة ○ كان فيه اى وعن على رضى الله تعالى عنه انه قال لجمع من الصحابة اخبرونى عن اشجع الناس قالوا انت قال اشجع الناس ابو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أى من يكون معه لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه أى ولذلك حكم على انه أشجع الناس وبه يرد قول الشيعة والرافضة ان الخلافة لا يستحقها الا على لانه أشجع الناس أى وهذا كان قبل أن يلتحم القتال والا فبعد التحامه كان على على باب العريش الذى به صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وسعد بن معاذ قائمان على باب العريش فى نفر من الانصار كما سيأتى ومما استدل به على أن أبا بكر اشجع من على أن عليا أخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يقتله الا ابن ملجم فكان اذا دخل الحرب ولاقى الخصم علم انه لا قدرة له على قتله فهو معه كالنائم على فراشه واما ابو بكر فلم يخبر بقاتله فكان اذا دخل الحرب لا يدرى هل يقتل أو لا ومن هذه حاله يقاسى من التعب ما لا يقاسيه غيره ومما يدل على ذلك ما وقع له فى قتال أهل الردة وتصميمه العزم على مقاتلة مانعى الزكاة مع تثبيط سيدنا عمر له عن ذلك فلما كان الصباح أقبلت قريش من الكثيب وهذا يؤيد القول بأنه صلى الله عليه وسلم سار بأصحابه ليلا ليبادرهم الى الماء لان ذلك بعد طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم لان الظاهر من قول الراوى أقبلت أى عليهم وهم ما كثون ويؤيده أيضا ما فى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليلة بدر أى بعد ان وصل الى محل الوقعة هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا ووضع يده على الارض وهذا مصرع فلان ههنا وهذا مصرع فلان ههنا قال أنس ما ماط احدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم أى ما تنحى فلما أمل الجمع ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقد اقبلت بالدروع السابغة والجموع الوافرة والاسلحة الشاكة اى التامة قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها

اى كبرها رحمها ونخرها تجادلك اى تعاديك وتخالف امرك وتكذب رسولك فنصرك
اى انجز نصرك الذى وعدتنى اى وفى لفظ اللهم انك انزلت على الكتاب وأمرتنى
بالثبات ووعدتنى احدى الطائفتين اى وقد فاتت احداهما وهى العير وانك لا تخلف
الميعاد اللهم احنهم اى اهلكهم الغداة وفى رواية اللهم لا تفلتن اباجهل فرعون هذه
الامة اللهم لا تفلتن زمعة بن الاسود اللهم واسخن عين ابي زمعة واعم بصر أبي زمعة
اللهم لا تفلتن سهيلا الحديث ولما اطمأنت قريش ارسلوا عمير بن وهب الجمحى اى رضى
الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وشهد احدا معه صلى الله عليه وسلم
○ فقالوا احزر لنا اصحاب محمد اى انظر لنا عدتهم فاستجال بفرسه حول عسكر النبى صلى
الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا او ينقصون قليلا ولكن
أمهلونى حتى أنظر للقوم كمينا أو مددا فذهب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيأ ثم رجع اليهم
وقال ما رأيت شيأ ولكنى قد رأيت يا معشر قريش البلايا أى وهى فى الاصل النوق
تبرك على قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت تحمل المنايا أى الموت اى نواضح
يثرب تحمل الموت الناقع أى البالغ زاد بعضهم الا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون
تلمظ الافاعى لا يريدون أن ينقلبوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصا تحت الحجف
يعنى الانصار قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا
حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما
سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير
قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى ان لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر قال وما ذاك
يا حكيم قال ترجع بالناس فقام عتبة خطيبا فقال يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون
بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيأ والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره
النظر اليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين
سائر العرب فان اصابوه فذاك الذى اردتم وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه
ما تريدون اى يا قوم اعصبوها اليوم برأسى اى اجعلوا عارها متعلقا بي وقولوا جبن عتبة
وانتم تعلمون انى لست بأجبنكم ○ اى وفى لفظ آخر ان حكيم بن حزام قال لعتبة بن
ربيعة تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى اى الذى قتله واقد بن عبد الله
فى سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وهو اول قتيل قتله المسلمون وتحمل ما اصاب محمد من
تلك العير اى الذى غنمه عبد الله بن جحش كما سيأتى فى السرايا فانهم لا يطلبون من محمد الا

بنا على غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا اخرجوا منه
بعد أن شق عليهم وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها الحطة التى عرضت
على بنى اسرائيل فلم يقولوها وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم واسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض بفتح المهملة
وسكون الميم وبالضاد المعجمة اسم
موضع يخرج على مهبط الحديبية
من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك
الطريق فلما رأت خيل قريش
قترة الجيش قد خالفوا عن
طريقهم ركضوا راجعين الى
قريش وفى رواية فوالله ما شعر
بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش
أى غباره كذا أطلقه بعضهم
وقيده بعضهم بالغبار الاسود
فانطلق يركض نذيرا لقريش وفى
رواية أن خالدا دنا فى خيله حتى
نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم
والصحابة وصف خيله بينهم وبين
القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم
عباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام
بازائه فصف أصحابه وحانت صلاة
الظهر فصلاها بهم صلى الله عليه
وسلم فقال خالد قد كانوا على غرة لو
حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن
ستأتى الساعة صلاة أخرى هى
أحب اليهم من انفسهم وأبنائهم
فنزل جبريل بين الظهر والعصر
بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت
لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك
الآية فحانت صلاة العصر
والعدو جهة القبلة فصلى بهم
صلاة الخوف فرتب القوم صفين
وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه فى الثانية من
حرس أولا وحرس الآخرون فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان ثم سار النبى
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء

بركت ناقته القصواء فقال الناس حل حل وهى كلمة تقال للناقة اذا تركت السير فتمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء أى حرنت وبركت من غير علة والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك التشبيه ان الصحابة لودخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضى الى سفك الدماء ونهب الاموال كما لوقدر دخول الفيل وأصحابه لكن سبق فى علم الله انهم لايدخلون الآن لانه سيدخل فى الاسلام خلق منهم ويستخرج من أصلابهم ناسا يسلمون ويجاهدون وكان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فلو طرق الصحابة مكة لما أمن ان يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم وجواب لو محذوف أى لاذن لكم فى الدخول والقتال وانما منعكم من الدخول والقتال ليدخل الله فى رحمته من يشاء أى من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أى لو تميز الكفار من المؤمنين المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما قال صلى الله عليه وسلم عقب قوله حبسها حابس الفيل والذى نفسى بيده لايسألونى خطة فيها تعظيم حرمات الله أى من ترك القتال فى الحرم والجنوح الى السلم والكف عن اراقة الدماء وفى رواية لايدعونى الله قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم وهى من حرمات الله الا أعطيتهم اياها أى أجبتهم اليها وان كان فيها تحمل المشقة ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقالوا يارسول الله مابالوادى ماء ننزل عليه وكان

ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت اى هو حليفى فعلى عقله وما اصيب من المال ونعم ماقلت ونعم مادعوت اليه وركب عتبة جملا له وصار يجيله فى صفوف قريش يقول ياقوم اطيعونى فانكم لاتطلبون غير دم ابن الحضرمى وما اخذ من العير وقد تحملت ذلك زاد بعضهم انه قال يامعشر قريش أنشدكم الله فى هذه الوجوه التى تضئ ضياء المصابيح يعنى قريشا ان تجعلوها اندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الانصار وهذا كما ترى ومما يأتى ايضا يضعف قول من قال انه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمى اى اعطى ديته وقد كان صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا اقبلت من الكثيب وعتبة على جمل احمر قال ان يكن فى احد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر اى وفى رواية ان يكن احد يأمر بخير فعسى ان يكون صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الجمل الاحمر يجيله فى صفوف قريش قال ياعلى ناد حمزة وكان أقربهم الى المشركين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من صاحب الجمل الاحمر وماذا يقول لهم فقال هو عتبة بن ربيعة ينهى عن القتال وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن فى أحد من القوم خير الخ من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ○ ثم قال عتبة لحكيم بن حزام انطلق لابن الحنظلية يعنى أبا جهل قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد سل درعا له من جرابها أى أخرجها منه فقلت له يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا للذى قال فقال انتفخ والله سحره أى رئته كلمة تقال للجبان وفى لفظ أنه قال لعتبة وقد جاء اليه أنت تقول هذا والله لو غيرك يقول هذا لاعضضته أى قلت له اعضض على بظر أمك ان قد ملأت رئتك جوفك رعبا كلا والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقال لحكيم مابعتبة ماقال ولكنه قد رأى ان محمدا واصحابه أكلة جزور وأى فى قلة بحيث يكفيهم الجزور وفيهم ابنه أى وهو أبو حذيفة رضى الله تعالى عنه فانه كان ممن أسلم قديما فقد تخوفكم عليه أى وفى رواية أنه قال يامعشر قريش انما يشير عليكم عتبة بهذا لان ابنه مع محمد ومحمد ابن عمه فهو كره أن تقتلوا ابنه وابن عمه فغضب عتبة وسب أبا جهل وقال سيعلم أينا أفسد لقومه أى ومن غريب الاتفاق ان أم أبان بنت عتبة بن ربيعة المذكور كان لها اربعة اخوة وعمان كل منهم حضر بدرا اثنان من اخوتها مسلمان واثنان مشركان وواحد من عميها مسلم والآخر كافر فالاخوان المسلمان ابو حذيفة ومصعب بن عمير ولعله كان اخاها لامها والكافران الوليد بن عتبة وابو عزير والعم المسلم معمر بن الحرث ولعله كان اخا لعتبة لامه والعم الكافر شيبة بن ربيعة وكان من حكمة

فيه حفرة فيها ماء وقيل يأخذونه قليلا قليلا فأخذوه حتى نزحوه وشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم أن يجعلوه فيه فنزل ناجية بن الاعجم وقيل ناجية بن جندب وقيل عبادة بن خالد او خالد بن عبادة وقيل البراء بن عازب رضي الله عنه فوضعه في البئر ويمكن أن الجميع تعاونوا في ذلك قال فوالله مازال يجيش أي يفور الماء حتى صدروا عنه اي رجعوا رواء

الله تعالى ان الله جعل المسلمين قبل ان يلتحم القتال في اعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم الله في اعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال في اعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل اتراهم سبعين قال اراهم مائة وانزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ومن ثم قال الله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم اي يرى اولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأي العين اي وقد ذكر ان قباث بن اشيم رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك قال في نفسه يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا واصحابه وعنه انه قال لما كان بعد الخندق قدمت المدينة سألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذا في محل المسجد مع ملا من اصحابه فاتيته وأنا لا اعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا قباث أنت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش باكمتها ردت محمدا واصحابه فقال قباث والذي بعثك بالحق ما تحدث به لساني ولا ترفرفت به شفتاي ولا سمعه مني احد وما هو الا شيء هجس في قلبي وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم له أنت القائل اي في نفسك أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن ما جئت به الحق ولما بلغ عتبة ما قاله ابو جهل قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا ام هو وقد تقدم معنى مصفر استه وذكر السهيلي هنا ان هذه الكلمة لم يخترعها عتبة ولا هو ابو عذرتها فقد قيلت لبعض الملوك كان مترفها لا يغزو في الحروب يريدون صفرة الخلوق والطيب وسادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب الا في الدعة وتعيبه في الحرب أشد العيب واظن أن أبا جهل لما علم بسلامة العير استعمل الطيب والخلوق فلذلك قال له عتبة هذه الكلمة وانما اراد مصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة في الذم فخص منه بالذكر ما يسوءه أن يذكر هذا كلامه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اليهم يقول ارجعوا فانه ان يلي هذا الامر مني غيركم احب الي من أن تلوه مني فقال حكيم بن حزام قد عرض نصفا فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف فقال ابو جهل والله لا نرجع بعد ان مكننا الله منهم ثم ان ابا جهل بعث الى عامر بن الحضرمي اي اخو المقتول الذي هو عمرو وقال هذا حليفك يعني عتبة يريد أن يرجع بالناس وفي لفظ يخذل الناس عن القتال وقد تحمل دية حليفك من ماله يزعم أنك قابلها الا تستحي ان تقبل الدية

بعد ورودهم وفي رواية فمازال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر وفي البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا انفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وعند غير البخاري توضأ في الدلو ثم افرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ويمكن الجمع بانه فعل ذلك كله وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم قال عطش الناس يوم الحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فاقبل الناس نحوه فقال مالكم قالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضأنا وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع في وقتين وكان قصة الركوة قبل قصة البئر وقد اخرج الامام احمد عن جابر رضي الله عنه القصة وفيها فجاء رجل باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه صلى الله عليه وسلم في قدح

ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين اصابعه واختلاف الفاظ حديث جابر لعله كان من تصرف الرواة ووقع في بعض الروايات انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملؤا قربهم فقيل كم كنتم قال لو كنا

مائة ألف لكفانا كنا ألفا وأربعمائة وفي حديث زيد بن خالد رضي الله عنه انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله اعلم وفي هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعي في نفر من قومه خزاعة وكان ذلك قبل اسلامه فانه أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانت خزاعة عيبة نصح للنبي صلى الله عليه وسلم وتقدم أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك في الاسلام فقال بديل للنبي صلى الله عليه وسلم غورت اي ابعدت عن المدينة ولا سلاح معك فقال لم نجيء لقتال فتكلم ابو بكر رضي الله عنه فقال له بديل أنا لا آتيهم ولا قومي ثم قال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي اعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التي معها أطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه او كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام ان دعا اليه الامر ليكون ادعى الى عدم الفرار وخص كعب بن لؤي وعامر بن لؤي لرجوع انساب قريش الذين بمكة اجمع اليهما وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي وبنو عوف بن لؤي وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنو تيم بن غالب ومحارب بن فهر وقوله اعداد مياه الحديبية قال الحافظ ابن حجر يشعر بانه كان بها مياه كثيرة وان قريشا سبقوا الى النزول عليها فلهذا عطش المسلمون وقد جاء التصريح بذلك عن عروة بن الزبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا لبديل انا لم نجيء لقتال أحد وانما جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم

من مال عتبة وقد رأيت ثارك بعينك فقم فاذكر مقتل اخيك وكان عامر كاخيه المقتول من حلفاء عتبة وسيأتي ذلك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف اي كشف استه اي وحثا عليه التراب ثم صرخ واعمراه واعمراه فثارت النفوس اي وعامر هذا لا يعرف له اسلام اي وفي الاستيعاب عامر بن الحضرمي قتل يوم بدر كافرا واما اخوهما العلاء فمن فضلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم اي وقد كان يقال انه مجاب الدعوة وانه خاض البحر هو وسريته التي كان اميرا عليها وذلك في زمن خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ويقال يبس حتى رئي الغبار من حوافر الخيل بكلمات قالها ودعا بها وهي يا علي يا حكيم يا علي يا عظيم انا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك اللهم فاجعل لنا اليهم سبيلا وقد وقع نظير ذلك اي دخول البحر لابي مسلم الخولاني التابعي فانه لما غزا الروم مع جيشه مر بنهر عظيم بينهم وبين العدو فقال ابو مسلم اللهم اجزت بني اسرائيل البحر وانا عبادك وفي سبيلك فاجزنا هذا النهر اليوم ثم قال اعبروا بسم الله فعبروا فلم يبلغ الماء بطون الخيل وكذا وقع نظير ذلك لابي عبيد الثقفي التابعي امير الجيوش في ايام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فان دجلة حالت بينه وبين العدو فتلا قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش وراءه ولما نظر اليهم الاعاجم صاروا يقولون ديوانا ديوانا اي مجانين ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا اموالهم وله اخ يقال له ميمون وهو الذي حفر البئر التي باعلى مكة التي يقال لها بئر ميمون ولم اقف على سلامه واما اختهم التي هي الصعبة وهي ام طلحة بن عبيد الله فصحابية رضي الله تعالى عنها كانت اولا تحت ابي سفيان بن حرب فطلقها فخلف عليها عبيد الله فولدت له طلحة الذي قال في حقه صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ثم ان الاسود بن عبد الاسد المخزومي وهو اخو ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان رجلا شرسا سيئ الخلق شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه أول من يعطى كتابه بشماله كما ان أخاه أبا سلمة أول من يعطى كتابه بيمينه كما تقدم قال أعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لاهدمنه او لاموتن دونه فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه اي اسرع قطعها فطارت وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه اي ليشرب منه وهدمه برجله الصحيحة يريد أن تبر يمينه فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض واقبل نفر من قريش حتى وردوا ذلك الحوض منهم حكيم بن حزام فقال رسول الله

الحرب اى اضعفت قوتهم واهزلتهم واضعفت اموالهم واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم اى جعلت بيني وبينهم مدة تترك الحرب فيها ويخلوا بيني وبين الناس من كفار العرب وغيرهم فان أظهر اى باظهار الله تعالى ديني بحيث يدخله الناس ويتبعوني فيما جئت به فان شاؤا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا الاى وان لم أظهر فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم المضمومة يعني استراحوا من القتال وفي رواية فان ظهر الناس على فذلك الذي يبغون وفي رواية وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة وانما ردد الامر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الامر على مازعمه ثم قال وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي وهي صفحة العنق كني بذلك عن القتل اى حتى اموت وابقى منفردا في قبري وقيل المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده في مقاتلتهم والمعنى ان لي من القوة بالله والحول به ما يقتضي مقاتلتهم عن دينه لو انفردت فكيف لا اقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم في نصر دين الله ولينفذن الله امره وفي هذا تصريح بما كان عليه صلى الله عليه وسلم من القوة والثبات في تنفيذ حكم الله وتبليغ امره والندب الى صلة الرحم والابقاء على من كان من اهلها وبذل النصيحة للقرابة فقال بديل سأبلغهم ما تقول فاذن له * قال الزرقاني في شرح المواهب وفي هذا جواز استنصاح بعض المعاهدين واهل الذمة اذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بايثارهم أهل الاسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارا على غيرهم ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا من موادة اعداء الله بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وانكاء بعضهم ببعض ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة

الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل كافرا الا ما كان من حكيم ابن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه فكان اذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر وعلى أن هذا الحوض كان وراء ظهره صلى الله عليه وسلم يكون مجيء هؤلاء للحوض من خلفه صلى الله عليه وسلم فليتأمل ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة اى خوذة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر على رأسه ببرد له أى تعمم به ولم يجعل تحت لحيته من العمامة شيأ وخرج بين اخيه شيبة وابنه الوليد حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة اخوة أشقاء هم معوذ ومعاذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة وفي رواية أكفاء كرام انما نريد قومنا اى وفي لفظ ولكن اخرجوا الينا من بني عمنا اى وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم امرهم بالرجوع فرجعوا الى مصافهم وقال لهم خيرا لانه كره أن تكون الشوكة لغير بني عمه وقومه في أول قتال وعند ذلك نادى مناديهم يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث وقم يا حمزة وقم يا علي وفي لفظ قوموا يا بني هاشم فقاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم اذ جاؤا بباطلهم ليطفؤا نور الله قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا قالوا لهم من أنتم اى لانهم كانوا ملثمين لا يعرفون من السلاح قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي قالوا انتم أكفاء كرام فبارز عبيدة بن الحرث وكان أسن القوم كان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة واما علي فلم يمهل أن قتل الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا بالمهملة والمعجمة واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه اى واضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فافرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد اى بعد أن قال له عبيدة ألست شهيدا يا رسول الله فتوفي في الصفراء ودفن بها عند مرجع المسلمين الى المدينة وقيل برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد واختلف عبيدة وشيبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه ووقعت الضربة في ركبة عبيدة فاطاحت رجله وصار مخ ساقه يسيل ثم مال حمزة وعلي على شيبة فذففا عليه اى ويقال ان شيبة لما صرع من ضربة عبيدة قام فقام اليه حمزة فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيفه شيأ فاعتنق كل

واحد منهما صاحبه فاهوى عبيدة وهو صريع فضرب شيبة فقطع ساقه فذفف عليه حمزة وقيل بارز على شيبة وبارز عبيدة الوليد فقد روى الطبراني باسناد حسن عن على أنه قال أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحرث على الوليد فلم يعب النبى صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وقال الحافظ ابن حجر وهذا اصح الروايات ولكن المشهور أن عليا كرم الله وجهه انما بارز الوليد وهذا هو اللائق بالمقام لان عتبة وشيبة كانا شيخين كعبيدة وحمزة بخلاف على والوليد فكانا شابين وقتل حمزة طعيمة بن عدى أخا المطعم بن عدى وتقدم ان المطعم مات قبل هذه الغزاة بستة أشهر كافرا قيل وهذه المبارزة أول مبارزة وقعت فى الاسلام وفى الصحيحين عن ابى ذر أنه كان يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى حمزة وصاحبه وعتبة وصاحبه يوم بدر وفى البخارى عن على رضى الله تعالى عنه انه أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة وقيل اول من يقف بين يدى الله تعالى للخصومة على ومعاوية ثم تزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض وقد كان عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف اصحابه بقدح فى يده اى بسهم لا نصل له ولا ريش فمر بسواد بتخفيف الواو لا بتشديدها كما زعمه ابن هشام بن غزية بفتح الغين المعجمة وكسر الزاى وتشديد الياء اى حليف بنى النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم فى بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدنى اى مكنى من القود اى القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد اى خذ القود اى القصاص فاعتنقه فقبل بطنه الشريف فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وفيه أن هذا الاقود فيه ولا قصاص عندنا فلعله أمل وسواد هذا جعله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر عاملا على خيبر كما سيأتى اى وفى حديث حسن عن عبد الرحمن بن عوف قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف فنظر اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال معى معى أقول وقع له صلى الله عليه وسلم مع بعض الانصار اى وهو سواد بن عمرو مثل هذا الذى وقع له مع سواد بن غزية ففى ابى داود أن رجلا من الانصار كان فيه مزاح فبينما هو يحدث القوم يضحكهم اذ طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاصرته بعود كان فى يده وفى لفظ بعرجون وفى آخر بعصا فقال أصبرنى يا رسول الله اى اقدنى ومكنى من نفسك لاقتص منك فقال اصبر اى اقتص قال ان عليك قميصا وليس على

قميص

فالمشركين على الاطلاق اه وبديل بن ورقاء كان سيد قومه وأسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد حنينا والطائف وتبوك وكان من كبار مسلمة الفتح وقيل اسلم قبل الفتح وقال ابن منده وابو نعيم اسلم قديما ولعله كان يكتم اسلامه والمشهور هو الاول وخزاعة قبيلة من الازد ثم انطلق بديل مع من معه من قومه حتى أتى قريشا فقال ناس منهم هذا بديل وأصحابه وانما يريدون أن يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد فرأى بديل انهم لا يستخبرونه فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسمعناه يقول قولا فان شئتم نعرضه عليكم فعلنا وفى رواية انا جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم عنه فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ ولكن اخبره عنا انه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل واحد وقال ذو الرأى منهم هات ما سمعته يقول ولم يكن ابو سفيان حاضرا هذه القضية على الصحيح بل كان غائبا فى بعض تجاراته فمن ذكره معهم فقد غلط وفى رواية فاشار عليهم عروة بن مسعود الثقفى بان يسمعوا كلام بديل فان أعجبهم قبلوه والا تركوه فقال صفوان بن أمية والحرث بن هشام أخبرونا بالذى رأيتم وسمعتم قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فرجعوا الى قريش فقالوا انكم تعجلون على محمد انه لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فقالوا وان كان جاء لا يريد قتالا بل جاء زائرا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تتحدث عنا العرب بذلك أبدا فقام عروة بن مسعود الثقفى وقد أسلم رضى الله عنه عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما او قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأحدهما الوليد بن المغيرة كان بمكة ومات كافرا والثانى عروة بن مسعود الثقفى وكان بالطائف فالقريتان مكة

والطائف فقال لقريش يا قوم ألستم بالوالد اي مثل الوالد في الشفقة على ولده قالوا بلى قال اولست بالولد اي مثله في النصح لوالده قالوا بلى بل جاء ان أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف فاراد انهم ولدوه في الجملة قال فهل تتهموني قالوا لا ما أنت عندنا بمتهم قال ألستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ اي دعوتهم الى نصركم فلما امتنعوا من الاجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فان هذا يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد عرض عليكم خطة رشد اي خصلة خير وصلاح وانصاف اقبلوها ودعوني آتيه اي أجيء اليه قالوا ائته فاتى عروة بن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال بديل بن ورقاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل السابق وأخبره أنه لم يأت يريد حربا وعند قول النبي صلى الله عليه وسلم فان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم قال عروة اي محمد أخبرني ان استأصلت قومك اي أهلكتهم بالكلية هل سمعت بأحد من العرب اجتاح اي أهلك أصله قبلك وان تكن الاخرى اي وان تكن الغلبة لقريش فاني والله لارى وجوها أشوابا يعني أخلاطا من الناس خليقا أن يفروا عنك ويدعوك وفي رواية فكأني بهم لو لقيت قريشا قد أسلموك فتؤخذ أسيرا فأي شيء أشد عليك من هذا وانما قال ذلك لان العادة جرت ان الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها الفرار بخلاف من كان من قبيلة واحدة فانهم يأنفون الفرار عادة وما درى عروة ان مودة الاسلام أعظم من مودة القرابة وقد ظهر له ذلك بعد من مبالغة المسلمين في تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما قال عروة بن مسعود ما قاله وعرض بل صرح بنسبتهم للفرار قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان قاعدا خلف النبي صلى الله عليه وسلم امصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان

ق ص فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه اي ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ما التصق بدنه مسلم وتمسه النار كذا في الخصائص الصغرى وفيها في محل آخر ولا تأكل النار شيأ مس جسده وكذلك الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ثم لما عدل الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم اي ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم اي لا ترموهم على بعد فان الرمي مع البعد غالبا يخطئ فيضيع النبل بلا فائدة اي وقال لهم لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد وعلى المصابرة فيه منها وان الصبر في مواطن الباس مما يفرج الله عز وجل به الهم وينجي به من الغم وهذا السياق يدل على تكرر هذه الخطبة اي وقوعها قبل مجيئهم الى محل القتال وبعد مجيئهم اليه ولا مانع منه ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى العريش فدخله ومعه ابو بكر ليس معه فيه غيره وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشح بسيفه مع نفر من الانصار يخافون على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو اي والجنائب مهيأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان احتاج اليها ركبها ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر بحجر ابين الصفين وقال لا أفر الا ان فر هذا الحجر وكان اول من خرج من المسلمين مهجع بكسر الميم واسكان الهاء فجيم مفتوحة فعين مهملة مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه ونقل بعض المشايخ أنه أول من يدعى من شهداء هذه الامة وانه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الشهداء اي من هذه الامة فلا ينافي ما جاء أن سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكريا وقائدهم الى الجنة وذابح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة في يده والناس ينظرون اليه لكن جاء سيد الشهداء هابيل الا أن تجعل الاولية اضافية فيراد أول أولاد آدم لصلبه قتيل وكون مهجع أول قتيل من المسلمين لا ينافي كون أول قتيل من المسلمين عمير بن الحمام لان ذاك أول قتيل من المهاجرين وعمير اول قتيل من الانصار ولا ينافي ذلك أن اول قتيل من الانصار حارثة ابن قيس اي قتل بسهم لم يدر راميه ففي البخاري عن حميد قال سمعت انسا يقول اصيب حارثة يوم بدر وهو غلام قتل بارسال سهم اليه اي فانه اصابه سهم غرب اي لا يعرف راميه وهو يشرب من الحوض وفي كلام ابن اسحق اول من قتل من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ومن بعده حارثة بن سراقة وقد جاءت أم حارثة وهي عمة انس بن مالك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن احزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا وفي رواية ان يكن في الجنة

فى فرج المرأة واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء هذا مبالغة من ابى بكر رضى الله عنه فى سب عروة فانه أقام معبود
عروة وهو صنمه مقام امرأة تحقيرا لمعبوده وعادة العرب الشتم بذلك فقال عروة من هذا يا محمد واستفهم عنه لجلوسه خلف النبى
صلى الله عليه وسلم فلا ينافى أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا أبو بكر بن أبى قحافة
فقال عروة مخاطبا لابى بكر أما
والذى نفسى بيده وكانت عادة
العرب الحلف بذلك لولا يد لك
عندى لم أكافئك بها لاجبتك
ولكن هذه بها اى جعلت عدم
اجابتك عن شتمى جزاء اليد التى
كنت احسنت الى بها قال الزهرى
ان اليد المذكورة هى أن عروة
كان تحمل دية فاعانه فيها ابو بكر
رضى الله عنه بعون حسن وفى
رواية اعانه بعشر قلائص وكان
غيره يعينه بالاثنين والثلاث
وجعل عروة بن مسعود يكلم
النبى صلى الله عليه وسلم فكلما
تكلم بكلمة أخذ بلحيته صلى الله
عليه وسلم وكانت تلك عادة العرب
وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود
الثقفى وهو ابن اخى عروة بن
مسعود قائما على رأس النبى صلى
الله عليه وسلم ومعه السيف
بقصد الحراسة وعليه المغفر قال
عروة بن الزبير ان المغيرة لما رأى
عروة بن مسعود لبس لامته وجعل
على رأسه المغفر ليستخفى من عمه
عروة وقام على رأس النبى صلى
الله عليه وسلم قال الحافظ ابن
حجر ففيه جواز القيام على رأس
الامير بالسيف لقصد الحراسة
ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهى عن القيام على رأس الجالس لان محله ما اذا كان على وجه عهدك
العظمة والكبر فكان المغيرة كلما اهوى عروة بن مسعود بيده الى لحية النبى صلى الله عليه وسلم ضرب بيده بنعل السيف وهو
ما يكون أسفل القراب من فضة او غيرها وفعل المغيرة ذلك اجلالا وتعظيما للنبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول لعروة أخر يدك

صبرت وان يكن غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء فقال يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها
جنات وحارثة فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وهذا
قد يخالف قول ابن القيم كالزمخشرى ان الجنة التى هى دار الثواب واحدة بالذات كثيرة
بالاسماء والصفات وهذا الاسم الذى هو الجنة يجمعها من اسمائها جنة عدن والفردوس
والمأوى ودار السلام ودار الخلد ودار المقامة ودار النعيم ومقعد صدق وغير ذلك مما
يزيد على عشرين اسما اى وعن الواقدى أنه بلغ امه واخته وهما بالمدينة مقتله فقالت
أمه والله لا أبكى عليه حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله فان كان فى الجنة لم
أبك عليه وفى رواية اصبر واحتسب وان كان ابنى فى النار بكيته وفى رواية ترى ما اصنع
فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءت أمه فقالت يا رسول الله قد عرفت
موقع حارثة من قلبى فاردت ان ابكى عليه ثم قلت لا أفعل حتى اسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان كان فى الجنة لم أبك عليه وان كان فى النار بكيته فقال النبى صلى الله عليه
وسلم هبلت وفى رواية ويحك اوهبلت اجنة واحدة انها جنان كثيرة والذى نفسى بيده
انه لفى الفردوس الاعلى ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه
ومضمض فاه ثم ناوله ام حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان فى
جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند النبى صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان اقر عينا
منهما ولا اسر وقد كان حارثة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بالشهادة فقد
جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت
مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسى عن
الدنيا فاسهرت ليلى واظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى انظر الى اهل الجنة
يتزاورون فيها وكأنى أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد أى أنت عبد
نور الله الايمان فى قلبه قال فقلت ادع الله لى بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك وقال ابو جهل واصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد نصبر لنا العزى ولا عزى لكم
ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا فى الجنة
وقتلاكم فى النار أقول سيأتى وقوع مثل ما قال ابو جهل واصحابه من ابى سفيان وانه
أجيب بمثل هذا الجواب فى يوم احد والله اعلم وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد
ربه ما وعده من النصر أى وهذا العريش هو المراد بالقبة فى قول البخارى عن ابن عباس
رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة يوم بدر اللهم انشدك

من لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة ما افظك وأغلظك وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولاسيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي صلى الله عليه وسلم وما علم حينئذ أنه لا نظير له فاللائق منعه فلذا كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي أي يتغافل ويسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفا له ولقومه والمغيرة كان يمنعه فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال من هذا وفي رواية فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعري من هذا الذي قد أذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشر منزلة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك شعبة وفي رواية هذا المغيرة بن شعبة فلما عرف انه ابن أخيه قال اي غدر ألست أسعى في غدرتك وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف وفي رواية وهل غسلت سوأتك الا بالامس فيمكن ان الاختلاف من تصرف الرواة أو انه قال ذلك كله ويعني بغدرته ما كان من المغيرة قبل اسلامه فانه صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك خرجوا للمقوقس ملك مصر بهدايا فأحسن اليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم بل من احلافهم فغارتهم ولم يواسه أحد منهم فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ثم جاء الى المدينة فاسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه مافعل المالكيون الذين كانوا معك قال قتلتهم وجئت باسلابهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمس او ليرى رأيه فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل

عهدك الحديث ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد اي وفي مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك ان تشأ لا تعبد في الارض قال ذلك في هذا اليوم وفي يوم أحد قال العلماء فيه التسليم لقدر الله تعالى والرد على غلاة القدرية الذين يزعمون أن الشر غير مراد لله ولا مقدور له وذكر الامام النووي أن كونه قال ماذكر يوم بدر هو المشهور وفي كتب التفسير والمغازي أنه يوم أحد ولا معارضة بينهما فقاله في اليومين هذا كلامه اي يجوز أن يكون قال ذلك في يوم بدر وفي يوم أحد وفي رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين أي لانه صلى الله عليه وسلم علم أنه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفي لفظ آخر اللهم لا تودع مني ولا تخذلني أنشدك ما وعدتني لانه كان وعده النصر وفي رواية ما زال يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ أبو بكر رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كفاك تناشدك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اي وفي رواية والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك اي وفي لفظ قد الححت على ربك وكون وعد الله لا يختلف لا ينافي الالحاح في الدعاء لان الله يحب الملحين في الدعاء وانما قال ابو بكر ماذكر لانه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم في الحاحه بالدعاء لانه رضي الله تعالى عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لان الصديق كان في تلك الساعة في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مقام الخوف لان الله يفعل ما يشاء وكلا المقامين سواء في الفضل ذكره السهيلي وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى فانزل الله تعالى عند ذلك اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين اي متتابعين وقيل ردفا لكم ومددا لكم وقيل وراء كل ملك ملك آخر ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمد الله نبيه يوم بدر بالف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة فامده الله تعالى بالملائكة ألف مع جبريل والف مع ميكائيل وجاء أمده الله بثلاثة آلاف الف مع جبريل والف مع ميكائيل والف مع اسرافيل وهذا رواه البيهقي في الدلائل عن علي باسناد فيه ضعف وقيل وعدهم الله تعالى أن يمدهم بالف ثم زيدوا في الوعد بالفين ثم زيدوا في الوعد بالفين ايضا وقيل امدهم الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ثم أكملهم بخمسة آلاف قال الله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين اي ألف مع جبريل والف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم

واما المال فلست منه فى شئ اى لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لانه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الامن لان الرفقة يصطحبون على الامانة وهى تؤدى الى أهلها مسلما كان او كافرا وانما تحل أموالهم بالمحاربة والمغالبة فاعله صلى الله عليه وسلم ترك المال فى يده لامكان اسلام قومه فيرد اليهم أموالهم وقيل انه لما فعل ذلك كان مثالهم حربيا والحربى اذا أتلف مال الحربى لم يضمن وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ ثقيفا مافعله المغيرة من قتل اصحابه وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان للقتال بنو مالك والاحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفرا واصطلحوا وقيل ان عروة بن مسعود ليس عم المغيرة نفسه بل عم أبيه ولا ضير فى ذلك فعم الاب عم عند العرب والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه كان من دهاة العرب أحصن فى الاسلام ثمانين امرأة وقيل ثلثمائة وقيل ألف امرأة ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينه فقال حين حدث الحديث والله ماتنخم يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركا واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره اى أسرعوا الى فعله واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر اليه تعظيما له فكان فى فعلهم ذلك رد لما ظنه من فرارهم فكانهم قالوا بلسان الحال من نحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم كيف يظن بنا أن نفر عنه ونسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا اى تعلقا وتمسكا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التى تراعى بعضها بمجرد الرحم فرجع عروة الى أصحابه فقال اى قوم فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ما رأيت ملكا قط يعظمه صحابه

هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فان ذلك كان يوم بدر على ماعليه الاكثر وقيل يوم أحد كان الامداد فيه بذلك اى بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد بالكمال بخمسة آلاف معلقا على شرط وهو التقوى والصبر عن حوز الغنائم فلم يصبروا ففات الامداد بما زاد على الثلاثة آلاف وهذا الثانى هو الذى فى النهر لابى حيان كان المدد يوم بدر بالف من الملائكة ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم بخمسة لو صبروا عن أخذ الغنائم فلم يصبروا فلم تنزل هذا كلامه وهو واضح لان عدم صبرهم عن اخذ الغنائم وعدم امتثال أمره انما كان فى أحد لا فى بدر وروى البيهقى عن حكيم بن حزام رضى الله عنه أن يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادى يسيل نملا اى نازلا من السماء فوقع فى نفسى أن هذا شئ أيد به صلى الله عليه وسلم وهى الملائكة أي وروى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود مبثوث حتى امتلأ الوادى فلم أشك أنه الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم والبجاد كساء مخطط من اكسية الاعراب وسيأتى وقوع مثل ذلك فى حنين قال وانما كانت الملائكة شركاءهم فى بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه والا فجبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل بمدائن قوم لوط واهلك قوم صالح وثمود بصيحة واحدة ولينا بهم العدو وبعد ذلك حيث يعلمون أن الملائكة تقاتل معهم وبهذا يرد ماقيل لم تقاتل الملائكة يوم بدر وانما كانوا يكثرون السواد والا فملك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا كلهم وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التى نزلت يوم بدر لمات اهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع اصواتهم وجاء فى حديث مرسل ماروى الشيطان أحقر ولا ادحر ولا اصغر من يوم عرفة الا مارئ يوم بدر اى وكذا سائر مواسم المغفرة والعتق من النار كايام رمضان سيما ليلة القدر وجاء ان ابليس جاء فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى فى جند من الشياطين اى مشركى الجن فى صور رجال من بنى مدلج من بنى كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اه أى كما قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم وقد خافوا من بنى كنانة قوم سراقة وقد تقدم أنه كان وحده ولا منافاة لجواز أن يكون جنده لحقوا به بعد قال فلما رأى جبريل والملائكة وفى رواية وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين اى وهو الحرث بن هشام اخو ابى جهل انتزع يده من يد الرجل ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الرجل ياسراقة اتزعم أنك لنا جار فقال انى برئ منكم انى أرى مالا ترون انى

اخاف الله والله شديد العقاب وتشبث به الحرث بن هشام رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضربه ابليس فى صدره فسقط وعند ذلك قال ابو جهل يامعشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة اى والوليد فانهم قد عجلوا واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وذكر السهيلى أنه يروى أن من بقى من قريش وهرب الى مكة وجد سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة خرقت الصف واوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشئ من امركم وما شهدت وما علمت فما صدقوه حتى اسلموا وسمعوا ما انزل الله فعلموا أنه ابليس هذا كلامه قال قتادة صدق ابليس فى قوله انى ارى ما لا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله والله ما به مخافة من الله قال فى ينبوع الحياة ولا يعجبنى هذا فان ابليس عارف بالله ومن عرف الله خافه اى وان لم يكن ابليس خافه حق الخوف قيل وانما خاف أن يكون هذا اليوم هو اليوم الموعود الذى قال فيه سبحانه وتعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ورأيت عن سيدى على الخواص أنه لا يلزم من قول ابليس ذلك أن يكون معتقدا له بالباطن كما هو شأن المنافقين ورأيت عن وهب أن اليوم المعلوم الذى انظر فيه ابليس هو يوم بدر قتلته الملائكة فى ذلك اليوم والمشهور انه منظر الى يوم القيامة ويدل لذلك ما روى أن ابليس لما ضرب الحرث فى صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط فى البحر ورفع يديه وقال يارب موعدك الذى وعدتنى اللهم انى اسألك نظرتك اياى وخاف ان يخلص اليه القتل هذا وفى زوائد الجامع الصغير عن مسلم ان سيدنا عيسى عليه السلام يقتل ابليس بيده بعد نزوله وفراغه من صلاته ويرى المسلمين دمه فى حربته وفى كلام بعضهم ولعل المراد بيوم القيامة الذى انظر اليه ابليس ليس نفخة البعث بل نفخة الصعق التى بها يكون موت من لم يمت من أهل السموات وأهل الارض قيل الا حملة العرش وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهؤلاء ممن استثنى الله تعالى فى قوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يموت جبريل وميكائيل ثم حملة العرش ثم اسرافيل ثم ملك الموت فهو آخر من يموت وفى كلام بعضهم الصعق أعم من الموت أى فالمراد ما يشمل الغشى وذهاب الشعور أى فمن مات قبل ذلك وصار حيا فى البرزخ كالانبياء والشهداء لا يموت وانما يحصل له غشى وذهاب شعور ويكون المستثنى من القسم الاول من تقدم ذكره من الملائكة ومن القسم الثانى موسى صلوات الله وسلامه عليه فانه جوزى بذلك أى بعدم الغشى

ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما يتنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وفى رواية واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده اجلالا وتوقيرا وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها والقد رأيت قوما لا يسلمونه لشئ أبدا فروا رأيكم وفى رواية فقال عروة أى قوم قد رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد وما هو بملك ولقد رأيت الهدى معكوفا وما أراكم الا ستصيبكم قارعة وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره فلم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود وما رغبهم فيه من الصلح فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف فقال رجل من بنى كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولا يعرف له اسلام وكان سيد الاحابيش أى القبائل التى تجمعت من غير قريش دعونى آته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم اى أذهب اليه فقالوا ائته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن يعنى التى تهدى للحرم فابعثوها أى أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لا يريدون حربا فانبعثت على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة فلما رأى الحليس ذلك قال متعجبا سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا أى يمنعوا عن البيت وفى رواية قال أبى الله ان تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب وفى رواية فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى بقلائده وقد حبس عن محله رجع ولم يصل الى رسول الله

وذهاب الشعور ربما حصل له من ذلك بسبب صعقة الطور وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يجزم بذلك بل تردد في ذلك حيث قال فأكون أول من رفع راسه أي افاق من الغشي فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري أرفع راسه أي افاق من الغشي قبلي او كان ممن استثنى الله فلم يصعق وفي رواية فاذا موسى متعلق بقائمة العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فأفاق قبلي ام كان ممن استثنى الله ولعل بعض الرواة ضم هذا الخبر لخبر الشيخين انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة فاذا موسى الخ وفيه نظر لان المراد بيوم القيامة عند نفخة البعث ونفخة الصعق سابقة عليها كما علمت ويلزم على هذا التردد مع كون الخبرين خبرا واحدا اشكال جزمه صلى الله عليه وسلم بانه أول من تنشق عنه الارض وأجاب شيخ الاسلام بما يفيد انهما خبران لا خبر واحد حيث قال التردد كان قبل ان يعلم انه اول من تنشق عنه الارض أي فهما حديثان لا حديث واحد فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فاذا موسى الحديث يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم ليس أفضل من موسى قلنا هو كقوله صلى الله عليه وسلم من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وذلك منه صلى الله عليه وسلم تواضع أو كان قبل ان يعلم انه افضل الخلق أجمعين وقيل الوقت المعلوم خروج الدابة واذا خرجت قتلته بوطئها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ابليس اذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة وهذه النفخة التي هي نفخة الصعق مسبوقة بنفخة الفزع التي تفزع بها أهل السموات والارض فتكون الارض كالسفينة في البحر تضربها الامواج وتسير الجبال كسير السحاب وتنشق السماء وتكسف الشمس ويخسف القمر وهي المعنية بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وبقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية وقال تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قيل وهم الشهداء فقد جاء أن الاموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلنا يا رسول الله فمن استثنى الله تعالى في قوله الا من شاء الله فقال اولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وامنهم منه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر الشهداء وسكوته عن الانبياء لما هو معلوم من الاصل أن مقام الانبياء ارقى من مقام الشهداء وان كان قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل ومن ثم قيل الرزق خاص بالشهداء ومن ثم

صلى الله عليه وسلم وجاء عند الحاكم انه صاح وهو على بعد فقال هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم انما أتوا عمارا فقال صلى الله عليه وسلم اجل يا اخا بني كنانة قال الحافظ ابن حجر فيحتمل انه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعا بين الروايتين فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت فقالوا له اجلس انما انت اعرابي لا علم لك فغضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له اكفف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به وفي القصة دليل على ان كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بني عامر بن لؤي ولم يذكره احد في الصحابة الا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آتيه فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر وفي رواية غادر قال الحافظ ابن حجر ما زلت متعجبا من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سيأتي من كلامه في قصة ابي جندل الى ان رايت في مغازي الواقدي في غزوة بدر ان عتبة بن ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نامنهم على ذرارينا وذلك ان حفص بن الاخيف كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر بن كنانة بدم لهم كان في قريش فتكلمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرة فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت

ووقعة بدر اثناء ذلك فكان مكرز معروفا بالغدر وذكر الواقدي ايضا ان مكرزا أراد ان يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلا فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس وانفلت مكرز فكان صلى الله عليه وسلم اشار الى ذلك حين قال وهو رجل فاجر اوغادر فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل واصحابه فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل ابن عمرو العامري وكان خطيب قريش وقد اسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان ملازما للجهاد حتى استشهد يوم اليرموك وقيل مات بالشام بطاعون عمواس وكان يقول والله لا ادع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة انفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها لعل امري ان يتلو بعضه بعضا قال الشافعي سهيل بن عمرو رضي الله عنه كان محمود الاسلام من حين اسلم ولما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدون فخطب الناس خطبة كخطبة الصديق بالمدينة رضي الله عنه وثبتهم فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما اراد كسر ثنيته لعله يقف موقفا يسرك فكان ذلك الموقف هو خطبته لاهل مكة وتثبيتهم فكان ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قيل ان وصول سهيل بن عمرو الى النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان مكرزا رجع الى قريش فاخبرهم بقوله صلى الله عليه وسلم وان ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز ويجمع بانه رجع فاخبرهم ثم جاء مع سهيل في الصلح ولما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى قال ابن اسحق دعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل ولا يكن

اختصوا بحرمة الصلاة عليهم و يقال انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجن سبعون أي لكن لم يثبت انهم قاتلوا فكانوا مجرد مدد ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خفق خفقة أي مالت راسه من النعاس ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه وفي لفظ آخذ براس فرسه يقوده على ثناياه النقع أي الغبار وهو يقول أتاك نصر الله اذ دعوته اى وفي رواية ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما فرغ من بدر على فرس حمراء معقودة الناصية قد خضب الغبار ثنيته عليه درعه وقال يا محمد ان الله بعثني اليك وأمرني ان لا افارقك حتى ترضى ارضيت أي ولا مانع من تعدد رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وان هذه بعد تلك وان المرة الاولى مساقها يقتضي انها كانت مناما وان الغبار في المرة الثانية كان اكثر منه في المرة الاولى بحيث علا على ثناياه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم وبيده تمرات يأكلهن بخ بخ كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه ما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل أي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبخبخ اى لم تتعجب فقال رجاء أن أكون من اهلها اى وفي رواية ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من اهلها فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت حتى الوكهن وفي لفظ ان حييت حتى آكل تمراتي هذه انها الحياة طويلة فنبذهن وقاتل اى وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاد
* غير التقى والبر والرشاد *

ولا زال يقاتل حتى قتل رضي الله تعالى عنه وسيأتي في غزاة احد مثل هذا لبعض الصحابة ابهمه جابر رضي الله عنه في القائه التمرات من يده ومقاتلته حتى قتل فعن جابر رضي الله عنه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم احد أرأيت ان قتلت فأين انا قال في الجنة قال فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل اخرجه البخاري ومسلم والنسائي وسيأتي ما في ذلك

وقال عوف بن الحرث بن عفراء يارسول الله ما يضحك الرب من عبده اى ما يرضيه غاية الرضا قال غمسه يده في العدو حاسرا اى لا درع له ولا مغفر فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم اخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله تعالى عنه فالضحك في حق الله كناية عن غاية رضاه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال في طلحة بن الغمر اللهم الق طلحة يضحك اليك وتضحك اليه أي القه لقاء كلقاء المتحابين المظهرين لما في أنفسهما من غاية الرضا والمحبة فهي كلمة وجيزة تتضمن الرضا مع المحبة واظهار البشر فهي من جوامع كلمه التى اوتيها صلى الله عليه وسلم وقاتل في ذلك اليوم معبد بن وهب زوج بريرة بنت زمعة اخت سودة بنت زمعة ام المؤمنين رضي الله عنها بسيفين ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء بالمد أمره بذلك جبريل عليه السلام كما جاء في بعض الروايات أي قال له خذ قبضة من تراب وارمهم بها فتناولها صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه قال لعلي كرم الله وجهه ناولني فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه أي قبحت الوجوه أي وزاد بعضهم اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفحهم أي ضربهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عيناه وفي رواية وانفه وفمه لا يدرى اين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه أي فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون وهذا والمحفوظ المشهور وان ذلك انما كان في حنين لكن يوافق الاول ما نقله بعضهم ان قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى نزل يوم بدر هكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد وقتادة قال هذا البعض وقد فعل عليه الصلاة والسلام مثل ذلك في غزوة احد هذا كلامه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أيديهم فقال شاهت الوجوه فانهزم القوم وهذه الحصيات الثلاث قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن في طست فأخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن في وجوه المشركين اى ميمنة وميسرة وبين ايديهم وحين رمى صلى الله عليه وسلم بذلك قال لاصحابه شدوا فكانت الهزيمة وانزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد يقال لا مانع من اجتماع الامرين وكل منهما مراد من الآية قال وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه قتالا شديدا وكذلك ابو بكر رضي الله عنه كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء قاتلا بابدانهما جمعا بين المقامين انتهى (أقول) كذا نقل بعضهم عن الاموى وبتأمل ذلك فاني لم اقف عليه في كلام احد غيره وكأن قائل ذلك فهم مباشرته صلى الله

في صلحه الان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة ابدا فأتى سهيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه مقبلا قد ارادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم برك على ركبتيه وجلس النبي صلى الله عليه وسلم متربعا وقام عباد بن بشر وسلمة ٢٢٠ بن اسلم على رأسه مقنعين في الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر اخفض صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما وهذا يقتضي أن ارسال سهيل ابن عمرو كان قبل أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة وجرى على ذلك كثير من أهل السير وقال آخرون ان ارسال سهيل بن عمرو كان بعد ارسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان ابن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية أحب ان يبعث الى قريش يعلمهم أنه انما قدم معتمرا لا مقاتلا فبعث خراش بن أمية الخزاعي على جمله عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله فمنعه الاحابيش فأتاه صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يارسول الله انى اخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه عليه

أي فان بني عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكتب له كتابا الى اشراف قريش يخبرهم انه لم يات الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان ان يأتي رجالا مسلمين مستضعفين بمكة ونساء مؤمنات

عليه وسلم للقتال مما تقدم عن على رضى الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس باسا ولا دلالة فى ذلك والله اعلم ثم ذكر ابن سعد انه لما انهزم المشركون رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثرهم مصلتا السيف يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الآية ذكر فى الاتقان انها مما تأخر حكمه عن نزوله فانها نزلت بمكة وكان ذلك يوم بدر فعن عمر رضى الله تعالى عنه قلت اى جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم مصلتا السيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبرانى فى الاوسط ولو قاتل صلى الله عليه وسلم بجرح اوقتل من قاتله ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعى على نقله وسيأتى فى أحد عن النور أنه صلى الله عليه وسلم لم يقتل بيده الشريفة قط أحدا الا أبى بن خلف لا قبله ولا بعده والى رميه بالحصا أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصا فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

أى ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصا جيشا فأصابهم كلهم بها أى شئ القاء عصا موسى عليه السلام على حبال سحرة فرعون وعصيهم عند ذلك الحصا المرمى به لا يقاربه ذلك الالقاء ولا يدانيه لان ذاك وجد له نظير وهو القاء السحرة الحبال والعصى والرمى بالحصا لم يوجد له نظير أى وقال صلى الله عليه وسلم حينئذ من قتل قتيلا فله سلبه ومن اسر أسيرا فهو له كما فى الامتاع فلما وضع القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد فوجد فى وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك ياسعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يارسول الله كانت اول وقعة اوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان فى القتل اى الاكثار منه والمبالغة فيه احب الى من استبقاء الرجال (وذكر بعضهم) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انكم قد عرفتم ان رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد اخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم احدا من بنى هاشم فلا يقتله اى بل يأسره وذكر ابا البخترى بن هشام اى فقال من لقى ابا البخترى فلا يقتله أى لانه كان ممن قام فى نقض الصحيفة ونص على العباس بن عبد المطلب فقال ابو حذيفة رضى الله تعالى عنه ايقتل آباؤنا وابناؤنا واخواننا وعشيرتنا ويترك العباس اى لانه تقدم ان اباه عتبة وعمه شيبة واخاه الوليد اول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهى بنو عبد شمس قد قتل منها جماعة ائن لقيته يعنى العباس لالجمنه السيف هو بالمهملة والمعجمة فبلغت اى تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله

مستضعفات بها او يدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم بان الله وشيك أى قريب ان يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان فخرج عثمان رضى الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضى الله عنهم باذن النبى صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل ان يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان ابن عم عثمان رضى الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضى الله عنه من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المسلمون الذين مع النبى صلى الله عليه وسلم قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يارسول الله وقد خلص اليه قال ذاك ظنى به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكثت كذا وكذا سنة فلما رجع عثمان وقيل له فى ذلك أى قالوا له طفت بالبيت فقال والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا كذا وكذا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام واشاع الناس انهم قتلوه هو والعشرة الذين معه فبلغ ذلك الخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ينادى الناس الى البيعة قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بايعناه وبايعه الناس

على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وفى رواية بايعناه على الموت ولما لم يكن قتل عثمان رضى الله عنه محققا بل كان
بالاشاعة بايع عنه النبى صلى الله عليه وسلم أى على تقدير حياته وفى ذلك اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى ان عثمان لم يقتل
وانما فعل المبايعة مع القوم لاجل اخذ ثار عثمان رضى الله عنه جريا على ظاهر تلك الاشاعة تثبتا وتقوية لاولئك
القوم فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك وفى لفظ ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فانا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وماذاك الا لانه علم عدم صحة القول بقتله و بعد ان جاء عثمان رضى الله عنه بايع بنفسه تحصيلا لتلك الفضيلة (وقد أشار) الى امتناع عثمان رضى الله عنه من الطواف والى مبايعة النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية فقال

وأبى ان يطوف بالبيت اذلم ... يدن منه الى النبى فناء
فجزته عنه ببيعة رضوا ... ن يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الاعـ ... مال بالترك حبذا الادباء

(ويروى) أن قريشا بعثت الى عبدالله بن ابى ابن سلول ان أحببت ان تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبدالله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضى الله عنه يا أبت اذكرك الله ان تفضحنا فى كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا اطوف حتى يطوف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت البيعة تحت شجرة هناك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى الحديث
لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم لايدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة
وكانوا ألفا وأربعمائة كما تقدم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية واول من بايعه

صلى الله عليه وسلم لعمر يا ابا حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر والله انه لاول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى حفص يارسول الله دعنى اضرب عنقه يعنى اباحذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فكان ابو حذيفة يقول ما انا بآمن من تلك الكلمة التى قلتها يومئذ ولا ازال منها خائفا الا ان تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا فى جملة من قتل فيها من الصحابة وهم اربعمائة وخمسون وقيل ستمائة رضى الله تعالى عنهم ولقى المجذر رضى الله عنه أبا البخترى فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلى أى ورفيقى وكان معه زميل له خرج معه من مكة أى يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركى زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله اذا لاموتن أنا وهو جميعا لا تتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى أى يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر أى بعد ان قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به فأبى الا ان يقاتلنى فقتلته (أقول) لعل المجذر فهم ان ما عدا من نهى عن قتله يقتل وان استأسر حتى قال ما نحن بتاركى زميلك أى ولا بد من قتله وان استأسر فكان ذلك حاملا لابى البخترى على ان لا يستأسر و يترك زميله فيقتل خوف السبة والله أعلم أى وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من اشجع قريش وأشدهم رماية وكان اسن ولد أبيه وكان صالحا وفيه دعابة فلما اسلم قال لابيه لقد اهدفت لى اى ارتفعت لى يوم بدر مرارا فصدفت عنك أى أعرضت عنك فقال ابو بكر لو هدفت لى لم اصدف أى اعرض عنك فالمراد بكونه اهدف له ارتفع وهو لا يشعر بذلك فلا ينافى ما قيل ان عبد الرحمن بن ابى بكر يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه ابوه ابو بكر ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما علمت انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى أى وفى بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم ابن مالى يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التى هى السلاح وفرس سريعة الجرى وجنان يقاتل عليه شيوخ الضلال اى وهذا يدل على ان الصديق رضى الله تعالى عنه ترك مالا عند أهله لما هاجر وهو قد يخالف ما تقدم عن ابنته اسماء من قولها ان ابا بكر ارسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم الى الغار فدخل علينا جدى ابو قحافة

الحديث واعل ماله الذى عنده الصديق ما كان من نحو امتعة وبعض مواشى لا النقد فلا مخالفة (ويروى عن ابن مسعود) ان الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم احد الى البراز فقال له النبى صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك اما علمت انك منى بمنزلة سمعى وبصرى فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى فى نزول الآية لكن يبعد نزولها فى أحد أيضا كون أبى بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا فى بدر ثم رأيت ابن ظفر قال فى الينبوع انه لم يثبت أن أبا بكر دعا ابنه للمبارزة وانما هو شئ ذكر فى كتب التفسير فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فالآية مدنية لا مكية وبه يرد ما ذكر أن سببها ان أبا بكر سمع والده أبا قحافة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط منها فأخبر أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرنى السيف لقتلته به وفى كلام الزمخشرى أن عبد الرحمن أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة ستة أميال وحمل على أعناق الرجال الى مكة وقدمت أخته عائشة رضى الله تعالى عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه أى وفى هذا اليوم الذى هو يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا فان أباه قصده ليقتله فولى عنه أبو عبيدة لينكف عنه فلم ينكف عنه فرجع عليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال لقد لقيت أمية بن خلف وكان صديقا لى فى الجاهلية ومعه أى مع أمية ابنه على آخذ بيده وكان على ممن أسلم والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر ففتنهم اقاربهم عن الاسلام ورجعوا عنه وماتوا على كفرهم وأنزل الله تعالى فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية أى وهم الحرث بن ربيعة وأبو قيس بن الفاكه وأبو قيس بن الوليد والعاص بن منبه وعلى بن أمية المذكور (وفى السيرة الهشامية) وذلك انهم كانوا أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حبسهم آباؤهم وعشيرتهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا أى رجعوا عن الاسلام ثم ساروا مع قومهم الى بدر فأصيبوا جميعا وسياقه كما ترى يقتضى انهم لم يرجعوا الى الكفر الا بعد الهجرة وسياق ما قبله ربما يقتضى انهم رجعوا الى الكفر قبل ان يهاجر

صلى الله عليه وسلم سنان بن سنان الاسدى وقيل انه أبو سنان أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنهما وأول ما بايعه رضى الله عنه قال أبايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقيل ان سلمة رضى الله عنه بايع ثلاث مرات اول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره صلى الله عليه وسلم فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا وذلك ليكون له فى ذلك فضيلة لانه اراد ان يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات وجاء ان عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما بايع مرتين (وقد قيل) فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الى قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا اصحابهم أى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم اصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش اربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز ابن حفص الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يصيبوا منهم احدا أو يجدوا منهم غرة اى غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس اصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم بسهم فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ولما علمت قريش بهذه

البيعة خافوا وأشار أهل الرأى منهم بالصلح على ان يرجع و يعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ومعه حويطب بن عبد العزى وقيل معه جمع منهم وقيل ان ارسال سهيل كان مرتين جاء و رجع اليهم ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما اقبل سهيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانيا وطالت المراجعة بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له لم تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة أى بالشدة والاكراه ولكن ذلك بالعام القابل ثم تم الامر على الصلح على ترك القتال وان يوضع الحرب بينهم عشر سنين وان يامن بعضهم بعضا وان يرجع عنهم عامهم هذا ويأتى فى العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة ايام وان لا يدخلوا الا بالسيوف فى قربها واشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم شروطا منها انه قال لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا وقيل هذا الشرط انما ذكر عند كتابة الكتاب كما سيأتى فلما تم الامر ولم يبق الا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فاتى أبا بكر رضى الله عنه فقال يا ابا بكر أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال اولسنا بمسلمين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية أى الخصلة المذمومة فى ديننا فقال ابو بكر رضى الله عنه يا عمر الزم غرزه أى ركابه وفى رواية قال له ايها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت فانى اشهد انه رسول الله فقال عمر وانا اشهد انه رسول الله ثم اتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ما قال لابى بكر فقال النبى صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن عوف وكان معى ادراع استلبتها أى فانا احملها فلما رآنى امية نادانى باسمى الاول يا عبد عمرو فلم اجبه لانه كان قال لى لما سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم قال الرحمن لا أعرفه ولكنى أسميك بعبد الاله كما تقدم فلما نادانى بعبد الاله قلت نعم أى وظاهر السياق يقتضى انه عرف انه المراد بذلك وانه ترك اجابته قصدا حيث جعله عبد الصنم ويحتمل وهو الاقرب انه لم يجبه لعدم معرفته انه المراد بذلك الاسم لكونه هجر بالمرة فلما ناداه امية بما ذكر عرفه وعرف انه المراد بذلك لما ذكر وعند ذلك قال له امية هل لك فى فانا خير لك من هذه الادراع التى معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدى وأخذت بيده و بيد ابنه على وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال لى يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره أى كانت فى درعه بحيال صدره قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل وقيل قائل ذلك ابنه ثم خرجت امشى بهما فوالله انى لاقودهما اذ رآه بلال معى وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على ان يترك الاسلام أى كما تقدم فقال بلال رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا فقلت أى بلال ا بأسيرى أى تفعل ذلك بهما قال لا نجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ باعلى صوته يا انصار الله راس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا وكرر ذلك فاحاطوا بنا فأصلت رجل السيف أى سله من غمده وذلك الرجل هو بلال فضرب رجل ابنه فوقع وصاح امية صيحة ما سمعت مثلها قط فضربوهما باسيافهم فهبروهما القول الذى فى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت ان يلحقونا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم اتونا حتى لحقونا وكان امية رجلا ثقيلا أى كما تقدم فقلت ابرك فالقيت نفسى عليه لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه فاصاب احدهم رجلى بسيفه اى ظهر قدمه وفى كلام ابن عبد البر قال ابن هشام قتل امية بن خلف معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف اشتركوا فيه قال ابن اسحق وابنه على قتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف هذا شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج بنت خارجة بعد ان توفى عنها ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو جد حبيب شيخ مالك رضى الله تعالى عنه والله اعلم (وكان عبد الرحمن بن عوف) يقول يرحم الله بلالا ذهبت ادراعى وفجعنى باسيرى أى وفى رواية لما كان يوم بدر حصل لى درعان واقبلى امية فقال خذنى وابنى فانا خير لك من الدرعين فالقيت الدرعين فاخذتهما فلما قتلا صار يقول يرحم الله بلالا

وسلم أنا عبد الله ورسوله وان اخالف امره وان يضيعنى الله ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اوس بن خولة رضى الله عنه وامره أن يكتب بينهم فقال له سهيل بن عمرو لا يكتب الا ابن عمك على او عثمان بن عفان رضى الله عنهما وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضى الله عنه على بعض الروايات فامر النبي صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا اعرف هذا اى الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم اى لان قريشا كانت تكتبها فقال المسلمون والله لا يكتبها وانما يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وضج المسلمون ثم اسكتهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولم نصدك عن البيت ولكن اكتب باسمك واسم ابيك وفى رواية لو اعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك أفترغب عن اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه امح رسول الله فقال على رضى الله عنه ما أنا بالذى امحوه وفى رواية والله لا أمحوك أبدا فقال أرنيه فاراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال أنا رسول الله وان كذبتمونى وأنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فجعل على رضى الله عنه يبكى ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وانت مقهور وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته فانه اشارة لما سيقع بين على ومعاوية رضى الله عنهما فانهما بعد حرب صفين وقعت بينهما المصالحة الى رأس الحول فلما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه امير المؤمنين على

بلا لا فلا درعى ولا اسيرى اى لانه صلى الله عليه وسلم جعل فى هذه الغزاة ان كل من اسر اسيرا فهو له كما تقدم ويأتى اى له فداؤه وهو يخالف ما عليه ائمتنا ان مال فداء الاسرى ورقابهم اذا استرقوا كسائر اموال الغنيمة الا ان يقال ذلك كان فى صدر الاسلام ترغيبا فى الجهاد ثم استقر الامر على ما قاله فقهاؤنا اى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال على كرم الله وجهه انا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى اجاب دعوتى فيه اى فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معاشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلاء فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى نوفل بن خويلد وفى كلام بعضهم ما يفيد ان قتل على كرم الله وجهه له كان بعد ان أسره جبار ابن صخر فقد جاء أن جبارا بينما هو يسوقه اذ رأى عليا فقال يا أخا الانصار من هذا واللات والعزى انه ليريدنى فقال هذا على بن ابى طالب فعمد له على كرم الله وجهه فقتله ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى جهل أن يلتمس فى القتلى وقال ان خفى عليكم اى بان قطع رأسه وازيل عن جثته انظروا الى اثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أسن منه اى اكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش اى خدش على احديهما فجحشا لم يزل أثره به اى ولعل هذا هو محمل قول بعضهم انه صلى الله عليه وسلم صارع ابا جهل فانه لم يصح انه صارعه ولعل هذا الاثر هو الذى عناه ابن مسعود رضى الله عنه بقوله لما قتلت أبا جهل لعنه الله وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت أبا جهل فقال لى عقيل وهو اسير عند النبى صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته فقلت له بل أنت الكذاب الآثم يا عدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت أن بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال صدقت وكان ابو جهل قد استفتح اى طلب الحكم على نفسه لانه لما دنا القوم بعضهم من بعض قال اللهم اقطعنا للرحم واتيانا بما لا نعرف فاحنه اى أهلكه الغداة اى زاد بعضهم اللهم من كان أحب اليك وارضى عندك وفى لفظ اللهم اولانا بالحق فانصره اليوم فانزل الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ○ أقول كون أبى جهل طالب الحكم على نفسه واضح لو سكت عن قوله واتيانا بما لا نعرف اذ هو نص فيه صلى الله عليه وسلم وفى تفسير سهل أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم انصر افضل الدينين عندك وارضاهما لك اى وفى رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث فنزل ان تستفتحوا يعنى تستنصروا فقد جاءكم الفتح وفى أسباب النزول للواحدى ان المشركين حين ارادوا

ابن ابي طالب معاوية بن أبي سفيان فقال عمرو بن العاص وكان أحد الحكمين وكان من جهة معاوية لاتكتب أمير المؤمنين وارسل معاوية ايضا رضى الله عنه لعمرو بن العاص يقول لاتكتب ان عليا امير المؤمنين لو كنت أعلم ان عليا امير المؤمنين ماقاتلته فبئس الرجل أنا ان اقررت أنه امير المؤمنين ثم أقاتله ولكن اكتب على بن ابي طالب وامح امير المؤمنين فقال اصحاب على رضى الله عنه لعلى يا امير المؤمنين لاتمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لاتعود اليك فلم يسمع منهم وقال للكاتب امحها ثم تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديبية ان لك مثلها تعطيها وانت مقهور فقال الله أكبر مثلا بمثل والله انى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك محمد بن عبد الله فقال له عمرو بن العاص رضى الله عنه سبحان الله أتشبه بالكفار ووقع بينهما نزاع في ذلك حتى تمت الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين وظهر صدق قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور ولما أبى على رضى الله عنه يوم الحديبية أن يكتب الا رسول الله وافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فاخذا بيد على رضى الله عنه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فالسيف بيننا وبينهم وضج المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لانعطى هذه الدنية فى ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومى بيده اليهم ان اسكتوا ثم امر عليا رضى الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل امر محمد بن مسلمة رضى الله عنه فيكتب والحق أن الذى كتبه محمد بنسخة أخرى مثل تلك الكتاب لان سهيلا قال يكون هذا الكتاب معى فكتب

صعبا

الخروج من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى الآية وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين والله اعلم قال معاذ بن عمرو بن الجموح رأيت أبا جهل وقد احاطوا به وهم يقولون ابو الحكم لايخلص اليه فلما سمعتها صمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه اى اسرعت قطعه فوالله ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى والمرضخة بالخاء المعجمة وبالمهملة وقيل الرضخ بالمعجمة كسر الرطب وبالمهملة كسر اليابس وضربنى ابنه اى عكرمة رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك على عاتقى فطارح يدى فتعلقت بجلدة من جسمى واجهضنى القتال اى شغلنى عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت عليها حتى طرحتها وفى رواية أنه جاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها اى والصقها فلصقت والى ذلك يشير الامام السبكى فى تائيته لكن قال ابن عفراء ولامنافاة لجواز أن يكون معاذ بن عمرو بن الجموح بن عفراء وسيأتى مايدل على ذلك بقوله

وبانت بها كف ابن عفراء فاشتكى * اليك فعادت بعد احسن عودة

الا أن قوله بها جمع لغزاة أحد وقد علمت أن ذلك انما هو يوم بدر واحتمال تكرر ذلك فى أحد وفى بدر لشخص واحد بعيد الا أن يثبت النقل بذلك ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق أى وماجاء فى بعض الروايات ضربه حتى برد بفتح الموحدة والراء والدال المهملة اى مات لاينافيه لانه يجوز أن يكون المراد صار فى حالة من مات بان صار الى حركة المذبوح ومن ثم جاء فى بعض الروايات حتى برك بالكاف بدل الدال اى سقط الى الارض اى الى جنبه والا فقطع قدمه مع نصف ساقه لايفضى غالبا أن يسقط الى جنبه ومعوذ هذا لازال يقاتل حتى قتل قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رأيت أبا جهل بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له هل اخزاك الله ياعدو الله قال وبم اخزانى اعار على رجل قتلتموه اى ليس بعار على رجل قتلتموه وفى رواية اعمد من رجل قتلتموه اى انا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم اى فلا عار على فى قتلكم اياى وجاء أنه قال لو غير أكار قتلنى والاكار الزراع يعنى الانصار لانهم كانوا اصحاب زرع اى لو كان الذى قتلنى غير فلاح لكان أحب الى واعظم لشأنى ولم يكن على فى ذلك نقص لقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى

صعبا اخبرنى لمن الدبرة اى النصرة والظفر اليوم زاد فى رواية لنا او علينا قلت لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحاح فى دبر بالباء الموحدة والدبرة الهزيمة فى القتال ومما يدل للاول ماتقدم من قول ابى جهل اخبرنى على من كانت الدبرة لنا او علينا وفى مغازى ابن عقبة التى قال فيها مالك رضى الله تعالى عنه مغازى موسى بن عقبة اصح المغازى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك فى وجهه ثم قال اللهم لاتعجزنى فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفى الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ماصنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد ولمسلم برك اى وهو المراد من الاول كما تقدم فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل الحديث واخذه بلحيته لا ينافى وضع رجله على رقبته لجواز أن يكون جمع بينهما قال ابن مسعود ثم احتززت رأسه وفى رواية رويت عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما ضربته بسيفى لم يغن شيأ فبصق فى وجهى وقال خذ سيفى فاحتز به رأسى من عرشى ليكون اهيب للرقبة والعرش عرق فى أصل الرقبة ففعلت كذلك ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذى لا اله غيره اى وردّدها ثلاثا وروى الطبرانى آلله قتلت أبا جهل بنصب الجلالة وهو بهذا اللفظ عندنا كناية يمين ومثل النصب الرفع والجر قال قلت نعم والله الذى لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى اى ويقال انه صلى الله عليه وسلم سجد خمس سجدات شكرا ويقال انه قال الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون ابى جهل بصق فى وجه ابن مسعود رضى الله عنه وقال له خذ سيفى الخ ينافى كونه وصل الى حركة المذبوح الآن يقال يجوز أن يكون فى أول الامر كان كذلك ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ماذكر فليتأمل مع ما يأتى قريبا وبهذا اى بحمل رأس ابى جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على الزهرى قوله لم يحمل الى النبى صلى الله عليه وسلم رأس قط ولا يوم بدر وحمل رأس لابى بكر رضى الله عنه فانكره ويجاب بان البيهقى رحمه الله قال ماروى من حمل رأس ابى جهل قد تكلم فى ثبوته وبتقدير صحته فهو من محل الى محل لا من بلد الى بلد اى من بلد الكفر الى دار الاسلام اى الذى انكره ابو بكر رضى الله عنه فانه أنكر نقل الرأس من بلد الكفر الى بلد الاسلام وقد جوزه من أئمتنا الماوردى والغزالى اذا

محمد بن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين وجاء فى بعض الروايات ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب وجرى على ذلك ابو الوليد الباجى المالكى فشنع عليه علماء الاندلس فى زمانه وقالوا ان هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بان هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك بان هذا النفى مقيد بما قبل ورود القرآن وقبل تحقق أميته أما بعد القرآن وبعد ان تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى ولا يخرج بذلك عن كونه أميا والجمهور على أن الروايات التى فيها الاخذ الكتاب بيده فكتب محمولة على المجاز اى أمر أن يكتب الكاتب وقوله بيده متعلق باخذ وليس متعلقا بقوله كتب قال العلماء وافقهم النبى صلى الله عليه وسلم على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم فى محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح التى اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليها وحجب المسلمين عنها حتى ضجوا وتشوشوا من ذلك ولم يكن أحد فى القوم راضيا بجميع مارضى به النبى صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبهذا يتبين علو مقامه ويمكن أن الله كشف لقلبه واطلعه على بعض تلك الاسرار التى ترتبت على ذلك الصلح كما أطلع على ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانه حقيق بذلك رضى الله عنه كيف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم والله ماصب الله فى قلبى شيأ الا وصببته فى قلب أبى بكر رضى الله عنه قال ابو بكر رضى الله عنه ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ربه والعباد يعجلون والله تعالى

لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد ولقد رأيت سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فانا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره صلى الله عليه وسلم ويجعل بعضه على عينيه واذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم اى ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم فحمدت الله الذى هداه للاسلام مع أنه لا مفسدة فى عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليهما مصلحة وانما المفسدة لو طلبوا أن يكتب مالا يحل ثم كتب على رضى الله عنه هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به واراد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اظهار ما تكلم به مع سهيل أولا ليطلع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد للمسلمين فى ذلك الصلح فقال سهيل والله لا نخلى بينك وبين البيت وتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب على رضى الله عنه ذلك فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل الارددته الينا وان كان على دينك ومن جاء قريشا ممن تبعك لم يردوه اليك وفى رواية لمسلم من حديث أنس رضى الله عنه أن قريشا صالحت النبي صلى الله عليه وسلم على أن من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم فانه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وفى رواية للبخارى وكان فيما اشترط سهيل على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الارددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا اى غضبوا وأنفوا منه فابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال

كان فى ذلك مكايدة للكفار وفى النور تحصلنا على جماعة حملت رؤسهم اليه صلى الله عليه وسلم ابو جهل وسفيان بن خالد وكعب بن الاشرف ومرحب اليهودى والاسود العنسى على ما روى وعصماء بنت مروان ورفاعة بن قيس اوقيس بن رفاعة أى ورأس عتبة بن ابى وقاص الذى كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشق شفته السفلى يوم احد كما سيأتى وفى وضع ابن مسعود رضى الله تعالى عنه رجله على عنق أبى جهل وقطع رأسه تصديق لتعبيره للرؤيا التى رآها لابى جهل وقال له ان صدقت رؤياى لاطأن رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة وفى رواية أن ابن مسعود رضى الله عنه وجده مقنعا فى الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة اى الخودة عن قفاه لان سابغة البيضة ما يغطى بها العنق ومن ثم يقال بيضة لها سابغ فضربه فوقع رأسه بين يديه وعن ابن مسعود كما فى المعجم الكبير للطبرانى انتهيت الى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعى سيف ردئ فجعلت أنقف رأسه واذكر نقفا كان ينقف رأسى بمكة فاخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست برويعينا بمكة فقتله ثم سلبه فلما نظر اليه اذ هو ليس به جراح وانما هى احدار أى أورام فى عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط اى آثار سود كنمشة النار أى ليس به جراح من جراح الآدميين داخل بدنه فلا ينافى ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ويجوز أن يكون ضرب ابن عفراء له حتى اثبته لم ينشأ عنه جراحة داخل بدنه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره به فقال ذاك ضرب الملائكة اى فان الملائكة عليهم السلام كانت لا تعلم كيف قتل الآدميين فعلمهم الله تعالى ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اى مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كنمشة النار ولا ينافى ذلك وصفه بالخضرة فى بعض الروايات لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه أسود وتلك الآثار فى الاعناق والبنان الظاهر ان ذلك يكون موجودا حتى بعد مفارقة الرأس او اليد ليستدل به على أن مفارقة الرأس او اليد من فعل الملائكة وينبغى أن يكون هذا اى ضربهم فوق الاعناق والبنان أكثر احوالهم فلا ينافى وجود اثر ضربهم فى الكتفين كما تقدم وفى الوجه والانف فعن بعض الصحابة رضى الله عنهم كنا ننظر الى المشرك امامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق فى وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك الموضع وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس وهو غير مناسب لما ذكرنا وروى عن سهل بن حنيف عن ابيه رضى الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك اى يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل أن

يصل

يصل اليه السيف و يمكن الجمع بين هذا وما قبله بان ضرب الملائكة فى لاعناق تارة ينصلها وتارة لا وفى الحالتين يرى أثر ذلك أسود فى العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة كما تقدم وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انتهيت الى ابى جهل يوم بدر وقد قطعت رجله وهو صريع وهو يذب الناس عنه بسيف له فقلت الحمد لله الذى اخزاك يا عدو الله قال هل هو الا رجل قتله قومه قال فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل فاصبت يده فبدر أى سقط سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته ثم خرجت حتى آتيت النبى صلى الله عليه وسلم كانما اقل من الارض اى احمل من شدة الفرح فاخبرته فقال الله الذى لا اله الا هو وفى لفظ تقدم لا اله غيره رددها ثلاثا وفى رواية عن ابن مسعود فاستحلفنى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ثم قال الحمد لله الذى اعز الاسلام واهله ثلاث مرات وخر ساجدا اى خمس سجدات شكرا كما تقدم وفى رواية صلى ركعتين قال ابن مسعود رضى الله عنه ثم انه صلى الله عليه وسلم خرج يمشى معى حتى قام عليه فقال الحمد لله الذى اخزاك يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة زاد فى لفظ ورأس قاعدة الكفر ونفلنى سيفه اى وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة ومع قصره كان أقصر من سيف ابن مسعود فلا منافاة اقول يجوز أن يكون المضى اليه بعد القاء الرأس بين يديه صلى الله عليه وسلم استعظاما لقتله اى وان ابن مسعود فى هذه الرواية سكت عن قطع رأسه والمجىء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مخالفة وقد قال له النبى صلى الله عليه وسلم يوما وقد اخذ بمجامع ثوبه أولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى اى وعيدا على وعيد فقال ما تستطيع انت ولا ربك بى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فانزل الله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى وقيل نزلت كالتى قبلها فى عدى بن ربيعة لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت هذا اليوم لم أصدقك او يجمع الله هذه العظام فانزل الله تعالى أيحسب الانسان الن نجمع عظامه الآيات والله اعلم وعن قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف الهيئة قتلته الملائكة وفى لفظ قتله ابن عفراء وقتلته الملائكة وقد ذففه اى اجهز عليه ابن مسعود وابن عفراء هذا يجوز أن يكون هو معاذ بن عمرو بن الجموح ويجوز أن يكون أخاه معاذ بن الحرث وكونه قتله لانه ازال منعته كما تقدم وفى مسلم عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف نظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بين غلامين

المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وكان ممن قال ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل بن حنيف رضى الله عنهم وفى رواية أن عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله أترضى بهذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا اى ورددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ومما كتب فى كتاب الصلح ما رواه البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما الا يدخل مكة بالسلاح الا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها باحد ان أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من اصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها وعند ابن اسحق على أن بيننا عيبة مكفوفة اى امورا مطوية فى صدور سليمة اشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من اسباب الحرب وغيرها وأنه لا اسلال ولا اغلال اى لا سرقة ولا خيانة والمراد أن يأمن بعضهم من بعض فى نفوسهم وأموالهم سرا وجهرا وقيل الاسلال من سل السيوف والاغلال من لبس الدروع وان من احب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا وأنه اذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيره وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفى رواية أربع سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض اه فان قيل ما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلا على هذه الشروط التى من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا ويرده اليهم فالجواب كما نقله النووى عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هى

ماظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم امور النبى صلى الله عليه وسلم كما هى ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين ٢٣٠ وجاؤا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا باهلهم واصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم احوال النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت انفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فاسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما وغيرهما وازداد الآخرون اى الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قدمهد لهم الميل وكانت العرب من غير قريش ينتظرون باسلامهم اسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأى ولانهم كانوا يقولون قوم الرجل اعلم به فلما أسلمت قريش اسلمت العرب قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا ففيه اشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على اعدائه وفتح مكة يدخل الناس فى دين الله جماعات وكان الامر كذلك فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الارض طائعين وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فالله ورسوله اعلم بالحكمة البالغة فان صد المسلمين عن البيت كان فى الظاهر هضما للمسلمين وفى الباطن عزا لهم وقوة فاذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لانفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون فلله الحمد والمنة على ما أنعم به.

من الانصار حديثة اسنانهما فغمزنى احدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام قلت نعم وما حاجتك به قال بلغنى أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده اى شخصى شخصه حتى يموت الاعجل منا اى الاقرب اجلا فغمزنى الآخر فقال مثلها فعجبت لذلك اى لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب اى البث أن نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس اى بالزاى يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما الا تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه اى اشرفا به على القتل فصيراه الى حركة مذبوح ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال كلا كما قتله وقضى بسلبه اى ماعدا سيفه لهما فلا ينافى ما سبق من اعطائه لابن مسعود رضى الله عنه وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ابن الحرث فهما اى معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن الحرث ابنا عفراء غاية الامر ان الاول اشتهر بابيه عمرو بن الجموح والثانى اشتهر بامه التى هى عفراء وقول الحافظ ابن حجر ان معاذ بن عمرو بن الجموح ليس اسم امه عفراء يجوز أن يكون مستند فى ذلك مقابلة ابن الجموح بابن عفراء فى كلامهم المقتضى ذلك لان يكون ابن الجموح ليس ابن عفراء ولا يشكل على ذلك ما فى النورنقلا عن الامام النووى أن عمرو بن الجموح وابنى عفراء اى معاذ ومعوذ اشتركوا فى قتل ابى جهل لان معاذ الثانى ابن الحرث فكل من عمرو بن الجموح والحرث تزوج عفراء وكل سمى ولده منها بمعاذ ويدل لذلك ما يأتى عن الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله ابنى عفراء اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ولما قيل له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة ولم يقل عمرو بن الجموح لكن رأيت بعضهم ذكر أن عفراء شهد لها بدرا سبع بنين ثلاثة من الحرث بن رفاعة وهم معوذ ومعاذ وعامر واربعة من بكر بن عبد ياليل وهم خالد وأساس وعاقل وعامر واستشهد منهم ببدر معاذ ومعوذ وعاقل هذا كلامه وذكر عامر فى الاول تقدم بدله ذكر عوف وهو واضح فقد تقدم أن عوف بن الحرث بن عفراء قال يا رسول الله ما يضحك الرب الخ ولم يذكر هذا البعض ان من اولادها معاذ بن عمرو بن الجموح وهو يؤيد ما تقدم عن الحافظ وعن الامام النووى فعليك بالتامل وقيل قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح أقول أى لكونه هو الذى ازال منعته فاستحق سلبه ولا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لهما

كلا كما

وتفضل وقال البخاري عند ذكر كتابة الشروط فبينما هم كذلك وقال ابن اسحق فان الصحيفة لتكتب اذ دخل ابو جندل واسمه العاص بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وكان قد اسلم بمكة قبل ذلك رضي الله عنه فحبسه ابوه ومنعه من الهجرة واوثقه بالقيود فحين سمع بان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالحديبية احتال على نفسه حتى خرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ففرح به المسلمون وتلقوه فقام سهيل بن عمرو الى ابنه ابي جندل حين رآه فضرب وجهه ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وتلببه اي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبض عليه نحره وقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك اي اول شيء أحاكمك عليه أن ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد اي لم نفرغ من كتابته فقال سهيل والله اذا لا اصالحك على شيء ابدا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل فقال مكرز وحويطب بلى قد اجزناه لك فاخذاه وأدخلاه فسطاطا وكفا اباه عنه فابى سهيل بن عمرو اجازتهما وقيل انما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه فكان ذلك من فجور مكرز الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال ذلك نفاقا وفي باطنه خلافه قال ابن اسحق ثم قال سهيل يا محمد قد لجت القضية اي وجبت وتمت بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره ويتلببه ويجره ليرده الى قريش فلما رأى ابو جندل أباه مصمما على اخذه قال اي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي رواية جعل ابو جندل يصرخ باعلى صوته يا معشر المسلمين ارد الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك على ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه

كلا كما قتله لجواز أن يكون أتى بذلك ملاطفة للثاني وترغيبا له في الجهاد لان له مشاركة ما في قتله لانه زاد في اثخانه الى أن صيره الى آخر رمق ويرده كونه صلى الله عليه وسلم أشركهما في سلبه ومن ثم قال فقهاؤنا يعطى السلب لمن أثخن دون من قتل اي بعد ذلك فقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلب أبي جهل لمثخنه ابني عفراء دون قاتله ابن مسعود لكن هذا القيل قال به بعض آخر من فقهائنا وهو الموافق لما في البخاري في كتاب فرض الخمس معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء قتلا أبا جهل ثم تنازعا فيه وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى السيفين فرأى فيهما أثر الدم فقال كلا كما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح قال الاصحاب لانه أثخنه والآخر جرحه بعده وقوله كلا كما قتله تطييب لقلب الآخر هذا كلامه فليتأمل فان الذي أظنه أن كونه رأى أثر الدم في سيفيهما غلط من الراوي لان ذلك كان في قتل ابن الاشرف ويؤيد الغلط ما تقدم عن ابن مسعود أنه لم ير فيه اثر جراح داخل بدنه وفي الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله ابني عفراء فانهما قد اشتركا في قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر فقيل يا رسول الله ومن قتله معهما قال الملائكة وذففه ابن مسعود وهذا السؤال يقتضي أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم انهما قد اشتركا في قتل فرعون هذه الامة ان غيرهما شاركهما في ذلك فليتأمل وفي شرح الروض وهو من أجل كتبنا ان عبد الله بن رواحة وابني عفراء تقاتلا مع ابي جهل مبارزة وأنه صلى الله عليه وسلم علم ذلك وأقره وجعلوا ذلك دليلا على اباحة مبارزة القوي لكافر لم يطلب المبارزة اي واما ما تقدم من امره صلى الله عليه وسلم لحمزة وعلي وعبيدة بن الحرث بمبارزة عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة فذلك الكافر طالب المبارزة فقد تقدم أن عتبة خرج بين اخيه شيبة وولده الوليد حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة وأنه خرج اليه فتية من الانصار ثلاثة اخوة أشقاء وهم معاذ ومعوذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فلم يرضوا بمبارزتهم فعند ذلك أمر صلى الله عليه وسلم من ذكر بمبارزتهم وعندي ان ما ذكره في شرح الروض من مبارزة عبد الله ابن رواحة وابني عفراء لابي جهل ذكر أبي جهل اشتباه وانما هو لهؤلاء الثلاثة ولم تقع منهم مقاتلة وكيف يبارز ثلاثة واحدا فليتأمل وجاء في الحديث ان الله قتل فرعون هذه الامة أبا جهل فالحمد لله الذي صدق وعده ونصر دينه والله اعلم وكان على الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها الى ظهورهم اي الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء اي وقيل حمراء قال بعضهم كان بعضهم بعمائم خضر وبعضهم بعمائم صفر وبعضهم بعمائم حمر

وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتى وقد تلطفت بابيك فابى وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى جنب ابى جندل يقول له اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم الكلب ويدنى له السيف قال عمر رضى الله عنه رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به اباه وجعل يقول ان الرجل يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم فى الله فقال له ابو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال ابو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم منى ولعل عمر رضى الله عنه ظن جواز قتل ابى جندل لابيه لكونه أراد ان يفتنه عن دينه وان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل اصبر واحتسب ثم رجع ابو جندل رضى الله عنه مكة فى جوار مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى فأدخلاه مكة وكفا عنه اباه وسيأتى فى آخر القصة ان ابا جندل فى مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة من المستضعفين وانهم انضموا الى ابى بصير وقطعوا الطريق على قريش حتى كتبت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام أن يأويهم عنده كما سيأتى ثم ان سهيل بن عمرو له ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديما اسرا وخرج مع المشركين يوم بدر فلما وصلوا بدرا أخرج من بينهم ودخل فى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا والمشاهد كلها واما ابو جندل فاسمه العاص كما تقدم كذا واول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشا ارسلت عثمان بن عفان رضى الله عنه وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع فى المواهب ما يقتضى ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذى ذهب به

اى وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود فلا منافاة وذكر ان عمامة جبريل عليه السلام يوم اغرق فرعون كانت سوداء قال وفى رواية سيماهم عمائم سود وعند ابن مسعود رضى الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد ارخوها بين اكتافهم خضر وصفر وحمر اه اى وبيض وسود وفى كلام بعضهم نزلت الملائكة يوم بدر بعمائم صفر ورواية بيض وسود ضعيفة وفى كلام ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء من نور اى وكانوا يوم أحد بعمائم حمر ويوم حنين كذلك وفى الجامع الصغير كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم احد عمائم حمر وما ذكر لا ينافى ما قيل سيماهم يوم بدر عمائم صفر قد أرخوها بين اكتافهم وما جاء كان على الزبير رضى الله عنه يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة على سيما أبى عبد الله يعنى الزبير رضى الله عنه لجواز أن يكون أكثرهم كان بعمائم صفر وقد ذكر ان الزبير رضى الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح فى ظهره وعاتقه وقد سئل الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى عن قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ما السمة التى كانت عليهم فاجاب بان ابن أبى حاتم ذكر فى تفسيره باسانيد عن على كرم الله وجهه انها الصوف الابيض فى نواصى خيولهم واذنابها وعن مكحول وغيره أنها العمائم وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها كانت عمائم بيض قد ارسلوها الى ظهورهم وفى سنده رجل ضعيف وعنه ايضا عمائم سود وفى سنده متروك ثم قال ورواية البيض والسود ضعيفة هذا كلامه اى وعلى تقدير صحتها يجاب بما قدمنا وكان شعار الانصار اى علامتهم التى يتعارفون بها فى ذلك اذا جاء الليل او وقع اختلاط احد احد اى وشعار المهاجرين يومئذ يا بنى عبد الرحمن أى وعن زيد بن على قال كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم اى المهاجرين او هو حتى لا يشتبه بغيره يا منصور أمت ويقال احد احد وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس يا بنى عبيد الله وعن ابن سعد يقال كان شعار الجميع يومئذ يا منصور أمت اى وقد يقال لا منافاة بين هذه الرواية وما قبلها من الروايات لان المراد بالجميع المجموع لكن يحتاج الى الجمع بين تلك الروايات السابقة على تقدير صحتها وكانت خيل الملائكة بلقا وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان سيما الملائكة أى سيما خيلهم يوم بدر الصوف الابيض اى وفى لفظ بالعهن الاحمر فى نواصى الخيل واذنابها اى ولا منافاة لجواز أن يكون بعضهم كذا وبعضهم

كذا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم سوموا خيلكم فان الملائكة قد سومت فهو أول يوم وضع فيه الصوف اى فى نواصى الخيل وأذنابها ولم أقف على لون الصوف الذى وضع فى ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال اقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة اى الغلبة فننهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه اى غشاؤه فمات مكانه واما انا فكدت أهلك ثم تماسكت واقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بالميم وربما قيل بالنون اسم فرس جبريل ولعلها هى الحياة واحدهما اسم لها والآخر لقب وقيل لها الحياة لانه اما مسها شئ الاصار حيا وهى التى قبض من أثرها اى من تراب حافرها السامرى نسبة الى سامر قرية او طائفة ما القاه فى العجل الذى صاغه من حلى القبط فكان له خوار اى صوت فكان اذا خار سجدوا واذا سكت رفعوا قال فى النهر الظاهر أنه قامت به الحياة وقيل لما صنعه السامرى أجوف تحيل لتصويته بان جعل فى تجويفه أنابيب على شكل مخصوص وجعله فى مهب الرياح فتدخل فى تلك الانابيب فيظهر له صوت يشبه الخوار وفى كلام بعضهم فرس جبريل التى هى حيزوم كان صهيله التسبيح والتقديس واذا نزل عليها جبريل عليه السلام علمت الملائكة أن نزوله للرحمة واذا نزل منشور الاجنحة علمت أن نزوله للعذاب اى وحينئذ فنزول جبريل عليه السلام عليها يوم بدر كان لرحمة المسلمين وان كان عذابا على الكافرين ويكون نزوله لا عليها بل منشور الاجنحة اذا كان لمحض العذاب ويحتمل أن يكون حيزوم غير فرس الحياة واليه ذهب السهيلى رحمه الله فقال والحياة ايضا فرس لجبريل عليه السلام قال الحافظ ابن حجر ومن الاخبار الواهية أن الموت كبش لا يجد ريحه شئ الامات والحياة فرس بلقاء أنثى اى خطوتها كما فى العرائس مد البصر وهى التى كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام يركبونها اى كلهم كما فى العرائس لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الاحيى هذا وفى أثر مرسل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من القائل يوم بدر من الملائكة اقدم حيزوم فقال جبريل عليه السلام يا محمد ما كل أهل السماء اعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام اى وفيه أنه لا يبعد أن يقول احد من الملائكة لفرس جبريل أقدم حيزوم ولا يعرف ذلك القائل وكان الحافظ ابن كثير رحمه الله فهم من قوله صلى

عثمان كان متضمنا الصلح الذى وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو فحبست قريش عثمان رضى الله عنه فحبس صلى الله عليه وسلم سهيلا قال الحلبى ولا يخفى ما فيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح اشهد عليه رجالا من المسلمين وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وابو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم ومن المشركين حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص وما تم هذا الصلح الا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبى صلى الله عليه وسلم ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط لاسيما عمر رضى الله عنه فانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيرا كما تقدم ومن مراجعته انه قال له ألست نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قال فلم نعطى الدنية اى الحالة الدنية الخسيسة فى ديننا اذا ونرجع ولم يحكم الله بيننا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى قلت اوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به اى للرؤيا التى رآها قال بلى افاخبرتك انا نأتيه هذا العام قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به اى وكذلك الصحابة رضى الله عنهم لانه كان صلى الله عليه وسلم اخبرهم بانه رأى انهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح

٣٠ حل نى دخلهم من ذلك امر عظيم حتى كادوا يهلكون وشق عليهم قال عمر رضى الله عنه لقد دخلنى امر عظيم وراجعت النبى صلى الله عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط حتى قال لى أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعلت أتعوذ بالله من

الشيطان الرجيم وروى البزار عن عمر رضى الله عنه اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى أردامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيى وماألوت عن الحق فرضى صلى الله عليه وسلم وابيت حتى قال يا عمر ترانى رضيت وتأبى وفى رواية قال يا ابن الخطاب انى رسول الله ولن يضيعنى الله فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء ابا بكر فقال يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا فقال أبو بكر أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه فاستمسك بغرزه اى ركابه اى لا تفارقه فوالله انه على الحق قال قلت اوليس كان يحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى افاخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فاجابه بمثل ماأجابه النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان هذه الرواية مصرحة بان اتيانه لابى بكر كان بعد اتيانه للنبى صلى الله عليه وسلم وتقدمت رواية صحيحة بان ذلك كان قبل اتيانه صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان تلك المراجعة تكررت بجاء لابى بكر وراجعه قبل وبعد ودل جواب ابى بكر الموافق لجواب النبى صلى الله عليه وسلم على ان ابا بكر رضى الله عنه أكمل الصحابة علما واعرفهم باحوال النبى صلى الله عليه وسلم واعلمهم بامور الدين واشدهم موافقة لأمر الله تعالى فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته فى كل ذلك على غيره وقد جاء فى بعض الروايات ان المسلمين استنكروا الصلح المذكور وكانوا على رأى عمر رضى الله عنه وعنهم فلم يوافقهم ابو بكر رضى الله عنه بل كان قلبه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ومر فى الهجرة ان ابن الدغنة وصفه بمثل ماوصفت به خديجة النبى صلى الله عليه وسلم سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق وغير ذلك

الله

الله عليه وسلم من القائل الخ أن ذلك الفرس لذلك القائل ثم ان كان هذا الاثر وقع بعد الرواية التى تلى هذه وهى جاءت سحابة الخ اوان ذلك الاثر سقط منه لفظة لفرسه والاصل من القائل يوم بدر من الملائكة لفرسه اتجه مافهمه ابن كثير رحمه الله فليتأمل قال وفى رواية جاءت سحابة فسمعنا اصوات الرجال والسلاح وسمعنا رجلا يقول لفرسه اقدم حيزوم فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة أخرى نزل منها رجال كانوا على ميسرته فاذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمى وأما أنا فتماسكت واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم واسلمت ومن ثم ذكر فى الصحابة وفى النور هذا الرجل مذكور فى الصحابة وليس فى الحديث أى الرواية الاولى مايدل على اسلامه الا أن تحديثه لابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذه المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم يشعر باسلامه هذا كلامه وفيه أن قوله ونحن مشركان يدل على أنه كان مسلما عند تحديثه لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الغمام الذى ظلل بنى اسرائيل فى التيه هو الذى يأتى الله تعالى فيه يوم القيامة وهو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر أى وعن على رضى الله تعالى عنه هبت ريح شديدة مارأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت اخرى كذلك ثم جاءت اخرى كذلك فكانت الاولى جبريل نزل فى الف من الملائكة اى لعلها امامه أخذا من قوله وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل نزل فى الف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك سكوت عن الرابعة اى زاد فى الامتاع وكان اسرافيل صلى الله عليه وسلم وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة وظاهر هذا ان كلا من جبريل وميكائيل قاتل وتقدم أنهم فى هذه الغزاة التى هى غزاة بدر قيل لم يمدوا الا بالف من الملائكة ورواية ألفين ضعيفة جاءت عن على رضى الله تعالى عنه فتكون هذه الرواية التى جاءت عن على ايضا كذلك ولا نظر لما تقدم عن بعضهم أن امدادهم يوم بدر بثلاثة آلاف اولا وأنهم وعدوا أن يمدوا بخمسة آلاف ان ثبتوا وصبروا وهو ماعليه الاكثر لما علمت أن ذلك انما كان فى احد وسيأتى ذلك مع زيادة قال بعضهم ولم تقاتل الملائكة الا فى يوم بدر اى وفى غيره يكونون مددا من غير مقاتلة وسيأتى أنهم قاتلوا يوم احد ويوم حنين ففى مسلم عن سعد بن ابى وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض مارأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان كاشد القتال قال الامام النووى رحمه

فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء والخلافة فدرا ابي بكر وسعة علمه عند عمر رضى الله عنه لم يراجع عمر فى ذلك أحد ابعده صلى الله عليه وسلم او قبله غير الصديق وانما سأله بعد سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم لشدة ما حصل لعمر رضى الله عنه من الغيظ ولقوته فى نصر الدين واذلال الكافرين قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضى الله عنه وكلامه

شكا فى الدين حاشاه رضى الله عنه ففى رواية ابن اسحق أنه لما قال له الزم غرزه فانه رسول الله قال عمر وأنا اشهد أنه رسول الله بل كان سؤاله طلبا لكشف ما خفى عليه من المصلحة وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف فى خلقه وقوته فى نصر الدين واذلال المبطلين ففى ذلك دليل على جواز البحث فى العلم حتى يظهر المعنى وفى البخارى قال عمر رضى الله عنه فعملت لذلك اعمالا وفى ابن اسحق فما زلت اتصدق واصوم واصلى واعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أن يكون خيرا وعند الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما لقد اعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا وانما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة بامتثال الامر وان كان معذورا فى جميع ما صدر منه بل مأجورا لانه مجتهد وانما توقف لتظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح والاشهاد وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب قام صلى الله عليه وسلم الى هديه فنحره ومن جملته جمل كان لابى جهل نجيب مهرى غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له صلى الله عليه وسلم وكان يضرب فى لقاحه صلى الله عليه وسلم وفى رأسه برة اى حلقة من فضة وقيل من ذهب وانما ادخله صلى الله عليه وسلم فى الهدى ليكون فى ذبحه اغاظة للمشركين وكان قد فر هذا الجمل من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار ابى جهل وخرج فى اثره عمرو بن

الله فيه أن قتال الملائكة لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فان هذا صريح فى الرد عليه أقول يمكن الجمع بان المختص ببدر قتال الملائكة عنه وعن اصحابه وفى غيره كان عنه صلى الله عليه وسلم خاصة فلا منافاة ثم رأيتنى ذكرت هذا الجمع فى غزوة احد عن البيهقى وتعقبته بما جاء أن الملائكة قاتلت فى ذلك اليوم عن عبد الرحمن ابن عوف وعلى تسليم ورود ذلك فيه أنهم لو قاتلوا يوم احد لظهر أثر قتلهم كما ظهر فى يوم بدر وقد يقال مرادهم بالمقاتلة يوم أحد المدافعة من غير أن يوقعوا فعلا وفى يوم بدر المراد بالمقاتلة ايقاع الفعل والله اعلم وانكسر سيف عكاشة بتشديد الكاف اكثر من تخفيفها ابن محصن وهو يقاتل به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب اى أصلا من اصول الحطب وقال له قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به رضى الله عنه حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وعكاشة مأخوذ من عكش على القوم اذا حمل عليهم والعكاشة العنكبوت وسيأتى مثل ذلك فى احد لعبد الله بن جحش وانكسر سيف سلمة بن اسلم رضى الله عنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان فى يده اى عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده قال وعن خبيب بن عبد الرحمن قال ضرب خبيب جدى يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق وعن رفاعة بن مالك رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عينى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لى فما آذانى منها شئ اه ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم التى اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وجودها فعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر ويقول هذا مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة وهذا مصرع امية بن خلف وهذا مصرع أبى جهل بن هشام وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى اى ويضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على الارض فما تنحى احدهم عن موضع يده كما تقدم عن أنس وتقدم عنه أن ذلك كان ليلة بدر بعد أن وصل الى محل الوقعة اذ لا يتصور وضع يده على الارض الا اذا كان بمحل الوقعة وبه يعلم ما ذكره بعضهم أن اخباره صلى الله عليه وسلم بمصارع القوم تكرر منه مرتين قبل

عنة الانصارى وابى سفيان بمكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة نياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انا سميناه فى الهدى فعلنا وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له فعرضوا ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فابى وقال لو لم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة فردوه اليه فنحره وفرق لحمه ولحم بقية الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعد فراغهم من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات فلم يقم منهم احد فدخل على أم سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت ماشأنك يارسول الله فذكر لها مالقى من الناس وقال لها هلك المسلمون امرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفى لفظ قال عجبا يا أم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى فقالت يارسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم امر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى امر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم اشارت اليه أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل ذلك اى اخذ الحربة وقصد هديه واهوى بالحربة الى البدنة رافعا صوته بسم الله والله اكبر ثم دخل قبة له من أدم ودعا بخراش الخزاعى فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فاخذه الناس وتحاصوه واخذت أم عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه صلى الله عليه وسلم التى نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قاموا ونحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى

الوقعة يوم اواكثر ويوم الوقعة هذا كلامه الا أن يقال قوله يوم الوقعة هو بناء على أنه صلى الله عليه وسلم وصل بدرا فى النهار والقول بان ذلك كان ليلا بناء على أنه وصل بدرا ليلا ومعلوم انه انما وضع يده فى محل الوقعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا فطرحوا فى القليب الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتزايل اى تقطعت اوصاله فاقروه والقوا عليه ماغيبه من التراب والحجارة وهذا دليل على أن الحربى لا يجب دفنه وبه قال ائمتنا بل قالوا يجوز اغراء الكلاب على جيفته وفى سنن الدارقطنى كان من سنته صلى الله عليه وسلم فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان امر بدفنه لا يسأل عنه مؤمنا كان او كافرا اى ولكثرة جيف الكفار كره صلى الله عليه وسلم ان يشق على اصحابه ان يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر وكان الحافر لهذا القليب رجل من بنى النجار فكان فألا مقدما لهم ذكره السهيلى ولما ألقى عتبة والد ابى حذيفة رضى الله تعالى عنه فى القليب تغير وجه ابى حذيفة ففطن بفتح الطاء له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك دخلك من شأن ابيك شئ فقال لا والله ولكنى كنت اعرف من ابى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه احزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا اقول وذكر فقهاؤنا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى اباحذيفة عن قتل ابيه فى هذه الغزاة وقد اراد ذلك والله اعلم ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القليب اى قبل بعد ثلاثة ايام من القائهم فى القليب وذلك ليلا اى وفى الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان اليوم الثالث امر صلى الله عليه وسلم براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه حتى قام على شفة الركى اى وهو القليب وجعل يقول يافلان ابن فلان ويافلان ابن فلان هل وجدتم ماوعد الله ورسوله حقا فانى وجدت ماوعدنى الله حقا وجاء فى بعض الطرق نداؤهم باسمائهم فقال ياعتبة بن ربيعة وياشيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام وهذا يقتضى انه فى تلك الرواية نطق بلفظ يافلان ابن فلان ولا يخفى بعده فليتأمل واعترض بان امية بن خلف لم يكن من اهل القليب لما علمته واجيب بانه كان قريبا من القليب بئس عشيرة النبى كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس واخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا ارواح فيها وفى رواية اجسادا قد اجيفوا وفى لفظ قد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم

ما انتم

ما انتم باسمع وفى رواية لاسمع لما أقول منهم وفى رواية لقد سمعوا ما قلت غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا شيأ وعن قتادة رضى الله عنه احياهم الله تعالى حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم وتصغيرا ونقمة وحسرة اقول والمراد باحيائهم شدة تعلق ارواحهم باجسادهم حتى صاروا كالاحياء فى الدنيا للغرض المذكور لان الروح بعد مفارقة جسدها يصير لها تعلق به او بما يبقى منه ولو عجب الذنب فانه لا يفنى وان اضمحل الجسم باكل التراب او باكل السباع او الطير او النار وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه اذا سلم عليه كما ثبت فى الاحاديث والغالب ان هذا التعلق لا يصير الميت به حيا كحياته فى الدنيا بل يصير كالمتوسط بين الحى والميت الذى لا تعلق لروحه بجسده وقد يقوى حتى يصير كالحى فى الدنيا ولعله مع ذلك لا يكون فيه القدرة على الافعال الاختيارية فلا يخالف ما حكى عن السعد اتفقوا على انه تعالى لم يخلق فى الميت القدرة والافعال الاختيارية هذا كلامه والكلام فى غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء رضى الله عنهم اى شهداء المعركة أما هما فتعلق ارواحهم باجسادهم تصير به اجسادهم حية كحياتها فى الدنيا ويكون لهم القدرة والافعال الاختيارية فقد روى البيهقى رحمه الله فى الجزء الذى الفه فى حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى قبورهم عن انس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الانبياء احياء فى قبورهم يصلون وجاء ان على بعد موتى كعلى فى الحياة وروى ابو يعلى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لينزلن عيسى بن مريم عليه السلام ثم ان قام على قبرى وقال يا محمد لاجبته ومن ثم قال الامام السبكى حياة الانبياء والشهداء كحياتهم فى الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام فى قبره فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذا الصفات المذكورة فى الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب واما الادراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى هذا كلامه وسائر الموتى شامل للكفار اى واكل الشهداء وشربهم فى البرزخ لا عن احتياج بل لمجرد الاكرام وكون الشهداء اختصوا بذلك دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا مانع منه لان المفضول قد يختص بما لا يوجد فى الفاضل ألا ترى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام شرعت الصلاة عليهم وجوبا وحرمت على الشهداء وبهذا يرد قول بعضهم فى الاستدلال على حياة الانبياء بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند

كان بعضهم يقتل بعضا للازدحام وارادة التعجيل اقتداء به صلى الله عليه وسلم وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهى فى الحرم فى قول مالك رضى الله عنه وبعضها فى الحل وبعضها فى الحرم فى قول الشافعى رضى الله عنه وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالهدى فساقه المسلمون الى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه فامر صلى الله عليه وسلم بنحره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت حنت كما تحن الى اولادها فنحر صلى الله عليه وسلم بدنه حيث حبسوه وهى الحديبية والمراد نحر أكثره فلا ينافى ما رواه ابن سعد عن جابر رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هديه بعشرين بدنة تنحر عنه عند المروة مع رجل من اسلم وبعث الله ريحا فحملت شعورهم فألقتها فى الحرم جبرا لهم فى صدهم عن البيت فاستبشروا بقبول عمرتهم قال الزرقانى ولعل المراد غير شعره صلى الله عليه وسلم اى لانه اخذه المسلمون كما تقدم ويحتمل انهم أخذوا أكثره وألقت الريح باقيه فى الحرم وحلق رجال وقصر آخرون فقال صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين وفى رواية وقال فى الرابعة والمقصرين وانما توقف الصحابة رضى الله عنهم بعد الامر لاحتمال أنه للندب اولرجاء نزول الوحى بابطال الصلح اوتخصيصه بمن أذن لهم فى دخول مكة ذلك العام لاتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لانه زمان وقوع النسخ ويحتمل أن صورة الحال أبهتتهم فاستغرقوا فى الفكر لما لحقهم من الذل عند انفسهم مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم بالغلبة أو لان الامر المطلق لا يقتضى الفور ويحتمل مجموع هذه الامور لمجموعهم او فهموا انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل اخذا بالرخصة فى حقهم وأنه هو يستمر على الاحرام اخذا بالعزيمة فى حق نفسه

فاشارت اليه أم سلمة بالتحلل ليقتدي هذا الاحتمال ففعله فلما رأوه بادروا الى فعل ما امرهم به اذ لم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ما وقع لهم في غزوة الفتح من امره لهم بالفطر في رمضان فأبوا حتى شرب فشربوا وفي قوله أم سلمة رضي الله عنها فضيلة امر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة وفضل ام سلمة رضي الله عنها ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأي فاصابت الا أم سلمة قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب في امر موسى عليهما الصلاة والسلام اي حين قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وفي قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض واخرج مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وروى احمد باسناد حسن عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما كنا بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم لا توقدوا نارا بليل فلما كان بعد ذلك قال أوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم وفي مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد من اصحاب الشجرة وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضي الله عنه أنه لم يحضر هذه البيعة كما أنه لم يحضر غزوة بدر وأجيب بان هذه البيعة انما كانت لاجله لما أشاع موته وغيبته انما هي لامتثاله أمر الله ورسوله وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه عن عثمان وضرب بيده على الاخرى ولما رجع بايع كما تقدم فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأما

ربهم يرزقون والانبياء اولى بذلك لانهم اجل واعظم ومامن نبي الا وقد جمع بين النبوة ووصف الشهادة فيدخلون في عموم لفظ الآية ولانه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته لم ازل اجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهري من ذلك السم فثبت كونه صلى الله عليه وسلم حيا في قبره بنص القرآن اما من عموم اللفظ او من مفهوم الموافقة ووجه رده أن الاولوية قد تمنع بل اصل القياس لما علمت أنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وان جمعوا بين النبوة والشهادة الا أن المراد في الآية شهداء المعركة لا مطلق الشهادة اذ شهادة المعركة لم تحصل لاحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم لا يخفى أن الذي ثبت حياة الانبياء وصلاتهم في قبورهم وحجهم واما صومهم واكلهم وشربهم في ذلك فلم اقف على ما يدل على ذلك في شيء من الاحاديث والآثار وقياسهم في ذلك على الشهداء علمت انه قد يمنع لما انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل والذي يدل على أنهم يحجون ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال اي واد هذا فقالوا وادي الازرق فقال صلى الله عليه وسلم كأني انظر الى موسى عليه الصلاة والسلام واضعا اصبعيه في اذنيه له جؤار الى الله تعالى بالتلبية مارا بهذا الوادي ثم سرنا حتى اتينا على ثنية فقال صلى الله عليه وسلم كأني انظر الى يونس عليه الصلاة والسلام على ناقة حمراء عليه جبة صوف مارا بهذا الوادي ملبيا وقد جاء في موسى عليه السلام انه كان على بعير وفي رواية على ثور ولا منافاة لجواز ان يكون تكرر حجه او ركب البعير مرة والثور اخرى ولا يخفى ان رزق الشهداء يصدق على الجماع لانه مما يتلذذ به كالاكل والشرب ثم رأيت سيدي أبا المواهب الشاذلي رحمه الله ونفعنا ببركاته قال في كتابه المسمى بعنوان اهل السر المصون في كشف عورات اهل المجون واخبر سبحانه عن الشهداء أنهم احياء عند ربهم يرزقون وحمله اهل العلم على الحقيقة أنهم يأكلون ويشربون وينكحون حقيقة وقال غيرهم هذا اي أن الاكل والشرب والنكاح عبارة عن لذة تحصل لهم كاللذة الناشئة عن الاكل والشرب والنكاح صرف الآية عن ظاهرها من غير ضرورة تلجئ الى ذلك ثم قاس الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الشهداء في ذلك لما تقدم من انهم اجل واعظم ومامن نبي الا وقد جمع بين النبوة والشهادة وقد علمت جواب من منع القياس ثم رأيت عن افتاء شيخنا الشمس الرملي الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والشهداء رضي الله عنهم يأكلون في قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون

عدم حضوره غزوة بدر فكان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لاجل تمريض ابنته رقية رضى الله عنها وقد عده صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وضرب له بسهمه معهم فهو معدود من البدريين فاخراجه غلط ظاهر ودل قوله لايدخل النار أحد من اصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة وأما قولهم العشرة المبشرون بالجنة فالمراد انهم ذكروا باسمائهم في حديث واحد حيث قال أبو بكر في الجنة الى آخرهم قال ابن عبد البر ليس في الغزوات مايعدل بدرا او يقرب منها الا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان قال الزرقاني لكن قال غيره الراجح تقديم احد على الحديبية وأنها التي تلي غزوة بدر في الفضل وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما وقال بعضهم كانت مدة غزوته هذه كلها شهرا ونصفا ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي نفوس أصحابه رضى الله عنهم شئ من عدم الفتح الذي كانوا لايشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم وقال ابن اسحق نزلت وهو بضجنان بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل على بريد من مكة وفي البخاري عن عمر رضى الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورة هي أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واختلف الناس في المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضى الله عنهم الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح قال الحافظ ابن حجر ان الفتح في اللغة فتح المغلق والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وكان من اسباب فتحه صد المسلمين عن البيت فكانت الصورة الظاهرية ضيما للمسلمين والباطنة عزا لهم فان الناس للامن الذي وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وكانوا

ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون فقيل نعم وقيل لا وانهم يثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم ولا تكليف عليهم في ذلك لانقطاع التكليف بالموت بل من قبيل التكرمة ورفع الدرجات هذا كلامه ولعل مستنده في اثبات ماعدا الصلاة والحج للانبياء قياسهم على الشهداء وقد علمت مافيه واثبات الخلاف الذي ذكره شيخنا في نكاح الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ادري هل هو خلاف اهل عصره او من تقدمهم على ان اثبات النكاح للانبياء عليهم الصلاة والسلام ربما يبعده ماذكروه في حكمة قوله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم النساء والطيب حيث لم يقل من دنياى ولا من الدنيا فانه أشار بهذه الاضافة الى أن النساء والطيب من دنيا الناس لانهم يقصدونهما للاستلذاذ وحظوظ النفس وهو عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك وانما حبب اليه النساء لينقلن عنه محاسنه ومعجزاته الباطنة والاحكام السرية التي لايطلع عليها غالبا غيرهن وغير ذلك من الفوائد الدينية وحبب اليه الطيب لانه للملائكة لانهم يحبونه ويكرهون الريح الخبيث لان حقيقة الاكرام أن يحصل له في البرزخ ما كان يلتذ به في الدنيا ليكون حاله فيه كحاله في الدنيا وفيه أن الحكمة المذكورة لاتناسب قوله صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع وعد منها كثرة الجماع وهم كغيرهم في هذا التعلق متفاوتون بحسب مقاماتهم وانه يعبر عن قوة هذا التعلق بعود الحياة ومنه ماذكر عن قتادة وبعود الروح ومنه قول بعضهم أرواح الانبياء والشهداء بعد خروجها من أجسادها تعود الى تلك الاجسام في القبر وأذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوى والسفلى ومن ثم قال ابن العربي رحمه الله تعالى رؤية المصطفى عليه الصلاة والسلام بصفته العلوية ادراك له على الحقيقة وعلى غير صفته العلوية ادراك للمثال ويعبر عنه بردها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم مامن أحد يسلم على الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام اى الاقوى تعلق روحى وذلك اكراما لهذا المسلم حيث لايرد عليه سلامه الا وقد قوى تعلق روحه الشريفة بجسده الشريف والروح بناء على أنها غير عرض مع كونها في مقاماتها لها تعلق بجسدها وبما بقي منه كما تقدم كالشمس في السماء الرابعة ولها تعلق بالارض وربما عبر عن ضعف هذا التعلق بصعودها وطلوعها وبناء على أنها عرض تزول ويعود مثلها وقد أوضحت ذلك في النفحة العلوية في الاجوبة الحلبية عن الاسئلة القروية وهي أسئلة سئلت عنها من بعض اهل القرى المصرية وذكرت أن هذا اولى مما طال به الجلال السيوطي من الاجوبة مع مافيها مما لايخفى ورأيت في حديث عن عمار بن ياسر رضى

قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفي اسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا أى حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر فيه بالماضي لتحقق وقوعه وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به مالا يخفى وقيل المعنى قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت وأصحابك قابلا من الفتاحة وهي الحكومة وفي الصحيح عن البراء رضي الله عنه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر يعني بالفتح قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد وقع فيه اختلاف قديم والتحقيق أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الامن ورفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى المدينة منهما وتتابع الامر الى أن كمل الفتح اى بفتح مكة واما قوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لانها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وروى الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصاري الاوسي رضي الله عنه قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وهو موضع امام عسفان وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل يا رسول الله أوفتح هو قال أى والذي نفسي بيده انه لفتح وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال تهنيك يا رسول الله فلما هناه جبريل هناه الناس وروى موسى

الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ما اعطاه سمع العباد كلهم وانه ما من احد يصلي على صلاة الا بلغنيها واني سألت ربي عز وجل أن لا يصلي علي احد صلاة الا صلى الله عليه بها عشرة أمثالها وذكر الحافظ الذهبي ان راوي هذا الحديث تفرد به متنا واسنادا والله اعلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها انكرت قوله صلى الله عليه وسلم لقد سمعوا ما قلت وقالت انما قال لقد علموا ان الذي كنت أقول حق وقالت انما أراد النبي صلى الله عليه وسلم اى بقوله في حق اهل القليب ما انتم باسمع منهم انهم الآن ليعلمون ان الذي أقول لهم هو الحق اى لا أنهم يسمعون ما أقول بحاسة سمعهم التي كانت موجودة في الدنيا ثم قرأت اى محتجة على ذلك قوله تعالى انك لا تسمع الموتى الآية وبقوله وما أنت بمسمع من في القبور ويجاب بأنه لا مانع من ابقاء السمع هنا على حقيقته لانه اذا قوي تعلق أرواح هؤلاء الكفار بأجسادهم بحيث صاروا أحياء كما انهم في الدنيا للغرض المذكور ولا مانع من سماعهم بحاسة سمعهم ابقاء لمحل تلك الحاسة منهم كما ان الجسد بذلك التعلق يقوى على الجلوس للسؤال في القبر والسماع المنفي في الآيتين بمعنى السماع النافع وقد اشار الى ذلك الجلال السيوطي رحمه الله بقوله نظما

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * جاءت به عندنا الآثار في الكتب
وآية النفي معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للادب

لانه تعالى شبه الكفار الاحياء بالاموات في القبور في انهم لا ينتفعون بالدعاء الى الاسلام النافع ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بشيرا لاهل العالية اى وهي محل قريب من المدينة على عدة أميال وزيد بن حارثة بشيرا لاهل السافلة نهارا على ناقته القصوى وقيل العضباء بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فجعل عبد الله بن رواحة ينادي في اهل العالية يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين واسرهم ونادى زيد بن حارثة في اهل السافلة بمثل ذلك اى ويقولان قتل فلان وفلان اى واسر فلان وفلان من اشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الاشرف يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما فاتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وانا عزى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وفي رواية من المكرمات دفن البنات ويعجبني قول الباخرزي رحمه الله تعالى

القبر

القبر أخفى سترة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وجاء عثمان رضي الله عنه من رقية هذه بولد يقال له عبد الله فاكتنى به وكان قبل ذلك يكنى أبا عمرو وتزوج بعدها أختها أم كلثوم بوحي فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى عثمان بن عفان مهموما بعد موت رقية رضي الله عنها فقال له مالي أراك مهموما فقال له يا رسول الله وهل دخل على أحد ما دخل علي انقطع الصهر بيني وبينك فبيناهو يحاوره اذ قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها فزوجه اياها ولما تزوجها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنية أين أبو عمرو فقالت خرج لبعض حاجاته قال كيف رأيت بعلك قالت يا أبت خير بعل وأفضله فقال يا بنية كيف لا يكون كذلك وهو أشبه الناس بجدك ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وأبيك محمد وجاء عثمان من أشبه أصحابي بي خلقا وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ان أردت أن تنظر من اهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان ولتزوجه بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذو النورين ولم يجمع أحد منذ آدم الى اليوم بين بنتي نبي غيره رضي الله عنه ومن ثم لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عنه قال ذاك أمرؤ يدعى في الملأ الاعلى ذا النورين ولما ماتت أم كلثوم تحته وذلك سنة تسع قال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته اياها وما زوجته الا بوحي من الله وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال له لو ان لي أربعين بنتا لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وام عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم قال وقال رجل من المنافقين لابي لبابة رضي الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا قد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب قال اسامة فجئت حتى خلوت بابي لبابة وسألته عما أسره له الرجل فأخبرني بما أخبره به فقلت أحق ما تقول قال اي والله حق ما أقول يا بني فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شيء سمعته من الناس يقولونه انتهى أي وهذا كان قبل ان يجتمع اسامة بأبيه زيد بن حارثة ثم اقبل

ابن عقبة والزهري والبيهقي عن عروة بن الزبير قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم في الامان ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احد وأنا ادعوكم في أخراكم انسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت اعلم بالله وامره منا وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال لم يكن في الاسلام فتح قبله اعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضع الحرب وامن الناس بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة لم يكلم احد ذو عقل في تلك المدة بالاسلام الا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك أو اكثر ويدل عليه انه صلى

الله عليه وسلم خرج في الحديبية في ألف واربعمائة ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة في عشرة آلاف وعما ظهر من مصلحة الصلح انه كان مقدمة بين يدي الفتح الاعظم الذي دخل الناس عقبه في دين الله افواجا فكانت قصة الحديبية مقدمة الفتح فسميت فتحا اذ مقدمة الظهور ظهور وجاء انهم في مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة فقالوا يا رسول

الله جهد نال اى اصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر اى ابل فانحره لنا كل من لحمه وانده ن من شحمه ونتخذ ى من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا لقينا عدونا غدا جياعا رجالا ولكن ان رأيت أن تدعو الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو لهم فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا أوعيتكم فأخذوا ماشاء الله وملؤا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة وأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ماء أى قليل من ماء وقيل للماء اليسير نطفة لانه ينطف اى يصب فأفرغها فى قدح ووضع راحته الشريفة صلى الله عليه وسلم فذات فى ذلك الماء فتوضأنا كلنا اى الاربعة عشرة مائة ندغفقه دغفقة اى نصبه صبا شديدا وذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون انه صلى الله عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل أى الغنيمة وكانت مائة وخمسين من الابل وعشرة أفراس ومتاعا وسلاحا وأنطاعا وثيابا وأدما كثيرا حمله المشركون للتجارة ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومن اسر أسيرا فهو له اى كما تقدم ولعله تكرر وذلك منه صلى الله عليه وسلم مرتين مرة للتحريض على القتال ومرة عند القسمة فالمقسوم ما بقى بعد اخراج السلب واخراج الاسرى قسم على المسلمين بالسوية بعد الاختلاف فيه فادعى من قاتل العدو وصده انهم احق به وادعى من جمعه انهم احق به وادعى من كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ان غيرهم ليس باحق به منهم اى لان سعد بن معاذ رضى الله عنه قام على باب العريش الذى به صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله عنه فى نفر من الانصار وفى رواية عن عبادة بن الصامت ان جماعة خرجت فى اثر العدو عند انهزامه وجماعة اكبوا على جمع الغنيمة فجمعوها وجماعة عند انهزام العدو أحدقوا به صلى الله عليه وسلم فى العريش خوفا ان يصيب العدو منه غرة ولعل هؤلاء كانوا زيادة عمن كان مع سعد بن معاذ على باب العريش فادعى من اكب على جمعها أنهم احق بها وادعى من عداهم ان أولئك ليسوا بأحق بها منهم اى وكون جماعة احدقوا به صلى الله عليه وسلم بعد انهزام العدو وقد يقال لا ينافى ذلك ما تقدم عن ابن سعد انه لما انهزم المشركون دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر لجواز أن يكون صلى الله عليه وسلم خرج فى اثرهم برهة من الزمان ثم عاد الى العريش فاحدق به هؤلاء مع من تقدم فأنزل الله تعالى سورة الانفال يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فالنفل قد يطلق على الغنيمة كما هنا كما أشرنا اليه وسماها الله تعالى أنفالا لانها زيادة فى اموال المسلمين وكذا الفىء المذكور فى سورة الحشر التى نزلت فى غزوة بنى النضير يطلق على الغنيمة وسمى فيأ لان الله تعالى أفاءه على المؤمنين أى رده عليهم من الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه انما خلق الخلق لعبادته فقد ردها اليهم ما يستحقونه كما يعاد ويرد على الرجل ما غصب من ميراثه وان لم يقبضه قبل ذلك ومنه قول بعضهم كان أهل الفىء يعزل عن أهل الصدقة وأهل الصدقة يعزل عن أهل الفىء كان يعطى من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف فاذا احتلم اليتيم نقل الى الفىء أى الى الغنيمة وأخرج من الصدقة فنزعه الله من أيديهم فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يضعه حيث شاء

فدلت الآية على ان الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد من المقاتلة شيء منها ثم نسخت هذه الآية بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاربعة أخماس الباقية للمقاتلة اى فكان ذلك الخمس يخمس خمسة أخماس واحد له صلى الله عليه وسلم يفعل فيه ما احب والاربعة من ذلك الخمس لمن ذكر فى الآية والاربعة الاخماس الباقية تكون للمقاتلة وسيأتى فى سرية عبد الله بن جحش انخلة انه صلى الله عليه وسلم خمس العير الذى جاء به عبد الله كذلك فجعل خمس ذلك لله واربعة اخماسه للجيش وقيل عبد الله هو الذى خمسها كذلك واقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وهى اول غنيمة فى الاسلام واول غنيمة خمست فكان تخميسها قبل نزول الآية لما علمت ان نزول تلك الآية كان بعد بدر فهى من الآيات التى تأخرت تلاوتها عن حكمها قال بعضهم وكان ابتداء تحليل الغنائم لهذه الامة فى وقعة بدر كما ثبت فى الصحيحين وذلك فى قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الغنيمة لهم (أقول) وفيه ان هذا قد يعين القول بانه صلى الله عليه وسلم وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر ويضعف ماسبق من أنه صلى الله عليه وسلم خمسها او ان عبد الله هو الذى خمسها قبل بدر واقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وقد علمت ان ما اصابه من بدر قسمه بين المسلمين سواء اى لم يتميز فيه احد عن احد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس سواء وفيه تفضيل الفارس على الراجل فى ذلك اليوم وسيأتى التصريح بذلك وهذا يؤيد القول بان الجيش كان فيه خمسة افراس اوفرسان دون القول بانه لم يكن فيه الا فرس واحد على ماتقدم حتى هو صلى الله عليه وسلم كان سهمه كسهم واحد منهم أى كفارس منهم بناء على ماتقدم انه صلى الله عليه وسلم كان له فرسان الا ما اصطفاه وهو سيفه ذو الفقار كما سيأتى وحينئذ يكون قول سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه يارسول الله أتعطى فارس القوم الذى يغيظهم مثل ماتعطى الضعيف أراد بالفارس فيه القوى ففى مسند الامام أحمد قال سعد بن أبى وقاص قلت يارسول الله الرجل يكون حامية للقوم يكون سهمه وسهم غيره سواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك وهل تنصرون الا بضعفائكم وما فى مسند الامام أحمد يدل على ان مراد سعد بالفارس القوى لمقابلته فى هذه الرواية بالضعيف فلا ينافى أنه أعطى الفارس لفرسه سهمين وله سهم كالراجل وقد أسهم لمن لم يحضر لكن أمره صلى الله عليه وسلم بالتخلف لعذر منعه من الحضور كعثمان بن عفان رضى الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم خلفه لاجل

وسلم رأى وهو بالحديبية ان يدخل مكة هو واصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فاخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا له اين رؤياك يارسول الله فانزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية قال الحلبى فى السيرة ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق راسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح واخذ المفتاح قال ادعوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هذا الذى قلت لكم ولما كان فى حجة الوداع ووقف بعرفة قال هذا الذى قلت لكم فان قيل انه لم يذكر فى الرؤيا انه اخذ المفتاح ولا ان يقف بعرفة اجيب بانه يجوز ان يكون أخبر بذلك بعد الرؤيا أو ان المراد من ذلك مجرد دخوله والله أعلم والشجرة التى كانت البيعة عندها بلغ عمر رضى الله عنه فى خلافته ان ناسا يصلون عندها ويطوفون بها فخاف رضى الله عنه من اتساع الامر وظهور البدعة وأن تعبد كالاصنام فامر بها فقطعت ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط رضى الله عنها وكانت اسلمت بمكة وبايعت قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فى مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة وصحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وهى اخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه لان ام عثمان رضى الله عنه تزوجها بعد ابى عثمان عقبة بن ابى معيط فولدت له الوليد بن عقبة وام كلثوم بنت عقبة وذكر بعضهم انها اول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على ام سلمة رضى الله عنها واعلمتها انها جاءت مهاجرة وتخوفت ان يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا بالشرط فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة رضى الله عنها

اعلمته فرحب بام كلثوم فخرج اخواها عمارة والوليد فى ردها بالعهد فقالا يا محمد اوف لنا بما عاهدتنا عليه فقالت يارسول الله انا امرأة وحال النساء الضعف افتردنى الى الكفار يفتنونى عن دينى ولا صبر لى فنزل القرآن بان النساء المؤمنات لا يرجعن وان الشرط فى الرجل فقط وان النساء يمتحن قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية فأبى صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم وكان الامتحان ان تستحلف المرأة المهاجرة انها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت الا لله ورسوله وفى رواية كانت المرأة اذا جاءت حلفها عمر بالله انها ما خرجت رغبة بارض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله فاذا حلفت لم ترد ويرد صداقها الى بعلها فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا بذلك ولم يكن لام كلثوم زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه فكان صلى الله عليه وسلم فى مدة الصلح يرد الرجال ولا يرد النساء بعد امتحانهن وممن جاء من الرجال الى النبى صلى الله عليه وسلم أبو بصير وكان مسلما بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة فكتب فى رده أزهر بن عبد عوف وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس ابن شريق الثقفى حليف بنى زهرة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه كتابا وبعثا به رجلا من بنى عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبى بن كعب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم

مرض زوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم أو لما كان به رضى الله عنه من الجدرى على ما تقدم ولهذا عد من البدريين وأبى لبابة لانه صلى الله عليه وسلم خلفه على أهل المدينة وعاصم بن عدى فانه خلفه على أهل قباء والعالية ولمن أرسله ليكشف أمر العدو ويتجسس خبره فلم يجئ الا وقد انقضى القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد كما تقدم والحرث بن حاطب أمره بامر فى بنى عمرو بن عوف وخوات بن جبير والحرث بن الصمة لان كلا منهما كسر بالروحاء كما تقدم وبهذا يظهر التوقف فى قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وضرب لعثمان رضى الله عنه يوم بدر بسهم ولم يضرب لاحد غاب غيره رواه أبو داود عن ابن عمر قال الخطابى هذا خاص بعثمان لانه كان يمرض ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وأسهم صلى الله عليه وسلم لاربعة عشر رجلا قتلوا ببدر ولعلهم ماتوا بعد انقضاء الحرب فلا يشكل على ما قاله فقهاؤنا ان من مات قبل انقضاء الحرب لا حق له وتنفل صلى الله عليه وسلم زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار أى وكان لمنبه بن الحجاج أى وقيل لابنه العاص قتل أيضا يوم بدر وقيل كان لعمه نبيه وفى كلام أبى العباس بن تيمية انه كان لابى جهل أى ويمكن ان يكون ذلك السيف كان فى الاصل لابى جهل ثم أعطاه لمنبه بن الحجاج او لغيره ممن ذكر لا يقال او بالعكس لان سيف أبى جهل أخذه ابن مسعود كما تقدم فلا مخالفة وتنفل ايضا صلى الله عليه وسلم جمل أبى جهل وكان مهريا ولم يزل يغزو عليه حتى ساقه فى هدى الحديبية كما سيأتى وهذا الذى كان يأخذه زيادة على سهمه أى قبل قسمة الغنيمة اذا كان صلى الله عليه وسلم مع الجيش يقال له الصفى والصفية عبدا أو امة او دابة أو سيفا أو درعا لكن فى الامتاع عن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفى من المغنم حضر او غاب قال بعضهم وهو محسوب من سهمه صلى الله عليه وسلم وقيل يكون زائدا عليه الا ان يقال ذاك الذى وقع فيه الخلاف كان بعد نزول آية التخميس وهذا كان قبل ذلك فلا يخالف ما سبق أن ما أخذه قبل القسمة كان زائدا على سهمه المساوى لسهام القوم أى وكان فى الجاهلية يقال للذى يأخذه الرئيس اذا غزا بالجيش المرباع وهو ربع الغنيمة ولم يسمع مرباع الا فى الربع دون غيره من الخمس وما بعده والصفايا اشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار ما يغنم والنشيطة ما أصابه الجيش فى طريقه قبل أن يصل الى مقصده وكان للرئيس النقيعة أيضا وهو بعير ينحره قبل القسمة فيطعمه الناس كذا فى شرح الحماسة للتبريزى قال وقد سقط فى الاسلام النقيعة

والنشيطة

والنشيطة وأمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقتل النضر بن الحرث بالصفراء أى وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم نظر الى النضر وهو أسير فقال النضر للذى بجانبه محمد والله قاتلى فانه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا رعب وقال النضر لمصعب بن عمير رضى الله عنه يا مصعب أنت أقرب من هذا الى رحما فكلم صاحبك أن يجعلنى كرجل من أصحابى يعنى المأسورين هو والله قاتلى فقال مصعب انك كنت تقول فى كتاب الله كذا وكذا وتقول فى نبيه صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وكنت تعذب أصحابه وفى اسباب النزول للسيوطى وأقره وكان المقداد رضى الله عنه اسر النضر فلما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله قال المقداد يا رسول الله اسيرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول وقد رثته اخته وقيل بنته رضى الله تعالى عنها فانها اسلمت بعد ذلك يوم الفتح فقالت من أبيات * أمحمد يا خير ضنء كريمة والذى رايته فى الحماسة

أمحمد ولانت ضنء نجيبة * فى قومها والفحل فحل معرق

أى له عرق فى الكرم والضنء الولد

ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق

وحين سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى أخضل أى بل لحيته وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه أى لقبول شفاعتها عندى بهذا الشعر وليس معناه الندم لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل الا حقا اى وكان للنضر هذا اخ يقال له النضير بالتصغير وكان اسن المهاجرين وقيل كان من مسلمة الفتح وربما يدل له انه صلى الله عليه وسلم امر له بمائة بعير من غنائم حنين فجاءه شخص يبشره بذلك فقال لا آخذها فانى أحسب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطنى ذلك الا تألفا على الاسلام وما أريد ان ارتشى على الاسلام فقيل له انها عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها واعطى المبشر منها عشرة أبعرة ثم قتل صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط بعرق الظبية بضم الظاء المعجمة وهى شجرة يستظل بها وقال حين قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عقبة لما قدم للقتل نادى يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وفى لفظ ببزاقك فى وجهى أى فان عقبة كان يكثر مجالسته صلى الله عليه وسلم واتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل

ما علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك فقال يا رسول الله اتردنى الى المشركين يفتنونى فى دينى قال يا ابا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما وصار المسلمون يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل ٢٤٥ يريدون بذلك اغراءه على من معه حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار ومعه صاحباه فقال ابو بصير لاحد صاحبيه ومعه سيفه اصارم سيفك هذا يا اخا بنى عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله العامرى ثم هزه وقال لاضربن بسيفى هذا فى الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له ابو بصير ناولنيه انظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعنى مات ثم طلب المولى الذى كان معه يهديه الطريق فوجده قد خرج سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصى يطن تحت قدميه وفى لفظ يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير فى اثره قد اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد راى فزعا وفى رواية ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبى وافلت منه ولم اكد انى لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا ابو بصير اناخ بعير العامرى بباب المسجد ودخل متوشحا السيف وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفت ذمتك وادى الله عنك اسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى ان افتن فيه فقال اذهب حيث شئت فقال يا رسول الله هذا سلب العامرى الذى قتلته رحله وسيفه فخمسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأونى لم أوف لهم بالذى عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام يمر به

ذو والمبرة واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا يتسللون اليه وانفلت ابو جندل بن سهيل بن عمرو الذى رده صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج من مكة فى سبعين راكبا اسلموا فلحقوا بأبى بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة الهدنة خوفا من ان يردهم الى اهلهم وانضم اليهم ناس من غفار واسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن اسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش لا يظفرون باحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا اخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفى رواية ان قريشا ارسلت اباسفيان بن حرب فى ذلك وان قريشا اسقطت هذا الشرط وقالت ان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى جندل وأبى بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم ابو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من اصحابه ورجع باقيهم الى أهلهم وامنت قريش على عيرهم وتحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم سيجعل الله لابى جندل واصحابه فرجا ومخرجا وعلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الذين صعب عليهم رد ابى جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو وان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه افضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان المصالحة كانت اولى لهم كما تقدم بيان ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم ❁ (غزوة خيبر) ❁ بوزن جعفر وهى مدينة كبيرة ذات

من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له الشهادة وليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده صلى الله عليه وسلم ساجدا فى دار الندوة ففعل به ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف كذا فى الكشاف وفى لفظ آخر بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله وأنزل الله فيه ويوم يعض الظالم على يديه الآية وذكر ابن قتيبة انه صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل عقبة أى وقد قال يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم اى وانا واحد منكم قال له يا محمد ناشدتك الله والرحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنت الا يهودى من اهل صفورية وفى رواية قال له انما أنت يهودى من اهل صفورية أى فليس هو من قريش اى لا رحم بينى وبينك اى لان أمية جد أبيه خرج الى الشام لما نافره هاشم كما تقدم فأقام بصفورية ووقع على امة يهودية ولها زوج يهودى من اهل صفورية فولدت له ابا عمرو الذى هو والد ابى معيط على فراش اليهودى فاستلحقه بحكم الجاهلية ثم قدم به مكة وكناه بأبى عمرو وسماه ذكوان مع ان الولد للفراش وقيل كان عبد الامية فتبناه لما مات امية خلفه على زوجته ويدل لهذا الثانى ماذكره بعض المؤرخين ان معاوية رضى الله تعالى عنه سأل رجلا من علماء العرب وفد عليه كم عمرك قال اربعون ومائتا سنة قال كيف رأيت الزمان فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يهلك والد ويخلف مولود فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ولولا المولود لم يبق احد فقال له هل رأيت عبد المطلب قال نعم ادركته شيخا وسيما متسعا جسيما يحف به عشرة من بنيه كانهم النجوم فقال له هل رأيت امية بن عبد شمس يعنى جده قال نعم رأيته أخفش ازرق دميما يقوده عبده ذكوان فقال ويحك كف فقد جاء غير ماذكرت فقال أنتم تقولون ذلك والقاتل لعقبة عاصم بن ثابت وقيل على رضى الله تعالى عنهما اى وقيل صلب على الشجرة (اقول) قال محمد بن حبيب الهاشمى هو اول مصلوب فى الاسلام ورده ابن الجوزى بان اول من صلب فى الاسلام خبيب بن عدى وقد يقال لا مخالفة لان المراد بالثانى اول مصلوب من المسلمين وبالاول اول مصلوب من الكفار وذكر ان اول من استعمل الصلب فرعون ولعل المراد به فرعون موسى ابن عمران لا فرعون ابراهيم الخليل وهو أول الفراعنة ولا فرعون يوسف بن يعقوب وهو ثانى الفراعنة وفى قول ان فرعون يوسف هذا هو فرعون موسى يعنى انه بقى الى زمن
موسى

حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحق أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم الى خيبر سنة سبع وقال ابن عقبة عن الزهري اقام بالمدينة عشرين ليلة اونحوها وقيل عشر ليال وقيل خمسة عشر يوما ٢٤٧ واقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونها الى ان فتحها في صفر وقيل انها كانت سنة ست وهو منقول عن الامام مالك وبه جزم ابن حزم لكن قال الحافظ ابن حجر الراجح ماذكره ابن اسحق وهو قول الجمهور واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة غيلة بن عبد الله الليثي وقيل سباع بن عرفطة ويمكن الجمع بانه استخلف احدهما اولا ثم عرض ما يقتضي استخلاف الآخر وكان معه عليه الصلاة والسلام الف واربعمائة راجل ومائتا فارس وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فاما الغنيمة فلا اي فلا تعطوا منها شيأ ثم امر مناديا ينادي بذلك قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة رضي الله عنه وهو زوج ام انس رضي الله عنها حين اراد الخروج الى خيبر التمسوا لي غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج ابو طلحة مردفي وانا غلام وقد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال قال الحلبي وهذا السياق يدل على ان اول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما صح انه عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن أنس رضي الله عنه

موسى عليه السلام وكان هذا كله على يده وفي كلام ابن قتيبة عن سعيد بن جبير ضم طعيمة ابن عدي الى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث أي لانه ممن قتل معهما صبرا وفيه نظر فقد تقدم ان القاتل له حمزة رضي الله عنه في الحرب وسيأتي في أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم أي وروي عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لما قدمت الى المدينة وكنت جائعا استقبلتني امرأة من اليهود على رأسها جفنة فيها جدي مشوي فقالت الحمد لله يا محمد الذي سلمك الله كنت نذرت لله ان قدمت المدينة سالما لاذبحن هذا الجدي ولأشوينه ولأحملنه اليك لتأكل منه فأنطق الله الجدي فقال يا محمد لا تأكلني فاني مسموم أي بخلاف ما وقع له صلى الله عليه وسلم في خيبر فانه لم يخبره الذراع بذلك الا بعد أكله منه كما سيأتي وسيأتي أنه سأل المرأة عن سبب ذلك وهنا لم يسألها ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة اي قاربها خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه فتلقوا معه بالروحاء اي وقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش ما الذي تهنئونا به فوالله ان لقينا اي ما لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقولة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اولئك الملأ من قريش اي الاشراف والرؤساء وتلقته الولائد عند دخوله المدينة بالدفوف والولائد جمع وليدة وهي الصبية والامة وتلك الولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

وتلقاه أسيد بن الحضير فقال الحمد لله الذي اظفرك واقر عينك ولما اقبلوا من بدر فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي فقالوا يا رسول الله فقدناك فقال ان ابا الحسن وجد مغصا في بطنه فتخلفت عليه ثم لما قدمت الاسارى فرقهم بين الصحابة وقال استوصوا بهم خيرا وكان اول من قدم مكة بمصاب قريش ابن عبد عمرو رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك فقال قتل عتبة وشيبة وابو الحكم وامية وفلان وفلان من اشراف قريش اي واسر فلان وفلان فقال صفوان ابن امية وكان يقال له سيد البطحاء وكان من افصح قريش لسانا وكان جالسا في الحجر والله ان يعقل أي ما يعقل هذا سلوه عني فسألوه اي قالوا ما فعل صفوان فقال هو ذاك الجالس في الحجر وقد رأيت اباه واخاه حين قتلا وعن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب

قال جاءت بي أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ازرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يارسول الله هذا انيس ابني اتيتك به ليخدمك فادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وعند غير مسلم واطل عمره وأدخله الجنة وقد يقال لامخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابي طلحة ماذكر ٢٤٨ رجاء ان يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضي الله عنه وكان الله قد وعد رسوله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية في سورة الفتح بغنائم بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أي مغانم خيبر وخرج معه من نسائه أم سلمة رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم في مسيره لعامر بن الاكوع ثم سلمة بن الاكوع رضي الله عنهما انزل لخدثنا من هنيهاتك أي من أراجيزك واشعارك وفي لفظ انزل يحرك بنا الركاب وكان يحدو حداء حسنا وفي رواية وكان عامر رجلا شاعرا فقال يارسول الله تركت قول الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما أبقينا

والقين سكينة علينا

وثبت الاقدام ان لاقينا

انا اذا صيح بنا اتينا

وبالصياح عولوا علينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا

ان الذين قد بغوا علينا

اذا أرادوا فتنة أبينا

وعند انشاده الابيات المذكورة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك وفي رواية غفر لك ربك وما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لاحد في مثل يرجان هذا الموطن الا استشهد فقال عمر رضي الله عنه وجبت أي الشهادة يارسول الله هلا أمتعتنا به اي هلا اخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر فاستشهد رضي الله عنه في هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فانه اراد ان يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته

اي ثم وهبه العباس له صلى الله عليه وسلم وسيأتي الكلام عليه في السرايا وكان العباس رضي الله تعالى عنه أسلم وأسلمت زوجته أي ام الفضل قيل انها أول امرأة اسلمت بعد خديجة كما تقدم وهي ام أولاده وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وام حبيب قيل رآها صلى الله عليه وسلم وهي تدب بين يديه فقال ان بلغت وأنا حي تزوجتها فقبض صلى الله عليه وسلم قبل ان تبلغ قال ابن الجوزي فليس في الصحابيات من كنيتها ام الفضل الا زوج العباس قال ابو رافع واسلمت انا وكنا نكتم الاسلام أي لان العباس كان يكره خلاف قومه لانه كان ذا مال كثير واكثره متفرق فيهم أي وسيأتي الجواب عن كونه اسر واخذ منه الفداء مع كونه مسلما وسيأتي انه لم يظهر اسلامه الا يوم الفتح فلما جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر سرنا ذلك فوالله اني لجالس اذ أقبل ابو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس عندنا فبينا هو جالس اذ قدم ابو سفيان بن الحرث وكان مع قريش في بدر فقال له ابو لهب هلم الي فعندك الخبر فقال والله ماهو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله ما يقوم لها شئ قال ابو رافع فقلت والله تلك الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة وثاورته اي واثبته اي قام كل للآخر فاحتملني وضرب بي الارض ثم برك علي يضربني فقامت ام الفضل الى عمود وضربته به ضربة في راسه اثرت شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب سيده تعني العباس فقام موليا ذليلا فوالله ماعاش الا سبع ليال حتى رمي بالعدسة اي ماعاش صحيحا قبل ان يرمى بالعدسة الا سبع ليال اي وهي بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فلم يحفر واله حفيرة ولكن اسندوه الى الحائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه اي لان العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون انها تعدي اشد العدوى فلما اصابت ابا لهب تباعد عنه بنوه وبقي بعد موته ثلاثة ايام لاتقرب جنازته ولا يحاول دفنه حتى انتن فلما خافوا السبة اي سب الناس لهم في تركه فعلوا به ماذكر وفي رواية حفر واله ثم دفعوه بعود في حفيرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها (اقول) قال في النور وهذا القبر الذي يرجم خارج باب شبيكة اي الآن ليس بقبر ابي لهب وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فان الناس اصبحوا وجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فمسكوهما بعد أيام فوجدوهما في ذلك الموضع فصارا

يرجعان الى الآن والله أعلم فلما ظهر الخبر ناحت قريش على قتلاهم أى شهرا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل او راحلته وتستر بالستور وينحن حولها ويخرجن الى الازقة ثم اشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا بكم ولا نبكى قتلانا حتى نأخذ بثارهم وتواصوا على ذلك وكان الاسود بن زمعة بن عبد المطلب اصيب له فى بدر ثلاثة ولداه وولد ولده وكان يحب ان يبكى عليهم وكان قد ذهب بصره أى بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم عليه بذلك أى لانه كما تقدم كان من المستهزئين بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا رآهم يقول قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يشق عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمى وتقدم ذلك وتقدم سبب عماه وفى كلام بعضهم كان صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود هذا بان يعمى الله تعالى بصره ويثكل ولده فاستجاب الله تعالى له سبق العمى الى بصره اولا ثم أصيب يوم بدر بمن تقدم من ولده أى وهو زمعة وهو أحد الثلاثة الذين كان يقال لكل واحد منهم زاد الراكب كما تقدم وأخوه عقيل والحرث فانهما قتلا كافرين ببدر فتمت اجابة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا به قد سمع صوت باكية بالليل فقال لغلامه انظر هل احل النحب اى البكاء هل بكت قريش على قتلاهم لعلى ابكى فان جوفى قد احترق فلما رجع الغلام قال انما هى امرأة تبكى على بعير لها اضلته فأنشد من ابيات

اتبكى ان يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود

والسهود بضم السين المهملة عدم النوم والبكر الفتى من الابل والجدود بضم الجيم جمع جد بفتحها وهو الحظ والسعد وبعد هذين البيتين بيت آخر وهو

الا قد ساد بعدهمو رجال * ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعرض بأبى سفيان فانه رأس قريش قال وقد جاء فى بعض الروايات اختلاف الصحابة فيما يفعل بالاسرى لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترون فى هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم اى وقد يخالف هذا ماسبق من قوله ان من اسر أسيرا فهو له وقد يقال لا مخالفة لان معنى كونه له انه مخير فيه بين قتله واخذ فدائه ولعله لا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما اراد قتل النضر قال المقداد رضى الله عنه وكان اسره يارسول الله اسيرى فقال له انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول وفى رواية استشار صلى الله عليه وسلم ابا

فمات من ذلك فقال الناس قتله سلاحه وفى رواية قتل نفسه اى فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وفى رواية قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه يارسول الله فداك أبى وامى زعموا أن عامرا احبط عمله وفى لفظ يزعم اسيد بن حضير وجماعة من اصحابك ان عامرا احبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال ذلك اى اخطأ فى قوله وان له اجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد والجاهد الجاد فى امره فلما قام به وصفان كان له اجران وفى البخارى عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا اى قريبا منها فنام هو واصحابه دونها ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتى قوما بليل لم يغزهم اى لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم والا اغار عليهم فلما أتى خيبر اصبح ولم يسمع اذانا فركب وفى رواية لابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم لما اشرف على خيبر قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها فلما اصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم وحكى الواقدى ان اهل خيبر سمعوا بقصده صلى الله عليه وسلم لهم فكانوا يخرجون فى كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات حتى اذا كانت الليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحى طالبين مزارعهم فوجدوا المسلمين فلما رأوهم قالوا محمد والله والخميس اى جاء محمد وهذا

محمد والله والخميس اى الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا رفى التنزيل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا و الثلاثة مبدأ الكثرة وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه ودفع راية اسعد بن عبادة رضى الله عنه وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم نزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حسا خلفهم فظنوا ان المسلمين خلفوهم فى ذراريهم فرجعوا واقاموا وخذلوا اهل خيبر اى تركوهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير يقولون الله اكبر لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم اى ارفقوا بانفسكم لا تبالغون فى رفع اصواتكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وجاء ان عبد الله بن أبى ابن سلول ارسل الى يهود خيبر يقول لهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وادخلوا اموالكم الى حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل وانما قال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم وهى المساحى والمكاتل تفاءل بان حصونهم ستخرب ويحتمل ان الله اعلمه بذلك بالوحى وهو الاصح وكان يهود خيبر ادخلوا اموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصون النطاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال يا رسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن امر أمرت به فلا نتكلم وان كان هو الرأى تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأى

بكر وعمر وعليا اى وفى رواية ابا بكر وعمر وعبد الله بن جحش فيما هو الاصلح من الامرين القتل واخذ الفداء فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله اهلك وقومك وفى رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد اعطاك الله الظفر ونصرك عليهم ارى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب قال يا رسول الله قد كذبوك واخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى ابو بكر ولكن ارى ان تمكننى من فلان قريب وفى لفظ نسيب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من اخيه عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه اى العباس رضى الله تعالى عنه فيضرب عنقه حتى يعلم أنه ليست فى قلوبنا مودة للمشركين ما ارى ان تكون لك اسرى فاضرب اعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم اى وقال ابن رواحة رضى الله عنه انظروا واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس رضى الله تعالى عنه وهو يسمع ثكلتك رحمك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت اى ولم يرد عليهم فقال بعض الناس يأخذ بقول ابى بكر وقال بعض الناس يأخذ بقول ابن رواحة ولم يقل قائل يأخذ بقول عمر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب اقوام فيه حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب اقوام فيه حتى تكون اشد من الحجارة مثلك يا ابا بكر فى الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة لعله لا ينزل الا بالرحمة فلا ينافى أن جبريل ينزل بالرحمة فى بعض الاحايين كما تقدم قريبا ومن ثم جاء فى الحديث أرأف امتى بامتى ابو بكر ومثلك فى الانبياء مثل ابراهيم حيث يقول فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى ابن مريم اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قيل ان قوله فانك أنت العزيز الحكيم من مشكلات الفواصل اذ كان مقتضى الظاهر فانك انت الغفور الرحيم ورد بان العزيز الذى لا يغلبه احد ولا يغفر لمن استحق العذاب الا من ليس فوقه احد يرد عليه حكمه والحكيم هو الذى يضع الشئ فى محله ومثلك يا عمر فى الملائكة مثل جبريل نزل بالشدة والبأس والنقمة على اعداء الله تعالى اى اغلب أحواله ذلك فلا ينافى أنه ينزل بالرحمة فى بعض الاوقات كما تقدم ومثلك فى الانبياء مثل نوح عليه السلام اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك فى الانبياء مثل موسى عليه السلام اذ قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الجلال السيوطى

رحمه

فقال يارسول الله ان اهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم ابعد مدى منهم ولا اعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو اسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى خمر النخل اى النخل المجتمع بعضه على بعض تحوّل يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا امسينا ان شاء الله تحوّلنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما امسى وامر الناس بالتحول وفى لفظ ان راحلته قامت تجر بزمامها فادركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وكان ذلك الموضع حائلا بين اهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وامر بقطع نخيل اهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا اربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها وقاتل صلى الله عليه وسلم يومه ذلك اشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف فلعله كان فى الطريق اما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمى وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل وهو صلى الله عليه وسلم يقاتل هو واصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم يقال له ناشر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحمه الله فى الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن من اصحابه من يشبه بجبريل وبابراهيم وبنوح وبموسى وبعيسى وبيوسف وبلقمان الحكيم وبصاحب يس هذا كلامه وقد علمت أن أبابكر رضى الله عنه شبه بميكائيل ولم يذكر ميكائيل ولينظر من شبه من اصحابه بيوسف ثم رأيتنى ذكرت فيما تقدم قريبا أنه عثمان ابن عفان رضى الله عنه ولينظر من شبه من اصحابه بلقمان الحكيم وبصاحب يس ثم قال صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر لو توافقتما ما خالفتكما فلا يفلتن منهم احد الا بفداء او ضرب عنق وقد وقع له صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل ذلك لهما وقد اختلفا فى تولية شخصين اراد صلى الله عليه وسلم تولية احدهما على بنى تميم فقال ابو بكر يارسول الله استعمل فلانا وقال عمر يارسول الله استعمل فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انكما لو اجتمعتما لاخذت برأيكما ولكنكما اختلفتما على احيانا فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله الآية واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم مثلك يا ابا بكر الخ على جواز ضرب المثل من القرآن وهو جائز فى غير المزح ولغو الحديث والا كره ونسبة الاختلاف فى اسارى بدر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما لا تخالف ما سبق من نسبته للصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه يجوز أن يكونوا هم المرادين بالصحابة وعدم ذكر على رضى الله تعالى عنه مع ادخاله فى الاستشارة وكذا عبد الله بن جحش على ما تقدم لانه يجوز ان يكون وافق احدهما اى فقد ذكر ابن رواحة مع عدم ادخاله فى الاستشارة (وفى كلام الامام احمد رحمه الله) استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فى الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد مكنكم منهم قال فقام عمر رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال يا أيها الناس ان الله قد مكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس فقام عمر رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال للناس مثل ذلك فقام ابو بكر رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل الفداء فلما كان الغد غدا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يارسول الله ما يبكيكما وفى لفظ ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم لو نزل عذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب وفى

وامسى مهموما وفي ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهما برحى القيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب اليهودي وقيل كنانة بن الربيع اليهودي ويحتمل أنهما اجتمعا في ذلك وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ٢٥٢ ظل ذلك الحصن فالقى عليه حجر الرحى فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما يقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ومكث صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه فاذا امسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوي جرحه وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضي الله عنه فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه فقال اذهب بي الى نبيكم حتى أكلمه فامسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلي فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عمر رضي الله عنه فلما سلم من صلاته ادخله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي ما وراءك قال تؤمني يا أبا القاسم قال نعم قال خرجت

مسلم والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء اي للعذاب الذي كاد ان يقع على اصحابك لاجل اخذهم الفداء اي ارادة اخذه لقد عرض على عذابهم ادنى اي اقرب من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم الآيات (أقول) قال بعضهم في هذه الآيات دليل على أنه يجوز الاجتهاد للانبياء لان العتاب الذي في الآيات لا يكون فيما صدر عن وحي ولا يكون فيما كان صوابا واذا اخطؤا لا يتركون عليه بل ينبهون على الصواب واجاب ابن السبكي رحمه الله بان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم اي ما كان هذا النبي غيرك ولا يخفى عليك ما فيه وفي كلام بعضهم ما يقتضي أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز أن يقروا على الخطا لان من بعد من يخطئ منهم يبين خطاه بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده يبين خطاه فلا يقر على الخطا وفيه أن بعد نبينا عليه الصلاة والسلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يوحى اليه ونظر بعضهم في وقوع الخطا من الانبياء واستمرارهم عليه بانه غير لائق بمنصب النبوة لان وجود من يستدرك الخطا لا يدفع مقتضيه وفيه جواز وقوع الخطا والعمل به قبل مجيء الاستدراك وتقدم جواز الاجتهاد له مطلقا لا في خصوص الحرب واستثناء عمر بما يفيد ان جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وافقوا ابا بكر على اخذ الفداء وخالفوا عمر مع أنه تقدم قريبا ان سعد بن معاذ كره ذلك قبل عمر فقد تقدم أن المسلمين لما وضعوا أيديهم يأسرون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة اوقعها الله تعالى باهل الشرك فكان الاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال ومن ثم قال لو نزل عذاب لم يفلت منه الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ كما سيأتي وفيه ان ابن رواحة كرهه بل اشار باحراقهم بالنار وفي الاصل ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فقال ان شئتم اخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعد ذلك فنادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه فجاؤا أومن جاء منهم اي وهم المعظم فقال ان هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم

من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فاين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال والمراد ما بقوه من ذراريهم فلا ينافى ما تقدم انهم ادخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة واخبره ان فى هذا الحصن يعنى حصن الصعب من حصون النطاة فى بيت فيه تحت الارض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا فاذا دخلت الحصن غدا وانت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودى ان شاء الله اوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيرى وأخرى قيل وماهى قال تستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا ابا القاسم احقن دمى قال أنت آمن قال ولى زوجة فهبها لى قال هى لك ثم دعاه الى الاسلام فقال انظرنى وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة فى بعض تلك الايام فيبعث أناسا من اصحابه فلم يكن فتح ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد ابن مسلمة رضى الله عنه لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل اخيك وعند ذلك لم يكن احد من الصحابة له منزلة عند النبى صلى الله عليه وسلم الا ورجا أن يعطاها وفى رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ما احببت الامارة الا ذلك اليوم ويروى ان عليا رضى الله عنه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم انه يشتكى عينيه فقال من يأتينى به فذهب اليه سلمة بن الاكوع

فتقتلوهم وبين أن تفادوهم ويستشهد قابلا منكم بعدتهم فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون وفى لفظ ويستشهد منا عدتهم فليس فى ذلك ما نكره وهو كما ترى يدل على ان الصحابة وافقوا ابا بكر رضى الله عنهم على اخذ الفداء ولعل هذا الاخبار بالتخيير كان بعد الاستشارة التى تكلم فيها ابو بكر وعمر وان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان بعد هذه الاستشارة الثانية وقول صاحب الهدى بكاؤه صلى الله عليه وسلم وبكاء الصديق رحمة وخشية ان العذاب يعم ولا يصيب من أراد ذلك خاصة يفيد ان الذى أشار باخذ الفداء طائفة من الصحابة لا كلهم (اقول) وفيه ان هذا يشكل عليه قوله لو نزل عذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب او الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ فان فيه تصريحا بان العذاب لو وقع لا يعم وأنه لا يصيب الا من أشار بالفداء وفيه ان من أشار بالفداء غاية الامر انهم اختاروا غير الاصلح من الامرين واختيار غير الاصلح لا يقتضى العذاب على ان حل اخذ الفداء علم من واقعة عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى فانه اسر فيها عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ولم ينكره الله تعالى وذلك قبل بدر بازيد من عام الا أن يقال أراد الله تعالى تعظيم أمر بدر لكثرة الاسارى فيها مع شدة نصابهم فى مقاتلته صلى الله عليه وسلم وفى المواهب كلام فى الآية المذكورة يتأمل فيه ورأيت فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما لولا أنى لا اعذب من عصانى حتى اقدم اليه الحجة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وعن الاعمش سبق منه أنه لا يعذب احدا شهد بدرا ومن ثم جاء كما يأتى أن رجلا قال يارسول الله ان ابن عمى نافق اى ائذن لى أن أضرب عنقه فقال له انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم والله اعلم ولا ينافى قتل سبعين منهم فى قابل اى فى احد كون بعض الاسارى فى بدر مات فى الاسر ولم يؤخذ فداؤه وهو مالك بن عبيد الله اخو طلحة بن عبيد الله وكون بعضهم اطلق من غير أخذ فداء لان المنكر عدم قتل أولئك السبعين الذين أسروا (قال بعضهم) اتفق أهل العلم بالسير على ان المخاطبين بقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها هم أهل أحد اى قد اصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا والله أعلم وتواصت قريش على أن لا يعجلوا فى طلب فداء الاسرى لئلا يتغالى محمد وأصحابه فى الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبى وداعة السهمى بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فاخذ أباه بأربعة آلاف درهم وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضى الله عنهم لما رأى أبا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال

رضي الله عنه واخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الابيض قال ابن اسحق لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها وفي سيرة الحافظ الدمياطي وكانت له راية سوداء وفي رواية بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة في ذلك اللواء ولعل هذا اللواء الذي فيه الاسود هو المعنى بما جاء في بعض الروايات كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله أي بالسواد فلا تنافي بين الروايات فقال علي يارسول الله اني أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمي فوضع رأسه في حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق صلى الله عليه وسلم في عينيه وفي رواية فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع وقال علي رضي الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفي رواية فما رمدت ولا صدعت وفي لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفي هذا السياق لطيفة وهو أن من طلب شيأ أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشئ ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة اي وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وامر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه كلة من استبرق وفوض اليه امر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع الا على رأس من لا يريدها ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال علي رضي الله عنه فما

وكانكم به قد جاء في طلب فداء أبيه أي فكان أول أسير فدي واسم أبي وداعة الحرث وذكر في الصحابة قال الزبير بن بكار زعموا أنه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة أي والمشهور أن شريكه صلى الله عليه وسلم انما هو السائب بن أبي السائب الذي قال في حقه وقد أسلم يوم الفتح وقد جعل الناس يثنون عليه أنا أعلمكم به هذا شريكي نعم الشريك كان لا يداري ولا يماري وفي رواية أنه لما قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم به قال صدقت بأبي أنت وأمي كنت شريكي فنعم الشريك لا تداري ولا تماري وعند ذلك بعثت قريش في فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر اموالهم وكان من اربعة آلاف الى ثلاثة آلاف درهم الى الفين الى ألف ومن لم يكن معه فداء اي وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر اي الى المدينة يسأل النبي صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك او الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه وفي رواية لو كان مطعم حيا وكلمني في هؤلاء النفر وفي رواية في هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم كان اجار النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم ذلك (وكان من جملة الاسارى) عمرو بن ابي سفيان بن حرب اخو معاوية اي اسره علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه o فقيل لابي سفيان افد عمرا ابنك قال أيجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة يعني ابنه وهو شقيق ام حبيبة ام المؤمنين رضي الله عنها وافدي عمرا دعوه في ايديهم يمسكونه ما بدا لهم فبينما ابو سفيان اذ وجد سعد بن النعمان اخا بني عمرو بن عوف اي قد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه ابو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن ابي سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى ابي سفيان فخلى سبيل سعد اي ولم يذكر عمرو هذا فيمن اسلم من الاسارى والظاهر أنه مات على شركه وكان في الاسارى زوج بنت النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها وهو ابو العاص بن الربيع بكسر الموحدة وتشديد الياء مفتوحة قال في الاصل ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بناء على ما تقوله العامة ان ختن الرجل زوج ابنته والمعروف لغة أن ختن الرجل اقارب زوجته مثل ابيها واخيها ومع ذلك لا ينبغي أن يقال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ختن ابي العاص ولا ختن علي لايهامه النقص وفي حفظي أن عند المالكية من قال عنه صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب وختن حيدرة

كان

كان مرتدا وفى عبارة او بدل الواو ورواية او مبينة للمراد من رواية الواو وان ما افهمته من اعتبار الجمعية ليس مرادا وحيدرة اسم على رضى الله تعالى عنه وابو العاص اسلم بعد ذلك كما سيأتى وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد اخت خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وابو ولدها على الذى اردفه صلى الله عليه وسلم خلفه يوم فتح مكة ومات مراهقا وابو بنتها امامة التى كان يحملها صلى الله عليه وسلم فى الصلاة اى وكان يحبها حبا شديدا فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال لادفعنها الى احب اهلى الى فقالت النساء ذهبت بها ابنة ابى قحافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة بنت زينب فعلقها فى عنقها وتزوجها على بعد موت خالتها فاطمة رضى الله تعالى عنها بوصية من فاطمة زوجها له الزبير بن العوام وكان ابوها اوصى بها الى الزبير ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فماتت عنده وكان تزويجها للمغيرة بوصية من على رضى الله تعالى عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لها انى لا آمن أن يخطبك معاوية وفى لفظ هذا الطاغية بعد موتى فان كان لك فى الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها أرسل معاوية الى مروان أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار فلما خطبها ارسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبنى فان كان لك حاجة فى فاقبل فجاء وخطبها من الحسن بن على اى فزوجها منه اى ولا يخالف ما تقدم ان المزوج لها الزبير بن العوام لانه يجوز أن يكون الحسن كان هو السبب فى تزويج الزبير لها فبعثت زينب رضى الله عنها فى فداء زوجها ابى العاص قلادة لها كانت امها خديجة رضى الله عنها ادخلتها بها عليه حين بنى بها اى والجائى بها اخوه عمرو بن الربيع ولا يعلم اسلامه وهذا اسلام فلما رأى تلك القلادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا قالوا نعم يا رسول الله فاطلقوه وردوا عليها القلادة وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيل زينب اى أن تهاجر الى المدينة اى وقد كان كفار قريش مشوا اليه أن يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما طلق ولدا ابى لهب بنتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل الدخول بهما رقية وأم كلثوم كما تقدم وقالوا له نزوجك اى امرأة من قريش شئت فابى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتى وما احب أن لى بها امرأة من قريش فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واثنى عليه بذلك خيرا فلما وصل ابو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها فخرجت وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل

وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا فكان رضى الله عنه يلبس فى الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفى لفظ الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد وكان يفعل ذلك اظهارا لهذه المعجزة وتحقيقا لها وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على على رضى الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة اى قطيفة خلقة فقال يا امير المؤمنين ان الله جعل لك فى هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأ كم من مالكم فانها لقطيفتى التى خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك لحمى أصابته فى ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل وقد اشار صاحب الهمزية الى زوال رمد على رضى الله عنه ببركة ريق النبى صلى الله عليه وسلم بقوله

وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى عليا رضى الله عنه الراية ليذهب للقتال فقال على رضى الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فى الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفى رواية قال على كرم الله وجهه علام أقاتلهم قال على أن يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم واموالهم وفى رواية لما اعطاهم الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله علام أقاتلهم قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وعن حذيفة رضى الله عنه قال لما تهيأ على رضى الله

عنه يوم خيبر للعملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على والذى نفسى بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فابشر بالرضوان والجنة يا على انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم كان يعطى الراية كل يوم واحدا من اصحابه ويبعثه فبعث أبا بكر رضى الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح

وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية أى اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار غير فرار فدعا عليا رضى الله عنه وهو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ودعا له ومن معه بالنصر وفى رواية ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذى هو سيفه فى وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج على رضى الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت قال على بن أبى طالب قال اليهودى علوتم والتوراة التى انزل الله على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان اول من خرج اليه الحرث اخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون ووثب على رضى الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله على رضى الله عنه وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب وفى رواية ان مرحبا لما علم ان أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن وقد لبس من درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلهب

زيد بن حارثة ورجلا من الانصار قال لهما تكونان ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها اى وذكر ان حماها كنانة بن الربيع اخا زوجها قدم لها بعيرا فركبته واخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودها فى هودج لها وكانت حاملا فتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى ادركوها بذى طوى فكان اول من سبق اليها هبار بن الاسود رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها وفى رواية أنه سبق اليها هبار ورجل آخر يقال له نافع وقيل خالد بن عبد قيس ثم ان كنانة برك ونثر كنانته واخذ قوسه وقال والله لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه ابو سفيان فى رجال من قريش وقال له كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف ثم قال له انك لم تصب فى فعلك فانك خرجت بالمرأة جهارا على رؤس الاشهاد وقد عرفت مصيبتنا التى كانت وما دخل علينا من محمد فيظن الناس اذا خرجت زينب علانية على رؤس الناس من بين اظهرنا ان ذلك من ذل اصابنا وأن ذلك منا من ضعف ووهن ولعمرى مالنا بحبسها عن ابيها من حاجة ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسربها سرا فالحقها بابيها ففعل واقامت ليالى ثم خرج بها ليلا حتى اسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجئ بزينب قال بلى يا رسول الله قال فخذ خاتمى فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقى راعيا فقال لمن ترعى قال لابى العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له هل ان اعطيتك شيأ تعطها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فاعطاه الخاتم فانطلق الراعى الى زينب وادخل غنمه واعطاها الخاتم فعرفته فقالت من اعطاك هذا قال رجل قالت فاين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها اركبى بين يدى على بعيرى قالت لا ولكن اركب أنت بين يدى فركب وركبت خلفه حتى اتت المدينة وذلك بعد شهرين من بدر وكان صلى الله عليه وسلم يقول زينب افضل بناتى اصيبت بى اى بسببى (ومن العجب) ان هذه العبارة ساقها الامام سراج الدين البلقينى فى فتاويه فى حق فاطمة رضى الله عنها حيث قال وقد روى البزار فى مسنده من طريق عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فاطمة هى خير بناتى لانها اصيبت بى هذا كلامه ولينظر ما الذى اصيبت فاطمة بسببه صلى الله عليه وسلم وقد يقال اصابتها بسبب موته صلى الله عليه وسلم فى حياتها ثم رأيت الحافظ ابن حجر اجاب بذلك حيث قال لانها رزئت بابيها فكان فى صحيفتها اى فهو

من اعلام نبوته او ان قوله في زينب ماذكر كان قبل ما وهب الله لفاطمة من الكمالات وقد سئل الامام البلقيني رحمه الله تعالى هل بقية بناته صلى الله عليه وسلم اي بعد فاطمة سواء في الفضل او يفضل بعضهن على بعض ولم يجب عن ذلك ولا مخالفة بين خروج زينب الى زيد وخروج حموها بها الى زيد وبهذا اي بتأخر هجرة زينب يظهر التوقف في قول ابن اسحق أما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن ادركن الاسلام وأسلمن وهاجرن معه الا أن يقال المراد اشتركن معه في الهجرة وتقدم ما في قوله وأسلمن وكون الجائي في فداء أبي العاص أخوه عمرو يخالف ما جاء ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها أرسلت في فداء ابي العاص واخيه عمرو بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة الحديث ولعلها تصحيف وان الاصل بعثت في فداء ابي العاص أخاه عمرو بن الربيع ويدل لذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال في هذه الرواية ان رأيتم أن تردوا لها أسيرها فأطلقوه ولم يقل اسيريها وكان في الاسارى سهيل بن عمرو العامري وتقدم أنه كان من أشراف قريش وخطبائهم فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الجاهلية فقال الاسود ابن عبد المطلب وسهيل بن عمرو وسئل عن خطبائهم في الاسلام فقال معاوية بن أبي سفيان وابنه يعني يزيد وسعيد بن العاص وابنه يعني عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير ولعل هذا لا يخالف ما تقدم من قول الاصمعي الخطباء من بني مروان عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية وعبد الملك بن مروان ومما يؤثر عن عتبة ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم كما تقدم وقال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني انزع ثنيتي سهيل ابن عمرو يدلع اي بالدال والعين المهملتين يخرج لسانه أي لانه كان اعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا في موطن ابدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امثل به فيمثل الله تعالى بي وان كنت نبيا وعسى ان يقوم مقاما لا تذمه فكان كذلك فانه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد اكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام حتى خافهم امير مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه وتوارى فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا ان الله تعالى قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآيات وتلا آيات أخر ثم قال والله اني اعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم يعني أبا سفيان فانه ليعلم من

فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره

اكيلكم بالسيف كيل السندره * ثم حمل مرحب على علي رضي الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي رضي الله عنه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره وكان طول الباب ثمانين شبرا ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلا الا بعد جهد ففيه دلالة على فرط قوة علي وكمال شجاعته رضي الله عنه وعن أبي رافع رضي الله عنه لقد رأيتني في سبعة نجهد على ان نقلب ذلك الباب فلم نقدر رواه ابن اسحق والبيهقي والحاكم وعن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر رضي الله عنهم أن عليا رضي الله عنه حمل الباب يوم خيبر وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا رواه البيهقي وفي رواية للبيهقي ان عليا رضي الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى القموص اجتذب احد ابوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم ان أعادوا الباب مكانه وهذا لا يعارض رواية أربعين لانهم عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين وأما الرواية السابقة التي فيها لقد رأيتني في سبعة فقال الحافظ ابن حجر الجمع بينها وبين رواية الاربعين ان السبعة عالجوا قلبه والاربعين عالجوا حمله والفرق بين الامرين ظاهر ولو لم يكن الا باختلاف حال الابطال ثم ان عليا رضي الله عنه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف في الاضراس والى ذلك اشار بعضهم وقد اجاد بقوله

وشادن ابصرته مقبلا * فقلت من وجدي به مرحبا

قد فؤادي في الهوى قدة

قدعلى في الوغى مرحبا   وماذكر من قتل على رضى الله عنه لمرحب هو الصحيح المروى في صحيح مسلم وغيره وذكر بعض اهل السيران الذى قتل مرحبا محمد بن مسلمة رضى الله عنه فقال ان مرحبا طاب المبارزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضى الله عنه أنا . ٢٥٨ يارسول الله فان اخى قتل بالامس ولم يأخذ احد بثاره وكان الذى قتله مرحب فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فقام اليه وبارزه فضربه مرحب فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد بن مسلمة فقتله وفى رواية فضربه فى ساقه فيحتمل انه بارزه وضربه فى ساقه وعلى رضى الله عنه هو الذى قتله وقيل ان الذى قتله محمد بن مسلمة انما هو الحرث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوبا على سيف مرحب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقول على رضى الله عنه

انا الذى سمتنى امى حيدره

أراد بذلك اعلام مرحب برؤية رآها على رضى الله عنه مكاشفة وذلك ان مرحبا رأى تلك الليلة مناما ان أسدا افترسه فاشار بقوله حيدره وهو من أسماء الاسد الى انه الاسد الذى يفترسه فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه وهذا الاسم سمت على اباه امه فاطمة بنت أسد بن هاشم أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم ابيها وكان ابوطالب غائبا فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه عليا وقيل ان عليا كان يلقب بحيدرة وهو مغير والحيدرة الغليظ القوى فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئا لحما ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز يقول يابى قدعلمت خيبرانى ياسر * شاكى السلاح بطل مغادر   وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من

هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم ولو كانوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقود به وقد جمعكم الله على خيركم يعنى ابابكر رضى الله تعالى عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وعند ذلك ظهر عتاب بن أسيد رضى الله عنه وقدم مكرز بن حفص فى فداء سهيل فلما ذكر قدرا أرضاهم به قالوا هات فقال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا وكان فى الاسارى الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد افتكه أخواه هشام وخالد فلما افتدى أسلم فعاتبوه فى ذلك فقال كرهت ان يظن بى انى جزعت من الاسر ولما اسلم واراد الهجرة حبسه اخواه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو له فى القنوت كما تقدم ثم أفلت ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء كما سيأتى أى وكان فى الاسارى السائب وهو الاب الخامس لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه وكان صاحب راية بنى هاشم فى ذلك اليوم أى التى كان يقال لها فى الحرب العقاب ويقال لها راية الرؤساء ولا يحملها فى الحرب الا رئيس القوم وكانت لابى سفيان أو لرئيس مثله ولغيبة ابى سفيان فى العير حملها السائب لشرفه وفدى نفسه وأما أبوه الرابع الذى هو شافع الذى ينسب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه الذى هو ولد السائب اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فأسلم . وكان فى الاسارى وهب بن عمير رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وكان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمكة رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك فجلس يوما مع صفوان بن امية رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه فى الحجر فتذاكرا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان مافى العيش والله خير بعدهم فقال عمير والله صدقت اما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء وعيال اخشى عليهم الضيعة بعدى كنت آتى محمدا حتى أقتله فان لى فيهم علة ابنى اسير فى أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له على دينك انا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى اواسيهم مابقوا قال عمير فاكتم عنى شأنى وشأنك قال أفعل ثم ان عميرا أخذ سيفه وشحذه بالمهملة والمعجمة أى سنه وسمه أى جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين اناخ راحلته على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير ماجاء الا بشر فدخل عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال صلى الله عليه وسلم فأدخله علي فأقبل عمر رضي الله عنه حتى اخذ بحمالة سيفه في عنقه والحمالة بكسر الحاء المهملة العلاقة فلببه بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير أنعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية اهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي في ايديكم يعني ولده وهبا فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل اغنت عنا شيأ قال صلى الله عليه وسلم اصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال صلى الله عليه وسلم بل قعدت انت وصفوان بن امية في الحجر فذكرتما اصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله اني لاعلم ما اتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا اسيره ففعلوا ذلك ثم قال يا رسول الله اني كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله فانا أحب ان تأذن لي فاقدم مكة فادعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي اصحابك في دينهم فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة واسلم ولده وهب رضي الله عنه وكان صفوان حين خرج عمير يقول ابشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف ان لا يكلمه أبدا وان لا ينفعه بنفع ابدا اي ولما قدم عمير لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته واظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث لم يبدأ بي قبل منزله أنه قد نكس وصبا فلا أكلمه ابدا ولا انفعه ولا عياله بنافعة ثم ان عميرا وقف على صفوان وناداه انت سيد من ساداتنا أرأيت الذي كنا عليه من عبادة الحجر والذبح لها أهذا دين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذي

يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وكانت مع القوم وهي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انه يقتل ابني فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله تعالى فقتله الزبير وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال ولكل نبي حواري وحواري الزبير ٢٥٩ وذكر الزمخشري أن هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة قال انه يعني الزبير أول من استحق السلب وكان ذلك في بني قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية رضي الله عنها واحدي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضي الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه قال الحافظ فليتأمل فاني لم أقف في كلام احد على أن بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفي رواية ان القاتل لياسر علي بن أبي طالب ويمكن الجمع بمثل ما تقدم أي من أنهما اشتركا في ذلك وكان من جملة قتلى المسلمين الاسود الراعي كان أجيرا لرجل من اليهود يرعى له غنما وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم وقيل يسار فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله اعرض علي الاسلام فعرضه عليه فاسلم وفي رواية قال ان أسلمت ماذا لي قال الجنة فاسلم فلما اسلم قال يا رسول الله اني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها وفي رواية انها امانة وهي للناس الشاة والشاتان واكثر من ذلك قال اضرب في وجهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فاخذ حفنة من حصى فرمى به وجهها وقال ارجعي الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين

استأمنه صلى الله عليه وسلم لصفوان كما سيأتى * وكان فى الاسارى ابو عزيز بن عمير اخو مصعب ابن عمير لابيه وامه قال ابو عزيز مر بى اخى مصعب فقال للذى اسرنى شد يدك به فان امه ذات متاع لعلها تفديه منك فقلت له يا أخى هذه وصايتك بى فبعثت امه فى فدائه اربعة آلاف درهم ففدته بها * وكان فى الاسارى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم اى وقد شدوا وثاقه فأتى لم يأخذه صلى الله عليه وسلم نوم فقيل ما اسهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل وارخى وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم والذى اسره ابو اليسر كعب بن عمرو وكان دميما اى بالمهملة صغير الجثة والعباس جسيما طويلا فقيل للعباس رضى الله تعالى عنه لو اخذته بكفك لوسعته كفك فقال ما هو ان لقيته فظهر فى عينى كالخندمة اى وهو جبل من جبال مكة اى وابو اليسر هذا هو الذى انتزع راية المشركين وكانت بيد ابى عزيز بن عمير قال وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل كعبا وقال له كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعاننى عليه ملك كريم أى وفى رواية ان العباس رضى الله تعالى عنه لما قيل له ما تقدم قال والله ان هذا ما اسرنى لقد اسرنى رجل ابلج من احسن الناس وجها على فرس ابلق ما اراه فى القوم فقال الذى جاء به والله انا الذى اسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد ايدك الله بملك كريم وفى الكشاف ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله بن ابى ابن سلول قميصه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس اربعمائة اوقية وفى رواية مائة اوقية وفى رواية اربعين اوقية من ذهب وفى رواية جعل على العباس ايضا فداء عقيل ابن اخيه ثمانين اوقية اى وجعل عليه فداء ابن اخيه نوفل بن الحرث وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك يا عباس وابنى اخيك عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحرث ابن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة اوقية وكل واحد باربعين اوقية وسيأتى ما يدل على انه انما فدى نفسه وابن اخيه عقيلا فقط وقال للنبى صلى الله عليه وسلم تركتنى فقير قريش ما بقيت وفى لفظ تركتنى اسأل الناس فى كفى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين المال الذى دفعته لام الفضل يعنى زوجته وقلت لها ان اصبت فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقثم وفى كلام ابن قتيبة فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا فقال والله انى لأعلم انك رسول الله ان هذا شئ ما علمه الا انا وام الفضل زاد فى رواية وانا أشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله وفى رواية ان العباس قال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد تركتنى فقير

قريش

فاصابه حجر وفى رواية سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فاعرض عنه فقالوا يا رسول الله لم اعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد فى لفظ لقد كرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا ثم ان الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم وهو أول حصن من حصون النطاة على يد على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن يزيد بن ابى عبيد قال رأيت اثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخارى وفى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى رجل ممن يدعى الاسلام انه من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب أى يشك فى قوله صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين وهو أكثم الخزاعى فقال يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال صلى الله عليه وسلم قم يا بلال فاذن فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفى رواية عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا فمال الى عسكره ومال الآخرون الى عسكرهم وفى اصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل ما أجزى أحد منا اليوم

قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب ام الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفى رواية اين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد أن الذى تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله وتقدم عن ابى رافع مولى العباس أن العباس رضى الله تعالى عنه وزوجته ام الفضل كانا مسلمين بل تقدم أنها اول امرأة أسلمت بعد خديجة رضى الله عنها وكانا يكتمان اسلامهما وان ابا رافع كان كذلك ومما يؤيد اسلام العباس رضى الله عنه انه جاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله تعالى عنه قال علام يأخذ منا الفداء وكنا مسلمين أى وفى رواية كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا أى ايمانا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم أى من الفداء الآيات فعند ذلك أى عند نزول الآيات قال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم لوددت أنك كنت أخذت منى اضعافا فقد آتانى الله خيرا منها مائة عبد وفى لفظ أربعين عبدا كل عبد فى يده مال يضرب به أى يتجر فيه وانى لارجو من الله المغفرة أى وهذا القول من العباس رضى الله تعالى عنه يدل على تأخر نزول هذه الآيات (وجاء ان العباس رضى الله تعالى عنه) خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فأخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين اوقية من فدائه فأبى وقال اما شئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك وجاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله تعالى عنه لما أسر تواعدت طائفة من الانصار على قتله فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمر لم أنم الليلة من اجل عمى العباس زعمت الانصار أنهم قاتلوه فأتى عمر الانصار فقال لهم أرسلوا العباس فقالوا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فقالوا ان كان رضى فخذه فأخذه عمر فلما صار فى يده قال له يا عباس أسلم فوالله لان تسلم أحب الى من ان يسلم الخطاب اى وفى اسباب النزول للواحدى لما أسر العباس يوم بدر اقبل المسلمون عليه يعيرونه بكفره بالله وقطيعة الرحم واغلظ على له القول فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له على ألكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج ونفك العانى فأنزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الآية وجاء أنه قال للمسلمين لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد

كما أجزى فلان فقال صلى الله عليه وسلم أما انه من أهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع اسرع معه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت فى طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها وانما الاعمال بالخواتيم وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الرجل انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك لنفاق فى قلبه أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليه أولانه يرتد بعد ذلك ويفعل قتل نفسه قال العلماء هذا الرجل أعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم انه نفذ عليه الوعيد بالنار ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضى عليه بالنار بل يحتمل ان هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك فى الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافرا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وجاء فى رواية ان الذى نادى بلال وفى أخرى عمر بن الخطاب وفى اخرى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم قال الحافظ ابن حجر يجمع بأنهم نادوا جميعا فى جهات مختلفة ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبى هريرة وسهل بن سعد رضى الله عنهما فى بعض الالفاظ فقيل ان القصة متعددة فى موطنين لرجلين مختلفين وقيل انها قصة واحدة والاختلاف من تصرف

الرواة وسيأتي ان أباهريرة رضي الله عنه لم يحضر قتال خيبر انما جاء عند قسم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضي الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتوها وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلا وقيل أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصنا حصنا وهي النطاة بوزن حصاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار في سهمه بعد وكان في قلة جبل والشق والقموص وحصن السرى وحصن أبي والوطيح والسلالم وهو حصن ابن أبي الحقيق وأخذ صلى الله عليه وسلم كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك أي جلد حمار فلما كثر جعلوه في مسك ثور فلما كثر جعلوه في مسك جمل وكانوا قد غيبوه في خربة فدل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه فأخبر بموضعه وكان من مال بني النضير الذي حمله حيي بن أخطب لما أجلي عن المدينة روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان أهل خيبر شرطوا له صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيأ فان فعلوا فلا ذمة لهم فأتى بكنانة والربيع فقال لهما ما فعل مال حيي الذي جاء به من بني النضير قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم اتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال أين آنيتكم التي كنتم تعيرونها أهل مكة قالوا هربنا فلم تزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شئ فقال ان كتمتماني شيأ فاطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما فقالا نعم فدعا رجلا من الانصار فقال اذهب الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة مرفوعة فأتني بما فيها فجاء بالآنية والاموال فقومت بعشرة آلاف دينار فضرب عنقهما وسبى أهليهما بالنكث

الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله الآية (وذكر بعضهم) أن العباس رضي الله تعالى عنه كان رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام فكان لا يدع أحدا يتسبب فيه ولا يقول فيه هجرا والتشبيب ترقيق الشعر بذكر النساء والهجر الكلام الفاحش فكانت قريش اجتمعت وتعاقدت على تسليم ذلك للعباس وكانوا اعوانا له على ذلك ومن ثم قيل في العباس هذا والله هو الشرف يطعم الجائع ويؤدب السفيه فان طعامه كان لفقراء بني هاشم وقيل وسوطه معد لسفهائهم واذا كان ذلك لسفهاء بني هاشم فلسفهاء غيرهم بطريق الاولى والظاهر أن ذلك لا يختص بسكونهم في المسجد كما قد يدل عليه الرواية الاولى ولا ينافي هذا أي قول عمر له أسلم الى آخره ما تقدم عن مولاه أبي رافع من ان العباس كان مسلما ومن قوله للنبي صلى الله عليه وسلم انه كان مسلما ومن اتيانه بالشهادتين عنده صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يظهره علانية بل اظهره له صلى الله عليه وسلم فقط ولم يعلم به عمر ولا غيره ولم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم اسلام العباس رفقا به لما تقدم ان العباس كان له ديون متفرقة في قريش وكان يخشى ان أظهر اسلامه ضاعت عندهم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه اي فلم يظهر اسلامه الا يوم الفتح وكان كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب له مقامك بمكة خير لك اي وفي رواية استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم اقم مكانك الذي أنت فيه فان الله عزوجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة فكان كذلك وفي رواية أنه قال لابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالي شئ افدي به نفسي قال افد نفسك من مالك الذي بجدة وفي لفظ بارماحك التي بجدة فقال اشهد انك رسول الله والله ما أحد يعلم أن لي بجدة أرماحا غير الله أي وفدى نفسه ولم يفده العباس ويدل لذلك ما رواه البخاري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بمال من البحرين اي من خراجها فقال انثروه في المسجد فكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كان مائة الف وكان اول خراج حمل اليه صلى الله عليه وسلم وكان يأتي في كل سنة وحينئذ لا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم لجابر لو قد جاء مال البحرين اعطيتك فلم يقدم مال البحرين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المراد انه لم يقدم في تلك السنة ولما نثر ذلك المال في المسجد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فكان لا يرى احدا الا اعطاه فجاءه العباس فقال يا رسول الله اعطني اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا اي ولم

يقل نوفلا ولا حليفه عتبة بن عمرو فقال خذ فخثى فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه الى قال لا قال فارفعه انت على قال لا فنثر منه ولا زال يفعل كذلك حتى ابقى ما يقدر على رفعه فرفعه على كاهله اى بين كتفيه ثم انطلق وهو يقول انما اخذت ما وعد الله فقد انجز فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره عجبا من حرصه حتى خفى (ومن) رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من الاسارى بغير فداء منهم ابو عزة عمرو الجمحى الشاعر كان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله انى فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وفى رواية قال له ان لى خمس بنات ليس لهن شئ فتصدق بى عليهن ففعل وأعتقه واخذ عليه ان لا يظاهر عليه احدا اى ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر وقتل صبرا وحملت رأسه الى المدينة كما سيأتى اى فعلم أن أسرى بدر منهم من فدى ومنهم من خلى سبيله من غير فداء وهو أبو العاص وأبو عزة ووهب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط كما تقدم (ولما بلغ) النجاشى نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدر فرح فرحا شديدا فعن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن النجاشى أرسل اليه والى أصحابه الذين معه بالحبشة ذات يوم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة قالوا له ماهذا أيها الملك فقال لهم انى أبشركم بما يسركم انه قد جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن الله عز وجل قد نصر نبيه وأهلك عدوه وفلانا وفلانا وعدد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه غنما لسيدى من بنى ضمرة فقال له جعفر مالك جالس على التراب عليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على عيسى ان حقا على عباد الله أن يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفى رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا حدث له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما أحدث الله تعالى نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثت هذا التواضع وفى رواية انا نجد فى الانجيل أن الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة الحديث قال ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل وجوههم قالوا ان ثارنا بارض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من اتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة رضى الله تعالى عنهما اى فانهما أسلما بعد ذلك الى النجاشى ليدفع اليهما من عنده من المسلمين

الذى دلكناه وفى رواية أن كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعه صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف فى خربة ههنا ففتشوها فوجدوا المسك فقتل ابن أبى الحقيق واصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته ان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤنك السلام ويقولون أجهدنا الجوع ولامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة اخو اسماء والله انى لأرجو ان يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه اسماء وبلغه ما قالت اسلم فدعا لهم أى قال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدى شئ أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد أن أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاما منه من شعير وتمر وودك أى سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب فقتله الحباب فخرج آخر يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفارى فقتله وقال خذها وأنا الغلام الغفارى فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضى الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فاقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا فى ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيأ كثيرا ونادى

منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أى لا تخرجوا به الى بلادكم وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال أصبت من فى خيبر أى غنيمة جرابا فاحتملته على عنقى أريد رحلى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها وهو أبو اليسر كعب ابن زائد الانصارى رضى الله عنه فاخذ بناصيتى وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا اعطيك فجعل يجاذبنى الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب الغنائم لا ابا لك خل بينه وبينه فارسلنى فانطلقت به الى رحلى واصحابى فأكلناه وكل الحصون فتحت عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم فانهما مكث المسلمون على حصارهما اربعة عشر يوما فلم يخرج احد منهم فهم صلى الله عليه وسلم ان يحمل عليهم وان ينصب عليهم المنجنيق فلما ايقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وارضها بذراريهم وأن لا يصحب احدا منهم الا ثوب واحد فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيأ فتركوا مالهم من ارض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فمن قال ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير هذين الحصنين ومن قال صلحا حمل على هذين ووجدوا فى الحصنين المذكورين مائة درع واربعمائة سيف والف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ووجدوا فى اثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فامر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم ثم جمع السبى فجاء دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه فقال يا رسول الله اعطنى جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيى وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل الى النبى صلى الله

فأرسلوا معهما هدايا وتحفا للنجاشى فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النجاشى عمرو بن امية الضمرى بكتاب يوصيه فيه على المسلمين انتهى وفى الاصل هنا ما يوافقه وفيه ان عمرو بن أمية الضمرى لم يكن أسلم بعد أى لانه كما فى الاصل شهد بدرا واحدا مع المشركين واول مشهد شهده مع المسلمين بئر معونة واسر فى ذلك وجزت ناصيته واعتق وكان ذلك فى سنة اربع كما سيأتى قال فلما وصل عمرو وعبد الله الى النجاشى ردهما خائبين اى فعن عمرو بن العاصى قال دخلت على النجاشى فسجدت له فقال مرحبا بصديقى اهديت لى من بلادك شيأ فقلت نعم ايها الملك اهديت لك ادما كثيرا ثم قربته اليه فأعجبه وفرق منه اشياء بين بطارقته وامر بسائره فأدخل فى موضع وامر ان يكتب ويحفظ به قال عمرو فلما رأيت طيب نفسه قلت ايها الملك انى رأيت رجلا خرج من عندك يعنى عمرو بن أمية الضمرى وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فاعطنيه فأقتله فغضب ثم رفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه قد كسره فجعلت أتقى الدم بثيابى وفى رواية ثم رفع يده فضرب بها أنف نفسه ظننت أنه قد كسره وقد يجمع بوقوع الامرين منه وعند ذلك قال عمرو فأصابنى من الذل ما لو انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتكه فقال يا عمرو تسألنى ان اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى والذى كان يأتى عيسى ابن مريم لتقتله قلت وتشهد أنت ايها الملك انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم أشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد بذلك عند الله يا عمرو فأطعنى واتبعه فوالله انه لعلى الحق قلت له أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فمد يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى أصحابى وقد كسانى فلما رأوا كسوة الملك سروا بذلك وقالوا هل من صاحبك قضاء لحاجتك يعنون قتل عمرو بن امية الضمرى فقلت لهم كرهت ان اكلمه اول مرة وقلت اعود اليه قالوا الرأى ما رأيت وفارقتهم وهذا يدل على انه كان معه ومع عبد الله جماعة آخرون من قريش ويحتمل أنه عنى بأصحابه عبد الله بن ربيعة ويؤيد الاول ما يأتى فليتأمل وكأنى اعمد الى حاجة فعمدت الى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبت معهم ودفعوها من ساعتهم حتى انتهوا الى الشعيبة وهو محل معروف كان موردة لجدة أى كان ترسى به السفن قبل وجود جدة كما تقدم فخرجت من السفينة فابتعت بعيرا وتوجهت الى المدينة حتى اذا كنت بالهداة اسم محل اذا رجلان وهما خالد بن الوليد وعثمان بن ابى طلحة فرحبا بى واذا هما يريدان

الذى اريدفتو جهنا الى المدينة فقد علمت سافى ارسال عمرو بن امية الضمرى الى النجاشى عقب وقعة بدر من أنه كان فى ذلك الوقت كافرا لانه شهد مع الكفار احدا ومن ثم قال فى الاصل هنا فلما كان شهر ربيع الاول وقيل المحرم سنة سبع اى وقيل سنة ست حكاه ابن عبد البر عن الواقدى من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به عمرو بن امية الضمرى فلما قرئ عليه الكتاب اسلم وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه ام حبيبة ففعل وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه من بقى عنده من اصحابه و يحملهم ففعل وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة الى أرض الحبشة أن توجه عمرو بكتابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم سنة سبع يدعوه فى أحدهما الى الاسلام والثانى فى تزويجه عليه الصلاة والسلام أم حبيبة وقيل ارسال عمرو كان فى شهر ربيع الاول منها وسيأتى ذكر كتابى النبى صلى الله عليه وسلم الى النجاشى مع عمرو عند ذكر كتبه الى الملوك هذا كله كلام الاصل فليتأمل مافيه ثم رأيت صاحب النور قال قد رأيت غير واحد صرح بان النجاشى أسلم فى السنة السابعة يعنون من الهجرة وهذا يعكر على تصديقه واسلامه عند ارسال عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة أى عقب بدر حيث قال أنا اشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ما تقدم هذا كلامه أى فكيف يكون ارسال عمرو بن أمية الى النجاشى ليسلم وقد يجاب بان المراد اظهار اسلامه أى بعث له عمرو بن أمية لاجل أن يظهر اسلامه ويعلن به بين قومه أى لانه كان يخفى اسلامه عن قومه ولما بلغ قومه أنه اعترف بان عيسى صلوات الله وسلامه عليه عبد الله ووافق جعفر بن أبى طالب على ذلك سخطوا وقالوا له أنت فارقت ديننا وأظهروا له المخاصمة فأرسل النجاشى الى جعفر بن ابى طالب وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان هزمت فاذهبوا حيث شئتم وان ظفرت فأقيموا ثم عمد الى كتاب فكتب هو يشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله و يشهد ان عيسى عبده و رسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله فى ثيابه عند منكبه الايمن وخرج الى الحبشة وقد صفوا له فقال يامعشر الحبشة ألست أرفق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتى فيكم قالوا خيرسيرة قال فما لكم قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد قال فماذا تقولون انتم فى عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال لهم النجاشى ووضع يده على صدره على قبائه وقال هو يشهد ان عيسى بن مريم ولم يزد على هذا وانما يعنى ما كتب فرضوا منه ذلك ويذكر

عليه وسلم قال خذ جارية من السبى غيرها فاخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيى من سبط هرون أخى موسى عليهما السلام فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ثم اعتقها وتزوج بها وفى المواهب وانما أخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم قال الحافظ ابن حجر ولد صفية مائة نبى ومائة ملك ثم صيرها الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليس ممن توهب لدحية لكثرة من فى الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى نفاستها نسبا وجمالا فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان فى ذلك رضا الجميع وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع فى حجرها فذكرت ذلك لابيها فلطم وجهها وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكونى عند ملك العرب فلم يزل الاثر فى وجهها حتى أتى بها صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فأخبرته وأخرج ابن أبى عاصم عن أبى برزة رضى الله عنه قال لما نزل صلى الله عليه وسلم خيبر كانت صفية عروسا فرأت فى المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت فى صدرها فقصت ذلك على زوجها فقال ماتتمنين الا هذا الملك الذى نزل بنا ولا تنافى لامكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فاخبرت بالمنام الاول أباها وبالثانى زوجها (وفى هذه الغزوة) سمت اليهودية الشاة للنبى صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم انها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ارفعوا أيديكم ثم قال اجمعوا الى من كان

هـنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقونى عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال من أبوكم فقالوا أبونا فلان أى وانتسبوا الى غير أبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم قال هل أنتم صادقونى عن شئ ٢٦٦ ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا فقال لهم صلى الله عليه وسلم من أهل النار قالوا نكون فيها زمانا يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لن نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقونى عن الشئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم قال هل جعلتم فى هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفى رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى مشيرا للذراع قالت نعم قال لها ما حملك على ذلك قالت ان كنت نبيا يطلعك الله وان كنت كاذبا فأريح الناس منك وقد استبان لى انك صادق وانا اشهدك ومن حضرك أنى على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى من اصحابه الذين كانوا معه بشر بن البراء رضى الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة وفى رواية أن اليهودية قبل أن تضع السم جعلت تسأل اى اجزاء الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها الخروج الذراع فعمدت الى شاة لها فذبحتها ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد ان شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم فسمت الشاة واكثرت فى الذراعين والكتف وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من تلك الاكلة بسبب ذلك السم فدفع

ان عليا رضى الله عنه وجد ابن النجاشى عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين وكان يقال له نيزر مولى على كرم الله وجهه ويقال ان الحبشة لما بلغهم خبره أرسلوا وفدا منهم اليه ليملكوه ويتوجوه ولم يختلفوا عليه فأبى وقال ما كنت لاطلب الملك بعد ان من الله على بالاسلام على ان ابن الجوزى رحمه الله ذكر ان ذهاب عمرو بن العاصى الى النجاشى كان عند منصرفه مع قريش فى غزوة الاحزاب أى لا عقب بدر فعن عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنه لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون مكانى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله انى لارى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وانى قد رأيت رأيا فما ترون فيه قالوا وما رأيت قال ان نلحق بالنجاشى فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى فانا أن نكون تحت يديه أحب الينا أن نكون تحت يدى محمد وان ظهر قومنا فنحن ممن قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا الخير فقالوا ان هذا هو الرأى فقلت اجمعوا ما يهدى له وكان احب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا اليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه الحديث وهذا لا يمنع ان يكون عمرو بن العاص وفد على النجاشى هو وعبد الله بن ربيعة عقب بدر فيكون وفود عمرو بن العاص على النجاشى كان ثلاث مرات مرة مع عمارة عقب مهاجرة من هاجر الى الحبشة ومرة مع عبد الله بن ربيعة عقب بدر وهذه المرة الثالثة التى كانت عقب الاحزاب وان ارسال عمرو بن أمية واسلام عمرو بن العاصى على يد النجاشى كان فى هذه المرة الثالثة وحينئذ لا يشكل ارسال عمرو بن امية للنجاشى لانه كان مسلما حينئذ فيكون ذكر مجئ عمرو بن امية الى النجاشى فى المرة الثانية التى كانت عقب بدر اشتباها من بعض الرواة وكذا ذكر اسلام عمرو بن العاصى على يد النجاشى فى المرة الثانية من تخليط بعض الرواة ثم رأيته فى الامتاع قال وقد رويت قصة الهجرة الى الحبشة واسلام النجاشى من طرق عديدة مطولة ومختصرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل عمرو بن امية الضمرى فى اموره لانه كان من رجال النجدة اى ومعلوم أنه كان لا يرسله الا بعد اسلامه واسلامه قد علمت أنه كان سنة اربع وفى الاصل انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى مكة بهدية لابى سفيان بن حرب اى ولعل المراد بذلك ما حكاه بعض الصحابة قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اراد ان يبعث بمال الى ابى سفيان يقسمه فى قريش بمكة بعد الفتح وقال لى التمس صاحبا قال فجاءنى عمرو بن امية فقال بلغنى انك تريد

الخروج الى مكة والتمس صاحبا قالت اجل قال فأنا لك صاحب قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وجدت صاحبا فقال من قلت عمرو بن امية الضمري فقال اذا هبط بلاد قومه فاحذروه فانه قد قال القائل اخوك البكري ولا تأمنه وقد اسلم عبد الله ولده قبل ابيه عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال فيهما وفي ام عبد الله نعم البيت عبد الله وابو عبد الله وأم عبد الله وكان صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على ابيه لانه كان من عباد الصحابة وزهادهم وفضلائهم وعلمائهم ومن اكثرهم رواية وذكر ابن مرزوق رحمه الله ان ابن عمرو رضي الله عنهما مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني في الاوسط زاد السيوطي في الخصائص فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته قال اوقد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن الشعبي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حديد وفي لفظ بعمود حديد حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل يعذب الى يوم القيامة * ومما جاء في فضل من شهد بدرا أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفي رواية ان للملائكة الذين شهدوا بدرا في السماء افضلا على من تخلف منهم وجاء بعض الصحابة رضي الله تعالى عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابن عمي نافق أي وقد كان من أهل بدر أتأذن لي أن أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وعسى أن يكفر عنه وفي رواية وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر وقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قال وفي الطبراني باسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو قال فقد وجبت لكم الجنة أي غفرت لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب أي وهو يفيد أن ما يقع منهم من الكبائر لا يحتاجون الى التوبة عنه لانه اذا وقع يقع مغفورا وعبر فيه بالماضي مبالغة في تحققه وهذا كما لا يخفى بالنسبة للآخرة لا بالنسبة لاحكام الدنيا ومن ثم لما شرب قدامة

صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لاوليائه فقتلوها فيه وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة فان في بعضها انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية وفي بعضها انه قتلها فيحمل على قتلها قصاصا في بشر بن البراء وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه بل يعفو ويصفح وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبي صلى الله عليه وسلم جعفرا وقبل جبهته وعانقه وقام له وقد قام لصفوان بن أمية لما قدم عليه ولعدي بن حاتم رضي الله عنهما ثم قال صلى الله عليه وسلم ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله عنه أشبهت خلقي وخلقي فرقص رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع وقدم من الحبشة مع جعفر رضي الله عنه أبو موسى الاشعري رضي الله عنه وجماعة من قومه ففي البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم في ثلاث أو اثنين وخمسين رجلا من قومي فركبنا سفينة فالقتنا الى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي طالب فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا وأمرنا بالاقامة فاقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فاسهم لنا ولم يسهم لاحد غاب عن فتح خيبر منها شيأ الا لمن شهد معه الا اصحاب سفينتنا مع جعفر واصحابه فانه قسم لهم معنا وكانت اسماء بنت عميس رضي الله عنها متزوجة بجعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وولدت له بالحبشة

ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضي الله عنه سبقناكم بالهجرة فنحن احق برسول الله منكم فغضبت وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس باحق بي منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم انتم اهل السفينة هجرتان وعند البيهقي حديث طويل في قصتهم وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف أصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين

يدخلون بالليل واعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الايام ايضا ابو هريرة رضي الله عنه وطائفة من قومه قال ابو هريرة رضي الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع ابن عرفطة الغفاري رضي الله عنه فاخبرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر للكتيبة فاقمنا حتى فتح الله وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم حجاج ابن علاط السلمي واسلم وكان مكثرا من المال فقال يارسول الله ان مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة فأذن لي ان آتي مكة لآخذ مالي قبل ان يعلموا باسلامي فلا اقدر على اخذ شيء منه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لابد لي ان اقول اي خلاف الواقع لاحتال على التوصل لاخذ مالي قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر اهل القوة والمنعة بعد ما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير في ان النبي صلى الله عليه وسلم يغلب اهل خيبر اولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثاني فلما جاءهم حجاج قالوا يا حجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا باسلامه ثم قالوا يا حجاج بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار

ابن مظعون الخمر في أيام عمر رضي الله عنه وكان بدريا أي وقد يقال هذا يقتضي وجوب التوبة في الدنيا فاذا لم تقع لا يؤاخذ بذلك في الآخرة لان وجوب التوبة من أحكام الدنيا لا يقال اذا سلم أن الذنب اذا وقع منهم يقع مغفورا لا معنى لوجوب التوبة وانما حد عمر رضي الله عنه قدامة زجرا عن شرب الخمر لانا نقول بل لوجوب التوبة في الدنيا معنى وان كان الذنب اذا وقع يقع مغفورا لان المراد بذلك عدم المؤاخذة في الآخرة وذلك لا ينافي وجوب التوبة عنه في الدنيا لانه لا تلازم بين وجوب التوبة في الدنيا وبين غفران الذنب في الآخرة هذا وفي الخصائص الصغرى نقلا عن شرح جمع الجوامع أن الصحابة كلهم لا يفسقون بارتكاب ما يفسق به غيرهم وقدامة هذا كان متزوجا أخت عمر رضي الله تعالى عنه وكان عمر متزوجا باخت قدامة وهي أم حفصة رضي الله عنها فكان خالا لحفصة ولاخيها عبد الله وكان عاملا لعمر في بعض النواحي أي البحرين فقدم الجارود سعد بن عبد القيس على عمر من البحرين وكان قدامة واليا عليها فأخبر عمر ان قدامة سكر قال واني رأيت حدا من حدود الله حقا علي أن أرفعه اليك فقال له عمر من يشهد معك قال أبو هريرة فشهد أبو هريرة رضي الله عنه انه رآه سكران أي قال لم أره يشرب ولكني رأيته سكران يقيء فأحضر قدامة فقال له الجارود أقم عليه الحد فقال له عمر رضي الله عنه أخصم انت أم شاهد فصمت ثم عاوده فقال له عمر رضي الله عنه لتمسكن او لاسوءنك فقال ليس في الحق وفي لفظ اما والله ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك وتسوءني فأرسل عمر رضي الله عنه الى زوجة قدامة اي بعد أن قال له أبو هريرة رضي الله عنه ان كنت تشك في شهادتنا فأرسل الى ابنة الوليد يعني زوجته فجاءت فشهدت على زوجها بأنه سكر فقال عمر لقدامة أريد أن أحدك فقال ليس لك ذلك لقول الله عز وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فقال له عمر اخطأت التأويل فان بقية الآية اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فانك ان اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك ثم امر به فحد فغاضبه قدامة ثم حجا جميعا ففي يوم استيقظ عمر رضي الله عنه من نومه فزعا فقال عجلوا بقدامة اتاني آت فقال صالح قدامة فانه اخوك فاصطلحا اي وقد احتج بهذه الآية ايضا جمع من الصحابة شربوا الخمر وهم ابو جندل وضرار بن الخطاب وابو الازور واراد ابو عبيدة رضي الله عنه وهو وال بالشام ان يحدهم فقال ابو جندل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك وقال خصمني ابو جندل بهذه الآية فكتب

الى خيبر فقالت عندى من الخبر مايسركم فاجتمعوا الىّ يقولون ياحجاج ايه فقلت لم يلق محمد واصحابه قوما يحسنون القتال غير خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وانهم اسروا محمدا وقالوا لانقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين اظهرهم وفى لفظ يقتلونه بمن كان اصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا ٢٦٩ محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين اظهر كم قال حجاج وقلت لهم اعينونى على غرمائى اريد أن اقدم فاصيب من مغانم محمد واصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى ماهنالك فجمعوا الى مالى على احسن مايكون ثم فشا الخبر بمكة واظهر المشركون الفرح والسرور بمكة وحزن من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه فجعل لايستطيع ان يقوم ثم ارسل الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله اعلى واجل من ان يكون الذى جئت به حقا فقال له حجاج اقرا على ابى الفضل السلام وقل له ليخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على مايسره واكتم عنى فاقبل الغلام فقال ابشر يا ابا الفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يكن مسه شئ واخبره بذلك واعتق العباس ذلك الغلام وقال لله علىّ عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله ان يكتم عنه ثلاثة ايام وقال انى اخشى الطلب فاذا مضت الثلاث فأظهر امرك فوافقه العباس رضى الله عنه على ذلك فقال انى اسلمت وان لى عند امرأتى مالا ودينا على الناس ولو علموا باسلامى لم يدفعوا الىّ وانى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيى بن أخطب وقتل ابن أبى الحقيق وأخبره الخبر بتمامه فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العباس رضى الله عنه تلك الليالى الثلاث فلما مضت الثلاث عمد العباس رضى الله

عمر لابى عبيدة ان الذى زين لابى جندل الخطيئة زين له الخصومة فاحدهم فلما اراد ابو عبيدة ان يحدهم قال ابو الازور لابى عبيدة دعنا نلق العدو غدا فان قتلنا فذاك وان رجعنا اليكم فحدونا فلقوا العدو فاستشهد ابو الازور وحد الآخران * وفى حواشى البخارى للحافظ الدمياطى ان نعيمان كان ممن شهد بدرا وسائر المشاهد واتى به فى شربه الخمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحده اربعا او خمسا اى من المرات فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر مايشرب وا كثر مايحد فقال عليه الصلاة والسلام لاتلعنه فانه يحب الله ورسوله ولعل هذا التعليل لاينظر لمفهومه وعند الامام أحمد رحمه الله عن حفصة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لارجو ان لايدخل النار ان شاء الله تعالى احد شهد بدرا والحديبية ولعل الواو بمعنى أو ويدل لذلك مافى بعض الروايات عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة ولا ينافى مافى مسلم والترمذى عن جابر أن عبدا لحاطب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت لايدخلها فانه شهد بدرا والحديبية لانه يجوز أن يكون ذلك لكونه أى الجمع بين بدر والحديبية هو الواقع لحاطب وفى الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر والذى نفسى بيده لو أن مولودا ولد فى فقه أربعين سنة من أهل الدين يعمل بطاعة الله تعالى كلها ويجتنب معاصى الله كلها الى أن يرد الى أرذل العمر أو يرد الى أن لايعلم بعد علم شيأ لم يبلغ أحدكم هذه الليلة وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر ويقدمهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر وللنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد أن سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يافلان قم يافلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجه من اقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك أى ولعل المراد يجلسونهم مكانهم وفى الخصائص الصغرى وخص أهل بدر من أصحابه صلى الله عليه وسلم بأن يزادوا فى الجنازة على أربع تكبيرات تمييزا لهم لفضلهم وقد ذكر أن عمر بن عبد العزيز بن مروان كان يختلف الى عبيد الله بن عبد الله ليسمع منه فبلغ

عبيد الله أن عمر ينتقص عليا رضى الله تعالى عنه فأتاه عمر فأعرض عبيد الله عنه وقام ليصلى فجلس عمر ينتظره فلما سلم أقبل عليه وقال له متى بلغك ان الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ففهمها عمر وقال معذرة الى الله واليك والله لا أعود فما سمع بعد ذلك يذكر عليا كرم الله وجهه الا بخير

(غزوة بنى سليم)

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم أى وفى رواية ابى داود ان استخلاف ابن أم مكتوم انما كان على الصلاة بالمدينة دون القضايا والاحكام فان الضرير لا يجوز له أن يحكم بين الناس لانه لا يدرك الاشخاص ولا يثبت الاعيان ولا يدرى لمن يحكم ولا على من يحكم اى فامر القضايا والاحكام يجوز ان يكون فرضه صلى الله عليه وسلم لسباع فلا مخالفة فلما بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر اى وقيل لهذا الماء الكدر لان به طيرا فى الوانها كدرة فأقام صلى الله عليه وسلم على ذلك ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا اى وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم ابيض حمله على بن ابى طالب كرم الله وجهه وكان فى تلك السنة تزويج على بفاطمة رضى الله تعالى عنهما اى عقد عليها فى رمضان وقيل فى رجب ودخل بها فى ذى الحجة وقيل بعد أن تزوجها بنى بها بعد سبعة اشهر ونصف اى فيكون عقد عليها فى اول جمادى الاولى وكان عمرها خمس عشرة سنة وكان سن على يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر اى واولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار ولما خطبها على قال صلى الله عليه وسلم ان عليا يخطبك فسكتت اى وفى رواية قال لها اى بنية ان ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين فبكت ثم قالت كأنك يا أبت انما ادخرتنى لفقير قريش فقال صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق ما تكلمت فى هذا حتى اذن لى الله فيه من السماء فقالت فاطمة رضى الله عنها رضيت بما رضى الله ورسوله وقد كان خطبها ابو بكر ثم عمر فسكت صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال انتظر بها القضاء فجاآ اى ابو بكر وعمر رضى الله عنهما الى على كرم الله وجهه يأمرانه ان يخطبها قال على فنبهانى لامر كنت عنه غافلا فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجنى فاطمة قال وعندك شئ قلت فرسى وبدنى اى درعى قال اما فرسك فلابد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها باربعمائة وثمانين درهما فجئته صلى الله عليه وسلم بها فوضعها فى حجره فقبض منها قبضة فقال اى بلال ابتع

عنه الى حلة فلبسها او مخلوق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون لا يصيبك الا خير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى الا خير بحمد الله أخبرنى حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيهم اسهام الله وسهام

رسوله صلى الله عليه وسلم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيى بن أخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها وانما قال لكم ذلك ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجناكم ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضى الله عنه ووقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فأجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك والله أعلم

(غزوة وادى القرى)

اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتينا وادى القرى نزلناها اصيلا مع غروب الشمس وحاصرهم صلى الله عليه وسلم لنا بها اربعة ايام وهيأ صلى الله عليه وسلم اصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضى الله عنه وراية الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه وراية الى سهل بن حنيف رضى الله عنه وراية الى عباد بن بشر رضى الله عنه ثم دعاهم الى الاسلام واخبرهم انهم

ائتنا بها طيبا وفي رواية لما خطبها قال له صلى الله عليه وسلم ما تصدقها وفي لفظ هل عندك شيء تستحلها به قال ليس عندي شيء قال فأين درعك الحطمية التي اعطيتك يوم كذا وكذا قال عندي فباعها من عثمان بن عفان باربعمائة وثمانين درهما ثم ان عثمان رضي الله عنه رد الدرع الى علي كرم الله وجهه فجاء علي بالدرع والدراهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات وفي فتاوى الجلال السيوطي انه سئل هل صحة ما قيل ان عثمان بن عفان رأى درع علي رضي الله تعالى عنهما يباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضي الله عنها فقال عثمان هذا درع علي فارس الاسلام لا يباع أبدا فدفع لغلام علي اربعمائة درهم واقسم ان لا يخبره بذلك ورد الدرع معه فلما اصبح عثمان وجد في داره اربعمائة كيس في كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هنيأ لك يا عثمان وفيها ايضا ان عليا خرج ليبيع ازار فاطمة ليأكل بثمنه فباعه بستة دراهم فسأله سائل فأعطاه اياها فجاء جبريل في صورة اعرابي ومعه ناقة فقال يا ابا الحسن اشتر هذه الناقة قال ما معي ثمنها قال الى اجل فاشتراها بمائة ثم عرض له ميكائيل في صورة رجل في طريقه فقال اتبيع هذه الناقة قال نعم قال بكم اشتريتها قال بمائة قال آخذها بمائة ولك من الربح ستون فباعها له فعرض له جبريل فقال بعت الناقة قال نعم قال ادفع الى ديني فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة من أين لك هذا قال ضاربت مع الله بستة فأعطاني ستين ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال البائع جبريل والمشتري ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة اصل أم لا فأجاب عن ذلك كله بانه لم يصح أي وهي تصدق بان ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يعقد خطب خطبة منها الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ثم ان الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة أرضيت يا علي قال رضيت بعد أن خطب علي كرم الله وجهه أيضا خطبة منها الحمد لله شكرا لانعمه واياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال يا علي اخطب لنفسك فقال علي الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني ابنته فاطمة على صداق مبلغه اربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا قالوا ما تقول يا رسول الله قال اشهدكم اني قد زوجته كذا

ان اسلموا احرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله عنه ثم آخر فقتله الزبير أيضا ثم آخر فقتله علي رضي الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة رضي الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل رجل دعا من بقي الى الاسلام حتى أعطوا ما بايديهم وفتحها صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم واصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصابه على اصحابه وترك الارض والنخل بايديهم وعاملهم عليها وولاها صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد ابن العاص وصالحه صلى الله عليه وسلم أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادي القرى وولاها صلى الله عليه وسلم يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنه وكان اسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة وصالحه ايضا اهل فدك على ان لهم نصفها وله صلى الله عليه وسلم نصفها فأقرهم على ذلك فكانت له صلى الله عليه وسلم خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وقدم بعض اهل السير مصالحة اهل فدك على غزوة وادي القرى لانه صالحهم بعد ان فتح خيبر ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصورا مؤيدا والله اعلم

(ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء)

(سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

الى تربة بضم التاء وفتح الراء وبالموحدة وتاء التأنيث واد بقرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء وهو موضع على اربع ليال من مكة وكانت في شعبان سنة سبع بعث صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه ثلاثون رجلا فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوازن الى الطائفة التي كانت منهم بتربة فهربوا وجاء عمر رضي الله عنه الى محالهم فلم يلق منهم احدا بل ترفعوا واخذوا سائر مالهم من نعم وغيرها

فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذى الجدر وموضع على ستة اميال من المدينة قال له رجل من بنى هلال هل لك فى جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد اجدبت بلادهم فقال عمر رضى الله عنه لم يامرنى صلى الله عليه وسلم بهم انما امرنى ان اعمد لقتال هوازن بتربة *(ثم سرية ابى بكر الصديق رضى الله عنه)* ٢٧٢ الى بنى كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء وكانت فى شعبان ايضا سنة سبع ويقال الى بنى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضى الله عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح امرنا فشننا الغارة فوردنا الماء وقتل من قتل منهم ورأيت الذرارى فخشيت ان يسبقونى الى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهى ام قرفة عليها قشع من ادم ومعها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم اسوقهم الى أبى بكر رضى الله عنه فنفلنى ابو بكر ابنتها فلم اكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقينى صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لى المرأة لله ابوك فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدى بها اسرى من المسلمين كانوا فى ايدى المشركين قال بعضهم ان تسمية المرأة بأم قرفة وهم لان ذلك انما كان فى سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله اعلم

(ثم سرية بشير بن سعد) الانصارى الخزرجى رضى الله عنه الى بنى مرة بفدك فى شعبان ايضا سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس فقالوا هم فى بواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ فاخبرهم فادركه العدد الكثير منهم عند الليل فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل اصحاب بشير

رواه ابن عساكر قال الحافظ ابن كثير وهذا خبر منكر وقد ورد فى هذا الفصل احاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها ولما تم العقد دعا صلى الله عليه وسلم بطبق بسر فوضع بين يديه ثم قال للحاضرين انتهبوا وقول على كرم الله وجهه تبهانى لامر كنت عنه غافلا لا ينافى ماروى عن اسماء بنت عميس انها قالت قيل لعلى ألا تتزوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالى صفراء ولا بيضاء ولست بمأبور بالباء الموحدة يعنى غير الصحيح الدين ولا المتهم فى الاسلام اى لا اخشى الفاحشة اذا لم اتزوج وليلة بنى بها قال صلى الله عليه وسلم لعلى لا تحدث شيأ حتى تلقانى فجاءت بها ام ايمن حتى قعدت فى جانب البيت وعلى فى جانب آخر وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتينى بماء فقامت تعثر فى ثوبها وفى لفظ فى مرطها من الحياء فاتته بقعب فيه ماء فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ائتونى بماء فقال على كرم الله وجهه فعلمت الذى يريد فقمت وملأت القعب فأتيته به فاخذه فمج فيه وصنع بى كما صنع بفاطمة ودعا لى بما دعا لها به ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما فى شملهما اى الجماع وتلا قل هو الله احد والمعوذتين ثم قال ادخل باهلك باسم الله والبركة وكان فراشها اهاب كبش اى جلده وكان لهما قطيفة اذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما واذا جعلاها بالعرض انكشفت رؤسهما ثم مكث صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لا يدخل على فاطمة وفى اليوم الرابع دخل عليهما فى غداة باردة وهما فى تلك القطيفة فقال لهما كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فاخذ على كرم الله وجهه احداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئها واخذت فاطمة رضى الله عنها الاخرى فوضعتها كذلك وقالت له فى بعض الايام يارسول الله مالنا فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال لها صلى الله عليه وسلم يابنية اصبرى فان موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهم فراش الا عباءة قطوانية اى وهى نسبة الى قطوان موضع بالكوفة أى ولعل العباءة التى كانت تجاب من ذلك الموضع كانت صفيقة وعن على رضى الله تعالى عنه لم يكن لى خادم غيرها وعنه رضى الله تعالى عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لاربط الحجر على بطنى من الجوع وان صدقتى اليوم لتبلغ أربعين ألف دينار ولعل المراد فى السنة قال الامام احمد بن حنبل ما ورد لاحد من الصحابة ما ورد لعلى رضى

الله تعالى عنه اى من شأنه صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك أنه كثرت أعداؤه والطاعنون عليه من الخوارج وغيرهم فاضطر لذلك الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ما حفظه ردا على الخوارج وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما نزل فى أحد من الصحابة من كتاب الله ما نزل فى على نزل فى على ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما تكلمت به فى التفسير فانما أخذته عن على كرم الله وجهه ومن كلماته البديعة الوجيزة لا يخافن أحد الا ذنبه ولا يرجون الا ربه ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ولا من يعلم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم ما أبردها على الكبد اذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم ومن ذلك العالم من عمل بما علم و وافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم من مجالسهم تلك الى الله وقال صلى الله عليه وسلم لعلى يهلك فيك رجلان محب مطر وكذاب مفتر مكره لك يأتى بالكذب المفترى وقال له يا على ستفترق أمتى فيك كما افترقت فى عيسى ابن مريم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن ابى طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يريد ابن ابى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها

(غزوة بنى قينقاع)

بضم النون وقيل بكسرها اى وقيل بفتحها فهى مثلثة النون والضم اشهر قوم من اليهود وكانوا اشجع يهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبى ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد اى لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بنى قريظة وبنى النضير أن لا يحاربوه وان لا يظاهروا عليه عدوه وقيل على أن لا يكونوا معه ولا عليه وقيل على أن ينصروه صلى الله عليه وسلم على من دهمه من عدوه اى كما تقدم فهم أول من غدر من يهود فانه مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت امرأة من العرب بجلب لها اى وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما ٥ فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ منهم اى وفى الامتاع ان المرأة كانت زوجة لبعض الانصار اى ومعلوم ان الانصار كانوا بالمدينة اى وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون زوجة لبعض الانصار من الاعراب

فاصيبوا وولى منهم من ولى وقاتل بشير حتى جرح وصار به رمق فضربوا كعبه اختبارا لحاله اهو حى ام ميت فلما لم يتحرك قالوا قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضى الله عنه يخبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر فى القتال حتى امسى فلما امسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عند يهود بها اياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة

(ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه)

الى اهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائة وثلاثين رجلا وقيل فى مائتين وثلاثين فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من اشرافهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة وفى هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضى الله عنهما نهيك بن مرداس الاسلمى وقيل الغطفانى بعد ان قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اسامة من لك بلا اله الا الله فقال يارسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال هلا شققت عن قلبه فتعلم اصادق هو ام كاذب فقال اسامة لا اقاتل احدا يشهد ان لا اله الا الله وفى رواية ان قوم مرداس لما انهزموا بقى وحده وكان الجأ غنمه بجبل فلما لحقوه قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة ابن زيد رضى الله عنهما فلما رجعوا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الآية وقيل ان ذلك فى سرية اخرى سنة ثمان كان اسامة هو اميرها وانه لما قدم المدينة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال اسامة قلت يارسول الله انما كان متعوذا فما زال يكررها اى قوله اقتلته الخ حتى تمنيت انى لم اكن اسلمت قبل

وانها جاءت بجلب لها فجلوا اى جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها قال وفى رواية خله بشوكة وهى لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون اى وتقدم وقوع مثل ذلك وأنه كان سببا لوقوع حرب الفجار الاول ولما غضب المسلمون على بنى قينقاع اى وقال لهم صلى الله عليه وسلم ما على هذا اقررناهم تبرأ عبادة ابن الصامت رضى الله عنه من حلفهم اى قال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرأ من حلف هؤلاء الكفار ○ وتشبث به عبد الله بن أبى ابن سلول اى لم يتبرأ من حلفهم كما تبرأ منه عبادة بن الصامت اى وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما انزل بقريش من النقمة اى يبدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى اليكم قالوا يا محمد انك ترى أنا قومك اى تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت لهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وفى لفظ لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا اى لانهم كانوا أشجع اليهود واكثرهم أموالا واشدهم بغيا فانزل الله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية اى وانزل الله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية فتحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواؤه وكان ابيض بيد عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال ابن سعد ولم تكن الرايات يومئذ وقد قدمنا ان هذا يرده ما تقدم فى ضمن غزاة بدر من انه كان امامه رايتان سوداوان احداهما مع على ويقال لها العقاب ولعلها سميت بذلك فى مقابلة الراية التى كانت فى الجاهلية تسمى بهذا الاسم ويقال لها راية الرؤساء لانه كان لا يحملها فى الحرب الا رئيس وكانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم مختصة بابى سفيان رضى الله عنه لا يحملها فى الحرب الا هو او رئيس مثله اذا غاب كما فى يوم بدر والاخرى مع بعض الانصار وسيأتى فى خيبر أن العقاب كان قطعة من برد لعائشة رضى الله عنها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار لان خروجه صلى الله عليه وسلم كان فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا اربعمائة حاسر وثلثمائة دارع فسألوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم

ذلك اليوم اى لان الاسلام يجب ما قبله فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم دفع لاهل القتيل ديته وامر اسامة ان يعتق رقبة والله اعلم *(ثم سرية بشير بن سعد ايضا)* الانصارى رضى الله عنه الى يمن وجبار وهى ارض لغطفان ويقال لفزارة وكانت فى شوال سنة سبع من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بارض غطفان واعدهم عيينة ابن حصن للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فاسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما فارسلهما والمناوشة تدانى الفريقين واخذ بعضهم بعضا

(عمرة القضاء)

قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب انه صلى الله عليه وسلم خرج فى هلال ذى القعدة سنة سبع معتمرا وأمر اصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وامر أن لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضا فكانوا الفين سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفارى رضى الله عنه وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس وانما فعل ذلك احتياطا وتخوفا من غدر أهل مكة فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضى الله عنه واحرم صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الفرع ولبى ولبى المسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله

تعالى فاتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما احدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد فى اصحابه وبعثوا مكرز بن حفص فى نفر من قريش حتى لقوه صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج فى اصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك

وقد شرطت لهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء ثم رجع باصحابه الى مكة فقال ان محمدا على الشرط الذى شرط لكم ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج موضع على اميال من مكة وخلف عليه اوس بن خولى الانصارى رضى الله عنه فى مائتى رجل حتى نضى الكل مناسك عمرتهم رضى الله عنهم وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال ولم يقدروا على رؤيته صلى الله عليه وسلم هو واصحابه يطوفون بالبيت وفى رواية خرجوا استنكافا أن ينظروا اليه صلى الله عليه وسلم غيظا وحنقا اى حسدا وقدم صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه بذى طوى وخرج راكبا ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله * قد انزل الرحمن فى تنزيله * بان خير القتل فى سبيله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله * يا رب انى مؤمن بقيله * انى رأيت الحق فى قبوله

فقال له عمر رضى الله عنه يا ابن رواحة أبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال له صلى الله عليه وسلم

وسلم أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة اى يخرجوا منها وان لهم نساءهم والذرية وله صلى الله عليه وسلم الاموال اى ومنها الحلقة التى هى السلاح والظاهر من كلامهم أنه لم يكن لهم نخيل ولا ارض تزرع وخمست اموالهم اى مع كونها فيأ له صلى الله عليه وسلم لانها لم تحصل بقتال ولا جلوا عنها قبل التقاء الصفين فكان له صلى الله عليه وسلم الخمس ولاصحابه الاربعة الاخماس (اقول) ولا يخفى ان من جملة اموالهم دورهم ولم اقف على نقل صريح دال على ما فعل بها وعلم أنه صلى الله عليه وسلم جعل هذا الفىء كالغنيمة ومذهبنا معاشر الشافعية ان الفىء المقابل للغنيمة كالواقع فى هذه الغزوة وغزوة بنى النضير الآتية كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم أربعة منها والقسم الخامس يقسم خمسة اقسام له صلى الله عليه وسلم منها قسم فيكون له اربعة اخماس وخمس الخمس والاربعة الاخماس الباقية من الخمس منها واحد لذوى القربى وآخر لليتامى وآخر للمساكين وآخر لابن السبيل فجميع مال الفىء مقسوم على خمسة وعشرين سهما منها احد وعشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأربعة اسهم لاربعة اصناف هم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ولعل امامنا الشافعى رضى الله عنه رأى ان ذلك كان اكثر احواله صلى الله عليه وسلم والا فهو هنا وفى بنى النضير كما سيأتى لم يفعل ذلك بل خمسه هنا وثم استقل به اى لم يعط الجيش منه وقد جعل صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى بين بنى هاشم اى وبنات هاشم وبنى اى وبنات المطلب دون بنى اخويهما عبد شمس ونوفل مع ان الاربعة أولاد عبد مناف كما تقدم ولما فعل ذلك جاء اليه صلى الله عليه وسلم جبير بن مطعم من بنى نوفل وعثمان بن عفان من بنى عبد شمس فقالا يا رسول الله هؤلاء اخواننا من بنى هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى وضعك الله منهم أرأيت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وتركتنا وفى لفظ ومنعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة وفى رواية أن بنى هاشم شرفوا بمكانك منهم وبنو المطلب ونحن ندلى اليك بنسب واحد ودرجة واحدة فبم فضلتهم علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد هكذا وشبك بين اصابعه زاد فى رواية انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام اى لان الصحيفة انما كتبت على يد بنى هاشم والمطلب لانهم هم الذين قاموا دونه صلى الله عليه وسلم ودخلوا الشعب وبعده صلى الله عليه وسلم صار الفىء أربعة اخماس للمرتزقة المرصدة للجهاد وخمس الخمس الخامس لمصالح المسلمين والخمس الثانى منه لذوى القربى والخمس الثالث منه لليتامى والخمس الرابع

خل عنه يا عمر فلهى أى هذه الابيات اى نكايتها فيهم اسرع من نضح النبل وقيل ان قوله نحن ضربنا كم على تأويله الخ من قول عمار بن ياسر رضى الله عنهما يوم صفين ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك اولا وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة رضى الله عنه ٢٨٦ قل لا اله الا الله وحده نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس وفى أمره بذلك زيادة اغاظة للكفار لتأذيهم بها اكثر من الشعر المذكور لاسيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على ناقته وفى رواية ماشيا وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فامرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهم فقالوا هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم لهؤلاء اجلد من كذا وكذا انهم لينقرون نقر الظبى والمشركون كانوا على جبل قعيقعان فامرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لايراهم قريش لانهم انما يرونهم اذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هنالك ثم امر مائتين من اصحابه أن يذهبوا الى اصحابه ببطن يأجج يقيمون على السلاح ويأتى الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش فى الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاء سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك الله والعهد الا ما خرجت من ارضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضى الله عنه فاسكته الله

منه للمساكين والخمس الباقى منه لابن السبيل ثم لا يخفى أنه صلى الله عليه وسلم اذا كان مع الجيش وغنم شيأ بقتال او بايجاف خيل او جلا عنه أهله بعد التقاء الصفين كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يختار من ذلك قبل قسمته ويقال لهذا الذى يختاره الصفى والصفية كما تقدم (اقول) وتقدم عن الامتاع عن محمد بن ابى بكر رضى الله عنهما خلافه وتقدم هل صفيه صلى الله عليه وسلم كان محسوبا عليه من سهمه اولا قيل نعم وقيل كان خارجا عنه. وتقدم الجواب عن ذلك فى غزاة بدر أن هذا الخلاف لا ينافى الجزم ثم بانه كان زائدا على سهمه صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان قبل نزول آية تخميس الغنيمة فكان سهمه صلى الله عليه وسلم كسهم واحد من الجيش فصفيه يكون زائدا على ذلك واما سهمه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية التخميس للغنيمة فهو خمس الغنيمة فيجرى فيما يأخذه قبل القسمة الخلاف هل يكون زائدا على ذلك الخمس او يكون محسوبا منه فلا مخالفة بين اجراء الخلاف والجزم والله اعلم وقيل لما نزلت بنو قينقاع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتفوا فكتفوا فاراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن ابى ابن سلول والح عليه اى فقال يا محمد أحسن فى موالى فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم فادخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه اى وتلك الدرع هى ذات الفضول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلنى وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلنى فقال والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى فانهم عترتى وأنا امرؤ اخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل اى وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم وامر صلى الله عليه وسلم ان يجلوا من المدينة اى ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضى الله عنه وامهلهم ثلاثة ايام فجلوا منها بعد ثلاث اى بعد ان سألوا عبادة بن الصامت ان يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى اذرعات بلدة بالشام اى ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا اجمعون بدعوته صلى الله عليه وسلم فى قوله لابن ابى لا بارك الله لك فيهم ويذكر ان ابن ابى قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم يسأله فى اقرارهم فحجب عنه فاراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لانمكث فى بلد يفعل فيه بابى الحباب هذا ولا نقصر له وتأهبوا للجلاء قال وقيل الذى تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه اى ولا مانع ان يكونا اى عبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة اشتركا فى اخراجهم ووجد صلى

صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل قال الحافظ بن حجر كانه دخل فى أوائل النهار فلم تكمل الثلاث الا فى مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق وكان مجيئهم ماقرب ذلك الوقت وفى البخارى من حديث البراء فلما دخلها يعنى مكة ومضى الاجل اى الايام الثلاثة أتوا عليا رضى الله عنه فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنها واسمها امامة أو عمارة او سلمى او غير ذلك تنادى ياعم ياعم فتناولها على رضى الله عنه وقال لفاطمة رضى الله عنها وهى فى هودجها دونك ابنة عمك وقال على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم فيها على وجعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم أى فى انها تكون عند أيهم وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال على رضى الله عنه أنا أخذتها واخرجتها من بين ظهرانى المشركين وقال جعفر بن ابى طالب هى ابنة عمى وخالتها اسماء بنت عميس تحتى وقال زيد بن حارثة هى ابنة اخى أى لان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين حمزة رضى الله عنه فكان لكل فيها شبهة فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى انت منى وانا منك تطييبا لخاطره وقال لجعفر اشبهت خلقى وخلقى وقال لزيد انت اخونا ومولانا وانما اقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على اخراجها مع اشتراط المشركين ان يرد اليهم من جاء اليه وان لا يخرج بأحد من اهلها لانهم لم يطلبوها ولان النساء المؤمنات لم يدخلن فى ذلك الشرط وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة رضى الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف وجاء فى رواية انه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال قال المحققون ان ذلك وهم والصحيح الاول واختلف الناس فى تسمية هذه العمرة عمرة القضاء فقال مالك والشافعى

الله عليه وسلم فى منازلهم سلاحا كثيرا اى لانهم كما تقدم اكثر يهود اموالا واشدهم بأسا واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسى قوسا يدعى الكتوم اى لايسمع له صوت اذا رمى به وهو الذى رمى به صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى تشظى بالظاء المشالة كما سيأتى وسيأتى مافيه وقوسا يدعى الروحاء وقوسا يدعى البيضاء واخذ درعين درعا يقال له السغدية اى بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود التى لبسها صلى الله عليه وسلم حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة ارماح وثلاثة اسياف سيف يقال له قلعى وسيف يقال له بتار والآخر لم يسم انتهى اى وسماه بعضهم بالحيف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضى الله عنهما والله تعالى اعلم

(غزوة السويق)

لما اصاب قريشا فى بدر ما اصابهم نذر ابو سفيان ان لا يمس رأسه ماء من جنابة اى لا يأتى النساء ولعل هذه العبارة وهى لا يمس رأسه ماء من جنابة وقعت من بعض الصحابة مرادهما ماذكر من انه لا يأتى النساء ويؤيده ماجاء فى بعض الروايات لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا أو أن ذلك قاله ابو سفيان بناء على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم ذكر الدميرى أن الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة كان معلوما قبل الاسلام بقية من دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فهو من الشرائع القديمة وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن وماذكره الدميرى تبع فيه السهيلى حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسمعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح فكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره واما الحدث الاصغر فلما لم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا الآية فخرج ابو سفيان فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى بنى النضير اى وهم حى من يهود خيبر ينسبون الى هرون أخى موسى بن عمران عليهما الصلاة والسلام تحت الليل فأتى حيى بن اخطب اى وهو من رؤساء بنى النضير وهو ابو صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فضرب عليه بابه فابى أن يفتح له لانه خافه فانصرف عنه

زا لجهور لانه قاضى قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذى وقع عليه الحكم لا لانها قضاء عن العمرة التى صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة وقال ابو حنيفة واحمد فى رواية عنه ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى اعلم ٢٧٨ *(ذكر خمس سرايا قبل سرية موتة)* سرية الاخرم بن ابى العوجاء السلمى رضى الله عنه الى بنى سليم فى ذى الحجة سنة سبع فى خمسين رجلا لخرج اليهم فعلم بخروجه عين لبنى سليم فاخبرهم بخروجه اليهم وحذرهم فجمعوا الابن ابى العوجاء جمعا كثيرا فأتاهم وهم معدون له فدعاهم الى الاسلام فقالوا لا حاجة لنا الى ما دعوتنا اليه فتراموا بالنبل ساعة وأتتهم الامداد واحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وفى رواية قتلوا جميعا حتى اميرهم وقيل تركوه جريحا فتحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من صفر وقيل فجامعه اثنان او اكثر فعاونوه فى الذهاب الى المدينة والله اعلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه)

الى بنى الملوح بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال وهو ماء بين عسفان وقديد وكانت فى صفر سنة ثمان روى ابن اسحق وغيره عن جندب بن مكيث الجهنى رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وامره بشن الغارة على بنى الملوح بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا ام الحرث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء فاخذناه فقال انى جئت أريد الاسلام وما خرجت الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تكن مسلما فان يضرك رباط يوم وليلة وان تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه وثاقا ثم خلفنا عليه رجلا من

وجاء الى سلام ابن مشكم سيد بنى النضير اى وصاحب كنزهم اى المال الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم وما يعرض لهم ○ اى وكان حليا يعيرونه لاهل مكة فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج الى اصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار قال فى الامتاع وهذا الانصارى هو معبد بن عمرو وحليفا لهم فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار أى واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة بشير بن عبد المنذر وكان خروجه لخمس خلون من ذى الحجة وجعل ابو سفيان واصحابه يخففون للهرب اى لاجله فجعلوا يلقون جرب السويق اى وهو قمح او شعير يقلى ثم يطحن ليسف تارة بماء وتارة بسمن وتارة بعسل وسمن ○ وهو عامة أزوادهم فيأخذه المسلمون ولم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته خمسة ايام

(غزوة قرقرة الكدر)

و يقال قرقرة الكدرة و يقال قراقر فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من بنى سليم وغطفان بقرقرة الكدر اى لعله بلغه انهم يريدون الاغارة على المدينة بعد أن غزاهم صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقرقرة الكدر ارض ملساء فيها طيور فى ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع كما تقدم أن الماء الذى بارضهم الذى بلغه صلى الله عليه وسلم ولم يجد به أحدا منهم يسمى الكدر لوجود ذلك الطير به فسار اليهم فى مائتين من اصحابه وجعل لواءه على بن ابى طالب واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وتقدم فى تلك انه استخلف على المدينة سباع بن عرفطة او ابن أم مكتوم وتقدم ما فيه فلما سار اليه اى الى ذلك الموضع لم يجد به أحدا وارسل نفرا من اصحابه الى اعلى الوادى واستقبلهم فى بطن الوادى فوجد خمسمائة بعير مع رعاة منهم غلام يقال له يسار فحازوها وانحدر وابها الى المدينة فلما كانوا بجعل على ثلاثة اميال من المدينة خمسها صلى الله عليه وسلم فاخرج خمسه وقسم الاربعة اخماس على اصحابه فخص كل رجل منهم بعيران ووقع يسار فى سهمه صلى الله عليه وسلم فاعتقه صلى الله عليه وسلم لانه رآه يصلى اى وقد اسلم وتعلم الصلاة من المسلمين بعد اسره اى وفى كون هذا غنيمة حيث قسمه كذلك وقفة وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة فعلم أنه صلى الله عليه وسلم غزا بنى سليم وأنه وصل الى ماء من مياههم يقال له الكدر لوجود ذلك الطير به وأنه استعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى او ابن

أم مكتوم وهنا وقع الجزم بالثانى وأن الاولى لم يذكر أنه وجد فيها شيأ من النعم وظاهر هذا يدل على التعدد وجرى عليه الاصل اى وحينئذ تكون تلك الطيور توجد فى ذلك الماء وفى تلك الارض فعلى هذا يكون صلى الله عليه وسلم غزا بنى سليم مرتين مرة وصل فيها لذلك الماء ولم يجد شيأ من النعم ومرة وصل فيها لتلك الارض ووجد بها تلك النعم ولم أقف على أن محل ذلك الماء سابق على تلك الارض أو ان تلك الارض سابقة على محل ذلك الماء وفى السيرة الشامية ان غزوة بنى سليم هى غزوة قرقرة الكدر فعليه يكون انما غزا بنى سليم مرة واحدة اى وحينئذ يكون الماء الذى كان به ذلك الطير كان فى تلك الارض المسماة او قريبا منها فليتأمل والحافظ الدمياطى جعل غزوة بنى سليم هى غزوة بحران الآتية وسنذكرها

(غزوة ذى امر)

بتشديد الراء اسم ماء اى وسماها الحاكم غزوة انمار ويقال انها غزوة غطفان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال واسكان العين المهملتين ثم مثلثة مضمومة بن الحرث اى الغطفانى من بنى محارب جمع جمعا من ثعلبة ومحارب بذى امر اى وهو موضع من ديار غطفان اى ولعل به ذلك الماء المسمى بما ذكر كما تقدم يريدون ان يصيبوا من اطراف المدينة فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة وخمسين رجلا لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول واستخلف على المدينة عثمان ابن عفان واصاب اصحابه رجلا منهم اى يقال له جبار وقيل حباب بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة من بنى ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره من خبرهم اى وقال له لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك اليهم هربوا فى رؤس الجبال وانا سائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فاسلم وضمه صلى الله عليه وسلم الى بلال اى واخذ به ذلك الرجل طريقا وهبط به عليهم فسمعوا بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا فى رؤس الجبال اى قبلهم واما يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم واصابهم مطر اى كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب اصحابه ○ فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع اى بمرأى من المشركين واشتغل المسلمون فى شؤنهم فبعث المشركون دعثورا الذى هو سيد القوم واشجعهم الجمع لهم اى فقالوا له قد انفرد محمد فعليك به ○ اى وفى لفظ انه لما رآه قال قتلنى الله ان لم اقتل محمدا فجاء دعثور ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من

اصحابنا اسود وقلنا له ان غارك فاحترز رأسه ثم سرنا حتى اتينا الكديد عند غروب الشمس فكانى ناحية الوادى وبعثنى اصحابى ربيئة لهم فخرجت حتى اتيت تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله انى لمنبطح على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته انى لارى على التل سوادا ما رأيته فى اول يومى فانظرى الى اوعيتك هل تفقدين شيأ لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت وقالت لا والله ما افقد شيأ قال فناولينى قوسى وسهمين فناولته فارسل سهما فما اخطأ بين عينى فنزعته وثبت مكانى فارسل الآخر فوضعه فى منكبى فنزعته ووضعته وثبت مكانى فقال لامرأته لو كان ربيئة لقوم لقد تحرك لقد خالطه سهماى لا ابالك اذا اصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان فى وجه السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا وادركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم الا الوادى قديد فارسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشئ ليس لاحد به قوة ولا يقدر احد ان يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم لا يستطيع رجل منهم أن يعبر الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرث بن مالك هو ابن البرصاء وهى أمه وقيل ام ابيه وهو صحابى رضى الله عنه سكن مكة ثم المدينة وتوفى آخر خلافة معاوية رضى الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذى وابن حبان وصححاه والله اعلم *(اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبى وعمرو بن العاص رضى الله عنهم)* قال خالد بن الوليد

عنعلك مني اليوم وفي رواية الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده أي بعد وقوعه على ظهره فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني قال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفي رواية وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم أتى قومه أي بعد أن أعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه ○ فجعل يدعوهم إلى الإسلام وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفع في صدره فوقع على ظهره فقال علمت أنه ملك فأسلمت ونزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق حربا وكانت مدة غيبته إحدى عشرة ليلة

(غزوة بحران)

بفتح الموحدة وتضم وسكون الحاء المهملة وعبر عنها الحافظ الدمياطي بغزوة بني سليم كما تقدم لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن بحران وهو موضع بالحجاز معروف بينه وبين المدينة ثمانية برد جمعا كثيرا من بني سليم خرج في ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الأولى واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أي ولم يظهر وجها للسير ○ وأحث السير حتى بلغ بحران فوجدهم قد تفرقوا في مياههم أي وكان صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إلى ذلك بليلة لقي رجلا من بني سليم فأخبره أن القوم تفرقوا فحبسه مع رجل وسار إلى أن وجدهم كذلك فأطلق الرجل وأقام بذلك المحل أياما ثم رجع ولم يلق حربا وكانت غيبته عشر ليال وعلى مقتضى هذا السياق تبعا للأصل يكون غزا بني سليم ثلاث مرات مرة عقب بدر وهذه الغزوة وغزوة ذي أمر كانتا في السنة الثالثة من الهجرة وفي تلك السنة التي هي الثالثة عقد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية وتقدم وقت موتها وعقد صلى الله عليه وسلم على حفصة بنت عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وذلك في شعبان لما انقضت عدة وفاة زوجها خنيس ابن حذافة من شهداء بدر بعد أن عرضها عمر على أبي بكر فلم يجبه لشيء وعرضها على عثمان فلم يجبه لشيء فقال عمر يا رسول الله قد عرضت حفصة على عثمان فأعرض عني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد زوج عثمان خيرا من ابنتك وزوج ابنتك خيرا من عثمان فتزوج عثمان أم كلثوم وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج أيضا صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة في رمضان وتزوج زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب في تلك السنة وقيل تزوجها في السنة الرابعة وصححها في الأصل وقيل

لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضرني رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده إلا انصرف وأنا أرى في نفسي أني في غير شيء وأن محمدا يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ومثل الإسلام لا يجهله أحد وقد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال أين خالد فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الإسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج إلى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى أن محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فإن شرفه شرف لنا فقال لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا أذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي قلت هذا لي صديق فأردت أن أذكره ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربع مسافع والجلاس في والحرث وكلاب فإنهم قتلوا كلهم يوم أحد فكرهت أن أذكره ثم قلت له إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة ووعدني إن سبقني أقام بمحل كذا وإن سبقته إليه انتظرته فلم يطلع

فى الخامسة وكان اسمها برة بفتح الموحدة واسم أمها برة بنتها فغيره صلى الله عليه وسلم اسمها وسماها زينب وقال لها صلى الله عليه وسلم لو كان أبو لك مسلما لسميناه باسم رجل منا ولكن قد سميته جحشا اى والجحش فى اللغة السيد وقد كان صلى الله عليه وسلم جاء اليها يخطبها لمولاه زيد بن حارثة فقالت لست بناكحته قال بلى فانكحيه قالت يارسول الله اوامر اى أشاور نفسى فأنى خير منه حسبا فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون لهم الخيرة من أمرهم الآية فقالت عند ذلك رضيت وفى رواية انها وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده فنزلت الآية اى وعن مقاتل ان زيد بن حارثة لما اراد ان يتزوج زينب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله اخطب على قال له من قال زينب بنت جحش فقال له لا اراها تفعل انها اكرم من ذلك نسبا فقال يارسول الله اذا كلمتها انت وقلت زيد اكرم الناس على فعلت قال انها امرأة لسناء أى فصيحة والمراد لسانها طويل فذهب زيد الى على رضى الله تعالى عنه فحمله على ان يكلم له النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق معه على الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال انى فاعل ذلك ومرسلك يا على الى اهلها لتكلمهم ففعل ثم عاد فأخبره بكراهتها وكراهة اخيها لذلك فأرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم واقضى ان تنكحوه فانكحوه وساق اليهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة امداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك جاء صلى الله عليه وسلم بيت زيد يطلبه فلم يجده فتقدمت اليه زينب فاعرض عنها فقالت له ليس هو ههنا يارسول الله فادخل فأبى أن يدخل واعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لان الريح رفعت الستر فنظر اليها من غير قصد فوقعت فى نفسه صلى الله عليه وسلم فرجع وهو يقول سبحان مصرف القلوب وفى رواية مقلب القلوب وسمعته زينب يقول ذلك فلما جاء زيد اخبرته الخبر فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله لعل زينب أعجبتك فافارقها لك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم اى فلم يستطع أن يغشاها من حين رآها صلى الله عليه وسلم الى أن طلقها فعنها رضى الله تعالى عنها لما وقعت فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم لم يستطعنى زيد وما امتنعت منه وصرف الله تعالى قلبه عنى وجاء يوما وقال له يارسول الله ان زينب اشتد على لسانها وأنا أريد ان أطلقها فقال له اتق الله وأمسك

الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين مسيركم قلنا الدخول فى الاسلام قال وذلك الذى أقدمنى وفى لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام المبسم اى تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبى فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا والله ماجئت الا لاسلم فاصطحبنا جميعا وحدث عمرو بن العاص رضى الله عنه عن سبب اسلامه كما رواه ابن اسحق وغيره قال عمرو لما انصرفنا عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله ان أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشى فان ظهر محمد فنكون تحت يده أحب الينا من يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم الا خير قالوا ان هذا الرأى قلت فاجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو ابن أمية الضمرى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشى فأعطانيه فضربت عنقه لرأت قريش أنى أجزأت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيأ قلت له

نعم أدما كثيرا وقربته اليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له انى رأيت رسول عدونا خرج من عندك فأعطنيه لاقتله فانه اصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم ضرب أنفى ضربة بيده ظننت انه كسره فلو انشقت بى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألته قال أتسألنى أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس

الاكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام لتقتله قلت أكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه فانه والله اعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح فصحبته حتى قدمنا المدينة وفى اسلام عمرو على يد النجاشى لطيفة هى ان صحابيا أسلم على يد تابعى ولا يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة فاخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بهم وقال لاصحابه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها قال خالد فلبست من صالح ثيابى ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخى فقال اسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت انى أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله لى يغفر تلك المواطن التى كنت اشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله وتقدم عثمان وعمرو فأسلما وفى رواية عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمنا المدينة فأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا ان جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم وما استطعت ان ارفع طرفى حياء منه قال فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تأخر فقال داخله

عليك زوجك فقال استطالت على فقال له اذن طلقها فطلقها فلما انقضت عدتها أرسل زيدا اليها فقال له اذهب فاذكرها على فانطلق قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى فقلت يا زينب ابشرى أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربى اى استخيره فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة اذ نزل عليه الوحى بان الله زوجه زينب فسرى عنه وهو يتبسم وهو يقول من يذهب الى زينب فيبشرها أن الله زوجنيها من السماء وجاء اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قالت دخل على وأنا مكشوفة الشعر فقلت يا رسول الله بلا خطبة ولا اشهاد قال الله المزوج وجبريل الشاهد اى وانزل الله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فهذه الآية نزلت فى زيد رضى الله تعالى عنه وقد قالها صلى الله عليه وسلم فى حق ولده اسامة فقد جاء أحب أهلى الى من أنعم الله وانعمت عليه اسامة بن زيد وعلى بن ابى طالب فنعمة الله على زيد وعلى ولده اسامة الاسلام ونعمة النبى صلى الله عليه وسلم عليهما العتق لان عتق أبيه عتق له تأمل وانما توجه هذا العتب اى لان الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه صلى الله عليه وسلم فلما شكا اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه فى نفسه ما الله مبديه ومظهره وهو ما اعلمه الله به من انك ستتزوجها فالذى اخفاه ما كان الله اعلمه به وتخشى الناس اى اليهود والمنافقين أن يقولوا تزوج امرأة ابنه والله احق ان تخشاه فى امضاء ما احبه ورضيه لك واعطاك اياه وقد جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى قال تعالى لئلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم وأولم صلى الله عليه وسلم عليها اعظم ما اولم به على نسائه وذبح شاة واطعم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون وفى البخارى ايضا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت اهلك بارك الله لك ثم دخل حجر نسائه كلهن يقول كما قال لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم فوجد القوم فى البيت يتحدثون قال انس رضى الله تعالى عنه وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج فطلبها الى حجرة عائشة فاخبر ان القوم خرجوا فرجع حتى وضع رجله فى أسكفة البيت

ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد في امر حزبه منذ أسلمنا واقد كنا عند ابي بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة وروى الزبير بن بكار انهم لما قدموا عليه صلى

الله عليه وسلم قال عمرو وكنت أسن منهما فاردت ان اكيدهما فقدمتهما قبلي للبيعة فبايعا واشترطا

داخله واخرى خارجه ارخى الستر بيني وبينه فنزلت آية الحجاب قال في الكشاف وهي ادب ادب الله تعالى به الثقلاء وفي مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجت سودة بعد ما ضرب علينا الحجاب تقضي حاجتها اي بالمناصع محل كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يخرجن اليه بالليل للتبرز وكانت امرأة جسيمة فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله اني خرجت فقال لي عمر كذا وكذا قالت فاوحى الله تعالى اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن وكان قول عمر لسودة ما ذكر حرصا على أن ينزل الحجاب قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فانزل الله الحجاب وفيه أنه تقدم عنها أن قول عمر لسودة كان بعد أن ضرب الحجاب وقد يقال المراد بالحجاب هنا عدم خروجهن للبراز فلا ترى اشخاصهن والحجاب المتقدم عدم رؤية شيء من ابدانهن فلا مخالفة فليتأمل (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخلت على زينب بنت جحش وعندي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت عليه فقالت له ما كل واحدة منا عندك الا على خلاء اي على ما أردت ثم اقبلت علي تسبني فردعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تنته فقال لي سبيها فسببتها وكنت اطول لسانا منها حتى جف ريقها في فمها ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل سرورا اي وفي يوم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على زينب لقولها في صفية بنت حيي تلك اليهودية فهجرها الذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ثم أتاها بعد وعاد الى ما كان عليه معها وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت أرسل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم تستأذن والنبي صلى الله عليه وسلم معي فاذن لها فدخلت عليه فقالت يا رسول الله ان أزواجك أرسلنني اليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة اي ان تعدل بينهن وبينها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اي بنية ألست تحبين ما احب فقالت بلى قال فاحبي هذه يعنيني فقامت فاطمة فخرجت فجاءت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فحدثتهن بما قالت وبما قال لها فقلن لها ما اغنيت عنا من شيء فارجعي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أكلمه فيها أبدا فارسل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فاستأذنت عليه وهو في بيت عائشة فاذن لها فدخلت فقالت يا رسول الله أرسلني ازواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ثم وقعت أي زينب بي تسمعني ما أكره فطفقت أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يأذن لي فيها فلم أزل حتى عرفت أن النبي صلى الله

أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما فأضمرت في نفسي ان أبايع على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وانسيت ان اقول وما تأخر وروى الزبير بن بكار ان رجلا قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه ما ابطأ بك عن الاسلام وانت انت في عقلك قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازي احلامهم الجبال فلذنا بهم فلما ذهبوا وصار الامر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا الحق بين فوقع الاسلام في قلبي وكان عمرو رضي الله عنه امير مصر في خلافة عمر رضي الله عنه وهو احد دهاة العرب توفي سنة ثلاث واربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة وروى الخطيب مرفوعا يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجرا واما خالد بن الوليد رضي الله عنه فهو احد الاشراف كانت اليه اعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة كما تقدم ثم صار سيف الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل روى ابو يعلى لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار وعزماته يوم مؤتة ويوم قتال اهل الردة وفي بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام اكثر من ان تحصى اذ كان له فيها العناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل وروى ابو زرعة الدمشقي مرفوعا نعم عبد الله واخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار وروى سعد بن

منصور عن خالد رضى الله عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلها عمرة الجعرانة فحلق راسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم اشهد قتالا وهى معى الا تبين لى النصر رواه ابو يعلى بلفظ فما وجهت فى وجه الا فتح والاكثر على انه مات بحمص سنة

احدى وعشرين وعمره بضع واربعون سنة وقيل توفى بالمدينة النبوية روى ابن المبارك عن خالد رضى الله عنه انه قال لما حضرته الوفاة لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا ان اموت على فراشى واما عثمان بن طلحة بن ابى طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصى العبدرى فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح فى الجاهلية والاسلام ووقع فى تفسير الثعلبى بلا سند انه اسلم يوم الفتح بعد ان دفع له المفتاح قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة وهو منكر والمعروف انه اسلم وهاجر مع عمرو وخالد وبه جزم غير واحد ثم سكن المدينة وبها مات سنة ثنتين واربعين وقيل استشهد باجنادين قال العسكرى وهو باطل والله سبحانه وتعالى اعلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه ايضا)

لما رجع رضى الله عنه من سرية الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم الى موضع مصاب اصحاب بشير بن سعد بفدك فى صفر سنة ثمان روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم هيأ الزبير بن العوام رضى الله عنه وقال له سر حتى تنتهى الى مصاب اصحاب بشير فان اظفرك الله بهم فلا تبق فيهم وهيأ معه مائتى رجل وعقد له لواء فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد اظفره الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس وبعث غالبا ومعه مائتا رجل فاغاروا عليهم مع الصبح وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومنهم علبة بن الحرث الى محالهم فاشرف على جماعة منهم ثم

عليه وسلم لا يكره ان انتصر فوقعت بها اسمعها ما تكره فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لها انها ابنة ابى بكر اى محل الفصاحة والشهامة وسبب ذلك اى طلبهن أن يعدل بينهن وبين عائشة أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(غزوة احد)

وكانت فى شوال سنة ثلاث اى باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة اربع واحد جبل من جبال المدينة قيل سمى بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التى هناك وهذا الجبل يقصد لزيارة سيدنا حمزة ومن فيه من الشهداء وهو على نحو ميلين وقيل على ثلاثة أميال من المدينة يقال ان فيه قبر هرون اخى موسى عليهما الصلاة والسلام وفيه قبض فواراه موسى فيه وكانا قد مرا حاجين او معتمرين وعن ابن دحية أن هذا باطل يقينا وأن نص التوراة أنه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام وقد يقال لا مخالفة لانه يقال المدينة شامية وقيل دفن بالتيه هو واخوه موسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم ان أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه اذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه اى وهى كل شجرة عظيمة لها شوك والقصد الحث على عدم اهمال الاكل من شجره تبركا به وقال صلى الله عليه وسلم أحد ركن من أركان الجنة أى جانب عظيم من جوانبها وفى رواية على باب من ابواب الجنة ولا يخالف ما قبله فانه جاز أن يكون ركنا بجانب الباب وفى رواية جبل من جبال الجنة ولا مانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها وضع الحب فيه كما وضع التسبيح فى الجبال المسبحة مع داود عليه السلام وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها وان منها لما يهبط من خشية الله وقيل هو على حذف مضاف اى يحبنا اهله وهم الانصار اولان اسمه مشتق من الاحدية وأخذ من هذا أنه أفضل الجبال وقيل أفضلها عرفة وقيل ابو قبيس وقيل الذى كلم الله عليه موسى وقيل قاف ولما أصاب قريشا يوم بدر ما اصابها مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية رضى الله تعالى عنهم فانهم اسلموا بعد ذلك ورجال أخر من أشراف قريش الى أبى سفيان رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا والى من كان له تجارة فى تلك العير أى التى كان سببا وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة فى دار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم اى قتل رجالكم ولم تدركوا دماءهم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عن اصابه منا اى وقالوا نحن طيبوا النفوس أن تجهزوا

رجع واخبره الخبر وروى ابن سعد عن جويصة رضى الله عنه قال بعثنى صلى الله عليه وسلم فى سرية مع غالب الى بنى مرة فأغرنا عليهم مع الصبح وقد اخذ علينا اميرنا ان لانفترق وآخى بيننا وقال لاتعصونى فانه صلى الله عليه وسلم قال من اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصاه فقد عصانى وانكم متى ماتعصونى فانكم تعصون نبيكم فآخى بينى وبين ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فأصبنا القوم وروى انه لما دنا من القوم حمد الله واثنى عليه بما هو

اهله ثم قال اما بعد فانى اوصيكم بتقوى الله وحده لاشريك له وان تطيعونى ولا تعصونى ولا تخالفوا لى امرا فانه لارأى لمن لايطاع ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم لايفارق احد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما احاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم امت امت وقتلوا منهم من قتلوا واصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وكانت سهامهم عشرة ابعرة لكل رجل اوعدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله اعلم

(ثم سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله عنه)

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسىء بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة فى شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه اربعة وعشرون رجلا وامره ان يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعما كثيرا وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم والله اعلم *(ثم سرية كعب بن عمير)* الغفارى رضى الله عنه الى ذات اطلاح من ارض الشام وراء ذات القرى فى ربيع الاول سنة ثمان فى خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا جمعا كثيرا وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم فاخبرهم بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل فدعاهم المسلمون الى الاسلام

بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معى فجعلوا لذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا ارباحها وكان الربح لكل دينار دينارا اى فكان الذى أخرج خمسين ألف دينار وقيل اخرجوا خمسة وعشرين ألف دينار وأنزل الله تعالى فى ذلك ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابى عزة يا أبا عزة انك رجل شاعر فاعنا بلسانك ولك على ان رجعت أن أغنيك وان أصبت اجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من على أى وأخذ على أن لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقنى وأنا اسير فى اسارى بدر فلا أريد أن أظاهر عليه قال بلى فاعنا بلسانك فخرج أبو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فاما مسافع فلا يعلم له اسلام لكن فى كلام ابن عبد البر مسافع بن عياض بن صخر القرشى التيمى له صحبة وكان شاعرا لم يرو شيأ ولا أدرى هل هو هذا او غيره واما أبو عزة فظفر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الوقعة بحمراء الاسد اى المكان المعروف الآتى بيانه قريبا وتقدم استطرادا ثم أمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت فضرب عنقه وحملت رأسه الى المدينة كما سيأتى وتقدم استطرادا ودعا جبير بن مطعم بن عدى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما له حبشيا يقال له وحشى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق اى لان حمزة هو القاتل له وقيل وحشى كان غلاما لطعيمة وان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا او حمزة أو عليا فى أبى فانى لا أدرى فى القوم كفؤا له غيرهم فانت عتيق وخرج معهم النساء بالدفوف وفى كلام سبط ابن الجوزى وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا هذا كلامه وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة اى مع ازواجهن ومنهن هند زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنها فانها اسلمت بعد ذلك اى وام حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وسلافة مع زوجها طلحة بن أبى طلحة وام مصعب بن عمير يبكين قتلى بدر ويحضن عليهم يحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أرسل به اليه عمه العباس اى بعد أن راودوه على الخروج معهم فاعتذر بما لحقه من القوم يوم بدر ولم يساعدهم بشئ وذلك فى كتاب جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو بقباء

فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح في القتلى قال ابن سعد هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم والله أعلم *(ثم سرية مؤتة)* وسماها البخاري وابن اسحق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهي

بضم الميم وسكون الواو والهمز بدلها آخرها هاء وهي من عمل البلقاء وهي مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس وكانت في جمادى الاولى سنة ثمان وسببها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحرث بن عمير الازدي بكتاب الى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحرث بن أبي شمر الغساني فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد فقال الشام فقال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا وكان ممن حضر يهودي اسمه النعمان فقال يا محمد ان كنت نبيا سميت من سميت أصيبوا جميعا لان أنبياء بني اسرائيل كانوا اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد اعهد اي أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبيا قال زيد اشهد انه رسول صادق بار وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من

أرسله العباس مع رجل استأجره من بني غفار وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك فلما جاءه الكتاب فك ختمه ودفعه لأبي فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبيا ونزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس اي فقال والله اني لارجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لا أم لك وما أنت وذاك فقالت قد سمعت ما قال واخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع وأخذ بيدها ولحقه صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرها وقال يا رسول الله اني خفت أن يفشو الخبر فترى اني أنا المفشي له وقد استكتمتني اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها ٥ وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل وقال بعض الحفاظ جمع ابو سفيان قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والاحابيش وخرج معه ابو عامر الراهب في سبعين فارسا من الاوس قال في الاصل والاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبشي وهو جبل باسفل مكة وتحالفوا على أنهم مع قريش يدا واحدة على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار وما رسا حبشي مكانه فسموا احابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم اي تجمعهم وفيهم مائتا فارس اي وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة دارع حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة اي وهو ميقات اهل المدينة الذي يحرمون منه اي وارجفت اليهود والمنافقون فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينين له اي جاسوسين فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ويقال ان عمرو بن سالم الخزاعي مع نفر من خزاعة فارقوا قريشا من ذي طوى وجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه خبرهم وانصرفوا ولما وصلوا اي كفار قريش ومن معهم للابواء أرادوا نبش قبر أمه صلى الله عليه وسلم والمشير عليهم بذلك هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فقالت لو بحثتم قبر أم محمد فان اسر منكم أحد فديتم كل انسان بارب من آرابها اي جزء من اجزائها فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب والا نبش بنو بكر موتانا عند مجيئهم وحرست المدينة وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وعليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبحوا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا قال رأيت البارحة في منامي خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي اي وهو ذو الفقار ثلما باسكان اللام وفي لفظ وكأن ظبة سيفي انكسرت وفي لفظ ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته فكرهته وهما مصيبتان ورأيت أني ادخلت يدي في

المدينة لجهة الشام وخرج صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ولما ودع ابن رواحة بكى رضي الله عنه فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لكنني أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
او طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثي
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفي رواية ان عبد الله بن رواحة لما أراد وداع النبي صلى الله عليه وسلم وفراقه قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل شعرا تقتضبه اقتضابا أي من غير روية فقال

اني تفرست فيك الخير نافلة
فراسة خالفت فيك الذي نظروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله
والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال له صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى رآه قال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك الجمعة ثم الحقهم فقال صلى الله عليه وسلم لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت غدوتهم وفي رواية لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغساني فجمع اكثر من مائة الف وقدم الطلائع امامه فلما نزل المسلمون وادي القرى بعث اخاه سدوس بن عمرو في خمسين من الكفار

درع حصينة وفي رواية ورأيت أني في درع حصينة أي وأني مردف كبشا قال صلى الله عليه وسلم بعد أن قيل له ما أولتها قال فاما البقر فناس من اصحابي يقتلون وفي لفظ أولت البقر بقرا يكون فينا وأما الثلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي أي وفي رواية من عترتي يقتل وفي رواية رأيت أن سيفي ذا الفقار فل فاولته فلا فيكم اي والفلول السيف كسور في حده وقد حصل في حد سيفه كسور وحصل انفصام ظبته وذهابها فكان ذلك علامة على وجود الامرين وأما الدرع الحصينة فالمدينة اي وأما الكبش فاني أقتل كبش القوم اي حاميهم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها اي فانا أعلم بها منهم وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن وكان ذلك رأي أكابر المهاجرين والانصار قال ووافق على ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول اي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليه يستشيره ولم يستشره قبل ذلك قال يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها الا اصبنا منه فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا اه وهذا هو الظاهر خلافا لما ذكره بعضهم من أنه صلى الله عليه وسلم دعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكالب اذ لا يناسب ذلك ما يأتي عنه من رجوعه وقوله خالفني الخ وانما قال ذلك رجل من المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة يوم أحد وقال رجال اي غالبهم احداث أحبوا لقاء العدو وغالبهم ممن أسف على ما فاته من مشهد بدر اخرج بنا الى اعدائنا لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا اي فيكون ذلك جراءة منهم علينا والله لا تطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا وفي لفظ ان الانصار قالوا يارسول الله ما غلبنا عدو لنا أتانا في دارنا اي في ناحية من نواحيها فكيف وأنت فينا ووافقهم على ذلك حمزة بن عبد المطلب وقال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي انزل عليك الكتاب لا أطعم طعاما حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم كاره للخروج فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافق على ذلك فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصرة ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا اي اجتمعوا وقد حضر أهل العوالي ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه والبساه وصف الناس ينتظرون خروجه

صلى الله عليه وسلم فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه أي فما أمركم به وما رأيتم له فيه هوى ورأيا فأطيعوه ○ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته ○ وظاهر بين درعين ○ أي لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التي أصابها من بني قينقاع كما تقدم وذات الفضول هذه هي التي أرسلها اليه صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضي الله عنه حين سار الى بدر وهي التي مات صلى الله عليه وسلم عنها وهي مرهونة عند اليهودي وافتكها أبو بكر رضي الله عنه وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم من حمائل سيفه صلى الله عليه وسلم وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية أنه صلى الله عليه وسلم تمنطق حيث قال لم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم شد وسطه بمنطقة وقد يقال مراد ابن تيمية المنطقة المعروفة وليس هذا منها وفيه رد على بعضهم في قوله كان له صلى الله عليه وسلم منطقة من أدم فيها ثلاث حلق من فضة والطرف من فضة وقد يقال لا يلزم من كونه له منطقة أن يكون تمنطق بها فليتأمل وتقلد صلى الله عليه وسلم السيف وألقى الترس في ظهره أي وفي رواية فركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وتقلد القوس وأخذ قناة بيده أي ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك فقالوا ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت وفي رواية فان شئت فاقعد أي وقال قد دعوتكم الى القعود فأبيتم وما ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه أي وفي رواية حتى يقاتل واخذ منه أنه يحرم على النبي نزع لامته اذا لبسها حتى يلحق العدو ويقاتل وبه قال أئمتنا أي وقيل انه مكروه واستبعد وقوله صلى الله عليه وسلم وما ينبغي لنبي يقتضي أن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله في ذلك أي لان نزع ذلك يشعر بالجبن وذلك ممتنع على الانبياء صلى الله وسلم عليهم قاله في النور وما اختص به من المحرمات فهو مكروه له لان المحرم في المنهيات كالواجب في المأمورات وعقد صلى الله عليه وسلم ثلاثة ألوية لواء للاوس وكان بيد أسيد بن حضير ولواء للمهاجرين وكان بيد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل بيد مصعب بن عمير أي لانه كما قيل لما سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبي طلحة أي من بني عبد الدار فأخذه صلى الله عليه وسلم من علي ودفعه لمصعب بن عمير أي لان مصعب بن عمير من بني عبد الدار وهم أصحاب اللواء في الجاهلية كما تقدم وسيأتي ولواء للخزرج كان بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وخرج في ألف وقيل تسعمائة ولعله تصحيف عن سبعمائة لما سيأتي ان عبد الله بن أبي ابن سلول

فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدو فأقاموا على معان ليلتين ومعان بفتح الميم موضع أو جبل من أرض الشام وبلغ المسلمين ان هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من مشركي الروم مع ما انضم إليهم من لخم وجذام وقيس وبهراء يبلغون مائة ألف وهم الذين جمعهم شرحبيل وجاء في رواية ان القوم كانوا مائتي ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم خيول كثيرة فقال المسلمون نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضي له فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي وقال يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة رضي الله عنه فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاءهم من لا قبل لأحد به من العدد الكثير الزائد على مائتي ألف والسلاح والكراع أي الخيل والديباج والحرير والذهب اظهارا للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم وفي هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم لانهم باعوها لله تعالى إذا أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب وشدة وحدة انما هو لما وقر في قلوبهم واطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه

رجع

رجع معه ثلاثمائة فبقى سبعمائة من اصحابه صلى الله عليه وسلم منهم مائة دارع وخرج السعدان امامه صلى الله عليه وسلم يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم اى وسار الى ان وصل رأس الثنية أى وعندها وجد كتيبة كبيرة فقال ما هذا قالوا هؤلاء حلفاء عبد الله بن ابى ابن سلول من يهود فقال اسلموا فقيل لا فقال انا لا ننتصر بأهل الكفر على اهل الشرك فردهم اى وهؤلاء اليهود غير حلفائه من بنى قينقاع فلا يقال هذا انما يأتى على ان اجلاء بنى قينقاع كان بعد أحد لانهم هم حلفاؤه من يهود كما تقدم لانا نمنع انحصار حلفائه من يهود فى بنى قينقاع وسار صلى الله عليه وسلم وعسكر بالشيخين وهما أطمان أى جبلان ۞ وعند ذلك عرض قومه فرد جمعا اى شبابا لم يرهم بلغوا خمس عشرة سنة بل أربع عشرة سنة كذا نقل عن امامنا الشافعى رضى الله عنه ونقل عنه بعضهم انه قال لم يرهم بلغوا اربع عشرة سنة منهم عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء بن عازب واسيد بن ظهير وعرابة بن أوس خلافا لمن أنكر صحبته وعرابة هذا هو القائل فيه الشماخ

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وأوس والده هو القائل فى يوم الاحزاب ان بيوتنا عورة كما سيأتى وابو سعيد الخدرى وسعد ابن خيثمة رضى الله تعالى عنهم اى وزيد بن حارثة الانصارى كان أبوه حارثة من المنافقين من اصحاب مسجد الضرار ورافع بن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز صلى الله عليه وسلم رافع ابن خديج لما قيل له انه رام وأصيب فى ذلك اليوم بسهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم القيامة ومات فى زمن عبد الملك بن مروان لما انتقض عليه ذلك الجرح وعندما أجازه قال سمرة بن جندب لزوج امه أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج وردنى وانا أصرعه فاعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصارعا فصرع سمرة بن جندب رافعا فأجازه وممن رده صلى الله عليه وسلم يوم أحد اى غرسنه سعد بن حبتة عرف بامه حبتة فلما كان يوم الخندق رآه صلى الله عليه وسلم يقاتل قتالا شديدا فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة فى ولده ونسله فكان عما لاربعين وخالا لاربعين وابا لعشرين ومن ولده أبو يوسف صاحب ابى حنيفة رضى الله عنهم وتقدم فى بدر أنه صلى الله عليه وسلم رد زيد بن ثابت وزيد بن أرقم واسيد بن ظهير فما فرغ العرض الا وقد غابت الشمس فأذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ثم أذن بالعشاء فصلى

على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح رضى الله عنه ثم أخذ اللواء جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فالجمه القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان اسن من على رضى الله عنه بعشر سنين وقيل كان عمره أربعين وقيل احدى وأربعين وكان رضى الله عنه حين اشتد القتال واحاط به العدو يقاتل ويقول

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
علىّ اذ لاقيتها ضرابها

وانما عقر فرسه خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولان يقاتل ولا يفر ففيه دليل على فرط شجاعته رضى الله عنه ولما اخذ اللواء قاتل قتالا شديدا فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضى الله عنه ووجد فيه بضع وسبعون وفى رواية وتسعون جرحا ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ليس فيها شئ فى دبره ولا ظهره أى ليس منها شئ فى حال الادبار بل كلها فى حال الاقبال لمزيد شجاعته ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يا نفس لتنزلنه
لتنزلن أو لتكرهنه
ان اجلب الناس وشدوا الرنه
مالى اراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه
هل انت الا نطفة فى شنه

وقال أيضا

يا نفس الا تقتلى تموتى * هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت * ان تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا رضى الله عنهما ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة فى الناس فقال وانت فى الدنيا ثم القاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى

قتل روى سعيد بن منصور انهم دفنوا يومئذ فى قبر واحد زيدا وجعفرا وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وفى الصحيح ومايسرهم انهم عندنا أى لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلانى البلوى حليف الانصار وكان من أهل بدر رضى الله عنه يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا انت قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضى الله عنه وفى رواية ان ثابتا مشى باللواء الى خالد وقال انت اعلم بالقتال منى فلم يقبل خالد اللواء وقال انت احق به منى لانك ممن شهد بدرا فنادى ثابت يامعشر المسلمين فاجتمع الناس على خالد ابن الوليد رضى الله عنه وسلموه اللواء فأخذه وفى الصحيح حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة وانقطع فى يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى مابقى فى يده الاصفيحة يمانية وانهزم المشركون أسوأ هزيمة ماروى مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وجاء فى رواية انه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا حتى لم يرا ثنان جميعا ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين وفى رواية انه لما اصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكر العدو حالهم وقالوا جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر رجلا وهذا من عناية الله بالاسلام واهله ومزيد اعزازه ونصره لهم اذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتى ألف فلا يقتل منهم الا اثنا عشر رجلا مع انهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام وأما قتلى المشركين فلا يحصون فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة التى أكرم الله بها

بهم وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة فى خمسين رجلا يطوفون بالعسكر ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه لما قال صلى الله عليه وسلم من يحفظنا الليلة حتى كان السحر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت أى فى النوم الملائكة تغسل حمزة رضى الله عنه وأدلج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السحر فكانت صلاة الصبح بالشوط حائط بين المدينة واحد ومن ذلك المكان رجع عبد الله ابن أبى ابن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلثمائة رجل وهو يقول عصانى واطاع الولدان ومن لا رأى له سيعلم ماندرى علام نقتل انفسنا ارجعوا أيها الناس فرجعوا فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر رضى الله عنهما وكان فى الخزرج كعبد الله بن أبى يقول ياقوم اذكركم الله ان تخذلوا بضم الذال المعجمة قومكم ونبيكم أى تتركوا نصرتهم واعانتهم عندما حضر من عدوهم قالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ولكن لانرى انه يكون قتال وأبوا الا الانصراف فقال لهم أبعدكم الله أى أهلككم الله أعداء الله فسيغنى الله تعالى عنكم نبيه وفيه ان قوله المذكور يخالف قوله علام نقتل أنفسنا الا أن يقال على فرض انه يقع قتال علام نقتل أنفسنا فلما رجع عبد الله بن أبى ابن سلول بمن معه قالت طائفة نقاتلهم وقالت طائفة أخرى لانقاتلهم وهما ان يقتتلا والطائفتان هما بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج فأنزل الله تعالى فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم أى ردهم الى كفرهم بما كسبوا وفى كلام سبط ابن الجوزى ولما رأى بنو سلمة وبنو حارثة عبد الله بن ابى قد خذل هموا بالانصراف وكانوا جناحين من العسكر ثم عصمهما الله وانزل قوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الآية فبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة رجل ومن هذا يعلم مافى المواهب من قوله ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط لان الذين ردهم صلى الله عليه وسلم لكفرهم حلفاء عبد الله بن أبى ابن سلول من يهود وكان رجوعهم قبل الشوط والذين رجع بهم عبد الله كانوا منافقين ورجوعه بهم كان من الشوط ولم يكن مع المسلمين يومئذ الا فرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابى بردة وقيل لم يكن معهم فرس أى وهذا القيل نقله فى فتح البارى عن موسى بن عقبة واقره وقالت الانصار أى لما رجع ابن أبى يارسول الله الا نستعين بحلفائنا من يهود أى يهود المدينة ولعلهم عنوا بهم بنى قريظة لان بنى قريظة من حلفاء سعد بن معاذ وهو سيد الاوس قال بعضهم كان فى الانصار كأبى بكر فى المهاجرين فقال صلى الله عليه وسلم لاحاجة لنا فيهم أقول وحينئذ يكون المراد

قالت

قالت طائفة من الانصار وهم الاوس ولم يكونوا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم انا لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك والله أعلم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من يخرج بنا على القوم من كثب أى من طريق قريب لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله فنفذ به من حرة بنى حارثة وبين اموالهم حتى دخل فى حائط للمربع بن قيظى الحارثى وكان رجلا منافقا ضريرا فقام يحثى التراب أى فى وجوههم ويقول ان كنت رسول الله فانى لا أحل لك أن تدخل حائطى وفى يده حفنة من تراب وقال والله لو اعلم انى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدر اليه سعد بن زيد فضربه بالقوس فى رأسه فشجه واراد القوم قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر أى وغضب له ناس من بنى حارثة كانوا على مثل رأيه أى منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أبى فهم بهم أسيد بن حضير حتى أومأ أى اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك ذلك ○ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره الى احد قال واستقبل المدينة وصف المسلمين فى جبل احد اى بعد ان بات به تلك الليلة وحانت الصلاة صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال وأقام وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صفوفا وخطب خطبة حثهم فيها على الجهاد ومن جملة ما ذكر فيها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة الا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا وفى رواية الا امرأة أو مسافرا وعبدا أو مريض بالرفع وعليها فالمستثنى محذوف أى الا اربعة وما ذكر بدل منها قال ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غنى حميد ما أعلم من عمل يقربكم الى الله تعالى الا وقد أمرتكم به ولا اعلم من عمل يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه وانه قد نفث أى أوحى وألقى فى روعى بضم الراء أى قلبى الروح الامين أى الذى هو جبريل انه ان تموت نفس حتى تستوفى اقصى رزقها لا ينقص منه شئ وان أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم واجملوا أى احسنوا فى طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه ان تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده والسلام عليكم انتهى اى ولما أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ومعه عكرمة بن ابى جهل رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام وقال له استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ولعل المراد وأمر جماعة بأن يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين لانه تقدم أنه لم يكن معهم الا فرس او الا فرسان اى وما

صحابه رضى الله عنهم وزفعت الارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم فأخبر أصحابه وذلك انه لما أطلع على ذلك نادى فى الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال يا أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازى انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد ابن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفى رواية ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله واخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم وفى رواية قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمى خالد سيف الله وفى لفظ ثم اخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه خالد ابن الوليد رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذى رجلا من اهل بدر لو انفقت مثل احد ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله انهم يقعون فى فارد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم كون ما وقع يوم مؤتة فتحا ونصرا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا أكثر من مائتى ألف والصحابه رضى الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية وجاء فى رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما جاء ان طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم انتم الفرارون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفى

لفظ العكارون اى الكرارون وجاء فى رواية انا فئتكم يشير الى قوله تعالى الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة يعنى ان فرارهم كان من الانحياز الى فئة وايضا زاد العدو على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم والحاصل ان المسلمين لما قتل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه انهزموا وتفرقوا وذهب جماعة ٢٩٢ منهم الى المدينة ثم اجتمع الناس لما انحاز خالد بن الوليد رضى الله عنه ورتب الناس وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا على ذلك واثنى عليه ولما قدم يعلى بن امية رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم بخبر الجيش قال له النبى صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرنى وان شئت اخبرتك قال فأخبرنى يارسول الله لازداد يقينا فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر كله و وصف له ما كان فقال والذى بعثك بالحق ماتركت من حديثهم حرفا واحدا وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معتركهم وحين رأى ذلك قال حمى الوطيس أى حميت الحرب واشتدت وقيل ان الذى جاء بخبرهم أبو عامر الاشعرى رضى الله عنه ولا مانع من ان كلا منهما جاء بالخبر وعن اسماء بنت عميس رضى الله عنها زوج جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه قالت دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر واصحابه فقال ائتنى ببنى جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفى رواية وبكى حتى نقطت لحيته الشريفة فقلت يارسول الله بأبى انت وامى مايبكيك أبلغك عن جعفر واصحابه شئ قال نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع علىّ النساء وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى يا أسماء لا تقولى هجرا ولا تضربى خدا وقال اللهم قدمه يعنى جعفرا الى أحسن الثواب واخلفه فى ذريته بأحسن ماخلفت أحدا من عبادك فى ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه الدار

وقع فى الهدى أن الفرسان من المسلمين يوم احد كانوا خمسين رجلا سبق قلم وقال لا تبرحوا حتى اوذنكم وقال لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال وكان الرماة خمسين رجلا وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا أى وفى رواية ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطاناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم زاد فى رواية وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال وفى رواية انه قال اى للرماة الزموا امكانكم لا تبرحوا منه فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل فى عسكرهم فلا تفارقوا امكانكم وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل انا لن نزال غالبين مامكثتم مكانكم اللهم انى اشهدك عليهم انتهى واخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا اى وكان مكتوبا فى احدى صفحتيه

فى الجبن عار وفى الاقبال مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم من جملتهم على رضى الله تعالى عنه قام ليأخذه فقال اجلس وعمر رضى الله تعالى عنه فاعرض عنه والزبير رضى الله تعالى عنه أى وطلبه ثلاث مرات كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ٥ حتى قام اليه ابو دجانة وقال ما حقه يارسول الله قال تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال انا آخذه بحقه فدفعه اليه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب اى يمشى مشية المتكبر وحين رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبختر بين الصفين قال انها المشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن اى لان فيها دليلا على عدم الاكتراث بالعدو وعند اصطفاف القوم نادى ابو سفيان بن حرب يامعشر الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف عنكم فشتموه اقبح شتم ولعنوه اشد اللعن قال وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يلى حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير فذبحه فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبى حوارىّ وان حوارىّ الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز اليه الزبير لبرزت اليه لما رأى من احجام الناس عنه انتهى وخرج رجل من المشركين بين الصفين اى وهو طلحة بن ابى طلحة وابو طلحة والده اسمه عبد الله بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين لان بنى عبد الدار كانوا اصحاب لواء المشركين لان اللواء كان لوالدهم عبد

وسلم الى اهله فقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وفى لفظ انه دخل على فاطمة رضى الله عنها وهى تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكى ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم وفى رواية قد شغلهم ماهم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وادمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فأكلت من ذلك الطعام وحبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتى ثلاثة ايام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار فى بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذى جعل لآل جعفر رضى الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وروى الامام أحمد بسند صحيح ثم أمهل صلى الله عليه وسلم آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لهم لا تبكوا على أخى بعد اليوم ثم قال ائتونى ببنى أخى فجئ بنا كأنا أفرخ فدعا الحلاق فحلق رؤسنا ثم قال أما محمد فشبيه عمنا ابى طالب واما عبد الله فشبيه خلقى وخلقى ثم دعا لهم قال عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما دعا لى وقال اللهم بارك له فى صفقة يمينه فما بعت شيأ ولا اشتريته الا بورك لى فيه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل لى زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهما صدودا أى اعراضا ورأيت جعفرا ليس فى عنقه صدود فسألت فقيل انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم

الدار كما تقدم وطلب طلحة المبارزة مرارا فلم يخرج اليه احد فقال يا اصحاب محمد زعمتم ان قتلاكم الى الجنة وان قتلانا الى النار وفى رواية قال يا اصحاب محمد انكم تزعمون ان الله تعالى يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل احد منكم يعاجلنى بسيفه الى النار او اعجله بسيفى الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الىّ بعضكم فخرج اليه على بن ابى طالب فاختلفا ضربتين فقتله على رضى الله تعالى عنه اى وفى رواية فالتقيا بين الصفين فبدره علىّ فصرعه اى قطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عمى انشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض اصحابه افلا اجهزت عليه فقال انه استقبلنى بعورته فعطفنى عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله وفى رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تجهز عليه فقال ناشدنى الله والرحم فقال اقتله فقتله اى ووقع لسيدنا على كرم الله وجهه مثل ذلك فى يوم صفين مرتين الاولى حمل على بسر بن ارطاة فلما رأى انه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه والثانية حمل على عمرو بن العاص فلما رأى انه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه على كرم الله وجهه ○ فأخذ لواء المشركين اخو طلحة وهو عثمان بن ابى طلحة وعثمان هذا هو ابو شيبة الذى ينسب اليه الشيبيون فيقال بنى شيبة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة وهو يقول انا ابن ساقى الحجيج يعنى عبد المطلب فأخذه اخو عثمان وأخو طلحة وهو ابو سعيد بن ابى طلحة فرماه سعد بن ابى وقاص فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن ابى طلحة الذى قتله على رضى الله تعالى عنه فرماه عاصم بن ثابت بن ابى الافلح فقتله ثم حمله اخوه مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم فقتله اى فكانت أمهما وهى سلافة معهما وكل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتى أمه ويضع رأسه فى حجرها فتقول له يا بنى من اصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى يقول خذها وانا ابن ابى الافلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الابل وسيأتى مقتل عاصم فى سرية الرجيع فحمله اخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير أى وقيل قزمان فحمله اخوهم وهو الجلاس ابن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب والجلاس الاربعة أولاد طلحة بن ابى طلحة كل قتل كأبيهم طلحة وعميهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل فقتله على بن ابى طالب وقيل حمزة فحمله شريح بن قارظ فقتل أى ولم يعرف قاتله ثم حمله ابو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله

مضى حتى استشهد وفى رواية رأيتهم فيما يرى النائم وقد زفوا الى الجنة على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا من سرير صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لى مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى أى فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه و يتردد بعض التردد فى النزول ٢٩٤ وفى لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال اتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال انى صائم فضعه فى ترسى عند رأسى فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات صائما قبل الغروب و وجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما اقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وكان النبى صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع اصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال مر بى جعفر بن أبى طالب فى ملا من الملائكة فسلم على وفى رواية مر بى وهو مخضب الجناحين بالدم * ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبى صلى الله عليه وسلم خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن عبد الله ابن جعفر فأتى به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ولد بالحبشة وأمه أسماء بنت عميس رضى الله كل عنها وتزوجها أبو بكر رضى الله عنه بعد جعفر بن ابى طالب فولدت له محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما ثم تزوجها على بن ابى طالب رضى الله عنه بعد أبى بكر رضى الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيألك

قزمان حليف لهم ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان ايضا ثم حمله صواب غلامهم اى وكان حبشيا فقاتل حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذه بصدره وعنقه حتى قتل عليه أى قتله قزمان وقيل القاتل له سعد بن ابى وقاص وقيل على وقد كان ابو سفيان قال لاصحاب اللواء أى لواء المشركين من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يا بنى عبد الدار انكم تركتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما تؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا و بينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان قال ابن قتيبة و يقال ان هذه الآية نزلت فى بنى عبد الدار ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولما صرع صاحب لواء المشركين أى الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه أى لانه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رآه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه المتقدمة انه مردفا كبشا وقال اولت ذلك أنى اقتل كبش الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل اصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى اجهضوهم اى ازالوهم عن اثقالهم أى وكان شعار المسلمين يومئذ امت امت وشعار الكفار يا للعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة منصوبا على بئر هناك وسيأتى فى فتح مكة أنه كان خارجها بجانب الباب وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون فى أول الامر كان داخل الكعبة ثم أخرج منها وجعل بجانبها ○ أى وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبوه أبو بكر شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن للمبارزة أيضا فى يوم بدر وتقدم عن ابن مسعود ان الصديق دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم احد الى البراز وهو يخالف ما هنا الا ان يقال انه هنا يجوز وقوع كل من الامرين أى طلب المبارزة من الصديق لولده عبد الرحمن وطلب المبارزة من عبد الرحمن لوالده الصديق وقد وقع للصديق رضى الله تعالى عنه ان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش شاهرا سيفه فأخذ على رضى الله تعالى عنه بزمام راحلته وقال له الى اين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله ائن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وفى أول الامر حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات

أولئك يطير مع الملائكة فى السماء وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه يطير مع الملائكة وفى رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروى جناحان من ياقوت قال السهيلى ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران لأنهما جناحان كجناحى الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية أشرف الصور ولا ينضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان واطال فى ذلك والله أعلم وقد قال حسان بن ثابت رضى الله عنه قصيدة يرثى بها جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه وبعض من معه فقال

يؤوّبنى ليل بيثرب أعسر
وهم اذا مانوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى لوعة
سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية
وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا
شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا
جميعا واسباب المنية تخطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم
الى الموت ميمون النقيبة أزهر
اغر كضوء البدر من آل هاشم
أبى اذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد
بمعترك فيه قنى متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه
جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى فى جعفر من محمد
وفاء وأمرا حازما حين يأمر
ولازال فى الاسلام من آل هاشم
دعائم عز لا يزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم
رضام الى طود يروق ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه
على ومنهم أحمد المتخير

كل ذلك تنضيج بالنبل فترجع مفلولة أى بالفاء متفرقة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أى اضعفوهم قتلا فلما التقى الناس وحميت الحرب قامت هند فى النسوة اللاتى معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن

ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان والادبار الاعقاب أى الذين يحمون أعقاب الناس والبتار السيف القاطع ويقلن

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا النوازق
(أى الخفاف)
والمسك فى المفارق * والدر فى المخانق * ان تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

والطارق النجم قال تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب قيل هو زحل اى نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالنجم واعترض بأنها لو أرادت النجم لقالت نحن بنات الطارق ثم رأيت ان هذا الرجز لهند بنت طارق وحينئذ فليس المراد بطارق النجم وانما هو الرجل المعروف كأنها قالت نحن بنات طارق المعروف بالعلو والشرف وعن بعضهم قال جلست بمكة وراء الضحاك فسئل عن قول هند يوم أحد نحن بنات طارق ما طارق فقلت هو النجم فقال لى كيف ذلك فقلت له قال الله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق والنمارق الوسائد الصغار والمراد نفرش ما تجعل عليه الوسائد مع جعلها عليه والوامق المحب أى فراق غير محب لان غير المحب لا يرجع اذا غضب بخلاف المحب ومن ثم قيل غضب المحب فى الظاهر مهابة سيف وفى الباطن كسحابة صيف قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع ذلك أى تحريض هند بما ذكر يقول اللهم بك احول بالحاء المهملة اى امنع وبك أصول وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل انتهى اى وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا لقى العدو قال اللهم بك اصاول وبك أحاول اى أطالب وقاتل أبو دجانة حتى امعن فى الناس فعن الزبير قال وجدت أى غضبت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف اى الذى قال فيه من يأخذه بحقه ثلاث مرات وانا ابن عمته فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة فقلت والله لانظرن ما يصنع فاتبعته فأخذ عصابة حمراء أى أخرجها من ساق خفه وكان مكتوبا على احد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الآخر الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه

وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر بهم تفرج اللأواء فى كل مارق

* عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر هم اولياء الله أنزل حكمه * عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

(سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه) الى ٢٩٦ بلاد بلى وعذرة وهى وراء وادى ذات القرى بينها وبين المدينة عشرة ايام وبلى قبيلة كبيرة ينسبون الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد ابن قضاعة وتسمى سرية ذات السلاسل سميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض فى اول الامر فلا ينافى انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله فى قلوبهم الرعب وفروا وقيل سميت بذلك لان بها ماء يقال له السلسل وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان جمعا من قضاعة تجمعوا للاغارة وارادوا أن يدنوا من أطراف المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله عنه فى ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى فقال يا عمرو انى أريد أن ابعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت انى لم أسلم رغبة فى المال قال نعم المال الصالح للمرء الصالح فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه وكان يكمن النهار ويسير الليل فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه اباعبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأمره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فاراد لا يفارقوه

فقالت الانصار اخرج أبو دجانة عصابة الموت أى لانهم كانوا يقولون ذلك اذا تعصب بها فجعل لا يلقى أحدا الا قتله أى وكان اذا كل ذلك السيف يشحذه أى يحده بالحجارة ولم يزل يضرب به العدو حتى انحنى وصار كانه منجل وكان رجل من المشركين لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه اى اسرع قتله فدعوت الله ان يجمع بينه وبين أبى دجانة فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاها بدرقته فعضت الدرقة على سيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند أى بنت عتبة زوج أبى سفيان وقيل غيرها ثم رد السيف عنها قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمش الناس أى بالسين المهملة حمسا شديدا أى بشجعهم وبالشين المعجمة يوقد الحرب ويثيرها فعمدت اليه فلما حملت عليه بالسيف ولول اى دعا بالويل اى قال يا ويلاه فعلمت انه امرأة فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتالا شديدا ومر به سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلم أى أقبل يا ابن مقطعة البظور لان امه ام انمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة اى وفى البخارى يا سباع يا ابن ام أنمار مقطعة البظور اتحاد الله ورسوله أى تحاربهما وتعاندهما وفيه انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة فشد عليه فلما التقيا ضربه حمزة فقتله وفى رواية فكان كامس الذاهب أى وكان تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة وفيه انه سيأتى عن الاصل وقتل من كفار قريش يوم احد ثلاثة وعشرين رجلا واكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشى غلام جبير بن مطعم انى لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه يهد بالدال المهملة يهدم وبالذال المعجمة يقطع اى وقد عثر حمزة فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة وفى لفظ فندرته حتى خرجت من بين رجليه فاقبل نحوى فغلب فوقع فامهلته حتى اذا مات جئته فاخذت حربتى ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى فى شئ حاجة غيره اى وفى لفظ آخر كان حمزة يقاتل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين وهو يقول أنا أسد الله فبينا هو كذلك اذ عثر عثرة وقع منها على ظهره فانكشفت الدرع عن بطنه فطعنه وحشى الحبشى بحربته ثم لما قتل اصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد ولم يقدر أحد يدنو منه انهزم المشركون وولوا لا يلوون على شئ ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم بالدفوف وألقين الدفوف وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم ففارقت الرماة محلهم الذى أمرهم صلى الله عليه وسلم ان

لا يفارقوه ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير فقالوا له انهزم المشركون فما مقامنا ههنا وانطلقوا ينتهبون وثبت عبد الله بن جبير مكانه وثبت معه دون العشرة وقال لا اجاوز امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل من الرماة وقلة من به منهم فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم مع أميرهم عبد الله بن جبير أى ومثلوا به ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت حشوته واحاطوا بالمسلمين فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والاسراذ دخلت خيول المشركين تنادى فرسانها ○ بشعارها يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون فى كل وجه وتركوا ما انتهبوا وخلوا من اسروا وانتقضت صفوف المسلمين واختلط المسلمون وصار يضرب بعضهم بعضا من غير شعار أى من غير أن يأتوا بما كانوا ينادون به فى الحرب يتعارفون به فى ظلمة الليل وعند الاختلاط وهو امت امت مما اصابهم من الدهش والحيرة ولم يزل لواء المشركين ملقى حتى اخذته عمرة بنت علقمة ورفعته لهم فلاثوا اى بالمثلثة استداروا به واجتمعوا عنده ونادى ابن قمئة بفتح القاف وكسر الميم وبعدها همزة ان محمدا قد قتل وقيل المنادى بذلك ابليس اى متمثلا بصورة جعال او جعيل بن سراقة وكان رجلا صالحا ممن اسلم قديما وكان من اهل الصفة قيل وهو الذى غير النبى صلى الله عليه وسلم اسمه يوم الخندق وسماه عمرا كما سيأتى وسيأتى ما فيه ثم ان الناس وثبوا على جعال ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول وشهد له خوات بن جبير وابو بردة بأن جعالا كان عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ وقيل المنادى بذلك ازب العقبة قال ذلك ثلاث مرات اى لانه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صرخ الشيطان به قال هذا ازب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاى والازب القصير كما تقدم وقد ذكر ان عبد الله بن الزبير رأى رجلا طوله شبران على رحله فقال ما انت قال ازب قال ما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى هرب اى ويجوز ان يكون ذلك صدر من الثلاثة وهم ابن قمئة وابليس وازب العقبة فرجعت الهزيمة على المسلمين اى وقال قائل يا عباد الله أخراكم اى احترزوا من جهة اخراكم فعطف المسلمون على اخراهم يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة ولم يدخلوها وقال رجال من المسلمين حيث قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال آخرون ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل افلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء اى وفى الامتاع ان ثابت بن

ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا اى معينا ومقويا وانا الامير اى ولا امارة لك حتى تؤم الناس فقال ابو عبيدة لا ولكن انا على ما انا عليه وانت على ما انت عليه وكان ابو عبيدة رجلا سهلا هينا عليه امر الدنيا فقال يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا تختلفا وانك ان عصيتني أطعتك فأطاع له ابو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا بعد ان اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون فأقام هنالك ثلاثة ايام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويأكلون ولم يكن فى ذلك غنائم تقسم وقال البلاذرى فلقى العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم اى فرقهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم فيغنمك الله ويسلمك كما مر وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة ان عمرو بن العاص رضى الله عنه أمرهم فى تلك الغزوة ان لا يوقدوا نارا فأنكر ذلك عمر رضى الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنه دعه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب فسكت عنه (وروى ابن حبان) عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انهم سألوه ان يوقدوا نارا فمنعهم فكلموا أبا بكر رضى الله عنه فكلمه فى ذلك فقال لا يوقد احد نارا الا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فارادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطف عليهم وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسى انه لم يبعثنى على قوم فيهم أبو بكر وعمر الا لمنزلة لى عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله أى الناس

احب اليك قال عائشة قلت انى لست أعنى النساء انما اعنى الرجال قال ابوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم وقلت فى نفسى لأعود اسأله عن هذا وفى الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وفضل ٢٩٨ ابي بكر على الرجال وبنته على النساء ومنقبة لعمرو بن العاص رضى الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضى ان له فضلا فى الجملة وقد قال رافع الطائى وهذه الغزوة هى التى يفتخر بها أهل الشام اى ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى اعلم

(سرية الخبط)

وهى سرية أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشى الفهرى احد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه وعنهم وسماها البخارى غزوة سيف البحر بكسر السين اى ساحل البحر واشتهرت بسرية الخبط بعث صلى الله عليه وسلم اباعبيدة ومعه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وكان فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أرض جهينة ليلقى عيرا لقريش ولمحاربة حى من جهينة وكانت فى رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد وقبل فتح مكة وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل كان معهم غيره فلما فنى ما معهم اكلوا الخبط وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ورق السلم قال جابر رضى الله عنه كنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وفى رواية كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة فقالوا لجابر كيف كنتم تصنعون قال نمصها كما يمص الصبى الثدى ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى الليل ثم أكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما جزرا ونحرها لهم

كعب

الدحداح قال يامعشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حى لايموت قاتلوا على دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن ابى جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضى الله تعالى عنهم وكان من جملة من انهزم عثمان ابن عفان والوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن معلى فاقاموا ثلاثة ايام ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبتم فيها عريضة وانزل الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم قال وقال جماعة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليأخذ لنا أمانا من ابى سفيان ياقوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة فلقيتهم ام أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك اه اى اعطنى سيفك اى فالمنهزمون فى ذلك اليوم طائفتان طائفة لم تدخل المدينة واخرى دخلتها وفيه أن أم أيمن كانت فى الجيش تسقى الجرحى اى فقد جاء ان حباب بن العرقة رمى بسهم فاصاب ام أيمن وكانت تسقى الجرحى فوقعت وتكشفت فأغرق عدو الله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لانصل له وقال ارم به فوقع السهم فى نحر حباب فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقادلها سعد أجاب الله دعوته اى وفى رواية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لامنافاة بين كون أم ايمن كانت فى الجيش وبين كونها كانت فى المدينة لجواز ان تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة وقال رجال اى من المنافقين لما قيل قد قتل محمد الذين بقوا ولم يذهبوا مع عبد الله بن ابى ابن سلول لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا اى وقال بعضهم لو كان نبيا ماقتل فارجعوا الى دينكم الاول وفى النهر أن فرقة قالوا نلقى اليهم بأيدينا فانهم قومنا وبنو عمنا وهذا يدل على أن هذه الفرقة ليست من الانصار بل من المهاجرين قال وعن الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه قال لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وارسل علينا النوم فمامنا احد الا وذقنه فى صدره فوالله انى لاسمع كالحلم قول معتب ابن قشير اى ويقال ابن بشير وكان ممن شهد العقبة لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا فحفظتها فانزل الله تعالى فى ذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وعن

كعب بن عمرو الانصارى رضى الله تعالى عنه قال لقد رأيتنى يومئذ فى اربعة عشر من قومى الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة منه اى لانه لا ينعس الامن يأمن مامنهم احد الاغط غطيطا حتى ان الجحف أى الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعرون ان المشركين اتحشنا اه وتقدم فى بدر أنه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه على ما تقدم وتقدم أن النعاس فى الصف من الايمان وفى الصلاة من الشيطان وثبت صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه اصحابه وصار يقول الىّ يا فلان الىّ يا فلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتى اليه من كل ناحية والله يصرفه عنه اى وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك فليتأمل فان المحفوظ أنه انما قال ذلك فى حنين وان كان لا مانع من التعدد وثبت معه صلى الله عليه وسلم جماعة اى من أصحابه منهم ابو طلحة فانه استمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يحوزعنه بحجفته وكان رجلا راميا شديد الرمى فنثر كنانته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وصار يقول نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء فلم يزل يرمى بها وكان الرجل يمر بالجعبة بضم الجيم من النبل فيقول صلى الله عليه وسلم انثرها لابى طلحة اى وكسر ذلك اليوم قوسين اوثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف اى ينظر الى القوم وفى لفظ ليرى مواضع النبل فيقول له ابو طلحة يا نبى الله بأبى انت وامى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك انتهى اى ويتطاول ابو طلحة بصدره يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل بذلك على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجب على كل مؤمن ان يؤثر حياته صلى الله عليه وسلم على حياته قال فلا خلاف ان هذا لا يجب لغيره وهذا المذكور عن ابى طلحة من قوله نحرى دون نحرك نقله ابن المنير عن سعد بن ابى وقاص نقل ولهذا قال سعد يوم احد نحرى دون نحرك ولا زال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه اى المسماة بالكتوم لعدم تصويتها اذا رمى بها حتى صارت شظايا اى ذهب منها قطع وفى رواية رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفى القوس اللذين هما محل الوتر قال وما زال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى تقطع وتره وبقيت فى يده منه قطعة تكون شبرا فى سية القوس فاخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتره له فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فوالذى بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه لفتين اوثلاثا على سية القوس ورمى صلى الله عليه وسلم بالحجارة وكان اقرب الناس الى

وفى رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس من يشترى منى تمرا بالمدينة بجزور تجزر هنا فقال له رجل من جهينة من انت فانتسب فعرفه الجهنى فقال عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرا من الصحابة وامتنع عمر رضى الله عنه لكون قيس لامال له فقال الاعرابى ما كان سعد ليقصر بابنه وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك ان لا تنحر أتريد ان تخفر ذمتك ولا مال لك فقال قيس يا ابا عبيدة أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يقضى عنى تمرا لقوم مجاهدين فى سبيل الله فكاد ابو عبيدة يلين وجعل عمر يقول اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليهما وبلغ سعدا مجاعة القوم فقال ان يكن قيس كما اعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت فى مجاعة قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال اصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميرى قال ولم قال زعم انه لا مال لى وانما المال لابيك فقال لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم الجهنى مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فعل قيس فقال ان الجود من شيمة أهل ذلك البيت وقيل ان قيسا نحر قبل الثلاث ستا مما كان معه من الظهر ثم ثلاثا من التى اشتراها من الجهنى وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأى والمكيدة فى الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية رضى الله عنهما حين ولاه سيدنا على رضى الله عنه مصر بعد قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه لرأى العجب العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه وقفت له عجوز مرة وقالت أشكو

البيت قوله الجرذان ببيتي والجرذان نوع من الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لأكثرن جرذان بيتك فلأ بيتها طعاما
وقيل قالت له مشت جرذان بيتي على العصا فقال لها لأدعهن يثبن وثوب الأسود ثم ملأ لها بيتها طعاما ولا مانع من تعدد الواقعة
وكان قيس لا شعر بوجهه وكان مع ذلك ٣٠٠ جميلا وكانت الانصار تقول وددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا كلها
وانرجع الى تمام قصة سرية الخبط
قال أهل السير ثم أخرج الله لهم
دابة من البحر تسمى العنبر وهي
سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة
وقيل ان العنبر المشموم رجيعها
قال الازهري العنبر سمكة بالبحر
الاعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا
وفي رواية لجابر رضي الله عنه
فألقى لنا البحر حوتا ميتا لم نر مثله
فأكلنا منه نصف شهر وفي رواية
ثمانية عشر يوما حتى صحت
أجسامنا وادهنا من ودكه فأخذ
أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه
فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز
تحته براكبه وفي رواية ثم أمر
بأجسم بعير معنا فحمل عليه
أجسم رجل فخرج من تحتها وما
مست رأسه وفي رواية فدخل اي
الراكب تحتها ما يطاطئ رأسه وفي
رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه
فلقد رأيتنا نغترف من وقب
عينيه اي حدقتيه الدهن بالقلال
ونقتطع منه الفدر أي القطع من
اللحم كالثور وفي رواية عن جابر
أيضا فدخلت أنا وفلان فعد
خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد
حتى خرجنا فسبحان القوي
القادر فلما قدمنا المدينة أتينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا من
فكان معنا منه شيء فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل ولم يذكر أحد من أهل السير أنهم قاتلوا أحدا في هذه السرية
بل أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى أعلم * (سرية أبي قتادة رضي الله

القوم اهـ اي وانكر الامام ابو العباس بن تيمية كونه صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى صارت شظايا اي لانه يبعد وجود رميه صلى الله عليه وسلم من غير اصابة ولو اصاب أحد الذكر لانه مما تتوفر الدواعي على نقله وقاتل جماعة من اصحابه منهم سعد بن ابي وقاص فانه كان من الرماة المذكورين رمى بقوسه قال سعد لقد رأيته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم به وقد تقدم أنه رمى بسهم من تلك السهام التي لا نصل لها لمن رمى ام أيمن قال وفي رواية عن سعد قال أجلسني رسول الله صلى الله عليه وسلم امامه فجعلت أرمي واقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته واجب دعوته حتى اذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في كنانته اهـ اي فكان سعد مجاب الدعوة كما تقدم ولما سعى اهل الكوفة به الى سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أرسل جماعة للكوفة يسألون عن حاله من أهل الكوفة فصاروا كلما سألوا عنه احدا قال خيرا واثنى عليه معروفا حتى سألوا رجلا يقال له ابو سعدة فذمه وقال لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية فلما بلغ سعدا ذلك قال اللهم ان كان كاذبا فاطل عمره وأدم فقره واعم بصره وعرضه للفتن فعمي وافتقر وكبر سنه وصار يتعرض للاماء في سكك الكوفة فاذا قيل له كيف أنت يا ابا سعدة يقول شيخ كبير فقير مفتون اصابتني دعوة سعد قيل لسعد لم تستجاب دعوتك من دون الصحابة فقال ما رفعت الى فمي لقمة الا وأنا اعلم من أين جاءت ومن اين خرجت اي لانه جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقام سعد بن أبي وقاص وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وقد جاء في الحديث من كان مأكله حراما ومشربه حراما وملبسه حراما فأنى يستجاب له فليتأمل هذا الجواب وقد يقال مراد سعد بقوله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة اي ممن يأكل الحلال الطيب ويميز عند الاكل بين الحرام وبين غيره حتى أكون مستجاب الدعوة ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ولعل السكوت عن اللبس لانه نادر بالنسبة للاكل وجوابه صلى الله عليه وسلم بقوله والذي نفس محمد بيده تقرير لما فهمه سعد رضي الله عنه ان من يأكل غير الحلال لا يكون مستجاب الدعوة تأمل والحق ان سبب استجابة دعوة سعد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك ولعله لم يجب بذلك لمن سأله بقوله لم تستجاب دعوتك

من بين الصحابة لانه يجوز ان يكون دعاء النبى صلى الله عليه وسلم بذلك تأخر عن هذا فليتأمل وفى الشرف ان سعدا رضى الله عنه رمى يوم احد الف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ارم فداك ابى وامى ففداه فى ذلك اليوم الف مرة وعن على كرم الله وجهه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك ابى وأمى الا لسعد رضى الله عنه وفى رواية فما جمع صلى الله عليه وسلم أبويه لاحد الا لسعد رضى الله تعالى عنه قال فى النور الرواية الاولى أصح لانه اخبر فيها انه لم يسمع اى لانه حينئذ لا يخالف ما جاء عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع لابيه الزبير رضى الله عنه بين ابويه اى قال له فداك ابى وأمى كسعد اى وذلك فى يوم الخندق حيث اتاه بخبر بنى قريظة وكذا الرواية الثانية لا تخالف لانها محمولة على سماعه وعلى الاخذ بظاهرها وعدم حملها على ذلك يجاب بما قال فى النور ظهر لى ان عليا كرم الله وجهه انما أراد تفدية خاصة وهى الف مرة اوفى خصوص أحد وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد فيقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله لان سعدا رضى الله عنه كان من بنى زهرة وكانت أم النبى صلى الله عليه وسلم منهم كما تقدم اى وكان رضى الله عنه اذا غاب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى لا أرى الصبيح المليح الفصيح ولما كف بصره رضى الله عنه قيل له لو دعوت الله سبحانه ان يرد عليك بصرك فقال قضاء الله احب الى من بصرى (ولما حضرت الوفاة) سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه دعا بخلق جبة من صوف فقال كفنونى فيها فانى كنت لقيت فيها المشركين يوم بدر وانما كنت أخبؤها لهذا وممن كان مشهورا بالرماية سهيل بن حنيف رضى الله عنه وكان ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم الذى هو يوم أحد قال بعضهم وكان بايعه صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم نبلوا سهيلا اى أعطوه النبل وجاء ان خاله صلى الله عليه وسلم وهو الاسود بن وهب بن عبد مناف بن زهرة استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا خالى ادخل فدخل فبسط له صلى الله عليه وسلم رداءه وقال اجلس عليه ان الخال والد يا خال من اسدى اليه معروف فلم يشكر فليذكر فانه اذا ذكره فقد شكره وقال له الا أنبئك بشئ عسى الله ان ينفعك به قال بلى قال ان اربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه بغير حق وعن ام عمارة المازنية رضى الله عنها اى وهى نسيبة بالتصغير على المشهور زوج زيد بن عاصم رضى الله عنه قالت

عنه الى نجد)* واسم ابى قتادة الحرث وقيل عمرو أو النعمان بن ربعى الانصارى السلمى بعثه صلى الله عليه وسلم الى خضرة وهى أرض محارب بنجد فى شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا وأمره ان يشن الغارة على غطفان بأرض محارب فسار الليل وكمن النهار ثم هجم على جمع منهم فقاتله منهم رجال وقتل من أشرف منهم وسبى ابو قتادة ومن معه سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتى بعير والغنم الفى شاة وفى رواية عن ابن عمر رضى الله عنه ما بعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا ابلا كثيرة وغنما فكانت سهامنا اثنى عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وكان السبى أربع نسوة وأطفال وجوار وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبى وقعت فى سهم ابى قتادة فجاء محمية ابن جزء الزبيدى فقال يارسول الله ان أبا قتادة قد أصاب فى وجهه هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتنى جارية فأرسل صلى الله عليه وسلم الى ابى قتادة فقال هب لى الجارية فوهبها له فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدى والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية ابى قتادة أيضا رضى الله عنه الى اضم)

وهو بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم واد على ثلاثة برد من المدينة وكانت هذه السرية فى أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعد أن نقضوا العهد كما سيأتى بعث أبا قتادة رضى الله عنه فى ثمانية أنفار سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولتذهب بذلك الاخبار فلا تستعد قريش لحربه ويدخل عليهم على حين غفلة وكان يقول اللهم خذ العيون والاخبار من قريش حتى نبغتها فى بلادها واستجيب له فعميت الاخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ولا علموا بذلك الا ليلة دخوله صلى الله عليه

خرجت يوم احد لانظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي به الجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال واذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى حصلت الجراحة الى وروى على عاتقها جرح اجوف له غور فقيل لها من اصابك بهذا قالت ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربني هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان قال وفي كلام بعضهم خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها خبيب وعبد الله رضي الله عنهم وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمكم الله أهل البيت وفي رواية بارك الله فيكم أهل بيت قالت له أم عمارة رضي الله عنها ادع الله أن نرافقك في الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة اى وعند ذلك قالت رضي الله عنها ما أبالي ما أصابني من امر الدنيا ○ وقال صلى الله عليه وسلم في حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دوني اه اى وقد جرحت رضي الله عنها اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح او ضربة بسيف وعبد الله ابنها رضي الله عنهما هو القاتل لمسيلمة الكذاب لعنه الله فعنها رضي الله عنها قالت يوم اليمامة قطعت يدي وانا اريد قتل مسيلمة وما كان لي ناهية اى مانعة حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت اقتلته فقال نعم فسجدت لله شكرا ○ ولا ينافيه ما اشتهر ان قاتله وحشي فعن وحشي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد ان قدم عليه في وفد ثقيف واسلم كما سيأتي يا وحشي اخرج فقاتل في سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله فلما كان خروج المسلمين لقتال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة لما ولي الصديق رضي الله عنه الخلافة وارتدت العرب خرجت معهم فأخذت حربتي فلما رأيته تهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها فوقعت فيه وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله قال بعضهم والانصاري هو عبد الله بن زيد اى كما تقدم وقيل غيره اى وفي كلام بعضهم اشترك في قتل مسيلمة الكذاب لعنه الله أبو دجانة وعبد الله بن زيد ووحشي رضي الله عنهم وفي تاريخ ابن كثير رحمه الله الاقتصار على وحشي وابي دجانة وقد يقال لا مخالفة لان كلا من الرواة روى بحسب ما رأى وذكر ابن كثير ان ما روي عن أبي دجانة رضي الله عنه من ذكر

وسلم كما سيأتي فخرج أبو قتادة ومن معه رضي الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الاشجعي فسلم عليهم بتحية الاسلام اى تحالف السلام عليكم وقيل عظمهم بالانقياد ومنه كلمة الشهادة التي هي امارة على اسلامه فقتله محلم بن جثامة فانزل الله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الآية روى الامام ٣٠٢ احمد والطبراني عن عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له ومعه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فامسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشئ كان بينه وبينه واخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الى آخر الآية وتقدم في سرية غالب الليثي أن الآية نزلت في قتل اسامة بن زيد مرداس بن نهيك فيحتمل تعدد القصة وتكرر نزول الآية ثم ان ابا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعا وبلغهم انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا فاخبروه الخبر فقال لمحلم أقتلته بعد ما قال آمنت بالله وفي رواية بعد ما قال اني مسلم فجلس محلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له وقال انما قالها متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه لتعلم أصادق هو أم كاذب قال وهل قلبه الا مضغة من لحم قال صلى الله عليه وسلم انما كان ينبئ عنه لسانه وفي رواية لا ما في قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال استغفر لي يا رسول الله قال لا غفر الله لك اى زجرا وتهويلا لهذا الامر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة فقام محلم وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالي حتى مات فجهزوه ودفنوه فلفظته

الحرز

الحرز المنسوب اليه اسناده ضعيف لا يلتفت اليه وقد نقل عن وحشى رضى الله عنه أنه قال قتلت بحربتى هذه خير الناس وشر الناس وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة (وذكر) ان أبادجانة رضى الله عنه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل وقاتل دونه صلى الله عليه وسلم زيادة بن عمارة حتى اثبتته الجراحة أى اصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم ادنوه منى فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم وقاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا وقيل القاتل لمصعب رضى الله عنه أبى بن خلف لعنه الله فانه أقبل نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول اين محمد لانجوت ان نجا فاستقبل مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه اى فأقبل وهو يقول يا كذاب اين تفر وتناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من بعض اصحابه اى وهو الحرث بن الصمة او الزبير بن العوام على ما سيأتى فخدشه بها فى عنقه خدشا غير كبير احتقن الدم اى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد فقالوا ذهب والله فؤادك اى وفى لفظ ذهب والله عقلك انك لتأخذ السهام من اضلاعك فترمى بها فما هذا والله ما بك من بأس ما اخدعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين احدنا ما ضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة كما تقدم وفى لفظ لو كان بربيعة ومضر اى وفى لفظ بأهل الارض لماتوا اجمعون انه قد كان قال لى بمكة انا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى اى فضلا عن هذه الضربة لانه كان يقول للنبى صلى الله عليه وسلم فى مكة يا محمد ان عندى العوذ يعنى فرساله أعلفه فى كل يوم فرقا بفتح الراء هو مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا من ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه صلى الله عليه وسلم هذا وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أن أبى بن خلف قال حين افتدى أى من الاسر يبدر والله ان عندى لفرسا اعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله أقول يمكن الجمع بأنه تكرر ذلك من ابى لعنه الله ومن النبى صلى الله عليه وسلم والله اعلم وفى رواية ابصر صلى الله عليه وسلم ترقوته بالفتح لا بالضم من

الارض ثم عادوا ودفنوه فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد ان يعظكم فى حرمة ما بينكم بما أراكم منه وجاء فى بعض طرق هذه القصة ان عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الاضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان وقام الاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عنده صلى الله عليه وسلم وأرادوا الاقتصاص من محلم ثم قبلوا الدية ثم سأل محلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يستغفر له فقال اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم

(غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى)

وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس بسببه فى دين الله افواجا واشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا خرج صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط ان من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكانت خزاعة حلفاء جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل فى ساحات وأفنية من السقاية كانت فى يد عبد المطلب فأخذها منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم احد وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك ثم كتب الى اخواله بنى النجار فجاء منهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن اختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفا

ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب رضى الله عنه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ومالاينسى أبدا اليد ٣٠٤ واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء ومابل بحر صوفة ولايزداد فيما بيننا وبينكم الاتجددا أبد الدهر سرمدا وفى رواية حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لاينقض ولا ينكث ماأشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أوغرب أوحزن أوسهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى به حميلا ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال صلى الله عليه وسلم ماأعرفنى بحلفكم وأنتم على ماأسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان فى الجاهلية فلايزيده الاسلام الا شدة ولاحلف فى الاسلام وهذا الذى نفاه فى الاسلام هوما كان على الفتن والقتال والغارات والذى قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق فلاتنافى حينئذ ثم انه قد كان بين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر ومعه جماعة من قبيلة بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم

فرجة من سابغة الدرع وهى مايغطى به العنق من الدرع كما تقدم فطعنه طعنة اى كسر فيها ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكينها من اضلاعه اى وهو المناسب لما فى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم طعنه طعنة وقع فيها مرارا من على فرسه وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وانه صلى الله عليه وسلم لما اخذ الحربة من الحرث بن الصمة وقيل من الزبير بن العوام رضى الله عنه انتفض بها انتفاضة شديدة ثم استقبله فطعنه فى عنقه اقول ولامخالفة بين كون الطعنة فى عنقه وكونها فى ترقوته لان الترقوة فى اصل العنق ولامخالفة ايضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشا مع اعتنائه صلى الله عليه وسلم بالطعنة وناهيك بعزمه صلى الله عليه وسلم لان كون الخدش فى الظاهر اى بحسب مايظهر للرائى والشدة فى الباطن أقوى فى النكاية ودليل وجود الشدة فى الباطن وقوعه مرارا وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون الطعن فى العنق يفضى الى كسر الضلع من خوارق العادات لكن رأيت فى رواية أنه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور قال فى النور ولم يقتل بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم قط احدا الا أبى بن خلف لاقبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة اى بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو المناسب لوصفه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال انى لاسير ببطن رابغ بعد هدوء من الليل اذا نار تأجج لى اهبها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح العطش ونادانى ياعبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه ياعبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لاتسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف لعنه الله رواه البيهقى ويدل لهذا ماجاء فى الحديث كل من قتله نبى أو قتل بامر نبى فى زمنه يعذب من حين قتل الى نفخ الصعقة وجاء اشد الناس عذابا من قتله نبى اى وفى رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسحقا لاصحاب السعير وفى رواية اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله اى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الأمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله وفى شرح التقريب احترز بقوله فى سبيل الله عمن يقتله حدا أو قصاصا لان من يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله كان قاصدا قتله صلى الله عليه وسلم وقد

اتفق

اتفق ذلك لابي بن خلف لعنه الله وقد تقدم أن ابن مرزوق رحمه الله ذكر أن ابن عمر مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت أن افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اصحابه رواه الطبراني في الاوسط ولا بعد في تعدد الواقعة ثم رأيت في الخصائص الكبرى ما يقتضي التعدد فانه ذكر فيها أن ابن عمر رضي الله عنهما ذكر ذلك اى مروره ببدر للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم قال له ذلك ابو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد ذكرت ذلك في الكلام على غزوة بدر ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي حفرت للمسلمين اى التي حفرها ابو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه واسم أبي عامر عبد عمرو ومات كافرا بأرض الروم فراليها لما فتحت مكة ليقعوا فيها وهم لا يعلمون فأغمي عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت اى خدشت ركبتاه فأخذ علي كرم الله وجهه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم ان ابن قمئة لعنه الله علاه صلى الله عليه وسلم بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا أن ثقل السيف أثر في عاتقه الشريف فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو اكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى أي ودعا عليه صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا وقد استجاب الله تعالى ذلك وقتله في ذلك اليوم حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قال حاطب لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت واخذت فرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رضي الله عنك رضي الله عنك مرتين أي ولا يخالف هذا قول بعضهم فمات بعد بقليل لكن يخالف القول بأنه مات بعد أن أسلم بعد الفتح وأنه أثبت ولم يولد لعتبة ولد او ولد ولد الا وهو أهتم أي ساقط مقدم اسنانه أي التي هي الرباعيات أبخر يعرف ذلك في عقبه وكسرت البيضة أي الخوذة على رأسه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف شجه عبد الله بن شهاب الزهري رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو جد الامام الزهري رحمه الله ويجوز أن يكون من قبل امه أي ويقال له عبد الله الاصغر أي ولعل هذا حصل منه قبل أو بعد

على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة وهي قوله لا اله له يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرفون فلا تصيبون ثاركم فيه وقيل ان سبب القتال بين بني بكر وخزاعة ان شخصا من بني بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش ان يمدوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل مع بني بكر جمع من قريش خفية منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن ابي جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم ولم يشاوروا في ذلك أبا سفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا وأن هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زالوا يقاتلون خزاعة حتى ادخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة فلما ناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا رفي رواية ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم

يقال له رافع وانتهوا بهم في عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأصبحت خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمرو لنوفل بن معاوية البكري قد حصرتهم تريد قتل من بقي وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحرث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة الى صفوان

ومن كان معه فلاماهم على ماصنعوا وقالوا ان بينكم وبين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش ان محمدا غازينا فقال ابن أبي سرح لايغزوكم حتى يخيركم في خصال كلها أهون من غزوه يرسل اليكم أن دوا قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلا أو تبرؤا من حلف بنى بكر أو ننبذ اليكم على سواء فقال سهيل بن عمرو نبرأ من حلفهم اسهل وقال شيبة بن عثمان ندى القتلى أهون وقال قرطة بن عمرو لاندى ولانبرأ لكنا ننبذ اليه على سواء وقال أبو سفيان ليس هذا بشئ وما الرأى الاجحد هذا الامر أى كون قريش دخلت فى نقض عهد أو قطع مدة وأنه قطع قوم بغير رضا منا ولا مشورة فما علينا قالوا هذا الرأى ولا رأى غيره وكان هذا النقض من قريش فى شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضى الله عنها صبيحة وقعة خزاعة لقد حدث ياعائشة فى خزاعة أمر فقالت أترى قريشا تجترئ على نقض العهد الذى بينك وبينهم وقد أفناهم السيف فقال ينقضون العهد لامر يريده الله تعالى قالت يارسول الله خير قال خير (وروى الطبرانى) من حديث ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت بات عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول فى متوضئه بالليل لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول فى متوضئك لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد فقال هذا راجز بنى كعب وهم بطن من خزاعة يستصرخنى ويزعم ان قريشا أعانت عليهم بنى بكر وهذا علم من اعلام النبوة باهرفانه أعلم بذلك بالوحى وعلم ما تصوره الراجز فى نفسه أو ان الراجز كان يرتجز وأسمع الله نبيه صلى الله عليه وسلم كلامه (قال أهل السير) ولما

قوله دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف الى جنبه ما معه أحد ثم جاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان فقال والله ما رأيته أحلف بالله إنه منا ممنوع وجد الامام الزهرى من قبل أبيه يقال له عبد الله بن شهاب ويقال له عبد الله الاكبر رضى الله عنه كان من مهاجرى الحبشة توفى بمكة قبل الهجرة وأشار صاحب الهمزية رحمه الله الى أن هذه الشجة لم تشنه صلى الله عليه وسلم بل زادته جمالا بقوله

مظهر شجة الجبين على البر • كما اظهر الهلال البراء

ستر الحسن منه بالحسن فاعجب • لجمال له الجمال وقاء

فهو كالزهر لاح من سجف الاكـ • ـمام والعود شق عنه اللحاء

أى مظهر وجهه الشريف أثر جرح جبينه أى جبهته مع برئه اظهورا كظهور الهلال ليلة استهلاله ستر ذلك الوجه الحسن الاصلى بالحسن العارض بسبب ذلك الجرح فاعجب لجمال اصلى له الجمال العارض وقاية وساتر فهو أى ما ظهر بذلك الجرح كالزهر اذا ظهر من ستره وكالعود الذى يتطيب به اذا أزيل عنه قشره وقال حسان رضى الله عنه فى وصف جبينه الشريف صلى الله عليه وسلم

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه • يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

وجرحت وجنتاه صلى الله عليه وسلم بسبب دخول حلقتين من المغفر فى وجنتيه بضربة من ابن قمئة لعنه الله وقال له لما ضربه خذها وأنا ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقمأك الله عز وجل أى صغرك وأذلك وقد استجاب الله فيه دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فانه بعد الوقعة خرج الى غنمه فوافاها على ذروة الجبل أى اعلى الجبل فأخذ يعترضها فشد عليه كبشها فنطحه نطحة ارداه من شاهق الجبل فتقطع وفى رواية فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة ○ أقول ويمكن الجمع بأنه لما نطحه ذلك الكبش ووقع من شاهق الجبل الى أسفل سلط الله عليه عند ذلك تيس الجبل فنطحه حتى قطعه قطعا زيادة فى نكاله وخزيه ووباله لعنة الله عليه والله أعلم * ولما جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم وفى لفظ ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم أى وفى رواية اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أى وفى رواية صار صلى الله عليه وسلم يقول اللهم العن فلانا وفلانا أى اللهم العن اباسفيان

انقضى قتال بنى بكر وخزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعى أحد بنى كعب وهم بطن من خزاعة ومعه اربعون راكبا من خزاعة
فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذى أصابهم ويستنصرونه وقبل قدومهم بثلاث امر النبى صلى الله عليه
وسلم عائشة رضى الله عنها أن تجهزه أى تهيئ له أهبة السفر وما يحتاج اليه فى قطع المسافة اعتمادا على ما أطلعه الله

اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية فأنزل الله تعالى الآية فان قيل كيف هذا مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس أجيب بأن هذه الآية نزلت بعد أحد على تسليم انها نزلت قبله فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله لا يخفى أن أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن اطاعه ولا أحد أكثر أجرا من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبى من الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى كثير من طائفى امة اجابته ولا فى كثير عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وامتص مالك بن سنان الخدرى وهو والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمى دمه لم تصبه النار وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزاة وفى لفظ من سره ان ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان رضى الله عنه ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم امر هذا الذى امتص دمه بغسل فمه ولا انه غسل فمه من ذلك كما لم ينقل انه امر حاضنته أم ايمن بركة الحبشية رضى الله عنها بغسل فمها ولا هى غسلته من ذلك لما شربت بوله صلى الله عليه وسلم فعنها رضى الله عنها أنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة اى تحت سريره فبال فيها فقمت وانا عطشى فشربت ما فى الفخارة وانا لا أشعر فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم قال يا أم ايمن قومى الى تلك الفخارة فأهريقى ما فيها فقالت والله لقد شربت ما فيها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا يجفر بالجيم والفاء بطنك بعده أبدا وفى لفظ لا تلج النار بطنك وفى أخرى لا تشتكى بطنك أى ويجوز أنه صلى الله عليه وسلم قال هذه الالفاظ الثلاثة وكل روى بحسب ما سمع منها فتكون هذه الامور الثلاثة تحصل لام أيمن رضى الله عنها وفى رواية بدل فخارة اناء من عيدان بالفتح الطوال من النخل فان صح حملا على التعدد لام أيمن رضى الله عنها ولا مانع منه وقد شربت بوله صلى الله عليه وسلم ايضا امرأة يقال لها بركة بنت ثعلبة بن عمرو وكانت تخدم أم حبيبة رضى الله عنها جاءت معها من الحبشة أى ومن ثم قيل لها بركة الحبشية وفى كلام ابن الجوزى بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان الحبشية خادمة أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون يسار لقب ثعلبة وكانت معها فى الحبشة ثم قدمت معها مكة كانت تكنى بأم يوسف فقال لها صلى

عليه مما وقع من نقض العهد وأمرها أن لا تعلم أحدا فدخل عليها أبو بكر رضى الله عنه قبل ان يخبره النبى صلى الله عليه وسلم ويستشيره فى ذلك فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت ما أدرى فقال والله ما هذا زمان غزو بنى الاصفر فأين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا علم لى وفى رواية لابن أبى شيبة انها أعلمته وجمع بينهما بأنه دخل عليها مرتين الاولى قالت له لا علم لى ثم أخبرته صلى الله عليه وسلم فأذن لها فى اخباره بها لكونه عيبة سره فدخل عليها ثانيا فأخبرته فقال والله ما انتقضت الهدنة بيننا وخرج رضى الله عنه فذكر ما قالت له للنبى صلى الله عليه وسلم فذكر له صلى الله عليه وسلم انهم أول من غدر قالت ميمونة رضى الله عنها فأقمنا ثلاثا اى بعد قوله لها هذا راجز بنى كعب ثم صلى بالناس صلى اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده وذلك أن عمرو بن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالمسجد فقال منشدا

يا رب انى ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الا تلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيم خسفا وجهه تربدا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
(وفى رواية) هم قتلونا بصعيد هجدا

تتلوا القرآن ركعا وسجدا * وزعموا ان لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وفي رواية فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي وفي رواية قال والذي نفسي بيده ٣٠٨ لامنعنهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بني كعب غضبا لم اره غضبه منذ زمان وفي رواية انه دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم وقال خزاعة مني وانا منهم وسأل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم فيمن تهمتكم قال في بني بكر قال كلها قال لا ولكن في بني نفاثة وهم بطن من بني بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا في الاودية فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم اخفاء مجيئهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب عمرو ابن سالم ومعه نفر من قومه فأخبروه صلى الله عليه وسلم الخبر ورجعوا ولزم بديل الطريق في نفر من قومه وقيل ان بديلا لم يفارق مكة حتى لقيه في الفتح بمر الظهران وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لركب خزاعة أنا باعث الى اهل مكة فسائلهم عن هذا الامر ومخيرهم في خصال ثلاث فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرؤا من حلف بني نفاثة أو ينبذ اليهم على سواء فأتاهم ضمرة فأخبرهم فقال قرطة بن عمرو لا ندي ولا نبرأ لكن ننبذ الشيطان اليه على سواء ثم ندمت قريش على ما ردوا به فبعثوا اباسفيان يجدد الصلح ويزيدهم في المدة وقيل ان اباسفيان توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله وقيل ان الحرث بن هشام وعبد الله بن ابي ربيعة مشيا الى أبي سفيان فقالا

الله عليه وسلم حين علم أنها شربت ذلك صحة يا أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها لقد احتظرت من النار بحظار وشرب دمه صلى الله عليه وسلم أيضا أبو طيبة الحجام وعلي كرم الله وجهه وكذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فعن عبد الله بن الزبير قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حتى لا يراك أحد قال فشربته فلما رجعت قال يا عبد الله ما صنعت قلت جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفى على الناس قال لعلك شربته قلت نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة ولما وفد أخوه شقيقه عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة من المدينة على عبد الملك بن مروان قال له يوما أريد أن تعطيني سيف أخي عبد الله فقال له عبد الملك هو بين السيوف ولا اميزه فقال له عروة اذا حضرت السيوف ميزته أنا فأمر عبد الملك باحضارها فلما أحضرت أخذ منها سيفا مفلل الحد وقال هذا سيف أخي فقال له عبد الملك كنت تعرفه قبل الآن قال لا فقال كيف عرفته قال بقول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم حيث لم يأمره بغسل فمه ولم يغسل هو فمه وان شربه جائز حيث أقر على شربه وما أورده في الاستيعاب أن رجلا من الصحابة اسمه سالم حجمه صلى الله عليه وسلم ثم ازدرد دمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الدم كله حرام أي شربه غير صحيح فقد قال بعضهم هو حديث لا يعرف له اسناد فلا يعارض ما قبله على انه يمكن ان يكون ذلك سابقا على اقراره على ذلك والله أعلم ونزع أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح رضي الله عنه احدى الحلقتين من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنية أبي عبيدة ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى وقيل الذي نزعهما عقبة بن وهب بن كلدة وقيل طلحة بن عبيد الله ولعل الثلاثة عالجوا اخراجها وكان أشدهم لذلك أبو عبيدة رضي الله عنه قال بعضهم ولما سقط مقدم اسنان أبي عبيدة صار أهتم ولم ير قط اهتم احسن من ابي عبيدة لان ذلك الهتم حسن فاه وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول القائل قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران اي تضيآن وتتوقدان من تحت المغفر وهو ما يجعل على الرأس من الزرد فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى ان انصت وعن بعض الصحابة قال لما صرخ

ائن لم يصلح هذا الامر لا يروعكم الا محمد في أصحابه فقال ابو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها قالوا وما هي قال رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة مليا ثم كان ذلك الدم كان لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال ابو سفيان هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه ولا يحمل الا على والله ما شوورت فيه ولا هويته حتى بلغني ليغزونا محمد ان صدقني ظني وهو صادق وما بد من أن آتي محمدا فأكلمه فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى له على راحلتين وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى مبركهم بعد ان فارقوه فأخذ بعرا ففتته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة وفي رواية ان أبا سفيان لقي بديل بن ورقاء بعسفان فاشفق أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها قالوا لا علم لنا بها انما كنا بالساحل نصلح بين الناس في قتيل وفي لفظ قال من أين اقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة في هذا الساحل قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أي توجه اليها قال ابو سفيان ائن كان جاء الى المدينة لقد علف بها النوى فجاء الى منزلهم ففتت أبعار أباعرهم فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان احلف بالله لقد جاء القوم محمدا وقبل قدوم ابي سفيان المدينة قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم كانكم بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد في المدة وهو راجع بسخطة فلما انتهى ابو سفيان الى المدينة دخل على بنته ام حبيبة ام المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فأراد ان يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه فقال يا بنية ما ادري ارغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل

الشيطان فقتل محمد لم نشك في انه حق وما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين فعرفناه بتكفيه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحرث بن الصمة رضي الله عنهم (وفي خصائص العشرة) للزمخشري وثبت يعني الزبير رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبايعه على الموت هذا كلامه فليتأمل وقول بعض الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ممنوع وقوله وتعجبت الملائكة من شأن علي وقول جبريل عليه السلام وهو يعرج الى السماء لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وقوله وقتل علي كرم الله وجهه أكثر المشركين في هذه الغزوة فكان الفتح فيها على يديه وقال أصابتني يوم احد ست عشرة ضربة سقطت الى الارض في أربع منهن فجاءني رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب الريح وأخذ بضبعي فأقامني ثم قال أقبل عليهم فقاتل في طاعة الله وطاعة رسول الله فانهما عنك راضيان ولما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا علي أما تعرف الرجل فقلت لا ولكن شبهته بدحية الكلبي فقال صلى الله عليه وسلم يا علي أقر الله عينك فانه جبريل عليه السلام جميعه رده الامام أبو العباس بن تيمية بأنه كذب باتفاق الناس وبين ذلك بما يطول قال وأقبل عثمان بن عبد الله ابن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر ومشى اليه الحرث بن الصمة رضي الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضرب به الحرث على رجله فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أحانه اي اهلكه وأقبل عبيد الله بن جابر العامري يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله اصحابه ووثب أبو دجانة رضي الله عنه الى عبيد الله فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج علي بن ابي طالب كرم الله وجهه حتى ملأ درقته ماء وغسل به صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف الدم وهو يقول اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه أي والسياق يقتضي انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا بعد قوله كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ونزول تلك الآية فان ذلك كان قبل غسل وجهه الشريف قال ثم أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلو الصخرة التي في الشعب

فلما ذهب لينهض لم يستطع أى لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه صلى الله عليه وسلم عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أى فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع انتهى أى وقيل ان طلحة رضى الله عنه كان فى مشيه اختلاف لعرج كان به فلما حمل النبى صلى الله عليه وسلم تكلف استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم انطلق حتى أتى أصحاب الصخرة أى الجماعة الذين من الصحابة الذين علوا الصخرة أى التى فى الشعب فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه وأراد أن يرميه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رسول الله ففرحوا بذلك وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وجد فى أصحابه من يمتنع أى ولعل هذا الذى أراد رميه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه ولا من معه من الصحابة لارتفاع الصخرة قال وعطش صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا أى ولم يشرب من الماء الذى جاء به على كرم الله وجهه فى درقته لانه صلى الله عليه وسلم وجد له ريحا فعافه أى كرهه فخرج محمد بن مسلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد فذهب الى مياه فأتى منها بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير وفى بعض الروايات ان نساء المدينة خرجن وفيهن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلى كرم الله وجهه يسكب الماء فتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيأ من حصير أى معمول من البردى فأحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكمدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم انتهى أى لان البردى له فعل قوى فى حبس الدم لان فيه تجفيفا قويا وفى حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم داوى جرحه بعظم بال أى محرق وقد يقال يجوز ان يكون الراوى ظن ذلك البردى المحرق عظما محرقا بناء على صحة تلك الرواية وعن وضع هذا الرماد الحار عبر بعضهم بأنه صلى الله عليه وسلم اكتوى فى وجهه وجعله معارضا للحديث الصحيح فى وصف السبعين الفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب بأنهم لا يكتوون وعارضه ايضا بأنه صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ مرتين ليرقأ أى ينقطع الدم من جرحه وكوى أسعد بن زرارة رضى الله عنه لمرض الذبحة ففى كلام بعضهم كان موت أسعد بن زرارة رضى الله عنه بمرض يقال له الذبحة فكواه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وقال بئس الميتة لليهود يقولون أفلا دفع عن صاحبه وما أملك له ولا لنفسى شيأ أو أجيب

مشرك نجس ولم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لقد اصابك يا بنية بعدى شر فقالت بل هدانى الله للاسلام وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول فى الاسلام وانت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر فقام من عندها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله ان يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى عليه وقال ابن اسحق انه كلم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئا وفى رواية قال يا محمد انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا فى المدة فقال صلى الله عليه وسلم فلذلك جئت قال نعم فقال هل كان من حدث فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لانغير ولا نبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك فأعاد ابو سفيان القول فلم يرد عليه شيأ فذهب الى ابى بكر رضى الله عنه فكلمه ان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل وفى رواية قال لابى بكر تكلم محمدا او تجير بين الناس فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر رضى الله عنه فقال انا اشفع لكم والله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به وفى رواية قال له عمر رضى الله عنه ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله فقال ابو سفيان جوزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على على رضى الله عنه وعنده فاطمة رضى الله عنها وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا على انك امس القوم بى رحما وانى جئت فى حاجة فلا ارجع كما جئت خائبا فاشفع لى فقال على رضى الله عنه ويحك يا ابا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بنى هذا ان يجير بين

الناس وما كان أحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أنه جاء عثمان رضي الله عنه فقبل على رضي الله عنه فقال جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال يا أبا ثابت انك سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس وزد في المدة فقال سعد جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير احد عليه فأتى اشراف قريش والانصار فكلمهم وكلهم يقول جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير احد عليه فلما أيس منهم دخل على فاطمة رضي الله عنها فقال هل لك أن تجيري بين الناس فقالت انما أنا امرأة وأبت عليه فقال مري ابنك فقالت ما بلغ ان يجير فقال لعلي رضي الله عنه يا ابا حسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما اعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما أظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ولا والله ما اظن ان يخفرني احد ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اني قد اجرت بين الناس فقال صلى الله عليه وسلم انت تقول ذلك يا ابا حنظلة ثم ركب بعيره وانصرف الى مكة وكانت غيبته قد طالت واتهمته قريش اشد التهمة وقالوا قد صبا واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند امرأته ليلا قالت لقد غبت حتى اتهمك قومك فان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فانت الرجل ثم جامعها منها مجالس الرجل من امرأته فقالت ما صنعت فأخبرها الخبر وقال لم أجد الا ما قال لي علي فضربت برجلها في صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما اصبح حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤسهما وقال لا افارق عبادتكما حتى اموت واراد بذلك ان

بأن هذا الحديث محمول على من اكتوى خوفا من حدوث الداء أولانهم كانوا يعظمون أمره ويرون أنه يقطع الداء واذا لم يكو العضو عطب وبطل وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من اكتوى أو على من يفعله مع قيام غيره من الادوية مقامه ومحمل ما في الخصائص الكبرى ان الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين رضي الله عنه وتسلم عليه من جانب بيته ثلاثين سنة حتى اكتوى أي لبواسير كانت به فكان يصبر على ألمها فلما ترك الكي عادت الملائكة الى سلامها عليه لان ذلك قادح في التوكل وما في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشفاء في ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانا أنهى امتي عن الكي وفي رواية وما احب ان اكتوى أي فالنهي للتنزيه لا للتحريم والا لم يفعله عمران مع علمه بالنهي قال في الهدى وأراد صلى الله عليه وسلم بقوله وانا انهى الى آخره أي انه لا يؤتى بالكي الا اذا لم ينجع الدواء فلا يأتي به أولا ومن ثم اخره قيل والفصد داخل في شرطة المحجم والحجامة في البلاد الحارة انفع من الفصد هذا كلامه وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب مع أولئك النفر من أصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى اهبطوا من الجبل أي ونزل قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون أي لا تضعفوا عن الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالكفار ولعل هذا كان قبل ان يعلو صلى الله عليه وسلم الصخرة كما تقدم او اول الجبل كان أعلى من تلك الصخرة قال وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم قال لسعد ارددهم قال كيف اردهم وحدي فقال له اردهم قال سعد رضي الله عنه فأخذت سهما من كنانتي فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما آخر فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي وكان بعده عند بنيه انتهى أي وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا أي كون سعد ردهم وحده بهذا السهم وما قبله الدال على ان الراد لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من المهاجرين وروي عنه انه قال لقد رأيتني ارمي بالسهم يوم احد فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه لا اعرفه حتى كان بعد ذلك حتى بعد انقضاء الحرب لم اعرفه فظننت انه ملك أي وفي رواية عنه انه قال رميت بسهم فرده علي رسول الله

ثبرته قريش مما اتهمته به من قولهم انه صبا فلما صنع ذلك قالوا والله ماوراءك هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة في مدة فانا لا نأمن ان يغزونا فقال والله لقد ابى علي وفي رواية كلمته فوالله مارد على شيئا ثم جئت ابابكر فلم اجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته ادنى العدو وفي رواية اعدى العدو وكلمت عليه اصحابه فما قدرت على شئ منهم الا انهم يرمونى بكلمة واحدة ومارأيت قوما يوما اطوع الملك عليهم منهم له الا ان عليا لما ضاقت بى الامور قال انت سيد بنى كنانة فأجر بين الناس فناديت بالجوار قالوا هل اجاز ذلك محمد قال لا وانما قال انت تقول ذلك يا ابا حنظلة قالوا رضيت بغير رضا وجئتنا بما لا يغنى عنا ولا عنك شيئا ولعمر الله ماجوارك بجائز وان اخفارك عليهم لهين والله مازاد على على ان لعب بك تلعبا فقال والله ماوجدت غير ذلك فقالوا ما جئتنا بحرب فنحذر ولا صلح فنأمن وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها (وروى ابن ابي شيبة) عن ابي مالك الاشجعي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره فجلس عند بابها وكان اذا جلس وحده لم يأته احد حتى يدعوه فقال ادع لي ابابكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلا ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال ادع لي عمر فجاء فجلس فناجاه طويلا فرفع عمر صوته فقال يا رسول الله هم رأس الكفر الذين زعموا انك ساحر وانك كاهن وانك كذاب وانك مفتر ولم يدع شيئا مما كانوا يقولون الا ذكره ثم قال وايم الله لا تذل العرب حتى تذل اهل مكة فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال الا احدثكم بمثل صاحبيكم هذين قالوا نعم يا رسول الله فأقبل بوجهه الكريم على ابي بكر رضي الله عنه فقال ان ابراهيم عليه السلام كان الين في الله تعالى من الدهن باللين ثم أقبل على عمر رضي الله عنه فقال ان نوحا كان اشد

صلى الله عليه وسلم وسهمى اعرفه حتى واليت بين ثمانية او تسعة كل ذلك يرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا سهم دم اى مصيب فجعلته في كنانتي لا يفارقني اقول ولا منافاة بين هذا وبين قوله ثم اخذت سهما الآن قوله المذكور لا ينافي ان يكون اخذه عنا ولته صلى الله عليه وسلم لامن كنانته كما قد يتبادر ولا بين قوله فيرده على رجل ابيض حسن الوجه لا اعرفه لانه يجوز ان يكون ذلك الرجل كان يرد السهام التي كان يرمى بها حتى لا تفنى سهامه الا هذا السهم فانه لم يرده له بل ناوله له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده عليه ولا منافاة بين قوله حتى واليت بين ثمانية أو تسعة وبين اخباره بقوله ثم اخذت سهما الى أن عدد خمس مرات لانه يجوز ان تكون تلك الخمسة قتل فيها وفيما زاد لم يقتل بل جرح فليتأمل والله اعلم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراحة التي اصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا اى ولعل ذلك كان بعد انصراف عدوهم وانما صلى المسلمون خلفه صلى الله عليه وسلم قعودا موافقة له صلى الله عليه وسلم وقد نسخ ذلك أو ان من صلى قاعدا انما هو لما اصابهم من الجراح وكانوا هم الاغلب فقيل صلى المسلمون خلفه قعودا فقد جاء انه وجد بطلحة رضي الله عنه نيف وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت اصبعه وفي رواية انامله وعند ذلك قال حس فقال له صلى الله عليه وسلم لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة عليهم السلام والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء زاد في لفظ ولرأيت بناءك الذي بنى الله لك في الجنة وأنت في الدنيا وفي البخاري عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اى من سهم وقيل من حربة ونزف به الدم حتى غشى عليه ونضح أبو بكر رضي الله عنه الماء في وجهه حتى أفاق فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر هو بخير وهو ارسلني اليك فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة وكان يقال لطلحة رضي الله عنه الفياض سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة العشيرة كما تقدم وسماه طلحة الجود في احد لانه انفق في احد سبعمائة الف درهم وسماه في احد أيضا طلحة الخير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أصيب فوه فهتم وجرح عشرين جراحة قال وفي رواية عشرين جراحة فأكثر وجرح في رجله فكان يعرج منها وأصاب كعب بن مالك رضي الله عنه سبعة عشر جراحة وفي رواية عشرون جراحة قال عاصم بن عمر بن قتادة كان عندنا رجل غريب لا ندرى ممن هو أى يظهر الاسلام يقال له قزمان وكان ذا بأس وقوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا

فى الله تعالى من الجروان الامر أمر عمر فتجهزوا وتعاونوا فتبعوا أبابكر فقالوا انا كرهنا ان نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لى كيف تامرنى فى غزو مكة قلت يارسول الله هم قومك حتى رأيت انه سيطيعنى ثم دعا عمر فقال هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة ٣١٣ وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم تجهز وما أعلم أحدا والمراد انه ما اعلم عامة الناس فلا ينافى انه اعلم كبار اصحابه رضى الله عنهم فتجهز الناس وقال حسان رضى الله عنه يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة

عنانى ولم اشهد ببطحاء مكة
رجال بنى كعب تحز رقابها
بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم
وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى
سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن أم مجالد
اذا احتلبت صرفا وأعضل نابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا
لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن اسحق قوله بايدى رجال يعنى قريشا وابن أم مجالد عكرمة ابن أبى جهل وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم خذ على أسماعهم وابصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فلتة وأمر جماعة أن تقيم بالانقاب وكان عمر رضى الله عنه يطوف على الانقاب فيقول لا تدعوا احدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه وفى رواية ثم امر بالطرق

٤٠ حل نى

فحبست فعمى على اهل مكة لا ياتيهم خبر فكتب حاطب بن ابى بلتعة البدرى حليف بنى اسد رضى الله عنه كتابا وارسله الى مكة يخبرهم بمسير النبى صلى الله عليه وسلم وارسله مع امراة استأجرها بعشرة دنانير وقال لها اخفيه ما استطعت ولا تمرى على الطريق فان عليه حرسا فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام

اذاذكر يقول انه لمن اهل النار فلما كان يوم احد قاتل قزمان قتالا شديدا اى فكان اول من رمى من المسلمين بسهم وكان يرمى النبال كأنها الرماح ثم فعل بالسيف الافاعيل فكان يكت كتيبت الجمل وقتل ثمانية او تسعة من المشركين ولما اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال انه من اهل النار فأعظم الناس ذلك واثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بنى ظفر لانه كان حليفا لهم فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد ابتليت اليوم ياقزمان فابشر فيقول بماذا ابشر فوالله ماقاتلت الا على أحساب قومى اى على شرفهم ومفاخرهم اى مناصرة لهم ولولا ذلك ما قاتلت اى فلم يقاتل لاعلاء كلمة الله ورسوله وقهر اعدائهما اى وفى رواية ان قتادة رضى الله عنه قال له هنيأ لك الشهادة يا ابا الغيداق فقال انى والله ماقاتلت يا ابا عمرو على دين ماقاتلت الا على الحفاظ ان تسير الينا قريش حتى تطأ ارضنا فلما اشتدت عليه الجراحة اخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه اى قطع به عرقا فى باطن الذراع يقال لها الزواهق اى وفى رواية فجعل ذباب سيفه فى صدره اى بين ثدييه كما فى رواية ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه قال فى النور وهو الصحيح ولا مانع ان يكون فعل كلا من الامرين اى وعند ذلك جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من اصحاب النار فعل كذا وكذا وقد جاء سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله فنص عليه وحينئذ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة ففيه اشارة الى ان باطن الامر قد يكون بخلاف ظاهره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ○ أى وقد اشار الى هذا الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقلت لشخص يدعى الدين انه * بنار فألقى نفسه للمنية

هذا وفى كلام ابن الجوزى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من اهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يارسول الله الرجل الذى قلت انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبى صلى الله عليه وسلم كما قال الى النار

لعلى بن ابى طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضى الله عنهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ وهو موضع على بريد من المدينة فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابى بلتعة الى المشركين فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجى الكتاب قالت ما معى كتاب فالتمسناه فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنلقين عنك الثياب وفى رواية او لنكشفنك او لنضربن عنقك فلما رأت الجد حلت قرونها فاخرجته من عقاصها او فى رواية فلما رأت الجد اهوت الى حجزتها فاخرجته فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية أما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لانفسكم والسلام وفى رواية ان لفظ الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن فى الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت ان تكون لى عندكم يد فدعا النبى صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال أتعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال حاطب يا رسول الله لا تعجل على أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفى لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت أمرأ ملصقا فى قريش يعنى حليفا لهم ولم أكن من أنفسها وفى رواية ولكنى كنت أمرأ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه وكان من معك من المهاجرين ممن له أهل أو مال بمكة لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتنى النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى وفى رواية فقال

ثم قيل انه لم يمت ولكن به جراحة شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراحة فقتل نفسه فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر اشهد أنى عبد الله ورسوله فأمر بلالا فنادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وهذا لرجل اسمه قزمان من المنافقين هذا كلامه فليتأمل فان تعدد الشخص المسمى بهذا الاسم فيه بعد ولعل ذكر خيبر بدل أحد اشتباه من الراوى وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر عام فيدخل فيه كل من الملك والعالم الذى جعل تسليكه وتعليمه مصيدة للدنيا وأكل الحرام فان الله يحيى بهما قلوبا ويهدى بهما الى سواء السبيل مع انهما فاجران وقتل الاصيرم اصيرم بنى عبد الاشهل قال بعضهم كان الاصيرم يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل له بأحد فبدا له فى الاسلام أى رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولأمته وركب فرسه فغدا بالغين المعجمة حتى دخل فى عرض الناس أى بضم العين المهملة وبالضاد المعجمة جانبهم وناحيتهم فقاتل حتى اثبتته الجراحة أصابت مقاتله فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم جئت وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه ان أهل الجنة وكان أبو هريرة يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل يعنى الاصيرم ويصدق على هذا قوله عليه الصلاة والسلام وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار الحديث أى وممن يدخل الجنة ولم يصل الاسود الراعى لبعض يهود خيبر الذى جاء للنبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم ثم تقدم ليقاتل فأصابه حجر فقتله وما صلى صلاة قط كما سيأتى فى غزاة خيبر وقتل حنظلة بن ابى عامر الفاسق رضى الله عنه وأبو عامر هذا هو الذى كان يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق كما تقدم وكان هو وعبد الله بن أبى ابن سلول من رؤس اهل المدينة وعظمائها المتوجين للرياسة على اهلها كان ابو عامر من الاوس ويقال له ابن صيفى وكان عبد الله من الخزرج فعبد الله بن ابى أظهر الاسلام واما ابو عامر فأصر على الكفر الى ان مات طريدا وحيدا اجابة لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا عليه بذلك والى ذلك اشار الامام السبكى رحمه الله فى تائيته

بقوله

ومات ابن صيفي على الصفة التي * ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وقد كان ابو عامر هذا خرج من المدينة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
خمسون غلاما وقيل خمسة عشر من قومه من الاوس فلحق بمكة وكان يعد قريشا أنه لو لقى
قومه أى الاوس لم يختلف عليه منهم رجلان فلما جاء مع قريش نادى يا معشر الاوس أنا
ابو عامر قالوا له لا أنعم الله بك عينا يا فاسق أى وفى لفظ قالوا له لا مرحبا بك ولا أهلا
يا فاسق ولا مانع من صدور الامرين منهم فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب
قومى بعدى شر ثم قاتل قتالا شديدا وهو الذى حفر الحفائر ليقع فيها المسلمون وهم
لا يعلمون التى وقع فى احداها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم أى وكان هو أول
من أثار الحرب وضرب باسهم فى وجوه المسلمين واستأذن ولده حنظلة رضى الله عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله فنهاه عن قتله وسبب قتل حنظلة رضى الله تعالى
عنه ان حنظلة ضرب فرس أبى سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة رضى الله عنه
يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس كذا فى الاصل قيل وصوابه شداد بن الاسود فحمل عليه
فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة اى
وفى رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن فى صحاف الفضة
فسئلت صاحبته اى زوجته وهى جميلة بنت عبد الله بن ابى ابن سلول راس المنافقين
اخت ولده عبد الله رضى الله عنهما فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لذلك غسلته الملائكة فانه دخل عليها عروسا تلك الليلة التى صبيحتها احد
وقد كان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اى فى الدخول بها فلما صلى الصبح
غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها فأجنب منها ونادى منادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعى وفى رواية
انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة اى الصياح بالخروج للعدو وفى لفظ
الهائعة وفى لفظ الهيعة من الهياع وهو الصياح الذى فيه فزع وقد جاء فى الحديث خير
الناس رجل ممسك بعنان فرسه فلما سمع هيعة طار اليها وفى رواية وقد كان غسل احد
شقيه فخرج ولم يغسل الشق الآخر وقد رأت هى تلك الليلة ان السماء قد فرجت فدخل
فيها ثم اطبقت وجاء انها اشهدت اربعة من قومها عليه بالدخول بها خشية ان يكون
فى ذلك نزاع قالت لانى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم اطبقت فقلت هذه الشهادة

حاطب والله ما ارتبت فى الله منذ أسلمت ولكنى كنت أمرأ غريبا ولى فى مكة بنون واخوة فكتبت كتابا لا يضر الله ورسوله
ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فيما اخبركم
به فقال له عمر رضى الله عنه قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش
وفى رواية انه قال انه يعلم يا رسول
الله أنك اخذت على الطريق
وامرت أن لا نرى احدا يمر من
تكره الا رددناه يا رسول الله دعنى
اضرب عنق هذا المنافق فقال
النبى صلى الله عليه وسلم انه قد
شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع
على من شهد بدرا فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم وفى رواية
فقد وجبت لكم الجنة وفى اخرى
لا يدخل النار احد شهد بدرا
فدمعت عينا عمر رضى الله عنه
وقال الله ورسوله اعلم وأنزل الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوى وعدوكم اولياء
تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا
بما جاءكم من الحق يخرجون
الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله
ربكم ان كنتم خرجتم جهادا
فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون
اليهم بالمودة وأنا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم ومن يفعله منكم
فقد ضل سواء السبيل فالذى نزل
فى ذلك الى هنا وقيل الى قوله
قد كانت لكم اسوة حسنة
فى ابراهيم وانما قال عمر رضى الله
عنه دعنى يا رسول الله أضرب عنق
هذا المنافق مع تصديق رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر رضى الله عنه من القوة فى الدين و بغض المنافقين فظن انه يستحق
القتل لكونه خالف ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم من اخفاء مسيره عن قريش وحرصه على عدم وصول خبره اليهم
وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن فى قتله واطلق عليه

منافقا لكونه اظهر خلاف ما ابطن وحاطب كان معذورا متأولا لا عناد كره من عذره وكفاه منقبة شهادة الله له بالايمان حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ وقوله صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ليس فيه اباحة المعاصي لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضي الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا الان يغفر لهم ما يحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم وما أحسن قول بعضهم

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال اهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من احدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضي الله عنهم ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم اسلم وغفار وأشجع وسليم وغيرهم فأرسل اليهم يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا في كل ناحية فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا من المهاجرين والانصار واسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم وقيل ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به الفان قال الحلبي في السيرة وكان رسول المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار اربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة الفا ومعها مائة فرس وكانت اسلم اربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وكان معه صلى الله عليه وسلم من

وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضي الله عنه في تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذي ولاه اهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولم تقتل قريش حنظلة رضي الله عنه لكون والده معهم الذي هو أبو عامر الراهب لعنه الله وفي الامتاع وجعل أبو قتادة الانصاري يريد التمثيل من قريش لما رأى من المثلة بالمسلمين فقال له صلى الله عليه وسلم يا أبا قتادة ان قريشا أهل امانة من بغاهم العواثر أكبه الله تعالى الى فيه وعسى ان طالت بك مدة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله فقال أبو قتادة والله يا رسول الله ما غضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم هم ان يدعو عليهم فنزلت الآية المذكورة أي ليس لك من الامر شيء فكف عن الدعاء عليهم أي وفيه أنها نزلت بعد قوله اللهم العن فلانا وفلانا الى آخر ما تقدم عن بعض الروايات الا أن يقال أراد صلى الله عليه وسلم المداومة على الدعاء عليهم وعن أبي سعيد الساعدي قال ذهبنا الى حنظلة رضي الله عنه فاذا رأسه يقطر ماء انتهى أي فعلم انه لا منافاة بين كونه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وبين كونه هم بالدعاء عليهم لانه يجوز أن يكون المراد هم بتكرير الدعاء عليهم وفي البخاري ومسلم والنسائي عن جابر رضي الله عنه قال قال رجل يوم أحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتلت فأين أنا قال في الجنة فألقى تمرات كن في يده فقاتل حتى قتل قال في طرح التثريب قال الخطيب كانت هذه القصة يوم بدر لا يوم أحد فاشار الى تضعيف رواية الصحيحين التي فيها يوم أحد ولا توجيه لذلك بل التضعيف تفسير هذا المبهم بهذا أي جعلهما قصة واحدة وكل منهما صحيحة وهما قصتان لشخصين هذا كلامه وقد تقدم في غزاة بدر الحوالة على هذا فليتأمل أي واقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول انا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصاري الفارسي فضربه على عاتقه فقطع الدرع وقال خذها وانا الغلام الفارسي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وانا الغلام الانصاري فعرض لرشيد اخو ذلك المقتول يعدو وكأنه كلب وهو يقول انا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه وقال خذها وأنا الغلام الانصاري فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال احسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح رضي الله عنه وكان اعرج شديد العرج وكان له بنون اربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم احد ارادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بنى يريدون ان يحبسونى عن الخروج معك فوالله
انى اريد ان اطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أنت فقد
اعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة
فأخذ سلاحه وخرج واقبل على القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى
أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو أقسم
على الله لابره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته أى كشف له عن حاله
يوم القيامة أى وفى رواية انه قال يارسول الله ارأيت ان قاتلت فى سبيل الله حتى اقتل
امشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانى انظر
اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة (أقول) لكن يمكن الجمع بانه فى اول دخوله الجنة
يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة وعمرو بن الجموح رضى الله عنه كان فى الجاهلية
على أصنامهم أى سادنا لها وكان فى الاسلام يولم عنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج وقد وقع
منه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لانس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبى صلى الله
عليه وسلم فانه لما كسرت أخته الربيع ثنية جارية من الانصار فطلب أهلها القصاص
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر ثنية الربيع قال اخوها انس المذكور والله
لا تكسر ثنية الربيع وصار كلما يقول صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص يقول والله
لا تكسر ثنية الربيع فرضى القوم بالارش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من
عباد الله من لو اقسم على الله لابره وقال صلى الله عليه وسلم ذلك فى حق البراء بن مالك اخى
انس بن مالك رضى الله عنهما فعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رب
اشعث اغبر لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك ومصداق ذلك ما وقع له
رضى الله عنه فى مقاتلة الفرس فان الفرس غلبوا المسلمين فقالوا له يابراء اقسم على ربك
فقال اقسم عليك يارب لما منحتنا اكتافهم وألحقتنى بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فحمل
رضى الله عنه وحمل المسلمون معه فقتل عظيم الفرس وانهزم الفرس ثم قتل البراء رضى الله
عنه (ومما وقع) أنه كان مع أخيه انس رضى الله عنه عند بعض حصون العدو بالعراق
وكانوا يلقون كلاليب معلقة فى سلاسل محماة يخطفون بها الانسان فكان من جملة من
خطف أنس رضى الله عنه فأقبل البراء رضى الله عنه وصعد محلا عاليا وامسك السلسلة
بيده ولازال حتى قطع السلسلة ثم نظر الى يده فاذا عظمها يلوح ليس عليه لحم ونجى الله
انسا رضى الله عنه بذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما تقدم فى حق اويس القرنى رضى الله

زوجاته أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين الغفارى وجمع
بينهما بان أبارهم جعله للقضايا والاحكام وابن ام مكتوم للصلاة وخرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من
رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة وقيل لليلتين خلتا من رمضان وقيل لست عشرة وقيل ثمان عشرة قال
النووى لا اعلم خلافا فى ان ذلك
فى شهر رمضان اى وانما الخلاف
فيما مضى منه حين الخروج ولما
بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد
بفتح الكاف وهو موضع بين
قديد وعسفان افطر لانه بلغه ان
الناس شق عليهم الصيام وقيل له
انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى
على راحلته بعد العصر دعا باناء
من ماء وقيل من لبن فوضعه على
راحلته ليراه الناس فشرب فأفطر
فناوله رجلا الى جنبه فشرب
فلم يزل مفطرا رفقا بالمسلمين حتى
انسلخ الشهر لانه وان قدم مكة
قبل تمام الشهر لكنه كان فى
اهبة القتال وبعث السرايا ولم
ينو الاقامة ولذا كان يقصر
الصلاة وكان العباس بن
عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى
صلى الله عليه وسلم قد خرج باهله
وعياله مهاجرا فلقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان
اسلامه قديما وكان يكتمه بأمر
النبى صلى الله عليه وسلم وكان
صلى الله عليه وسلم امره بالاقامة
بمكة ليكتب له اخبار قريش وكان
العباس رضى الله عنه يسره
ما يفتح الله على المسلمين وما اظهر
اسلامه لاهل مكة الا يوم الفتح وكان مقيما بمكة على سقايته وكان ينفع المستضعفين بمكة وبه يثقون ورسول الله صلى الله عليه
وسلم عنه راض وقيل انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبى صلى الله عليه وسلم الى
مكة للفتح (وروى الطبرانى) عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال استأذن العباس النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة

فكتب اليه ياعم اقم مكانك الذى انت فيه فان الله يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة ولما التقيه قال هجرتك ياعم آخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة (وكان) ممن لقيه صلى الله عليه وسلم فى الطريق ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم واخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع ابى سفيان ولده جعفر وعبد الله بن ابى امية المخزومى ابن عمته

عنه فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له اويس بن عامر القرنى فمن لقيه منكم فمروه ان يستغفر لكم وفى رواية خطابا لعمر رضى الله عنه يأتى عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له أم هو بها بار لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل والله أعلم وقتل أيضا أحد بنى عمرو بن الجموح وهو خلاد رضى الله عنه وقتل أخو زوجته هند بنت حزام وهو عبد الله والد جابر رضى الله عنه فحملتهم هند على بعير لها تريد أن تدفنهم فى المدينة فلقيتها عائشة رضى الله عنها وقد خرجت فى نسوة يستروحن الخبر فقالت لها عائشة رضى الله عنها اجاء خبر الجيش فقالت اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء ثم قالت لها من هؤلاء قالت أخى عبد الله وابنى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح رضى الله عنهم فبرك بهم البعير وصار كلما توجه الى المدينة يبرك وان وجه الى أرض أحد نزع فرجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته فقال ان الجمل مأمور فقبرهم بأحد وقال صلى الله عليه وسلم لهند يا هند مازالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل الى الساعة ينظرون أين يدفن ولعل هذا كان قبل أن ينادى برد القتلى الى مضاجعهم قال جابر رضى الله عنه كان أبى أول قتيل للمسلمين قتله أبو الاعور السلمى وفى الصحيح ان عائشة رضى الله عنها وأم سليم كانا يسقيان الناس يفرغان من القرب فى أفواه القوم أى ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون ذلك شأن عائشة بعد وصولها لاحد أى وقد كان صلى الله عليه وسلم خلف اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان لانهما كانا شيخين كبيرين فقال أحدهما لصاحبه لا أبالك ماننتظر فوالله ان بقى لواحد منا فى عمره الا ظمء حمار أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا الشهادة فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس من جهة المشركين ولم يعلم المسلمون بهما فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فاختلفت عليه اسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه (وذكر السهيلى) ان فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما أن الذى قتله خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعتبة هو اول من سمى المصحف مصحفا وعند ذلك قال حذيفة ابى فقالوا اما عرفناه فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فتصدق حذيفة رضى الله عنه بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا واسم اليمان حسيل وقيل له اليمان لانه نسب الى جده اليمان بن الحرث

صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وهو اخو أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لابيها الان امها عاتكة بنت عامر بن قيس وكان لقاء أبى سفيان ومن معه للنبى صلى الله عليه وسلم بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالابواء وهم مسلمون مهاجرون واسم ابى سفيان كنيته وقيل اسمه المغيرة وكان يألف النبى صلى الله عليه وسلم ولا يفارقه قبل النبوة فلما بعثه الله عاداه وهجاه واجابه عنه حسان رضى الله عنه كثيرا وكان عبد الله بن أبى أمية قبل اسلامه شديدا على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وفى لفظ وكان كل منهما اى من ابى سفيان وعبد الله من اشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهما صلى الله عليه وسلم لما لقياه لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم فكلمته ام سلمة رضى الله عنها فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال يعنى قوله لا والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا انظر ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون وقيل ان الله أرسلك فقالت له أم سلمة رضى الله عنها لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن لى اولا آخذن بيد ابنى هذا يعنى ولده جعفرا ثم لنذهبن فى الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك النبى

وقيل انما قيل له اليمان لانه اصاب دما فى قومه فهرب الى المدينة فحالف بنى الاشهل فسماه قومه اليمان لمحالفته اليمانية اى وهم اهل المدينة (ومما يؤثر عن حذيفة رضى الله عنه) أنه قيل له من ميت الاحياء قال الذى لا ينكر المنكر بيديه ولا بلسانه ولا بقلبه وفى الكشاف وعن حذيفة رضى الله عنه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه وهو فى صف المشركين اى قبل أن يسلم فقال صلى الله عليه وسلم له دعه يليه غيرك هذا كلامه ولم أقف على اى غزاة كان ذلك فيها وسياق ماقبله يدل على انه كان من الانصار كان حليفا لبنى عبد الاشهل ولم يحفظ ان احدا من الانصار قاتله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فليتأمل ثم ان هندا زوج ابى سفيان والنسوة اللاتى خرجن معها صرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أى يقطعن من آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وبقرت أى شقت هند بطن سيدنا حمزة رضى الله عنه وأخرجت كبده فلاكتها اى مضغتها فلم تستطع أن تسيغها اى تبتلعها فلفظتها اى القتها من فيها اى لانها كانت نذرت ان قدرت على حمزة رضى الله عنه لتأكلن من كبده ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم انها اخرجت كبد حمزة قال هل أكلت منه شيأ قالوا لا قال ان الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيأ أبدا اى ولو اكلت منه اى استقر فى جوفها لم تمسها النار وفى رواية لو دخل بطنها لم تمسها النار لان حمزة أكرم على الله من أن يدخل شئ من جسده النار اى ورأيت فى بعض السير انها اشوت منه ثم أكلت وقد يقال لا منافاة لجواز حمل الاكل على مجرد المضغ من غير اساغة قال وفى رواية ان وحشيا هو الذى بقر بطن حمزة رضى الله عنه واخرج كبده وجاء بها الى هند اى وقال لها ماذا لى ان قتلت قاتل ابيك قالت سلبى فقال هذه كبد حمزة فاعطته ثيابها وحليها ووعدته اذا وصلت الى مكة تدفع له عشرة دنانير وجاء بها الى مصرع حمزة رضى الله عنه فجدعت أنفه واذنيه اى وفى لفظ فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت اذنيه ثم جعلت ذلك كالسوار فى يديها وقلائد فى عنقها واستمرت كذلك حتى قدمت مكة (وفى النهر لابى حيان) ان وحشيا جعل له على قتل حمزة أن يعتق فلم يوف له بذلك فندم على ماصنع ثم ان هندا علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها وأنشدت أبياتا ثم ان زوجها ابا سفيان اشرف على الجبل كذا فى البخارى أنه اشرف وفى رواية كان باسفل الجبل وقد يقال لا مخالفة لجواز وقوع الأمرين معا ثم صرخ باعلى صوته انعمت فعال ان الحرب سجال اى ومعنى سجال مرة لنا ومرة علينا يوم احد بيوم بدر وانعمت بكسر التاء خطابا لنفسه او للازلام لانه

صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم اذن لهما فدخلا عليه واسلما وانشد ابو سفيان معتذرا مما مضى فقال

لعمرك انى يوم احمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد لكالمدلج الحيران اظلم ليله * فهذا اوانى حين اهدى واهتدى هدانى هاد غير نفسى ونالنى * مع الله من طردته كل مطرد اصد وانأى جاهدا عن محمد * وادعى وان لم انتسب من محمد

قال ابن اسحق انه لما قال ونالنى مع الله من طردته كل مطرد ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال انت طردتنى كل مطرد وقال على رضى الله عنه لابى سفيان بن الحرث عند اذنه صلى الله عليه وسلم له فى الدخول عليه ائت من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك ابو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ويقال انه مارفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين ولم يفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال له صلى الله عليه وسلم كل الصيد فى جوف الفرا وقيل قال ذلك لابى سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد وتوفى أبو سفيان بن الحرث رضى الله عنه سنة خمس عشرة او عشرين بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منيرة يروى انه قال عند موته ولا تبكن على فانى لم انطق بخطيئة منذ اسلمت (واما عبد الله بن ابى امية المخزومى فكذلك) كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبى صلى الله عليه وسلم لا يستطيع ان يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد فى غزوة الطائف رضى الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم الالوية

والرايات بقديد ودفعها للقبائل فأعطى لبنى سليم لواء وراية ولبنى غفار راية ولاسلم لواءين ولبنى كعب راية ولمزينة ثلاثة ألوية ولجهينة أربعة ألوية وكان جماعة من بنى بكر اسلموا فكانوا معه صلى الله عليه وسلم فأعطاهم لواء ولاشجع لواءين ورأى ابو بكر الصديق مناما قبل عقد الالوية وقيل عند نزولهم بمر الظهران فقال يارسول الله رأيت فى المنام انا دنونا من مكة فخرجت الينا كلبة تهر اى تصوت فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هى تشخب لبنا فقال صلى الله عليه وسلم ذهب كلبهم واقبل درهم وهم يساوون بارحامهم وانكم لاقون بعضهم فان لقيتم اباسفيان فلا تقتلوه وقوله ذهب كلبهم اى شدتهم وقوله واقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام ثم لما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران أمر اصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش او تسمع بها فترعب من كثرتها واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فأخذ العيون والاخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم مسيره وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون وتقدم ان العباس رضى الله عنه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر فبعث أهله الى المدينة ورجع مع النبى صلى الله عليه وسلم قال العباس حين نزل النبى صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسى لاهل مكة وقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة ياتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة وكان من قضاء الله وقدره أن خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل

استقسم بها عند خروجه الى احد فخرج الذى يحب وهو افعل والفاء من فعال مفتوحة وليست من ابنية الكلمة وهى امر اى ارتفع عن لومها اى النفس او الازلام يقال عال عنى اى ارتفع عنى ودعنى اى وزاد فى لفظ يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان اى وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الحرب سجال وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وقد نزل ذلك فى قصة أحد باتفاق ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون فى القوم وفى رواية فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسرنى وفى رواية والله مارضيت وما سخطت وما امرت وما نهيت وفى لفظ ما أمرت ولا نهيت ولا احببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى اى وفى لفظ أما انكم ستجدون فى قتلاكم مثلا ولم تكن عن رأى سراتنا ثم ادركته حمية الجاهلية فقال أما انه ان كان كذلك لم نكرهه ومر الحليس سيد الاحابيش بابى سفيان وهو يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة رضى الله عنه ويقول ذقه عقق اى ذق طعم مخالفتك لنا وترك الذى كنت عليه ياعاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يابنى كنانة هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ماترون فقال أبو سفيان اكتمها عنى فانها زلة وقال ابو سفيان اعل هبل اى اظهر دينك او ازدد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم ياعمر فاجبه فقل الله أعلى واجل لاسواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال ابو سفيان انكم تزعمون ذلك لقد خبنا اذا وخسرنا وهبل هذا تقدم أنه صنم وتقدم الكلام عليه (ورأيت) فى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله أنه الحجر الذى يطؤه الناس فى العتبة السفلى من باب بنى شيبة وبلاط الملوك فوقه البلاط ثم قال أبو سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم ثم قال ابو سفيان لعمر اى بعد ان قال له هلم ياعمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ماشأنه فجاءه فقال له ابو سفيان أنشدك الله ياعمر اقتلنا محمدا قال عمر رضى الله عنه لا وانه ليسمع كلامك الآن قال انت أصدق عندى من ابن قمئة وابر أى لانه لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا كما تقدم وفى رواية ان أبا سفيان نادى أفى القوم محمد أفى القوم محمد قال ذلك ثلاثا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفى القوم ابن ابى قحافة قالها ثلاثا ثم قال أفى القوم عمر قالها ثلاثا وفى رواية أين ابن أبى كبشة اين ابن ابى قحافة اين ابن الخطاب ثم أقبل على اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لاجابوا فما ملك عمر رضى الله عنه نفسه أن قال كذبت والله ياعدو الله ان الذى

عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانو قد جنبوا الخيل أى جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أى ركبوا امطاها أى ظهورها لان المطا الظهر فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده ان ارادوها الاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزهم قال على كرم الله وجهه أو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة أى بعد أن تشاوروا فى نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية ان لا تفعلوا أى وقال لهم فانكم لا تدرون ما يغشاكم ونزع الناس لقتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من رجل ينظر الى ما فعل سعد ابن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الاموات اى زاد فى رواية فانى رأيت الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار اى وهو أبى بن كعب وقيل محمد بن مسلمة وقيل زيد بن حارثة وقيل غير ذلك ويجوز أن يكون ارسلهم كلهم قال أنا انظر لك يا رسول الله اى وفى رواية قال للمرسل ان رأيت سعد بن الربيع فأقرئه منى السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر فوجده جريحا وبه رمق اى بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنى انظر أفى الاحياء انت ام فى الاموات فقال انا فى الاموات قد طعنت اثنتى عشرة طعنة وانى قد انفذت مقاتلى فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف وفى رواية شفر يطرف اى يتحرك قال ثم لم ابرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره اى وفى رواية انه رأى الذى ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور بين القتلى فقال له ما شأنك قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك قال فاذهب اليه الحديث وفى رواية ان محمد بن مسلمة رضى الله عنه نادى فى القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلنى انظر ما صنعت فأجابه بصوت ضعيف الحديث اى وفى رواية اقرأ على قومى منى السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه

ابن ورقاء الخزاعى يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقيل انه بلغهم مسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى اى جهة وقيل ان قريشا بعثوا أبا سفيان يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه امانا فأقبل ابو سفيان وحكيم وبديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران فقال ابو سفيان ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة فقال بديل هذه نيران بنى عمرو يعنى خزاعة فقال ابو سفيان هم أذل واقل من أن تكون هذه نيرانهم او عسكرها فلما دخل ابو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية اخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الانصار وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤا بهم فلما اخذوا بخطم ابعرتهم قال أبو سفيان من انتم قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على اكباد قوم لم يعلموا بهم وروى الطبرانى عن ابى ليلى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فقال ان أبا سفيان بالاراك فخذوه فأخذناه وفى رواية وكان صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا تقتص العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون احدا يمضى ولما اخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤا بهم الى عمر رضى الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة فقالوا جئناك بنفر اخذناهم من اهل مكة فقال عمر رضى الله عنه وهو يضحك اليهم والله لو جئتمونى بابى سفيان ما زدتم قالوا والله أتيناك بابى سفيان فقال احبسوه وفى رواية ان العباس رضى الله عنه كان صديقا لابى سفيان فلما ركب البغلة ليتوجه الى الاراك رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أمانا اذ سمع صوت أبى سفيان فاخذه وجاء به فامسكه الحرس فاجاره

من الحرس أن يقتلوه وقال عمر رضي الله عنه لأبي سفيان حين مر به العباس عليه أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد قال العباس وقلت له يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل قلت نعم قال ما لك فداك أبي وأمي قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ٣٢٢ قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفي رواية قد جاءكم في عشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضرب عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فترك صاحبيه وركب خلف العباس رضي الله عنه فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قال العباس ثم خرج عمر رضي الله عنه يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في أثري فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله إني قد أجرته ولعل العباس وعمر لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم إنكم لاقون بعضهم فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال العباس رضي الله عنه ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دوني رجل فلما أكثر عمر في شأن أبي سفيان قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أني عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله ما لكم عند الله عذر الحديث وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا وخلف بنتين فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من ميراثه الثلثين فكان ذلك بيان المراد من الآية وهي قوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وفي ذلك نزلت أي اثنتان فما فوقهما أي وحينئذ لا يحتاج إلى قياس البنتين على الأختين بجامع أن للواحدة منهما النصف ودخلت بنت له على أبي بكر رضي الله عنه فألقى لها رداءه لتجلس عليه فدخل عمر رضي الله عنه فسأله عنها فقال هذه ابنة من هو خير مني ومنك قال ومن هو يا خليفة رسول الله قال رجل تبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت هذه ابنة سعد بن الربيع رضي الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل رأيته عند تلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء النفر أبو سفيان وأصحابه وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء بانهزامهم وهذا الدعاء نقل عن أنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه غاب عن بدر فشق عليه ذلك فلما كان يوم أحد ورأى انهزام المسلمين أي وكان قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني غبت عن أول قتال وقع قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فقال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء يعني المشركين ولما سمع قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تصنعون بالحياة بعده موتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم أي وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد وقاتل رضي الله عنه حتى قتل أي ووجدوا فيه بضعا وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ولما قتل مثل به المشركون فما عرفته أخته الربيع إلا ببنانه قال ابن أخيه أنس بن مالك رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قلنا إن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رضي الله عنهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وأذناه أي وقطعت مذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه أي وقال لن أصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا وقال رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لأمثلن بسبعين

وفي

لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياعباس به الى رحلك فاذا اصبحت فأتنى به كذا فى رواية ابن اسحق وذكر موسى ابن عقبة وغيره أن العباس قال قلت يارسول الله ابو سفيان وحكيم و بديل قد اجرتهم وهم يدخلون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله فشهد بديل وحكيم وقال ابو سفيان ما علم ذلك والله ان فى النفس من هذا شيأ بعد فأرجئها اى اخرها وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم ياأبا سفيان اسلم تسلم قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر اخرأ عليهما وكان عمر رضى الله عنه خارج القبة ثم قال عمر أما والله لو كنت خارج القبة ماقلتها فقال ابو سفيان ويحك ياعمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم فقال صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس فذهب به فلما اصبح أتى به أول النهار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان أبا سفيان لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال ماللناس أمروا فى بشئ قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فامره العباس فتوضأ وانطلق به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبر الناس ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا فقال مارأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الاكارم ولا الروم ذات القرون باطوع منهم له ياأبا الفضل اصبح ابن اخيك والله عظيم الملك فقال العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال اوذاك فلما رآه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فلما رأى ابو سفيان مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم له بهذا الخطاب اللين العذب وأنه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحا عما جرى منه فى عداوته ومحاربته قال بأبى انت وأمى ما أحلمك واكرمك واوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لاغنى عنى

وفى رواية بثلاثين رجلا منهم مكانك وفى رواية لئن ظفرنى الله تعالى بقريش فى موطن من المواطن لامثلن بسبعين منهم مكانك ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن اظفرنا الله تعالى بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى انزل فى ذلك وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله الآية فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وكان نزول هذه الآيات بعد أن مثل صلى الله عليه وسلم بالعرنيين وستأتى قصتهم فى السرايا واعترضه ابن كثير رحمه الله بأن هذه الآيات مكية وقصة أحد فى المدينة بعد الهجرة بثلاث سنوات فكيف يلتئم هذا مع هذا اهـ كلامه وقد يقال يجوز أن يكون ذلك مما تكرر نزوله فليتأمل وعن ابن مسعود رضى الله عنه مارأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق اى شهق حتى بلغ به الغشى يقول ياعم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة يا كاشف الكربات ياحمزة ياذاب اى بالذال المعجمة يامانع عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قال ذلك لامع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعى الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت على ان النداء بذلك محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لنحو صالح للحث على سلوك طريقته وقال صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل عليه السلام وأخبرنى بان حمزة مكتوب فى اهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله وامر صلى الله عليه وسلم الزبير رضى الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة رضى الله عنها عن رؤيته فقال لها ياأمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى فدفعت فى صدره وقالت لم وقد بلغنى أنه مثل باخى وذلك فى الله فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك اى أنا أشد رضا بذلك من غيرى لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير رضى الله عنه فاخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفى رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله تعالى عنهما فقالت لهما مافعل حمزة فاريا ها انهما لايدريان أى رحمة بها فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أخاف على عقلها فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت اى لما رأته اى وفى رواية لما منعها على والزبير

شيما لقد استنصرت الهي واستنصرت الهك فوالله ما لقيتك من مرة الا نصرت علي فلو كان الهي محقا والهك مبطلا لكنت
غلبتك ثم قال صلى الله عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك
وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء فخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لاسيما مع شدة

رضي الله عنهما قالت لا ارجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله أين ابن امي حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو في الناس قالت لا ارجع حتى انظر اليه فجعل الزبير رضي الله عنه يحبسها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت وصاحت فلما بكت بكى صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجي ببرده وفي رواية قال الا كفن فقام رجل من الانصار فرمى بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا جابر هذا الثوب لابيك وهذا لعمي وهذا يدل على أن والد جابر رضي الله عنهما استمر لم يقبر الى ذلك الوقت وهو خلاف ظاهر سياق ما تقدم وفي رواية وجاءت صفية معها بثوبين لحمزة فكان احدهما لحمزة والآخر لرجل من الانصار ولعله والد جابر رضي الله عنهما ولعله لما جاءت صفية بالثوبين جعل صلى الله عليه وسلم أحدهما لحمزة والآخر لوالد جابر وترك ثوبي الرجلين وفي رواية كفن حمزة رضي الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفي لفظ الحرمل اي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما والمشهور حديث النمرة وقد يقال انما اختار صلى الله عليه وسلم النمرة على الثوب لانه كان بها دم الشهادة او اراد صلى الله عليه وسلم ان لا يكون لاحد على حمزة رضي الله عنه منة ويؤيد الاول ما يأتي ولم يكفنوا الا في ثيابهم التي قتلوا فيها فليتأمل فان السياق يقتضي أن ذلك انما هو عن احتياج وسيأتي ما يصرح به وسيأتي ما يعارضه فليتأمل وعن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه يوم أحد وكفن في بردة ان غطي بها رأسه بدت رجلاه وان غطي بها رجلاه بدت رأسه وفي رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير هذا قبل الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا ولما اسلم رضي الله عنه تشعث وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه كان صائما وقد جيء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطي رأسه بدت رجلاه وان غطيت رجلاه بدت رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط واعطينا من الدنيا ما اعطينا وخشيت أن أكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وعن انس رضي الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى فكان الرجل والرجلان والثلاثة في الثوب الواحد ثم يدفنون في قبر واحد وقال صلى الله عليه وسلم في حق حمزة رضي الله عنه لولا أن تجزع

حنق المسلمين عليه فقال له ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فأسلم وشهد شهادة الحق رضي الله عنه وروى الحافظ الذهلي عن سعيد بن المسيب قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى اصبحوا فقال ابو سفيان لهند أترين هذا من الله ثم اصبح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قلت لهند أترين هذا من الله فقال ابو سفيان اشهد انك عبد الله ورسوله والذي يحلف به ما سمع قولي هذا الا الله وهند وروى ابن عساكر عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم قال خرج صلى الله عليه وسلم وابو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه ما ادري بم يغلبنا محمد فأتاه صلى الله عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك فقال اشهد انك رسول الله وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي والناس يطؤن عقبه فقال في نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا فجاء عليه السلام حتى ضرب في صدره فقال اذن يخزيك الله فقال اتوب الى الله واستغفر الله ما ايقنت انك نبي الا الساعة اني كنت لاحدث بذلك نفسي والحاصل ان ابا سفيان كان في اول الامر مستكرها فلم يزل صلى الله عليه وسلم يترفق به ويتألفه حتى تمكن الاسلام من قلبه ولقد حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف ففقئت

صفية

عينه فجاء بها فى يده الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت ارجعها الله اليك خيرا مما كانت وان شئت خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وفقئت عينه الاخرى يوم اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس ويحرضهم على القتال ويقول هذا يوم من ايام الله انصروا دين الله ينصركم الله قال ٣٢٥ انس بن مالك رضى الله عنه لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضى الله عنه فى زمن خلافته وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون سنة قال السيوطى فى تحفة الادب روى القزوينى فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لطم ابو جهل فاطمة رضى الله عنها فى أول بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ائت أبا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف على أبى جهل فقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابى سفيان قال ابن عباس رضى الله عنهما ما شككت أن اسلامه كان لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم وقد اوصى صلى الله عليه وسلم باصحابه وانصاره واصهاره وهو من اصهاره لان ابنته ام حبيبة رضى الله عنها كانت زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم انى سألت الله أن لا يدخل النار احدا من صاهرنى او صاهرته فاياك أن تصغى لما نقله بعض المؤرخين ويتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفى ابنه اوفى احد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فتكون من الهالكين وما جرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد وكلهم مأجورون ان شاء الله تعالى فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

صفية ونساؤنا اى يطاول جزعهن ويدوم وفى رواية لولا تجد صفية فى نفسها اى يطول ذلك وتكون سنة من بعدى اتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع وفى رواية حتى تأكله العافية ويحشر من بطونها اشتد غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة اى واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة وفى رواية ثنتين وتسعين صلاة وهذا غريب وسبعين ضعيف والرواية الاولى تقتضى أن جملة من قتل باحد اثنان وسبعون والرواية الثانية تقتضى أنهم كانوا اثنين وتسعين وقوله واحدا بعد واحد قد يخالف ما تقدم عن انس رضى الله عنه من جعل الرجلين أو الثلاثة فى كفن واحد فليتأمل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى على عشرة عشرة اى يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ويؤتى بتسعة أخرى فيوضعون الى جنب حمزة فيصلى عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات وحينئذ يكون جملة من قتل ثلاثة وستين وسيأتى الكلام على عدتهم وقيل كبر عليهم كبر تسعا وسبعا وخمسا اى بعد ان كبر على حمزة وحده أربعا فلا ينافى ما تقدم ولم اقف على عدد المرات التى كبر فيها ما ذكر وجاء ان قتلى أحد لم يغسلهم ولم يصل عليهم ولم يكفنهم الا فى ثيابهم التى قتلوا فيها اى غير الجلود أخذا مما يأتى اى ولا يضر تتميم ستر بعضهم بالاذخر وحينئذ لا يكون تكفين حمزة بنمرته ومصعب ببردته وتتميم تكفينهما بالاذخر عن احتياج كما تقدم عن عبد الرحمن بن عوف وعن أنس رضى الله عنهما اى وقال مغلطاى وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل وهذا اى دفنهم من غير غسل اجماع الا ما شذ به بعض التابعين وفيه نظر ظاهر وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة وتقدم ان هذا السياق يقتضى ان هذه رؤيا نوم وحينئذ يظهر التوقف فيما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر ولعل الراوى عن ابن عباس ذكر حمزة بدل حنظلة غلطا أما الصلاة عليهم فقال امامنا الشافعى رضى الله عنه جاءت الاخبار كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل على قتلى أحد وما روى انه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لم يصح وقد كان ينبغى لمن عارض بذلك أى بما روى هذه الاحاديث الصحيحة ان يستحيى على نفسه اى فان من رواة ذلك الحديث الدالة على أنه صلى عليهم سعيد بن ميسرة عن أنس رضى الله عنه وقد قال فيه البخارى انه

وأن لا يجعل لاحد منهم فى عنقنا ظلامة قال موسى بن عقبة قال ابو سفيان وحكيم بن حزام يارسول الله جئت بأوباش الناس
بمن يعرف ومن لا يعرف الى اهلك وعشيرتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم أظلم وأفجر فقد غدرتم بعد الحديبية وظاهرتم على بنى
كعب يعنى خزاعة بالاثم والعدوان فى حرم الله وأمنه فقالا صدقت يارسول الله وقال بديل والله يارسول الله لقد
غدروا ولو أن قريشا خلوا بيننا
وبين عدونا يعنى بنى بكر ما نالوا
منا ثم قالا لو كنت جعلت جدك
ومكيدتك لهوازن فهم ابعد رحما
وأشد عداوة لك فقال صلى الله
عليه وسلم انى لارجو من ربى أن
يجمع لى ذلك كله فتح مكة واعزاز
الاسلام بها وهزيمة هوازن
وغنيمة اموالهم وذراريهم فانى
أرغب الى الله تعالى فى ذلك ثم
قال أبو سفيان يارسول الله ادع
الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت
قريش فكفت أيديها أهم آمنون
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم من كف يده واغلق داره فهو
آمن ثم اراد العباس رضى الله
عنه تثبيت اسلام أبى سفيان
لئلا يدخل عليه الشيطان من
حيث انه كان متبوعا فاصبح
تابعا ليس له من الامر شئ فقال
يارسول الله ان أبا سفيان رجل
يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم
ثم اعانه ابو بكر رضى الله عنه فقد
روى ابن أبى شيبة أن أبا بكر رضى
الله عنه قال يارسول الله ان أبا
سفيان رجل يحب السماع اى
الشرف يعنى فاجعل له شيأ فقال
صلى الله عليه وسلم من دخل دار
أبى سفيان فهو آمن قال وما تسع دارى زاد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن وهى من أسفل مكة
ودار أبى سفيان باعلاها ومن دخل المسجد فهو آمن قال وما يسع المسجد قال ومن اغلق بابه فهو آمن قال ابو سفيان هذه واسعة
وامر صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادى بذلك كله الا من استثناهم النبى صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم كما سيأتى ثم قال له

يروى المناكير وقال ابن حبان يروى الموضوعات ومن جملة رواته أى رواة ذلك الحديث
مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قال فيه البخارى منكر الحديث ومن
ثم ذكر ابن كثير أن الذى فى البخارى أمره صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد بدمائهم
ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو اثبت من صلاته عليهم واما حديث عقبة بن عامر اى
الذى رواه الشيخان وابو داود والنسائى وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على
قتلى احد بعد ثمان سنين صلاته على الميت اى دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء
والاموات اى حين علم قرب اجله اى فذلك كان توديعا لهم بذلك قال قال السهيلى رحمه
الله لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد فى شئ من مغازيه الا فى هذه
الرواية فى احد وكذلك لم يصل احد من الائمة بعده صلى الله عليه وسلم اه وفى النور انه
صلى الله عليه وسلم صلى على اعرابى فى غزوة أخرى وفى البخارى عن جابر رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم امر فى قتلى احد بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم بكسر
اللام وفى رواية ولم يصل عليهم بفتح اللام لا يقال خبر جابر لا يحتج به لانه نفى وشهادة النفى
مردودة مع ما عارضها من خبر الاثبات لانا نقول شهادة النفى انما ترد اذا لم يحط بها علم
الشاهد ولم تكن بحضوره والا فتقبل بالاتفاق وهذه قضية معينة أحاط بها جابر وغيره
علما واستدل ائمتنا على ان الشهيد لا يغسل ولو كان جنبا بقصة حنظلة رضى الله عنه
لان تغسيل الملائكة لا يكتفى به فى اسقاط الحرج عن المكلفين من الانس لعدم
تكليفهم بخلاف تغسيل الجن فانهم مكلفون ودفنوا بثيابهم ونزع عنهم الحديد
والجلود اى واسلم وحشى رضى الله عنه بعد ذلك فانه فى يوم فتح مكة فر الى الطائف ثم
وفد مع اهل الطائف لما وفدوا ليسلموا وقد قيل له بعد ان ضاقت عليه ويحك والله انه
لا يقتل احدا من الناس دخل دينه قال وحشى فلم يرعه صلى الله عليه وسلم الا أنى قائم على
رأسه اشهد شهادة الحق فقال لى أنت وحشى وسألنى كيف قتلت حمزة فاخبرته ثم قال
ويحك غيب عنى وجهك فلا أراك وفى رواية لا ترنى وجهك وفى رواية تفل فى وجهى
ثلاث تفلات وقيل تفل فى الارض وهو وجد مغضب اى وحينئذ لحق بالشام وكان
وحشى لا يزال يحد فى الخمر فى زمن عمر رضى الله عنه حتى خلع من الديوان قال عمر رضى
الله عنه قد علمت أنه لم يكن الله ليدع قاتل حمزة رضى الله عنه أى لم يكن ليتركه من
الابتلاء وهذا اى تكرر حده فى شرب الخمر واخراجه من ديوان المجاهدين من اقبح
انواع الابتلاء عافانا الله من ذلك وروى الدارقطنى فى صحيحه عن سعيد بن المسيب
رحمه

العباس النجاء الى قومك أى بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان وحكيم بن حزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى اذا جاء ابو سفيان قومه صرخ باعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به اسلموا تسلموا من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وماتغنى عنا دارك قال ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقامت فيه هند زوجته فاخذت بشاربه وقالت اقتلوا الحميت اى الزق الضخم الدسم الاحمس قبحت من طليعة قوم وفى رواية انها اخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسكتى وادخلى بيتك والله لتسلمن اولاضربن عنقك وقال لهم ويلكم لاتغرنكم هذه من انفسكم فقد جاءكم بما لاقبل لكم به فتفرقوا الى دوركم والى المسجد وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل مجىء أبى سفيان ومن معه اليه ان بمكة أربعة نفر اربأ بهم عن الشرك وارغب بهم فى الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وهذا يدل على أن جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر معه وقيل ان اسلامه كان قبل ذلك وحكيم بن حزام رضى الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخ خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فهى عمة حكيم وكان عمره حين اسلم ستين سنة وعاش فى الاسلام ستين وتوفى وعمره مائة وعشرون سنة وكان من اشراف قريش فى الجاهلية والاسلام أعتق فى الجاهلية مائة رقبة وفى الاسلام مثل ذلك فانه حج فى الاسلام ووقف بعرفة واعتق بها مائة وصيف فى اعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام واهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة واهدى الف شاة رضى الله عنه ولما أراد صلى الله عليه وسلم السير من مر الظهران قال للعباس

رحمه الله أنه كان يقول عجبت لقاتل حمزة كيف ينجو اى من الابتلاء حتى بلغنى انه مات غريقا فى الخمر اى وذلك مع ما تقدم ابتلاء فظيع له رضى الله عنه (وعن مثل به عبد الله بن جحش) بدعوة دعاها على نفسه فقال اى قبل احد يوم اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يأخذنى فيجدع انفى واذنى فاذا لقيتك قلت ياعبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك فيقول الله صدقت قال وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه انتهى اى لان المنهى عنه أن يكون ذلك لضر نزل به فليتأمل وجاء أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار فى يده سيفا وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة رضى الله عنهما فى قبر واحد اى وانما كان حمزة خاله لان ام عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له أبو الحكم بن الاخنس بن شريق وابو الحكم هذا قتل كافرا يوم احد وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو اى وهو والد جابر رضى الله عنهما وعمرو بن الجموح وهو زوج عمة جابر رضى الله عنهم فى قبر واحد لما بينهما من الصفاء وعبد الله بن عمرو هذا قد اصابه جرح فى وجهه ومات ويده على جرحه فاميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن ويقال ان السيل حفر قبر عبد الله بن عمرو والد جابر رضى الله عنهما وعمرو بن الجموح فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وانه ازيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان ذلك بعد الوقعة لست واربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال استصرخنا الى قتلانا باحد وذلك حين أجرى معاوية رضى الله عنه العين فى وسط مقبرة شهداء احد وأمر الناس بنقل موتاهم فاخرجناهم رطابا تتثنى اطرافهم وذلك على رأس اربعين سنة ولعله وماقبله لايخالف قول السهيلى وذلك بعد ثلاثين سنة واصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث دما وذكر أنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك وفى لفظ نحو خمسين سنة مع ان ارض المدينة سبخة يتغير الميت فى قبره من ليلته اى لان الارض لاتأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام زاد بعضهم قارئ القرآن والعالم والمحتسب الاذان ويدل للاخير ما فى الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه لايدود فى قبره اى كشهيد المعركة لاياكله الدود فى القبر وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائى المالكى رحمه الله تعالى فقال

رضى الله عنه لا آمن أن يرجع ابو سفيان فيكفر فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاء أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذى قال يارسول الله لو امرت بابى سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الاراك وفى رواية ومعه حكيم بن حزام فقال ابو سفيان اغدرا قال لا ولكن لى اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين وفى رواية قال له ان اهل النبوة لا يغدرون وامر صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أن تكون عند راية صاحبها وتظهر مامعها من القوة والعدة فاصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ومرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة والكتيبة بالتاء المثناة القطعة من الجيش وابو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم واول من قدم خالد ابن الوليد رضى الله عنه فى بنى سليم وهم الف وقيل تسعمائة معهم لواآن يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة فحين مروا بابى سفيان كبروا ثلاثا فقال ابو سفيان للعباس من هؤلاء فقال خالد بن الوليد فقال خالد الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالى ولبنى سليم ثم مر على اثره الزبير بن العوام رضى الله عنه فى خمسمائة من المهاجرين وافناء العرب فكبروا ثلاثا فقال ابو سفيان للعباس من هؤلاء قال الزبير بن العوام قال ابن اختك قال نعم ثم مرت كتيبة بنى غفار فى ثلثمائة يحمل رايتهم ابو ذر رضى الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال يا عباس من هؤلاء قال غفار قال مالى ولغفار ثم مرت اسلم فى اربعمائة فيها لواآن يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الاعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال اسلم قال مالى ولاسلم ثم مرت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال بنو كعب اخوة اسلم قال هؤلاء حلفاء محمد

لا تأكل الارض جسم النبى ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب * اذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع رضى الله عنهما فى قبر واحد لانه كان ابن عمه وولده خارجة وهو زيد بن خارجة الذى تكلم بعد الموت ذكر ان خارجة اخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فاجهز عليه وقال الآن شفيت نفسى حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد فقتلت خارجة بن زيد وقتلت اوس ابن ارقم وقتلت أبا نوفل ودفن النعمان بن مالك وعبد بنى الحسحاس فى قبر واحد وربما دفنوا ثلاثة فى قبر وصار صلى الله عليه وسلم يقول احفروا واوسعوا واعمقوا وكان صلى الله عليه وسلم يقول انظروا اكثر هؤلاء جمعا اى حفظا للقرآن فقدموه فى القبر اى فى اللحد واحتمل ناس من المدينة قتلاهم الى المدينة فردهم صلى الله عليه وسلم ليدفنوا حيث قتلوا وبه استدل أئمتنا رحمهم الله على حرمة نقل الميت قبل دفنه من محل موته الى محل أبعد من مقبرة محل موته وفيه ثم ثم قالوا الا أن يكون بقرب مكة او المدينة او بيت المقدس نص على ذلك امامنا الشافعى رحمه الله وقد يجاب بان هذا مخصوص بغير الشهداء أما هو فالافضل دفنه بمحل موته ولو بقرب ما ذكر كما بحث ذلك بعض المتأخرين من أئمتنا ويشهد له ما هنا ولا يشكل دفن اثنين او ثلاثة فى لحد على قول فقهائنا بحرمة جمع اثنين فى لحد ولو الوالد وولده لان محل ذلك حيث لا ضرورة ككثرة الموتى ومشقة الحفر لكل واحد كما هنا (ثم رأيت فى بعض السير) وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد وانما ارخص لهم فى ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد وفى رواية فحملوهم الى المدينة فدفنوهم فى نواحيها فجاء منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادى واحدا لم يكن دفن فردوه ومن دفن أبقوه (ولما اشرف صلى الله عليه وسلم) على قتلى احد قال أنا شهيد على هؤلاء وما من جرح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفى رواية انه ليس مكلوم يكلم فى الله تعالى الا وهو يأتى يوم القيامة لونه اى لون الكلم اى الجرح لون الدم وريحه ريح مسك اى وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب

معلقة

معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا اى يمتنعوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء الآية وقد بينت فى النفحة العلوية ان الارواح فى البرزخ متفاوتة فى مستقرها اعظم تفاوت فلا تعارض بين الادلة الدالة على تلك الاقوال المختلفة وحينئذ تكون ارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونها فى الملا الاعلى متفاوتة فيه وارواح المؤمنين غير الشهداء او غير الاطفال منها ماهو سماوى ومنها ماهو ارضى وارواح الاطفال فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وارواح الشهداء منهم من تكون روحه على باب الجنة ومنهم من تكون داخلها وحينئذ اما أن تكون فى جوف طير اخضر او طير ابيض ومنهم من تكون روحه على صورة الطير وفى كلام القرطبى رحمه الله قال علماؤنا أرواح الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها انهم يرزقون أى وتقدم الكلام على رزقهم اى ومن جملة من قتل من الصحابة يوم احد ابو جابر اى كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه يا جابر الا اخبرك ما كلم الله تعالى احدا قط لعل المراد من هؤلاء الشهداء كما يرشد اليه السياق الامن وراء حجاب وأنه كلم أباك كفاحا فقال سلنى اعطك فقال أسألك ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق منى أنهم لا يرجعون الى الدنيا قال اى رب فأبلغ من ورائى فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية اى ولا مانع من تعدد النزول للآية فلا يخالف ما تقدم قريبا اى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل أبى جعلت ابكى واكشف الثوب عن وجهه فجعل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينهونى والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينهنى وقال النبى صلى الله عليه وسلم تبكيه اولا تبكيه مازالت الملائكة عليهم السلام مظلة له باجنحتها حتى رفع اى وسيأتى أن جابرا رضى الله عنه لم يحضر القتال وعن بشير بن عفراء رضى الله عنهما قال أصيب أبى يوم احد فرآنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا ابكى فقال اماترضى أن تكون عائشة أمك وا كون أنا أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار قد اصيب زوجها واخوها وابوها وفى رواية وابنها يوم احد فلما نعوا لها قالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى مافعل به قالوا خيرا ياأم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت اورنيه حتى أنظر اليه فلما رأته صلى الله عليه وسلم قالت كل

قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة الوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف وبلال بن الحرث فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال مزينة قال مالى ولمزينة قد جاءتنى تقعقع من شواهقها ثم مرت جهينة فى ثمانمائة فيها اربعة الوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن صخر ورافع بن كيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال جهينة قال مالى ولجهينة والله ما كان بينى وبينهم حرب قط ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد ابن بكر فى مائتين يحمل لواءهم ابو واقد الليثى فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم اهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ثم مرت اشجع وهم ثلثمائة معهم لواآن يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الاشجعى فكبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال اشجع قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد فقال له العباس أدخل الله الاسلام فى قلوبهم فهذا فضل الله ومرت بنو تميم وبنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك وقيل ان مرور هؤلاء كان قبل اشجع وان اشجع كانت آخرهم ثم قال ابو سفيان أبعد مامضى محمد فقال له العباس لو أتت الكتيبة التى محمد فيها رأيت الخيل والحديد والرجال ومالاحد به طاقة قال ومن له بهؤلاء طاقة وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة امامر محمد فيقول العباس لا حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها اذ فى كل بطن منها لواء وهم

فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق فيهم ألف دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو سفيان من هؤلاء قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه معه راية الانصار وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضى الله عنه وكان جملة من كبار المهاجرين مع النبى صلى الله عليه وسلم والانصار وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول

رويدا يلحق اولكم آخركم وفى رواية ثم جاءت كتيبة خضراء فيها الف دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون والانصار وفيها الرايات والالوية مع كل بطن من بطون الانصار لواء وراية وهم فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق ولعمر ابن الخطاب رضى الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية قال

ابو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فقال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيما فقال يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اى يوم الحرب الذى لا يوجد منه مخلص اليوم تستحل الكعبة اى يقتل من اهدر دمه ولو تعلق باستار الكعبة فقال ابو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار اى حبذا يوم الهلاك تمنى ابو سفيان أن يكون له يد وقوة فيحمى قومه ويدفع عنهم وقيل معناه هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه قال ذلك غلبة وعجزا وقيل المعنى هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى لقربك من النبى صلى الله عليه وسلم وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فقالا يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد صولة فى قريش فقال لعلى رضى الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد عبد ابن عبادة ورأى صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه وقيل انما امر باخذ الراية منه حين حاذى النبى صلى الله عليه وسلم ابا سفيان فانه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما حاذاه وهو مار فى جنوده امرت بقتل قومك قال لا فذكر له

مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشئ الصغير يقال للشئ الكبير فهو من الاضداد وفى لفظ أنها امرت باخيها وابيها وزوجها وابنها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها هذا اخوك وابنك وزوجك وابوك فلم تكترث بذلك بل صارت تقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى جاءته اخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابى انت وامى يا رسول الله لا ابالى اذ سلمت من عطب واصيبت يوم احد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته اى فارادوا قطعها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فدعاه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اى اخذها بيده الشريفة وردها الى موضعها اى براحته الشريفة وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى اى وجاء عن قتادة رضى الله عنه انه قال كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فاخذتها اى رفعتها بيدى اى وقلت يا رسول الله ان لى امرأة احبها واخشى أن ترانى تقذرنى اى وقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله تعالى لك فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل وانى مغرم بحب النساء واخاف أن يقلن اعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعا لى بالجنة وجاء عن قتادة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم لما رآها فى كفى اى مرفوعة دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا اى بعد ان ردها الى موضعها براحته الشريفة كما تقدم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

واعادت على قتادة عينا ＊ فهى حتى مماته النجلاء

اى واعادت تلك الراحة الشريفة على قتادة بن النعمان رضى الله عنه عينا له ذهبت فهى الى مماته الواسعة اى الكثيرة النظر قال الشيخ ابن حجر الهيتمى ويجمع بين رواية العين الواحدة ورواية العينين اى فقد جاء فى حديث غريب اصيبت عيناى فسقطتا على وجنتى فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعادهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان بان احد الرواة ظن أن الساقطة واحدة وبعضهم أن الساقط ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم أن زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية احدى العينين هذا كلامه فليتأمل وكون ذلك كان يوم احد هو المشهور وقيل يوم الخندق وقد حكى ابو عمر بن

ابو سفيان ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم اى قال له انشدك الله فى قومك فانك ابر الناس وارحمهم واوصلهم فقال
يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا اى بالاسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين وفى رواية ولكن هذا يوم
يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة اشار بهذا الى انه صلى الله عليه وسلم هو الذى يكسوها
ذلك العام وقد وقع ذلك فالمراد
من اليوم الزمان ثم ارسل الى
سعد فاخذ الراية منه فدفعها
لابنه قيس رضى الله عنه وروى
ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه
قال لما قال سعد بن عبادة ذلك
القول تعرضت امرأة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبى الهدى اليك لجاحى
قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار
ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو
م ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهـ *
ـر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجى لو يستطيع من الغيـ *
ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشئ
غير سفك الدما وسبى النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت
عنه هند بالسوأة السوآء
اذ ينادى بذل حى قريش
وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن اقحم اللواء ونادى
يا حماة الادبار أهل اللواء
ثم ثابت اليه من بهم الخز
رج والاوس انجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع فى أكف الاماء
فانهينه فانه أسد الاسـ * ـد لدى الغاب والغ فى الدماء
انه مطرق يريد لنا الامـ * ـر سكوتا كالحية الصماء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فامر بالراية فاخذت
من سعد ودفعت لابنه قيس وجاء انه لما جاءه الرسول من النبى صلى الله عليه وسلم بتسليمها الابنه أبى أن يسلمها الا بامارة من النبى

عبد البر أن رجلا من ولد قتادة قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له من الرجل
فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لاول امرها * فياحسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر وأحسن جائزته ورمى كلثوم بن الحصين بسهم فى نحره فجاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبصق عليه فبرأ وحضرت الملائكة عليهم السلام يوم أحد ولم تقاتل
قال ويؤيده قول مجاهد رحمه الله لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن ابى
وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم
احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال وما رأيناهما قبل ولا بعد اى
وهما جبريل وميكائيل عليهما السلام ولا منافاة فقد قال البيهقى رحمه الله لم يقاتلوا يوم
احد عن القوم اى فلا ينافى أنهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة اه (اقول) ويجوز
أن يكون المراد بمقاتلتهما دفعهما عنه صلى الله عليه وسلم وفيه أنه جاء عن الحرث بن
الصمة رضى الله عنه قال سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الشعب عن
عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقلت رأيته فى جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل
معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك
أكل هؤلاء قتلت قال أما هذا وهذا فانا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقال صدق
الله ورسوله اى ومقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه
لا ينافى مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وفى الامتاع كان قد نزل قبل أن يخرج صلى الله
عليه وسلم الى احد قوله تعالى ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين فلم يصبروا وانكشفوا فلم يمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بملك واحد
يوم أحد فليتأمل والله اعلم ولما قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه وسقط اللواء أخذه ملك
فى صورة مصعب اى فانه لما قطعت يده اليمنى أخذ اللواء بيده اليسرى اى وهو يقول
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فلما قطعت جثى على اللواء وضمه بعضديه
الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ولم تكن هذه الآية

صلى الله عليه وسلم فارسل اليه بعمامته فسلمها لابنه وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سلمها لعلى وفى بعضها انه سلمها
للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر فى الجمع بين الروايات انه صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضى
الله عنه لينزعها ويدخل بها ثم خشى تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ثم ان سعدا اخشى أن يقع من
ابنه شئ ينكره النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ اخذها الزبير ثم بعد مر وجنود الله كلها بأبى سفيان قال له العباس النجاء الى قومك فجاء اليهم يصيح بالامان فامسكته زوجته وقالت اقتلوه الى آخر ما تقدم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة بن الزبير اخبرنى نافع بن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت العباس يقول للزبير رضى الله عنهما فى حجة اجتمعوا فيها بمكة فى خلافة عمر رضى الله عنه يا أبا عبد الله ههنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم قال الحلبى فى السيرة وفى ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية ودخل صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من اعلى مكة على راحلته القصواء مردفا اسامة بن زيد رضى الله عنهما خلفه وهذا من
مزيد تواضعه وكريم اخلاقه حيث اردف فى هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضى الله عنهما
والمتكبر يعد ارداف ابنه اذا ركب فى السوق عارا عليه ماذاك الا لتكبر برأ الله منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفى رواية ودخل صلى
الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وفى رواية وعليه عمامة سوداء حرقانية واضعا رأسه الشريف على رحله

نزلت بل قالها السامع قول القائل قتل محمد وانما نزلت اى بعد قوله فى ذلك اليوم كما فى الدر فهو من القرآن الذى نزل على لسان بعض الصحابة ثم قتل اى وهذا لا ينافى ما تقدم من انه قاتل دونه صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقتله ابى بن خلف لعنه الله لانه يجوز أن يكون قتله وهو على هذه الكيفية المذكورة ثم رأيت فى بعض الروايات ان ابن قمئة فعل به هذه الكيفية اى ثم قتله وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للملك الذى على صورة مصعب تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك فقال لست بمصعب فعرف صلى الله عليه وسلم أنه ملك أيد به وفى رواية ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لما سمع صلى الله عليه وسلم يقول اقدم مصعب قال يا رسول الله الم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه اى فلا ينافى ذلك قول الملك له صلى الله عليه وسلم لما قال له تقدم يا مصعب لست بمصعب لان مراده لست بمصعب الذى هو صاحبكم ورأيت فى رواية انه لما سقط اللواء اخذه ابو الروم اخو مصعب ولم يزل فى يده حتى دخل المدينة فليتأمل ووجود هذا الملك يخالف ما تقدم عن الامتاع من انه صلى الله عليه وسلم لم يؤيد بملك واحد ولما اراد صلى الله عليه وسلم ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى اى ومعه أربع عشرة امرأة فلما كانوا باصل احد قال صلى الله عليه وسلم اصطفوا حتى اثنى على ربى عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن اضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما اعطيت ولا مقرب لما ابعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم للمدينة فلقيته حمنة بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم اخت زينب بنت جحش ام المؤمنين رضى الله عنها فقال لها صلى الله عليه وسلم احتسبى قالت من يا رسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال اخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لمكان ماهو لاحد لما رأى من تثبتها على اخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعنى فدعا لها صلى الله عليه وسلم ولولدها ان يحسن الله تعالى عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله فكان أوصل الناس لولدها

وولدت

تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول اللهم ان العيش عيش الآخرة وفى رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح اى لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم والتفت الى أبي بكر رضى الله عنه وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فأنشده قوله

عدمت بنيتى ان لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مسرجات
يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان وروى الطبرانى عن العباس رضى الله عنه قال لما بعث صلى الله عليه وسلم قلت لابى سفيان بن حرب أسلم بنا قال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء قلت ما هذا قال شئ طلع بقلبى لان الله لا يطلع هنالك خيلا أبدا قال العباس رضى الله عنه فلما طلع صلى الله عليه وسلم من هنالك ذكرت أبا سفيان به فذكره وتقدم هذا الحديث باطول من هذا وانهما توجها الى اليمن فى تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود وسألاه عن النبى صلى الله عليه وسلم فسألهما عن صفاته فوصفاه له فقال هو هو ذبحت يهود وقام وترك رداءه فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهود به وخوفهم منه فقال له العباس ألا تسلم بنا فقال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء الى آخر الحديث قال الحافظ ابن حجر وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقا واضحا موافقا للاحاديث الصحيحة فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد وأمره أن يركز رايته بالحجون وان يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد فى قبائل منها قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم وأمره أن يدخل من

وولدت له محمد بن طلحة قال وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو ونحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بلجامها فقال له سعد يا رسول الله أمى فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما اذا رأيتك سالما فقد اشتويت المصيبة اى استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل من قتل بأحد اى بعد ان قال لام سعد يا أم سعد أبشرى وبشرى أهلهم ان قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعا وقد شفعوا فى أهلهم جميعا قالت رضينا يا رسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع صلى الله عليه وسلم نساء الانصار يبكين على أزواجهن اى وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لا بواكى له اى وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله رضى الله عنه لم يكن له بالمدينة لا زوجة ولا بنت فأمر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء اى وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة اى ولما جاء صلى الله عليه وسلم بيته حمله السعدان وانزلاه عن فرسه ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم اذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم فلما رجع من المسجد من صلاة المغرب سمع البكا فقال ما هذا فقيل نساء الانصار يبكين حمزة فقال رضى الله عنكن وعن أولادكن وأمر ان ترد النساء الى منازلهن وفى رواية خرج عليهن اى بعد ثلث الليل لصلاة العشاء فان بلالا أذن بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة رضى الله عنه ولا يخالف ما سبق لان بيت عائشة رضى الله عنها كان ملاصقا للمسجد فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معى رحم الله الانصار فان المواساة فيهم كما علمت قديمة اى ولا منافاة لانه يجوز ان يكون الامر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة وبعد ثلث الليل كان لطائفة اخرى وصارت الواحدة من نساء الانصار بعد لا تبكى على ميتها الا بدأت بالبكا على حمزة رضى الله عنه ثم بكت على ميتها ولعل المراد بالبكا النوح وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش ان تعود الى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح وقال له الانصار

أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أى أقربها الى الثنية التى دخل منها وهو أول بيوت مكة من الجهة التى دخل منها وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وكانت من برد لعائشة رضى الله عنها وجعل أبا عبيدة على الرجالة أى المشاة وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه واستمر بلا راية فى مقدمة كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم فاندفع خالد بن الوليد رضى الله عنه حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها ناس من بنى بكر وبنى الحرث بن عبد مناف وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد فى أصحابه فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بنى بكر نحو اربعة وعشرين رجلا ومن هذيل اربعة حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة وكانت سوقا بمكة ثم دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال هربا وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان يا معشر قريش علام تقتلون انفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون ابوابها ويطرحون السلاح فى الطرق فيأخذه المسلمون وروى ابن اسحق ان أصحاب خالد لقوا اناسا من قريش منهم صفوان بن امية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وتجمعوا بالخندمة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيأ من القتال فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلاء الجهنى وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا وفى ذلك يقول حماش بن قيس يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان سابقا يصلح سلاحه ويعدها أن يأتيها ببعض اسرى المسلمين

يا رسول الله بلغنا انك نهيت عن النوح وانما هو شئ نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فأذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا وجاء انه فى يوم أحد دفع على كرم الله وجهه سيفه لفاطمة رضى الله عنها وقال لها اغسليه غير ذميم فقال صلى الله عليه وسلم ان تكن احسنت فقد أحسن فلان وفلان وعدد جماعة اى منهم سهل بن حنيف وأبو دجانة وماروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم فى يوم احد دفع سيفه ذا الفقار لابنته فاطمة رضى الله عنها وقال اغسلى عنه دمه لقد صدقنى اليوم وناولها على كرم الله وجهه سيفه وقال وهذا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم فقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه لئن صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وابو دجانة وعن ابن عقبة لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف على كرم الله وجهه مختضبا دما قال ان تكن أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبى الافلح والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وكونه صلى الله عليه وسلم دفع سيفه لابنته فاطمة رضى الله عنها رده الامام أبو العباس بن تيمية بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فى ذلك اليوم بسيف لكن فى النور أن هذا الحديث لم يتعقبه الذهبى قال ففيه رد على ابن تيمية هذا كلامه فليتأمل والاكثر على أن الذين قتلوا يوم أحد من المسلمين سبعون اربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب وعبد الله ابن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون اربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن ابى بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بنى عبد شمس وعدهم فى الاصل ستة وتسعين وهذا لا يناسب ماتقدم فى بدر من قوله صلى الله عليه وسلم ان شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعدد ذلك وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون وقيل اثنان وعشرون (أقول) انظر هذا مع ماتقدم من ان حمزة وحده قتل واحدا وثلاثين ورأيت فى الطبقات لمولانا الشيخ عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله ببركاته ان أويسا القرنى كان مشغولا بخدمة والدته فلذلك لم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد روى انه اجتمع به مرات وحضر معه وقعة أحد وقال والله ما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم حتى كسرت رباعيتى ولا شج وجهه الشريف حتى شج وجهى ولا وطئ ظهره حتى وطئ ظهرى قال هكذا رأيت هذا الكلام فى بعض المؤلفات والله أعلم بالحال هذا كلامه ولم أقف على أنه عليه الصلاة والسلام وطئ ظهره فى غزوة أحد فان مجموع مادلت عليه الاخبار أنه صلى الله عليه وسلم شج وجهه وكسرت

رباعيته

رباعيته وجرحت وجنتاه وشفته السفلى من باطنها ووهى منكبه وجحشت ركبته ثم رأيت بعض المؤرخين ذكر أن سيدنا عمر رضى الله عنه سمع بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكى بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضلك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقد قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنبك فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم الى أن قال فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون ومما يدل على ان اويسا لم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم ماتقدم من قوله صلى الله عليه وسلم خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى وما أخرجه البيهقى عن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون فى التابعين رجل من قرن يقال له أويس بن عامر، وفى رواية ان عمر قال لاويس استغفر لى فقال كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس والمراد من خير التابعين كما فى بعض الروايات فلا ينافى مانقل عن احمد بن حنبل وغيره أن أفضل التابعين سعيد بن المسيب ومما يدل على أن اويسا لم يكن موجودا فى زمنه صلى الله عليه وسلم ماجاء فى الجامع الصغير سيكون بعدى فى امتى رجل يقال له اويس القرنى وان شفاعته فى امتى مثل ربيعة ومضر وفى أسد الغابة ان أويسا ادرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعى الكوفة وكان يسخر به ووفد رجل ممن كان يسخر به مع جماعة من اهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال له عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس القرنى وقد كان به بياض فدعا الله تعالى فاذهب عنه الاقدر الدينار والدرهم فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم فاقبل ذلك الرجل لما قدم الكوفة الى اويس قبل أن يأتى اهله فقال له أويس ماهذا بعادتك قال سمعت عمر رضى الله عنه يقول كذا وكذا فاستغفر لى قال لا أفعل حتى تجعل لى عليك أن لاتسخر بى ولا تذكر قول عمر لاحد فالتزم له ذلك فاستغفر له وقتل اويس يوم صفين مع على كرم الله وجهه ولما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أظهر المنافقون واليهود الشماتة والسرور وصاروا يظهرون اقبح القول اى ومنه مامحمد الا طالب ملك ماأصيب بمثل هذا نبى قط أصيب فى بدنه واصيب فى اصحابه ويقولون لو كان من قتل منكم

يكون خادما لها وكانت أسلمت سرا وفى رواية انها رأته وهو يبرى نبلا له فقالت له لم تبرى هذا النبل قال بلغنى ان محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها فلئن كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسره فقالت والله لكانى بك قد رجعت تطلب مخبأ اخبؤك فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل اليها وقال ويحك هل من مخبا فقالت له وأين الخادم فقال لها دعينى عنك وانشد يقول

انك لوشهدت يوم الخندمه
اذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه
واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يابنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يابنى عبد الله وشعار الاوس يابنى عبيد الله وقتل من أصحاب خالد أيضا رجلان حبيش بن الاشعر الخزاعى أخو أم معبد التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكرز بن جابر الفهرى وهذا أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذى أغار على سرح النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر الاولى ثم لما أسلم استعمله النبى صلى الله عليه وسلم وبعثه فى طلب العرنيين كما تقدم ولما وقع القتال بأسفل مكة نظر صلى الله عليه وسلم الى بارقة السيوف فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد أن يقاتلهم وجاء فى رواية انه قيل له يارسول الله هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يافلان فقل له فليرفع يديه من القتل فأتاه الرجل فقال له ان نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل اليه الا آمرك ان تنذر خالدا قال أردت أمرا فاراد الله أمرا فكان أمر

الله فوق أمرك وما استطعت الا الذى كان فسكت صلى الله عليه وسلم وما رد عليه وقوله قتل سبعين لا ينافى رواية أربعة وعشرين لان زيادة الثقة مقبولة والاقل داخل فى الاكثر وقال موسى بن عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد رضى الله عنه قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية ان قريشا وبشت أوباشا لها أى جمعت جموعا من قبائل شتى فنادى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضى الله عنه وقال له اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا واطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش واتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا قال أبو هريرة رضى الله عنه فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدا منهم الا قتلناه لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن اى أمر أن ينادى بذلك ويعلن به ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد فقال يا رسول الله هم بدؤنا بالقتال وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فابوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا فى كل وجه فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال كفوا القتال الا خزاعة عن بنى بكر الى صلاة العصر وهى الساعة التى أحلت لرسول الله صلى
صلى الله عليه وسلم وكان دخوله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين من رمضان ومعه صلى الله عليه وسلم زوجتاه ام سلمة وميمونة رضى الله عنهما وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استثنى أناسا من الدخول فى الامان وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين

عندنا ما قتل واستأذنه صلى الله عليه وسلم عمر فى قتل هؤلاء المنافقين فقال أليس يظهرون شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله قال بلى ولكن تعوذا من السيف فقد بان أمرهم وابدى الله تعالى أضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من اظهر ذلك وصار ابن ابى لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضى الله عنه وقد اثبتته الجراحة فقال له ابنه الذى صنع الله لرسوله والمسلمين خير قال وكانت عادة عبد الله بن ابى ابن سلول اذا جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهركم اكرمكم الله تعالى به واعزكم فانصروه وعزروه واسمعوا له واطيعوا ثم يجلس فبعد احد اراد ان يفعل كذلك فلما قام اخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج وهو يتخطى رقاب الناس وهو يقول كانى انما قلت هجرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما ابتغى ان يستغفر لى وانزل الله تعالى قصة احد فى آل عمران قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الآية

(غزوة حمراء الاسد)

لما كان صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد أذن مؤذنه صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا خلف قريش وأن لا يخرج الا من حضر أحدا وذلك ارهابا للعدو وليبلغهم أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى طلبهم ليظنوا به صلى الله عليه وسلم قوة وأن الذى اصابهم لم يوهنهم اى يضعفهم عن عدوهم قال وقيل لانه صلى الله عليه وسلم بلغه أن أبا سفيان يريد أن يرجع بقريش الى المدينة ليستأصلوا من بقى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بلغه ان المشركين قالوا له لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئس ما صنعتم ارجعوا اى وفى لفظ انهم لما بلغوا بعض الطريق قدموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم قبل ان يجدوا قوة وشوكة فقذف الله فى قلوبهم الرعب ويذكر ان عبد الله بن عوف جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد وأخبره انه أقبل من اهله حتى اذا كان بمحل كذا اذا قريش قد نزلوا به فسمع أبا سفيان وأصحابه يقولون ما صنعتم شيأ قد بقى منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقى وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول يا قوم لا تفعلوا فانى أخاف أن يجمع عليكم من تخلف عن الخروج فارجعوا والدولة لكم فانى لا آمن ان رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال

صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان يرشد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر لهما الخبر أي ما أخبره به عبد الله بن عوف فقالا يا رسول الله اطلب العدو لا يقحمون على الذرية فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح ندب الناس وأمر بلالا أن ينادي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج الا من حضر القتال بالامس انتهى وعند تهيئه صلى الله عليه وسلم للخروج جاء جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال يا رسول الله انما تخلفت عن أحد لان أبي خلفني على أخوات لي سبع أي وقيل وهو الصحيح انهن تسع وقال يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقني الشهادة فتخلف على اخواتك فاستخلفت عليهن واستأثر علي بالشهادة فائذن لي يا رسول الله معك فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالامس غيري واستأذنه رجال لم يحضروا القتال أي منهم عبد الله بن أبي قال له أنا راكب معك فأبى ذلك عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويقال لابي بكر الصديق رضي الله عنه واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه اى المسمى بالسكب ولم يكن مع اصحابه فرس سواه وعليه الدرع والمغفر وما يرى الا عيناه ٥ وخرج الناس معه اى جميع من كان معه صلى الله عليه وسلم في احد وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت في قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح الآية قالت لعروة بن الزبير يا ابن اختي كان ابوك الزبير رضي الله عنه وابو بكر لما اصاب نبي الله ما اصاب يوم احد وانصرف عنه المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يرجع في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا قال ابن كثير وهذا السياق غريب جدا فان المشهور عند اصحاب المغازي ان الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد كل من شهد احدا وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي الباقي هذا كلامه فليتأمل مع ما تقدم قال والظاهر أنه لا تخالف لان معنى قولها يعني عائشة انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق بهم الباقون وخرجوا وبهم الجراحات ولم يعرجوا على دواء جراحاتهم أي لم يلتفتوا لذلك والمراد دواء غير تكميد جراحهم بالنار وهو ان تسخن خرقة وتوضع على العضو الوجع ويتابع ذلك مرة بعد أخرى ليسكن الوجع فلا يخالف أنهم فعلوا ذلك أي أوقدوا

رجل وامرأة عبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعكرمة ابن أبي جهل والحويرث بن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وكعب بن زهير والحرث بن هشام وهو أخو أبي جهل لابويه وزهير بن أبي أمية وسارة وهي مولاة لبني المطلب وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان أم معاوية ووحشي قاتل حمزة وأكثر هؤلاء أسلموا كما سيأتي بيانه أما عبد الله بن أبي سرح بن الحرث العامري فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاع فقال يا أخي استأمن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقي فغيبه عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به اليه صلى الله عليه وسلم وصار يقول عثمان يا رسول الله امنته فبايعه والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه مرارا ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وكان عباد بن بشر رضي الله عنه نذر ان رأى عبد الله بن أبي سرح قتله وكان قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيفه ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه أن يقتله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انتظرتك ان تفي بنذرك فقال يا رسول الله خفتك أفلا أومضت الي فقال انه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين وهو الايماء بالطرف قال الزرقاني ثم أدركته العناية الازلية وأتته السعادة الابدية فأسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضي الله

النيران يكمدون بها جراحاتهم تلك الليلة فمنهم من كان به تسع جراحات وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه وعقبة بن عامر رضي الله عنه ومنهم من كان به عشر جراحات وهو خراش بن الصمة رضي الله عنه ومنهم من كان به بضع عشرة جراحة وهو كعب بن مالك رضي الله عنه ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة وهو طلحة بن عبيد الله وقطعت اصبعه قيل السبابة وقيل البنصر فشلت بقية أصابع يده وهي اليسرى وفي رواية أنامله كما تقدم ومنهم من كان به عشرون جراحة وهو عبد الرحمن بن عوف كما تقدم أي وجرح من بني سلمة اربعون جريحا فقال صلى الله عليه وسلم لما رآهم اللهم ارحم بني سلمة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجروح في وجهه اثر الحلقتين ومشجوج في وجهه ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت من باطنها اي وفي المنتقى وشفته العليا قد كلمت من باطنها متوهن منكبه الايمن لضربة ابن قمئة لعنه الله وركبتاه مجحوشتان من وقعته في الحفيرة وتلقاه صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له يا طلحة اين سلاحك فقال قريب فذهب واتى بسلاحه وبصدره تسع جراحات من تلك الجراحات التي به وهي كما تقدم بضع وسبعون جراحة يقول طلحة وانا أهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي ثم اقبل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا طلحة اين ترى القوم فقلت بالسيالة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت اما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا وقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن انتهى وكان دليله صلى الله عليه وسلم في السير ثابت بن الضحاك وليس هو اخا جبير وقيل اخوه ولا زالوا سائرين حتى عسكر وا بحمراء الاسد اي وهو محل بينه وبين المدينة ثمانية أميال اي وقيل عشرة اميال وعن رجل من الانصار قال شهدت احدا انا واخي فرجعنا جريحين فلما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قال لي اخي اتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفسق والله ما لنا من دابة نركبها فخرجنا وكنت ايسر جراحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ويمشي عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون من حمراء الاسد اي وذلك عند العشاء وهم يوقدون النيران فجاء بهما الحرس وكان على حرسه تلك الليلة عباد بن بشر مع طائفة فلما أتى بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما حبسكما فأخبراه بعلتهما فدعا لهما بخير وقال لهما ان طالت بكما مدة كانت لكما

عنه في فتح مصر وكان له المواقف المحمودة في الفتوح وهو الذي افتتح افريقية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ثمان أو سبع وعشرين وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وغزا الاساود من النوبة سنة احدى وثلاثين وهادن باقي النوبة الهدنة الباقية بعده وغزا ذات الصواري سنة أربع وثلاثين وولاه عمر رضي الله عنه صعيد مصر ثم ضم اليه عثمان رضي الله عنه مصر كلها وكان محمودا في ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين وروى البغوي باسناد صحيح عن يزيد بن ابي حبيب قال لما كان عند الصبح قال ابن أبي سرح اللهم اجعل آخر عملي الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضي الله عنه وأما عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لانه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة واسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفي رواية كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمره ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيأ وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا فجعل يهجو النبي صلى الله عليه وسلم في شعره وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه وقد جاء انه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه واخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما راى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى [illegible] سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره فأمر بقتله وقيل لما طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا باستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ

مراكب من خيل وبغال وابل وذلك ليس بخير لكم أي وهذان الرجلان عبد الله ورافع ابنا سهل بن رافع والذي ضعف عن المشي رافع والحامل له عبد الله (وأقام) المسلمون بذلك المحل ثلاث ليال وكانوا يوقدون في كل ليلة من تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تعالى عدوهم (قال) جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وكان عامة زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت حمراء الاسد وساق جزرا فنحر فنحروا في يوم اثنين وفي يوم ثلاثا ولقي كفار قريش معبد الخزاعي وكان يومئذ مشركا بالروحاء وكان رأى خروجه صلى الله عليه وسلم خلف قريش فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلبهم وقد كانوا أرادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم خروجه فتمادوا الى مكة (قال) لما كان صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد لقيه معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم تحبه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله تعالى أعلى كعبك وأن المصيبة كانت لغيرك ثم مضى معبد حتى كان بالروحاء فلما رأى أبو سفيان معبدا قال هذا معبد وعنده الخبر ما وراءك يا معبد فقال تركت محمدا وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالامس من الاوس والخزرج وتعاهدوا على ان لا يرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا أي يأخذوا ثأرهم منكم وغضبوا لقومهم غضبا شديدا وندموا على ما فعلوا فيهم من الحنق شئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل فقال والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فاني انهاك عن ذلك فانصرفوا سراعا اه أي وعند انصرافهم أرسل أبو سفيان مع نفر يريدون المدينة ان يخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بانهم اجمعوا على الرجعة فلما بلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح الآية وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب اي وارسل معبد الخزاعي رجلا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصراف ابي سفيان ومن معه خائفين فانصرف الى المدينة وظفر صلى الله عليه وسلم في حمراء الاسد بابي عزة الشاعر الذي منّ عليه وقد أسر يوم بدر من غير فداء لاجل بناته وأخذ عليه عهدا أن لا يقاتله ولا يكثر عليه جمعا ولا يظاهر عليه أحدا كما تقدم فنقض العهد وخرج مع قريش لاحد وصار

عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة الاسلمي وقيل الزبير وقيل سعيد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد والظاهر انهم اشتركوا في قتله جمعا بين الاقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فامنها فاسلمت وأما عكرمة بن أبي جهل فانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان من أشد الناس اذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدر دمه هرب ليلقي نفسه في البحر أو يموت تائها في البلاد وكانت امرأته ام حكيم رضي الله عنها بنت عمه الحرث بن هشام رضي الله عنه أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو داود والنسائي ان عكرمة ركب البحر أي حين هرب فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى فقال أهل السفينة أخلصوا ان آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة والله لئن لم ينج من البحر الا الاخلاص لا ينجي في البر غيره اللهم لك عهد ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى اضع يدي في يده فلأجدنه عفوا غفورا كريما فجاء وأسلم اي بعد ان ذهبت اليه زوجته وجاءت به وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وروى البيهقي ان امرأته قالت يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف ان تقتله فأمنه فقال هو آمن فخرجت في طلبه فأدركته وقد ركب سفينة ونوتي يقول له أخلص أخلص قال ما أقول قال قل لا اله الا الله قال ما هربت الا من هذا وان هذا امر تعرفه العرب والعجم حتى النواتي ما الدين الا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال وغير الله قلبي وجاءت

ام حكيم تقول يا ابن عم جئتك من عند ابر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك انى قد استامنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معها وجعل يطلب جاءها فتابى وتقول انت كافر وانا مسلمة فقال ان امرا منعك منى لامر كبير فلما وافى مكة او المدينة قال صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة فلا تسبوا اباه فان سب الميت يؤذى الحى قال الزهرى وابن عقبة فلما رآه صلى الله عليه وسلم وثب قائما فرحا به ورمى عليه رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه زوجته ام حكيم بنت الحرث بن هشام رضى الله عنها وهى منتقبة فقال ان هذه اخبرتنى انك امنتنى فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فانت آمن فقال الام تدعو قال ادعو الى ان تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وكذا وكذا حتى عد خصال الاسلام قال ما دعوت الا الى خير وامر حسن جميل قد كنت فينا يا رسول الله قبل ان تدعونا وانت اصدقنا حديثا وابرنا ثم قال فانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال ثم ماذا قال تقول أشهد الله واشهد من حضرنى أنى مسلم مجاهد مهاجر فقال عكرمة ذلك رواه البيهقى وفى رواية قال عكرمة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطاطا راسه من الحياء فقال له يا عكرمة ما تسالنى شيئا اقدر عليه الا اعطيتكه قال استغفر لى كل عداوة عاديتكها فقال اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها او منطق تكلم به ورد صلى الله عليه وسلم زوجته له اى ابقاها على نكاحها الاول حيث اجتمعا فى الاسلام قبل تمام عدتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وروى ابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم راى فى منامه انه دخل الجنة وراى فيها عذقا فاعجبه فقال لمن هذا فقيل لابى جهل فشق عليه وقال لا يدخلها

يستنفر الناس ويحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم باشعاره كما تقدم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفلت فاسر ثم قيل ان المشركين لما نزلوا بحمراء الاسد تركوه نائما فاستمر حتى ارتفع النهار وكان الذى أخذه عاصم بن ثابت وما أسر أحد من المشركين غيره فى تلك الوقعة وقيل اسره جمير بن عبد الله (وفى النور) لا أستحضر أحدا فى الصحابة اسمه عمير بن عبد الله فلما جئ به اليه صلى الله عليه وسلم قال يا محمد أقلنى وامنن على ودعنى لبناتى وأعطيك عهدا ان لا اعود لمثل ما فعلت فقال صلى الله عليه وسلم لا والله لا تمسح عارضيك بمكة وفى لفظ تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفى لفظ سخرت محمدا مرتين اضرب عنقه يا زيد وفى لفظ يا عاصم بن ثابت وفى لفظ يا زبير وقال صلى الله عليه وسلم لا يلدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وفى لفظ لا يلسع المؤمن من جحر مرتين فضرب عنقه (وذكر) ان رأسه حمل الى المدينة مشهورة على رمح قال بعضهم وهو اول رأس حمل فى الاسلام أى ولا ينافيه ما قيل ان اول راس حمل فى الاسلام رأس كعب بن الاشرف كما سيأتى فى السرايا لامكان ان يراد أن رأس ابى عزة أول رأس حمل الى المدينة على رمح ولعل هذا لا ينافى ما حكاه بعضهم أن عمرو بن الجموح كان رابع الاربعة الذين دخلوا على سيدنا عثمان الدار وكان مع على كرم الله وجهه فى مشاهده فلما ولى معاوية رضى الله عنه فر هاربا الى العراق فنهشته حية فدخل غارا ومات فأخبر بذلك زياد والى العراق فأرسل من حز رأسه وأرسل به الى معاوية فكان اول رأس نقل فى الاسلام من بلد الى بلد (قال بعضهم) فى معنى هذا المثل اى لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغى للمرء ان يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم ومورده ان شخصا جرد سيفه وقصد النبى صلى الله عليه وسلم فضربه ليقتله فأخطأت الضربة فقال كنت مازحا يا محمد فعفا عنه ثم عاد لمثل ذلك مرة اخرى وقال مثل ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله وقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (وامر) صلى الله عليه وسلم فى ذلك المحل بقتل معاوية بن المغيرة ابن ابى العاص وهو جد عبد الملك بن مروان لامه وقد كان لجأ الى ابن عمه عثمان بن عفان رضى الله عنه اى فانه لما رجع الكفار من احد ذهب على وجهه ثم اتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم زوج عثمان من انت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال ارسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان فلما نظر اليه قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بى رحما منك فأجرنى فادخله عثمان رضى الله عنه منزله وصيره فى ناحية ثم خرج عثمان ليأخذ

له امانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان فأشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها بانه فى ذلك المكان فأخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضى الله عنه والذى بعثك بالحق ما جئت الا لآخذله أمانا فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم صلى الله عليه وسلم ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فاقام معاوية ثلاثا يستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى بها قريشا فلما كان فى اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فادركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فرمياه حتى قتلاه وقد كان صلى الله عليه وسلم بعثهما اليه وقال لهما انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا أى بموضع بينه وبين المدينة ثمانية أميال فوجداه به فقتلاه وقيل تبعه على كرم الله وجهه فقتله وكان صلى الله عليه وسلم بعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم للقوم بحمراء الاسد فقتلوهما فوجدهما صلى الله عليه وسلم قتيلين بحمراء الاسد فدفنهما فى قبر واحد ولا يأتى هنا الجواب المتقدم فى قتلى أحد وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بعد رجوعه الى المدينة بان الحرث بن سويد فى قباء فانهض اليه واقتص منه بمن قتله من المسلمين غدرا يوم أحد وهو المجذر وتقدم أنه بالذال المعجمة مشددة مفتوحة ابن ذياد وتقدم انه بكسر الذال المعجمة وفتحها وتخفيف المثناة تحت لان سويدا كان قد قتل ذيادا أبا المجذر فى الجاهلية فظفر المجذر بسويد والد الحرث فقتله فى أبيه وذلك قبل الاسلام وكان ذلك سببا لوقعة بعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحرث بن سويد وأسلم المجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحرث يطلب مجذرا يقتله بابيه فلم يقدر عليه كما تقدم فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحرث من خلفه فضرب عنقه قيل وقتل ايضا قيس بن زيد فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء فى وقت لم يكن يأتيهم فيه وهو شدة الحر فى يوم حار فخرج اليه الانصار من أهل قباء رضى الله عنهم ومنهم الحرث بن سويد وعليه ثوب مورس وفى لفظ فى ملحفة مورسة وفى لفظ فى ثوبين مضرجين وفى لفظ ممرضين فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمر ابن ساعدة بضرب عنقه أى فقال له قدم الحرث بن سويد الى باب المسجد واضرب عنقه وقيل أمر عثمان بن عفان بذلك فقدمه ليضرب عنقه فقال الحرث لم يا رسول الله فقال بقتلك المجذر بن ذياد وقيس بن زيد فما راجعه الحرث بكلمة فضرب عنقه قال وفى رواية

الانفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن ابى جهل مسلما فرح به واول ذلك العذق بعكرمة واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وانها قد تكون لغير من ترى له ولم يزل عكرمة رضى الله عنه مستقيم الحاله حتى استشهد فى الشام فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وقيل انما استشهد فى خلافة عمر رضى الله عنه وتفصيل ذلك ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه لما فرغ من قتال اهل الردة قوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وامر عليهم اباعبيدة رضى الله عنه ثم عزله وولى خالد بن الوليد رضى الله عنه وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن ابى جهل والحرث بن هشام وسهيل ابن عمرو رضى الله عنهم ووقفوا انفسهم للجهاد وانهم لا يرجعون فحضروا فتوح الشام بعد حروب كثيرة ثم توفى ابو بكر رضى الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فولى اباعبيدة رضى الله عنه على الجنود وابقى خالد بن الوليد رضى الله عنه اميرا من الامراء تحت امر ابى عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التى حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة فاقتتلوا مع المسلمين قتالا شديدا ولم يكن احد فى يوم حمص اشد قتالا واكثر باسا من عكرمة ابن ابى جهل حتى كان يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم انا كنت اقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وانا اقاتل فى طاعة الملك العلام وانى ارى الحور العين يتشوقن الى ولو بدت واحدة منهن لاهل الدنيا الاغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم ولم يزددا الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده حربة عظيمة تضىء وتلهب

ان الحرث قال والله قتلته أى المجذر وما كان قتلى اياه رجوعا عن الاسلام ولا ارتيابا فيه ولكن حمية من الشيطان وانى أتوب الى الله ورسوله مما عملت وأخرج ديته واصوم شهرين متتابعين واعتق رقبة فلم يقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك انتهى ولم يذكر قتل قيس بن زيد واعلها كتفى بذلك فى قتله الحرث و يعلم استحقاقه القتل بقتل قيس بن زيد بطريق اولى أى وكان فى هذه السنة الثالثة مولد الحسن بن على رضى الله عنهما وسماه حربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن اى لانه صلى الله عليه وسلم لما جاء قال ارونى ابنى ما سميتموه قال على حربا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم هو حسن وحنكه صلى الله عليه وسلم بتمر وكان فى هذه السنة تحريم الخمر وقيل كان تحريمها فى السنة الرابعة وهو محاصر بنى النضير وقيل كان تحريمها بين الحديبية وخيبر وقيل كان بخيبر قال صلى الله عليه وسلم الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة وفى رواية الكرمة والنخلة وفى رواية الكرم والنخل كذا فى مسلم ولعل ذكر الكرم كان قبل النهى عنه والا ففى مسلم لا يقولن احدكم للعنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم وفى رواية فان الكرم قلب المؤمن اوقيل ذلك بيانا للجواز اشارة الى ان النهى للتنزيه وقد حرمت الخمر ثلاث مرات الاولى فى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر اى القمار قل فيهما اثم كبير فانه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون القمار فسألوه عن ذلك فنزلت الآية الثانية ان بعض الصحابة صلى باصحابه صلاة المغرب وهو سكران فخلط فى القراءة فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ثم انزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فكف الناس عن شربها وقد جاء ان حمزة رضى الله عنه لما شربها قال للنبى صلى الله عليه وسلم ومن معه هل انتم الا عبيد لابى اى ففى البخارى ان حمزة رضى الله عنه لما شرب الخمر خرج فوجد ناقتين لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه فعلاهما بالسيف وبقر خواصرهما ثم اخذ من اكبادهما وجب سناميهما قال على كرم الله وجهه فنظرت الى منظر افظعنى فاتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه زيد فانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة رضى الله عنه بصره وقال هل أنتم الا عبيد لابى فرجع النبى صلى الله عليه وسلم يقهقر حتى خرج وذلك قبل تحريم الخمر ولكون السكر كان مباحا لم يترتب على قول حمزة مقتضاه مع أن من قال لنبى

فهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه وخرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه الى الجنة رضى الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضى الله عنه وبكى بكاء شديدا ثم كرسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذى قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه الى النار ثم فتح الله عليهم حمص وكان جملة من قتل من الكفار فى ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلا رضى الله عنهم وفى الاحياء للامام الغزالى فى كتاب تلاوة القرآن كان عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى رضى الله عنه ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضى الله عنها وكانت خرجت مع زوجها الى الشام تزوجها خالد بن سعيد رضى الله عنه وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول لو اخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع تعنى الروم فقال خالد ان نفسى تحدثنى انى اصاب فى جوعهم قالت فدونك فدخل بها فى خيمته فلما أصبح الصبح الاول والروم قد اصطفت فخرج خالد رضى الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت ام حكيم رضى الله عنها عليها ثيابها واخذت عمود الخيمة التى دخل بها فيها خالد فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم وجاء ان عكرمة رضى الله عنه شكا الى النبى صلى الله عليه وسلم قولهم له عكرمة بن أبى جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات وفى رواية لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفى أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقد كان قبل اسلامه رضى الله عنه بارز رجلا من المسلمين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار ما أضحكك يارسول الله وقد فجعنا بصاحبنا قال أضحكنى أنهما فى درجة واحدة فى الجنة ومن ثم قتل

عكرمة رضى الله عنه شهيدا فى قتال الروم فى وقعة اليرموك كما تقدم وأما الحويرث بن نقيذ بنون وقاف مصغرا ابن وهب بن عبد ابن قصى فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان يعظم القول فيه صلى الله عليه وسلم وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة وكان العباس رضى الله عنه حمل فاطمة وام كلثوم رضى الله عنهما بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الارض وشارك هبار بن الاسود فى نخس جمل زينب رضى الله عنها لما هاجرت فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله على رضى الله عنه وذلك أنه سأل عنه وهو فى بيته قد أغلق عليه بابه فقيل هو فى البادية فتنحى على رضى الله عنه عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت الى آخر فتلقاه على رضى الله عنه فضرب عنقه وأما مقيس بن صبابة فانه كان اسلم ثم اتى على انصارى فقتله وكان الانصارى قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ فى غزوة ذى قرد ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الانصارى ثم ارتد ورجع الى قريش فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله غيلة ابن عبد الله الليثى وأما هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الاسدى فانه كان شديد الاذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت رضى الله عنها فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح فهرب واختفى ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قال جبير بن مطعم رضى الله عنه كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الاسود فقالوا يا رسول الله هبار بن الاسود فقال قد رأيته فأراد رجل القيام اليه فأشار اليه أن اجلس فوقف هبار فقال السلام

أنت عبدى او عبد أبى كفر واعترض القول بانها فى السنة الرابعة بان أنس بن مالك كان ساقيا لها فلما سمع المنادى بتحريمها أراقها وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه وانى لقائم اسقى أبا طلحة وفلانا وفلانا أى ابا ايوب وابا دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبى بن كعب وابا عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم اذ جاء رجل وقال هل بلغكم الخبر قالوا وماذاك قالوا حرمت الخمر قالوا اهرق هذه القلال يا انس فأهرقت وفى لفظ قال انس رضى الله عنه فقمت الى مهراس فضربتها بأسفله حتى تكسرت وفى مسلم عن ابى طارق رضى الله عنه انه قال يا رسول الله انما اصنعه اى الخمر للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء واراقة الخمر حينئذ مع انها كانت مباحة فهى محترمة تغليظ وتوكيد للتحريم وفطم للنفوس لان اراقتها لم تكن بامر منه صلى الله عليه وسلم وسئل الحافظ السيوطى رحمه الله عن حكمة رجوعه صلى الله عليه وسلم القهقرى فأجاب بانه لعله كان من خوف الوثوب عليه ارشادا لمن يخاف الوثوب او كان مقصوده صلى الله عليه وسلم مداومته لحظه أو ان الراوى أراد بالقهقرى مطلق الرجوع الى المنزل لا بالظهر وأنس رضى الله عنه لم يكن خادما للنبى صلى الله عليه وسلم حينئذ اى فى السنة الرابعة بل بعدها وحينئذ يكون القول بأن كونه فى الثالثة اشكل واشكل من هذا ما حكاه ابن هشام فى قصة الاعشى بن قيس انه خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فلما كان بمكة اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن امره فاخبره انه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له يا ابا نصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله ان ذلك لامر مالى فيه من ارب فقال انه يحرم الخمر فقال الاعشى اما هذه ان فى النفس منها العلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آتيه فاسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد الى النبى صلى الله عليه وسلم هذا كلامه لما علمت ان الخمر لم تحرم بمكة وانما حرمت بالمدينة فى السنة الثالثة او الرابعة واجاب بعضهم بان الاعشى اراد المدينة فاجتاز بمكة فعرض له بعض كفار قريش واعترض بانه قيل ان القائل له ذلك ابو جهل لعنه الله وكان فى دار عتبة بن ربيعه وابو جهل قتل ببدر فى السنة الثانية واجيب بانه على تسليم صحة ذلك بانه يجوز ان يكون ابو جهل لعنه الله قصد صد الاعشى عن الاسلام بطريق التقول والافتراء لانه كان يعرف ميل الاعشى الى الخمر وعدم صبره على تركها فاختلق هذا القول من عنده ليمنعه بذلك عن الاسلام (أقول) لما حرمت الخمر قال بعض القوم قتل قوم وهى فى بطونهم أى لان جماعة شربوها صبح يوم احد فقتلوا من يومهم

شهدا فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وكون أنس رضي الله عنه لم يكن خادما للنبي صلى الله عليه وسلم الا بعد السنة الرابعة يخالف ما سبق أن عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه ليخدمه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم ثم أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر وتقدم الجمع بين كون الآتي به أبا طلحة والآتي به أمه وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طلحة التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني حين أخرج الى خيبر فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يأمر أنسا بالخروج معه الى خيبر ظنا منه ان أمه لا تسمح له بذلك فلما قال لأبي طلحة ما ذكر جاء اليه بأنس رضي الله تعالى عنه والله أعلم

(غزوة بني النضير)

وهم قوم من اليهود بالمدينة وفي كلام بعضهم بنو النضير هؤلاء حي من يهود خيبر أي وقريتهم كان يقال لها زهرة كانت تلك الغزاة في ربيع الأول أي من السنة الرابعة وقيل كانت قبل وقعة أحد قال وبه قال البخاري قال ابن كثير والصواب ايرادها بعد أحد كما ذكر ذلك ابن اسحق وغيره من أئمة المغازي انتهى أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ لحرب بني النضير والسير اليهم واختلف في سبب ذلك فمن جملة ما قيل انه ذهب اليهم ليسألهم كيف الدية فيهم أي لانه كان بينهم وبين بني عامر قبيلة الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري عند رجوعه من بئر معونة غلطا حلف وعقد وقيل ذهب اليهم ليستعين بهم في دية الرجلين المذكورين أي وكان صلى الله عليه وسلم أخذ العهد على اليهود ان يعاونوه في الديات وقيل لأخذ دية الرجلين منهم لان بني النضير كانوا حلفاء لقوم الرجلين المذكورين وهم بنو عامر كذا في الاصل فليتأمل فان فيه أخذ الدية من حلفاء المقتول وسار اليهم صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه أي دون العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم فقالوا نعم يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان صلى الله عليه وسلم جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا

بعلمك يا نبي الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي وعما كان يبلغك عني فاني مقر بسوء فعلي معترف بذنبي فقال صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام والاسلام يجب ما قبله قال الزهري ان هبارا رضي الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكا ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فكفوا عنه وأما كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وصار يعير أخاه بجيرا حين أسلم وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيرا قال لكعب اثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب بأبرق العزاف وهو ماء لبني أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن به وسبب قول بجير لأخيه اثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل الخ ان أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم انه قد قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه ان قد مد سبب أي حبل من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فأول ذلك بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ان أدركوه أن يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بأنه قد ظهر أمره وتحققت نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

فبين انا ان كنت است بفاعل * على اى شئ غيرذلك دلكا على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولا تلفى عليه اخالكا
فان كنت لم تفعل فاست با سف * ولا قائل اما عثرت لعالكا سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا
وكان صلى الله عليه وسلم يسمى فى الجاهلية الامين والمأمون ثم ارسل كعب بالابيات الى اخيه بجير فلما اتت بجيرا كره
ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال صدق وانه لكذوب وانا المأمون ولما سمع قوله على خلق لم تلف اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم قال صلى الله عليه وسلم من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه بجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر اى اقبل مسرعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاء تائبا وان انت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض اى الى محل ينجيك وكتب له هذه الابيات
فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا وهى احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شئ دينه * ودين ابى سلمى على محرم
فلما بلغت الابيات كعبا وبلغه انه صلى الله عليه وسلم امر بقتله واراق دمه ضاقت عليه الارض وخاف على نفسه وارجف به اى خوفه من كان حاضرا عنده من مجيئه لرسول الله وقالوا له انك لمقتول فلما لم يجد بدا ومخلصا يلتجئ اليه الا الاسلام خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من فتح مكة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله

منه فقال أحد ساداتهم انا لذلك اى وهو عمرو بن جحاش وقال لهم سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه فلما صعد ذلك الرجل ليلقى الصخرة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اى مظهرا انه يقضى حاجته وترك اصحابه فى مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا فى طلبه صلى الله عليه وسلم لما استبطؤه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل اصحابه حتى انتهوا اليه فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ارادت بنو النضير وقد اشار الى ذلك الامام السبكى فى تائيته بقوله

وجاءك وحى بالذى اضمرت بنو النضير * وقد هموا بالقاء صخرة

اى وفى رواية لما راوا قلة اصحابه صلى الله عليه وسلم قالوا نقتله ونأخذ اصحابه اسارى الى مكة فنبيعهم من قريش اى ولا مانع من وجود الامرين وقيل السبب فى خروجه صلى الله عليه وسلم اليهم انهم أرسلوا اليه أن اخرج الينا فى ثلاثين من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فلما غدا عليهم فى ثلاثين من اصحابه قال بعضهم لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون كل يحب انه يموت قبله فأرسلوا اليه ان اخرج فى ثلاثة من اصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك اتبعناك ففعل واشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بنى النضير لاخ لها مسلم تعلمه بذلك فأعلم أخوها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فرجع ولا مانع من وجود ذلك مع ما تقدم لكن فى السيرة الشامية ان خبر ذلك بلغه قبل وصوله اليهم فرجع فبينما بنو النضير على ذلك اى على ارادة القاء الحجر والتهيؤ لالقائه اذ جاء جاء من اليهود من المدينة فقال لهم ماتريدون فذكروا له الامر فقال لهم أين محمد قالوا هذا محمد فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فاسقط فى أيديهم وقالوا قد اخبر بأمرنا فأرسل اليهم محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه ان اخرجوا من بلدى يعنى المدينة لان قريتهم من أعمالها فلا تساكنونى بها فقد هممتم بما هممتم به من الغدر اى واخبرهم بما هموا به من ظهور عمرو بن جحاش على ظهر البيت ليطرح الصخرة فسكتوا ولم يقولوا حرفا قال ويقول لكم قد اجلتكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذلك لا ينافى ما تقدم من ارادة قتله أيضا قيل وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم ايديهم فكف أيديهم عنكم ولا ينافى ذلك ما تقدم من نزولها فى حق دعثور فى غزوة

اذى امر بلجواز تكرار النزول فأرسلوا فى احضار الابل فأرسل اليهم المنافقون أن لاتخرجوا من دياركم ونحن معكم ان قوتلتم فلكم علينا النصر وان أخرجتم لن نتخلف عنكم خصوصا عبد الله بن ابى بن سلول لعنه الله فانه ارسل لهم لاتخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى الفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قال ابن ابى فأرسلوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لانخرج من ديارنا فاصنع مابدالك فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وقال حاربت يهود قال والمتولى أمر ذلك سيد بنى النضير حيى بن أخطب والد صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد نهاه أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم وقال له منتك نفسك والله ياحيى الباطل فان قول ابن ابى ليس بشئ وانما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك ألاترى انه أرسل الى كعب بن اسد القرظى سيد بنى قريظة ان تمدكم بنو قريظة فقال له لا ينقض رجل واحد منا العهد فأيس من بنى قريظة وأيضا قد وعد حلفاءه من بنى قينقاع مثل ماوعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم فى صياصيهم اى حصونهم وانتظروا ابن ابى فجلس فى بيته وسار اليهم محمد حتى نزلوا على حكمه فاذا كان ابن أبى لاينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضرب بسيوفنا مع الاوس فى حروبهم اى فانه اذا كان بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس فكيف يقبل قوله فقال حيى نأبى الا العداوة لمحمد والاقتاله قال سلام فهو والله جلاؤنا من ارضنا وذهاب اموالنا وشرفنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فأبى حيى الا المحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له بنو النضير أمرنا الامر لك تبع لن نخالفك فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكر اه فتهيأ الناس لحربهم فلما اجتمع الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وحمل رايته على بن ابى طالب كرم الله وجهه وسار بالناس حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة اى وفى كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم امر اصحابه رضى الله عنهم بالمسير الى بنى النضير فسار بهم اليهم فوجدهم ينوحون على كعب ابن الاشرف اى الآتى قتله فى السرايا قالوا يا محمد داعية اثر داعية وباكية اثر باكية ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر امرك فقال صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا من المدينة قالوا

عليه وسلم حين صلى الصبح ثم اشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فجاء حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعرفه فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاءك يستأمنك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال انا يارسول الله كعب بن زهير ثم تشهد فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم انشده قصيدته المعروفة التى اولها بانت سعاد فقلبى اليوم متبول الى ان قال فيها

تمشى الوشاة بجنبيها وقولهم
انك يا ابن ابى سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله
لا الهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا ابا لكم
فكل ماقدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول
انبئت ان رسول الله اوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى اعطاك نافلة ال
قرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لاتأخذنى بأقوال الوشاة ولم
اذنب وان كثرت فى الاقاويل

وقال فيها

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما اسلموا زولوا

الى آخر القصيدة قال ابن الانبارى انه لما وصل الى قوله

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضى الله الموت
عنه فى زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اعطانيه احدا فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فأخذها منهم وهى البردة التى عند السلاطين الى اليوم وكان الخلفاء يلبسونها فى الاعياد

الموت اهون من ذلك ثم تبادروا بالحرب هذا كلامه قال ولما جاء وقت العشاء رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فى عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرس واستعمل على العسكر على بن ابى طالب ويقال أبا بكر وبات المسلمون يحاصرونهم ويكبرون حتى أصبحوا ثم اذن بلال بالفجر فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس وأمر بلالا فضرب القبة وهى قبة من خشب عليها مسوح فدخل صلى الله عليه وسلم فيها وكان رجل من يهود يقال له غزول وكان أعسر راميا يبلغ نبله مالا يبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبة فأمر بها فحولت وفى ليلة من الليالى فقد على رضى الله تعالى عنه قرب العشاء فقال الناس يارسول الله مانرى عليا فقال دعوه اى اتركوه فانه فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس الرجل الذى يقال له غزول الذى وصل نبله قبته صلى الله عليه وسلم كمن له على حين خرج يطلب غرة من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفر من كان معه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على أبا دجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فأدركوا أولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول وفروا من على فقتلوهم انتهى وذكر بعضهم ان اولئك الجماعة كانوا عشرة وانهم أتوا برؤسهم فطرحت فى بعض الآبار وفى هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى ان عليا هو القاتل لأولئك العشرة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل اى وبحرقها بعد ان حاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما اى وقيل عشرين ليلة وقيل ثلاثا وعشرين ليلة وقيل خمسا وعشرين ليلة وكان سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى تلك المدة يحمل التمر للمسلمين اى يجاء به من عنده قال واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قطع النخل أبا ليلى المازنى وعبد الله بن سلام وكان ابو ليلى يقطع العجوة وعبد الله يقطع اللين اى ويقال له اللون وهو ماعدا العجوة والبرنى من أنواع التمر بالمدينة ومن انواع تمر المدينة الصيحانى وجاء عن على كرم الله تعالى وجهه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاحت نخلة بأخرى هذا النبى المصطفى وعلى المرتضى فقال صلى الله عليه وسلم ياعلى انما سمى نخل المدينة اى هذا النوع صيحانيا لانه صاح بفضلى وهو حديث مطعون فيه قيل انه كذب والبرن بالفارسية حمل مبارك او جيد وفى شرح مسلم للنووى انها مائة وعشرون نوعا اى وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى ان انواع التمر بالمدينة التى امكن جمعها بلغت مائة وبضعا وثلاثين نوعا ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها اكثر مما ذكره النووى قال ولعل مازاد على ماذكره حدث بعد ذلك اى واما

وقيل انها فقدت فى وقعة التتار وروى ابن اسحق انه لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وثب عليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعنى وعدو الله اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء تائبا نازعا اى مائلا منشئا قالى الاسلام كافا عن الشرك تاركاله فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وخص المهاجرين بمدحته فى قصيدته لانهم لم يتكلموا فيه الا بخير وعرض بذم الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم لولا ذكرت الانصار بخير فانهم اهل لذلك فقال بعد ذلك يمدح الانصار

من سره كرم الحياة فلا يزل
فى مقنب من صالحى الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر
ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة
كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم
للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم
بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا ابوه زهير واخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضى الله عنه وجاء عن سعيد بن المسيب ان كعبا لما قدم المدينة سأل عن ارق الصحابة رضى الله عنهم فدل على ابى بكر رضى الله عنه فاخبره بخبره فمشى ابو بكر وكعب على اثره حتى صار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يبايعك يارسول الله فمد يده فبايعه قال العلامة الزرقانى والجمع ممكن بانه لما قدم المدينة نزل على الجهنى فأخبره بأن ابا بكر ارق الصحابة واتى به اليه فسار اليه معا ثم تقدم الصديق وكعب على اثره فلما امن عرفه بنفسه والله اعلم * واما الحرث بن هشام المخزومى وهو اخو ابى جهل شقيقه فانه كان شديدا على النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكذا زهير بن ابى امية المخزومى اخو ام سلمة رضى الله عنها فانه كان شديدا فى كفره فأهدر دمهما صلى الله عليه وسلم يوم

الفتح فهربا واختبئا في بيت ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها فاجارتهما فأجاز صلى الله عليه وسلم جوارها ثم جاءت بهما فاسلما وحسن اسلامهما رضي الله عنهما وكون الذي اجارته مع الحرث بن هشام هو زهير بن ابي امية هو الصحيح وقيل الذي اجارته معه هو عبد الله بن ابي ربيعة وقيل هو هبيرة بن ابي وهب قال الحافظ ابن حجر وهذا ليس بشئ لان هبيرة هرب

أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازي ارسل الى عالم سجلماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فارسل اليه حملا او حملين من كل نوع تمرة واحدة وكتب اليه هذا ما تعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم رأيت في نشق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتوني وهو اخضر اللون واحلى من عسل النحل ونواه في غاية الصغر وكانت العجوة خير اموال بني النضير اي لانهم كانوا يقتاتونها وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذي احسن غذاء اي وتقدم ان آدم نزل بالعجوة من الجنة وفي البخاري من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه في ذلك اليوم سم ولا سحر اي وقد جاء في عجوة العالية شفاء وانها ترياق اول البكرة من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر اي وفي كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر اكبر من الصيحاني تضرب الى السواد وهو مما غرسه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالمدينة اي وقد علمت انها في نخل بني النضير وفي العرائس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهي سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا وروي عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق اول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فانه يسبح في شجره ويستغفر لآكله هذا كلام العرائس وفي حديث وفد عبد القيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك وذكر البرني أنه من خير تمركم وأنه دواء وليس بداء وجاء بيت لا تمر فيه جياع اهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل اي وذلك البعض الذي حرق كان بمحل يعرف بالبويرة اه اي والبويرة تصغير بورة وهي هنا الحفرة ويقال لها البولة باللام بدل الراء وعند ذلك نادوه اي يا محمد وفي رواية يا أبا القاسم قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها اي وفي رواية ما هذا الفساد وفي لفظ قالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح قطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الارض وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون وحينئذ وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شئ فانزل الله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين أي في قولهم ان ذلك من الفساد قال بعضهم جميع ما قطعوا وحرقوا ست نخلات ولا زال عبد الله بن أبي ابن سلول يبعث لبني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم

قاتلنا

عند الفتح الى نجران فلم يزل بها مشركا حتى مات وكانت ام هانئ رضي الله عنها تحت هبيرة بن ابي وهب المخزومي روى الامام احمد وغيره عن ام هانئ رضي الله عنها قالت لما كان يوم الفتح فر الي رجلان من احمائي من بني مخزوم فدخل علي علي رضي الله عنه فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال مرحبا واهلا بأم هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ والمشهور ان اسلام ام هانئ رضي الله عنها كان عام الفتح وقيل اسلمت قديما وكانت تكتم اسلامها وعن الحرث بن هشام رضي الله عنه قال لما اجارتني ام هانئ رضي الله عنها واجاز النبي صلى الله عليه وسلم جوارها صار لا يتعرض احد بعد ذلك وكنت اخشى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمر علي وانا جالس ولم يتعرض لي وكنت استحي ان يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذكر برؤيته اياي ما كنت افعله في كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضي الله عنه وكذا ابن ابنه ابو بكر بن عبد الرحمن وابنه عبد الملك

ابن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم واما سارة فهي مولاة لبني المطلب بن عبد مناف واغا اهدر صلى الله عليه وسلم دمها الانها كانت مغنية بمكة تغني بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي كان معها كتاب حاطب بن ابي بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل من قتل منهم يبدر تركوا الغناء فوصلها واوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقي اليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغني به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته واسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها واما صفوان بن امية بن خلف الجمحي فكان ايضا من اشد الناس عداوة واذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فأهدر دمه صلى الله عليه وسلم فاختفى واراد ان يذهب ويلقي نفسه بالبحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه وقال يا نبي الله ان صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك امنت الاحمر والاسود فقال ادرك ابن عمك فهو آمن فقال اعطني آية يعرف بها امانك فاني قد طلبت منه العود فقال لا اعود معك الا ان تأتيني بعلامة اعرفها فأعطاه صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد يركب البحر فقال له صفوان اعزب عني لا تكلمني فقال اي صفوان فداك ابي وامي جئتك من عند افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم واراه العمامة التي جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق فقال امهلني بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم انت بالخيار اربعة

قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم أي ومعه على ذلك جمع من قومه فانتظروا ذلك فخذلهم ولم يحصل لهم منه شيء اي وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحيي اين نصر ابن ابي الذي زعمت فيقول حيي ما اصنع هي ملحمة كتبت علينا ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حصارهم وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة اي آلة الحرب ففعل فاحتملوا النساء والصبيان وحملوا من اموالهم غير الحلقة ما استقلت به الابل وكانت ستمائة بعير فكان الرجل يهدم بيته عما استحسن من خشبة كبابه وكنجاف به اي اسكفته ۝ فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به اي وفي لفظ صاروا ينقضون العمد والسقوف وينزعون الخشب حتى الاوتاد وينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسدا وبغضا وفي رواية جعل المسلمون يهدمون ما يليهم من حصنهم ويهدم الآخرون ما يليهم قال وفي رواية انهم خرجوا مظهرين التجلد خرجت النساء على الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الاخضر والاحمر وحلي الذهب والفضة وخلفهم القيان بالدفوف والمزامير ومنهم سلمى ام وهب وقال ابن اسحق ام عمرو صاحبة عروة بن الورد الذي قيل فيه من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد أغار عروة على قومها فسباها ثم اتخذها حليلة له فجاءت منه بأولاد ثم ان بعض بني النضير اشتراها من عروة بعد ان سقاه الخمر ثم لما أفاق ندم ثم اتفق هو ومن اشتراها على أن تكون عند من تختاره فخيرها فاختارت من اشتراها وقيل ان قومها جاؤا اليه بفدائها فخيرها وكان لا يظن أن تختار عليه احدا فاختارت قومها فندم وعند مفارقتها له قالت له والله ما اعلم امرأة من العرب أرخت سترا على بعل مثلك اغض طرفا ولا أندى كفا ولا أغنى غناء وانك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف على ظهور الخيل ثقيل على متون الاعداء واحنى الاهل والجار وما كنت لاوثر عليك اهلي لولا اني كنت أسمع بنات عمك يقلن قالت أم عروة وفعلت أم عروة فاجد من ذلك الموت والله لا يجامع وجهي وجه احد من أهلك فاستوص ببنيك خيرا ثم تزوجت في بني النضير وشقوا سوق المدينة وصف لهم الناس فجعلوا يمرون قطارا في أثر قطار وان سلام بن ابي الحقيق رافع جلد جمل اي او ثور او حمار مملوء حليا وينادي باعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها وان كان تركنا النخل ففي خيبر النخل وحزن المنافقون لخروجهم اشد الحزن انتهى وهذا الحلي كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكة وغيرهم وكان يكون عند آل أبي الحقيق وسيأتي في غزوة خيبر انه صلى الله

عليه وسلم عبر عن هذا الحلي بالآنية والكنز وانه كان سبب القتل ولدى ابى الحقيق لما كتماه عنه صلى الله عليه وسلم فنهم من سار الى خيبر اى ومن جملة هؤلاء اكابرهم حيى بن أخطب وسلام ابن ابى الحقيق وكنانة بن ابي الربيع بن ابى الحقيق فلما نزلوا خيبر دان لهم اهلها ومنهم من سار الى الشام اى الى اذرعات وكان فيهم جماعة من ابناء الانصار لان المرأة من الانصار كان اذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها ان عاش لها ولد تهوده فلما أجليت بنو النضير قال آباء أولئك لا ندع ابناءنا وانزل الله تعالى لا اكراه فى الدين وهى مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الاسلام والا فاكراه الكفار الحربيين على الاسلام سائغ ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان اى وهما يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب قال أحدهما لصاحبه والله انك لتعلم انه رسول الله فما ننتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا فنزلا من الليل واسلما ه فأحرزوا أموالهما اى وجعل يامين لرجل من قيس جعلا اى وهو عشرة دنانير وقيل خمسة اوسق من تمر على قتل عمرو بن جحاش الذى اراد أن يلقى الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله غيلة اى بعد ان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني فسر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل فى أمر بنى النضير سورة الحشر ولذلك كان يسميها ابن عباس رضى الله عنهما سورة بنى النضير كما فى البخارى وفى كلام السبكى رحمه الله لم يختلفوا ان سورة الحشر نزلت فى بنى النضير وقد أشار لقصتهم صاحب الهمزية بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينـ * ـفق الا على السفيه الشقاء
ونهتهم وما انتهت عنه قوم * فابيد الامار والنهاء
أسلموهم لاول الحشر لا ميـ * ـعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء

اى وخدعهم قول المنافقين انهم يكونون معهم وينصرونهم على النبى صلى الله عليه وسلم وما يروج الشقاء الا على السفيه والمراد بالمنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومن كان معه على النفاق لانه كما تقدم لا زال يرسل لهم ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم ونهاهم عن موافقته سلام بن مشكم فلم ينتهوا أسلمهم أولئك المنافقون لاول الحشر وهو اى الحشر جلاؤهم وخروجهم من ديارهم فميعادهم لهم بأن ينصروهم على النبى صلى الله عليه وسلم غير صادق وكذا حلفهم لهم على ذلك غير صادق أيضا ذكر موسى بن عقبة انهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها فلذلك قال لاول الحشر

والحشر

اشهر ولما اراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى حرب هوازن استقرض منه اربعين ألف درهم وطلب منه دروعا كانت عنده فقال اغصبا يا محمد قال لا ولكن عارية مرجوعة او مضمونة ثم خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بحنين اعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ثم رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا مملوأ نعما وشاء فقال له صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه وفى رواية ان صفوان رضى الله عنه طاف مع النبى صلى الله عليه وسلم ليتصفح الغنائم اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فاعجبه وجعل ينظر اليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقبض صفوان ما فى الشعب وقال ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ما طابت نفس احد قط بمثل هذا الا نبى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وترك المدة التى كان طلبها وكان يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى صار أحب الخلق الى وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان وام ابنه معاوية رضى الله عنهم فانما أهدر دمها صلى الله عليه وسلم لانها مثلت بعمه حمزة رضى الله عنه يوم احد ولاكت قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت فى بيت أبى سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته صلى الله عليه وسلم بالابطح وقالت الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه لتمسنى رحمتك يا محمد انى امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت أنا هند بنت عتبة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ثم ارسلت اليه بهدية جديين مشويين وقديد مع جارية لها فقالت انها تعتذر اليك وتقول لك ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله

لكم في غنمكم وأكثر والدتها قالت هند فلقد رأينا من كثرتها مالم نره قبل وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وقالت كنت أرى في
النوم اني في الشمس أبدا قائمة والظل قريب مني لا اقدر عليه فلما دنا صلى الله عليه وسلم رأيت كاني دخلت الظل فكان ذلك هو
الدخول في الاسلام وجاء انها لما أسلمت عمدت الى صنم كان في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك

والحشر الجلاء وقيل المراد بالحشر ارض المحشر فانهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى
الحشر يعني أرض المحشر والحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فتحشر
الناس الى الموقف وقيل الحشر الثاني اجلاؤهم كان على يد سيدنا عمر رضي الله عنه اجلاهم
من خيبر الى تيماء واريحاء وسيأتي ذكره وسكن الرعب وهو خشية انتقامه صلى الله عليه
وسلم منهم قلوبهم وسكن الخراب بيوتهم وقد أخبر تلك البيوت بموت أهلها خروجهم
وجلاؤهم من ارضهم وأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب وهم بنو النضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم اى
في خذلانكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر
فلما كفر قال اني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ووجد صلى الله عليه وسلم من
الحلقة اى آلة السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا ولم يخمس ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى كما خمس اموال بني قينقاع قال وقد قال له عمر رضي الله
تعالى عنه يا رسول الله الا تخمس ما أصبت اى كما فعلت في بني قينقاع فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا اجعل شيأ جعله الله لي دون المؤمنين بقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله
من اهل القرى الآية كهيئة ما وقع فيه السهمان ٥ اى فكان اموال بني النضير
وعقارهم فيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وتقدم التنبيه على ذلك في غزوة بني
قينقاع وفسرت القرى بالصفراء ووادي القرى اى ثلث ذلك كما في الامتاع وينبع
وفسرت القرى ببني النضير وخيبر اى بثلاث حصون منها وهي الكتيبة والوطيح وسلالم
كما في الامتاع وفدك اى نصفها كما في الامتاع ذكره الرافعي في شرح مسند امامنا
الشافعي رضي الله تعالى عنه اقول قال بعضهم وهذا اول فيء حصل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ويرده ما تقدم في غزوة بني قينقاع الا ان يقال المراد اول فيء اختص به صلى الله
عليه وسلم ولم يقسمه قسمة الغنيمة على ما تقدم ثم دعا الانصار الاوس والخزرج فحمد الله
وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين من انزالهم في منازلهم
وايثارهم على أنفسهم باموالهم ثم قال لهم ان اخوانكم المهاجرين ليس لهم اموال فان
شئتم قسمت هذه الاموال اى التي افاء الله علي وخصني بها مع اموالكم بينكم جميعا وان
شئتم امسكتم اموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من
اموالنا ما شئت وفي رواية ان أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني

في غرور وروى البخاري ومسلم
عن عائشة رضي الله عنها قالت
قالت هند بنت عتبة يا رسول الله
ما كان على ظهر الارض أهل
خباء احب الي أن يذلوا من اهل
خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر
الارض اهل خباء احب الي ان
يعزوا من اهل خبائك قال النبي
صلى الله عليه وسلم وايضا والذي
نفسي بيده اى ستزيدين من ذلك
و يتمكن الايمان في قلبك فيزيد
حبك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ويقوى رجوعك عن بغضه
ثم قالت يا رسول الله ان ابا سفيان
رجل مسيك فهل علي حرج ان
اطعم من الذي له عيالنا قال لا اراه
الا بالمعروف وكان اسلامها بعد
اسلام زوجها فاقرهما صلى الله
عليه وسلم على النكاح الاول لان
الاسلام جمعهما في العدة بل قيل
ان بين اسلامها واسلام زوجها
ليلة واحدة وكانت هند امرأة
ذات انفة ورأي وعقل وجاء في
رواية انه صلى الله عليه وسلم لما
فرغ من بيعة الرجال بايع النساء
وفيهم هند بنت عتبة متنقبة خوفا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دنين من رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لهن بايعنني على ان لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن اولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن
وارجلكن ولا تعصينني في معروف فقالت هند لما قال ولا تسرقن قالت والله اني كنت اصيب من مال ابي سفيان الهنة بعد
الهنة وما كنت ادري اكان ذلك حلالا ام لا فقال ابو سفيان وكان حاضرا اما ما اصبت فيما مضى فأنت منه في حل عفا الله عنك

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يانبي الله ولما قال ولا تزنين قالت اوتزني يارسول الله الحرة ولما قال ولا تقتلن اولادكن قالت ربيناهم صغارا فقتلتهم كبارا وفي لفظ وهل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى على قفاه وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال ولا تاتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وارجلكن قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصينني في معروف قالت والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا انا نعصيك في معروف وحضرت هند قتال الروم يوم اليرموك مع أبي سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتي كن معها وتوفيت في خلافة عمر رضى الله عنه في اليوم الذي توفي فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضى الله عنهم وكان من جملة من أسلم وبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ابنها معاوية وأخوه يزيد ابنا أبي سفيان وقيل ان اسلام معاوية كان عام الحديبية وعن معاوية رضى الله عنه قال لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت ذلك لامي فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فاسلمت وأخفيت اسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكانه شعر باسلامي أخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح اظهرت اسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له بعد ان استشار في ذلك جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه امين وفي البخاري ان كريبا قال لابن عباس رضى الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم اردفه يوما خلفه فقال ما يليني منك قلت بطني قال اللهم املأه حلما وعلما وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال

النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى في منازلكم واموالكم اى الارض والنخل لانه لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شئ وكان الانصار اهل الارض والعقار اى النخل فآثروهم بمتاع من اشجارهم فمنهم من قبلها منيحة محضة ويكفونه العمل ومنهم من قبلها بشرط ان يعمل في الشجر والارض وله نصف الثمار ولم تطب نفسه ان يقبلها منيحة محضة لشرف نفوسهم وكراهتهم ان يكونوا كلا وان احببتم اعطيتم اى وخرجوا من دوركم اى واموالكم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يارسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا بل نحب ان تقسم ديارنا واموالنا على المهاجرين الذين تركوا ديارهم واموالهم وعشائرهم وخرجوا حبا لله ولرسوله ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ونادت الانصار رضينا وسلمنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار زاد في رواية وابناء ابناء الانصار وقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه جزاكم الله يامعشر الانصار خيرا اى وأنزل الله تعالى فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة اى ولو كان بهم فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بين المهاجرين اى وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يعم المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار الا رجلين كانا محتاجين اى وهما سهل بن حنيف وابو دجانة رضى الله عنهما وبعضهم ضم اليهما ثالثا وهو الحرث بن الصمة ونظر فيه بعضهم بانه قتل في بئر معونة واعطى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ سيف بن أبي الحقيق أحد سادات بني النضير وكان سيفا له ذكر عندهم وكان صلى الله عليه وسلم يزرع أرضهم التي تحت النخل فيدخر من ذلك قوت أهله سنة وما فضل يجعله في الكراع اى الخيل والسلاح عدة في سبيل الله تعالى أقول فيه تصريح بانه لم يقسم الارض ويحتمل ان المراد بقوله كان يزرع ارضهم التي تحت النخل اى بعض ارضهم ويدل له ما يأتي ولم اقف على كيفية زرعه صلى الله عليه وسلم للارض من مزارعة او غيرها وفي الخصائص الكبرى عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة اعطاه الله تعالى اياه وخصه بها فأعطى اكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وهذا السياق يدل على ان مراده بنخل بني النضير اموالهم كما تقدم في الروايات لاخصوص النخل ثم رأيت في عبارة بعضهم واكثر الروايات على ان اموال بني النضير اى من مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة له خصه الله تعالى بها لم

يخمسها

قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له فى البلاد وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية رضى الله عنه يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمرو رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضى الله عنه انت منى وانا منك لتزاحمنى على

يخمسها ولم يسهم منها لاحد واعطى منها ما اراد ووهب العقار للناس واعطى ابا بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وصهيبا واباسلمة بن عبد الاسد ضياعا معروفة من ضياع بنى النضير ولعل المراد بالضياع الاراضى ويدل لذلك ما فى البخارى اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ارضا من اراضى بنى النضير كان ذلك هو المراد بقول الامتاع وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها حبسا لنوائبه وكان صلى الله عليه وسلم ينفق على اهله منها وكانت صدقاته منها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون اعطى بعض اراض وابقى بعضها يزرع له صلى الله عليه وسلم ولما اعطى المهاجرين امرهم برد ما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم ذلك وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها وظنت ام ايمن ان ذلك ملك لها فامتنعت من رده اى لان ام انس كانت اعطته صلى الله عليه وسلم نخلات فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن ولم ينكر عليها ذلك تطييبا لقلبها لكونها حاضنته وصار يعطيها وهى تمتنع من رده الى ان اعطاها عشرة امثاله او قريبا من ذلك وذكره هذا فى بنى النضير يخالف ما فى مسلم ان ذلك كان عند فتح خيبر حيث ذكر انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال اهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التى كانوا منحوهم من ثمارهم وذكر قصة ام ايمن فليتأمل والله اعلم

(غزوة ذات الرقاع)

اى وتسمى غزوة الاعاجيب اى لما وقع فيها من الامور العجيبة وغزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى انمار عن ابن اسحق رحمه الله ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الاول وقال غيره شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة حين بلغه صلى الله عليه وسلم انهم جمعوا الجموع اى من غطفان لمحاربته فخرج صلى الله عليه وسلم فى اربعمائة من اصحابه رضى الله عنهم اى وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة ه اى واحتج البخارى رحمه الله على ان هذه الغزاة كانت بعد خيبر بما رواه عن ابى موسى رضى الله عنه مما يدل على ان اباموسى شهد غزاة ذات الرقاع وهو خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر بيننا بعير فنقبت اقدامنا فنقبت قدماى وسقطت اظفارى فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع واذا ثبت ان اباموسى شهد غزاة ذات الرقاع وثبت انه لم يجئ اليه صلى الله عليه وسلم من الحبشة الا بخيبر لزم ان تكون غزوة ذات الرقاع بعد خيبر الا ان يدعى تعدد غزوة ذات الرقاع مرتين وانها

باب الجنة كهاتين واشار باصبعه الوسطى والتى تليها وقال له النبى صلى الله عليه وسلم اذا ملكت فاحسن وفى رواية اذا ملكت من امر امتى شيأ فاتق الله واعدل وفى رواية يا معاوية انك ستلى امر امتى فارفق بها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشئ من شعره فقال عند موته كفنونى فى القميص وادرجونى فى الرداء وآزرونى بالازار واحشوا منخرى وشدقى من الشعر وخلوا بينى وبين ارحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم اقل عثرتى واغفر زلتى وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق باحد سواك ثم بكى حتى علا نحيبه وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثمانين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وكان ابيض جميلا وهو من الموصوفين بالحلم وولى الشام لعمر وعثمان رضى الله عنهما عشرين سنة وولى الخلافة سنة اربعين ومكث خليفة عشرين سنة الا ستة اشهر واما ما وقع بينه وبين على رضى الله عنه فذهب اهل

السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على احد منهما وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى واصهارى وانصارى فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين واما وحشى بن حرب فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه لكونه قتل عمه حمزة رضى الله عنه فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال فمكثت بالطائف فلما خرج وفد الطائف

كانت قبل خيبر و بعدها والتى وجدت فيها صلاة الخوف هى الثانية اى والسبب فى تسميتها ذات الرقاع ما تقدم عن ابى موسى رضى الله عنه وحيث كانت بعد خيبر يلزم ان تكون بعد الخندق لقول الحافظ ابن حجر رحمه الله صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت اى لانها لو كانت شرعت لصلاها صلى الله عليه وسلم ولم يؤخر الصلاة كما سيأتى وسيأتى الجواب عن ذلك وقد ذكرها الشمس الشامى رحمه الله تعالى بعد خيبر والاصل لم يذكر ما تقدم عن البخارى بل رواه بالمعنى فقال روينا فى صحيح البخارى من حديث ابى موسى رضى الله عنه انهم نقبت اقدامهم فلفوا عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع قال وجعله اى البخارى حديث ابى موسى هذا حجة على ان غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر لان اباموسى انما قدم فى خيبر ولا دلالة فيه على ذلك اى لانه يجوز ان يكون قول ابى موسى رضى الله عنه انهم نقبت اقدامهم يعنى الصحابة فيكون هذا مما رواه ابو موسى عمن شاهد الوقعة من الصحابة وفيه ان هذا لا يأتى مع قول البخارى عن ابى موسى فنقبت قدماى وسقطت اظفارى اذ هو صريح فى ان اباموسى رضى الله عنه حضرها والاصل تبع فى تقديمها على خيبر شيخه الدمياطى وتابعه ايضا فى روايته ما تقدم عن البخارى بالمعنى ونظر الدمياطى فى رواية ابى موسى اى التى فى البخارى التى رواها عنه بالمعنى بأنها لمخالفتها لما عليه اهل المغازى من تقديمها على خيبر قال الحافظ ابن حجر وادعى الدمياطى غلط الحديث الصحيح وان جميع اهل السير على خلافه والاعتماد على ما فى الصحيح اى من تأخيرها عن خيبر اولى لان اصحاب المغازى مختلفون فى زمانها قال والبخارى مع روايته عن ابى موسى الصريحة فى تأخر غزوة ذات الرقاع عن غزوة خيبر قدم غزوة ذات الرقاع على خيبر قال ولا ادرى هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازى انها كانت قبل خيبر او ان ذلك من الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين اى واحدة قبل خيبر والثانية بعدها كما قدمناه اى وقدمنا ان سبب التسمية فى الثانية ما ذكر عن ابى موسى رضى الله عنه واما فى الاولى فاحد الاسباب الآتية قال فى الامتاع وقد قال بعض من ارخ ان غزوة ذات الرقاع اكثر من مرة فواحدة كانت قبل الخندق واخرى بعدها اى وبعد خيبر ولما غزاها صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة اباذر الغفارى وقيل عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ابن عبد البر وعليه الاكثر اى وقد نظر فى الاول بان اباذر رضى الله عنه لما اسلم بمكة رجع الى بلاد قومه فلم يجئ حتى مضت بدر واحد والخندق (أقول) وهذا النظر بناء على انها كانت قبل

الخندق

ايسلم واضاقت على المذاهب فقلت الحق بالشام او باليمن او ببعض البلاد فوالله انى لفى ذلك من همى اذ قال لى رجل ويحك والله انه ما يقتل احدا يدخل فى دينه فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرعه الا وانا قائم على رأسه اشهد شهادة الحق فلما رآنى قال وحشى قلت نعم يارسول الله قال اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب وجهك عنى فكنت

اتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله ثم خرج وحشى مع من خرج لقتال اهل الردة فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التى قتل بها حمزة رضى الله عنه فكان يقول أرجو ان تكون هذه بتلك اى ان هذه تكفر تلك وممن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا ابى لهب فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمه العباس اين ابنا اخيك لا اراهما يعنى عتبة ومعتبا ابنى ابى لهب فقال العباس رضى الله عنه تنحيا فيمن تنحى من مشركى قريش قال ائتنى بهما فركبت اليهما فأتيته بهما فدعاهما للاسلام فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما ثم قام صلى الله عليه وسلم واخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى اتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى فى وجهه فقال له العباس رضى الله عنه اسرك الله يارسول الله انى ارى السرور فى وجهك قال انى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى فوهبهما لى وشهدا معه حنينا والطائف ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين وممن اختفى ايضا سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلما فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ليأخذ له امانا فقال صلى الله عليه وسلم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقى سهيل بن عمرو فلا يحد النظر اليه فلعمرى ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى

الخندق وأما على انها كانت بعد الخندق و بعد خيبر فلا يتأتى هذا النظر والله أعلم وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحدا ووجد نسوة فاخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم أتى جمعا فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف بعضهم بعضا أى خاف المسلمون أن تغير المشركون عليهم وهم غارون اى غافلون حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت أول صلاة للخوف صلاها قال وفى رواية كانت صلاة الظهر فصلاها صلى الله عليه وسلم باصحابه فهم بهم المشركون فقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه هى أحب اليهم من أبنائهم اى وهى صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف اه (أقول) سيأتى هذا كله بعينه فى غزوة الحديبية التى هى صلاة الخوف بعسفان ولا مانع من تعدد ذلك ويحتمل انه من الاشتباه على بعض الرواة والله اعلم وكان العدو فى غير جهة القبلة ففرقهم فرقتين فرقة وقفت فى وجه العدو وفرقة صلى بها ركعة ثم عند قيامه للثانية فارقته وأتمت بقية صلاتها ثم جاءت ووقفت فى وجه العدو وجاءت تلك الفرقة التى كانت فى وجه العدو واقتدت به فى ثانيته فصلى بها ركعة ثم قامت وهو فى جلوس التشهد واتمت بقية صلاتها ولحقته فى جلوس التشهد وسلم بها وهذه الكيفية فى ذات الرقاع رواها الشيخان ونزل بها القرآن وهو قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية اى وفى كلام بعضهم فصلى بهم النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين وبالاخرى اخريين وسيأتى ان هذه صلاته صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف فلم تشرع لاحد من الامم قبلنا وبصلاة شدة الخوف عند التحام القتال اى وفى هذه الغزوة نزل صلى الله عليه وسلم ليلا وكانت تلك الليلة ذات ريح وكان نزوله صلى الله عليه وسلم فى شعب استقبله فقال من رجل يكلؤنا اى يحفظنا هذه الليلة فقام عباد بن بشر رضى الله عنه وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن يا رسول الله نكلؤكم فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر انا اكفيك اول الليل وتكفينى آخره فنام عمار رضى الله عنه وقام عباد رضى الله عنه يصلى وكان زوج بعض النسوة التى اصابهن رسول الله صلى الله عليه غائبا فلما جاء اخبر الخبر فتتبع الجيش وحلف لا ينثنى حتى يصيب محمدا او يهريق فى اصحاب محمد دما فلما رأى سواد عباد قال هذا ربيئة القوم ففوق سهما فوضعه فيه فانتزعه عباد فرماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فقد أتيت فلما رأى ذلك

الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا صغيرا برا كبيرا ثم انه خرج الى حنين وهو على شركه ثم اسلم بالجعرانة رضى الله عنه وصار من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم حتى ان الله ثبت به اهل مكة يوم جاءهم خبر وفاته صلى الله عليه وسلم فكادوا ان يرتدوا فخطبهم خطبة مثل خطبة الصديق رضى الله عنه بالمدينة وقال فيها من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فثبتهم الله به رضى الله عنه واستشهد رضى الله عنه فى اليرموك وقيل توفى بالشام فى طاعون عمواس ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين بين ابى بكر واسيد ابن حضير رضى الله عنهما وهو متواضع مطأطئ رأسه على ناقته القصواء مردفا اسامة بن زيد رضى الله عنهما خلفه وهو صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وعن انس رضى الله عنه قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعا وفى رواية حتى ان رأسه ليكاد يمس رحله اى تواضعا لله لما رأى ما اكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح فى حال دخوله حتى جاء البيت فطاف به وفى شرح المواهب للعلامة الزرقانى ان طوافه صلى الله عليه وسلم انما كان بعد ان استقر فى خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فادنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وابو بكر رضى الله عنه يحادثه فمر ببنات أبى أحيحة بالبطحاء وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبى بكر رضى الله عنه واستنشده قول حسان الماضى * يلطمهن بالخمر النساء * الى ان انتهى الى الكعبة ومعه المسلمون فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل صلى الله عليه وسلم يشير اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال

يتظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا يستلم الحجر الاسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر
بقين من رمضان وهو حلال غير محرم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى
الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه
قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم
منها فيخر لوجهه وفى رواية لقفاه
وفى رواية فما اشار الى صنم منها
فى وجهه الا وقع لقفاه ولا اشار
لقفاه الا وقع لوجهه من غير ان
يمسه بما فى يده يقول جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا وفى رواية فأتى فى طوافه
على صنم الى جنب البيت من
جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان
اعظم الاصنام وكان فى يده صلى
الله عليه وسلم قوس فجعل يطعن
بها فى عينيه و يقول جاء الحق
الآية ثم امر به فكسر فقال الزبير
ابن العوام رضى الله عنه لابى
سفيان رضى الله عنه قد كسر هبل
اما انك قد كنت يوم احد فى غرور
حتى تزعم انه قد انعم فقال ابو
سفيان دع هذا عنك يا ابن العوام
لقد ارى لو كان مع اله محمد غيره
لكان غير ما كان وعن ابى سعيد
الخدرى رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الفتح هذا ما وعدنى ربى ثم قرأ اذا
جاء نصر الله والفتح وقد أشار
صاحب الهمزية الى ذلك فقال
واستجابت له بنصر وفتح
بعد ذا الخضراء والغبراء
توالت للمصطفى الآية الكبـ ـرى عليهم والغارة الشعواء فاذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء اى
ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه نزل عن راحلته روى ابن أبي شيبة عن عمر رضى الله عنه قال ما وجد لها مناخا فى المسجد
لراحلته صلى الله عليه وسلم حتى أنزل على أيدى الرجال فأخرجت الراحلة فانيخت بالوادى ثم انتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام

الرجل عمارا جلس علم أنه قد نذر به فهرب فقال عمار أى أخى ما منعك أن توقظنى له فى
اول سهم رمى به فقال كنت أقرأ فى سورة اى فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفى
لفظ جعل صلى الله عليه وسلم شخصين من اصحابه يقال لهما عباد بن بشر من الانصار
وعمار بن ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو فرمى أحدهما بسهم فاصابه ونزفه الدم
وهو يصلى ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصيبه
ولم يقطع صلاته اى وهو عباد بن بشر كما تقدم وقد قال عباد اعتذارا عن ايقاظ صاحبه
لولا انى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو
أتى على نفسى (أقول) وبهذه الواقعة استدل أئمتنا على ان النجاسة الحادثة من غير
السبيلين لا تنقض الوضوء لانه صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولم ينكره وأما كونه صلى مع
الدم فلعل ما اصاب ثوبه وبدنه منه قليل ولا ينافى ذلك ما تقدم فى الرواية قبل هذه فما غلبه
الدم اذ يجوز مع كونه كثيرا انه لم يصب ثوبه ولا بدنه الا القليل منه والله اعلم ويقال ان
رجلا من القوم اى وهو غورث بالغين المعجمة مكبرا على الاشهر وقيل غويرث بالتصغير
والمهملة ابن الحرث قال لهم الا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به أى
اجىء اليه على غفلة فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وسيفه فى حجره فقال يا محمد أرنى أنظر الى
سيفك هذا فأخذه من حجره فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله اى يخزيه ثم قال يا محمد ما
تخافنى قال لا بل يمنعنى الله تعالى منك ثم دفع السيف اليه صلى الله عليه وسلم فاخذه صلى
الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ قال تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول
الله قال اعاهدك على انى لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس واسلم هذا بعد وكانت له
صحبة وفى رواية جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه فى حجره فقال يا محمد انظر
الى سيفك هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ثم قال يا محمد اما تخافنى قال لا وما اخاف
منك قال وفى يدى السيف قال لا يمنعنى الله تعالى منك ثم غمد سيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرده عليه وهذه واقعة غير واقعة دعثور المتقدمة فى غزوة ذى امر فهما واقعتان
احداهما مع دعثور والثانية مع غورث فقول اصله والظاهر ان الخبرين واحد فيه نظر
ظاهر فليتأمل قال وفى رواية لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة
ادركته القائلة يوما بواد كثير العضاه اى الاشجار العظيمة التى لها شوك وتفرق الناس فى
العضاه اى الاشجار يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة

فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا فنزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به ثم جلس صلى الله عليه وسلم فى ناحية المسجد وأبو بكر رضى الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة رضى الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها صلى الله عليه وسلم هو وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الحجبى رضى الله عنهم وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين وفى رواية جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة وفى رواية ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذى استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وفى رواية ان دخوله ذلك كان ثانى يوم الفتح ثم وقف على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الاحكام منها لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعى واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذى محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون انى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم

اى ظليلة قال جابر رضى الله عنه تركناها للنبى صلى الله عليه وسلم فعلق صلى الله عليه وسلم سيفه فيها فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئنا اليه فوجدنا عنده أعرابيا جالسا فقال ان هذا قد اخترط سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا اى مسلولا فقال لى من يمنعك منى قلت الله قال ذلك ثلاث مرات ولم يعاقبه صلى الله عليه وسلم اهـ وهذه الرواية مع ما قبلها يقتضى سياقهما أنهما واقعتان لا واقعة واحدة ويبعد أن يكون ذلك الاعرابى هو غورث صاحب الواقعة الاولى فيكون تعدد منه هذا الفعل مرتين اى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وتقدم أن سبب نزولها ارادة القاء الحجر عليه من بعض أهل بنى النضير لعنهم الله وتقدم أنه لا مانع من تعدد النزول لتعدد الاسباب وفى الشفاء قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى اى وفيه ان هذا لا يحسن الا عند نزول آية والله يعصمك من الناس الا أن يقال هو صلى الله عليه وسلم علم من ذلك ان الله مانع له ممن يريده بسوء وان كان يجوز أن يمنعه من شخص دون آخر فليتأمل وانما لم يعاقب صلى الله عليه وسلم ذلك الاعرابى حرصا على استئلاف قلوب الكفار ليدخلوا فى الاسلام وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة وبعث صلى الله عليه وسلم جعال بن سراقة الى المدينة مبشرا بسلامته وسلامة المسلمين اى وكان رضى الله عنه من أهل الصفة وهو الذى تمثل به ابليس لعنه الله يوم أحد حين نادى ان محمدا قد قتل كما تقدم وابطأ جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فنخسه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ انه نخسه بمحجنه فانطلق متقدما بين يدى الركب وفى رواية فلقد رايتنى أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لا يسبقه اى وهو ينازعنى خطامه مع انى كنت ارجو ان يستاق معنا ثم قال له صلى الله عليه وسلم أتبيعنيه فابتاعه منه اى بأوقية وقيل بأربع أواق وقيل بخمس أواق وقيل بخمس دنانير وقيل بأربع دنانير بعد ان اعطاه فيه اولا درهما ثم زاده فقال له جابر رضى الله عنه تبيعنى يا رسول الله وفى رواية لا زال صلى الله عليه وسلم يزيده درهما درهما فيقول جابر أخذته بكذا والله يغفر لك يا رسول الله قال بعضهم كانه صلى الله عليه وسلم أراد باعطائه درهما درهما أن يكثر استغفاره له وقال له لك ظهره الى المدينة وفى رواية وشرط لى ظهره الى المدينة اى واستغفر لجابر رضى الله عنه فى تلك الليلة خمسا وعشرين مرة وقيل سبعين مرة فلما

وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أعطاه الثمن ووهب له الجمل اى وقيل ان هذه القصة اى ابطاء جمل جابر رضى الله عنه انما كانت فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقيل كانت فى رجوعه من غزوة تبوك اى والذى فى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فكنت على جمل ثقال انما هو فى آخر القوم فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت جابر بن عبد الله قال مالك قلت انى على جمل ثقال قال أمعك قضيب قلت نعم قال أعطنيه فضربه فزجره فكان من ذلك المكان من أول القوم قال بعنيه قلت بل هو لك يارسول الله قال بل بعنيه فقد أخذته بأربعة دنانير ولك ظهره الى المدينة فلما قدمت المدينة قال يا بلال اقضه وزده فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطا قال جابر رضى الله عنه وأعطانى الجمل وسهمى مع القوم وفى لفظ عن جابر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فدخلت اليه فعلقت الجمل فى ناحية البلاط فقلت يارسول الله هذا جملك فخرج صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف بالجمل قال الثمن والجمل لك وفى لفظ انما باعه له بأوقية اى ذهب وأنه استثنى حملانه الى اهله فلما قدم المدينة وانقده الثمن وانصرف ارسل على اثره وقال له ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك وعن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اشتراه بطريق تبوك بأربع اواق وفى لفظ بعشرين دينارا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها فان التعدد بعدد ها بعيد قيل وسميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت فى ذلك المحل يقال لها ذات الرقاع اولانهم رقعوا راياتهم اولانهم لفوا على اقدامهم الخرق لما حصل لهم الحفاء كما تقدم اولان الصلاة رقعت فيها اولان الجبل الذى نزلوا به كانت ارضه ذات الوان تشبه الرقاع فيه بقع حمر وسود وبيض واستغربه الحافظ ابن حجر قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل انها سميت بالمجموع قال وفى هذه الغزوة جاءته صلى الله عليه وسلم امرأة بدوية بابن لها فقالت يارسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ففتح فاه فبزق فيه وقال اخسأ عدو الله انا رسول الله ثم قال صلى الله عليه وسلم شأنك بابنك لن يعود اليه شئ مما كان يصيبه اى فكان كذلك وفيها ايضا جاء رجل بفرخ طائر فأقبل احد ابويه حتى طرح نفسه بين يدى الذى اخذ فرخه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه وفيها ايضا جىء له صلى الله عليه وسلم بثلاث بيضات من بيض النعام فقال لجابر دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات قال جابر رضى الله عنه فعملتهن ثم جئت بهن

الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء اى الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام ومما ذكره فى تلك الخطبة قوله ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها القتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان الله قد إذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم وانما احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يامعشر قريش ماترون انى فاعل فيكم الى آخر ماتقدم وقد اختلفت الروايات فى كيفية احضار مفتاح الكعبة له حين اراد الدخول والصحيح انه دعا عثمان بن طلحة وقال ائتنى بالمفتاح وتقدم انه اسلم فى مدة صلح الحديبية وهاجر هو وخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهم فذهب عثمان الى امه سلافة بنت سعيد الانصارية الاوسية وقد اسلمت بعد ذلك رضى الله عنها فلما جاءها ليأخذ منها المفتاح ابت ان تعطيه فقال يا امه ادفعى لى المفتاح فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت ان تعطيه وقالت لا واللات والعزى فقال لها لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كان فيه والله لتعطنه وانك ان لم تفعلى قتلت أنا وأخى وأنت قتلتينا ووالله لتدفعنه أو ليأتين غيرى فيأخذه منك فادخلته فى حجزتها وقالت اى رجل يدخل يده هنا قال الزهرى وأبطأ عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينتظر حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق و يقول مايحبسه وفى رواية فجعلت فى تقول ان أخذه منكم لا يعطيكموه فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار وعمر رافع صوته وهو يقول ياعثمان اخرج فقالت يابنى خذ المفتاح فان تأخذه أحب الى من أن يأخذه تيم وعدى اى أبو بكر وعمر فاخذه عثمان

فى قصعة فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون من ذلك
البيض بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته اى الى الشبع والبيض فى القصعة كما هو وفيها
ايضا جاء جمل يرفل اى حتى وقف عنده صلى الله عليه وسلم وارغا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتدرون ما قال هذا الجمل هذا جمل يستعدينى على سيده يزعم أنه كان يحرث
عليه منذ سنين وانه اراد أن ينحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به قال جابر رضى الله عنه
فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه قال جابر فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئته
به فكلمه صلى الله عليه وسلم فى شأن الجمل اه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن
النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى النبى صلى الله
عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فسكن ثم قال من رب
هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لى يا رسول الله فقال ألا تتقى الله عز وجل فى هذه
البهيمة التى ملكك الله فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه وفى رواية كنا جلوسا مع النبى
صلى الله عليه وسلم اذا بعير اقبل حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغا
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ايها البعير اسكن فان تك صادقا فلك صدقك وان تك
كاذبا فعليك كذبك ان الله تعالى قد امن عائذنا وان يخيب لائذنا فقلنا يا رسول الله
ما يقول هذا البعير قال يريد اهله نحره وا كل لحمه فهرب منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن
كذلك اذ أقبل اصحابه يتعادون فلما نظر اليهم البعير عاد الى هامة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلاذ بها فقالوا يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة ايام فلم نجده الا بين يديك فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه يشكو فقالوا يا رسول الله ما يقول قال يقول انه
ربى فيكم سنين وكنتم تحملون عليه فى الصيف الى موضع الكلا فاذا كان الشتاء حملتم
عليه الى موضع الدفا فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله به ابلا سائمة فلما ادركته هذه
السنة الجدبة هممتم بنحره واكل لحمه فقالوا والله يا رسول الله قد كان ذلك فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه فقالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انا لا نبيعه ولا ننحره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم قد استغاث بكم
فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم لان الله قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى
قلوب المؤمنين فاشتراه صلى الله عليه وسلم منهم بمائة درهم وقال أيها البعير انطلق حيث
شئت فرغا البعير على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له آمين ثم رغا الثانية فقال له
آمين ثم رغا الثالثة فقال له آمين ثم رغا الرابعة فبكى النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول

فخرج يمشى حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح فحنى عليه وتناوله وفى رواية
فاستقبله صلى الله عليه وسلم ببشر ففتح له عثمان الباب وفى رواية فاخذه صلى الله عليه وسلم منه وفتح الكعبة فيحتمل انهما تشاركا
فى الفتح فقد روى الفاكهى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كانت بنو ابى طلحة يزعمون انه لا يستطيع احد فتح
الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتح
بيده قال العلامة الزرقانى ويحتمل
الجمع بانه صلى الله عليه وسلم لما
فتح الضبة بالمفتاح عاونه عثمان
فدفع الباب ففتحه له اى فصح
اسناد الفتح لكل منهما وجاء ان
خالد بن الوليد كان حين دخل
النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة
على باب الكعبة يذب الناس ولما
خرج صلى الله عليه وسلم من
الكعبة جلس فى المسجد ومفتاح
الكعبة فى يده فقام اليه على رضى
الله عنه فقال يا رسول الله اجمع لنا
الحجابة مع السقاية صلى الله عليك
وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
ما معناه انما أعطيكم ما تبذلون
فيه أموالكم للناس اى وهو
السقاية لا ما تأخذون فيه من
الناس أموالهم وهى الحجابة
لشرفكم وعلو مقامكم وفى رواية
ان العباس رضى الله عنه تطاول
يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال
من بنى هاشم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أين عثمان
ابن طلحة فدعى به فقال هاك
مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر
ووفاء وانزل الله هذه الآية فى
شأن عثمان بن طلحة ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وروى الازرقى وغيره عن مجاهد قال نزلت هذه الآية فى عثمان
ابن طلحة اخذ عليه الصلاة والسلام منه مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان فدفع المفتاح اليه وقال
خذوها اى الحجابة يا بنى ابى طلحة لا ينزعها منكم الا ظالم قال وقال عمر رضى الله عنه خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو

الله ما يقول هذا البعير فقال قال جزاك الله خيرا أيها النبي عن الاسلام والقرآن قلت آمين قال سكن الله رعب أمتك كما سكنت قلبي قلت آمين قال حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمي قلت آمين قال لا جعل الله بأسهم بينهم شديدا فبكيت لاني سألت ربي فيها اى في هذه الرابعة فمنعني اعطاءها وقوله صلى الله عليه وسلم للجمل اذهب كيف شئت لا يناسب ما عليه أئمتنا من عدم جواز ارسال الدواب تقربا الى الله تعالى لانه في معنى سوائب الجاهلية الا أن يقال المراد بقوله صلى الله عليه وسلم له اذهب كيف شئت أى أنت آمن في سائر أحوالك مما شكوت منه ورأيت في كلام ابن الجوزي رحمه الله ما يؤيد ذلك وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمه سمة نعم الصدقة ثم بعث به وعليه لا اشكال والى قصة الجمل أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

ورب بعير قد شكا لك حاله ✱ فاذهبت عنه كل كل وثقلة

وفي هذه أعني السنة الرابعة تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة هند رضي الله عنها بعد موت أبي سلمة بن عبد الاسد رضي الله عنه وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال تزوجها سنة اثنتين ليس بشئ قيل وفيها شرع التيمم

✱(غزوة بدر الآخرة)✱

ويقال لها بدر الموعد اى لموعد ابي سفيان رضي الله عنه حيث قال حين منصرفه من احد موعد ما بيننا وبينكم بدر اى موسمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قل نعم ان شاء الله تعالى كما تقدم لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع اقام بقية جمادى الاولى الى آخر رجب ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان وعليه اقتصر الاصل وقيل خرج في شوال وقيل في مستهل ذي القعدة كل ذلك في سنة اربع ومن الوهم قول موسى بن عقبة رحمه الله انها كانت في شعبان سنة ثلاث لما علمت انها بعد احد واحد كانت في شوال سنة ثلاث والحافظ الدمياطي قدم هذه الغزوة على غزوة ذات الرقاع وتبعه الشمس الشامي وصاحب الامتاع وكان وصوله صلى الله عليه وسلم الى بدر هلال ذي القعدة وهذا لا يناسب الا القول بان خروجه صلى الله عليه وسلم كان في شوال وكان ذلك موسما لبدر في كل سنة يحضره الناس ويقيمون به ثمانية ايام كما تقدمت الحوالة عليه وحين خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة استخلف عليها عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول رضي الله تعالى عنه وقيل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وخرج في ألف وخمسمائة من أصحابه وكان الخيل عشرة

افراس

هذه الآية ما سمعته يتلوها قبل ذلك قال السيوطي ظاهر هذا انها نزلت في جوف الكعبة وروى الازرقي عن ابن المسيب خذوها خالدة تالدة لا يظلمكموها الا كافر وفي رواية عند ابن ابي شيبة عن عبد الرحمن بن سابط انه صلى الله عليه وسلم دفع المفتاح الى عثمان فقال خذوها خالدة مخلدة اني لم ادفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم الا ظالم وروى ابن سعد وغيره عن عثمان بن طلحة رضي الله عنه قال لقيني صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فدعاني الى الاسلام فقلت يا محمد العجب لك حيث تطمع ان اتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث قال وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعني ما دامت قريش انت لا تقدر على ذلك فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ما قال اى لانه كان معروفا بينهم بالصدق والامانة قال عثمان فأردت الاسلام فاذا قومي يزبروني زبرا شديدا فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به ثم دفعه الي وقال خذوها يعني سدانة البيت خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت قلت بلى أشهد أنك رسول الله وفي تفسير الثعالبي بلا سند أن هذه الآية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي امره عليه

افراس وعند تهيئ المسلمين للخروج قدم نعيم بن مسعود الاشجعي أي وكان ذلك قبل اسلامه رضي الله تعالى عنه وأخبر قريشا ان المسلمين تهيؤا للخروج لقتالهم ببدر فكره أبو سفيان الخروج لذلك وجعل لنعيم ان رجع الى المدينة وخذل المسلمين عن الخروج لبدر عشرين بعيرا وفي لفظ عشرة من الابل وحمله على بعير أي وقال له أبو سفيان انه بدا لي أن لا أخرج وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة فلان يكون الخلف من قبلهم أحب الي من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة واعلمهم أني في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي من الابل كذا وكذا أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو فجاء نعيم الى سهيل بن عمرو فقال له يا أبا يزيد تضمن لي هذه الابل وأنطلق الى محمد وأثبطه قال نعم فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان أي وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية في الخروج واستبشر المنافقون أي واليهود وقالوا محمد لا يفلت من هذا الجمع فجاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمعا ما أرجف به المسلمون وقالا له يا رسول الله ان الله مظهر نبيه ومعز دينه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه فيرون ان هذا جبن فسر لوعدهم فوالله ان في ذلك لخيرة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم قال والذي نفسي بيده لاخرجن وان لم يخرج معي أحد فاذهب الله عنهم ما كانوا يجدون وحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وخرج المسلمون معهم بتجارات الى بدر فربحت الضعف ثم ان أبا سفيان قال لقريش لقد بعثنا نعيما ليخذل اصحاب محمد عن الخروج ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فان كان محمد لم يخرج وبلغه انا خرجنا فرجعنا لانه ان لم يخرج كان هذا لنا عليه وان خرج اظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فخرج ابو سفيان في قريش اي وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا الى مجنة اي بفتح الميم والجيم وتشديد النون وهو سوق معروف من ناحية مر الظهران وقيل الى عسفان ثم قال يا معشر قريش لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه الماء وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم لتشربوا السويق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده مدة الموسم التي هي ثمانية ايام اي فانه صلى الله عليه وسلم انتهى الى بدر هلال ذي القعدة كما تقدم وقام السوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة أي وصار المسلمون كلما ألوا عن قريش وقيل لهم

الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي رضي الله عنه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي رضي الله عنه لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه أسلم قبل الفتح وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وكذا قوله في أول الحديث فلوى علي يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فان ذلك كله منكر قال الزرقاني ولعله بفرض صحته وقع من ابن عمه شيبة لانه لم يكن أسلم بعد لكن بعده لا يخفى لانه لم يكن من هو أجل منه منع شئ ولا قول شئ يومئذ والروايات السابقة هي التي صحت بها الاحاديث وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب العبدري وطلحة أبو عثمان قتل كافرا يوم أحد ويقال لعثمان الحجبي ولآل بيته

في الحجبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة قال الحافظ ابن حجر ان أبا طلحة له ولدان عثمان وطلحة فابن عثمان شيبة وابن طلحة عثمان فلما مات عثمان بن طلحة بن ابي طلحة اخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة لان عثمان بن طلحة كان لا ولد له وبقي في اولاد شيبة وهم الشيبيون قال العلامة

قد جمعوا لكم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قيل لهم لما قربوا من بدر انها قد امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان يرعبونهم ويرهبونهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل فلما قدموا بدرا وجدوا اسواقها لا ينازعهم فيها احد فانزل الله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فالمراد بالناس الاول نعيم نزل منزلة الجماعة وعن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان القائلين ذلك كانوا اربعة ولا مانع ان يكون هؤلاء الاربعة من المنافقين اعلمهم الله وافقوا نعيما على ما قال حتى ان قائلهم قال للمسلمين انما اتيتم اهما اكلة رأس وان ذهبتم اليهم لا يرجع منكم احد وقيل القائلون ركب من عبد القيس كانوا قاصدين المدينة للميرة فجعل لهم أبو سفيان حمل ابعرتهم زبيبا ان هم خذلوا المسلمين وأرجفوهم ولا مانع من وجود ذلك كله هذا وقد نقل ابن عطية رحمه الله عن الجمهور ان هذه الآية الواقعة المذكورة انما كانت بحمراء الاسد عند انصرافه من أحد فليتأمل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أي وبلغ قريشا خروج المسلمين لبدر وكثرتهم وانهم كانوا أصحاب الموسم أي والمخبر لهم بذلك معبد بن أبي معبد الخزاعي فانه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا الى مكة وأخبرهم بذلك فقال صفوان بن أمية لابي سفيان قد والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا أنا أخلفناهم وانما خلفنا الضعف

(غزوة دومة الجندل)

بضم الدال ويجوز فتحها واقتصر الحافظ الدمياطي على الاول أي واما دومة بالفتح لا غير فموضع آخر ومن ثم قال الجوهري الصواب الضم وأخطأ المحدثون في الفتح سميت بدومي ابن اسمعيل عليه السلام لانه كان نزلها وهي بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال وهي اقرب بلاد الشام الى المدينة وبينها وبين المدينة خمس أو ست عشرة ليلة أي وهي بقرب تبوك بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون ان يدنوا من المدينة فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك فخرج في الف من المسلمين أي وذلك في أواخر السنة الرابعة وذكر بعضهم انها كانت في ربيع الاول من السنة الخامسة ويوافقه قول الحافظ الدمياطي انها كانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجرته صلى الله عليه وسلم أي واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة أي يقال له مذكور

الزرقاني وفي هذه الاخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن قال العلامة الشمس الحطاب المالكي المكي ولا التفات الى قول بعض المؤرخين ان عقبهم انقطع في خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضي الله عنه لا يشركهم مع الحجبة في الخزانة أحد لانها ولاية منه صلى الله عليه وسلم ومالك ولد بعد هشام بن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم في زمانهما وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة وكذا ذكر العلامة القلقشندي وعاش الى احدى وعشرين وثمانمائة ولا دلالة لزاعم انقراضهم في اخدام معاوية رضي الله عنه الكعبة عبيدا لان اخدامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم وكثيرا ما يقع في كلام المؤرخين كالازرقي والفاكهي ذكر الحجبة ثم الخدمة بما يدل على التغاير انتهى وقد تقدم الكلام على اسلام عثمان بن طلحة بن أبي طلحة في قصة اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم واما شيبة بن عثمان بن ابي طلحة فاسلم عام الفتح وكان رضي الله عنه يحدث عن سبب اسلامه فيقول ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما عليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم صار الى حرب هوازن قلت اسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان أصيب من محمد غرة فاكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها وفي لفظ اليوم ادرك ثاري من محمد اى لان اباه وعمه وجده من بني عمه قتلوا يوم احد قتلهم حمزة وعلي وغيرهم رضي الله عنهم قال وقلت لو لم يبق رضى من العرب والعجم أحد الا اتبع محمدا ما تبعته لا يزداد ذلك الامر عندي الا شدة فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته اصلت السيف ودنوت منه أريد الذي اريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الى شواظ

رضى الله تعالى عنه فلما دنا منهم جاءهم الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم و رعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق بها أحدا و بعث السرايا فرجعت ولم تلق منهم أحدا أى ورجعت كل سرية بإبل وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فأسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفى رجوعه وادع اى صالح عيينة بن حصن واسمه حذيفة الفزارى ان يرعى بمحل بينه و بين المدينة ستة وثلاثون ميلا اى لان ارضه كانت اجدبت ولما سمن حافره وخفه وانتقل الى ارضه غزا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة كما سيأتى وقيل له بئس ما جزيت به محمدا صلى الله عليه وسلم احللك ارضه حتى سمن حافرك وخفك وتفعل معه ذلك فقال هو حافرى وقيل له عيينة لانه اصابته لقوة فجحظت عيناه وسمى عيينة وعيينة هذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة كما سيأتى وكان يقال له الاحمق المطاع كان يتبعه عشرة آلاف قناة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن واساء الادب فصبر النبى صلى الله عليه وسلم على جفوته وقال فيه صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه وقيل ان ذلك انما قيل فى مخرمة بن نوفل أى ولا مانع من تعدد ذلك وقد ارتد عيينة بعد ذلك فى زمن الصديق رضى الله عنه فانه لحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به فلما هرب طليحة أسره خالد ابن الوليد رضى الله عنه وأرسل به الى الصديق فى وثاق فلما دخل المدينة صار أولاد المدينة ينخسونه بالحديد ويضربونه و يقولون اى عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك فيقول والله ما كنت آمنت فمن عليه الصديق فاسلم ولم يزل مظهرا للاسلام وفى سنة اربع نزلت آية الحجاب لازواجه صلى الله عليه وسلم وكان فيها قصر الصلاة وولادة الحسين رضى الله عنه ووقع انه لما ولد سماه على كرم الله وجهه حربا فلما جاء صلى الله عليه وسلم قال ارونى ابنى ما سميتموه قالوا حربا قال بل اسمه حسين اى كما فعل ذلك بالحسن كما مر فلما ولد الثالث جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه قال على كرم الله وجهه سميته حربا فقال بل هو محسن ثم قال صلى الله عليه وسلم انى سميتهم باسماء ولد هرون شبر وشبير ومشبر ومن المستظرف ما حكاه بعضهم قال وقع بين الحسن والحسين كلام فتهاجرا فلما كان بعد ذلك اقبل الحسن على الحسين وأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين أن الذى منعنى من ابتدائك بهذا انك احق بالفضل منى فكرهت ان

من نار كالبرق كاد يهلكنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه وفى رواية فلما هممت به حال بينى و بينه خندق من نار وسور من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك قال فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذى اريد فنادانى يا شيبة ادن منى فدنوت منه فمسح صدرى ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو فى الساعة صار أحب الى من سمعى و بصرى وأذهب الله ما كان فى ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفى والله أعلم انى احب ان اقيه بنفسى وكل شئ ولو كان ابى حيا ولقيته تلك الساعة لأوقعت السيف به فجعلت ألزمه فيمن لزمه أى ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد وقربت اليه بغلته فاستوى عليها قائما وجاء فى رواية عن شيبة ابن عثمان الحجبى رضى الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوالله انى لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قلت يا رسول الله انى لأرى خيلا بلقا قال يا شيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده على صدرى ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدرى الثالثة حتى ما أجد من خلق الله احب الى منه ولما انقضى القتال ورجع صلى الله عليه وسلم الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه ما دخل عليه غيرى حبا لرؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وسرورا به فقال يا شيبة الذى أراد الله خير مما اردت بنفسك ثم حدثنى بكل ما اضمرته فى نفسى مما لم اذكره لاحد قط فقلت انى اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله ثم قلت له استغفر لى فقال غفر الله لك وجاء ان بلالا رضى الله عنه امره النبى صلى الله عليه وسلم ان يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين وكان أبو سفيان وعتاب بن أسيد وفى رواية وخالد بن اسيد اخو عتاب

والحرث بن هشام وغيرهم جلوسا بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد أو خالد بن أسيد لقد اكرم الله اسيدا ان لا يكون يسمع هذا
فيسمع منه ما يغيظه وقال الحرث بن هشام أما والله لو اعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره وفى رواية انه قال اما
وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال بعض بنى سعيد بن العاص لقد اكرم الله سعيدا اقبل ان يرى هذا

انازعك ما أنت أحق به ورجم اليهوديين الزانيين وفرض الحج وقيل فرض فى الخامسة وقيل فى السادسة وقيل فى السابعة وقيل فى الثامنة وقيل فى التاسعة وقيل فى العاشرة قيل وفيها أى الرابعة شرع التيمم أى كما تقدم وقيل شرع فى الغزوة التى تلى هذه وهى غزوة بنى المصطلق وقيل كان فى غزوة اخرى أى وفى غيبته صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ماتت أم سعد بن عبادة وكان ابنها رضى الله عنه معه صلى الله عليه وسلم ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يارسول الله أتصدق عنها قال نعم قال اى الصدقة افضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد رضى الله عنهما

(غزوة بنى المصطلق)

ويقال انها غزوة المريسيع ويقال لها غزوة محارب وقيل محارب غيرها ويقال انها غزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة اى كما قيل بذلك كذلك فى غزوة ذات الرقاع كما تقدم وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة وجذيمة هو المصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياههم اى من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد وذلك الماء فى ناحية قديد وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحرث بن ضرار سيد بنى المصطلق رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك كما سيأتى جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم بريدة بالتصغير بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين فى آخره موحدة كما تقدم أى ليعلم علم ذلك قال واستأذن بريدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ما يتخلص به من شرهم اى وان كان خلاف الواقع فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى ورد عليهم ورأى جمعهم فقالوا له من الرجل قال رجل منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل فاسير فى قومى ومن اطاعنى فنكون يدا واحدة حتى نستأصلهم فقال له الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا قال بريدة أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومى فسروا بذلك منه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبر القوم انتهى فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اليهم فاسرعوا الخروج وكان فى شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة وقيل اربع كما فى البخارى نقلا عن ابن عقبة وعليه جرى الامام النووى فى الروضة قال الحافظ ابن حجر وكأنه سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمس من الهجرة فكتب سنة اربع لان الذى فى مغازى ابن عقبة من عدة طرق سنة خمس وقيل سنة ست وان عليه اكثر المحدثين وقادوا الخيل وهى

الاسود على ظهر الكعبة وقال الحكم بن أبي العاص والله ان هذا لحدث عظيم عبد بنى جمح يصيح على بنية أبى طلحة وقال أبو سفيان لا اقول شيأ لو تكلمت لاخبرت عنى هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمت الذى قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال اما انت يافلان فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا واما انت يافلان فقلت كذا فقال ابو سفيان اما انا يارسول الله فما قلت شيأ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحرث بن هشام وعتاب بن اسيد وخالد بن اسيد نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك وصار بعض من قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم ابو محذورة وكان من احسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به النبى صلى الله عليه وسلم فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبى
والله ايمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه ثلاثون
وامره ان يؤذن لاهل مكة وكان سنه ست عشرة سنة واولاده بعده كانوا يتوارثون الاذان بمكة ويروى ان جويرية بنت ابى جهل
قالت عند اذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الاحبة ابدا ولقد جاء لابى الذى جاء محمد من النبوة فردها ولم يرد

خلاف قومه ثم اسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها ❊ وممن جاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومى وقيل عبد الله بن السائب وقيل السائب بن عويم وقيل قيس بن السائب بن عويم وكان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم قال لما أسلمت أخذ عثمان وغيره يثنون على فقال صلى الله عليه وسلم لا تعلمونى به كان صاحبى وفى لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخى وشريكى كان لا يدارى ولا يمارى قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تتقبل منك أى لتوقفها على الاسلام وهى اليوم تتقبل منك أى لوجود الاسلام ❊ وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال نعم فضالة يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شئ كنت أذكر الله فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضى الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيأ احب الى منه وفى سيرة ابن هشام قال فضالة فرجعت الى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة رضى الله عنه يقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ❊ يأبى على الله والاسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله ❊ بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا ❊ والشرك يغشى وجهه الاظلام

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس فى المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضى الله عنه وجاء بأبيه عثمان ويكنى بأبى قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه وفى لفظ لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه تكرمة لابى بكر رضى الله عنه

ثلاثون فرسا عشرة للمهاجرين أى منها فرسان له صلى الله عليه وسلم اللزاز والظرب وعشرون للانصار رضى الله عنهم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة رضى الله عنهما وقيل أباذر الغفارى رضى الله عنه وقيل نميلة تصغير نملة بن عبد الله الليثى رضى الله عنه وخرج معه صلى الله عليه وسلم من نسائه عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما أى وخرج معه صلى الله عليه وسلم ناس كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزوة قط مثلها منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وزيد بن الصلت ليس لهم رغبة فى الجهاد وانما غرضهم أن يصيبوا من عرض الدنيا مع قرب المسافة وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ محلا نزل به فأتى برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين أهلك قال بالروحاء قال أين تريد قال اياك جئت لأومن بك وأشهد أن ما جئت به حق وأقاتل معك عدوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك للاسلام وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة لاول وقتها فكان بعد ذلك يصلى الصلاة لاول وقتها وأصاب صلى الله عليه وسلم عينا للمشركين كان وجهه الحرث ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فأبى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يضرب عنقه فضرب عنقه فلما بلغ الحرث مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه قتل عينه سئ بذلك ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنه جمع كثير ممن كان معه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المريسيع فضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم وكان معه فيها عائشة وام سلمة رضى الله تعالى عنهما فتهيأ المسلمون للقتال ودفع صلى الله عليه وسلم راية المهاجرين الى أبى بكر رضى الله عنه وقيل لعمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة رضى الله عنه أى وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يقول لهم قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم نفعل عمر ذلك فأبوا فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما افلت منهم انسان وقتل منهم عشرة واسر سائرهم الرجال والنساء والذرية واستاق ابلهم وشياههم فكانت الابل الفى بعير والشاء خمسة آلاف شاة واستعمل صلى الله عليه وسلم على ذلك مولاه شقران أى بضم الشين المعجمة واسمه صالح وكان رضى الله عنه حبشيا وكان السبى مائتى اهل بيت وفى كلام بعضهم كانوا اكثر من سبعمائة وكانت برة بنت

فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله هو أحق أن يمشى اليك من ان تمشى أنت اليه فأجلسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فاسلم ولم يعش لابى قحافة ابن ذكر الا أبو بكر رضى الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضى الله عنه باسلام أبيه وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام أبى طالب كان أقر لعينى من اسلامه يعنى أباه أبا قحافة وذلك ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينك وكان رأس ابى قحافة رضى الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب فقال صلى الله عليه وسلم غيروهما وجنبوه السواد وكانت أم ابى بكر بنت عم أبيه أسلمت قديما حين اسلم ابو بكر رضى الله عنه واخته ام فروة رضى الله عنها اسلمت ايضا وابناؤه وبناته قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة اسلم هو ووالداه واخته وجميع اولاده وبناته غير ابى بكر رضى الله عنه وبنوه ثلاثة عبد الله وهو اكبرهم مات اول خلافة أبيه وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضى الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة اسماء وهى اكبرهن وهى شقيقة عبد الله وعائشة وهى شقيقة عبد الرحمن وام كلثوم مات ابو بكر رضى الله عنه وهى فى بطن امها واخبر بانها انثى قبل وفاته وهى حمل فى بطن امها حيث قال لعائشة رضى الله عنها انما هما اخواك واختاك ولم تكن تعلم ان لها اختا غير اسماء رضى الله عنها فسألته عن ذلك فاشار الى الحمل المذكور وقال اراها انثى فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه وقد ذكر جملة من المفسرين الا ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم

الحرث الذى هو سيد بنى المصطلق فى السبى وقيل أغار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم غافلون فقتل مقاتلهم وسبى سبيهم أى وهذا القول هو الذى فى صحيح البخارى أى ومسلم والاول هو الذى فى السيرة الهشامية وجمع بانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لما اغار عليهم ثبتوا وصفوا للقتال ثم انهزموا ووقعت الغلبة عليهم اى وقتل منهم من قاتل ولم يستأسر وكان شعار المسلمين أى علامتهم التى يعرفون بها فى ظلمة الليل او عند الاختلاط يا منصور أمت تفاؤلا بان يحصل لهم النصر بعد موت عدوهم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة رضى الله عنه ثم فرق صلى الله عليه وسلم السبى فصار فى ايدى الناس اى وفى هذا دليل لقول امامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد يجوز استرقاق العرب لان بنى المصطلق عرب من خزاعة خلافا لقوله فى القديم انهم لا يسترقون لشرفهم وقد قال فى الام لولا انا نأثم بالتمنى لتمنينا ان يكون هكذا اى لا يجرى الرق على عربى وبعث صلى الله عليه وسلم ابا ثعلبة الطائى الى المدينة بشيرا من المريسيع اى وجمع صلى الله عليه وسلم المتاع الذى وجده فى رحالهم والسلاح والنعم والشاء وعدلت الجزور بعشرة من الغنم ووقعت برة بنت الحرث فى سهم ثابت بن قيس وابن عم له فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة فى حصته من برة وكاتبها اى على تسع أواق من ذهب فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له يارسول الله انى امرأة مسلمة اى اسلمت لانى اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وانى برة بنت الحرث سيد قومه اصابنا من الامر ما قد علمت ووقعت فى سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصنى ثابت من ابن عمه بنخلات فى المدينة وكاتبنى على ما لا طاقة لى به وانى رجوتك فأعنى فى مكاتبتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك قالت ما هو قال أؤدى عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم يارسول الله قد فعلت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت رضى الله عنه هى لك يارسول الله بأبى انت وامى فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان كاتبها عليه واعتقها وتزوجها اى وهى ابنة عشرين سنة وسماها جويرية اى وكان اسمها برة وكذلك ميمونة وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما برة فغيره صلى الله عليه وسلم وكذا كان اسم بنت ام سلمة برة فسماها زينب ويذكر ان عليا كرم الله وجهه هو الذى اسرها (أقول) ولا مانع ان يكون على كرم الله وجهه اسرها ثم وقعت فى سهم ثابت وابن عمه رضى الله عنهما عند القسمة لانه لم يثبت فى هذه الغزوة انه صلى الله عليه وسلم جعل الاسرى لمن اسرهم كما وقع فى بدر

الامايأتى من قول ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه و رغبنا فى الفداء وقد يقال رغبوا فى الفداء بعد القسمة والله اعلم قال وعن عائشة رضى الله عنها قالت كانت جويرية امرأة حلوة لا يكاد يراها احد الا اخذت بنفسه فبينما النبى صلى الله عليه وسلم عندى ونحن على الماء أى الذى هو المريسيع اذ دخلت جويرية تسأله فى كتابتها فوالله ماهو الا ان رأيتها فكرهت دخولها على النبى صلى الله عليه وسلم وعرفت انه سيرى منها مثل الذى رأيت فقالت يارسول الله انى امرأة مسلمة الحديث انتهى وانما كرهت ذلك لما جبلت عليه النساء من الغيرة ومن ثم جاء انه صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فارسل عائشة رضى الله تعالى عنها لتنظر اليها فلما رجعت اليه قالت مارأيت طائلا فقال بلى لقد رأيت خالا فى خدها فاقشعرت منه كل شعرة فى جسدك أى وفى لفظ آخر عن عائشة رضى الله عنها فما هو الا أن وقفت جويرية بباب الخباء تستعين رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتابتها فنظرت اليها فرأيت على وجهها ملاحة وحسنا فايقنت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رآها اعجبته علما منها بوقع الجمال منه صلى الله عليه وسلم فما هو الا ان كلمته صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم خير من ذلك انا أؤدى كتابتك وأتزوجك فقضى عنها كتابتها وتزوجها والملاح ابلغ من المليح والمليح مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه الملح بمقدار ما يصلحه قال الاصمعى رحمه الله الحسن فى العينين والجمال فى الانف والملاحة فى الفم وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذى هو المريسيع و يؤيده مايأتى عنها رضى الله تعالى عنها قال الشمس الشامى رحمه الله ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لجويرية حتى عرف من حسنها مادعاه لتزوجها الا انها كانت أمة مملوكة أى لانها مكاتبة ولو كانت غير مملوكة أى حرة ماملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها أو أنه صلى الله عليه وسلم نوى نكاحها او ان ذلك كان قبل آية الحجاب (أقول) تبع فى هذا السهيلى رحمه الله وقد قدمنا ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز نظر الاجنبية والخلوة بها الامنه صلى الله عليه وسلم من الفتنة فلا يحسن قوله ولو كانت حرة ماملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها * ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم حرمة نكاح الامة فلا يحسن قوله او انه نوى نكاحها او ان نزول آية الحجاب كان فى سنة ثلاث على الراجح ومذهب الشافعى رضى الله عنه حرمة نظر سائر بدن الامة الاجنبية كالحرة على الراجح عند الشافعية ومنهم الشمس الشامى فلا يحسن قوله لانها كانت أمة مملوكة والله أعلم روى الشيخان عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال غزونا مع

فى اصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون قال بعضهم لا يعرف فى الصحابة اربعة متناسلون اسلموا وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم وكل واحد ابو الذى بعده الافى بيت ابى بكر رضى الله عنه ابو قحافة وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ومن اثبت غير ذلك كزيد بن حارثة وابيه حارثة أى فانه أسلم ٣٦٧ وابنه اسامة بن زيد وابن اسامة فقد نوزع فى ثبوت ان ابن اسامة رآه النبى صلى الله عليه وسلم فاما ابو بكر رضى الله عنه واهل بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم وبقى من الاصنام التى كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة وكان من صفر وفى رواية من نحاس موتدا باوتاد من حديد الى الارض فامر النبى صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ان يرميه فرمى به وكسره وجعل اهل مكة يتعجبون وروى الحاكم عن على رضى الله عنه قال انطلق بى صلى الله عليه وسلم حتى اتى بى الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد على منكبى ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست ثم قال ياعلى اصعد على منكبى ففعلت فلما نهض بى خيل لى انى لو شئت نلت افق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى صلى الله عليه وسلم فقال ألق صنمهم الاكبر وعالجه قال فلم ازل اعالجه حتى استمكنت منه فالقيته وقد اجاد القائل

يارب بالقدم التى اوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة أى بحسب زعمهم وكانت تماثيل على صور شتى فامر بها فاخرجت وفى رواية

رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بنى المصطلق فسبينا كرائم العرب أى واقتسمناها وملكناها فطالت علينا العزبة ورغبنا فى الفداء فاردنا ان نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ذلك وفى لفظ فاصبنا سبايا وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة واحببنا الفداء واردنا ان نستمتع ونعزل وقلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فسألناه عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا عليكم ان لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة أى نفسا قدرها هى كائنة الى يوم القيامة الا ستكون وفى لفظ ما عليكم ان لا تفعلوا فان الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيامة وفى رواية لا عليكم ان لا تفعلوا ذلك فانما هو القدر وفى رواية ما من كل الماء يكون الولد واذا أراد الله خلق شئ لم يمنعه أى ما عليكم حرج فى عدم فعل العزل وهو الانزال فى الفرج لان العزل الانزال خارج الفرج فيجامع حتى اذا قارب الانزال نزع فأنزل خارج الفرج ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة أى عزلتم ام لا فلا فائدة فى عزلكم لان الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجيء الولد وقد ينزل فى الفرج ولا يجيء الولد وكون ذلك كان فى بنى المصطلق هو الصحيح خلافا لما نقل عن موسى بن عقبة رحمه الله تعالى ان ذلك كان فى غزوة أوطاس وقول أبى سعيد رضى الله عنه قد طالت علينا العزبة واشتهينا النساء أى لعل أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه ومن تكلم على لسانه كان فى المدينة أعزب والا فايام تلك الغزوة لم تطل فانها كانت ثمانية وعشرين يوما قال أبو سعيد رضى الله عنه فقدم علينا وفدهم أى بالمدينة ففى الامتاع وكانوا اقدموا المدينة ببعض السبى فقدم عليهم أهلوهم فافتدوا الذرية والنساء كل واحد بست فرائض ورجعوا الى بلادهم قال أبو سعيد رضى الله عنه وخرجت بجارية أبيعها فى السوق أى قبل أن يقدم وفدهم فى فدائهم فقال لى يهودى يا أبا سعيد تريد بيعها وفى بطنها منك سخلة هى فى الاصل ولد الغنم فقلت كلا انى كنت اعزل عنها فقال تلك الوأدة الصغرى أى المرة من الوأد وهو ان يدفن الرجل بنته حية فالموؤدة البنت تدفن فى القبر وهى حية كانت الجاهلية خصوصا كندة تفعل ذلك فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال كذبت يهود كذبت يهود زاد فى رواية لو أراد الله عز وجل أن يخلقه ما استطعت ان تصرفه وبهذا مع ما تقدم من نفى الحرج استدل أئمتنا رحمهم الله على جواز العزل مع الكراهة فى كل امرأة سرية او حرة فى كل حال سواء رضيت ام لا وقال جمع بحرمته قالوا لانه طريق الى قطع النسل وفى مسلم ما يوافق ما قالته يهود ففى مسلم سألوه صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفى

أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصورة وكان عمر رضى الله عنه هو الذى أخرجها وأخرج صورة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فى أيديهما الازلام التى كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط وفى رواية عن جابر رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام فلما دخل صلى الله عليه وسلم رآها فقال يا عمر ألم آمرك ان لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم فقال امحوا ما فيها من الصورة قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون وفى رواية اسامة بن زيد رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فرأى صورا فدعا بماء فجعل يمحوها وهو محمول على انه بقيت بقية خفيت على من محاها أولا وذكر بعضهم ان صورة عيسى وامه بقيتا او بقى بعض أثرهما حتى رآهما بعض من اسلم من نصارى غسان فقال انكما ببلاد عربية فلما هدم ابن الزبير رضى الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما اثر ثم نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره فكسروا الاصنام التى كانت فى بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضى الله عنها الى صنم كان فى بيتها وجعلت تضربه وتقول كنا منك فى غرور ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التى حول مكة اى لانهم كانوا اتخذوا الهم اصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها ويهدون لها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان فى كل حى صنم فنها العزى ومناة وسواع وسيأتى ذكر السرايا اليها ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل

فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسند اظهره الى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله واثنى عليه وقال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر و وضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة يعني من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على اهلها الا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد احلها لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل ان يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا ايديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي هذا فاهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الهذلي وكان مع بني بكر فلما دخل مكة وهو على شركه عرفته خزاعة فاحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعي بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراش والمشقص ما طال من النصل وعرض وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم

٤٧ حل في الى يوم القيامة اى لا تغزى على الكفر اى لا يقاتلوا على ان يسلموا واختلف العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة صلحا او عنوة فقال الاكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعي واحمد في رواية عنه انها فتحت صلحا وجمع بعضهم بين الروايات بان اعلاها فتح صلحا اى الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم واسفلها فتح عنوة اى الذي سلكه خالد بن الوليد

اى بمثابة دفن البنت حية الذي كان يفعله الجاهلية خوف الاملاق او خوف حصول العار الان يقال هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه بحل ذلك ثم نسخ فلا مخالفة ويدل لذلك ما في مسلم ايضا عن جابر رضي الله عنه كنا نعزل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل فلم ينهنا وفي رواية ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمنا وساقيتنا في النخل وانا اكره ان تحمل فقال صلى الله عليه وسلم اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتك انه سيأتيها ما قدر لها فقد ارشده صلى الله عليه وسلم الى العزل الذي لا يكون معه الولد غالبا واخبر بان ذلك لا يمنع وجود ما قدر لها من حصول الولد وعن عبد الله بن زياد رضي الله عنه قال افاء اى غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق جويرية بنت الحرث وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاقبل ابوها في فدائها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التي يفدي بها ابنته فرغب في بعيرين منها كانا من افضلها فعقبهما في شعب من شعاب العقيق ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اصبتم ابنتي وفي رواية قال يا رسول الله كريمة لا تسبى وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحرث اشهد انك رسول الله ما اطلع على ذلك الا الله واسلم ولعله دخل بالامان الى المدينة وفي رواية انه اسلم قبل ذلك واسلم معه ابنان وناس من قومه وعليه فيكون قوله فاسلم اى اظهر اسلامه وعند ذلك امره صلى الله عليه وسلم بان يخيرها فقال احسنت واجملت فقال لها ابوها يا بنية لا تفضحي قومك قالت اخترت الله ورسوله وفيه كيف يأمره صلى الله عليه وسلم بتخييرها بعد ان تزوجها كما تقدم ان مقتضى السياق انه تزوجها وهم على الماء ثم رأيت الامام ابا العباس بن تيمية انكر مجيء ابيها وتخييرها فليتأمل وفي الاستيعاب ان عبد الله بن الحرث اخا جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فداء اسارى بني المصطلق وغيب في الطريق ذودا وجارية سوداء فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الاسارى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فما جئت به قال ما جئت بشيء قال فاين الذود والجارية السوداء الذي غيبت في موضع كذا قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله والله ما كان معي احد ولا سبقني اليك احد فاسلم وفيه ما تقدم في ابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك الهجرة حتى تبلغ برك الغماد هذا كلامه والذود من الابل ما بين الثلاث الى العشر والمتبادر من

رضى الله عنه ولما قرب صلى الله عليه وسلم من دخول مكة اى قبل أن يدخلها بيوم قال له اسامة بن زيد رضى الله عنهما يا رسول الله اين تنزل غدا زاد فى رواية اتنزل فى دارك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفى رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور وكان عقيل ورث اباطالب هو واخوه طالب ولم يرث جعفر ولا على معهما شيأ الا نهما كانا مسلمين وترك لهما النبى صلى الله عليه وسلم ما يخصه تفضلا واستمالة وتألفا لهما وقيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصحح انكحتهم ثم ان عقيلا اسلم واما طالب ففقد يدر وكان مع المشركين وقيل اختطفته الجن وفى رواية للبخارى قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله مكة الخيف وفى رواية بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانما اختار صلى الله عليه وسلم النزول فى ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله على ما انعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرا غالبا على رغم من سعى فى اخراجه منها ومبالغة فى الصفح عن الذين اساؤا ومقابلتهم بالمن والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعن جابر رضى الله عنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله واثنى عليه ونظر الى موضع قبته اى التى ضربت له بعد وقال هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضى الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا مكة فى خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك ايضا صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فعن ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو

هذا السياق انه جاء بذلك الذود وتلك الجارية للفداء فمن له أن يسأل فى الفداء من غير شئ فغيب ذلك الذود وتلك الجارية طمعا فى أنه صلى الله عليه وسلم يحبسه لذلك لمكانة أخته عنده ويحتمل أن العبارة فيها اختصار وحينئذ يكون الاصل فى قوله صلى الله عليه وسلم فما جئت به المال الزائد على هذا الذى جئت به فيكون الذود والجارية بعض ما جاء به للفداء فقال ما جئت بشئ أى زائد على هذا الذى جئت به لانه يبعد أن يطلب الفداء من غير شئ فليتأمل وفى لفظ انه لما جاء أبوها فى فدائها دفعت اليه ابنته جويرية وأسلمت وحسن اسلامها فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم الى أبيها فزوجه اياها وأصدقها اربعمائة درهم وفى الامتاع يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق كل أسير من بنى المصطلق ويقال جعل صداقها عتق اربعين من قومها ولا يخفى ان مجئ أبيها فى فدائها وتزويجها للنبى صلى الله عليه وسلم يخالف السياق ما تقدم أنه تزوجها وهم على الماء ويحتاج للجمع بين ما ذكر وبين ما روى انه لما رأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية قالوا فى حق بنى المصطلق اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم منهم وعبارة الامتاع ولما تزوجها صلى الله عليه وسلم خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم ووطؤا نساءهم فقالوا اصهار النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بايديهم من ذلك السبى وعن جويرية رضى الله عنها قالت لما اعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر فحمدت الله سبحانه وتعالى أقول وذكر بعضهم أن ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم بها طلبتهم منه فوهبهم لها ويحتاج للجمع ويقال فى الجمع بين ما تقدم من فدائهم واطلاقهم من غير فداء بانه يجوز أن يكون الفداء وقع لبعضهم قبل عتق جويرية والتزوج بها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم أطلق بعضهم الآخر الباقى فالفداء وقع لبعضهم والاعتاق وقع لبعضهم الآخر فان السبى كان لاهل مائتى بيت ويؤيد ذلك قول بعضهم كان السبى منهم من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ومنهم من افتدى ويؤيد ذلك ما يأتى فى كلام عائشة رضى الله عنها ان الاعتاق كان لاهل مائة بيت اى فيكون الفداء لاهل مائة بيت والاطلاق فى الفداء لاهل المائة الاخرى ويكون مراد جويرية رضى الله عنها بقولها ما كلمته فى قومى اى فيمن بقى منهم ثم لا يخفى ان مجئ ابيها او اخيها ومجئ وفدهم لفدائهم يخالف لما تقدم من انه اسر سائرهم الرجال والنساء والذرية ولم يفلت منهم احد وبعد غياب هؤلاء خصوصا اباها

الذى

بمنى نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بذلك المحصب وبعد أن فتح الله مكة جاء صلى الله عليه وسلم الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء وقد احدقت به الانصار فقال بعضهم لبعض اما الرجل فقد ادركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته فنزل عليه الوحى بما ذكر القوم فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يا معشر الانصار قلتم اما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يارسول الله قال فما اسمى اذن ان فعلت ذلك كيف اسمى واوصف بانى عبد الله ورسوله كلا لا افعل ذلك انى عبد الله ورسوله اى من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن اى البخل بالله ورسوله أى لا نسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم اى يقبلان عذركم ويصدقانكم وفى رواية ان الانصار قالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وتقدم له صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة نظير ذلك وهو ان الانصار قالوا يارسول الله هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش اخذ من صفوان بن أمية قبل أن يسلم خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب ابن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها فى اصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه

الذى كان يجمع القوم فعليك ان تتنبه للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها والله اعلم ثم بعد ذلك اسلم بنو المصطلق وبعد بعام بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن ابى معيط لاخذ الصدقة اى وكان بينهم وبينه شحناء فى الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحا وسرورا بقدومه فتوهم انهم خرجوا لقتاله ففر راجعا واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ارتدوا فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم اى واكثر المسلمون ذكر غزوهم فعند ذلك قدم وفدهم واخبروا بأنهم خرجوا اليه ليكرموه ويؤدوا ما عليهم من الصدقة اى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم خالد بن الوليد فأخبروه الخبر وعند ارساله قال له صلى الله عليه وسلم ارمقهم عند الصلاة فان كان القوم تركوا الصلاة فشأنك بهم فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فاذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس فأذن ثم اقام الصلاة فصلوا المغرب ثم لما غاب الشفق اذن مؤذنهم ثم اقام الصلاة فصلوا العشاء ثم لما كان جوف الليل فاذا هم يتهجدون ثم عند طلوع الفجر اذن مؤذنهم واقام الصلاة فصلوا فلما انصرفوا واضاء النهار فاذا هم بنواصى الخيل فى ديارهم فقالوا ما هذا قيل خالد بن الوليد فقالوا يا خالد ما شأنك قال انتم والله شأنى اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له انكم تركتم الصلاة وكفرتم بالله فجثوا يبكون وقالوا معاذ الله وهذا الوليد بيننا وبينه شحناء فى الجاهلية وانما خرجنا بالسيوف خشية ان يكافئنا بالذى كان بيننا وبينه فرد الخيل عنهم ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الآيتين قال ابن عبد البر رحمه الله لا خلاف بين اهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت ان قوله ان جاءكم فاسق بنبأ نزلت فى الوليد بن عقبة بن ابى معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق لاخذ صدقاتهم اى ونزل فيه وفى على بن ابى طالب كرم الله وجهه افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اى فكان يدعى الفاسق وبعثه لاخذ صدقات بنى المصطلق يرد قول من قال انه ممن اسلم يوم الفتح وكان قد ناهز الحلم اى ويرد ما روى بعضهم عنه انه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل اهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤسهم ويدعو لهم بالبركة فاتى بى اليه وانا مضمخ بالخلوق فلم يمسح على رأسى ولم يمنعه من ذلك الا وجود الخلوق ويرد ذلك ايضا ما سيأتى انه خرج هو واخوه عمارة ليردا اختهما ام كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها فى الهدنة هدنة الحديبية والوليد هذا كان اخا عثمان بن عفان لامه وولاه الكوفة اى وعزل عنها سعد بن ابى

وقاص فلما قدم الوليد الكوفة على سعد رضي الله عنه قال له والله ما ادري اصرت كيسا بعدنا ام حمقنا بعدك فقال له لا تجزعن ابا اسحق وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد اراكم يعني بني امية ستجعلونها او والله يعني الخلافة ملكا وعند ذلك قال الناس بئسما فعل عثمان رضي الله عنه عزل سعد الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى أخاه الخائن الفاسق كما تقدم ووافى الوليد ابن مسعود رضي الله عنه فقال له ما جاء بك فقال جئت أميرا فقال له ابن مسعود ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما شرب الخمر ليلة من أول الليل الى الفجر فلما أذن المؤذن لصلاة الفجر خرج الى المسجد وصلى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات وصار يقول في ركوعه وسجوده اشرب واسقني ثم قاء في المحراب ثم سلم وقال هل أزيدكم فقال له ابن مسعود رضي الله عنه لا زادك الله خيرا ولا من بعثك الينا واخذ فردة خفه وضرب بها وجه الوليد وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح والى ذلك يشير الحطيئة بقوله

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا وما يدري

ولما شهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان بن عفان رضي الله عنه استقدمه وامر به فجلد اي امر عليا كرم الله وجهه ان يقيم عليه الحد فجلده وقيل فقال علي كرم الله وجهه لابن اخيه عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما اقم عليه الحد اي بعد ان امر ابنه الحسن رضي الله عنه بذلك فامتنع فاخذ عبد الله رضي الله عنه السوط وجلده وعلي كرم الله وجهه يعد عليه حتى بلغ اربعين فقال لعبد الله امسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر اربعين وجلد ابو بكر رضي الله عنه اربعين وجلد عمر رضي الله عنه ثمانين وكل سنة وهذا اي ما فعلته من جلده اربعين احب الي من جلده ثمانين هذا وفي البخاري ان عبد الله جلده ثمانين واجيب عنه بان السوط كان له رأسان وحينئذ يكون قوله وكل سنة اي طريقة فالاربعون طريقته صلى الله عليه وسلم وطريقة الصديق رضي الله عنه والثمانون طريقة عمر رضي الله عنه رآها اجتهادا مع استشارته لبعض الصحابة في ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر وبعد ان جلده عزله عن الكوفة وأعاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ولما اراد سعد أن يصعد المنبر قال لا أصعد عليه حتى تغسلوه من آثار الوليد الفاسق فانه نجس فغسلوه كما تقدم وارسال الوليد بن عقبة لبني المصطلق كان ينبغي ان يذكر في السرايا

من هوازن وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتده البخاري يقصر الصلاة في مدة اقامته بها لانه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لمحاربته وولى مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان عمره احدى وعشرين سنة وفي رواية ان عمره كان ثماني عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضي الله عنه يعلم الناس الفرائض والسنن وجعل رزق عتاب كل يوم درهما فكان رضي الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم وفي رواية انه خطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم درهما فلا حاجة لي الى أحد وبقي على عمله الى آخر خلافة الصديق رضي الله عنه وتوفي في اليوم الذي توفي فيه الصديق رضي الله عنه وقيل بل استعمله عمر رضي الله عنه وعاش الى سنة احدى وعشرين وكانت وفاته في خلافة عمر رضي الله عنه وانما استعمله النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان رأى في المنام ان أسيدا والدولي على مكة مسلما فمات كافرا فكان تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب رضي الله عنه حين اسلم وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قال له انطلق فقد استعملتك على اهل الله قال ذلك ثلاثا وفي رواية قال له يا عتاب اتدري على من استعملتك على اهل الله فاستوص بهم خيرا يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضي الله عنه شديدا على المريب وكذا لينا على المؤمن وقال والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم

وكذا ارسال خالد رضى الله عنه لهم قالت عائشة رضى الله عنها الا اعلم امرأة اعظم بركة على قومها من جويرية اعتق بتزويجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مائة بيت اى ومن المعلوم ان هذا كان قبل سبايا اوطاس الذين اطلقوا بسبب اخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على ما سيأتى فى بعض الروايات وقيل فى حقها ما عرفت امرأة هى أيمن على قومها منها وذكرت جويرية رضى الله عنها انها قبل قدومه صلى الله عليه وسلم عليهم بثلاث ليال رأت كان القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرها اى وعنها رضى الله عنها قالت فكرهت ان اخبر بها احدا من الناس فلما سبينا رجوت الرؤيا قال وعنها رضى الله عنها انها قالت لما اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع فأسمع ابى يقول اتانا ما لا قبل لنا به فلبثت ارى من الناس والخيل والسلاح ما لا اصف من الكثرة فلما ان اسلمت وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت ارى فعلمت انه رعب من الله تعالى يلقيه فى قلوب المشركين اى وهذا مما يؤيد ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذى هو المريسيع وكان رجل منهم ممن اسلم وحسن اسلامه يقول لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد انتهى وهو يدل على ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانت مددا لهم فى هذه الغزوة ولم يقتل فى غزوة بنى المصطلق من المسلمين الا رجل واحد قتله رجل من الانصار خطأ يظنه من العدو والمقتول هشام بن صبابة رضى الله عنه اقول وهذا محمل قول الحافظ الدمياطى رحمه الله فى سيرته انه لم يقتل من المسلمين الا رجل واحد فاعتراض صاحب الهدى عليه بان هذا وهم لانهم لم يكن بينهم قتال ليس فى محله لانه فهم ان الرجل قتله الكفار وقد علمت انه انما قتله شخص من الانصار يظنه من العدو والله اعلم وقدم اخو هذا المقتول من مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر الاسلام وقال جئت اطلب دية اخى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية اخيه فأخذها مائة من الابل واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل اخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا ويوم فتح مكة اهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتل فى ذلك اليوم كما سيأتى وما هنا هو الصحيح خلافا لما يأتى عن الاصل فى فتح مكة ان قتل اخيه كان فى غزوة ذى قرد ثم بعد انقضاء الحرب وهم على الماء اختصم اجير لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اى كان يقود له فرسه يقال له جهجاه رضى الله عنه مع رجل من حلفاء الخزرج قيل حليف عمرو بن عمرو وقيل حليف عبد الله بن أبى بن سلول وهو سنان بن فروة رضى الله عنه اى فضرب

كان عتاب بن اسيد الى باب الجنة فأخذ بحلق الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم قال ابن الجوزى انما استعمل صلى الله عليه وسلم عتابا حين أراد الخروج الى حرب هوازن وفى كلام غيره ان ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة حين أراد صلى الله عليه وسلم الذهاب الى المدينة ولا تخالف لاحتمال أن يراد انه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع الى المدينة وكان لعتاب رضى الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش حضر وقعة الجمل مع على رضى الله عنه فقتل واحتمل نسر يده والقاها بمكة فعرفوها بخاتمه فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم وقد اشار الامام البوصيرى لبعض ما وقع فيها فقال

صرعت قومه حبائل بغى * مدها المكر منهم والدهاء

فأتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيل فى الوغى خيلاء

قصدت منهم القنا فقوافى ال * طعن منها ما شأنه الايطاء

وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن أن الغدو منها عشاء

أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون اعطائه القليل كداء

ودهت أوجها بها وبيوتا * مل منها الاكفاء والاقواء

فدعوا احلم البرية والعف * و جواب الحليم والاغضاء

ناشدوه القربى التى من قريش * قطعتها التراث والشحناء

فعفا عفو قادر لم ينغصه * عليهم بما مضى اغراء

واذا كان القطع والوصل لله * تساوى التقريب والاقصاء

وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء

ولو أن انتقامه لهوى النفس * لدامت قطيعة وجفاء

قام لله فى الامور فأرضى الله * منه تباين ووفاء

فعله كله جميل وهل ينضح * الا بما حواه الاناء

وقد اجاد العلامة ابو محمد عبد الله بن ابى زكريا يحيى بن على الشقراطسى حيث يقول فى قصيدته المشهورة بعدما ساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتا فى قصة الفتح لانهما كانتا اعظميتين فبدر اول مشهد نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيه وهذه يوم استيلائه على مكة التى هى من اشرف البقاع ٣٧٤ ويوم عزه فى بلاده التى اوذى فيها ودخل الناس فى دين الله افواجا فقال

ويوم مكة اذ أشرفت فى أمم
تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها
فى قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذى لجب
عرمرم كزهاء السيل منسحل
وانت صلى عليك الله تقدمهم
فى بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب
متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا
ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت
بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما
ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق
والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى اعنتها
والعيس تنثال رهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الاقلام من قدر
وسابق من قضاء غير ذى حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب
وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت
له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعدما قذفت
بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه * كالاسد تزأر فى اغابها العصل فويل مكة من آثار وطأته وقريش
وويل ام قريش من جوى الهبل فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم * تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم * طولا أطال مقيل النوم فى المقل رحمت واشج ارحام أتيح لها

اجبير عمر رضى الله عنه حليف الخزرج فسال الدم وفى لفظ كسعه اى دفعه فنادى حليف الخزرج يامعشر الانصار أى وقيل قال ياللخزرج ونادى أجبير عمر يامعشر المهاجرين وقيل قال ياالكنانة ياالقريش فاقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح حتى كاد أن تكون فتنة عظيمة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية فاخبر بالحال أى فقالوا رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الانصار فقال صلى الله عليه وسلم دعوها اى تلك الكلمة التى هى ياالفلان فانها منتنة اى مذمومة لانها من دعوى الجاهلية وجاء من دعا دعوى الجاهلية كان من محثى جهنم اى مما يرمى به فيها قيل يارسول الله وان صام وان صلى وزعم أنه مسلم قال وان صام وان صلى وزعم انه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه ناصر أى له وان كان مظلوما فلينصره اى يزيل ظلامته ثم كلموا ذلك المضروب فترك حقه فسكنت الفتنة وانطفت نائرة الحرب وجهجاه هذا روى عنه عطاء بن يسار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معى واحد وهو المراد بهذا الحديث فى كفره واسلامه لانه شرب حلاب سبع شياه قبل أن يسلم ثم أسلم فلم يستتم حلاب شاة واحدة اى وسيأتى نظير ذلك لثمامة الحنفى ونقل أبو عبيد ان الرجل الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو أبو بصرة الغفارى أى ولا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال ذلك فى حق الرجل المذكور أيضا فقد تكرر منه صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات لرجال ثلاثة أكل كل واحد منهم فى الكفر أكثر مما أكل فى الاسلام قال ابن عبد البر رحمه الله وجهجاه هذا هو الذى تناول عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله عنه وهو يخطب فكسرها على ركبته فأخذته الأكلة فى ركبته فمات منها هذا كلامه وفى كلام السهيلى رحمه الله انه انتزع تلك العصا من عثمان حين اخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وكان هو احد المعينين عليه هذا كلامه وقد يقال لامخالفة بين كونه اخذ العصا منه وهو يخطب وبين كونه اخذها حين اخرج من المسجد لانه يجوز ان يكون اخرج من المسجد فى اثناء الخطبة واخذت العصا منه حينئذ وعند تخاصم الرجلين غضب عبد الله بن ابى بن سلول وكان عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن ارقم رضى الله عنه وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن ابى لعنه الله والله مارأيت كاليوم مذلة اوقد فعلوها نافرونا اى غلبونا وكاثرونا فى بلادنا اى وانكرونا ملتنا والله ماعدنا اى اظننا يعنى معاشر الانصار

أو قريش وفى رواية وجلابيب قريش هؤلاء يعنى معاشر المهاجرين الا كما قال الاول اى
الاقدمون فى امثالهم سمن كلبك يأكلك اى ويقولون اجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت
انى سأموت قبل ان اسمع هاتفا يهتف بما سمعت اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل النبى صلى الله عليه وسلم وفى الاستيعاب ان
عبد الله بن ابى قال ذلك فى غزوة تبوك هذا كلامه وفيه نظر ظاهر والجلابيب جمع جلبيب
ما يجاب من بلد الى غيره يعنى أغراب وقيل شبهوا بالجلابيب التى هى الازر الغلاظ
القليلة القيمة ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم
وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم اى ثم لم
ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعنى النبى صلى الله عليه
وسلم فايتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد صلى الله
عليه وسلم فسمع ذلك زيد بن أرقم رضى الله عنه على ما هو الصحيح وقيل سفيان بن تيم فمشى به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه اى
ونفر من المهاجرين والانصار وفى البخارى عن زيد بن ارقم رضى الله عنه فذكرت ذلك
لعمى او لعمر فذكره للنبى صلى الله عليه وسلم فدعانى فحدثته فكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك وتغير وجهه وقال له يا غلام لعلك غضبت عليه قال والله يا رسول الله لقد سمعته
منه قال لعله اخطأ سمعك ولامه من حضر من الانصار وقالوا عمدت الى سيد قومك تقول
عليه ما لم يقل اى وفى البخارى فكذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصابنى هم لم يصبنى
مثله قط وجلست فى البيت اى الخباء فقال لى عمى ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومقتك فقال زيد والله لقد سمعت ما قال ولو سمعت هذه المقالة من ابى لنقلتها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لارجوا ان ينزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ما يصدق
حديثى اى وقيل ان زيد بن أرقم رضى الله عنه قال لابن ابى لما قال اما والله لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل انت والله الذليل المنقص فى قومك ومحمد صلى الله عليه
وسلم فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال له ابن ابى لعنه الله اسكت فانما كنت ألعب
فعند تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذنه عمر رضى الله عنه فى ان يقتل ابن ابى
والتمس منه ان يأمر غيره بقتله اذا لم يأذن له فى ذلك اى فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قال لما كان من أمر ابن أبى ما كان جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى شجرة
اى ظلها عنده غليم أسود يغمز ظهره أى يكبسه فقلت يا رسول الله كأنك تشتكى ظهرك

تحت الوشيج نشيج الروع والوجل * عاذ وابطل كريم العفو ذى لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * واكرم الناس صفحا عن ذوى الزلل * زان الخشوع وقار منه فى خفر
أرق من خفر العذراء فى الكلل * وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح فى شغل
والكفر فى ظلمات الرجس مرتكس * ثاو بمنزلة البهموت من زحل
نجزت بالامن أقطار الحجاز معا * ومات بالخوف عن حيف وعن طال
وحل أمن ويمن منك فى يمن * لما أجابت الى الايمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه * بعزة النصر واستولى على الملل
قد طاع منحرف منهم لمعترف * وانقاد منعدل منهم لمعتدل
أحبب بخلة أهل الحق فى الخلل * وعز دولته الغراء فى الدول

(هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله الذى صبه على الكفار)

وكانت عقب فتح مكة بخمس ليال بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه الى العزى ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها واختلف فى المراد من العزى فقيل هى شجرة وقيل صنم وضعه سعد ابن ظالم الغطفانى لما قدم مكة ورأى اهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلهما الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة وكانت العزى لقريش وجميع بنى كنانة وحجابها بنى شيبان من بنى سليم وكانوا حلفاء بنى هاشم وكانت اعظم اصنامهم وذلك ان عمرو بن لحى لعنه الله قال لهم ان الرب يشتى عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ويطوفون وينحرون عندها ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها لانها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده قال ابن اسحق فلما سمع سادن العزى بمسير خالد اليه علق سيفه واسند

في الجبل الذي هي فيه وهو يقول اياعز شدي شدة لا سوى لها * على خالد ألقي القناع وشمري اياعز ان لم تقتلي المرء خالدا فبوئي باثم عاجل او تنصري * فلما انتهوا اليها هدموا البيت التي هي فيه وكان على ثلاث سمرات فقطعها خالد رضي الله عنه وهدم البيت وكسر الصنم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال هل رأيت شيأ اخرج منها حين هدمتها قال لا قال فانك لم تهدمها اى الهدم الابدى المزيل لها حقيقة فان الذى فعلته هو ازالة الصورة الظاهرة وبقى امر خفى لا تزول الا بزواله فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد رضي الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب على رأسها ووجهها فجعل السادن يصيح بها وهو يقول

ياعز خبليه * ياعز عوريه

ولا تموتي برغم فضربها خالد رضي الله عنه وهو يقول

ياعز كفرانك لا سبحانك

انى رأيت الله قد اهانك

فجزلها اى قطعها اثنين وفي رواية فضرب الشجرة بالفأس فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فضربها فقطعها اثنين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست ان تعبد ببلادكم ابدا

(هدم سواع وهي سرية عمرو ابن العاص رضي الله عنه)

الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة اميال من مكة وكان بعثه في رمضان ايضا بعد الفتح قال ابن جرير سواع بن شيث بن آدم لما مات صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا في دعائه من الاجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر فلما ماتوا صورت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الا لانهم ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها آلهة قال السهيلي وكان بدء عبادتها

فقال تقحمت بي الناقة اى ألقتني الليلة فقلت يا رسول الله ائذن لى أن أضرب عنق ابن أبي أو مر محمد بن مسلمة يقتله اى وفي رواية مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه وفي لفظ ان عمر رضي الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال ترعد له اذن انف كثيرة بيثرب يعني المدينة ولعل تسميته صلى الله عليه وسلم لها بذلك ان كان بعد النهي لبيان الجواز ويبعد ان يكون ذلك كان قبل النهي عن ذلك ولكن اذن بالرحيل وكان ذلك في ساعة لم يكن يرتحل فيها اى وفي رواية لما شاع الخبر ولم يكن للناس حديث في ذلك اليوم اى الوقت الا ذلك اذن بالرحيل وكانت ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها اى لشدة الحر فارتحل الناس وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه اسيد بن حضير رضي الله عنه فحياه بتحية النبوة وسلم عليه اى قال السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقال يا نبي الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها اى فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يرحل الا ان يبرد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بلغك ما قال صاحبكم فقال اى صاحب يا رسول الله قال عبد الله بن ابي بن سلول قال وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل قال فأنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وفي رواية لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ما بقيت عليهم الا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي فانه ليرى انك استلبته ملكا وقد تقدم الاعتذار عنه بذلك في غير ما مرة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا اى صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها اى مارق من جلد أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر ذلك اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي ابن سلول قال وذهب بعض الانصار الذين سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام الى ابن أبي لعنه الله فقال له يا أبا الحباب ان كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فليستغفر لك ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك وان كنت لم تقله فائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر له واحلف له ما قلته فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيأ ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن ابي ان

كانت

كانت سبقت منك مقالة فقب فجعل يحلف بالله ماقلت ما قال زيد وما تكلمت به انتهى اى وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى ابن ابى فأتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى عنك فقال والذى انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا الكاذب فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يارسول الله عسى ان يكون الغلام اوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل اى وفى لفظ انهم قالوا يارسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام ثم ان عبد الله رضى الله عنه ولد عبد الله بن ابى ابن سلول اى وكان اسمه الحباب فسماه صلى الله عليه وسلم يوم موت ابيه عبد الله لما بلغه مقالة عمر رضى الله عنه من قتل ابيه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه قد بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن ابى يعنى والده فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فرنى ان احمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالده منى انى اخشى ان تأمر به غيرى فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا قال وفى رواية فرنى فوالله لاحملن اليك رأسه قبل ان تقوم من مجلسك هذا وانى لاخشى يارسول الله ان تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن انظر الى قاتل ابى يمشى فى الناس فأقتله فأدخل النار فعفوك افضل ومنتك اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت قتله ولا امرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين اظهرنا فقال عبد الله يارسول الله ان ابى كانت اهل هذه البحيرة اى المدينة اتفقوا على ان يتوجوه عليهم فجاء الله عزوجل بك فوضعه ورفعنا بك اى زاد فى رواية ومعه قوم اى من المنافقين يطيفون به ويذكرونه امورا قد غلب الله عليها وتقدم انه وقع لعبد الله رضى الله عنه مثل ذلك مع ابيه روى الدارقطنى مسندا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جماعة فيهم عبد الله بن ابى فسلم عليهم ثم ولى فقال عبد الله لقد عثا ابن ابى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان يأتيه برأس ابيه فقال لا ولكن برأباك ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرب المدينة هاجت ريح شديدة تخوفوها كادت تدفن الراكب اى خافوا ان تكون لامر حدث بالمدينة على اهلهم فان مدة الموادعة التى كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فخافوا على المدينة منه فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليكم منه يعنى من عيينة ابن حصن بأس مابالمدينة من نقب اى باب الا وملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكن نعصف هذه الريح لموت عظيم من الكفار وفى رواية لموت منافق وفى لفظ

فى عهد مهلاييل بن قينان قبل نوح عليه السلام وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب وهى اسماء قوم صالحين فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها انصابا وسموها بأسمائهم فلم تعبد فلما هلك اولئك ونسخ العلم عبدت

قال عمرو بن العاص رضى الله عنه فانتهيت الى سواع وعنده السادن قال ماتريد فقلت امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهدمه قال لا تقدر على ذلك فقلت لم قال يمنعك قلت حتى الآن انت على الباطل ويحك وهل يسمع او يبصر حتى يمنعنى قال فدنوت منه فكسرته وامرت اصحابى فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيأ ثم قلت للسادن كيف رأيت فقال أسلمت لله رب العالمين ولم يذكر احد عدد الذين كانوا مع عمرو رضى الله عنه

(هدم مناة وهى سرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه الى مناة)

وهى صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم وقيل انها ايضا لهذيل وبنى كعب وخزاعة وغسان وكانت بالمشلل بضم الميم وفتح الشين واللام الاولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد وكان بعثه فى رمضان ايضا بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضى الله عنه فى عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعليها سادن قال السادن ماتريد قال اريد هدم مناة قال انت وذاك ثم كما اظنه انه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشى اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الراس اى منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها واقبل الى الصنم ومعه اصحابه فهدموه ولم يجدوا فى خزانته شيأ وانصرف راجعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم ماذكر من ان الذى ذهب لهدمها سعد بن زيد الاشهلى هو ماشى

عليه فى المواهب تبعا الطبقات ابن سعد وقال ابن اسحق ان الذى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لهدمها ابو سفيان بن حرب رضى الله عنه وفى سيرة ابن هشام انه على بن ابى طالب رضى الله عنه ويمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله اعلم * (غزوة حنين) * وهو اسم موضع فى طريق الطائف الى جنب

ذى المجاز وهو سوق كان فى الجاهلية وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى غزوة اوطاس وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى ايضا غزوة هوازن وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر وسببها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت اشراف هوازن وثقيف بعضهم الى بعض وتشاوروا على قتاله صلى الله عليه وسلم لانهم خافوا ان يسير اليهم ويغزوهم وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأى ان نغزوه قبل ان يغزونا بل جاء فى بعض الروايات انهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله صلى الله عليه وسلم وروى عن ابى الزناد ان هوازن اقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم فى العرب تجمعهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالوا الا ناهية له دوننا وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم وقال بعض منهم والله مالاقى محمد اقوم يحسنون القتال فأجمعوا امركم وسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فأجمعوا امرهم على ذلك وكان جماع امر الناس الى مالك بن عوف بن سعد ابن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال له النصرى بالصاد وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين

كل

مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة بن التابوت وكان كهفا للمنافقين كان من عظماء يهود بنى قينقاع وكان ممن اسلم ظاهرا والى ذلك اشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبرت أنها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

قال وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر بموته فقد جاء ان عبادة بن الصامت قال لابن ابى يا ابا حباب مات خليلك قال اى خليل قال من موته فتح للاسلام واهله قال من قال زيد بن رفاعة قال واويلاه من اخبرك يا ابا الوليد بموته قال قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا انه مات هذه الساعة فحزن حزنا شديدا انتهى وذكر اهل المدينة ان هذه الريح وجدت بالمدينة وانه لما دفن عدو الله سكنت اقول لكن فى كلام ابن الجوزى رفاعة ابن زيد بن التابوت وهو عم قتادة بن النعمان فقد ذكر عنه قتادة رضى الله عنه مايدل على صحة اسلامه اى وقد يقال جاز ان يكون اظهر ذلك لقتادة ليظن به ماظنه من صحة اسلامه قال ابن الجوزى ولهم رفاعة بن التابوت معدود فى الصحابة ذكره فى الاصابة قال جاء ذكره فى حديث مرسل كانوا فى الجاهلية اذا احرموا لم يأتوا بيتا من قبل بابه ولكن من قبل ظهره الا الحمس فانها كانت تأتى البيوت من ابوابها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا ثم خرج من بابه فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن التابوت ولم يكن من الحمس فقالوا يا رسول الله نافق رفاعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت ولم تكن من الحمس قال فان ديننا واحد فنزلت وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها وسيأتى نحو هذه القصة لقطبة بن عامر ولعلها وقعت لهما واما الحديث الذى اخرجه مسلم ان ريحا عظيمة هبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت منافق عظيم النفاق وهو رفاعة ابن التابوت فهو آخر غير هذا فقد جاء من وجه آخر رافع بن التابوت اى فذكر رفاعة بدل رافع من تصرف بعض الرواة وذكر فى الاصابة ان رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان رضى الله عنه لم يوصف بانه ابن التابوت كما ذكره ابن الجوزى اى فوصفه بابن التابوت من تصرف بعض الرواة فليتأمل والله اعلم وعن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين اغتابوا اناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح ولم يعين جابر السفرة فيحتمل ان تكون هى هذه الغزوة وهو ظاهر سياقها فيها ويحتمل ان تكون غيرها وفقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء من بين الابل اى ليلا فجعل المسلمون يطلبونها من

وقيل قارب المائتين وتدعمى وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب لانه كان صاحب رأى وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان جملة من اجتمع من بنى سعد وثقيف أربعة آلاف وانضم اليهم من أمداد سائر العرب جموع كثيرة وكان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا وجعلوا أمر الجميع الى مالك بن عوف النصرى وكان عمره ثلاثين سنة واشترطوا عليه أن يأخذ برأى دريد بن الصمة فامرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كى يثبتوا عند الحرب ولا يفروا فلما نزلوا باوطاس قال دريد بن الصمة مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قالوا ساق مالك ابن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين هو فحضر بين يديه فقال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود أى غالبهم اما قتلا واما اخراجا عن ذل وصغار فقال له مالك لا نخالفك فى أمر تراه فقال يا مالك أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كان له ما بعده من الايام مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال له ولم قال أردت ان أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم فزجر كما تزجر الدابة وهو أن يلصق اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى قول بعضهم صوت بلسانه فى فيه ثم قال له رويعى ضأن والله ماله وللعرب اى من كانت هذه صفته ماله وللحرب ثم اشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شىء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشى وان كانت عليك فضحت فى اهلك ومالك فلم يقبل ذلك منه مالك ثم قال دريد ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم احد قال غاب الحد

كل وجه فقال زيد بن الصلت وكان منافقا كما علمت من بنى قينقاع وكان بمجمع من الانصار أين يذهب هؤلاء فى كل وجه قالوا يطلبون ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلت قال أفلا يخبره الله بمكانها اى وفى لفظ كيف يدعى أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ولا يخبره الذى يأتيه بالوحى فانكر عليه القوم وقالوا قاتلك الله يا عدو الله نافقت وأرادوا قتله فعمد هاربا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعوذا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك الرجل يسمع ان رجلا من المنافقين شمت ان ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الا يخبره الله بمكانها والله قد اخبرنى بمكانها ولا يعلم الغيب الا الله وانها فى الشعب مقابلكم قد مسك زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها فذهبوا فأتوا بها من حيث قال صلى الله عليه وسلم فقام ذلك الرجل سريعا الى رفقائه فقالوا له حين دنا لا تدن منا فقال لهم انشدكم الله هل اتى احد منكم محمدا فأخبره خبرى قالوا لا والله ولا قمنا من مجلسنا فقال انى وجدت ما تكلمت به عنده فاشهد ان محمدا رسول الله كانى لم اسلم الا اليوم فقالوا له فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فذهب اليه واعترف بذنبه واستغفر له قال ويقال انه لم يزل فشلا اى جبانا حتى مات ووقع مثل هذا أى هبوب الريح واضلال ناقته صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وأوقع صلى الله عليه وسلم السباق بين الابل فسابق بلال رضى الله عنه على ناقته صلى الله عليه وسلم القصواء فسبقت غيرها من الابل وسابق أبو سعيد الساعدى رضى الله عنه على فرسه صلى الله عليه وسلم الذى يقال له الظراب فسبق غيره من الخيل اه اى وجاء ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء كانت لا تسبق فجاء اعرابى على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه اه أقول فى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة تسابق مع عائشة رضى الله عنها فتحزمت بقبائها وفعل كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقا فسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها هذه بتلك التى كنت سبقتنى يشير صلى الله عليه وسلم الى انه جاء الى بيت أبى بكر رضى الله عنه فوجد مع عائشة شيأ فطلبه منها فابت وسعت وسعى صلى الله عليه وسلم خلفها فسبقته هذا وفى كلام ابن الجوزى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم وخرجت معه فى سفرة أخرى فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل

والجذع لو كان يوم علاء ورفعة ما غبت ثم قال دريد لمالك ان يومك هذا الذى تلقى فيه محمدا ما بعده يوم فقال له مالك انى لا طمع ان ترى ما يسرك ثم اشار دريد عليه بأمور لم يقبلها مالك وقال والله لا اطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك فقال لهوازن قد شرط مالك ان لا يخالفنى وقد خالفنى فأنا ارجع الى اهلى فمنعوه وقال مالك والله لتطيعننى يا معشر هوازن اولا تكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره ان يكون لدريد فيها رأى اوذكر فقالوا اطعناك فقال دريد يا معشر هوازن ان هذا فاضحكم فى عورتكم يعنى النساء والذرية وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه فابوا فلما رأى دريد انهم خالفوه قال

ياليتنى فيها جذع
اخب فيها واضع
اقود وطفاء الزمع
كأنها شاة صدع

ثم امر مالك بالخيل فجعلت صفوفا وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعل الابل والبقر والغنم وراء ذلك كى لا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس اذا رأيتمونى شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم اجتماعهم وتحزبهم اجمع على الخروج اليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وكان معه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر الفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة والفان من الذين اسلموا فى فتح مكة الذين من عليهم واطلقهم يوم الفتح وفصل بعضهم العشرة الآلاف الذين جاؤا معه من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال اربعة آلاف من الانصار والف من المهاجرين والف من جهينة والف من مزينة والف من اسلم والف من غفار والف من اشجع وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استقرض من ثلاثة نفر

يضحك وهو يقول هذه بتلك فليتأمل قال ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى العقيق تقدم عبد الله رضى الله عنه ابن عبد الله بن ابى ابن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر ابوه فاناخ به ثم وطئ على يد راحلته فقال ابوه ماتريد يالكع فقال والله لا تدخل حتى تقر انك الذليل وان رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم ايضا الاعز من الاذل انت او رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقول لانا اذل من الصبيان لانا اذل من النساء حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خل عن ابيك فخلى عنه اى وفى لفظ انه لما جاء قال له ابنه وراءك قال مالك ويلك قال والله لا تدخلها يعنى المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الاعز من الاذل وفى لفظ حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانت الاذل فقال له انت من بين الناس فقال نعم انا من بين الناس وانصرف الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا له ما صنع ابنه رضى الله عنه فأرسل صلى الله عليه وسلم الى ابنه ان خل عنه وفى لفظ قال له ابنه رضى الله عنه لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل أنت قال نعم ولما رأى منه الجد قال أشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وأنزل الله تعالى سورة المنافقين قال زيد بن أرقم رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء ويعرق جبينه الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورجوت أن ينزل الله تصديقى فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ باذنى وأنا على راحلتى يرفعها الى السماء حتى ارتفعت عن مقعدى وهو يقول وعت أذنك يا غلام وصدق الله حديثك وكذب المنافقين وفى رواية هذا الذى أوفى الله باذنه ونزل وتعيها أذن واعية فكان يقال لزيد بن أرقم رضى الله عنه ذو الاذن الواعية وذكر بعض الرافضة ان قوله تعالى وتعيها أذن واعية جاء فى الحديث أنها نزلت فى على كرم الله وجهه قال الامام ابن تيمية وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم اى وعلى تقدير صحته لا مانع من التعدد وصار قوم عبد الله بن أبى عند نزول سورة المنافقين يعاتبونه ويعنفونه ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أى بغض قومه له ومعاتبتهم له قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه كيف ترى يا عمر انى والله لو قتلته يوم قلت لارعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر رضى الله عنه قد والله علمت لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى اه وجاء أنه لما نزلت سورة المنافقين وفيها تكذيب ابن ابى

من قريش اخذ من صفوان بن امية خمسين الف درهم ومن عبد الله بن ربيعة اربعين الف درهم ومن حويطب بن عبد العزى اربعين الف درهم فرقها فى اصحابه اهل الضعف ليستعينوا بها وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء وكان

صفوان بن امية على دين قومه واخذ امانا من

ابى قال له اصحابه اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتمونى ان اومن فآمنت وامرتمونى ان اعطى زكاة اموالى فأعطيت فما بقى الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية وفى تفسير القرطبى عند قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر قال السدى نزلت فى عبد الله بن ابى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بالله يا رسول الله اما ابقيت فضلة من شرابك اسقيها ابى لعل الله يطهر بها قلبه فافضل له فأتاه بها فقال له عبد الله ما هذا فقال هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها فقال له ابوه فهلا جئتنى ببول امك فانه اطهر منها فغضب وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله بالله اما اذنت لى فى قتل ابى فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وقد جاء ان ابنه رضى الله عنه قال يا رسول الله ذرنى اسقى والدى من وضوئك لعل قلبه ان يلين فتوضأ صلى الله عليه وسلم واعطاه فذهب به الى ابيه فسقاه وقال له هل تدرى ما سقيتك قال نعم سقيتنى بول امك قال لا والله لكن سقيتك بول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة هلال رمضان فكانت غيبته ثمانية وعشرين ليلة قال وفى هذه الغزوة جاءت امرأة بابن لها وقالت يا رسول الله هذا ابنى غلب عليه الشيطان ففتح صلى الله عليه وسلم فم الولد وبزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله قال ذلك ثلاثا ثم قال للمرأة شأنك بابنك لن يعود اليه شئ مما كان يصيبه وفى هذه الغزوة جاء شخص بثلاث بيضات له صلى الله عليه وسلم من بيض النعام فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات قال جابر فعملتهن ثم جئت بهن فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكل من ذلك بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته والبيض كما هو وفى هذه الغزوة جاء جمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقل أى يختال فى مشيه وصوت فقال صلى الله عليه وسلم تدرون ما يقول هذا الجمل هذا يستعدينى على سيده يقول انه كان يحرث عليه وانه أراد أن ينحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى شأن الجمل اه (أقول) قد تقدمت هذه الامور الثلاثة التى هى قصة ابن المرأة وقصة البيض وقصة الجمل فى ذات الرقاع والتعدد فيهما حتى لاجل هذه الامور سميت كل منهما بغزوة الاعاجيب بعيد

النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يعطيه مهلة شهرين ثم ان شاء تبعه ودخل فى الاسلام وان شاء ذهب حيث شاء فأعطاه اربعة اشهر ثم اسلم بعد ذلك رضى الله عنه وتقدم الكلام على قصة اسلامه مستوفى عند ذكره فى عداد من اهدر دمهم صلى الله عليه وسلم واستثناهم من الدخول فى الامان ثم انه صلى الله عليه وسلم ذكروا له عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فارسل اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلقى به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهى مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفى رواية أربعمائة درع وسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل * وذكر بعضهم ان بعض تلك الادراع فقد فاراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فابى بعد اسلامه وقال أنا اليوم يا رسول الله فى الاسلام أرغب واستعار صلى الله عليه وسلم من نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف رمح وقال كأنى أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم وخرج الناس معه وأهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء خرجن يمشين على غير دين رجاء للغنائم ومن لم يكمل اسلامه لم يكره ان الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه وترك معه معاذ

ابن جبل رضي الله عنه يعلم الناس الاحكام والشرائع وقد تقدم الكلام على ذلك في غزوة الفتح وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلا منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقد تقدم قصة اسلامهما فلما قرب النبي صلى الله عليه وسلم من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين اعطاه عليا رضي الله عنه وقسم الرايات على كل بطن فأعطى سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه راية واعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه راية وهكذا واعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضي الله عنه ولواء الاوس لاسيد بن حضير رضي الله عنه وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ثم رتب قبائل العرب التي كانت معه وفرق عليهم الالوية والرايات ولبس صلى الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء وفي رواية الشهباء وهي بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء لان بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل وارسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيونا وجواسيس ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فرجعوا الى مالك وقد تفرقت اوصالهم من الفزع فقال ويلكم ماشأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان اصابنا ماترى وان اطعتنا رجعت بقومك فقال اف لكم بل انتم اجبن القوم وحبسهم عنده خوفا ان يشيع ذلك في جيشه ولم يصرفه ذلك ومضى على ما يريد وارسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اصحابه وهو عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي رضي الله عنه وامره ان يدخل فيهم ويسمع منهم

والذي اراه انه اشتباه من بعض الرواة فليتأمل * وفي هذه الغزوة كانت قصة الافك اي الكذب على عائشة الصديقة المبرأة المطهرة رضي الله عنها قالت لما دنونا من المدينة قافلين اي راجعين اذن ليلة بالرحيل فقمت وذهبت لاقضي حاجتي حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى رحلي فاذا عقد لي من جزع اظفار كذا بالالف عند البخاري وفي رواية ظفار بغير الف قال القرطبي ومن قيده بالالف فقد اخطأ اي ولعل المراد خالف الرواية وفي لفظ ظفاري اي بياء النسبة وفي لفظ الجزع الظفري وقد يقال لامانع من وقوع هذه الالفاظ من الصديقة في اوقات مختلفة قال بعضهم الجزع بفتح الجيم واسكان الزاي وآخره عين مهملة خرز وطفار بالطاء المهملة ٢ كوبار مبنية على الكسر قرية من قرى اليمن كان ثمنه يسيرا وفي كلام بعضهم كان يساوي اثني عشر درهما قد انقطع فالتمست عقدي اي ذهبت الى التماسه في المحل الذي قضيت فيه حاجتي وحبسني التماسه اقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي هو بتخفيف الحاء اي يجعلون هودجها على الرحل فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لقلة اكلهن اي لان السمن وكثرة اللحم غالبا تنشأ عن كثرة الاكل وساروا اي وعن عائشة رضي الله عنها ان الذي كان يرحل هودجها ويقود بعيرها ابو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ولا يخالف هذا قولها وأقبل الرهط الى آخره وقولها في بعض الروايات ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه لانه يجوز ان جماعة كانوا يعاونون أبا مويهبة في ذلك فوجدت عقدي فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب وأقمت بمنزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان السلمي خلف الجيش اي لانه كان على ساقة الجيش يتخلف عن الجيش ليلتقط ما يسقط من المتاع وقيل كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس وقد جاءت زوجته تشكوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له انه لا يصلي الصبح فقال يا رسول الله اني امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظت فصل اي وفي رواية شكته الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه يضربها فقال انها تصوم بغير اذني فقال لها لا تصومي الا باذنه قالت انه ينام عن الصلاة اي صلاة الصبح قال انه شئ ابتلاه الله به فاذا استيقظ فليصل وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حاله انه ينام عن صلاة الصبح قالت انه اذا سمعني اقرأ يضربني فقال ان معي سورة ليس معي غيرها هي تقرؤها

قال

(٢ قوله وطفار بالطاء المهملة سبق قلم والصواب بالظاء المعجمة كما في البخاري والقسطلاني عليه)

ما أجمعوا عليه فدخل فيهم ومكث يوما أو يومين وسمع ما يقولون ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره انه انتهى الى خباء مالك ابن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لاصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم

قال لا تضر بها فان هذه السورة لو قسمت فى الناس لوسعتهم اى وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم يدل على ان صفوان ظن ان امرأته اذا قرأت تلك السورة شاركته فى ثوابها فليتأمل فادلج اى سار ليلا فاصبح عند منزلى اى على خلاف عادته فرأى سوادا اى شخص انسان نائم فاتانى فعرفنى فاستيقظت باسترجاعه اى بقوله انا لله وانا اليه راجعون اى لان تخلف ام المؤمنين عن الرفقة فى مضيعة مصيبة اى مصيبة قالت فخمرت وجهى بجلبابى وهو ثوب اقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطى بها المرأة رأسها اى لان ذلك كان بعد نزول آية الحجاب اى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الآية اى لانه تقدم ان ذلك كان فى سنة ثلاث على الراجح عند الاصل وفى الامتاع وذكر بعض علماء الاخبار ان تزوجه صلى الله عليه وسلم زينب التى نزلت آية الحجاب بسببها كان فى ذى القعدة سنة خمس ولا يخفى ان هذا القول ينافيه ما يأتى عن عائشة رضى الله عنها من قولها ان زينب هى التى كانت تساميني من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اذ هو صريح فى انها كانت زوجة له صلى الله عليه وسلم قبل هذه الغزوة بناء على ان هذه الغزوة كانت سنة ست قالت والله ما كلمنى وفى لفظ والله ما يكلمنى كلمة وما سمعت منه كلمة اى فلا كلمها ولا كلم نفسه قيل استعمل الصمت أدبا والهول هذا الامر الذى هو فيه فلم يقع منه غير الاسترجاع حين أناخ ناقته فوطئ على يدها فركبتها وفى رواية ثم قرب البعير فقال اركبى اى وفى لفظ قال أمه قومى فاركبى وأخذ برأس البعير وجاء انها لما ركبت قالت حسبى الله ونعم الوكيل وفى سيرة ابن هشام أنه لما قال لها ما خلفك يرحمك الله قالت فما كلمته اى ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات الثلاث وما قبلها على تقدير صحتها وقد يقال انها لم تسمع منه غير استرجاعه ولا كلمها ولا تكلم قبل أن يقرب اليها البعير كما علمت فلما قرب البعير اليها قال لها يا أمه قومى فاركبى لان اناخة البعير وتقريبه ليس صريحا فى الاذن لها فى الركوب فاتى بذلك اللفظ الدال على مزيد احترامها واجلالها وتعظيمها وبعض الرواة اقتصر على قولها اركبى وبعد ان ركبت اى وحصلت الطمأنينة واندفعت الريبة قال لها متعجبا الامستفهما ما خلفك قالت فانطلق يقودبى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا وذلك فى نحر الظهيرة اى وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع وبهذه الواقعة استدل فقهاؤنا على انه يجوز الخلوة بالمرأة الاجنبية اذا وجدها منقطعة ببرية اونحوها بل يجب استصحابها اذا خاف عليها الوتر كما هذا وفى الخصائص الصغرى وفى معانى الآثار للطحاوى رحمه الله قال ابو حنيفة كان الناس لعائشة رضى الله عنها محرما

واكسروا اغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولا وفى رواية ان ابن ابى حدرد رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم اى نسائهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين ان شاء الله فقال رجل من المسلمين ان نغلب اليوم عن قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فيما تقدم بعشرين الف سيف حق وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وقيل كانوا ثلاثين الفا واما رواية انهم كانوا اربعة آلاف فرجوحة ولما كان صلى الله عليه وسلم بحنين وانحدر فى الوادى وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قد كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك بن عوف اجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت عليهم انت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم احد فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة فاستقبلوهم بالنبل كانه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون فى الرجوع منهزمين لا يلوى احد على احد وفى

رواية فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وكانت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض اى قال من كان منهم اسلامه مدخولا اخذلوهم فهذا وقته فانهزموا وأول من انهزم وتبعهم الناس وسأل رجل البراء ابن عازب رضى الله عنهما فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا ابى لهب وايمن ابن ام ايمن وغيرهم رضى الله عنهم اجمعين وايمن هذا استشهد يومئذ واختلف فى عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع باختلاف اللحظات فكانوا تارة قليلا وتارة كثيرا وتارة يجتمعون معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه فى ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم آخذا بلجام بغلته يكفها أن تتقدم فى نحر العدو وجاء فى رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان آخذا باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة

فازددت

فمع ايهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك اى وقوله وليس غيرها من النساء كذلك يشمل بقية ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ فليتأمل الفرق بينها وبين بقية امهات المؤمنين فيما ذكر وفيما سيأتى عن بعضهم ان من قذف عائشة يقتل ويحد فى غيرها من ازواجه صلى الله عليه وسلم حدين قالت عائشة رضى الله عنها فلما نزلنا هلك من هلك بقول البهتان والافتراء والذى تولى كبره اى معظمه عبد الله بن ابى ابن سلول اى فانه كان اول من اشاعه فى العسكر اى فانه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفى لفظ مابرئت منه ومابرئ منها وفى لفظ والله مانجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم اشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى والذى فى البخارى كان يتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه اى يستخرجه بالبحث عنه وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون هو أول من أشاعه عند دخول المدينة ثم صار يستخرجه بالبحث عنه ليكثر اشاعته قالت فقدمنا المدينة فاشتكيت أى مرضت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك اى ووصل الخبر الى النبى صلى الله عليه وسلم والى أبوى ولا أشعر بشئ من ذلك وكان يريبنى أنى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى اى حين أمرض واللطف بضم اللام وسكون الطاء وقيل بفتح اللام والطاء وهو من الانسان الرفق ومن الله التوفيق انما يدخل على فيسلم اى وعندى امى تمرضنى ثم يقول كيف تيكم اى لا يزيد على ذلك ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى حتى خرجت بعد مانقهت بكسر القاف وفتحها اى اول ما افقت من المرض فخرجت معى ام مسطح وهى بنت خالة ابى بكر اى ومافى لفظ وكان مسطح بن خالة ابى بكر هو على ضرب من التجوز والمسامحة وكان مسطح يتيما فى حجر ابى بكر وكان فقيرا ينفق عليه ابو بكر قالت وخروجنا كان الى المحل الذى تخرج اليه النساء ليلا اى لقضاء حاجة الانسان وذلك قبل ان تتخذ الكنف اى فان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن نحو المناصع وهو محل متسع قالت فلما فرغنا من شأننا وأقبلت عثرت أم مسطح فى مرطها أى ازارها فقالت تعس مسطح بفتح العين وكسرها هلك مسطح تعنى ولدها ومسطح فى الاصل عود الخيمة قلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا لاشهد بدرا قالت ياهنتاه بفتح الهاء الاولى وسكون النون وضم الهاء الثانية أى ياهذه أولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول أهل الافك

والعباس تارة و كان ابو سفيان بن الحرث وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنه آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسى و بيدى السيف مصلتا والله يعلم انى أريد الموت دونه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الى فقال له العباس رضى الله عنه يارسول الله اخوك وابن

عمك ابو سفيان فارض عنه فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله له كل عداوة عادانيها قال ثم التفت الىّ وقال يا اخى فقبلت رجله فى الركاب وقال صلى الله عليه وسلم فيه ابو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وفى رواية سيد فتيان أهل الجنة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يركض ناحية هوازن و يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب واخذ كفا من تراب فرماه فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ الله عينيه من تلك القبضة وجاء فى بعض الروايات انه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضى الله عنه قريبا منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت ترابا وقيل انه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده وفى رواية قال للعباس ناولنى من الحصباء فألهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الارض فتناول من البطحاء فحثا فى وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون وعن مالك بن اوس قال حدثنى عدة من قومى شهدوا ذلك اليوم يقولون لقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية من الحصى فما منا احد الا شكى القذى فى عينيه ولقد كنا نجد فى صدورنا خفقا كوقع الحصى فى الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان وعن يزيد بن عامر السوائى وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن فيقول انا كنا نجد فى اجوافنا مثل هذا وعن ابى عبد الرحمن الفهرى قال

فازددت مرضا على مرضى أى عاودنى المرض وازددت عليه أى وفى لفظ فخرت مغشيا عليها وفى رواية خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح قد حملت السطل وفيه ماء فعثرت و وقع السطل منها فقالت تعس مسطح فقلت اى أم تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت اى أم تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فنهرتها فقالت والله ما أسبه الا فيك فقلت فى أى شأنى فبقرت أى كشفت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم فاخذتنى حمى نافضة ورجعت الى بيتى فلما رجعت الى بيتى مكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى ودخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعد ان سلم كيف تيكم فقلت أتأذن لى ان آتى بيت أبوى وانا أريد ان اتثبت الخبر من قبلهما اى لان امها فارقتها لما نقهت من المرض وذهبت الى بيتها فلا ينافى ما سبق من قولها وعندى أمى تمرضنى قالت فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوى اى وارسل معى الغلام فدخلت الدار فوجدت ام رومان فى السفل وأبا بكر فوق يقرأ فقالت امى ما جاء بك فاخبرتها فذهابها الى أبويها كما علمت كان بعد ان صحت من المرض و بعد اخبار أم مسطح لها بالقصة والذى فى السيرة الهشامية ما يفيد أنه كان قبل ذلك وهو أنها رضى الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم كلما دخل يقول كيف تيكم لا يزيد على ذلك حتى وجدته فى نفسى فقلت يارسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لو اذنت لى قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمى تمرضنى ولا علم لى بشئ مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم أى بيوت الاخلية نعافها ونكرهها انما كنا نذهب فى فسح المدينة فخرجت ليلة ومعى أم مسطح بنت خالة أبى بكر اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح قلت بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر يا ابنة أبى بكر قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قلت أوقد كان هذا قالت نعم والله لقد كان فوالله ما قدرت على أن اقضى حاجتى ورجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدى فليتأمل الجمع بين ما فى السيرة الهشامية وما فى غيرها على تقدير صحتهما قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به لا تذكرين لى من ذلك شيأ الحديث وفى رواية فقلت لامى يا أماه ما يتحدث الناس وفى لفظ قلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا ألا تذكرين لى من ذلك شيأ قالت يا بنية هونى عليك وفى لفظ خفضى عليك الشأن فوالله لقلما ما كانت امرأة قط وضيئة أى جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا

حدثني ابناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست وهذا الرمى وقع فى هذه الغزوة وفى غزوة بدر وفى ذلك قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله ورمى بالحصى ٣٨٦ فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن فى آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الهزيمة صار يقول الى ايها الناس الى قال الراوى للحديث فلم أر الناس يلوون على شئ فقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه اصرخ يامعشر الانصار يا أصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان وفى رواية اصرخ يا للمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ويا للانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رضى الله عنه رفيع الصوت حتى جاء انه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية اميال وفى رواية قال له ناد يا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة وفى لفظ ناد يا انصار الله وانصار رسوله يابنى الخزرج ولا تنافى بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبى صلى الله عليه وسلم له وتكرر ندائه وانه نادى بكل تلك الالفاظ وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نادى بنفسه ايضا بعد نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال يامعشر الانصار فقالوا لبيك يارسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يامعشر الله

أكثرن عليها أى القول فى تنقيصها وفيه ان ضرائرها أمهات المؤمنين لم يكن السبب فى اشاعة ذلك ولم ينقصنها به الا ان يقال ظنت امها ذلك على ما هو العادة فى ذلك وعند ذلك قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا أى وقلت قد علم به أبى قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتى فنزل فقال لامى ما شأنها فقالت بلغها الذى ذكر من شأنها ففاضت عيناه فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع أى لا يرتفع ولا اكتحلت بنوم فى الليلة الثانية كذلك ولما أصبحت أصبح ابواى عندى يظنان ان البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان عندى وأنا ابكى اى وهما يبكيان واهل الدار يبكون فاستأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكى معى وسمعت من بعض الشيوخ ان هرة كانت بالبيت جالسة تبكى أيضا فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل وقد لبث صلى الله عليه وسلم شهرا لا يوحى اليه فى شأنى فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه قال بعضهم دعاها الى الاعتراف ولم يأمرها بالستر أى مع أنه المطلوب ممن أتى ذنبا لم يطلع عليه وفى لفظ قال ياعائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقى الله فان كنت قارفت أى اكتسبت سوأ مما يقول الناس فتوبى الى الله تعالى فان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى أى ارتفع حتى ما احس منه بقطرة فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال فوالله لا أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ قلت لابوى ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا والله لا ندرى بماذا نجيبه فقلت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله لا اجد لى ولكم وفى لفظ لا أجد لى مثلا الا قول أبى يوسف عليهما السلام أى والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه اذ يقول فصبر جميل والله المستعان أى وفى رواية كما فى البخارى مثلى ومثلكم كيعقوب وبنيه والله المستعان على ما تصفون وفى لفظ انما أشكو بثى وحزنى الى الله وبذلك استدل على جواز ضرب المثل من القرآن أيضا ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وما كنت أظن ان

الله ينزل فى شأنى وحيا يتلى وفى لفظ قرآنا يقرأ به فى المسجد ويصلى به ولشأنى فى نفسى كان أحقر من ان يتكلم الله فى بأمر يتلى وكنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى النوم يبرئنى الله بها أى وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا فى الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يأخذه عند نزول الوحى أى من شدة الكرب فسجى اى غطى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه وفى لفظ قالت عائشة رضى الله عنها فاما انا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت لانى قد عرفت انى بريئة وان الله غير ظالمى وأما ابواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أى واخبر بما أخبر حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا اى خوفا من ان يأتى من الله تحقيق ما قال الناس فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى عنه وهو يضحك وانه ليتحدر منه العرق كالجمان وهى حبوب مدحرجة تجعل من الفضة أمثال اللؤلؤ فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم فكان أول كلمة تكلم بها ياعائشة اما ان الله قد برأك فقالت أمى قومى اليه صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله وفى لفظ قال أبشرى ياعائشة فقد أنزل الله تعالى براءتك قلت نحمد الله لا نحمد احدا قالت عائشة رضى الله عنها نزلت تلك الآيات فى يوم شات قالت وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم درعى فقلت بيده هكذا أى ادفع يده عن درعى فأخذ أبو بكر النعل ليعلونى بها فمنعته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أقسمت عليك لا تفعل وفى رواية لما أنزل الله براءتها قام اليها ابو بكر رضى الله عنه فقبل رأسها فقالت له هلا كنت عذرتنى فقال اى بنية اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى ان قلت بما لا اعلم ولا مخالفة بين هذه الرواية وما قبلها لجواز ان يكون ما قبلها بعدها وانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك الآيات العشر اى وفى تفسير البيضاوى الثمانية عشر قال السهيلى وكان نزول براءة عائشة رضى الله عنها بعد قدومهم المدينة اى من الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين فمن نسبها رضى الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لان فى ذلك تكذيبا للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفى حياة الحيوان عن عائشة رضى الله عنها لما تكلم الناس فى الافك رأيت فى منامى فتى فقال لى مالك قلت حزينة مما ذكر الناس فقال ادعى بهذه يفرج الله عنك قلت وما هى قال قولى ياسابغ النعم ويادافع النقم ويافارج الغمم ويا كاشف الظلم ويا اعدل من حكم

الانصار فقالوا لبيك يارسول الله ابشر نحن معك وفى رواية فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يارسول الله وصار الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع اى لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة ما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفى لفظ عطفة البقر على اولادها وفى رواية اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها وفى رواية فجاء المهاجرون والانصار بسيوفهم فى أيمانهم كانها الشهب فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار قتالا شديدا فنظر الى قتالهم فقال الآن حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التى يشبه حرها حر التنور وهذا من فصيح الكلام ولم يسمع من احد قبل النبى صلى الله عليه وسلم فولى المشركون الادبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم وكان فى ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة فى هذا الموطن الذى هو موطن الحرب والطعن والضرب تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة والامن ولا يصلح لمواطن الحرب فى العادة الا الخيل لان الخيل مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلا عليه وقد أجمعت الصحابة رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم ما انهزم مع من انهزم بل صار يقدم فى وجه العدو بل ما انهزم فى موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك قال القاضى عياض من قال انه انهزم يستتاب فان تاب والا قتل ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلا وأسرا حتى حدث بعض من هوازن بعد اسلامه قال ما خيل لنا الآن كل حجر وشجر فارس يطلبنا وأنزل الله من

ويا حسيب من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا قالت فقلت ذلك فانتبهت وقد انزل الله فرجي قال بعضهم برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بشاهد من اهل زليخة وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه ان له أدرة بالحجر الذي فر بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها وبرأ عائشة بهذه الآيات وكان ابو بكر رضي الله عنه ينفق على مسطح لقرابته منه اي كما تقدم وافقره فحلف لا ينفق عليه اي فانه قال والله لا انفق على مسطح ابدا ولا انفعه بنفع ابدا بعدما قال لعائشة وادخل علينا وفي لفظ اخرجه من منزله وقال له لا وصلتك بدرهم ابدا ولا عطفت عليك بخير أبدا فانزل الله تعالى ولا يأتل اولو الفضل أي الفضيلة والافضال منكم والسعة أي في الرزق أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه أما تحب ان يغفر الله لك قال أبو بكر رضي الله عنه والله اني لاحب أن يغفر لي فرجع الى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال والله اني لا انزعها عنه ابدا وفي معجم الطبراني الكبير والنسائي انه اضعف له النفقة التي كان يعطيه اياها قبل القذف اي أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك أي وكفر عن يمينه وبهذا وبما في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه استدل فقهاؤنا على ان الافضل في حق من حلف على ترك مندوب او فعل مكروه ان يحنث ويكفر عن يمينه وهنا لطيفة وهي ان ابن المقري رحمه الله منع عن ولده النفقة تأديبا له على امر وقع منه فكتب الى والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عتاب المرء في رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط قدر النجم من افقه
وقد جرى منه الذي قد جرى * وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير في طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق في حقه

ووصف الله تعالى الصديق بأولي الفضل موافق لوصفه صلى الله عليه وسلم له بذلك فقد جاء ان عليا كرم الله وجهه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه

الملائكة خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا فقيل انهم قاتلوا وقيل لم يقاتلوا وانما نزلوا لالقاء السكينة في قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه ودعا وقال اللهم انشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي ان يظهروا علينا اللهم كنت وتكون وانت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يا حي يا قيوم اللهم ان تشأ أن لا تعبد بعد اليوم اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق له البحر كان البحر أمامه وفرعون خلفه وكان في يوم حنين أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهوازن خلفه ان أدرك من امامه طعنه برمحه وان فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ أهوى اليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه ورجل من الانصار يريدانه فأتى علي رضي الله عنه من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتوفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من اهل مكة لما في نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل ان يتمكن الاسلام في قلوبهم وقالوا لا تنتهي هذه الهزيمة دون البحر وقالوا غلبت والله هوازن ولم يرض صفوان ابن امية بتلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل ذلك بفيك الكثكث اي الحجارة والتراب وقال هشام بن كلدة وكان اخا صفوان لامه بطل سحر محمد فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن ومر رجل على

صفوان فقال له أبشر بهزيمة محمد واصحابه فوالله لا يجبرونها ابدا فغضب صفوان وقال اتبشرني بظهور الاعراب فوالله لرب من قريش اى مالك يدبر امرى احب الى من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن ابى جهل لمن قال لا يجبرونها ابدا ليس هذا لك ولا بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شئ ان ديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا ووصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم لم يتمكن الاسلام فى قلوبهم واظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن اسيد وجماعة معه فلم يتغيروا عما هم عليه حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وانهزام هوازن ومن معهم وعن قتادة قال مضى سرعان المنهزمين الى مكة يخبرون اهلها بالهزيمة فسر بذلك قوم من اهلها واظهروا الشماتة وقال قائلهم ترجع العرب الى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق اصحابه فقال عتاب بن اسيد رضى الله عنه ان قتل محمد فان دين الله قائم والذى يعبده محمد حى لا يموت فما امسوا حتى جاءهم الخبر بنصره صلى الله عليه وسلم فسر عتاب ومعاذ وكبت الله من كان يسره خلاف ذلك ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا فى قتالهم هوازن الى قتل الذرية فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه روى ان أبا طلحة الانصارى رضى الله عنه قتل وحده عشرين قتيلا وأخذ أسلابهم وأدرك ربيعة بن رفيع السلمى دريد بن الصمة فاخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيأ فقال له دريد بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت

عنه جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحى ابو بكر عن مكانه وأجلس عليا كرم الله وجهه بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وقال لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا أولو الفضل وعنها رضى الله عنها انها قالت لما استلبث الوحى عنه صلى الله عليه وسلم اى ابطأ عليه ولم ينزل استشار الصحابة فقال له عمر رضى الله عنه من زوجها لك يا رسول الله قال الله تعالى قال أفتظن ان الله دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت ودعا على بن ابى طالب كرم الله وجهه واسامة بن زيد رضى الله عنهم ما ليستأمرهما فى فراق اهله اى تعنى نفسها فأما اسامة بن زيد فقال اهلك اى الزم اهلك يا رسول الله ولا نعلم الا خيرا واما على بن ابى طالب كرم الله وجهه فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وانك لتقدر ان تستخلف وفى لفظ قد احل الله لك فطلقها وانكح غيرها وان تسأل الجارية تصدقك يعنى بريرة رضى الله عنها اى لانها كانت تخدم عائشة اما قبل شرائها لها او بعده وقبل عتقها لها كان بعد الفتح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اى بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت بريرة والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا اغمصه بالغين المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة اى اعيبه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتى الداجن وهى الدابة التى تألف البيوت ولا تخرج للمرعى وهى هنا الشاة فتأكله وفى لفظ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فسألها فقام اليها على كرم الله وجهه فضربها ضربا شديدا وجعل يقول لها أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول والله ما اعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيأ الا انى كنت اعجن عجينى فآمرها ان تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله اى وضربها كما قال السهيلى ولم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضربها الا انه اتهمها فى انها خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتمه هذا كلامه والذى فى البخارى وانتهرها بعض الصحابة فقال أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وفى الامتاع جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بريره وسألها فقالت هى أطيب من طيب الذهب والله لا أعلم عليها الا خيرا والله يا رسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرنك الله بذلك اى وبريرة هذه روى عنها عبد الملك بن مروان فقد ذكر انه قال كنت اجالس بريرة رضى الله عنها بالمدينة قبل ان آتى الى هذا الامر يعنى الخلافة فكانت تقول لى يا عبد الملك انى أرى فيك خصالا وانك لخليق ان تلى هذا الامر يعنى الخلافة فان وليته

فاحذر الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش أم المؤمنين عن أمرى يقول ماذا علمت أو رأيت فتقول يارسول الله أحمى سمعى وبصرى اى أصون سمعى من أن أقول سمعت ولم أسمع وأصون بصرى من ان اقول أبصرت ولم أبصر ما علمت الا خيرا اى وفى رواية حاشا سمعى وبصرى ما علمت الا خيرا والله ما أكلمها وانى لمهاجرتها وما كنت أقول الا الحق قالت عائشة وهى التى كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ تناصيني اى تعادلنى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى المنزلة والمحبة عنده صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى أى ولهذا جعلها فى النور أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم بعد عائشة وخديجة حيث قال والذى يظهر أن افضلهن اى زوجاته صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش وقالت عائشة رضى الله عنها فى وصفها لم أرامرأة قط خيرا من زينب فى الدين وأتقى لله واصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى يتقرب به الى الله ما عدا سورة اى حدة تسرع فيها الفيئة اى ترجع عنها سريعا قالت عائشة رضى الله عنها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عند استلباث الوحى وتأخره فى الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق وفى رواية فاستعذر من عبد الله بن ابى بن سلول فقال وهو على المنبر من يعذرنى أن ينصفنى من رجل قد بلغنى اذاه فى أهل بيتى فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا يعنى صفوان ما علمت عليه الا خيرا اى وزاد فى رواية ولا يدخل بيتى وفى لفظ بيتا من بيوتى الا وأنا حاضر ولا غبت فى سفر الا غاب معى يقولون عليه غير الحق فقام سعد بن معاذ أى سيد الاوس فقال يارسول الله انا اعذرك منه ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد احتملته الحمية وفى لفظ أجهلته الحمية وكان قبل ذلك رجلا صالحا اى لما ذكر سعد بن معاذ الخزرج الذين هم قوم سعد بن عبادة غضب سعد بن عبادة لاجلهم وحملته الحمية لهم على ان يجهل اى قال قول الجهل فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ كما تقدم فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانفك راغم فانك منافق تجادل عن المنافقين اى والمراد بكونه منافقا انه يفعل فعل المنافقين ومن

ثم

أضرب الرجال ثم اذا أتيت امك فأخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة امه بقتله قالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا هلا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لاتكرم عن رضا الله ورسوله وقيل القاتل لدريد الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت ام سليم رضى الله عنها مع زوجها أبى طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه وكانت رضى الله عنها حازمة وسطها ببرد لها وفى حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبى طلحة فقال لها زوجها ما هذا الخنجر الذى معك يا أم سليم قالت ان دنا منى أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يارسول الله ما تقول أم سليم فاعاد عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وقالت أم سليم رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم بابى أنت وأمى يارسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن اى وقد غفر الله لهم كما قال تعالى وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم وجرح خالد بن الوليد رضى الله عنه جراحات أثقلت به وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشى فى المسلمين ويقول من يدلنى على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد اسند الى مؤخرة الرحل لانه أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم فى جراحاته فبرأ لوقته

*وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيأ اسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك انه الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا

يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لانستطيع أن نقاتلهم
من الرعب منهم وكان جملة من قتل من المسلمين في هذه الوقعة أربعة فقط وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين قتيل
وفي الانهزام أكثر من ثلثمائة وأسر منهم خلق كثير ومن النساء ستة آلاف نفس وغنم المسلمون من الابل أربعة

ثم لم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك ان كان معه فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا لانه كان بين الحيين قبل الاسلام مشاحنة ومحاربة كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا قالت وأنا لا اعلم بشيء من ذلك (أقول) فيه ان سعد بن معاذ لم يقل انه ان كان من الخزرج نقتله بل قال نفعل فيه ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحسن رد سعد بن عبادة عليه بما ذكر ثم رأيت بعضهم ذكر ان الاظهر عندي ان ابن عبادة لم يقل ذلك حمية لقومه وانما أراد الانكار على ابن معاذ في كونه يقتل شخصا من قومه الذين هم الاوس مع انه يظهر الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل من يظهر الاسلام فكأنه قال لا تقل ما لا تفعل ولا تقدر على فعله حيث لم يأمرك بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وانما انتصر اسيد بن حضير لسعد بن معاذ نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحالة العظيمة التي طلب النبي صلى الله عليه وسلم فيها من يعذره من ذلك القائل وانكاره على سعد بن عبادة انما هو انكار ظاهر لفظه وان كان لباطنه مخلص حسن وكم من لفظ ينكر اطلاقه على قائله وان كان في الباطن له مخلص هذا كلامه ثم رأيت في السيرة الهشامية ان المتكلم اسيد بن حضير وانه قال يا رسول الله ان يكونوا من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمرنا أمرك فوالله انهم لاهل لان نضرب أعناقهم فقام سعد بن عبادة فقال كذبت لعمر الله والله ما تضرب اعناقهم اما والله ما قلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك يعني الاوس ما قلت هذا اي لان عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج وكذا حسان بن ثابت رضي الله عنه بناء على انه كان من اصحاب الافك وفي البخاري ان سعد بن معاذ قال ائذن لي يا رسول الله أن اضرب اعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهط ذلك الرجل اي من الخزرج فقال كذبت اما والله لو كانوا من الاوس ما احببت أن تضرب اعناقهم وعلى هذه الرواية فلا اشكال وقول البخاري وكانت ام حسان الى آخره يشعر بأن حسان لم يكن من الخزرج وهو يخالف ما تقدم وما سيأتي انه من الخزرج الا ان يقال وصفه بذلك على المسامحة لكون امه منهم فليتأمل ولا يخفى ان ذكر المنبر يخالف ما في الاصل من ان اتخاذ المنبر كان في السنة الثامنة وقصة الافك كانت في السنة الخامسة او السادسة وفي النور المراد بالمنبر شيء مرتفع قال والا فالمنبر انما اتخذ في السنة الثامنة اي فيكون المراد المنبر الذي اتخذ في السنة الثانية كان من الطين والذي كان من خشب انما اتخذ في السنة الثامنة وقد بينا ذلك مبسوطا والله أعلم ثم بعد

وعشرين ألف بعير ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف اوقية ولم يذكروا عدد البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكر ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه قال أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي وسال الدم على وجهي وصدري فسلت النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهي وصدري الى ترقوتي ثم دعا لي فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فأرسل اليهم صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعري رضي الله عنه كما يأتي على الاثر والله أعلم

(سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه)

وهو عم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس بعث صلى الله عليه وسلم أبا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه فالتقوا بأوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة بأوطاس فانتهى اليهم أبو عامر فاذا هم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه بأبى دعوته الى الاسلام فلم يجب ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد

عليه فقال اللهم لا تشهد على فكف عنه أبو عامر ظنا منه انه أسلم فأفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبى عامر ثم استشهد أبو عامر رضى الله عنه قتله أخوان وهما العلاء وأوفى ابنا الحرث بن جشم وجاء ان أباموسى ادرك قاتل عمه فقتله وقيل ان الذى قتله عاشر الاخوة التسعة وهو الذى أسلم بعد ثم خلف أباعامر ابوموسى رضى الله عنه باستخلاف عمه له فأذره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ودعا النبى صلى الله عليه وسلم لابى عامر وقال اللهم اغفر لابى عامر واجعله من اعلى امتى فى الجنة وفى رواية وادخله يوم القيامة مدخلا كريما

(ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى ذى الكفين) وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسى وذلك انه لما ارادصلى الله عليه وسلم السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف بعث الطفيل لاحراق ذلك الصنم وان يوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يلقى النار فى وجهه و يقول

ياذا الكفين لست من عبادكا* ميلادنا اقدم من ميلادكا*
انى حشوت النار فى فؤادكا

وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعا لانه كان مطاعا فى قومه فوافوا النبى صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه من الطائف باربعة ايام

(غزوة الطائف)

وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار الى الطائف وجعل خالد بن الوليد على مقدمته فى الف من أصحابه وكانت ثقيف لما انهزموا ادخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد ان ادخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه ومرصلى الله عليه وسلم فى طريقه بحصن

نزول آيات الافك اى وهى ان الذين جاؤا بالافك عصبة الى قوله اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم خرج صلى الله عليه وسلم الى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات وامر بجلد أصحاب الافك اى وهم عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش ام المؤمنين وأخوها عبيد الله بالتصغير بن جحش و يقال له أبو أحمد كان ضريرا اى وكان يدور مكة اعلاها وأدناها فى أى محل من غير قائد وكان شاعرا وهو ابن عمة اميمة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأما أخوها عبد الله مكبرا فقد قتل يوم أحد كما تقدم وزاد بعضهم خامسا وهو زيد بن رفاعة وفيه أنه تقدم انهم لما قدموا المدينة وجدوه قد مات الا ان يقال ان لهم زيد بن رفاعة غيره فيجوز ان يكون هو ذلك و يقال وحسان بن ثابت فجلدوا الحد وهو ثمانون قال بعضهم وذكر سعد بن معاذ فى هذه الرواية اى انه القائل انا أعذرك وهم من بعض الرواة وانما المتكلم بذلك أسيد ابن حضير اى كما تقدم عن السيرة الهشامية لان سعد بن معاذ مات بعد بنى قريظة قال فى الاصل لو اتفق أهل المغازى على ان غزوة الخندق و بنى قريظة متقدمة على غزوة بنى المصطلق لكان الوهم لازما ولكنهم مختلفون (أقول) اى فالوهم لا يلزم الا من جعل هذه الغزوة التى هى غزوة بنى المصطلق متأخرة عن بنى قريظة و يذكر فيها سعد بن معاذ كالاصل ومن ثم لما قال ابن اسحق بأنها بعد بنى قريظة روى عن عائشة بدل سعد بن معاذ اسيد بن حضير قال فى الامتاع وهذا هو الصحيح والوهم لم يسلم منه أحد من بنى آدم وفيه ان مما يدل على تقدمها وان ذكر سعد بن معاذ ليس من الوهم فى شئ ما ذكره فى الكتاب المذكور الذى هو الامتاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سكث اياما ثم أخذ بيد سعد بن معاذ فى نفر حتى دخل على سعد بن عبادة فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاما فأصابوا منه ثم انصرفوا فمكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن عبادة فى نفر فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد بن معاذ فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما فاصابوا منه ثم خرجوا فذهب من أنفسهم ما كان وان ذكر سعد بن معاذ وقع فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم وذكر ان صفوان بن المعطل رضى الله عنه الذى كان الافك بسببه ظهر انه كان حصورا لا يأتى النساء اى انما معه مثل الهدبة اى عنين وقد قال الشيخ محيي الدين الحصور عندنا العنين اى ويدل له ما فى البخارى أنه رضى الله عنه ما كشف كنيف امرأة قط اى سترها لان الكنيف الساتر وقد جاء فى تفسير وصف يحيى بن زكريا بحصورا أنه صلى الله عليه وسلم أهوى الى الارض وأخذ قذاة وقال كان ذكره يعنى يحيى عليه السلام مثل هذه القذاة ولعل المراد التشبيه

لمالك بن عوف فامر به فهدم ومر بحائط أى بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم اما ان تخرج واما ان نحرق عليك حائطك فابى ان يخرج منه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ولما وصل خالد رضى الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريبا من الحصن وعسكر هنالك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن أبى امية المخزومى رضى الله عنه وهو اخو ام سلمة رضى الله عنها واصيبت عين أبى سفيان رضى الله عنه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وعينه فى يده فقال يارسول الله هذه عينى اصيبت فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين فى الجنة قال فى الجنة ورمى بها من يده وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدم الكلام على ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الطائف نزل قريبا من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو اول منجنيق رمى به فى الاسلام وكان الذى اشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه بل قيل انه صنعه بيده وأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه ينادى اهل الحصن ويقول من يبارز فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا احد ولكن نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك باسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تحت دبابتين لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدار الحصن ليخرقوه ففطن لهم ثقيف فأرسلوا اليهم سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا

التشبيه فى الارتخاء وعدم الشدة فلا يخالف ماقبله لكن فى النهر الحصور الذى لا يأتى النساء مع القدرة على ذلك اى ورع ومما يؤيد ذلك ما جاء أربعة لعنوا فى الدنيا والآخرة وامنت الملائكة رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله انثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذى يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فالحصور وصف مذموم الا فى يحيى عليه السلام خصوصية له دون غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والا فقد امتن سبحانه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية قيل وهذا الوصف جاء ليحيى من أثر همة والده زكريا عليهما السلام فانه لما شهد مريم منقطعة عن الازواج أحب ان يرزقه الله ولدا مثلها أى منقطعا عن الزوجات فجاء يحيى عليه السلام حصورا ويؤيد ذلك ما فى أنس الجليل وكان يحيى عليه السلام لا يأتى النساء لانه لم يكن له ما للرجال كذا قيل وهو غير مرضى وقد تكلم القاضى عياض رحمه الله فى الشفاء على معنى كون يحيى حصورا بما حاصله ان هذا الذى قيل نقيصة وعيب لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب لا يأتيها فكأنه حصر عنها وأنه حصر نفسه عن الشهوات قمعا لها هذا كلامه فليتأمل أى وعلى الاول لا ينافى ذلك كون صفوان كان متزوجا لما تقدم ان زوجته شكته للنبى صلى الله عليه وسلم أى على ان ابن الجوزى نقل عن شيخه ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى ان صفوان رضى الله عنه انما تزوج بعد حديث الافك ومما يدل على ان حسان رضى الله عنه لم يكن من أصحاب الافك تبرؤه مما نسب اليه فى أبيات مدح بها عائشة رضى الله عنها منها

مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل سوء وباطل

فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم * فلا رفعت سوطى الى أناملى

وكيف وودى ما حييت ونصرتى * لآل رسول الله زين المحافل

ومن ثم قال ابن عبد البر وقد أنكر قوم كون حسان رضى الله عنه خاض فى الافك وانه جلد وجاء ان عائشة رضى الله عنها برأته من ذلك أى فقد ذكر الزبير بن بكار أنه قيل لعائشة رضى الله عنها وقد قالت فى حق حسان رضى الله عنه انى لارجو ان يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هو ممن لعنه الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه القائل

والدبابة بفتح الدال المهملة وموحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث هى آلة من آلات الحرب يجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم فانى أدعها لله وللرحم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص فى بكرة فقيل له أبو بكرة وكان عبدا للحرث بن كلدة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة واستأذن عيينة بن حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يأتى ثقيفا فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فأذن له فى ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم تمسكوا فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ولا تعطوا بايديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ماقلت لهم ياعيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يارسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر منهم عبد الله بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه أخو أم سلمة رضى الله عنها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه فقال وسلم فى فتح الطائف قالت خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت له يارسول الله ما يمنعك أن تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله

فان كان ماقد قيل عنى قلته * فلا رفعت سوطى الى انامل

وقد قال مثل هذا البيت انس بن زنيم وقد بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم اهدر دمه لما بلغه صلى الله عليه وسلم انه هجاه فجاء اليه صلى الله عليه وسلم معتذرا وانشده ابياتا منها

ونبى رسول الله أنى هجوته * فلا رفعت سوطى الى اذن يدى

لكن فى رواية أنها كانت تاذن لحسان بن ثابت وتلقى له الوسادة وتقول لاتقولوا لحسان الا خيرا فانه كان يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم بلسانه وقد قال تعالى والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمى والعمى عذاب عظيم والله قادر على أن يجعل ذلك ويغفر لحسان ويدخله الجنة وفيه انه سيأتى عن عائشة وغيرها ان الذى تولى كبره عبد الله بن ابى ابن سلول كما تقدم الا ان يقال كبره مقول بالتشكيك والذى بلغ فيه الغاية عبد الله ابن أبى ابن سلول فليتأمل وعن الزهرى قال كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالى وهو يقرأ سورة النور مستلقيا على سريره فلما بلغ والذى تولى كبره جلس ثم قال ياأبابكر من تولى كبره أليس على بن ابى طالب قال الزهرى فقلت فى نفسى ماذا أقول ان قلت لا لا آمن ان ألقى منه شرا وان قلت نعم جئت بامر عظيم ثم قلت لنفسى لقد عودنى الله على الصدق خيرا فقلت لا فضرب بقضيبه السرير قال فمن يكرر ذلك مرارا قلت لكن عبد الله بن ابى بن سلول ووقع لسليمان بن يسار مع هشام بن عبد الملك نحو ذلك فان سليمان ابن يسار رحمه الله دخل على هشام بن عبد الملك فقال له ياأباسليمان الذى تولى كبره من هو قال عبد الله بن أبى قال كذبت هو على قال أأنا أكذب لا أبا لك لو نادى مناد من السماء ان الله أحل الكذب ما كذبت حدثنى عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة رحمهم الله عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت الذى تولى كبره عبد الله بن أبى وعن عائشة رضى الله عنها انه ذكر عندها حسان بسوء فنهتهم وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وفى البخارى كانت عائشة رضى الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

فبهذا البيت يغفر الله تعالى له وذكر بعضهم ان الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشركى قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان ابن عمه صلى الله عليه وسلم وعمرو بن العاصى وضرار بن الحرث ولما أراد حسان رضى الله عنه أن يهجوهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وانا منهم وكيف تهجو أباسفيان ابن عمى

عليه وسلم فقال يارسول الله ماحديث حدثتنيه خولة زعمت انك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يارسول الله قال لا واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال له ثعلب في جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك قال ابن اسحق وبلغني انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق رضي الله عنه اني رأيت اني أهديت لي قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهراق مافيها فقال أبو بكر رضي الله عنه ماأظن أن تدرك منهم يومك هذا ماتريد فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك وكان الحكمة في انه لم يؤذن له في فتح الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلا فاخر الله أمرهم حتى جاؤا طائعين مسلمين كما سيأتي ذكره في الوفود ان شاء الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فاصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا ان رأيه صلى الله عليه وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل له يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ورحم الله الابوصيري حيث يقول

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعياء

وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع للكتاب

فقال له والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له صلى الله عليه وسلم ائت أبا بكر فانه أعلم بانساب القوم منك فكان يجيء الى ابي بكر ليوقفه على انسابهم فجعل حسان يهجوهم فلما سمعوا هجوه قالوا ان هذا الشعر ماغاب عنه ابن أبي قحافة وعاش حسان رضي الله عنه مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وعاش والده أيضا مائة وعشرين سنة وكذا جده والد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم غيرهم ولم يشهد حسان مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا لانه كان يخشى الموت فكان ينسب للجبن ومن ثم جعل يوم الخندق مع النساء والذراري في الآطام وماوقع له مع صفية عمته صلى الله عليه وسلم في أمر اليهودي الذي قتلته في ذلك المكان وماقاله لها يدل على انه كان جبانا شديد الجبن ويرد انكار بعض العلماء كونه جبانا قال اذ لو صح ذلك لهجي به فانه كان يهاجي الشعراء وكانوا يردون عليه فما عيره احد منهم به ولا وسمه به ولعله كان به علة اقتضت جعله مع الذراري في الآطام منعته من شهود القتال هذا كلامه وقد يقال على تسليم انه لم يهج بالجبن يجوز ان يكون لكونه كان لايتأثر بوصفه بذلك وذكر بعضهم ان حسان رضي الله عنه شلت يداه بضربة ضربه الصفوان بسيف لما هجاه فذكر ذلك حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حسان وصفوان أي وأظهر التغيظ على صفوان بسبب اظهاره السلاح على حسان وضربه به فقال صفوان يارسول الله آذاني وهجاني فاحتملني الغضب فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ياحسان أحسن فيما اصابك قال هي لك وفي رواية قال كل حق لي قبل صفوان فهو لك فقال له صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك منك واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها حديقة له يقال لها بيرحا بفتح الراء في الاحوال الثلاثة مع قصر حا قيل لها ذلك لان الابل يقال لها اذا وردت وزجرت عن الماء حاحا وفيه انه كان القياس ان يقال بيرحا بضم الراء في حالة الرفع وحدها الا أن يقال المجموع اسم مركب وكانت هذه البئر لابي طلحة رضي الله عنه فتصدق بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعها حيث شاء ثم باعها حسان من معاوية بمال عظيم أقول الذي في البخاري كان ابو طلحة رضي الله عنه اكثر أنصاري بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحا وهي حديقة كانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل بها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله

الذى كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين اصبعيه وينادى انا سراقة وهذا كتابى فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة أدنوه فادنوه منه فاسلم رضى الله عنه وسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الضالة من الابل ترد حوضه الذى ملأه لابله هل له فى ذلك أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فى كل ذات كبد حرى أجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم الجعرانة امر باحصاء السبى فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والاسرى ومن الابل أربعة وعشرين ألفا ومن الغنم أكثر من اربعين الفا ومن الفضة أربعة آلاف اوقية غير ما يتبع ذلك من الامتعة وكان صلى الله عليه وسلم قد انتظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوازن مسلمين ورد عليهم السبى كما سيأتى وسالهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصرى فقالوا هو مع ثقيف بالطائف فقال اخبروه انه ان اتانى مسلما رددت عليه اهله وماله واعطيته مائة من الابل فلما أخبروا مالكا بذلك ركب مستخفيا فادرك النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله واعطاه مائة من الابل كما وعد صلى الله عليه وسلم واسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وقال حين اسلم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * فى الناس كلهم بمثل محمد
اوفى وأعطى للجزيل اذا اجتدى * ومتى تشا يخبرك عما فى غد
فكأنه ليث على اشباله * وسط الهباءة خادر فى مرصد

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على من اسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه وضيق عليهم حتى أسلموا وشهد فتح القادسية وفتح دمشق فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما جاء وفد هوازن الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان قسم الغنائم سالوه ان يرد عليهم سبيهم واموالهم فقال

ان الله يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الى بيرحا وانه صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها وقد قبلناها منك ورددناها عليك وأرى ان تجعلها فى الاقربين قال أفعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة فى أقاربه وبنى عمه وفى لفظ آخر فى البخارى قال صلى الله عليه وسلم لابى طلحة اجعله لفقراء أقاربك فجعلها لحسان وأبى بن كعب وفيه ان أبى بن كعب كان غنيا وبين فى البخارى وجه قرابتهما من أبى طلحة فذكر أن حسان يجتمع مع أبى طلحة فى الاب الثالث وأبى يجتمع معه فى الاب السادس وذكر بعضهم أن أبى بن كعب كان ابن عمة ابى طلحة وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم اعطى حسان تلك الحديقة واعطاه سيرين جارية اخت مارية ام ولده صلى الله عليه وسلم ابراهيم فجاءت منه بابنه عبد الرحمن وكان يفتخر بانه ابن خالة ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وقد روت سيرين هذه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا قالت راى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر ابنه ابراهيم فأصلحه وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا ان يتقنه واعطاه سعد بن عبادة رضى الله عنه بستانا كان يحصل منه مال كثير وحاصل ما فى الامتاع فيما وقع بين حسان وصفوان ان حسان رضى الله عنه لما قال

امسى الجلابيب قد عزوا وقد كبروا * وابن القريعة أمسى بيضة البلد

قال صفوان ما أراه الا عنانى أى بالجلابيب وتقدم ان ابن أبى ابن سلول قد قالها فى حق المهاجرين والقريعة بالقاف جدة حسان رضى الله عنه وقيل أمه وقريعة النبى خياره وقريعة القبيلة سيدها واستعمل بيضة البلد فى الذم بقرينة المقام والا فكما تستعمل فى الذم تستعمل المدح يقال فلان بيضة البلد أى واحد فى قومه عظيم فيهم فعند ذلك خرج صفوان مصلتا السيف وجاء الى حسان وهو فى نادى قومه الخزرج وضربه فاتقى بيده فوقع السيف فيها فقام قومه وأوثقوا صفوان رباطا ثم انه حل وجىء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان رضى الله عنه يا رسول الله شهر على السيف فى نادى قومى ثم ضربنى ولا ارانى الا ميتا من جراحتى فقال صلى الله عليه وسلم لصفوان ولم ضربته وحملت السلاح عليه وتغيظ لحسان فقال صفوان ما تقدم ثم قال لقوم حسان احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به فحبسوه فبلغ ذلك سيد الخزرج سعد بن عبادة فاقبل على قومه ولامهم على حبسه فقالوا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبسه وقال انا

صلى الله عليه وسلم معى من ترون يعنى من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت فاختاروا اما السبى
واما المال فاختاروا السبى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى رد سبيهم عليهم فردوه كلهم الا عيينة بن حصن فانه ابى
ان يرد عجوزا كبيرة وقال هذه ام الحى لعلهم ان يغلوا فداءها ثم ردها بست قلائص كما سيأتى وكانت فى السبى اخته

ان مات صاحبكم فاقتلوه فقال سعد والله ان أحب الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو عنه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالحق والله لا ابرح حتى يطلق فاستحى القوم واطلقوه واخذه سعد وانطلق به الى منزله وكساه حلة وجاء به الى المسجد فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال صفوان قالوا نعم يارسول الله قال من كساه قالوا سعد بن عبادة قال كساه الله من ثياب الجنة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم حسان رضى الله عنه فى العفو عن صفوان فقال يارسول الله كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك ثم أعطاه صلى الله عليه وسلم أرضا له وسيرين جاريته أخت مارية أم ولده ابراهيم واعطاه أيضا سعد بن عبادة رضى الله عنه حائطا كان يتحصل منه مال كبير عاقبا عن حقه وقيل انما اعطاه سيرين لذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره فقد قال ابن عبد البر رحمه الله اعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين أخت مارية لحسان بن ثابت يروى من وجوه واكثرها ان ذلك ليس بسبب ضرب صفوان له بل لذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وكان لسان حسان يصل لجبهته والى نحره وكذلك كان أبوه وجده وكان حسان رضى الله عنه يقول على لسانه والله لو وضعته على صخر لفلقه أو شعر لحلقه وقد عمى مسطح أيضا أى وقد روى أصحاب السنن الاربعة عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أمر برجلين وامرأة فضربوا احدهم قال الترمذى حسن غريب اى والمرأة حمنة بنت جحش والرجلان أخوها عبيد الله ابو احمد بن جحش ومسطح ولم يحد الخبيث عبد الله بن ابى ابن سلول لان الحد كفارة وليس من اهلها وقيل لانه لم تقم عليه البينة بذلك بخلاف أولئك وقيل لانه كان لا يأتى بذلك على انه من عنده بل على لسان غيره و فى الطبرانى ومعجم النسائى عن عائشة رضى الله عنها ان عبد الله بن ابى ابن سلول جلد مائة وستين اى حدين قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهكذا يفعل بكل من قذف زوجة نبى اى ولعل المراد انه يجوز ان يفعل به ذلك فلا ينافى ما تقدم من ان الحد كان ثمانين جلدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما زنت وفى لفظ ما بغت امرأة نبى قط واما قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما فالمراد آذتاهما قالت امرأة نوح عليه السلام فى حقه انه لمجنون وامرأة لوط عليه السلام دلت على أضيافه قيل انما جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما السلام ولم يجز أن تكون فاجرة أى زانية لان النبى مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه منقص ينفرهم عنه والكفر غير منقص عندهم واما الفجور فمن أعظم النقصان وفى الخصائص الصغرى ومن قذف أزواجه صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم من الرضاع وهى الشيماء قيل وامه حليمة رضى الله عنها ولما قالت له الشيماء انا اختك يارسول الله قال وما علامة ذلك فاخبرته بعضة كان عضها اياها حين كان مسترضعا عندهم وارته اياها فعرفها وتذكر ذلك فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بامه حليمة رضى الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء لما ان عرفها سلى تعطى واشفعى تشفعى وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل اخوك فلو اتيته فسألته فى قومك لرجونا ان يحابينا فاتته فقالت اتعرفنى قال من أنت قالت أنا أختك بنت أبى ذؤيب وآية ذلك انى حملتك فعضضت كتفى عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبى وهم ستة آلاف فوهبهم لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أيمن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم فقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت ان امتعك وترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وأرجع الى قومى فاعطاها نعما وشاء وغلاما يقال له مكحول وجارية وقيل أعطاها ثلاثة
اعبد وجارية ونعما وشاء وقيل القادم عليه أمه وقيل هما معا جمعا بين الروايات وجاءه أبو صرد ويكنى بابى برقان وكان عمه
صلى الله عليه وسلم من الرضاع فقال يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك وان فيمن أصبت
الامهات والاخوات والعمات والخالات ونرغب الى الله واليك يارسول الله وقال زهير بن صرد يارسول الله ان ما فى الحظائر

عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك أى لان مرضعته حليمة رضى الله عنها كانت من هوازن لو أرضعنا للحرث بن أبى شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما نزلت بنا لرجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين ثم أنشده أبياتا يستعطفه بها منها قوله امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها
اذ فوك يملؤه من محضها الدرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه
هذى البرية ان تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه
من امهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث اصدقه أبناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم فاختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون لانه كما تقدم انتظرهم بعد ان قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفى رواية قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأى الامرين احب اليكم السبى ام الاموال وفى رواية قال لهم اما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ثم قال لهم اذا انا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابنائنا ونسائنا واظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم فى الدين فسأسأل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى امرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اثنى على الله بما هو اهله اما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين ان وانى قد رأيت ان ارد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ومن احب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل وفى رواية قال وأما من تمسك منكم بحقه من السبى فله بكل انسان ست قلائص وفى

وسلم فلا توبة له البتة كما قاله ابن عباس وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة ويحد فى غيرها حدين وقد وقع ان الحسن بن يزيد الراعى من اهل طبرستان وكان من العظماء كان يلبس الصوف ويامر بالمعروف وكان يرسل فى كل سنة الى بغداد عشرين الف دينار تفرق على اولاد الصحابة فحضر عنده رجل من اشياع العلويين فذكر عائشة رضى الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه يا غلام اضرب عنق هذا فنهض اليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهى الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء يا غلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه وفى كتاب الاشارات للفخر الرازى انه صلى الله عليه وسلم فى تلك الايام التى تكلم فيها بالافك كان اكثر اوقاته فى البيت فدخل عليه عمر رضى الله عنه فاستشاره صلى الله عليه وسلم فى تلك الواقعة فقال يا رسول الله انا اقطع بكذب المنافقين واخذت براءة عائشة رضى الله عنها من الذباب لان الذباب لا يقرب بدنك فاذا كان الله تعالى صان بدنك ان يخالطه الذباب لمخالطته للقاذورات فكيف اهلك ودخل عليه صلى الله عليه وسلم عثمان رضى الله عنه فاستشاره فقال له عثمان يا رسول الله اخذت براءة عائشة رضى الله عنها من ظلك انى رأيت الله تعالى صان ظلك ان يقع على الارض أى لان ظل شخصه الشريف كان لا يظهر فى شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالاقدام فاذا صان الله ظلك فكيف باهلك اى وقد اشار الى ذلك الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

لقد نزه الرحمن ظلك ان يرى * على الارض ملقى فانطوى لمزية

(وهنا لطيفة لا بأس بها) وهى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان مسافرا وكان يسايره يهودى فلما اراد المفارقة قال عبد الله رضى الله عنه لليهودى بلغنى انكم تدينون بايذاء المسلمين فهل قدرت على شىء من ذلك معى واقسم عليه فقال ان امنتنى اخبرتك فأمنه فقال لم اقدر عليك فى شىء الا اكثر من انى كنت اذا رأيت ظلك وطئته بقدمى وفاء بأمر ديننا ودخل عليه صلى الله عليه وسلم على كرم الله وجهه فاستشاره فقال له على كرم الله وجهه اخذت براءة عائشة من شىء هو انا صلينا خلفك وانت تصلى بنعليك ثم انك خلعت احدى نعليك فقلنا ليكون ذلك سنة لنا قلت لا ان جبريل عليه السلام اخبرنى

ان فى تلك النعل نجاسة فاذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف تكون باهلك فسر صلى الله عليه وسلم بذلك اى ويحتاج ائمتنا الى الجواب عن خلع احدى نعليه فى اثناء الصلاة لنجاسة بها واستمر فى الصلاة وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لزوجته ام ايوب الاترين مايقال أى من الافك فقالت له لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بسوء لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ماخنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك وفى السيرة الشامية ان ابا أيوب رضى الله عنه قالت له زوجته ام ايوب ألا تسمع مايقول الناس فى عائشة قال بلى وذلك الكذب اكنت ياام ايوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك وجاء ان ابن عباس رضى الله عنهما دخل على عائشة رضى الله عنها فى مرض موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال ابها لا تخافى فانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم فغشى عليها من الفرح بذلك لانها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه فى حجرى ولقد قبر فى بيتى وان الوحى ينزل عليه فى أهله فيفرقون منه وان كان لينزل عليه وانا معه فى لحاف واحد وابى رضى الله عنه خليفته وصديقه ولقد نزلت براءتى من السماء ولقد خلقت طيبة عن طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما قيل وفى هذه الغزوة فقدت عائشة رضى الله عنها عقدها أيضا فاحتبسوا على طلبه أى فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه رجلين من المسلمين اى احدهما اسيد بن حضير فحضرت الصلاة أى صلاة الصبح وكانوا على غير ماء زاد فى رواية وليس معهم ماء فنزلت آية التيمم وهذا القيل نقله امامنا الشافعى رضى الله عنه عن عدة من اهل المغازى اى وعليه يكون سقط عقدها فى تلك الغزوة مرتين لاختلاف القضيتين باختلاف سياقهما والصحيح ان ذلك كان فى غزوة اخرى أى متأخرة عن هذه الغزوة فعن عائشة رضى الله عنها قالت لما كان من امر عقدى ما كان وقال اهل الافك ماقالوا خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة أخرى فسقط ايضا عقدى حتى حبس التماسه الناس اى فانه صلى الله عليه وسلم بعث رجالا فى طلبه وهو لا يخالف ماسبق انه صلى الله عليه وسلم ارسل فى طلبه رجلين وطلع الفجر فلقيت من ابى بكر رضى الله عنه ماشاء الله اى لان الناس جاؤا الى ابى بكر رضى الله عنه وشكوا اليه مانزل بهم فجاء اليها ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه الشريف على فخذها قد نام

رواية فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ فى الزكاة ونعطيه ذلك من اول سبى نصيبه وفى رواية فمن احب ان يعطى غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطى واراد اخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس اما انا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن الفزارى اما انا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس السلمى اما انا وبنو سليم فلا فقال بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس وهنتمونى أى اضعفتمونى حيث صيرتمونى منفردا وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده من النساء شئ فطابت نفسه ان يرده فليرده ومن ابى فليرد ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من اول ما يفئ الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وابناءهم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال انا لا ندرى لعل فيكم من لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضوا وكان صلى الله عليه وسلم عند تفريق السبى على المسلمين قدام مناديا ينادى أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة وقد اشار صاحب الهمزية الى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ومنه عليهم بقوله

من فضلا على هوازن اذ كا * ن له قبل ذاك فيهم رباء
واتى السبى فيه أخت رضاع * وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا * س به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء * أى فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهى سيدة النسـ * ـوة والسيدات فيه اماء

والصحيح انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم جميع السبى ولم يتخلف

منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن كما تقدم فأبى ان يردها وقال حين اخذها ارى عجوزا انى لاحسب ان
لها فى الحى نسبا وعسى ان يعظم فداؤها فترد عليه ولدها وهو زهير بن صرد فساومها منه وأعطاه مائة من الابل فيها فأبى عيينة
وطمع فى الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال له عيينة خذها بالمائة فأبى وقال لا أدفع الا خمسين
فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر
معرضا فقال خذها بالخمسين
فقال لا ادفع الا خمسة وعشرين
فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر عليه
معرضا فقال خذها بالخمسة
والعشرين فقال لا آخذها الا
بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر
معرضا فقال خذها بالعشرة فقال
لا آخذها الا بستة والله ماثديها
بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها
ببارد ولا صاحبها بواجد عند
فوتها أى حزين ولا درها بناكد
أى غزير فقال له عيينة خذها
لا بارك الله لك فيها وذلك بسبب
دعائه صلى الله عليه وسلم فانه دعا
على من أبى ان يرد من السبى شيأ ان
يخس أى يكسد عنه ولما أخذها
ولدها قال لعيينة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كسا السبى
قبطية فقال لا والله ماذاك لها
عندى فما فارقه حتى أخذها
منه ثوبا والقبطية بضم القاف
ثوب أبيض من ثياب مصر
منسوبة للقبط روى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمر رجلا
ان يقدم مكة فيشترى للسبى
ثيابا فلا يخرج الحر منهم الا
كاسيا وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس اهل مالك بن عوف النصرى عند رايت
عمته عاتكة ام عبد الله بن ابى امية المخزومى حتى جاء مالك فسلم اليه اهله وكان الوفد كلموه صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال انما اريد

فقال لها حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجعل يطعن بيده فى خاصرتها و يقول يا بنية فى كل سفرة تكونين عناء و بلاء وليس مع الناس ماء قالت فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى أى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام لا يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانهم لا يدرون ما يحدث له فى نومه فقام حين أصبح وفى لفظ فاستيقظ وحضرت الصلاة فالتمس الماء فلم يجد فأنزل الله تعالى الرخصة بالتيمم وفى لفظ فانزل الله تعالى آية التيمم أى التى فى المائدة فى بعض الروايات فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية وقيل المراد بالآية آية النساء لان آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لا ذكر للوضوء فيها فيتجه تسميتها بآية التيمم وكلام الواحدى رحمه الله فى أسباب النزول يدل عليه فقال أبو بكر عند ذلك والله يا بنية انك كما علمت مباركة أى وقال لها صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال اسيد بن حضير ماهذا بأول بركتكم يا آل أبى بكر أى وفى رواية انه قال لها جزاك الله خيرا فما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا أى وهذا ربما يفيد تكرر وقوع ما تكرهه وان فى ذلك خيرا للمسلمين فليتأمل وفى لفظ قال اسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر ما انتم الا بركة لهم قال الحافظ بن حجر رحمه الله وانما قال اسيد بن حضير ما قال دون غيره لانه كان راس من بعث فى طلب العقد أى بل تقدم فى بعض الروايات الاقتصار على بعثه لطلب ذلك قالت فبعثنا البعير الذى كنت عليه أى أقمناه من مبركه فوجدنا العقد تحته أقول فى النور اعلم ان العقد سقط مرتين مرة كان لها ومرة كان لاختها اسماء استعارته وبهذا يجمع بين الاحاديث التى فى المسئلة هذا كلامه فليتأمل و ينظر تلك الاحاديث ماهى أى وكون هذا العقد لاسماء اختها لا يخالف ذلك قولها عقدى لان الاضافة تأتى لادنى ملابسة أى فعقد اسماء كان فى المرة الثانية وفى البخارى أيضا ان آية التيمم نزلت بعد ان صلوا بلا وضوء فعن عائشة رضى الله عنها أنها استعارت من اسماء رضى الله عنها قلادة فهلكت اى ضاعت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى آية التيمم وقد ترجم البخارى عن ذلك بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا وقوله فبعث رجلا فوجدها يجوز ان يكون هذا الرجل هو الذى اقام البعير او من جملة من اقامه فلا يخالف ما سبق مما يدل على ان الذين بعثهم فى طلبه لم يجدوه ثم

بهم الخير ولم يجز ان يجرى السهمان فى مال مالك بن عوف حتى حضر ورده عليه وزاده مائة من الابل كما تقدم ❊(ذكر قسمة الغنائم)❊ لما رجع صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم وهم ناس من قريش اسلموا يوم الفتح اسلاما ضعيفا واراد صلى الله عليه وسلم ان يتمكن الايمان فى قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم اسلم كصفوان بن امية ولما جمعت الغنائم واحصيت جاء ابو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى كثرة المال قال يا محمد اصبحت اكثر قريش فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم اعطاه مائة من الابل واربعين اوقية من فضة فقال يا رسول الله ابنى يزيد وكان يقال له يزيد الخير وكان اكبر من معاوية فاعطى صلى الله عليه وسلم لابنه يزيد مائة من الابل واربعين اوقية من فضة فقال يا رسول الله ابنى معاوية فأعطاه مائة من الابل واربعين اوقية من فضة فأخذ ابو سفيان وابناه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين اوقية من الفضة فقال ابو سفيان بابى انت وامى يا رسول الله لانت كريم فى الحرب وكريم فى السلم لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وجاء حكيم بن حزام فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة من الابل ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فاخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها وقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا ارزأ احدا بعدك شيأ حتى افارق الدنيا فكان ابو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى ان يقبل منه شيأ ثم كان عمر رضى الله عنه فى زمن خلافته يدعوه ليعطيه فيأبى ان يقبل فيكان عمر رضى الله

رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله قال وطريق الجمع بين هذه الروايات ان اسيدا كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمى فى بعض الروايات دون غيره ولذا اسند الفعل الى واحد منهم وكانهم لم يجدوا العقد اولا فلما رجعوا ونزلت آية التيمم وارادوا الرحيل واثاروا البعير وجده اسيد رضى الله عنه هذا كلامه قيل وفى هذه الغزوة خرجوا عن الطريق وادركهم الليل بقرب واد وعر فهبط جبريل عليه السلام واخبره صلى الله عليه وسلم ان طائفة من كفار الجن بهذا الوادى يريدون كيده صلى الله عليه وسلم وايقاع الشر باصحابه فدعا صلى الله عليه وسلم بعلى كرم الله وجهه وعوذه وامره بنزول الوادى فقتلهم قال الامام ابن تيمية وهذا من الاحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى على كرم الله وجهه قال ابن تيمية ومن هذا ماروى فى عام الحديبية انه قاتل الجن فى بئر ذات العلم وهى بئر فى الجحفة وهو حديث موضوع عند اهل المغازى اى وجاء فى سبب مشروعية التيمم غير ماذكر ففى الطبرانى عن اسلع قال كنت اخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وارحل له ناقته فقال لى ذات يوم يا اسلع قم فارحل فقلت يا رسول الله اصابتنى جنابة اى ولا ماء فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بآية الصعيد اى التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا اسلع فتيمم فأرانى التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت فتيممت ثم رحلت له حتى مر بماء فقال يا اسلع امس هذا جلدك وفى الامتاع نزلت آية التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون ايديهم بالارض ثم مسحوا بأيديهم الى المناكب اى ويحتاج ائمتنا الى الجواب عن هذه الرواية وفى هذه السنة الخامسة خسف القمر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخسوف حتى انجلى القمر وصارت اليهود تضرب بالطاس ويقولون سحر القمر

❊(غزوة الخندق)❊

ويقال لها غزوة الاحزاب اى وهى الغزوة التى ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان فى قلوب اوليائه المتقين اى واظهر ما كان يبطنه اهل النفاق والشقاق المعاندين وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من اماكنهم كما تقدم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم حيى بن اخطب ابو صفية ام المؤمنين رضى الله عنها وعظيمهم سلام بن مشكم وربيعهم كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عامر الفاسق الى أن قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله اى ونكون معكم على عداوته فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا

وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد زاد في رواية فقال لهم لكن لا نأمنكم الان سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فقالت قريش لا ولئك اليهود يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم اخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد افديننا خير ام دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم اولى بالحق منه وفي رواية أنحن اهدى سبيلا أم محمد فقالوا انتم أهدى سبيلا اى لانكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم اى فانتم أولى بالحق منه فانزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآيات فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلا وتحالفوا وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين باستارها أن لا يخذل بعضهم بعضا ويكونون كلهم يدا واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم رجل وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رحمه الله بابيات ذم فيها اليهود لعنهم الله بامور بقوله

لا تكذب أن اليهود وقد زا * غوا عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا * غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ * ـل ألا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـ * ـوى وأرضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون * فهي نار طباقها الامعاء
لو أريدوا في حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الاربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصـ * ـريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم * طيبات في تركهن ابتلاء

اى لا تكذب ان اليهود والحال انهم قد مالوا عن الحق قوم لؤماء واللئيم الدنى الاصل الشحيح النفس ومن عظيم لؤمهم انهم جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته والحال انه قد آمن بالطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مأخوذ من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء وهم كفار قريش وردان اليهود قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ومن جملة من قتلوا زكريا ويحيى واتخذوا العجل الها يعبدونه ومن يفعل ذلك لا سفيه غيره ومن ارضاه الفوم والقثاء بدل المن وهو نوع من الحلواء والسلوى نوع من الطير سفيه بلا شك ملئت بالحرام كالربا بطون منهم فبطونهم نار لاشتمالها على ما يؤدي الى تلك النار طباق تلك النار المصارين

عنه يقول يا معشر المسلمين انى اعرض على حكيم حقه الذى قسم الله له من هذا الفئ فيأبى ان يقبله رضى الله عنه والذين اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم مائة مائة من الابل كثير منهم ابو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن حزام والاخنس بن شريق وجبير ابن مطعم والجد بن قيس السهمي والحرث بن الحرث والحرث بن هشام اخو ابى جهل وحاطب بن عبد العزى وحرملة بن خودة وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد ابن اسيد وخلف بن هشام وزهير ابن ابى اسيد وزيد الخيل والسائب ابن ابى السائب وصيفى بن عائذ وسهل وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبى وعبد الرحمن بن يعقوب الثقفى وسفيان بن عبد الاسد المخزومى وصفوان بن امية وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة ثم مائة ثم واديا مملوأ ابلا وغنما فلم يزل يعطيه حتى اسلم رضى الله عنه وتقدمت قصته عند ذكر فمن اهدر دمهم صلى الله عليه وسلم وممن اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة الاقرع بن حابس التميمي وعيينة ابن حصن الفزارى واعطى العباس بن مرداس السلمى دون المائة وكان مثلهما رئيسا على قومه كما انهما رئيسان على قومهما فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

اتجعل نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرؤ * فلم اعط شيأ ولم امنع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تخفض اليوم لم يرفع

ولو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه واعطوه مثل اصحابه وفى رواية يا ابا بكر اقطع عنى لسانه واعطه مائة من الابل فاعطى تمام المائة والعبيد اسم فرسه واعطى صلى الله عليه وسلم جماعة من المؤلفة خمسين خمسين من الابل منهم عثمان بن وهب

ولو أراد الله لليهود في حال سبتهم الذي اختاروا تعظيمه على ما تقدم خيرا لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم خلق فيه النور فاختيار يوم السبت دون يوم الاربعاء اسبتهم اى سكوتهم عما عدا العبادة دليل على انه تعالى لم يرد بهم الخير ويوم السبت ابتدأ الله فيه خلق العالم خلافا لهم حيث قالوا ان ذلك اى ابتداء الخلق كان يوم الاحد وفرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه قالوا فان الله لا يقضي يوم السبت شيأ من خلق ولا رزق ولا رحمة ولا عذاب ولا احياء ولا اماتة ومن مات يوم السبت يكون محي اسمه من اللوح المحفوظ قبل ذلك وقد كذبهم الله تعالى بقوله كل يوم هو في شأن فكان فيه منهم ظلم وعدوان لاجل التصريف فيه بغير العبادة فبسبب ظلم وكفر حاصل منهم فيه فاتتهم طيبات كانت حلالا لهم نحرمها الله تعالى عليهم فكان في ذلك ابتلاء لهم ونقل عن ابن حجر الهيتمي رحمه الله أنه بحث استحباب صوم يوم الاربعاء لما ذكر من أنه خلق فيه النور فليتأمل ثم جاء أولئك الى غطفان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم انا سنكون معكم وان قريشا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم عليه فتجهزت قريش اى وأتباعها من القبائل وغطفان اى وأتباعها وقائد قريش أبو سفيان بن حرب وكانوا أربعة آلاف ومعهم ثلثمائة فرس اى وألف وخمسمائة بعير وعقد اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة المقتول والده الذي هو طلحة يوم أحد وكذا عمه أى عم عثمان بن طلحة وهما عثمان بن أبي طلحة وأبو سعيد بن أبي طلحة وعثمان بن أبي طلحة هو أبو شيبة كما تقدم فشيبة ابن عم عثمان بن طلحة وقتل يوم أحد أخوة عثمان بن طلحة الاربعة وهم مسافع بن طلحة والحرث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة وعثمان بن طلحة هذا أى الحامل لواء قريش اسلم بعد ذلك ويقال له الحجبي لانه كان من بني عبد الدار وهم سدنة الكعبة وبنو عبد الدار كان لهم ولابيهم حمل لواء قريش عند الحرب دون غيرهم كما تقدم وقائد غطفان عيينة بن حصن الفزاري في بني فزارة اى وهم الف وتقدم ان عيينة اسلم بعد ذلك ثم ارتد بعد اسلامه واخذ اسيرا في زمن خلافة الصديق رضي الله عنه ثم اسلم وكان قبل اسلامه يتبعه عشرة آلاف قناة وكان عنده جفوة وغلاظة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في حقه انه الاحمق المطاع وقال فيه ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقائد بني مرة اى وهم اربعمائة الحرث بن عوف المري واسلم بعد ذلك اى وقيل لم تحضر بنو مرة وقائد بني اشجع ابو مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة واسلم بعد ذلك

المخزومي وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدى بن قيس السهمي وعمرو بن مرداس السلمي اخو العباس بن مرداس ومخرمة بن نوفل الزهري وهشام بن عمرو العامري وسعيد بن يربوع وذكر بعضهم ان ممن اعطاه مائة اباجهم بن حذيفة العدوي وابا سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وعكرمة ابن عامر العبدري وعلقمة بن علاثة وعمرو بن الاهتم والعلاء بن جارية الثقفي وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامري ومالك ابن عوف رئيس هوازن ومطيع ابن الاسود القرشي والنضير بن الحرث بالتصغير اخو النضر المقتول ببدر ونوفل بن معاوية الكناني وهشام بن الوليد المخزومي وذكر بعضهم عكرمة بن ابي جهل فيمن اعطاه مائة وقيل انه لم يكن حاضرا وهو الصحيح لانه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بامان من النبي صلى الله عليه وسلم فرجع كما تقدم ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم بقية الغنائم على بقية الاعراب قال اهل المغازي امر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان من اعظم كتابه صلى الله عليه وسلم باحضار الناس والغنائم ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل اربعة من الابل واربعين شاة فان كان فارسا اخذ اثني عشر من الابل ومائة وعشرين شاة وان كان معه اكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الانصار ولا كبار المهاجرين شيأ فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله تعالى فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فغضب وقال اذا لم اعدل فمن يعدل رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ائذن لنا نضرب عنقه يارسول الله فقال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لا يتحدث الناس اني اقتل اصحابي فعامل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك

الرجل بظاهر حاله تألفا للناس ليدخلوا فى الاسلام وقال ناس من الانصار ايسوا منافقين يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله ان هذا العجب اذا كانت شدة فنحن ندعى لها وتعطى الغنائم لغيرنا وددنا أن نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وان كان من النبى صلى الله عليه وسلم استعتبناه فبلغ الخبر

النبى صلى الله عليه وسلم فارسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من ادم فلما اجتمعوا قام صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال فقهاء الانصار أما فقهاؤنا فلم يقولوا شيأ وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم انى اعطى رجالا حديثى عهد بكفر ومصيبة أتألفهم وانى أردت أن أخبرهم أو أجبرهم أما ترضون أن يرجع الناس بالاموال وفى رواية بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يارسول الله قد رضينا وفى رواية فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وفى رواية انه خطبهم فقال يامعشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وكنتم عالة فاغناكم الله بى وكلما قال شيأ قالوا الله ورسوله امن قال ما يمنعكم ان   اللهم
تجيبوا رسول الله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك وخائفا فامناك قالوا بل المن علينا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعا وانصافا واظهارا الشرف

اى وقائد بنى سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس لا يعلم اسلامه اى وقائد بنى أسد طليحة ابن خويلد الاسدى وأسلم بعد ذلك اى بعد ان كان ارتد بعد اسلامه ثم حسن اسلامه وكانت أشجع و بنو أسد تتمة العشرة آلاف فقد قال بعضهم كانت الاحزاب عشرة آلاف وهم ثلاث عساكر وملاك امرها لابى سفيان اى المدبر لامرها والقائم بشأنها ولما تهيأت قريش للخروج اتى ركب من خزاعة فى اربع ليال حتى اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أجمعوا عليه ندب الناس اى دعاهم وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى أمرهم أى قال لهم هل نبرز من المدينة أو نكون فيها فاشير عليه بالخندق أى أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بارض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا أى فان ذلك كان من مكايد الفرس وأول من فعله من ملوك الفرس ملك كان فى زمن موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه فاعجبهم ذلك فضرب على المدينة الخندق أى وعند ذلك ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا له ومعه عدة من المهاجرين والانصار فارتاد موضعا ينزل له وجعل سلعا خلف ظهره وأمرهم بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين اى وحمل التراب على ظهره الشريف ودأب المسلمون يبادرون قدوم العدو وقال واستعاروا من بنى قريظة آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل وكان من جملة من يعمل فى الخندق جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من أصحاب الصفة وهو الذى تمثل به الشيطان يوم أحد وقال ان محمدا قد قتل كما تقدم فغير صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا فجعل المسلمون يرتجزون و يقولون

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا

وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قالوا عمرا قال عمرا واذا قالوا ظهرا قال ظهرا انتهى اى وسياق اسد الغابة يدل على ان هذا الذى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور وحصل للصحابة رضى الله عنهم تعب وجوع لانه كان فى زمن عسرة وعام مجاعة ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصحابه من النصب والجوع قال متمثلا بقول ابن رواحة رضى الله عنه

اللهم لاعيش الاعيش الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قيل وانما قال ابن رواحة لاهم ان العيش من غير الف ولام فقد غيره صلى الله عليه وسلم على ما هو عادته كما تقدم وفى لفظ

اللهم لاخير الاخير الآخره * فبارك فى الانصار والمهاجره

وفى لفظ فأكرم الانصار والمهاجره وتقدم فى بناء المسجد

اللهم ان الاجر اجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

زاد فى الامتاع

اللهم العن عضلا والقاره * هم كلفونى انقل الحجاره

وفى لفظ هم كلفونا ننقل الحجاره قال الحافظ ابن حجر ولعله كان والعن الهى عضلا والقاره اى والتغيير منه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ

اللهم لاخير الاخير الآخره * فارحم المهاجرين والاناصره

وفى لفظ فانصر الانصار والمهاجره واجابوه رضى الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا ابدا

وقال صلى الله عليه وسلم متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار جلد بطنه الشريف

اللهم لولا انت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا * وان ارادوا فتنة ابينا

يمد بها صوته مكررا لها ابينا ابينا ولما بدأ صلى الله عليه وسلم بالحفر فى الخندق قال بسم الاله وبه بدينا بكسر الدال

ولو عبدنا غيره شقينا * يا حبذا ربا وحب دينا

وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم قال ما تقدم عنه فى بناء المسجد وهو

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا ابر ربنا واطهر

وتقدم الكلام عليه وعلى انشاده الشعر فى الكلام على بناء المسجد اى ورأيت ان عمار بن ياسر رضى الله عنه حين كان يحفر فى الخندق جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح رأسه ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية اى كما تقدم له فى بناء المسجد وصار الشخص منهم اذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه فى اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير وتباطأ رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف وصار الواحد منهم يتسلل الى أهله من غير استئذان له صلى الله عليه وسلم اى وكان زيد بن ثابت

قدرهم والا فالحجة البالغة والمنة الظاهرة فى جميع ذلك له عليهم فلولا هجرته وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله ان الغنائم الحاصلات قسمت على من لم يتمكن الايمان من قلبه لما بقى فيه من طمع البشر من حب المال فكان ذلك سببا لاجتماع قلوبهم على محبته صلى الله عليه وسلم لان القلوب جبلت على حب من احسن اليها وانما لم يعط صلى الله عليه وسلم اكابر المهاجرين والانصار مع استحقاقهم جميعا لرسوخ الايمان فى قلوبهم فوكلهم الى قوة ايمانهم فكان فى قسمها على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب اتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضى رئيسهم فيكون سببا لاسلامهم ولتقوية قلب من دخل فى الاسلام منهم فتبعهم من دونهم فكان فيه مصلحة عظيمة ولذا لم يقسم من اموال مكة عند فتحها شئ مع احتياج الجيوش الى المال الذى يعينهم على ما هم عليه ولما قيل له صلى الله عليه وسلم اعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل بن سراقة قال اما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الارض كلها مثل عيينة والاقرع ولكنى اتألفهما ليسلما اى يقوى اسلامهما ووكلت جعيل بن سراقة لاسلامه وانى لاعطى الرجل وغيره احب الى منه مخافة ان يكبه الله فى النار على وجهه وفى رواية انى لاعطى اقواما اخاف هلعهم وجزعهم واكل اقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب قال عمرو فوالله ما احب ان لى بها حمر النعم وقد جاءت احاديث كثيرة فى مدح الانصار رضى الله عنهم والدعاء لهم ولابنائهم وابناء ابنائهم وقال حسان رضى الله عنه فى مدحهم

سماهم الله انصارا بنصرهم * دين الهدى وعدان الحرب تستعر
وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وفى البخارى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه بينما انا مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله من

عمن ينقل التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه اما انه نعم الغلام وغلبته عينه فنام فى الخندق فاخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو نائم فلما قام فزع على سلاحه فقال له صلى الله عليه وسلم يا بارد نمت حتى ذهب سلاحك ثم قال من له علم بسلاح هذا الغلام فقال عمارة انا يارسول الله وهو عندى فقال رده عليه ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعبا واليه استند أئمتنا فى تحريم أخذ متاع الغير مع عدم علمه بذلك واشتد على الصحابة رضى الله عنهم فى حفر الخندق كدية اى محل صلب فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل أو أهيم أى رملا سائلا وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء ثم تفل عليه ثم دعا بما شاء الله ان يدعو به ثم نضح ذلك الماء اى رشه على تلك الكدية قال بعض الحاضرين فوالذى بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب اى الرمل ماترد فأسا ولا مسحاة وهى المجرفة من الحديد اى وكان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ينقلان التراب فى ثيابهما اذ لم يجدا مكاتل من العجلة وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى فلما رآنى اضرب ورأى شدة المكان على نزل فاخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به اخرى فلمعت تحته برقة اخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى فقلت بأبى انت وامى يارسول الله ما هذا الذى رأيت يلمع تحت المعول وانت تضرب قال اوقد رأيت ذلك ياسلمان قال قلت نعم قال اما الاولى فان الله تعالى فتح على بها اليمن واما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب واما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق قال وقد ذكر ان سلمان الفارسى رضى الله عنه تنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت ولذلك يشير بعضهم بقوله

لقد رقى سلمان بعد رقه * منزلة شامخة البنيان
وكيف لا والمصطفى قد عده * من اهل بيته العظيم الشان

وانما وقع التنافس فى سلمان رضى الله عنه لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق اى فكان يحفر فى كل يوم خمسة اذرع فى عمق خمسة اذرع حتى اصيب بالعين اصابه بالعين قيس بن صعصعة فلبط به اى بلام مضمومة فموحدة مكسورة فطاء مهملة صرع فجأة وتعطل عن العمل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ وليغتسل ويكفئ الاناء خلفه ففعل فكانما انشط اى حل من عقال وفى لفظ

حنين اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه ان يعطيهم من الغنيمة يقولون يارسول الله اقسم علينا فيأنا حتى اضطروه اى الجؤه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطونى ردائى فلو كان عندى عدد هذه العضاه نعما وفى رواية لو كان عندى عدد شجر تهامة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا اى اذا جربتمونى لا تجدونى ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير واخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس والله مالى من فيئكم اى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم اى لانا كثره كان يصرفه صلى الله عليه وسلم فى مصالح المسلمين ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة لخمس ليال خلون من ذى القعدة وقيل لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلة الاربعاء وقيل ليلة الخميس ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكانه كان بائتا بها والجعرانة بالتخفيف افصح من التشديد وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا سمى باسم امرأة تلقب بالجعرانة وكانت مدة اقامته بها ثلاث عشرة ليلة وجاء فى الحديث انه اعتمر من الجعرانة سبعون نبيا ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد اى تركه باقيا على عمله وترك معه معاذ بن جبل وابا موسى الاشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين وكان قدومه المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة وقيل لست بقين منه قال الحافظ ابن حجر ان مدة غيبته كانت اكثر من ثمانين يوما قال كثير من اهل المغازى ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر واطفأ نائرة العرب وانفد نابهامهم واذلتا جموعهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله وجبر الله اهل مكة

قام

فامر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع وضوأه فى ظرف و يغتسل سلمان بتلك الغسالة و يكفئ الاناء خلف ظهره وذكر انه لما اشتدت تلك الكدية على سلمان اخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطيت مفاتيح اليمن انى لابصر ابواب صنعاء من مكانى الساعة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها اى زاد فى رواية الحمر ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق برقة فكبر وقال اعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب فى مكانى هذا اى وفى رواية انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن وجعل صلى الله عليه وسلم يصف لسلمان اماكن فارس و يقول سلمان صدقت يارسول الله هذه صفتها اشهد انك رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه فتوح يفتحها الله بعدى ياسلمان اه اى وعند ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير ألا تعجبون من محمد يمنيكم و يعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق اى الخوف لا تستطيعون ان تبرزوا فانزل الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الآية وقيل فى سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أقبلت قريش ومن معها وكانوا عشرة آلاف كما تقدم فنزلت قريش بمجمع الاسيال وغطفان ومن معهم الى جانب احد وكان المسلمون ثلاثة آلاف أى وقد قال ابن اسحق سبعمائة ووهم فى ذلك وقال ابن حزم انه الصحيح الذى لاشك فيه ولا وهم وعسكر بهم صلى الله عليه وسلم الى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة أى فجعل ظهر عسكره الى سلع كما تقدم والخندق بينه و بين القوم اى وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم قال وكان صلى الله عليه وسلم يعقب فيها بين ثلاثة من نسائه عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده أياما أى فانه مكث فى عمل الخندق بضع عشرة ليلة وقيل أربعا وعشرين ليلة أى وقيل عشرين ليلة وقيل قريبا من شهر وقيل شهرا قال بعضهم وكونه قريبا من شهر هو أثبت الاقاويل وقيل اثبت الاقاويل انها كانت خمسة عشر يوما و به جزم النووى رحمه الله فى الروضة وسائر نسائه

بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وأنجز الله بها الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه وعده اذا فتح مكة أن يدخل الناس فى دين الله أفواجا وتدين له العرب باسرها فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه صلى الله عليه وسلم ليظهر الله أمره واعزازه لرسوله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم جبرانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين ويعلى دينهم على سائر الاديان بقهر هذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون قبلها مثلها حتى لا يقاومهم بعدها أحد من العرب واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليخفض بذلك رؤسا رفعت بالفتح لمكة والنصر على أهلها فابتلاهم الله بقصة حنين منعا لهم عن الترفع وتنبيها على ان المطلوب منهم التواضع واظهار الشكر كما فعل صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فانه دخل منحنيا على ناقته متواضعا خاضعا لربه وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عند الله وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه وتعالى هو الذى تولى النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذى انزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على اهل الانكسار كما قال تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما اعظم غزواته صلى الله عليه وسلم ولهذا يجمع بينهما فى الذكر فيقال بدر وحنين وفى لبسه صلى الله عليه وسلم الدرع والبيضة والمغفر دليل على ان من

صلى الله عليه وسلم فى بنى حارثة وجعل النساء والذرارى فى الآطام وعرض الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا بأجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما التحم الامر امر من لم يبلغ خمس عشرة سنة ان يرجع الى اهله واجاز من بلغ خمس عشرة سنة فممن اجازه عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدرى والبراء بن عازب رضى الله عنهم اه وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن وفى كلام بعضهم كان احد جوانب المدينة عورة وسائر جوانبها مشتبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه وأرسل سليطا وسفيان بن عوف طليعة للاحزاب فقتلوهما فاتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنهما فى قبر واحد فهما الشهيدان القرينان وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ولواء الانصار لسعد بن عبادة وبعث مسلمة بن أسلم فى مائتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير تخوفا على الذرارى من بنى قريظة اى لما بلغه صلى الله عليه وسلم انهم نقضوا ما بينه وبينهم من العهد كما سيأتى أى وأنهم يريدون الاغارة على المدينة فان حيى بن أخطب أرسل الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل أخرى ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على الذرارى أشد من الخوف على اهل الخندق ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان فى اصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن أبى وهب يوما ويغدو عكرمة بن ابى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويتفرقون مرة ويجتمعون اخرى ويناوشون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يقربون منهم ويقدمون رجالهم فيرمون ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة ولم يكن بينهم حرب الا الرمى بالنبل والحصا وفى تلك المدة اقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فى الخندق فقتله الله اى اندقت عنقه اى وفى لفظ واما نوفل بن عبد الله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فتحطما جميعا وقيل رمى بالحجارة فجعل يقول قتلة احسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه على كرم الله وجهه فقتله اى ضربه بالسيف فقطعه نصفين وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيك الدية على ان تدفعه الينا فندفنه فرد عليهم رسول الله صلى الله

تمام التوكل استعمال الاسباب التى نصبها الله مسبباتها قدرا وشرعا فانه صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق توكلا وقوة يقين وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ولبس يوم حنين درعين وقد انزل الله عليه والله يعصمك من الناس ومن تمام العبودية استعمال الاسباب فى مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لاشريك له ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الاسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر وشقى وسعيد فلو كانت جميع الاشياء تجرى على خرق العادة لما بقى كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الاسلام بظهور الخوارق ولو بقيت الاشياء كلها على ظواهرها من ربطها باسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد احد للاسلام وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الاسباب فاظهر الله بعض الاشياء على وفق العادة وخرق فى بعضها العادة ثم انه كشف ذلك لاناس وحجب عنه آخرين ليضل من يشاء ويهدى من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وفى صبره صلى الله عليه وسلم على جفاء الاعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر وغير ذلك من صفاته الحميدة صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

(بعث قيس بن سعد الى صداء)

بعث صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنهما الى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجعرانة فى اربعمائة فارس وامره ان يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال والمد وهم حى من اليمن فقدم زياد بن الحرث الصدائى فسأل عن ذلك البعث فاخبر به فقال يارسول الله أنا وافدهم اليك فاردد الجيش وأنا أتكفل باسلام قومى وطاعتهم فقال إذهب اليهم فردهم فقال ان راحلتى قد كلت فبعث صلى الله عليه وسلم اليهم رجلا فردهم ورجع الصدائى الى قومه فقدموا

الله عليه وسلم بانه خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب اى غرض لنا فى ديته وقيل اعطوا فى جثته عشرة آلاف اى وفى رواية انهم ارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم ان ارسل الينا بجسده ونعطيك اثنى عشر الفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى جثته ولا فى ثمنه ادفعوه اليهم فانه خبيث الجسد خبيث الدية وفى لفظ انما هى جيفة حمار ثم ان عدو الله حيى بن اخطب سيد بنى النضير كان يقول لقريش فى مسيره معهم ان قومى بنى قريظة معكم وهم اهل حلقة وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلا فقال له ابو سفيان ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم فعند ذلك خرج حيى لعنه الله حتى اتى كعب بن اسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المتقدم ذكره فدق عليه باب حصنه فأبى ان يفتح له والح عليه فى ذلك فقال له ويحك يا حيى انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم ارمنه الا وفاء وصدقا فقال له ويحك افتح لى اكلمك فقال ما انا بفاعل فغاظه فقال له والله ما اغلقت دونى الا تخوفا على جشيشتك اى بالجيم المفتوحة والشين المعجمة وهى البر يطحن غليظا ويقال له الدشيش ان آكل معك منها ففتح له فقال له ويحك يا كعب جئت بعز الدهر جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجمع الاسيال وبغطفان حتى انزلتهم بجانب احد قد عاهدونى وعاقدونى ان لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وكل ما يخشى فانى لم ار فى محمد الا صدقا ووفاء وفى لفظ جئتنى بجهام اى سحاب قد هراق ماءه اى لا ماء فيه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيى دعنى وما انا عليه فلم يزل حيى بكعب حتى اعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا ان يكون معه فى حصنه ويصيبه ما اصابه فعند ذلك نقض كعب العهد وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وجمع رؤساء قومه وهم الزبير بن باطا وشاس بن قيس وعزال ابن ميمون وعقبة بن زيد واعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلجم الامر لما اراد الله من هلاكهم وكان حيى بن اخطب فى اليهود يشبه بأبى جهل فى قريش فلما انتهى الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اخبره بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا رسول الله بلغنى ان بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ذلك وارسل سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وأرسل معهما ابن رواحة وخوات

بعد خمسة عشر يوما فأسلموا (البعث الى بنى تميم) وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وسببها انه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان العدوى الكلبى الى بنى كعب من خزاعة لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بنى تميم على ماء فاخذ بشر صدقات بنى كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم اموالكم فاجتمعوا وانتزوا السلاح ومنعوا بشرا من اخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن اسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيرا واحدا يخرج فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة واخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم فى خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا انصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم واخذ منهم احد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم صلى الله عليه وسلم فحبسوا فى دار رملة بنت الحرث فجاء فى اثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان ابن بدر والاقرع بن حابس وقيس ابن الحرث ونعيم بن سعد وعمرو ابن الاهيم ورباح بن الحرث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذرارى فجاؤا الى باب النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تأذى من صياحهم وفيهم أنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه

فوقف معهم فقالوا المفحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد ثم قالوا ان مدحنا الزين وان شتمنا الشين نحن أكرم العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ثم قالوا فأذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفى رواية انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد بن حاجب وفى رواية قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا وانا لو شئنا أكثرنا وانما أقول هذا الان بأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس وفى رواية انه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الارض أكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى افضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له قم فاجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله عنه فقال * الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم ان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم

ابن جبير واسقطهما فى الامتاع وذكر بدلهما أسيد بن حضير وقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فان كان حقا فالحنوا الى لحنا اعرفه دون القوم اى وروا وكنوا فى كلامكم بما لا يفهمه القوم اى لئلا يحصل لهم الوهن والضعف والا فاجهروا بذلك بين الناس فان اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه كما ان اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ومنه قول القائل وخير الحديث ما كان لحنا فخرجوا حتى اتوا بنى قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد فشتمهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه أى وقيل سعد ابن عبادة اى وكان فيه حدة وشاتموه اى ولا مانع من وجود الامرين وقال سعد بن معاذ لسعد بن عبادة أو بالعكس دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى اى أقوى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنوا له عن نقضهم العهد اى قالوا عضل والقارة أى غدروا كغدر عضل والقارة باصحاب الرجيع وسيأتى خبر ذلك فى السرايا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أى وقال أبشروا يا معاشر المسلمين نصرة الله تعالى وعونه وتقنع صلى الله عليه وسلم بثوبه واضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه صلى الله عليه وسلم اضطجع ثم رفع رأسه فقال ابشروا بفتح الله ونصره اى ولعل هذا اى ارسال السعدين ومن معهما كان بعد ارساله صلى الله عليه وسلم الزبير اليهم ليأتى بخبرهم هل نقضوا العهد استثباتا للامر فعن عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما قال كنت يوم الاحزاب أنا وعمرو بن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان بن ثابت اى وكان حسان مع النساء ومن جملتهم صفية بنت عبد المطلب واتفق أن يهوديا جعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان يا حسان لا آمن هذا اليهودى ان يدلهم على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل فاقتله قال حسان رضى الله عنه يا بنت عبد المطلب قد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما أيست منه اخذت عمودا ونزلت ففتحت باب الحصن واتيته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل فقال يا ابنة عبد المطلب مالى بسلبه حاجة اى وهذا يدل على ما قيل ان حسان بن ثابت كان من اجبن الناس كما تقدم قال عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بنى قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابت رأيتك تختلف الى بنى قريظة قال رأيتنى يا بنى قلت نعم قال كان

الناس احسابا واحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان اول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن انصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا اقول هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم وفى رواية انه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه احسن الناس وجوها واعظم الناس احلاما فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا انصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن اباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا اقول قولى واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يا فلان قل ابياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام فقال ابياتا منها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا
نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
اذا ابينا فلا يأبى اننا احد
انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت رضى الله عنه فحضر فقال له قم فأجبه فقال يسمعنى ما قال فأسمعه فقال حسان رضى الله عنه ابياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة
على رغم عات من بعيد وحاضر
واحياؤنا من خير من وطئ الحصا * واموا تنا من خير اهل المقابر

وثابت بن قيس رضى الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال أخشى أن أكون من أهل النار لانى رفعت صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابى وامى اخرجه الشيخان اى وفى كلام ابن عبد البر رحمه الله ثبت عن الزبير رضى الله عنه انه قال جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه مرتين يوم احد ويوم بنى قريظة فقال ارم فداك ابى وامى وقال واعل ذلك كان فى احد ان لكل نبى حواريا وان حوارى الزبير وقال الزبير ابن عمتى وحوارى من امتى ويذكر ان الزبير رضى الله عنه كان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج وكان يتصدق بذلك كله ولا يدخل بيته من ذلك درهما واحدا وذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه لما نزل قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال له الزبير يا رسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال أما انه سيكون وقد جعله سبعة من الصحابة وصيا على اولادهم فكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله وهؤلاء السبعة منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين لما وصل اليهم الخبر أى خبر نقض بنى قريظة العهد ولا منافاة بين بلوغهم الخبر وما تقدم من عدم الافصاح به لانهم جاءهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل الظن وانزل الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظهر النفاق من المنافقين حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الامر بعث الى عيينة بن حصن الفزارى والى الحرث بن عوف المرى فى أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفيين من ابى سفيان فوافقاه على ذلك اى بعد ان طلبا النصف فابى عليهما الا الثلث فرضيا وكتبا بذلك صحيفة اى وفى رواية احضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضى الله عنه الصلح فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوقع الصلح على ذلك بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله امر انحبه فنصنعه ام شيأ امرك الله به لابد لنا من العمل به ام شيأ تصنعه لنا اى وفى لفظ ان كان امرا من السماء فامض له وان كان امرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأى فما لهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو امرنى الله ما شاورتكما والله

وسلم اى وقد انزل الله لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لاتشعرون وكان ثابت بن قيس رضى الله عنه يرفع صوته لثقل فى سمعه فكان يظن ان الناس لايسمعونه الا ان رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه بما قال ثابت فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم فيه نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ولم يزل رضى الله عنه فى عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم اليمامة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه فى منامه يقول له انى أوصيك بوصية فاياك أن تقول حلم فتضيعها انى لما قتلت مر بى رجل من المسلمين فاخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ابابكر رضى الله عنه فقل له ان على من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيقى عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى بها بعد ان وجدها على ماوصفه ثم لما قدم المدينة اخبر ابابكر رضى الله عنه برؤياه فأجاز وصيته ولا يعلم احد أحدثت وصيته بعد موته واجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضى الله عنه كل واحد منهما ذكر قصيدة فيها مفاخره فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها

نحن الكرام فلاحى يعادلنا * من الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضى الله عنه وهو مطلعها

انا ابينا ولن يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال الاقرع بن حابس انى والله يا محمد قلت شعرا فاسمعه

ما اصنع ذلك الالانى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت ان اكسر شوكتهم الى امر ما فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم اى غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لايطمعون ان يأكلوا منا تمرة الاقرى او بيعا اى وان كانوا ليأكلون العلهز فى الجاهلية من الجهد افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا اى وفى لفظ نعطى الدنية مالنا بهذا من حاجة والله لانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فاخذ سعد الصحيفة فمحى مافيها من الكتابة اى وهذا انما يناسب الرواية الاولى وكذا ماجاء فى لفظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الكتاب فشقه سعد وقال اعيينة والحرث ارجعا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته ثم قال ليجهدوا علينا ثم ان طائفة من المشركين أقبلوا أى وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به ○ وفيهم عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيهم هبيرة بن أبي وهب اى وهو زوج أم هانئ أخت على كرم الله وجهه رضى الله عنها وأبو أولادها مات على كفره وضرار بن الخطاب وعمرو بن ود أى قيل ونوفل بن عبد الله وكان عمرو بن ود عمره اذ ذاك تسعين سنة فقال من يبارز فقام على كرم الله وجهه وقال أنا له يانبي الله فقال صلى الله عليه وسلم له اجلس انه عمرو بن ود ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لى رجلا وأنشد أبياتا منها

واقد بححت من الندا * بجمعكم هل من مبارز

ان الشجاعة فى الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام على كرم الله وجهه فقال انا له يارسول الله فقال اجلس انه عمرو بن ود ثم نادى الثالثة فقام على كرم الله وجهه فقال انا له يارسول الله فقيل انه عمرو فقال وان كان عمرا فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد سيدنا على ابياتا منها

لاتعجلن فقد اتاك * مجيب قولك غير عاجز

ذو نية وبصيرة * والصدق منجى كل فائز

وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم اعطاه سيفه ذا الفقار والبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم اعنه عليه اى وفى لفظ اللهم هذا اخى وابن عمى فلاتذرنى فردا وانت خير الوارثين زاد فى رواية انه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهى اخذت

عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم احد وهذا على اخى وابن عمى الحديث فمشى اليه على كرم الله وجهه فقال له يا عمرو انك كنت قد عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين اى خصلتين الا اخذتها منه قال له اجل اى نعم فقال له على كرم الله وجهه فانا ادعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لى بذلك قال له على فانى ادعوك الى البراز قال وفى رواية انك كنت تقول لا يدعونى احد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال اجل فقال على فانى ادعوك ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن اخى اخر عنى هذه قال واخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد صلى الله عليه وسلم صادقا كنت اسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذى تريد قال هذا مالا تتحدث به نساء قريش ابدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت اى فانه نذر لما افلت هاربا يوم بدر وقد جرح ان لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم قال فالثالثة ما هى قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت اظن ان احدا من العرب يروعنى بها اه ثم قال له عند طلب المبارزة لم يا ابن اخى فوالله ما احب ان اقتلك فقال على كرم الله وجهه ولكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو وعند ذلك اى اخذته الحمية وفى رواية ان عمرا قال له من انت اى لان عليا كرم الله وجهه كان مقنعا بالحديد قال على قال ابن عبد مناف قال انا على بن ابى طالب فقال غيرك يا ابن اخى من اعمامك من هو اشد منك فانى اكره ان اهريق اى اسيل دمك اى وزاد فى رواية فان اباك كان لى صديقا اى وفى لفظ كنت له نديما فقال على وانا والله ما اكره ان اهريق دمك فغضب فقال له على كرم الله وجهه كيف اقاتلك وانت على فرسك ولكن انزل معى فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كانه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه واقبل على على كرم الله وجهه فاستقبله على بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها واثبت فيها السيف واصاب رأسه فشجه فضربه على كرم الله وجهه على حبل عاتقه اى وهو موضع الرداء من العنق فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا كرم الله وجهه قتل عمرا لعنه الله اى وذكر بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك قال قتل على لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين قال الامام ابو العباس بن تيمية وهذا من الاحاديث الموضوعة التى لم ترد فى شئ من الكتب التى يعتمد عليها ولا باسناد ضعيف وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الانس والجن ومنهم الانبياء قال بل ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا فى هذه الغزوة (أقول) ويرد قوله ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا فى هذه الغزوة قول الاصل

فقال هات فانشده اتيناك كيما تعرف الناس فضلنا * اذا احتفلوا عند ذكر المكارم وانا رؤس الناس من كل معشر وان ليس فى ارض الحجاز كدارم * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فاجبه فقال حسان رضى الله عنه بنى دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم هبلتم علينا تفخرون وانتم * لنا خول من بين ظئر وخادم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا اخا بنى دارم ان تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم اشد من قول حسان رضى الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم اخطب من خطيبنا واشاعره اشعر من شاعرنا ولاصواتهم اعلى من اصواتنا ثم دنا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا روى ان الاقرع بن حابس رضى الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن ابن على رضى الله عنهما فقال يا رسول الله ان لى من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان فى رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفا فى الجاهلية والاسلام ووقع ان عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع فى اذنيه سيد فى عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدنى يا رسول الله شرفى ولقد علم افضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروأة ضيق العطن لئيم الخال وفى رواية ان الزبرقان قال يا رسول الله انا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وامنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعنى عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع فى اذانيه فقال الزبرقان والله لقد

وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما أى جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه أى ويرده أيضا ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم واستدلاله بقوله وكيف يكون الى آخره فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين وفى تفسير الفخر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك معه يا على قال وجدته لو كان أهل المدينة كلهم فى جانب وانا فى جانب لقدرت عليهم وفى كلام السهيلى رحمه الله ولما أقبل على كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متهلل قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها قال انى حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت يا ابن عمى أن أسلبه هذا كلامه وعندى أن هذا اشتباه من بعض الرواة لان هذه الواقعة لعلى كرم الله وجهه انما كانت فى يوم أحد مع طلحة بن ابى طلحة كما تقدم وعمرو بن ود لم يشهد أحدا كما تقدم عن الاصل فليتأمل قال وذكر ابن اسحق أن المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد أى وفيه أنه تقدم ان نوفل بن عبد الله وقع فى الخندق فاندقت عنقه الى آخر ما تقدم لكنى رأيت بعضهم قال ان وقوع نوفل فى الخندق ورميه بالحجارة وقتل على كرم الله وجهه له فى الخندق غريب من وجهين فليتأمل وحمل الزبير رضى الله عنه على هبيرة بن ابى وهب وهو زوج ام هانئ اخت على بن ابى طالب كما تقدم فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس اى جعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير والقى عكرمة بن ابى جهل رمحه وهو منهزم انتهى اى وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب اخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهبيرة بن ابى وهب على على كرم الله وجهه فأقبل على عليهما فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت، واما هبيرة فثبت ثم القى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وذكر ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه اخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد فى اثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر رضى الله عنه بالرمح ليطعنه ثم امسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتها عليك ويدلى عندك غير مجزى بها فاحفظها

كذب يا رسول الله وما يمنعه ان يتكلم الا الحسد فقال عمرو وانا احسدك والله انك لئيم الخال حديث المال احمق الوالد مبغض فى القبيلة فعرف عمرو الانكار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت اقبح ما علمت فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى والسبى وأحسن جوائزهم بعد ان أسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثنتى عشرة أوقية من الفضة واختلف فى عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ان القوم لما اسلموا بقوا فى المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فاعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أما بقى منكم احد وكان عمرو بن الاهتم فى ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام حدث فى ركابنا وازرى به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم وقيل بل اعطاه خمس اواق فقط ولما بلغ عمرو بن الاهتم ما قاله قيس بن عاصم فى حقه أنشد ابياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها
ولكن اخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى اعلم

(بعث الوليد بن عقبة الى بنى المصطلق) بعث النبى صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط اى لاخذ الصدقات من بنى المصطلق وبنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم وبين الوليد عداوة فى الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدونها عن زكاتهم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله صلى الله

اى ووقع له مع عمر رضى الله عنه مثل ذلك فى احد فانه التقى معه فضرب عمر رضى الله عنه بالقناة ثم رفعها عنه وقال له ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار فاسلم وحسن اسلامه وكان شعار المسلمين حم لا ينصرون اى ولعل المراد بالمسلمين الانصار فلا يخالف ما فى الامتاع وكان شعار المهاجرين يا خيل الله وفيه خرجت طائفتان للمسلمين ليلا لا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون الا انهم العدو فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الاسلام حم لا ينصرون فكف بعضهم عن بعض وقد يقال يجوز ان تكون الطائفتان كانتا من الانصار وجاؤا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحكم فى سبيل الله ومن قتل فهو شهيد وبهذا استدل ائمتنا على ان من قتله مسلم خطأ فى الحرب يكون شهيدا ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع اكحله وهو عرق فى الذراع تتشعب منه عروق البدن ولعله محل الفصد الذى يقال له المشترك اى ويقال لهذا العرق عرق الحياة اى رماه ابن العرقة اسم جدته سميت بذلك لطيب عرقها وقال خذها وانا ابن العرقة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال عرق الله وجهه فى النار وقيل قائل ذلك سعد رضى الله عنه وعند ذلك قال سعد اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى قريشا فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى وفى لفظ حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم احب الى ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك واخرجوه وكذبوه وفى يوم استمرت المقاتلة قبل من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا احد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء اى وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول صلى الله عليه وسلم ولا انا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته وامر بلالا فاذن واقام الظهر فصلى ثم اقام بعد كل صلاة اقامة وصلى هو واصحابه ما فاتهم من الصلوات وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فامر بلالا فاذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فاذن وأقام فصلى العصر ثم امره فاذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فاذن وأقام فصلى العشاء أقول فى الرواية الاولى ما يشهد لقول امامنا الشافعى يندب أن يؤذن للاولى من الفوائت ويقيم لما عداها اذا قضاها متوالية وكونه يؤذن للاولى من الفوائت هو ما ذهب اليه فى القديم وهو المفتى به وفى الرواية الثانية دليل على انه يؤذن لكل من الفوائت اذا قضاها متوالية ولم يقل به امامنا فانه جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه مرسلا لانه رواه عنه ابنه أبو عبيدة ولم يسمع منه لصغر سنه وروى امامنا الشافعى رضى الله عنه باسناد صحيح عن ابى سعيد الخدرى

عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع انهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه واخبر النبى صلى الله عليه وسلم مستندا لظنه انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة وفى رواية اخبره انهم ارتدوا فهم صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية فى عسكر معه وامره ان يخفى عنهم قدومه فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فاذا هم ينادون بالصلاة ويصلون فأتاهم خالد فلم ير منهم الا الطاعة وخيرا فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفى رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحرث بن ضرار الخزاعى وكان رئيس القوم فقال الى اين بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم انك منعته الزكاة واردت قتله فقال لا والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا اتانى ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة واردت قتل رسولى قال لا والذى بعثك بالحق وقدم الركب الذين لقوا الوليد فاخبروا النبى صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات اموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن والوليد بن عقبة ابن ابى معيط كان اخا لعثمان رضى الله عنه لامه وولاه عثمان رضى الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضى الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع على رضى الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة الى أن توفى فى خلافة معاوية رضى الله عنه *(سرية عبد الله بن عوسجة)* رضى الله عنه الى بنى عمرو بن حارثة وقيل حارثة ابن عمرو فى مستهل صفر وقيل ربيع الاول سنة تسع من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فابوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبى صلى

الله عليه وسلم فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال مالهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم اهل رعدة اى اضطراب فى اجسادهم وعجلة فى كلامهم وكلام مختلط لا يفهم قال الواقدى رأيت بعضهم ذا عى لا يحسن الكلام

(سرية قطبة بن عامر) الخزرجى رضى الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من اعمال مكة على يومين او اكثر وكانت فى صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فجاؤهم واقتتلوا اقتتالا شديدا حتى كثرت الجرحى فى الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة والله أعلم

(سرية الضحاك بن سفيان) الكلابى رضى الله عنه الى بنى كلاب فى ربيع الاول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم اموالهم

(سرية علقمة بن مجزز) بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجى رضى الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه فى ثلثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما اراد الرجوع علقمة اراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى اهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه فامره علقمة عليهم وكان فيه دعابة اى مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا وثبتم فى هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال امنعوا انفسكم فانما كنت امزح فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من امركم بمعصية فلا تطيعوه وفى رواية انهم لما اوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل

رضى الله عنه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى اى طائفة من الليل حتى كفينا القتال وذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فاقام الظهر فصلاها كما كان يصلى ثم اقام العصر فصلاها كذلك ثم اقام المغرب فصلاها كذلك ثم اقام العشاء فصلاها كذلك اى وفى لفظ فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها فى وقتها وهو دليل لعدم ندب الاذان للفائتة وهو ماذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد وهو مرجوح وجمع الامام النووى فى شرح المهذب بين رواية الى الليل ورواية حتى ذهب هوى من الليل بانهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق قال فانها كانت خمسة عشر يوما أى على ماتقدم وفيه أن كونهما قضيتين أمر واضح لا خفاء فيه لان فى الاولى وفى يوم استمرت المقاتلة الى الليل وفى الثانية حتى كفينا القتال فمع ذلك كيف يظن انهما قضية واحدة حتى يحتاج الى الجمع وظاهر سياق هذه الروايات أنه صلى الاربع صلوات بوضوء واحد وبه صرح البغوى فى تفسير سورة المائدة وحينئذ يحتاج للجمع بينه وبين ما يأتى فى فتح مكة وروى الطحاوى واستدل به مكحول والاوزاعى على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ان الشمس ردت له صلى الله عليه وسلم بعد ماغربت حين شغل عن صلاة العصر حتى صلى العصر وذكر الامام النووى فى شرح مسلم أن رواته ثقات وفى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ماصليتها اى العصر فنزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ماغربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذه الرواية تقتضى انه لم يفته الا العصر وانه صلاها بعد الغروب قال الامام النووى رحمه الله وطريق الجمع ان هذا كان فى بعض ايام الخندق وكون صلاة العصر هى الوسطى قد جاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله اجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا والذى فى البخارى ومسلم وابى داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وكون الوسطى هى صلاة العصر هو قول من تسعة عشر قولا ذكرها الحافظ الدمياطى فى مؤلف له سماه كشف الغطا عن الصلاة الوسطى وفى الينبوع ان كون الصلاة الوسطى هى العصر هو الذى اعتقده والله اعلم قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فلما فرغ قال احد منكم علم انى صليت العصر قالوا يارسول الله ماصليناها اى لا نحن ولا انت فأمر المؤذن فاقام الصلاة

فصلى

فصلى العصر ثم اعاد المغرب قيل وكان ذلك قبل ان تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا او ركبانا اه أقول يحتاج الى الجواب عن اعادة المغرب وقد يقال اعادها مع الجماعة وأن قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا يرشد الى ان المراد بصلاة الخوف صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع التى نزل فيها قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية كما تقدم فلا ينافى ماتقدم من صلاته فى ذات الرقاع بناء على تقدمها على هذه الغزوة التى هى غزوة الخندق وحينئذ يندفع الاستدلال على ان ذات الرقاع متأخرة عن الخندق بقولهم ولم تكن شرعت صلاة الخوف أى صلاة ذات الرقاع والا صلاها فى الخندق ولم يخرج الصلاة عن وقتها الماعات أن المراد بصلاة الخوف التى لم تشرع زمن الخندق صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع وسقط القول بان الآية التى نزلت فى صلاة ذات الرقاع منسوخة فتركه صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة فى الخندق لان الخندق وان لم يلتحم فيه القتال الا انهم لا يأمنون هجوم العدو عليهم فلو صلوها لكانت تلك الصلاة صلاة شدة الخوف لا صلاة ذات الرقاع لان شرطها أمن هجوم العدو وصلاة شدة الخوف اما ان يلتحم فيها القتال او يخافوا هجوم العدو وقول بعضهم ان ابن اسحق وهو امام أهل المغازى ذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعسفان وذكر انها قبل الخندق فتكون صلاة عسفان منسوخة أيضا فيه نظر ظاهر لان صلاة عسفان انما كانت فى الحديبية كما سيأتى وعلى تسليم أن صلاة عسفان كانت قبل الخندق فتلك يشترط فيها الامن من هجوم العدو والله اعلم قال ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتهم بالمدينة فصادفوا عشرين بعيرا لقريش محملة شعيرا وتمرا وتبنا حملها ذلك حيى بن أخطب شدادا وتقوية لقريش فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أباسفيان ذلك قال ان حييا المشؤم قطع بنا ما نجد ما نحمل عليه اذا رجعنا ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة للمسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشوهم أى تقاربوا منهم ساعة وكان فى أوائك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق الطفيل بن النعمان فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة أى الاغارة فاقام المسلمون فى شدة من الخوف أى وفى الصحيحين ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم أى وقام فى الناس فقال يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم

بعضهم يمسك بعضا و يقولون فررنا من النار أى فكيف نلقى أنفسنا فيها وفى رواية انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ماخرجوا منها أى ان كانوا مستحلين الدخول وجاء فى بعض الروايات وصف الامير المذكور بالانصارى قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على ١٧ المعنى الاعم أى انه نصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الجملة فلا ينافى ان عبد الله ابن حذافة من المهاجرين وفى رواية ان الذى أمره عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه أسند اليه صلى الله عليه وسلم فى هذه الرواية لان تأمير اميره كأميره صلى الله عليه وسلم وعبد الله ابن حذافة هذا رضى الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه ومن مناقبه ماأخرجه البيهقى عن أبى رافع رضى الله عنه قال وجه عمر رضى الله عنه جيشا الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فقال له ملك الروم تنصر واشركك فى ملكى فأبى فأمر به ان يصلب ان لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لى مائة نفس تلقى هذا فى الله فعجب منه ثم قال له قبل رأسى وانا اخلى عنك فقال وعن جميع اسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم به على عمر رضى الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضى الله عنهما

(سرية على بن ابى طالب رضى الله عنه)

٥٣ ـ حل نى لهدم صنم طىء بموضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار وفى رواية كانوا مائتى رجل فاغار على احياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه ووجد فى خزانته ثلاثة اسياف وثلاثة ادرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة

وقدم بذلك المدينة وكان فى السبى سفانة بنت حاتم الطائى وهى بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث فأسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم الا وجعلك سببا لردها عليه وكان المن عليها سببا لاسلام أخيها عدى بن حاتم رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضى الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحق فى قصة سبى اخت حاتم أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم فى سبايا فجعلت فى حظيرة فى المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بى فقلت له وقال لى مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بى ويئست فأشار الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو خلفه أن قومى اليه فكلميه فقمت فقلت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ثم آذنينى فقدم رهط من طى قالت فأخبرته الا ان لى فيهم ثقة وبلاغا فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى فقال ماترين فى هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضله وان يكن ملكا فلن تزال فى عز اليمن وأنت أنت فقلت والله هذا هو

العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف أى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله تعالى ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى مانزل بى وبأصحابى وقال له المسلمون رضى الله عنهم هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل عليه السلام فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلا شكرا شكرا وجاء أن دعاءه صلى الله عليه وسلم عليهم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه صلى الله عليه وسلم أى ومن ثم كان جابر رضى الله عنه يدعو فى مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك والاحاديث والآثار التى جاءت بذم يوم الاربعاء محمولة على آخر أربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه الصلاة والسلام بالبلاء قال وكان صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاء فأدفأته فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة ويقول ما أخشى ان تؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبى وقاص سعد يارسول الله أتيتك أحرسك فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غط وقام صلى الله عليه وسلم فى قبته يصلى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ومن ثم لما نعى لابن عباس أخوه قثم وهو فى سفر استرجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس وتلا واستعينوا بالصبر والصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى صلى الله عليه وسلم ياعباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا فى نفر حول قبتك يارسول الله وكان ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى

املا فقال يارسول الله انى أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت قال وفى رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه أى غطفان وهو على دينهم فقذف الله فى قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلى فلما رآه جلس ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ماجاء بك يانعيم قال جئت أصدقك واشهد ان ماجئت به حق فاسلم انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا مااستطعت فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال المهملة أى ينقضى أمرها بالمخادعة فقال له نعيم يارسول الله انى اقول أى مايقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع قال قل مابدا لك فانت فى حل ٥ فخرج نعيم رضى الله عنه حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما قال فلما راونى رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب فقلت انى لم آت لشئ من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برأبى يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة مابينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد رأيتم ماوقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم لاتقدرون على أن ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم أى عاونتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان راؤا نهزة أى فرصة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلدكم والرجل ببلدكم ولاطاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم اى سبعين رجلا يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه اى يقاتلوه قالوا له لقد اشرت بالراى والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا عنى قالوا نفعل ثم خرج رضى الله عنه حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه من اشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى أمر قد رايت ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود يعنى بنى قريظة قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد اى من نقض عهده وقد ارسلوا اليه اى وانا عندهم انا قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من اشرافهم اى سبعين رجلا فنعطيكهم فتضرب اعناقهم اى وترد جناحنا الذى كسرت الى ديارهم يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يطلبون منكم رهنا من

الرأى فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك فى الزهد عن عدى بن حاتم رضى الله عنه مادخل وقت صلاة قط الاوانا اشتاق اليها وفى رواية مااقيمت الصلاة منذ اسلمت الاوانا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام احمد ان رجلا سأله مائة درهم فقال تسألنى مائة درهم وانا ابن حاتم والله لا اعطيك وروى ابن سعد ان الذى سبى اخت حاتم خالد بن الوليد وجمع بعضهم بين الروايتين بان خالدا كان فى جيش على رضى الله عنهما ونوزع بان الجيش كله كان من الانصار ويمكن ان يقال المراد اكثر الجيش من الانصار فلا ينافى كون خالد معهم او يكون منهم نظرا لمعنى النصرة بالمعنى الاعم والله اعلم

(ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه)

الى الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلى بفتح الباء وكسر اللام وشدة التحتية وهما قبيلتان من قضاعة وقيل ان الجباب ارض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ماجرى والله أعلم

(غزوة تبوك)

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام اربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهى غزوة العسرة بمهملتين الاولى مضمومة بعدها سكون ماخوذ من قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا لاتنفروا فى الحر وقد فضحهم الله فى آيات كثيرة فى سورة التوبة كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى وكقوله تعالى ولئن

سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانت فى رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابن حجر وذكر البخارى لها بعد حجة الوداع من خطأ النساخ قال بعضهم ولعل البخارى تعمد تأخيرها للاشارة الى انها آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وكان الوقت حين خروجه صلى الله عليه وسلم حرا شديدا وقحطا كثيرا ولذلك لم يورّ عنها كعادته فى سائر الغزوات وقد روى البخارى ومسلم عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذى يريد والتورية ذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع ارادة القريب والمتكلم يريد البعيد وروى عبد الرزاق أنهم خرجوا فى قلة من الظهر مع كثرتهم وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أى الشدة والضيق واختلف فى سببها فقال بعضهم سببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ندب الناس الى الخروج وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه فى السفر والحرب وروى الطبرانى من حديث عمران بن حصين الخزاعى رضى الله عنه عنهما قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى يدعى النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبى صلى الله

رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على اسراركم ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا من هذا حرفا قالوا لا نذكره ثم خرج رضى الله عنه حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم اهلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا اراكم تتهموننى قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى تناجز أى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم أى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا اى سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم وفى رواية ان بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجئ رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ماهذا التوانى والرأى ان تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنهم لا يخرجون حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم تردلهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا منى عناقا ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم أى وجاء حيى بن أخطب لبنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وبعث الله تعالى ريحا عاصفا أى وهى ريح الصبا فى ليال شديدة البرد فنقلت بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم على أفواهها وصارت الريح تلقى الرجال على أمتعتهم وفى رواية دفنت الرجال واطفأت نيرانهم أى وأرسل الله اليهم الملائكة تزلزلهم قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت فى روعهم الرعب وقال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفرا ملأت عيونهم ودامت عليهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه اختلاف كلمتهم وكانت تلك الليلة شديدة البرد والريح فى اصوات ريحها أمثال الصواعق وسيأتى انهم تجاوز عسكر المشركين وشديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص اصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أى من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا ان نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم فتسللوا ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الا ثلثمائة وقال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير رضى الله عنه انا قال صلى الله

عليه وسلم ذلك ثلاثا والزبير يجيبه بما ذكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري اي ناصر وان حواري الزبير أي وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له ايضا عند ارساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد اولا كما تقدم وسيأتي قول ذلك له ايضا في خيبر وفي الحديث حواري الزبير من الرجال وحواري من النساء عائشة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ألا رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع أسأل الله ان يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ يكون معي يوم القيامة وفي لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الخوف والجوع والبرد فدعا صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان قال فلم أجد بدا من القيام حيث فوه باسمي فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت لا والذي بعثك بالحق ان قدرت اى ما قدرت على ما بي من الجوع والبرد والخوف فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني وقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فقمت مستبشرا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني احتملت احتمالا وذهب عني ما كنت اجده من الخوف والبرد وعهد صلى الله عليه وسلم الي ان لا احدث حدثا وفي رواية اما سمعت صوتي قلت نعم قال فما منعك ان تجيبني قلت البرد قال لا برد عليك حتى ترجع كما يدل على ذلك الرواية الآتية فقال ان في القوم خبرا فأتني بخبر القوم قال وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله الا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ولم يجبه احد قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله حذيفة قال حذيفة فقربني رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علي جنة من العدو والبرد الا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي وانا جاث على ركبتي فقال من هذا قلت حذيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة رضي الله عنه فتقاصرت بالارض قلت بلى يا رسول الله قال قم فقمت فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم فقلت والذي بعثك بالحق ما قمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الي فقلت والله ما بي ان اقتل ولكن اخشى ان اوسر فقال انك ان تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمضيت كأني امشي في حمام مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار وهو عربي قال حذيفة فلما وليت دعاني فقال لي لا تحدثن شيئا وفي رواية لا ترم بسهم ولا بحجر ولا تضرب بسيف حتى تأتيني فجئت اليهم ودخلت في غمارهم فسمعت ابا سفيان يقول يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ

عليه وسلم ولم يكن للناس قوة في الذهاب لتلك الارض لفقد الظهر والنفقة وكان عثمان رضي الله عنه قد جهز عيرا الى الشام فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحث على النفقة والحملان قال يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية قال عمران رضي الله عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وهذا اشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة انفاقه في سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنبا ان وقع ولا يلزم من الصلاحية وجوده وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فان عثمان رضي الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا وقيل سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والاسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها فعوضهم الله بالامر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لانهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الاسلام ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيئا قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فسأله هل أبقيت لهم شيئا قال نعم نصف مالي وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمائتي أوقية اليه صلى الله عليه وسلم وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقا من تمر وجهز عثمان رضي الله عنه ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة حتى

كفاهم شنق أسقيتهم قال ابن اسحق أنفق عثمان رضى الله عنه في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها وروى عن قتادة انه قال حمل عثمان رضى الله عنه في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وروى الامام أحمد والبيهقي عن عبد الرحمن ابن سمرة رضى الله عنه قال جاء عثمان رضى الله

عنه بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم وجاء في رواية عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان الذي جاء به عثمان رضى الله عنه عشرة آلاف دينار قال بعضهم يمكن ان الالف جاء بها والعشرة بعث بها وجاء في هذه الرواية زيادة ان الدنانير صبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهر البطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى عثمان بعدها ففيه بشارة عظيمة بان الله غفر له الذنوب أى سترها عنه فنعمه منها ببركة دعائه له ونفقته في سبيل الله فليس يبالى بما عمل اذ لا يقع منه الا الخير وفي بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال خطب صلى الله عليه وسلم فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان على مائة بعير باحلاسها واقتابها ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها واقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان على لا مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال ما على عثمان بعد هذا اليوم أو قال بعدها وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه أى يطلبون

منكم جليسه واحذر والجواسيس والعيون فاخذت بيد جليسي على يميني وقلت من انت فقال معاوية بن ابى سفيان وقبضت بيد من على يساري وقلت من انت قال عمرو بن العاصي فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فقال ابو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله الا وهو قائم اى فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاثة قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة ابن ابى جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا ابو سفيان وأناخ جمله واخذ بزمامه وهو يقوده وقال ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو ابن العاص يا ابا عبد الله نقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد واصحابه فانا لا نأمن ان نطلب فقال عمرو وانا اقيم وقال لخالد بن الوليد ماترى يا ابا سليمان فقال انا ايضا اقيم فاقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضى الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حين بعثني ان لا احدث شيأ لقتلته يعني ابا سفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفي رواية فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض امتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لا تجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا انا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الى منهم فارسان وقالا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلي فخبرته فحمد الله تعالى واثنى عليه اى وفي رواية فاخبرته الخبر فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد فجعلت أقرقف فاومأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل على من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أى طلوع الفجر فلما ان اصبحت أى دخل وقت صلاة الصبح قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أى يا كثير النوم لان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال له لا باس عليك من برد حتى ترجع الى أى ومن هذا أى ارسال حذيفة رضى الله عنه وما تقدم أى من ارسال الزبير رضى الله عنه تعلم ان ذلك كان في الخندق ولا مانع منه لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم عدل عن ارسال الزبير واختار حذيفة لامر قام عنده صلى الله عليه وسلم من جملة ذلك كون الزبير رضى الله عنه كان عنده حدة وشدة لا يملك نفسه ان يحدث بالقوم ما نهى عنه حذيفة رضى الله عنه وحينئذ يرد قول بعضهم ان الزبير انما أرسل لكشف أمر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا

لا لكشف أمر قريش وحذيفة رضي الله عنه ذهب لكشف أمر قريش هل ارتحلوا أولا وقد اشتبه الامر على بعض الناس فظنهما قضية واحدة فليتأمل ذلك وكان يقال لحذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه غيره فقد قال حذيفة رضي الله عنه لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان وبما يكون حتى تقوم الساعة أي وتقدم ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقال له ايضا صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن ظفر في ينبوع الحياة في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وألقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصا وسمعوا في ارجاء أي نواحي معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح أي من الملائكة فصار سيد كل حي يقول لقومه يا بني فلان هلموا الي فاذا اجتمعوا قال النجاء النجاء فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم أي والصبا هي الريح الشرقية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالت الصبا للشمال اذهبي بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الحرائر لا تهب بالليل فغضب الله عليها فجعلها عقيما ويقال لها الدبور فكان نصره صلى الله عليه وسلم بالصبا وكان اهلاك عاد بالدبور وهي الريح الغربية وحين انجلاء الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال من ذي القعدة أي بناء على انها كانت في القعدة وهو قول ابن سعد وقيل كانت في شوال وكان ذلك سنة خمس أي كما قاله الجمهور وقال الذهبي وهو المقطوع به وقال ابن القيم انه الاصح وقال الحافظ ابن حجر هو المعتمد وقيل سنة أربع وصححه الامام النووي في الروضة قال بعضهم وهو عجيب فانه صح ان غزوة بني قريظة كانت في الخامسة ومعلوم انها كانت عقب الخندق أي وفيه انه يجوز ان تكون بنو قريظة أوائل الخامسة والخندق اواخر الرابعة فتكون في ذي الحجة واستدل من قال ان الخندق كانت سنة اربع بما صح عن ابن عمر رضي الله عنهما انه عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن اربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة أي وكانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة اربع قال الحافظ ابن حجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ابن عمر رضي الله عنهما في أحد كان اول ما طعن في الرابعة عشر وكان في الاحزاب قد استكمل الخمسة عشر وسبقه الى ذلك البيهقي وحينئذ يكون بين احد

منه ما يركبون عليه فقال ما اجد ما أحملكم عليه وهم سالم ابن عمير الانصاري وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الانصاري والعرباض ابن سارية السلمي وهرم بن عبد الله بن رفاعة الانصاري وعمرو بن عتمة الانصاري وعبد الله بن مغفل المزني وآخرون غيرهم وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما احملكم ٤٢٣ عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ومنهم قوم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ففي البخاري عن ابي موسى رضي الله عنه انه ارسله اصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله الحملان فقال والله لا احملكم وفي رواية وما عندي ما أحملكم عليه فرجع حزينا الى قومه ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه اياها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخلفه أيضا على اهله وعياله فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا فأخذ علي رضي الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني لانك استثقلتني وتخففت مني فقال كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائي فارجع في أهلي وأهلك افلا ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فرجع الى المدينة وفي رواية فقال علي رضي الله عنه رضيت ثم رضيت ثم رضيت قال أهل السنة ان هرون عليه السلام انما كان خليفة في حياة موسى عليه السلام حين ذهب الى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة علي رضي الله عنه بحياة النبي صلى الله عليه وسلم فقط فلا حجة فيه للشيعة على ان الخلافة لعلي وانه اوصى له بها وكفرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم في الحديث المذكور ولا متمسك لهم به لانه انما قال هذا حين

استخلافه بالمدينة فى هذه الغزوة فالحديث انما دل على ان عليا رضى الله عنه خليفة على أهل النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هرون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرات أخر غير على رضى الله عنه فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة ولما سئل على رضى الله عنه فى زمن خلافته هل اوصى لك النبى صلى الله عليه وسلم بالخلافة قال لا ولو أوصى لى بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معى الا سيفى وردائى ولو أوصى له بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقول الرافضة ان ذلك كان منه تقية كذب وزور فانه كان رضى الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بنى هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ورضى عنه وكرم وجهه ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابى بكر رضى الله عنه ورايته العظمى للزبير رضى الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار وقبائل العرب لواء أو راية أى لبعضهم لواء ولبعضهم راية وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا ووقع له صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة كثير من الاخبار بالمغيبات وغيرها من المعجزات وخوارق العادات وسيأتى ان شاء الله جملة ... التعرض لكثير منها وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعد ان كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ثم قال يغزو محمد بنى الاصفر أى وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى ما لا طاقة له به يحسب محمد أن

والخندق سنتان كما هو الواقع لا سنة واحدة ومما وقع من الآيات فى هذه الغزوة فى مدة حفر الخندق غير ما تقدم ان بنت بشير بن سعد جاءت لابيها وخالها أى عبد الله بن رواحة بحفنة من التمر ليتغديا بها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملاهما ثم أمر بثوب فبسطت له ثم قال لانسان عنده اصرخ فى اهل الخندق ان هلموا الى الغداء فاجتمع اهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب أى فان أهل الخندق أصابهم مجاعة قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة ايام لا نذوق زادا وربط صلى الله عليه وسلم الحجر على بطنه من الجوع أقول اورد ابن حبان فى صحيحه لما اورد الحديث الذى فيه نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال وقالوا له مالك تواصل يا رسول الله قال انى لست مثلكم انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى قال يستدل بهذا الحديث على بطلان ما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع الحجر على بطنه من الجوع لانه كان يطعم ويسقى من ربه اذا واصل فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال حتى يحتاج الى شد الحجر على بطنه قال وانما لفظ الحديث الحجز بالزاى وهو طرف الازار فصحفوا وزادوا لفظ من الجوع وأجيب بانه لا منافاة كان صلى الله عليه وسلم يطعم ويسقى اذا واصل فى الصوم أى يصير كالطاعم والساقى تكرمة له ولا يحصل له ذلك دائما بل يحصل له الجوع فى بعض الاحايين على وجه الابتلاء الذى يحصل للانبياء عليهم الصلاة والسلام تعظيما لثوابهم والله أعلم وان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لما علم مابه صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع صنع شويهة وصاعا من شعير قال جابر وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلما قلت له أمر صارخا فصرخ ان انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر ابن عبد الله قال جابر فقلت انا لله وانا اليه راجعون فاقبل الناس معه أى بعضهم فجلس صلى الله عليه وسلم فاخرجناها اليه فبرك وسمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا أى وذهبوا الى الخندق وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ألف فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو قال وفى رواية أن جابرا رضى الله عنه لما رأى مابه صلى الله عليه وسلم من الجوع استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصراف الى بيته فاذن له قال جابر فجئت لامرأتى وقلت لها انى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا أفعندك شئ قالت عندى صاع من شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير وجعلت اللحم فى برمة فلما امسينا

قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكأني انظر الى اصحابه مقرنين في الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين في بيت سويلم اليهودي فقال بعضهم أتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأني بهم يعني الصحابة غدا مقرنين في الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف فأوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم اجتماع القوم وما قالوا فقال لعمار بن ياسر رضي الله عنهما ادرك القوم فاسألهم عما قالوا فان انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك في جلاد بني الاصفر قال يا رسول الله او تأذن لي في التخلف ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي انه ما من رجل باشد عجبا بالنساء مني واني اخشى ان رأيت نساء بني الاصفر ان لا اصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فأنزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا والفتنة التي سقطوا فيها هي التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفي رواية انه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له والله ما منعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه فلما نزلت الآية قال له الم أقل لك فقال له اسكت يا لكع فوالله لانت اشد علي من محمد وفي رواية ان الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن اعينك بمالي فأنزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم والمحققون على ان الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضي الله عنه وعاش الى خلافة عثمان رضي الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا في الحر فانزل الله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل

 في نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون وجاء المعذرون من الاعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم في اسلامهم وستأتي قصتهم ان شاء الله تعالى وكان ممن تخلف ابو خيثمة الانصاري رضي الله عنه فلما ان سار صلى الله عليه وسلم ومضت ايام دخل ابو خيثمة على اهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل منهما عريشها وبردت فيه ماء وهيأت طعاما وكان اليوم يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأته وما صنعتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر وابو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لي زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله واخذ سيفه ورمحه ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ادركه نزل بتبوك وقد كان ابو خيثمة ادرك عمير بن وهب في الطريق يطلب رسول الله

جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته وقلت له طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل او رجلان فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه في اصابعي وقال كم هو فذكرت له فقال كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء وصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سورا اي ضيافة فحيهلا بكم اي سيروا مسرعين وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس قال جابر رضي الله عنه فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله وقلت انها الفضيحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا عشرة عشرة اي بعد ان اخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد صلى الله عليه وسلم الى برمتنا وبصق فيها وبارك الحديث اي وجيء القوم كان على الوجه المتقدم وان ام عامر الاشهلية ارسلت بقصعة فيها حيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في القبة عنده ام سلمة رضي الله عنها فأكلت ام سلمة حاجتها ثم خرج بالقصعة ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى عشائه فأكل اهل الخندق حتى نهلوا منها وهي كما هي وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ونفعنا ببركاته انه قدم لاربعة عشر رجلا من الفلاحين رغيفا واحدا فأكلوا منه كلهم وشبعوا قال وقدمت مرة الطاجن الذي نعمله في الفرن الى سبعة عشر نفسا فأكلوا منه وشبعوا وذكر انه شاهد شيخه الشيخ محمدا الشناوي رحمه الله ونفعنا ببركاته وقد جاء من الريف ومعه نحو خمسين رجلا ونزل بزاوية

صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال ابو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك ان تتخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنا ابو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فلما دنا ونظروه قالوا يا رسول الله هو والله ابو خيثمة فلما اناخ اقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك يا ابا خيثمة واولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم ما اصابهم وانما سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء يتبعه الفكر والاعتبار فكانه امرهم بالفكر فى احوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على اولئك بالكفر مع تمكينه اياهم فى الارض وامهاله اياهم فيها مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن ان تكون عاقبته مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس ان يشربوا من مائها شيأ وان يتوضؤا به للصلاة وان يعجن منه عجين وان يحاس به حيس وان يطبخ به طعام والعجين الذى عجن به او الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل والطعام الذى طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيأ ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم بالناس ولم يزل سائرا بهم حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة واخبرهم صلى الله عليه وسلم انها تهب عليهم الليلة ريح شديدة وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس فى تلك الليلة عن ان يخرج احد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر فى طلب بعير له ند فاحتملته الريح حتى القته فى جبل طيء فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الم انهكم ان يخرج احد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذى خنق فشفى والذى القته الريح بجبل طيء ارسلته طيء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره ابا بكر الصديق رضى الله عنه يصلى بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف فى اصحابه على العسكر واصبح الناس يوما ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا اكراشها ويشربوا ماءها فعن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وفى لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ابو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى ارسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث

شيخه الشيخ محمد السروى فتسامع مجاورو الجامع الازهر بمجيئه فأتوا الزيارته فامتلأت الزاوية وفرشوا الحصر فى الزقاق ثم قال النقيب شيخه هل عندك طبيخ قال نعم الطبيخ الذى افعله لى ولزوجتى فقال له لا تغرف شيأ حتى احضر ثم غطى الشيخ الدست بردائه واخذ المغرفة وصار يغرف الى ان كفى من فى الزاوية ومن فى الزقاق وهذا شئ رأيته بعينى هذا كلامه ولا بدع فقد ذكر غير واحد من العلماء كالحافظ ابن كثير ان كرامات الاولياء معجزات للانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الولى انما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه وثواب ايمانه به هذا كلامه قال وارسل ابو سفيان كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى احلف باللات والعزى اى واساف ونائلة وهبل كما فى لفظ لقد سرت اليك فى جمع وانا اريد ان لا اعود اليك ابدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق اى وفى لفظ قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم احد فأرسل له صلى الله عليه وسلم جوابه فيه اما بعد اى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب كذا فى كلام سبط ابن الجوزى فقد اتانى كتابك وقديما غرك بالله الغرور اما ما ذكرت انك سرت الينا وانت لا تريد ان تعود حتى تستأصلنا فذلك امر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى

واسافا

واسافا ونائلة وهبل حتى اذكر ذلك ياسفيه بني غالب انتهى

(غزوة بني قريظة)

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وسيد الاوس حينئذ سعد بن معاذ رضي الله عنه كما تقدم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة اي وقد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها وقيل زينب بنت جحش رضي الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل اي غسل شق رأسه الشريف وفي رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه أي وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة أي سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج مرخيا منها بين كتفيه وفي رواية عليه لامته ولا معارضة لانه يجوز أن يكون الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة اي شهباء عليها قطيفة وهي كساء له وبر من ديباج أي احمر وفي رواية جاء على فرس أبلق فقال أوقد وضعت السلاح يارسول الله قال نعم قال جبريل عليه السلام ما وضعت السلاح وفي رواية ما وضعت ملائكة الله السلاح بعد قال وفي رواية انه قال يارسول الله ما اسرع ما حللتم عذيرك من محارب عفا الله عنك اي من يعذرك وفي لفظ غفر الله لك او قد وضعتم السلاح قبل ان تضعه الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه

تنسبون المطر للانواء وقيل انه قال له و يحك هل بعد هذا شيء قال سحابة مارة وفي لفظ انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلي لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا فقالوا يانبي الله ماهذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطروا حتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم يوما فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه ان محمدا يزعم انه نبي وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا واني والله لا أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها انها في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها قيل وقع نظير هذا في غزوة بني المصطلق وان الواقعة تعددت وقيل انه من الاشتباه على بعض الرواة ولما قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا الخ جاء بعض الصحابة الى رحله وقال لمن في الرحل والله لعجب في شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة رجل قال كذا وكذا أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال له بعض من في الرحل هذه المقالة قالها فلان قبل ان تأتي بيسير يعني شخصا حاضرا في رحله فقال ياعباد الله في رحلي داهية وما اشعر اخرج اي عدو الله من رحلي ولا تصحبني فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل على شر حتى هلك وتباطأ جمل ابي ذر رضي الله عنه لما به من الاعياء فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا في بعض المنازل وقبل مجيئه قالوا له تخلف ابو ذر يارسول الله ابطأ به بعيره فقال دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يكن غير ذلك فقد اراحكم الله منه ولما اشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال يارسول الله هذا رجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباذر فلما تأمله القوم قالوا يارسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم فقد مات وحده بالربذة رضي الله عنه سكنها في خلافة عثمان رضي الله عنه بسبب اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة في بعض الفاظ القرآن وتفسير بعض من معانيه فخشي عثمان وابو ذر رضي الله عنهما اتساع الامر فاستأذن ابو ذر عثمان رضي الله عنهما أن يسكن الربذة فأذن له فبقي بها حتى توفي وحده كما اخبر صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأبطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ولم يأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان توضأ ومسح خفيه الى عبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة ثم قام واتى بالركعة الثانية وقال لهم بعد فراغه احسنتم او اصبتم ثم قال لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من امته وهذا لا ينافي انه صلى

الله عليه وسلم صلى خلف ابى بكر رضى الله عنه بل قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم خلف احد من أمته الا خلف ابى بكر والمراد صلاة كاملة فلا ينافى صلاته ركعة خلف عبد الرحمن بن عوف ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف احد غير ابى بكر وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وتقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يستخلف ابا بكر رضى الله عنه على عسكره يصلى بالناس فلعل ذلك فى بعض الايام فلا ينافى صلاة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بهم فى هذا اليوم او انه كان يصلى مع ابى بكر رضى الله عنه بعض القوم ومع النبى صلى الله عليه وسلم بعض لكثرة القوم فلما تأخر صلى الله عليه وسلم فى قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضى الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبى صلى الله عليه وسلم والله اعلم ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الماء قلة اى ماء عين تبوك وقد قال لهم انكم تأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى وامر مناديا نادى بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها اربعة وقيل رجلان من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ فى شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفى رواية فجعلوا فيها اسهما من كنانته فجاشت بالماء وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا قد ملئ جنانا اى بساتين فرأى ذلك وروى ابن عبد البر عن بعضهم قال انا رايت ذلك الموضع كله حوالى تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام امضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح وقد كان قال لبلال رضى الله عنه اكلأ لنا الفجر فاسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه ثم قال له صلى الله عليه وسلم الم اقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر وفى رواية ان بلالا قال لهم ناموا وانا اوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا الا بحر الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ماقلت قال يارسول الله ذهب بى مثل الذى ذهب بك وفى رواية أخذ بنفسى الذى اخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله عنه ان الشيطان صار يهدى بلالا للنوم كما يهدى الصبى حتى ينام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وساله عن سبب نومه فاخبر بما قاله النبى صلى الله عليه وسلم للصديق فقال الصديق رضى الله عنه للنبى أشهد أنك رسول الله ثم انتقل صلى الله عليه وسلم غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء وفى منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك قال ابو قتادة رضى الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وانا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال يا ابا قتادة هل لك فى

وسلم نعم قال فوالله ماوضعناه وفى لفظ ماوضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعنى الاحزاب حتى بلغنا الاسد انتهى اى حمراء الاسد ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم زاد فى رواية بمن معى من الملائكة فمزلزل بهم الحصون زاد فى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أصحابى جهدا فلو نظرتهم أياما فقال جبريل عليه السلام انهض اليهم فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا ولادخلن فرسى هذا عليهم فى حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الانصار وفى البخارى عن انس قال كانى انظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار الى بنى قريظة والموكب بكسر الكاف اسم لنوع من السير وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بيناهو عندى اذ دق الباب اى وفى رواية نادى مناد أى فى موضع الجنائز عذيرك من محارب ○ أى من يعذرك فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اى فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت فى اثره فاذا رجل على دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيته قلت نعم قال بمن تشبهينه قلت بدحية الكلبى قال ذاك بكسر الكاف جبريل عليه السلام أمرنى أن

التعريس اى النزول للنوم فقلت ما شئت يارسول الله قال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان او ثلاثة فقال ادعهم فقلت اجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفى رواية قال ابو قتادة فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وانا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فدعمته من غير ان اوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة اخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هى أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك منى قلت ما زال هذا مسيرى منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أو انه من الاشتباه على بعض الرواة قال أبو قتادة رضى الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعنى من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفى رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فنمنا حتى خرج الوقت وكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس فى ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شئ من ماء فتوضأ منها وبقى فيها شئ وفى رواية جرعة من ماء ثم قال لى احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس اى بعد أن ارتحلوا ففى رواية ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم وانا اسرينا حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى للمسافر منها فما أيقظنا الا حر الشمس وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندرى ما يحدث له فى نومه اى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحى فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ورأى ما أصاب الناس اى من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان الصديق استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى اصابهم اى من فوات صلاة الصبح فقال صلى الله عليه وسلم لا ضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال وبعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا من تفريطنا فى صلاتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى تهمسون دونى فقلنا يا نبى الله تفريطنا فى صلاتنا قال أما لكم فى أسوة ثم قال ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجئ وقت الاخرى وقد اختلفت الروايات فى حكاية هذه القصة فرواها بعضهم فى غزوة خيبر وبعضهم فى الحديبية وبعضهم فى تبوك فاختلاف العلماء فى

أمضى الى بنى قريظة أى وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة وأبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا اى وهو بلال كما فى سيرة الحافظ الدمياطى فاذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر أى وفى رواية الظهر الا ببنى قريظة قال فى النور والجمع بينهما أن الامر بعد دخول وقت الظهر بالمدينة وقد صلى بعضهم دون بعض فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا فى بنى قريظة وقيل للذين صلوها لا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة وفى رواية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مناديا يا خيل الله أى يا فرسان خيل الله اركبى ثم سار اليهم قال وقد لبس صلى الله عليه وسلم السلاح الدرع والمغفر والبيضة واخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريانا والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن ابى طالب كرم الله وجهه برايته الى بنى قريظة اى وفى رواية دفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ومر صلى الله عليه وسلم بنفر من بنى النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم احد قالوا نعم دحية الكلبى مر على بغلة بيضاء اى وفى رواية على فرس ابيض عليه اللامة وامرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله

توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة وبعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة وجزم بعضهم بانها فى غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واجيب بان القلب انما يدرى المعانى المتعلقة به لاما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر واجيب ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط و ينبغى أن يكون هذا الثانى أغلب احواله وان الانبياء مثله فى ذلك ثم ان اكثر الجيش كان قد تقدم وما بقى معه صلى الله عليه وسلم الا سبعة أو خمسة كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لمن كان معه ماترون الناس يعنى الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله اعلم فقال لو اطاعوا ابابكر وعمر رشدوا وذلك ان ابابكر وعمر رضى الله عنهما اراداأن ينزلا بالجيش على الماء فابوا ذلك عليهما فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الارض لاماء بها وقد كادت اعناق الخيل والركاب تنقطع عطشا فقال صلى الله عليه وسلم ابن صاحب الميضأة قيل هوذا يارسول الله قال جئنى بميضأتك فجاء بها وفيها شئ من ماء وفى رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فافرغ مافى الاداوة فيها ووضع اصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين اصابعه واقبل الناس ٤٣٠ فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ورووت خيلهم وركابهم قال بعضهم وواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفى كلام بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل للقوم العطش ارسل نفرا من اصحابه وفيهم على والزبير رضى الله عنهما لكن تقدم ان عليا رضى الله عنه تخلف فى غزوة تبوك فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبى صلى الله عليه وسلم اوان ذلك كان فى غزوة أخرى بعث صلى الله عليه وسلم أولئك النفر لطلب الماء وامرهم أن يستعرضوا الطريق واعلمهم ان عجوزا تمر بهم فى محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم اشتروا منها ماءها بماء عزوهان واتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان اذا هم بالمرأة ومعها السقاء وفى رواية اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت اناواهلى احوج اليه منكم فسألوها ان تاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فابت وقالت هذا الساحر وفى رواية الذى يقال له الصابئ وخير الاشياء ان لا آتيه فشدوها وثاقا واتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم حلوا عنها ثم قال لها اتاذنين لى فى الماء ولتصبين ماءك كما جئت به قالت شأنكم فقال لابى قتادة رضى الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضأة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ماتركوا معهم اناء الا ملؤه وارووا ابلهم وخيلهم وبقى فى الميضأة ثلثاها والميضأة هى الاداوة التى يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث لان الثانى وضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة التى صب فيها من الميضأة وفى هذا وضع يده فى الميضأة بعد ان لم يجدوا فى الميضأة شيأ وفى رواية ان تلك المرأة اخبرته صلى الله عليه وسلم انها مؤتمة اى لها ايتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لها من كسر وتمر ثم قال لها اذهبى واطعمى

عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما دنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه من الحصن اى ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند اصل الحصن سمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم اى وحق ازواجه اى فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى على كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصارى رضى الله عنه أن يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لى أذى قال نعم يارسول الله قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قال وفى رواية نادى باعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال اجيبوا يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أى وهو ما عبد من دون الله كما تقدم هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونى فجعلوا يحلفون ويقولون ما قلنا اهـ ويقولون يا أبا القاسم ما كنت جهولا اى وفى لفظ ما كنت فاحشا وفى رواية تقدمه صلى الله عليه وسلم الى يهود أسيد بن حضير رضى الله عنه فقال لهم يا اعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن

هذا عيالك وفي رواية ايتامك وصارت تعجب مما رأت ولما قدمت على اهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فقالت حبسني اني رأيت عجبا ارأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين نفرا وملؤا من القرب والمزاد والمطاهر مالا احصى ثم هما الآن اوفر منهما يومئذ فاما أن يكون ذلك الرجل اسحر اهل الارض او هو نبي كما يقول فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ما رأينا امرأة ادخلت على قومها من البركة مثل ما ادخلت هذه المرأة على قومها وفي صحيح مسلم لما كان يوم غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تمصها جماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر يارسول الله ان فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك البركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل رجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا في اوعيتكم فاخذوا حتى ما تركوا ٤٣١ في العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية ولا مانع من التعدد او هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد ان ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فأطعمهم وسقاهم فقال له صلى الله عليه وسلم انت طلحة الفياض وسماه يوم احد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت في غزوة تبوك على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيأت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فوضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت لخرير النحي فقمت فأخذت رأسه بيدي فقال صلى الله عليه وسلم وقد رأى ذلك لو تركته لسال الوادي سمنا وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال رضي الله عنه هل من عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى ان تجد شيئا فاخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال كلوا باسم الله فاكلنا ثلاثة انفس واحصيت اربعا وخمسين تمرة اعدها عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا ايدينا فاذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها احد الا نهل منها شبعا فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليهن ثم قال كلوا باسم الله فاكلنا حتى شبعنا وانا لعشرة ثم رفعنا ايدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اني استحيي من ربي لاكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فاعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن ولما وصل صلى الله عليه وسلم تبوك ارسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في

مواليك وخاروا اي خافوا قال لا عهد بيني وبينكم وتقدم أسيد الى بني قريظة يجوز أن يكون قبل مقدم علي اليهم ويجوز أن يكون بعده وانما قال لهم يا اخوان القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك وقد حرم عليهم ذلك كسائر الاعمال وقد امرهم ان يتفرغوا لعبادة ربهم في ذلك اليوم وكان ذلك في زمن داود عليه السلام فلما مسخوا خرجوا من تلك القرية هائمين على وجوههم متحيرين فمكثوا ثلاثة ايام لا يأكلون ولا يشربون ثم ماتوا وهذا دليل لمن يقول ان الممسوخ لا يعيش اكثر من ثلاثة ايام ولم يحصل منه توالد ولا تناسل وفي الكشاف قيل ان اهل ايلة اي وهي قرية بين مصر ومدين لما اعتدوا في السبت قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم العنهم واجعلهم للناس آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي هذا كلامه فليتأمل فمكثوا ثلاثة ايام لا يأكلون ولا يشربون فماتوا ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بد عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فاخروا صلاة العصر الى ان جاؤا بعد عشاء الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا

اربعمائة فارس الى أكيدر بن عبد الملك النصرانى وكان ملكا عظيما من قبل هرقل بدومة الجندل وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستاسروا أكيدر وقتلوا حسانا وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه بايديهم فيعجبون منه فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما فدخلوا الحصن وأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل وصالحه على ألفى بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسه ثم قدم باكيدر على النبى صلى الله عليه وسلم فحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله وكان هرقل مقيما بحمص وفى هذه الغزوة كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وسيأتى ذلك ان شاء ٤٣٢ الله تعالى فى مكاتباته صلى الله عليه وسلم واتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب ايلة ومعه أهل جرباء تانيث أجرب بعدو بقصر وهى قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء المهملة مدينة هنالك واهدى صاحب ايلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولاهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة واهل ايلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه اطيبة لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر وكتب لاهل اذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبى صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بامان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح أهل مينا على ربع ثمارهم وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يلق كيدا وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعبا منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم بمسيره فكان من الحكمة فى هذه الغزوة ما حصل من اغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين واذلالهم واستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقالوا يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى ويحدث الله

العصر بها بعد عشاء الآخرة اى وبعضهم قال نصلى ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوها فى أماكنهم ثم ساروا ۝ فما عابهم الله فى كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لان كلا من الفريقين تأول قال فى الهدى كل من الفريقين مأجور بقصده الا أن من صلى حاز الفضيلتين ولم يعنف الذين أخروها القيام عذرهم فى التمسك بظاهر الامر وهو دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب وادعى ابن التين رحمه الله ان الذين صلوا العصر صلوها على ظهور دوابهم قال لانهم لو صلوا نزولا لكان مضادة لما أمروا به من الاسراع ولا يظن ذلك مع تقرب افهامهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر لانه لم يأمرهم بترك النزول ولم ار انهم صلوا ركبانا فى شئ من طرق القصة والتعليل بالاسراع يقتضى انهم صلوا على ظهور دوابهم سائرة لا واقفة وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما اى وقيل شهرا وكان طعام الصحابة التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه أى يجاء به من عنده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر ۝ حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن اخطب دخل مع بنى قريظة حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه اى كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله

عليه

أمرا وأخرج البيهقى عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يا أبا القاسم ان كنت صادقا فالحق بالشام فانها ارض المحشر وارض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله عليه آيات من سورة بنى اسرائيل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآيتين فامره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث فرجع صلى الله عليه وسلم فقال جبريل سل ربك فان لكل نبى مسئلة وكان جبريل له ناصحا وكان النبى صلى الله عليه وسلم له مطيعا قال فما تأمرنى أن أسال فقال جبريل قل رب أدخلنى مدخل صدق الآية ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وبنى فى طريقه عشرين مسجدا وكان فى بعض الطريق ماء قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى ناتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذى فيه فلما اتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيأ فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له ٤٣٣ فلان وفلان فقال اولم انههم ان يستقوا منه شيأ حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل فى موضع الماء ومسحه بيده ودعا بما شاء ان يدعو به فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائن بقيتم او بقى منكم احد لتسمعن بهذا الوادى وقد اخصب ما بين يديه وما خلفه اى وهذا خلاف عين تبوك التى تقدم له فيها ما يشبه هذا حيث قال لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا ملئ جنانا لان تلك العين كانت عين تبوك وهذا عند منصرفه من تبوك واجمع رأى من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل اربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

٥٥ حل نى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فاخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها احد واسلكوا بطن الوادى فانه اسهل لكم واوسع فلما سمع المنافقون النداء اسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة وامر عمار بن ياسر رضى الله عنهما أن يأخذ بزمام ناقته صلى الله عليه وسلم وامر حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان يسوق من خلفه وفى دلائل النبوة للبيهقى عن حذيفة رضى الله عنه قال كنت ليلة العقبة آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقودها وعمار بن ياسر يسوقها اوانا اسوقها وعمار يقودها اى يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله

عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم اى يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن اسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فأيها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل وأنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم قال وزاد فى لفظ آخر وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بنى اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعنى حيى بن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونوا آمنتم بالكتابين الاول والآخر اه أى التوراة والقرآن اى وكانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا ابيتم على هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أى ولدا يخشى عليه وان نظفر فلعمرى لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان ابيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد واصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة اى غفلة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت

صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب وجوه رواحلهم و يقول اليكم اليكم يا اعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة رضى الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت احدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم متلثمين والليلة مظلمة وفى رواية ان حذيفة رضى الله عنه قال عرفت راحلة فلان وفلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما ارادوه قال لا قال انهم مكروا وارادوا ان يسيروا معى فى العقبة فيزحمونى و يطرحونى منها الى الوادى وان الله اخبرنى بهم و بمكرهم وساخبركما بهم فاكتماهم ولما اصبح صلى الله عليه وسلم جاء اليه اسيد بن حضير فقال يا رسول الله ما منعك ٤٣٤ البارحة من سلوك الوادى فقد كان اسهل من العقبة فقال أتدرى ما اراد المنافقون وذكر له القصة فقال يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن ان يقتل الرجل الذى هم بهذا وان احببت فبين اسماءهم والذى بعثك بالحق لا ابرح حتى آتيك برؤسهم فقال انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا باصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليسوا يظهرون الشهادة ثم جمعهم صلى الله عليه وسلم واخبرهم بما قالوه وما اجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا ارادوا الذى ذكر فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية * وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم من تبوك ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم عليه بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ولما قرب صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار السوء يقولون ان محمدا وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا فلما بلغتهم سلامة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه و بان كذبهم ساءهم ذلك وانزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم الآية وخرج مع الناس لتلقيه صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والولائد وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعى ايها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمه الى المدينة ولا مانع من تعدد ذلك ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا احد جبل يحبنا ونحبه والمحققون

واصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما حالفتموه اى عاهدتموه عليه ولم أشرككم فى غدركم فان أبيتم ان تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فوالله ما أدرى يقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج فى رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك قال فانى برئ منكم وخرج فى تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله و بعد ذلك لم يدر اين هو وقيل وجدت رمته واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه وفى لفظ انه قال لهم قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بنى قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا بنى النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأى الفاضل والعقل تركوا اموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد اوقع ببنى قينقاع وكانوا اهل عدة وسلاح ونجدة فلم يخرج احد منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبى وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسبى والجلاء ثم اقبل على كعب بن اسيد وقال والتوراة التى انزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء انه للعز والشرف فى الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة النبى صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذى قلت لكم اى وبعد الحصار قيل أرسلوا بنباش بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من ان لهم ما حملت الابل الا الحلقة فابى رسول الله صلى الله

على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بان يخلق له المحبة كتسبيح الحصا وحنين الجذع وقيل المراد يحبنا اهله ونحبهم ولما دخل المدينة قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه اتاذن لى يارسول الله ان امتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر * انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما * فى صلبه انت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم فاعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن ابيه واخيه وقد كانت طائفة من المنافقين بضعة وثمانون رجلا وتخلف ايضا ٤٣٥ كعب بن مالك رضى الله عنه وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن امية رضى الله عنهما وكانا من الاوس ولم يكن الثلاثة من اهل النفاق فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرهم وعلانيتهم واستغفر لهم ووكل سريرتهم الى الله تعالى وأما الثلاثة فأرجاهم واخر امرهم ينتظر امر الله فيهم وانزل الله فيهم وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم نزلت هذه الآية فى اول امرهم ونزل فى آخر امرهم عند قبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك رضى الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه فى غزوة تبوك قال كعب رضى الله عنه لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير انى تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب صلى الله عليه وسلم أحدا ممن تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس وكان من خبرى حين تخلفت عنه فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى منى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل صلى الله عليه وسلم سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا اهبة غزوهم واخبر الناس بوجههم الذى يريدون والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير

عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فارسلوا ثانيا بأنه لا حاجة لهم بشئ من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد نباش اليهم بذلك اه ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة اى وهو رفاعة بن المنذر لنستشيره فى امرنا اى لانه كان من حلفاء الاوس وبنو قريظة منهم وفى لفظ وكان ابو لبابة مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة فأرسله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اى اسرع اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه اى انه الذبح أى وفى لفظ ماترى ان محمدا قد أبى أن لا ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ الى حلقه ويروى انهم قالوا له ماترى انزل على حكم سعد بن معاذ فأومأ ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة رضى الله عنه فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت انى خنت الله ورسوله اى لان فى ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم انزل الله فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية اى وقيل نزل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله ان يتوب عليهم الآية وهذا اثبت من الاول وقد يقال كلاهما نزل فيه تلك الآية فى توجه اللوم عليه وهذه فى توبته لا يقال هى ليست نصا فى توبة الله عليه لانا نقول الترجى فى حقه تعالى امر محقق وعن ابى لبابة رضى الله عنه لما ارسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يرسلنى اليهم دعانى قال اذهب الى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين

لايجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب الاظن ان ذلك يخفى مالم ينزل فيه وحى من الله تعالى وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكى اتجهز معهم فأرجع ولم اقض شيأ واقول فى نفسى انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل يتمادى بى ذلك حتى استمر الناس بالجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض شيأ فهممت ان ارتحل فأدركهم فياليتنى فعلت ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى ان لا ارى لى اسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق او رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك مافعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه حب برديه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه بئسما قلت والله يارسول الله ماعلمنا عليه الا خيرا ٤٣٦ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا من تبوك طفقت اتذكر الكذب واقول بم اخرج من سخط الله غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من اهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت انى لم انج منه بشئ ابدا فأجمعت على الصدق فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشى حتى جلست بين يديه فقال ماخلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يارسول الله انى لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن غزا
والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى يوشك ان الله يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالوا يؤنبونى حتى كدت أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ماقلت وقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم مثل ماقال لك قلت من هما قالوا

الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن اسيد فقال يا ابا بشير قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى تنزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بارض الشام او خيبر ولم نطأ له ارضا ولم نكثر عليه جمعا ابدا ماترى قد اخترناك على غيرك انتزل على حكم محمد قال ابو لبابة نعم فانزلوا واومأ الى حلقه بالذبح قال فندمت واسترجعت فقال لى كعب مالك يا ابا لبابة فقلت خنت الله ورسوله فنزلت وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط بالمسجد الى عمود من عمده اى وهى السارية ويقال لها الاسطوانة وهى التى كانت عند باب ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى حر شديد وقيل الاسطوانة المخلقة التى يقال لها اسطوانة التوبة والاول اثبت وكانت تلك الاسطوانة اكثر تنفله صلى الله عليه وسلم عندها وكان ينصرف اليها من صلاة الصبح فكان يستبق اليها الفقراء والمساكين ومن لا بيت له الا المسجد فيجيء اليهم صلى الله عليه وسلم ويتلو عليهم ماانزل من ليلته ويحدثهم ويحدثونه وكان ارتباطه بسلسلة ربوض اى ثقيلة وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بنى قريظة ابدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال اما لو جاءنى لاستغفرت له واما اذ فعل مافعل فما انا بالذى اطلقه حتى يتوب الله عليه هذا وفى كلام البيهقى واورده فى الدر أن ارتباطه انما كان لتخلفه عن تبوك فقد ذكر انه لما اشار بيده الى حلقه واخبر عنه صلى الله عليه وسلم بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احسبت ان الله غفل عن يدك حيث تشير اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم لما

مرارة بن الربيع وهلال ابن امية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقلت لي فيهما اسوة ومضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى انكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشد القوم واجلدهم فكنت اخرج فأشهد الصلاة واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك الله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت فبينا انا ٤٣٧ امشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذه الرسالة ايضا من البلايا فالقيتها في التنور فسجرتها حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت الحقي باهلك فكوني معهم حتى يقضي هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله ما به حركة الى شيء فوالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال كعب فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهلك قال قلت وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت علي الارض بما رحبت وضاقت علي نفسي اذ سمعت صارخا اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فقد تاب الله عليك فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت انه قد جاءني فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك كان ابو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجع جاءه ابو لبابة يسلم عليه فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع ابو لبابة وارتبط بالسارية واستغرب ذلك بعضهم فقال واغرب من ادعى ان ابا لبابة انما فعل ذلك لتخلفه عن غزوة تبوك ثم ان بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذي تقدم عن حيي بن اخطب ولا يخالف هذا ما قيل انهم كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل كانوا اربعمائة مقاتل ولا يخالف ما قبله لانه يجوز ان يكون ما زاد على ذلك كانوا اتباعا لا يعدون واخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية اي وكانوا الفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثبت الاوس وقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بني قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم أي فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبى أن يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال فذلك الى سعد ابن معاذ اي وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ اي وهو رضي الله عنه سيد الاوس حينئذ كما تقدم وقيل انهم قالوا انتزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وكان سعد

رجل الى فرساومعه ساع من اسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه واوفى رجل على الجبل وكان الصوت اسرع الى من الفرس وجاء فى رواية ان الذى ركض الفرس هو الزبير بن العوام رضى الله عنه وفى رواية فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى له فكسوته اياهما ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقانى الناس فوجا فوجا يهنونى بالتوبة يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وتلقانى والله ما قام لى رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يارسول الله ام من عند الله قال بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت ٤٣٨ يارسول الله انما نجانى الله بالصدق وان من توبتى ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله مازلت فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى وجاء فى رواية قلت يارسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فانزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم الله على بنعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدقى رسول اترضون الله ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحى شر ما قال لاحد فقال سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وفى رواية عن كعب رضى الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من ان اموت فلا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى احد منهم ولا يصلى ولا يسلم على قال وانزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة رضى الله عنها وكانت ام سلمة

ابن معاذ رضى الله عنه يومئذ فى المسجد فى خيمة رفيدة رضى الله عنها وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى اعوده من قرب اى لان رفيدة رضى الله عنها كان لها خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فاتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن فيهم فقد رأيت ابن أبى وما صنع فى حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم اى زاد فى رواية فانزلوه فقال عمر رضى الله عنه السيد هو الله وفى رواية الى خيركم اى معاشر المسلمين من المهاجرين والانصار أو معاشر الانصار فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفى رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم فقال سعد أى لمن فى الناحية التى ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم كما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أى وفى لفظ فقال سعد ابنى قريظة

محسنة فى شأنى معتنية فى امرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب فقالت يا رسول الله افلا ارسل اليه ابشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك ابا لبابة رضى الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وانزل الله توبته فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والصحيح ان قصة ابى لبابة انما كانت فى غزوة بنى قريظة لما استشاروه فى النزول على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فأشار لهم الى عنقه يعنى انه الذبح قال فما برحت قدماى من موضعهما حتى علمت انى خنت الله ورسوله فذهب وربط نفسه بسارية من سوارى المسجد حتى نزلت توبته وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة بنى قريظة وان الله انزل فى ذنبه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون الآية وانزل فى توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية ولما رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك قبل ان يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه ان يأتى مسجدهم ليصلى فيه وهو مسجد الضرار الذى بنوه لاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعاتهم فدعا صلى الله عليه وسلم بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية الى قوله والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا فدعا صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدى بن عامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك ابن الدخشن فقال مالك أنظرونى حتى آتيكم بنار فدخل عند أهله فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان سنة تسع وبعد قدومه صلى الله عليه وسلم وجد عويمر العجلانى امرأته حبلى فقذفها بشريك بن سحماء فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد بعد العصر وقصتهما طويلة فى الصحيحين وغيرهما

(سرية أبى سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما) وكانت هذه السرية بعد ان رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك انه وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وسيأتى قصة وفدهم فارسل صلى الله عليه وسلم اباسفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات بالطائف فذهبا فى بضعة عشر رجلا فهدموها حتى سووها بالارض وفى رواية ان المغيرة اراد ان يقدم اباسفيان فى هدمها فأبى ذلك ابو سفيان عليه وقال ادخل انت على قومك

اترضون بحكمى قالوا نعم فاخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به قال سعد فانى احكم فيهم ان تقتل الرجال وفى لفظ ان يقتل كل من جرت عليه الموسى وتغنم الاموال وتسبى الذرارى والنساء زاد بعضهم وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال انى احببت ان يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة اى السموات السبع قيل سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم وجاء فى الصحيح من فوق سبع سموات والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة قد طرقنى بذلك الملك سحرا ثم امر صلى الله عليه وسلم ان يجمع ما وجد فى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها الفا وخمسمائة سيف وثلثمائة درع والفى رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجدا ثاثا كثيرا وآنية كثيرة واجمالا نواضح اى يسقى عليها الماء وماشية وشياها كثيرة وخمس ذلك اى مع النخل والسبى حتى الرثة وهو السقط من امتعة البيت خمسة اجزاء ففض اربعة اسهم على الناس فجعل للفارس ثلاثة اسهم اى سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهما قال بعضهم وهو أول فىء وقعت فيه السهام ورضخ للنساء اللاتى حضرن القتال وهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم عمارة وأم سليط وأم العلاء والسميراء بنت قيس وأم سعد بن معاذ وكبشة بنت رافع ولم يسهم لهن وأخذ هو صلى الله عليه وسلم جزأ وهو الخمس وعبارة بعضهم وهو أول فىء وقعت فيه السهمان وخمس أى بجزئ خمسة أجزاء وكتب فى سهم لله ثم أخذ ذلك السهم الذى خرج عليه وعلى سنته مضت قسمة الغنائم وفى كون هذا أول فىء جرت فيه السهمان نظر لان ذلك كان فى بنى قينقاع فان الفىء الحاصل منهم

فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول اى الفاس العظيم التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه يحمونه خشية ان يرمى باحد بسهم وخرج نساء ثقيف من الحجال حسرا اى مكشوفات يبكين على الطاغية وكانوا يظنون انه لا يمكن هدمها لانها تمنع من ذلك وفى رواية واراد المغيرة أن يسخر بثقيف فقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفى لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا ابعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هى لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ فى هدمها فهدمها الى أن كسر بابها وهدم أساسها واخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم ثم أخذوا حليتها او كسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليه صلى الله عليه وسلم فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله أعلم *(سرية جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه)* الى ذى الخلصة بفتح المعجمة واللام بعدها ٤٤٠ مهملة وذو الخلصة اسم بيت كان فيه صنم لقوم جرير وكانت هذه السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين قال جرير رضى الله عنه قال لى النبى صلى الله عليه وسلم الا تريحنى من ذى الخلصة فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من احمس وكانوا اصحاب خيل وكنت لا اثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فضرب فى صدرى وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وكان ذو الخلصة بيتا فى اليمن لخثعم وبجيلة يقال له الكعبة فانطلق اليها فكسرها وحرقها ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول جرير والذى بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كانها جمل أجرب فبارك فى خيل احمس ورجالها خمس مرات وروى الطبرانى عن جرير قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم أن يقولوا لا اله الا الله قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر أنه غير بعثه الى الصنم ويحتمل أن بعثه الى الجهتين على الترتيب ويؤيده ما وقع عند ابن حبان فى حديث جرير انه صلى الله عليه وسلم قال له يا جرير انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذى الخلصة فانه يشعر بتأخير هذه القصة جدا وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهدمها ثم توجه الى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وحكى بعضهم ان موضع ذى الخلصة صار مسجدا جامعا للبلدة يقال لها العبلات من ارض خثعم والله اعلم *(سرية اسامة بن زيد رضى الله عنهما)* الى أبنى بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فألف مقصورة وهى ناحية بالبلقاء من ارض الشام وهى آخر السرايا كما ان غزوة تبوك آخر الغزوات لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة امر صلى الله عليه وسلم

خمس خمسة أخماس أخذ صلى الله عليه وسلم واحدا والاربعة لاصحابه أى ووجد جرار خمر فاهريق ولم يخمس وهذا يدل على أن الخمر كانت محرمة قبل ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالاسارى ان يكونوا فى دار اسامة بن زيد رضى الله عنهما والنساء والذرية فى دار ابنة الحرث النجارية اى لان تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب وقيل فى دار كبشة بنت الحرث بن كريز كانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز وهذه انما نزل فى دارها وفد بنى حنيفة كما سيأتى وبالمتاع ان يحمل وترك المواشى هناك ترعى الشجر ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق اى حفر فيها حفائر ثم امر بقتل كل من انبت فبعث اليهم فجاؤا اليه ارسالا فضرب أعناقهم ويلقون فى تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن اسيد يا كعب ما تراه يصنع بنا قال فى كل موطن لا تعقلون اما ترون ان من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فابيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وذلك ليلا على شعل السعف ثم رد عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملأت المدينة نواحا وكان من جملة من اتى معهم عدو الله حيى بن اخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى ابى الله الا تمكينك منى اما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى كلام السهيلى رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم لما قال له الم يمكن الله منك فقال بلى ولقد قلقلت كل مقلقل ولكنه من يخذلك يخذل فقوله يخذلك كقول

بالتهيئ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا اسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل ابيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على اهل أبنى وحرق عليهم واسرع السير لتسبق الاخبار فان اظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق احد من المهاجرين الاولين والانصار الا اشتد لذلك وتهيأ للخروج منهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين والانصار هذا الغلام وكان سن اسامة سبع عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة وقيل عشرين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا شديدا فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر

فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة ولئن طعنتم في امارته فلقد طعنتم في امارة ابيه من قبله وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من احب الناس الي وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى المعسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول انفذوا بعث اسامة واستثنى ابا بكر وامره بالصلاة بالناس فلا منافاة بين من روى ان ابا بكر رضي الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لانه كان من جملة الجيش اولا ثم تخلف لما استثناه صلى الله عليه وسلم وامره بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا في ابي بكر رضي الله عنه انه تخلف عن جيش اسامة وانه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش اسامة لما علمت ان تخلفه كان بامر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وفيه اشارة الى انه الخليفة بعده واما اللعن الذي ذكروه فلم يرد في حديث فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فجاء اسامة رضي الله عنه فطأطأ فقبله صلى الله عليه وسلم وهو لا يتكلم ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي ثم رجع اسامة الى معسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه اسامة وخرج الى معسكره وامر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب وفي رواية سار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول

كقول الآخر في البيت ولكنه من يخذل الله يخذل لانه انما نظم في البيت كلام حيي ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا بأس بامر الله كتاب وقدر وملحمة اي قتال كتب الله على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه قال ولما اتي بكعب بن اسد سيد بني قريظة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا ابا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بي اما امركم باتباعي وان رأيتموني تقرؤني منه السلام قال بلى والتوراة يا ابا القاسم ولولا ان تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقدم فيضرب عنقه ففعل به ذلك اي وكان المتولي لقتلهم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضي الله عنه اقول في الامتاع وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما كرهه احد من الاوس فيه خير فمن كرهه فلا ارضاه الله فقام اسيد بن حضير فقال يا رسول الله لا تبق دارا من دور الاوس الا فرقتهم فيها ففرقهم في دور الانصار فقتلوهم هذا كلامه والضمير في قتلوهم ظاهر في رجوعه للاوس وانهم المراد بالانصار وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون المراد بالاوس الذين كرهوا ذلك طائفة منهم وان تلك الطائفة قتلوا من بعث به الى دورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله علي والزبير والله أعلم ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة أخرجت من بين النساء يقال لها نباتة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد بهذا وقال ان له اجر شهيدين واسهم لسنان بن محصن وقد مات

لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل واقبل معه عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توفى حين زاغت الشمس فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقودا حتى اتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابى بكر رضى الله عنه امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة وان يمضى اسامة لما امر ولما اشتهرت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت شوكة اهله وقويت نفوس اهل النصرانية واليهودية ومن كان يرغب فيهم وصارت المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا انصلى ولا ندفع الزكاة وكل ذلك ظهر قبل ان يتوجه جيش اسامة فعند ذلك كلم الناس ابا بكر رضى الله عنه ان يمنع اسامة من السفر وقالوا كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى ابو بكر رضى الله عنه ان يمنع اسامة من الخروج وقال والله الذى لا اله الا هو لو جرت الكلاب بارجل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم مارددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفى لفظ والله لان يخطفنى الطير احب الى من ان ابدأ بشئ قبل تنفيذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تنفيذ جيش اسامة وفى رواية ان اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله يأذن لى ان ارجع بالناس فان معى وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله واثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون وقالت الانصار لعمر رضى الله عنه فان ابى ابو بكر رضى الله عنه إلا ان يمضى الجيش فابلغه منا السلام واطلب اليه ان يولى امرنا رجلا اقدم سنا من اسامة فقدم عمر الى ابى بكر رضى الله عنهما فأخبره بما قال اسامة فقال ابو بكر رضى الله عنه والله لو تخطفتنى الذئاب والكلاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضى الله عنه فان الانصار امرونى ان ابلغك انهم يطلبون ان تولى رجلا اقدم سنا من اسامة فوثب ابو بكر رضى الله عنه وكان جالسا فاخذ بلحية عمر رضى الله عنه وقال ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني ان انزعه فخرج عمر رضى الله عنه الى الناس فقال امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ولعل الذين قالوا ذلك من الانصار لم يكونوا سمعوا من النبى صلى الله عليه وسلم الانكار على من طعن فى ولاية اسامة رضى الله عنه ولا بلغهم او جوزوا ان الصديق يوافق على ذلك حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضى الله عنه يكون جوز ذلك ايضا ثم كلم ابو بكر رضى الله عنه اسامة

فى زمن الحصار وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم يعنى بنى قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا اى وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق اى لانها دخلت على عائشة وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها اين نباتة قال أنا والله قالت عائشة فقلت لها ويلك ما لك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته أى وفى لفظ قتلنى زوجى فقالت لها عائشة كيف قتلك زوجك قالت أمرنى أن ألقى رحى على أصحاب محمد كانوا تحت الحصن مستظلين فى فيئة فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وانا اقتل به وفى لفظ آخر انى كنت زوجة رجل من بنى قريظة وكان بينى وبينه كاشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد امر المحاصرة قلت لزوجى يا حسرتى على ايام الوصال كادت ان تنقضى وتتبدل بايام الفراق وما اصنع بالحياة بعدك فقال زوجى انك صادقة فى دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون فى ظل حصن قال الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة فالقى عليهم حجر الرحا لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضى الله عنها تقول والله ما انسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل وكان فى بنى قريظة الزبير بن باطا وهو جد الزبير بن ابنه عبد الرحمن وهو بفتح الزاى وكسر الموحدة كاسم جده وقيل بضم الزاى وفتح المثناة وهو قول البخارى فى التاريخ وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث وهى الحرب التى كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج آخرا

كما

فى عمر رضى الله عنه ان يأذن له فى التخلف ليستعين به الصديق رضى الله عنه فى مشورته وامر الخلافة ففعل وكان استئذان ابى بكر لاسامة رضى الله عنهما تطييبا لقلبه فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج اسامة رضى الله عنه فى ثلاثة آلاف فيهم الف فرس وودعه ابو بكر رضى الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشيا واسامة رضى الله عنه راكب وعبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه يقود براحلة الصديق رضى الله عنه فقال اسامة يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما ان انزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ثم ان أسامة رضى الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أى فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث ارضها فازال نخلها وأجال الخيل فى عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضى الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك ٤٤٣ فلما أمسى أمر الناس بالرحيل واسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر فى المهاجرين والانصار ممن لم يكن فى تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل أسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته وكان فى خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى بعد أن ولى الخلافة اذا رأى أسامة رضى الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لى هذا فيقول لا أزال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت على أمير وقد كان أسامة رضى الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ أسامة والحسن رضى الله عنهما فيقول اللهم احبهما فانى احبهما وفى حديث المخزومية التى سرقت واراد صلى الله عليه وسلم قطع يدها فلم يجسر احد ان يكلمه صلى الله عليه وسلم غير اسامة بن زيد رضى الله عنهما فكلمه فقال صلى الله عليه وسلم اتشفع فى حد من حدود الله ومناقبه رضى الله عنه كثيرة توفى بالمدينة او بوادى القرى سنة خمس او اربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله اعلم ومما ينبغى ان يلحق بالغزوات والسرايا بعوثه صلى الله عليه وسلم *(بعث الصديق رضى الله عنه)* بعث صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضى الله عنه فى السنة التاسعة يحج بالناس واما فى السنة الثامنة فأمر عتاب بن اسيد رضى الله عنه ان يحج بالناس وكان اميرا على اهل مكة كما تقدم

كما تقدم اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت رضى الله عنه للزبير فقال له يا ابا عبد الرحمن هل تعرفنى قال فهل يجهل مثلى مثلك قال انى اردت ان اجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم واحوج ما كنت اليك اليوم وعبد الرحمن هذا هو الذى تزوج امرأة رفاعة وشكته للنبى صلى الله عليه وسلم بان الذى معه كهدبة الثوب واحبت طلاقه لهاثم اتى ثابت رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير على منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بابى انت وامى امرأته وولده فقال هم لك قال فأتيته فقلت قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهلك وولدك فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال اى ثابت اما انت فقد كافأتنى وقد قضيت الذى عليك ما فعل بالذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى منها عذارى الحى كعب بن اسد اى سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى اى من يحماهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيى بن اخطب قلت قتل قال فما فعل بمقدمتنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بالعين المهملة وتشديد الزاى بن سموأل بالسين المهملة مفتوحة ومكسورة قلت قتل قال فما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة

في قصة فتح مكة فخرج ابو بكر رضي الله عنه في ثلثمائة رجل من المدينة وبعث صلى الله عليه وسلم معه بعشرين بدنة قلدها واشعرها بيده الشريفة وساق ابو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضي الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني اقرأ براءة على الناس وانبذ الى كل ذي عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا فالعام ان لا يصد احد عن البيت اذا جاءه ولا يخاف احد في الاشهر الحرم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وكانت عادة العرب ان لا ينبذ العهد الا من كان قريبا ممن اراد النبذ فلذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ولم يكتف بأبي بكر رضي الله عنه فمضى ابو بكر رضي الله عنه فحج بالناس قيل كان الحج ذلك العام في ذي القعدة للنسيء الذي كانوا يصنعونه والصحيح انه كان في ذي الحجة وجاء في رواية انه بعد ان توجه ابو بكر رضي الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها ابا بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل من اهل بيتي ثم دعا عليا رضي الله عنه فقال اخرج بصدر براءة واذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه براءة يوم النحر وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان لانهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون اصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة بالليل وليس على رجل منهم ثوب ويقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتني امي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره او يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه صدره بعد طوافه فلا يمسه وقيل كانت المرأة تلبس درعا مفرجا وقد كانت امرأة تطوف وهي عارية ويدها على قبلها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله ● فما بدا منه فلا أحله

وفي ايجاب ستر العورة أنزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم الآية وفي رواية لما لحق علي أبا بكر رضي الله عنه قال له اميرا ومأمورا قال بل مأمور فكان علي رضي الله عنه في تلك السفرة يصلي خلف ابي بكر الى ان رجع الى المدينة وفي ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم عزل ابا بكر رضي الله عنه عن امارة الحج بعلي وقد تواتر ان ابا بكر رضي الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان علي من جملة رعيته في تلك السفرة ويصلي خلفه الى ان رجعوا الى المدينة وفي حديث جابر رضي الله عنه في هذه القصة قام ابو بكر رضي الله عنه فخطب الناس

قالت قتل وفي لفظ قتلوا قال فاني اسألك يا ثابت بيدك عندي الا الحقتني بالقوم فوالله ما بالعيش بعد هؤلاء من خير أأرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فأخلد فيها بعدهم لا حاجة لي فيها انا بصابر لله افراغة دلو ناضح اي مقدار الزمن الذي يفرغ فيه ماء الدلو وفي رواية فتلة دلو ناضح بالفاء والتاء المثناة فوق وقيل بالقاف والباء الموحدة اي مقدار ما يتناول المستقي للدلو حتى القى الاحبة قال ثابت فقدمته فضربت عنقه اي وقيل ان ثابتا رضي الله عنه قال له ما كنت لاقتلك فقال لا ابالي من قتلني فقتله الزبير بن العوام رضي الله عنه ولما بلغ ابا بكر رضي الله عنه مقالته القى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا قال في الاصل وذكر ابو عبيدة هذا الخبر وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك اهله وماله ان اسلم اي ولم يسلم فكان اهله وماله من جملة الفيء وكان القتل لكل من انبت ومن لم ينبت يكون في السبي قال عطية القرظي رضي الله عنه كنت غلاما فوجدوني لم انبت فخلوا سبيلي اي عن القتل وكان رفاعة قد انبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس ام المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم اي خالات جده عبد المطلب لانها من بني النجار فقالت بابي انت وامي يا رسول الله هب لي رفاعة فوهبه لها اي فأسلم وقرت عين سعد ابن معاذ رضي الله عنه بقتل بني قريظة حيث استجاب الله دعوته فانه سأل الله تعالى لما أصيب بالسهم في الخندق وقال لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة كما تقدم اي وفي بعض الروايات أن دعاءه رضي الله عنه بذلك كان في الليلة التي في صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم عن بعض الروايات اي ويجوز أن يكون رضي الله عنه دعا بذلك مرتين وفي لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفي

فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام على رضي الله عنه فقرأ على الناس براءة وجاء في رواية انه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ثم يوم النحر ثم يوم النفر فيحمل على تعدد وقوع ذلك وبذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول في السنة التاسعة في ذي القعدة وجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أبي احتضر فاحب أن تشهده وتصلي عليه قال ما اسمك قال الحباب فقال بل أنت عبد الله الحباب اسم الشيطان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وكان يحمل أمر أبيه على ظاهر الاسلام وقد ورد ما يدل على انه انما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه بعهد من ابيه بل جاء في رواية الطبراني وعبد الرزاق عن قتادة قال ارسل عبد الله بن ابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال اهلكك حب يهود فقال يا رسول الله انما ارسلت اليك لتستغفر لي ولم ارسل اليك لتوبخني ثم سأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض ٤٤٥ ابن ابي جاءه صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي فأعطاه القميص ثم لما اراد صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه وثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يا رسول الله اتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه اشياء مثل قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وفي رواية فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه وكان عمر رضي الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله بين الاستغفار وتركه فقال استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال عمر رضي الله عنه انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينزل عليه نهي صريح بترك ذلك ولم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه اجراء له على ظاهر حكم الاسلام واستصحابا لظاهر الحكم ولاكرام ولده الذي تحقق صلاحه واستئلافا لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم عن النفاق ذلك اليوم لما رأوا عبد الله يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه في قميصه وأن يصلي عليه وصلى عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم وترك رأي نفسه وأطال صلى الله عليه وسلم في تلك الصلاة وأكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبي وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبي من الوقوف وفي حديث ابن عباس ومشى معه صلى الله عليه وسلم حتى قام على قبره حتى فرغ منه وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لكمال شفقته

صدره من بني قريظة ويمكن أن يكون صاحب الهمزية رحمه الله أشار الى سب بني قريظة له صلى الله عليه وسلم ونهى بعض اشرافهم لهم عن نقضهم العهد الذي كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم الذي سببه حيي بن أخطب لعنه الله واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبي حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم انا لكم اولياء
ويوم الاحزاب اذ زاغت الابـ * ـصار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا في احمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذي البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد * ر اذ الميم في مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
اوهوا النحل قرصها يجلب الحتـ * ـف اليها وماله انكاء

اي ولما انقضى شان بني قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك بعد انقضاء الاحزاب وانفجر جرح سعد بن معاذ الذي في يده وسال الدم واحتضنه صلى الله عليه وسلم فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات منه وحمل الى منزله ولم يعلم صلى الله عليه وسلم بموته فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم من الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفي لفظ من هذا الميت الذي فتحت له

على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين في السياسة الى ان كشف الله الغطاء وقيل انما اعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن ابي اعطى قميصه للعباس رضي الله عنه حين اسر يوم بدر كما تقدم ثم انزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكان في ذلك تأييد لرأي عمر رضي الله عنه فهي من الآيات التي جاءت موافقة لرأيه رضي الله عنه وكان نزولها بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من امره على الصحيح وقيل بعد فراغ الصلاة وفي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الايسيرا حتى نزلت وروى الطبراني عن قتادة قال ذكر لنا انه صلى الله عليه وسلم قال وما يغني عنه قميصي من الله واني لارجو بذلك ان يسلم الف من قومه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده حتى قبضه الله وفي شرح القسطلاني على البخاري أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(البعث الى اليمن)

بعث صلى الله عليه وسلم ابا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع في السنة العاشرة وقيل في التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان كل واحد منهما على مخلاف واليمن مخلافان والمخلاف بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة بلغة اهل اليمن الناحية ويقال له الكورة بضم الكاف والاقليم والرستاق وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة ابي موسى السفلى وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك ستأتي قوما اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى الامام احمد عن معاذ رضي الله عنه قال لما بعثني صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن اطاعك من عصاك وروى الامام احمد ايضا وابو

ابواب السماء واهتزله العرش وفي رواية عرش الرحمن اي فتحت ابواب السماء لصعود روحه واهتز العرش اي تحرك فرحا بذلك وقال النووي اهتزاز العرش هو فرح الملائكة بقدوم روحه وفيه ان هذا لا يحتاج اليه الا لو كان تحرك العرش مستحيلا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ فوجده قد مات وعن سلمة بن أسلم بن حريش رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في البيت أحد الا سعد مسجى فرأيته يتخطى وأومأ صلى الله عليه وسلم الي قف فوقفت ورددت من ورائي وجلس صلى الله عليه وسلم ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رأيت احدا ورأيتك تتخطى فقال ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة احد جناحيه (اقول) قد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك عند تشييعه لجنازة ثعلبة بن عبد الرحمن الانصاري رضي الله عنه فانه صار يمشي على اطراف انامله فلما دفن قيل يا رسول الله رأيناك تمشي على اطراف انامك قال والذي بعثني بالحق ما قدرت ان اضع قدمي من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه وقصته مذكورة في السيرة الشامية ولما حملوا نعش سعد رضي الله عنه وكان جسيما وجدوا له خفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له حملة غيركم اي من الملائكة لقد نزل سبعون الف ملك شهدوا سعدا اي جنازته ومنهم جملة ما وطؤا الارض الا يومهم هذا وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد رضي الله عنه قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من تراب وجاء لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما دفن سعد رضي الله عنه ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه

يعلى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى تحت ظل راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك ان تمر بمسجدى وقبرى فبكى معاذ رضى الله عنه لفراقه وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم مشى معه ميلا ومعاذ رضى الله عنه راكب لامره صلى الله عليه وسلم له بذلك قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذا رضى الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا او قاضيا فقال ابن عبد البر انه كان قاضيا وقال الغسانى انه كان اميرا على المال وحديث ابن ميمون فيه التصريح بانه كان اميرا على الصلاة وهذا يرجح انه كان واليا وقد جاءت احاديث كثيرة فى فضله رضى الله عنه منها اعلم امتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل ومنها معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم بكسر همزة امام وبعضهم بفتحها وأما أبو موسى رضى الله عنه فقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع والتقى به بمكة واستدل العلماء بارساله على انه كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله النبى صلى الله عليه وسلم الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه فى التحكيم بصفين والحق انه لم يصدر منه ما يقتضى وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه اداه اجتهاده الى أن يجعل الامر شورى بين من بقى من الصحابة من اهل بدر لما شاهده من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الامر الى ما آل اليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث خالد بن الوليد)

بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد رضى الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع فى ربيع الاول سنة عشر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى سنة عشر الى بنى عبد المدان بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم وعبد المدان الذى نسبت القبيلة اليه هو جدهم الاعلى واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث ويقال لتلك القبيلة بنو الحرث وهم بنجران موضع باليمن سمى باسم نجران بن زيد بن سبا فأمره صلى الله عليه وسلم خالدا ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا قال فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس أسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه فأقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم ان يقدم اليه وفدهم فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم فى بقية شوال او صدر ذى القعدة وسيأتى فى الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى *(بعث على بن ابى طالب رضى الله عنه الى اليمن)* بعث

عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله لم سبحت اى وكبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه وجاء ان بعض اهل سعد رضى الله عنه سئل ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اى فى سبب تضايق القبر على سعد كما يرشد اليه جوابهم بقولهم فقالوا ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر فى بعض الطهور من البول بعض التقصير وهذا قد يخالف ما فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بانه لا يضغط فى قبره وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم وكذا ما فى التذكرة للقرطبى الا فاطمة بنت اسد ببركته صلى الله عليه وسلم اى حيث اضطجع صلى الله عليه وسلم فى قبرها ويحتاج للجمع بينه وبين ما فى الخصائص وجاء عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يا رسول الله ما انتفعت بشئ منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال يا عائشة ان ضغطة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وضرب منكر ونكير عليه كالكحل فى العين ولكن يا عائشة ويل للشاكين الكافرين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغطا يقبض على الصخر أى وحينئذ يكون المراد بالمؤمن الذى هذا شأنه الذى لم يحصل منه تقصير فلا ينافى ما تقدم عن سعد فليتأمل وقد روى البيهقى رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بن معاذ رضى الله عنه بين العمودين وبه استدل أئمتنا على أن ذلك أفضل من حمل الجنازة بالتربيع الذى اعتاده الناس الآن ومشى صلى الله عليه وسلم أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت امه رضى الله عنها ونظرت اليه فى اللحد وقالت احتسبك عند الله وعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه الى اليمن فى شهر رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فقال على رضى الله عنه يارسول الله ما اصنع قال اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة فان اجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس اوغربت وروى ابوداود وغيره من حديث على رضى الله عنه قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله تبعثنى الى قوم اسن منى وانا حديث السن لا ابصر القضاء قال فوضع يده صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا على اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال على والله ما شككت فى قضاء بين اثنين فخرج على رضى الله عنه فى ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق اصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء واطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الاسود بن خزاعى فقتله الاسود واخذ سلبه ثم صف على رضى الله عنه اصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان الاسلمى فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فأسرعوا واجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع على الغنائم فجزأها خمسة اجزاء فكتب فى سهم منها لله واقرع عليها فخرج اول السهام سهم الخمس وقسم على اصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله ليال عليه وسلم بعث عليا رضى الله عنه الى اليمن وذلك فى رمضان سنة عشر فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك اليه صلى الله عليه وسلم فخر ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع اهل اليمن على الاسلام لكن قوله فى التاريخ سنة عشر وهم لان بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر انما كان سنة عشر بعثه الى بنى مذحج واما بعثه الى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث على رضى الله عنه الى اليمن حصل مرتين وفى البخارى عن البراء رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر اصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت اواقى ذوات عدد زاد الاسماعيلى فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفا واحدا

واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف صلى الله عليه وسلم ودعا ثم انصرف وناحت عليه امه فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضى الله عنه اى فانه رضى الله عنه موصوف بكل ما يقال فيه من الاوصاف الحسنة بخلاف غيره وبعث صاحب دومة الجندل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة من سندس كما سيأتى فجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم يعجبون من تلك الجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة احسن يعنى من هذا ومن المعلوم ان المنديل ادنى الثياب لانه معد للامتهان فثيابه رضى الله عنه فى الجنة اعلى واغلى وقد وهب صلى الله عليه وسلم تلك الجبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ونزلت توبة ابى لبابة رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك قالت فقلت مم تضحك يارسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يارسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها قيل وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب وهو لا يناسب ما تقدم فى قصة الافك فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده الشريفة وقيل المبشر له عائشة رضى الله تعالى عنها فلما مر صلى الله عليه وسلم على ابى لبابة خارجا الى صلاة الصبح اطلقه وجاء ان فاطمة رضى الله عنها ارادت اطلاقه فأبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى اى وظاهر هذا انه رضى الله عنه كان يبر باطلاق سيدتنا فاطمة رضى الله عنها له فليتأمل وقد اقام مربوطا ست

ليال اى او سبع ليال وقيل سبع عشرة ليلة وقيل خمس عشرة ليلة وعليه اقتصر فى الامتاع وكانت تأتيه امرأته او بنته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة وكذا اذا اراد حاجة الانسان ثم يعود فيربط بالعمود حتى كاد يذهب سمعه وبصره ولا مانع ان امرأته وبنته كانتا تتناوبان فى ذلك اى وجاء انه رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم من تمام توبتى ان اهجر دار قوم اصبت فيها الذنب وفيه انه تقدم انه عاهد الله على ذلك قال وان أنخلع من مالى فقال له عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به اى ولم يأمره صلى الله عليه وسلم ان يهجر تلك الدار والجمع بينه وبين ما تقدم من انه عاهد الله ان لا يطأ تلك الدار ممكن ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصارى بسبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا قال وفى لفظ بعث سعد بن عبادة الى الشام بسبايا يبيعهم ويشترى بهم سلاحا وخيلا اى فاشترى بذلك خيلا كثيرا فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما جملة من السبايا فجعلت تلك الجملة من السبايا قسمين جعلت الشواب على حدة وجعلت العجائز على حدة ثم خير عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان فأخذ العجائز واخذ عبد الرحمن الشواب وجعل عثمان رضى الله تعالى عنه على كل واحدة منهن شيأ ان اتت به عتقت فكان المال يوجد عند العجائز ولا يوجد عند الشواب فربح عثمان مالا كثيرا (اقول) ويحتاج الى الجمع وقد يقال ان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة وعثمان وعبد الرحمن سبايا بنى قريظة فيكون قسموا ثلاثة اقسام قسم اعطى لسعد بن زيد وقسم اعطى لسعد بن عبادة وقسم اشتراه عثمان وعبد الرحمن ووقع الفداء فى سبايا بنى قريظة وحينئذ يكون المراد بقول القائل وبعث سعد بن زيد بسبايا بنى قريظة اى بجملة منهم وبعث سعد بن عبادة بسبايا اى بسبايا بنى قريظة اى بجملة منهم وان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة غير سبايا بنى قريظة فالامر ظاهر ويدل لهذا الثانى اسقاط بنى قريظة منه ثم رأيته فى الامتاع أسقط قصة سعد بن زيد الانصارى واقتصر على سعد بن عبادة حيث قال ولما سبيت السبايا والذرية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة الى الشام مع سعد بن عبادة رضى الله عنه يبيعهم ويشترى سلاحا هذا كلامه والله أعلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين الام وولدها أى فى السبايا الاعم من بنى قريظة وقال لا يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ قيل يا رسول الله وما بلوغه قال تحيض الجارية ويحتلم الغلام وكان اذا وجد الولد الصغير ليس له أم لم يبع من المشركين أى مشركى العرب ولا من يهود وانما يباع من المسلمين اى وكانت أم الولد الصغير تباع من المشركين هى وولدها من العرب ومن يهود المدينة ○ قال فى الامتاع وكان يفرق بين الاختين اذا بلغتا ومقتضاه انهما اذا لم يبلغا لا يفرق بينهما وأئمتنا معاشر الشافعية لم يحرروا الا التفرقة بين الاصول والفروع اذا لم يميزوا وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة ولعله لم تصح تلك الرواية عند امامنا الشافعى رضى الله عنه واصطفى صلى الله

ثم تقدم بين أيديهم فاقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح فى ان البعث الاول كان فى اواخر سنة ثمان وانه الى همدان واما الثانى فكان فى رمضان سنة عشر الى مذحج

عليه وسلم لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو وهو شمعون مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني النضير وكانت متزوجة في بني قريظة ولعله مراد من قال انها كانت من بني قريظة اى وكانت جميلة واسلمت بعد ان ابت الاسلام ووجد صلى الله عليه وسلم في نفسه اى غضب بسبب ذلك اى بسبب عدم اسلامها ولم يظهر ذلك ثم لما اسلمت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقد جاء لما ابت ريحانة الاسلام عزلها صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك وارسل الى ثعلبة بن شعبة وكان ممن نزل من حصون بني قريظة في الليلة التي صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ اى على ما في بعض الروايات وأسلم هو واخوته اسيد واسيد واسد وابن عمه واحرزوا دماءهم واموالهم وليسوا من بني قريظة وانما هم من بني هذيل فذكر له صلى الله عليه وسلم ذلك فقال سعد فداك ابي وامي هي مسلمة اى ظنا منه انها تسلم فخرج حتى جاءها ولا زال بها يقول لها أسلمي يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فاجابت الى ذلك وأسلمت فبينما هو صلى الله عليه وسلم في مجلس من أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هاتين لنعلا مبشري باسلام ريحانة فكان كذلك وأخبره أنها أسلمت فسر صلى الله عليه وسلم بذلك واستمرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في ملكه اختارت بقاءها في ملكه على العتق والنكاح أى فقد خيرها صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها ويتزوجها أو تكون في ملكه يطؤها بالملك فاختارت أن تكون في ملكه قال بعضهم والاثبت عند اهل العلم انه أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا واعرس بها في المحرم سنة ست بعد ان حاضت حيضة وضرب عليها الحجاب فغارت عليه فطلقها تطليقة فأكثرت من البكاء فراجعها ولم تزل عنده صلى الله عليه وسلم

حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشر فدفنها بالبقيع ووجوب
استبرائها بحيضة يدل لما قاله فقهاؤنا ان من ملك امة وطئها
غيره وطأ غير محرم لا يحل له تزوجها قبل استبرائها وان
اعتقها وتقدم ان قريظة والنضير اخوان من
أولاد هرون على نبينا وعليه وعلى سائر
الانبياء أفضل الصلاة
والسلام

٢

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث اوله غزوة بني لحيان)

